الأجوبـة الجليّـة
فى الرد على الأسئلة المسيحية

شـبهات النصـارى
حول القرآن الكريم



الحسينى الحسينى معدّى



1 مسيحى يسأل؟

ومسلم يجيب



اسم الكتاب : الأجوبة الجليه فى الرد على الأسئلة المسيحية - جـ ١

اسم المؤلف : الحسينى الحسينى معدّى

المراجعة اللغوية والتدقيق : طه عبدالرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٧/١٥١٣٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 376 - 305 - 6

تطلب كافة منشوراتنا :

حلب : دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٧٠

دمشق : مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت : ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت : ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا ت : ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبه الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثانى - ت : ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى

٢٠٠٧




E-mail:darkitab2003@yahoo.com

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٣٤٨٢٥ فاكس : ٢٢٤٧٢٩٧

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس : ٢٣٩١٦١٢٢

لبنان - تلفاكس : ٤٣٤١٨٦ / ٠٥ - تليفون : ٦٥٢٢٤١ / ٠٣ - ص. ب ٣٠٤٣ الشويفات

الأجوبه الجليه فى الرد على الأسئلة المسيحية

الجزء الأول

◆

الحسينى الحسينى معدى

◆

الناشر



دمشق - القاهرة

آيات من الذكر الحكيم

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾

(سورة البقرة: ١٢٠)

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

(سورة آل عمران: ٦٩)

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ **(سورة البقرة: ١٠٩)**

﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ **(البقرة: ٢١٧)**

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ٧١)

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ **(التوبة: ٣٢)**

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾

(الأنبياء: ١٨)

إهداء

- إلى كل باحث عن الحق والحقيقة...

- من اليهود والنصارى والمسلمين...

- إلى كل من يدافع عن حقائق الإسلام ويرد على شبهات وأباطيل خصومه...

- إلى كل من يواجه حملات التبشير والتنصير فى كل مكان...

- إلى كل من يساهم فى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين فى المجتمعات الغربية...

- إلى القائل:

- بدون شجاعة لاتوجد حقيقة، وبدون حقيقة لا توجد فضيلة...

- إلى الشباب الحيارى الذين ينشدون الدين الحق...

- إلى المبشِّرين والمنصِّرين الذين يبثون سمومهم وأحقادهم على مدى الأربع والعشرين ساعة على شبكة الإنترنت وقناة الحياة...

- عسى أن يجدوا فى هذه الدراسة ما يرد كيدهم... ويرجعهم خائبين خاسرين...

- إلى كل أب يجد حرجاً فيما يسأله عنه ولده...

- إلى كل أم لا تجد ما تجيب على أسئلة ابنتها به...

- إلى كل من تهجس نفسه ببعض الشك فيما يؤمن أو يعتقد...

- إلى كل من استمع إلى الخصوم فتولدت لديه شبهات فى الإيمان والإسلام وسيرة خير الأنام ﷺ.

أهديهم... هذا الكتاب.

- ردوداً عن الإيمان... لتثبيت عقيدته..

وإجابه عن الإسلام لبيان حقيقته...

الحسينى الحسينى معدّى

مقدمــة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

وأفضل الصلاة، وأتم السلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام بدأت المواجهة بين الإسلام وكل الأديان والعقائد والمذاهب، وكانت الديانتان اليهودية والمسيحية من أبرز الديانات التى أخذت مساحة واسعة فى إطار هذه المواجهة الفكرية والعقيدية.

ففى البداية وجهوا التهجمات ضد النبى محمد ﷺ، وضد القرآن الكريم، والإسلام بصفة عامة من قبل اليهود والنصارى فى كتاباتهم، وأحاديثهم، واعتداءاتهم التى استمرت حتى الآن، وهذه التهجمات مصدر إساءة كبيرة للمسلمين.

ولا تزال الحرب قائمة بين الإسلام وخصومه فى واقعنا المعاصر.. فقاموا ببث الشبهات والافتراءات حول عقائد الإسلام وشرائعه وأخلاقه، وطالبوا بتطوير الإسلام، وتطوير الشريعة، وتعديل المناهج الدينية فى الأنظمة التعليمية فى العالم الإسلامى، ووضعوا مخططات ووثائق ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير الذى تفرضه الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض الدول الغربية للقضاء على الإسلام وهدمه، وخصوصا بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

ومن يومها أصبحت الحملات على الإسلام شرسة، ووصلت الوقاحة إلى حد

تحريف آيات القرآن الكريم ونشره وتوزيعه على شبكة الإنترنت، وسفارات الدول الغربية، وكذلك توزيعه للأسف فى بعض الدول العربية وفلسطين المحتلة. وسموا هذه النسخ المحرفة من القرآن الكريم «بالفرقان الحق».

وتنفق الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، وبعض الدول الغربية مليارات الدولارات لتحقيق هذا الهدف لإقصاء المسلمين عن دينهم بكل السبل.

ويكمن وراء ذلك تحالف قوى الصهيونية العالمية مع المسيحية الصليبية فى أمريكا وأوروبا فى وقتنا الراهن.

ولا عجب أيضاً إذ امتلأت الكتب والإصدارات بكل الخرافات والشبهات حول الإسلام فى الغرب.. ولا عجب أيضاً إذا وجدنا كثيراً من مواقع الإنترنت تسب وتشتم فى الإسلام، وتحاول بكل ما أوتيت من قوة التقليل والتهوين من شأنه وتشويه صورته فى جميع أنحاء العالم.

ولقد اشتدت فى العقد الأخير(١) من القرن العشرين الحملة على الإسلام، وبخاصة فى ظل النظام العالمى الجديد الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية. وزاد من ضراوتها وسائل البث والإعلام الحديثة والمتطورة فى عصر تدفق المعلومات (الإنترنت)، والسموات المفتوحة (القنوات الفضائية) وغيرها من الوسائل، واستغل خصوم الإسلام الثورات العلمية بآلياتها الجبارة فى عصر العولمة منافذ للانقضاض والهجوم على قيم الإسلام ومبادئه بغية تشويه حقائقه أو القضاء عليه إن أمكن، لأنه أصبح العدو الأول للغرب بعد سقوط الشيوعية باعتراف الدول الغربية فى أدبياتهم المختلفة فى صراحة ووضوح لا يقبل الشك أو التأويل.

وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أعلنها الرئيس الأمريكى بوش الابن مدوية بأن الحرب بين الغرب والمسلمين حرب صليبية.

وانهالت من يومها حملات التشكيك ضد الإسلام، وكذلك حملات موجهة لاتهامه بالإرهاب، والتطرف، والعنف، والجمود وغير ذلك. فتارة يثيرون الشبهات، والأباطيل، والافتراءات، والترهات حول القرآن الكريم، وتارة أخرى يشككون فى قيم

(١) السنوات العشر الأخيرة.

الإسلام وحضارته، وتاريخه كما فعل رئيس الوزراء الإيطالى الحالى بير لسكونى، وكذلك يطعنون فى نبى الإسلام محمد ﷺ، وفى سنته الشريفة، ويتهمون الإسلام بظلم المرأة، ويطعنون فى التشريع الإسلامى، ويشوهون التاريخ الإسلامى... إلخ.

وأخيراً دأبوا على إثارة الشبهات ضد الإسلام عبر شبكة الإنترنت، فأنشؤوا العديد من المواقع لتشويه حقائق الإسلام والنيل منه، وفى المقابل لم يقصر علماء المسلمين على مدى تاريخ الإسلام فى القيام بواجبهم فى الرد على هذه الشبهات كل بطريقته الخاصة، وبأسلوبه الذى يعتقد أنه السبيل الأقوى للرد.

وهناك محاولات جادة بذلت فى الفترة الأخيرة للدفاع عن الإسلام فى مواجهة حملات التشكيك. فلقد أنشئ الكثير من مواقع الإنترنت للرد على سيل الشبهات التى يثيرها المشككون والمبطلون والمغرضون من خصوم هذا الدين تشكيكا فى مصادره، أو فى نبيه أو فى مبادئه وتعاليمه. ولا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم فى أثواب جديدة يحاول مروجوها أن يضفوا عليها طابعاً علمياً زائفاً.

وليس هناك فى عالم اليوم دين من الأديان يتعرض لمثل ما يتعرض له الإسلام فى الإعلام الدولى الغربى، وخصوصاً فى أوروبا وأمريكا من ظلم فادح، وافتراءات كاذبة وظالمة.

ويجب علينا أن نفضح هذه الحرب المعلنة، وغير المعلنة من الغرب، ودعاة التنصير، والمخططات الصليبية والصهيونية والتلمودية ضد الإسلام وتعاليمه.

والكتاب الذى نقدمه اليوم يتضمن الرد على العشرات من شبهات النصارى حول الإسلام فى شبكة الإنترنت. وقد اشترك فى هذا العمل العلمى الكبير عدد من العلماء والباحثين، والمفكرين المسلمين ممن لهم باع طويل فى مجال الدراسات الإسلامية، ومقارنة الأديان، وكشف شبهات وأباطيل خصوم الإسلام.

وهذا الكتاب ليس من تأليفى وإنما هو جهد هؤلاء العلماء المسلمين، ولم يكن لى أى دور سوى البحث والتنقيب فى عشرات المواقع على الإنترنت عن شبهات النصارى حول الإسلام ونبيه ﷺ وردود كبار علماء الدين الإسلامى عليها رداً وافياً وكافياً وشافياً يقنع العقل ويريح الصدر والقلب ويعمق الإيمان فى النفس، ويخلص

المسلم من أى شكوك أو وساوس تجول فى خاطره نتيجة لقراءة تلك الشبهات والأباطيل دون أن يجد رداً حاسماً عليها، ومن هنا كان لزاماً علينا كشف افتراءات المبشِّرين ودعاة التنصير أينما وجُدت، ومعرفة دقائق وخفايا المنصِّرين. والذين لا هم لهم فى الليل والنهار يشغل بالهم سوى بث سمومهم حول الدين الإسلامى فى الإنترنت. وكان المقصد والغاية هو حماية ضعاف العقيدة وأنصاف المتعلمين، وعبيد المال والشهوات من الخداع والانحراف. وكذلك كان يجب علينا أن نحصن الشباب المسلم ضد هذه الشبهات، والأباطيل، ولكى يزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

وأخيراً قمنا بهذا العمل لكشف المخططات والمؤامرات التى تدبر ضد الإسلام، وكذلك لفضح العقائد والمذاهب المنحرفة، وإزالة اللثام عن مواطن التحريف فيها. وإبراز حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين.

ونأمل أن يسهم هذا الكتاب فى توضيح الصورة الحقيقية للإسلام فى الغرب، وإزالة ما علق بالأذهان من سوء فهم لتعاليمه، وعقائده، وشرائعه، وأخلاقه، وحضارته. وهذا العمل روعى فيه الموضوعية والحيدة التامة، وعرض الإسلام عرض الداعية إليه الذى يرفض أن ينساق وراء استفزاز المعترضين. بل إنه يقدم دعوته كما أمره ربه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، متأسياً برسولنا الكريم ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقد رأى الباحث أن الحاجة قد أصبحت ماسة لتجميع كل الشبهات المعروفة التى قال بها المشككون من النصارى، ومن سار على نهجهم، والرد عليها تفصيلاً فى سلسلة كتب حتى نيسر للباحثين عن الحقيقة، والمهتمين بهذه القضايا فرصة الإحاطة بما تفتق عنه ذهن المشككين والاطلاع على الرد الإسلامى على ما أثاروه من مزاعم وأباطيل.

وفى النهاية نؤكد على أن الكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القارئ الكريم واحد من سلسلة كتب ينوى الباحث إعدادها بعون الله ومشيئته تتضمن الرد على ما يثار ويستجد من شبهات وأباطيل وافتراءات ضد الإسلام على شبكة الإنترنت والقنوات

الفضائية وخاصة قناة الحياة وكافة الإصدارات والنشرات والمطبوعات المختلفة.

ونعود ونقول صدق الله العظيم القائل:

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران: ٦٩).

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ٧١).

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾

(البقرة: ١٢٠).

﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧).

ونرجو من الله أن ينفع به المسلمين وغيرهم إحقاقاً للحق، وإظهاراً للحقيقة إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الحسينى الحسينى معدّى

تمهيـــد

شُبُهات النّصَارَى حولَ الإسلام

تمهيد

كشف علماؤنا بجهودهم المباركة حقيقة النصرانية المحرفة، وأبانوا عن زيفها وتحريف كتبها، وامتدت عقيدة الإسلام فى البيئات النصرانية، وسرت فيها سريان النار فى الهشيم، ولا يزال الإسلام يتقدم إلى قلاع النصرانية الحصينة يدق أبوابها بنوره العظيم.

ولمواجهة الشمس الساطعة اجتهد الغرب النصرانى فى بناء أسوار من الكذب والبهتان يريد من خلالها أن يحجب الضياء، بل واجتهد النصارى فى محاولة إضلال عوام المسلمين بإثارة الشبهات حول هذا الدين، ولتصور عظم هذا الخطب ينقل ديدات عن إدوارد سيد فى مقال له فى مجلة «تايم» فى أبريل ١٩٧٩ م قوله: «إن أكثر من ستين ألفاً من الكتب ألفت ضد الإسلام بواسطة المسيحيين الغربيين»، فكم ألف بواسطة الشرقيين!!

ولا ريب أن جهود علمائنا إزاء هذا الطوفان من الإضلال والتضليل مباركة مشكورة، غير أننا بحق نحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث اللذين يتناسبان وشراسة الهجمة وأهمية الموضوع.

وقد كانت الموضوعات التى ركزت عليها الدراسات النصرانية كالتالى:

١ ـ التشكيك فى مصدرية الإسلام.

٢ ـ الطعن فى النبى ﷺ.

٣ ـ الطعن فى القرآن الكريم.

٤ ـ الطعن في سنة النبى ﷺ.

٥ ـ الطعن فى تاريخ الإسلام على مر العصور.

٦ ـ الزعم بأن القرآن قد حوى فى دفتيه ما يؤيد المعتقدات والكتب النصرانية.

وفى جهدنا المتواضع نعرض نماذج من جهود علمائنا فى الكتب التى اختصت بمقارعة النصرانية بعيداً عن تلك الجهود المباركة التى وضعت للرد على الدراسات الاستشراقية التى يقوم بها اليهود وغيرهم من علمانى الغرب وملاحدته.

والذى يدعونا إلى هذا ضيق هذه الدراسة عن مثل هذا الموضوع الكبير.

المطلب الأول: منهج النصارى فى شبهاتهم عن الإسلام

وقبل أن نلج فى عرض نماذج للشبهات التى أثارها النصارى على عقائد الإسلام المختلفة نقف على بعض ملامح المنهج الذى اختطه النصارى فى إثارة الشبهات حول الإسلام، فقد شاب فهمهم للإسلام الكثير من الغبش، وكانت فكرتهم عن الإسلام خليطاً من ذلك الغبش والحقد الذى تكنه صدورهم للحق الذى سطع فحجب الضلال بضيائه وحجته.

وأهم ما يذكر هنا هو الكذب والتحريف والمغالطة من النصارى الذين تصدوا لنقد الإسلام ودراسته.

الكذب والتلاعب فى النصوص:

مارس النصارى الكذب فى نقدهم لهذا الدين، ومن ذلك قول وهيب خليل فى كتابه «استحالة تحريف الكتاب المقدس» فى سياق حديثه عن معجزات المسيح المذكورة فى القرآن، فيقول: «وإن كان بعض المفسرين يحاولون أن يقللوا من شأن السيد المسيح فى المقدرة قائلين: إنه يصنع هذا بأمر الله، فنجد أن الإسلام يشهد بأن هذه المقدرة هى لله فقط».

ومن المعلوم عند كل مسلم أو مطلع على القرآن الكريم أن الذى أحال معجزات المسيح إلى قدرة الله وإذنه هو القرآن الكريم وليس مفسريه.

ومن الكذب أيضاً ما قاله صاحب كتاب «الحق» حين زعم أن رسول الله ﷺ لما مات انتظر المسلمون قيامه كما قام المسيح، فلما لم يقم ارتد المسلمون عن الإسلام».

ومن المعلوم أن القرآن صرح بمثلية رسول الله لسائر البشر فى خاصية الموت، وقد صرح القرآن بموته، ولم يرد شىء فيه أو عن رسولنا يفيد قيامته ﷺ من الموت، وقد روى عن عمر أنه قال مثل هذا القول لحظة ذهوله عند فاجعته برسول الله ﷺ وسرعان ما أفاق منه.

وأما حركة الردة فقد بدأت إبان حياته ﷺ بظهور الأسود العنسى، وفشت بعد وفاته، ولم يكن من دواعيها مثل هذا القول الذى ذكره النصرانى.

ومن الكذب أيضاً قول القس شروش وهو عربى فلسطينى فى مناظرته لديدات أمام جمهور من الأعاجم الذين لا يعرفون العربية، فيقول مكذباً القرآن فى عربيته: «لكن محمداً استعمل كثيراً من الكلمات والجمل الأجنبية فى القرآن، وهذا يترك كثيراً من التساؤل عند الناس إن كانت لغة الله غير كافية بحيث تحتاج إلى عدة لغات أخرى... فى كتاب ادعى أن الله أوحاه بالعربية»، وبالطبع لا يوجد فى القرآن جملة غير عربية، فقد نزل بلسان عربى مبين.

ومن الكذب أيضاً قوله: «المسلمون غير العرب يشعرون بأنهم مجبرون أن يحفظوا على الأقل أربعين سورة من القرآن بالعربية مع أنهم لا يتكلمونها ولا يتخاطبونها» وأى من العلماء لم يوجب مثل هذا.

ومن الكذب أيضاً قول صاحب كتاب «الحق» النصرانى بأن رسول الله ما كان يدرى من الذبيح إسماعيل أم إسحاق لذلك قال: «أنا ابن الذبيحين» وأراد إسماعيل وإسحاق، ويرد ابن الخطيب بذكر آيات سورة الصافات والتى ذكرت قصة الذبيح فى سياق حديثها عن إسماعيل، ثم اتبعت ذلك بالحديث عن إسحاق وبشارة الله لإبراهيم به، وأما الحديث ـ لو سلمنا بصحته لصحة معناه ـ فلا خلاف فى أن مراد النبى ﷺ أنه ابن الذبيحين: عبد الله أبوه وإسماعيل، وقصة نجاة أبيه من الذبح مبسوطة فى كتب التواريخ.

تحريف النصوص:

ويلجأ النصارى أيضاً إلى تحريف ألفاظ النصوص الإسلامية، ومن ذلك قول القس شروش لمستمعيه الإنجليز: «أنتم معشر المسلمين تعتقدون أن المسيح لا يزال على قيد الحياة». يقول ديدات: نعم. فأكمل القس شروش «لكننا إذا قارنا هذا بما جاء فى القرآن فإننا سنجد تناقضاً، فإن القرآن يقول ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ قرأها فى العربية صحيحة، ثم ترجمها: «وسلام على يوم ولدت ويوم مت ويوم أبعث حيّاً» فحول الأفعال المضارعة والتى يراد منها المستقبل إلى أفعال ماضية مستغلاً جهل مستمعيه بلغة العرب، وظن أن حيلته وكذبه ينطلى على العلامة ديدات.

ومن التحريف الذى مارسه النصارى تحريف المعانى ومن ذلك الخلط الذى وقعوا به ونسبوه للقرآن الكريم، فقد زعموا أن قوله تعالى فى قصة موسى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ يتحدث عن الطوفان الذى وقع زمن نوح، فهو بذلك يخلط بين حدثين متباعدين فى الزمان.

والقرآن قد فصل فى الحديث عن طوفان نوح، وأشار إلى الهلاك الذى أحدثه، فيما ذكر طوفاناً صغيراً كان أحد ما عذب به الذين كفروا بموسى عليه السلام.

وكما ذكر القرآن طوفان نوح العظيم وطوفان موسى بمصر، كذا ذكرت التوراة الطوفانين، فطوفان نوح تحدث عنه سفر (التكوين ٧/١٠ - ٢٤) ثم تحدثت عن طوفان آخر أصاب مصر انتقاماً من فرعون الذى لم يؤمن بموسى، ولم يطلق بنى إسرائيل، فقد قال موسى لفرعون: «أنت معاند بعد لشعبى حتى لا تطلقه. ها أنا غداً مثل الآن أمطر برداً عظيماً لم يكن مثله فى مصر» فنزل المطر والبرد، فوعد فرعون موسى بإطلاق شعب بنى إسرائيل» لكن فرعون لما رأى أن المطر والبرد والرعود، وقد انقطعت عاد يخطئ وأغاظ قلبه هو وعبيده...» (الخروج ٩/ ١٧ - ٣٤).

ومن التحريف أيضاً ما قاله الحداد الخورى فى تعقيبه على قوله تعالى ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، فيقول الحداد: إن محمدا يصرح نهائيا بما لا يقبل الشك بأن إمام القرآن هو كتاب موسى»، والآية إنما تتحدث عن التوراة الصحيحة

التى أنزلها الله على موسى فكانت لقومه إماماً ورحمة كما وصفت فى آيات أخر بأنها هدى ونور، وليس فى النص تصريح - كما زعم الحداد - أن التوراة إمام للقرآن.

ويتحدث كتاب «الاستحالة» عن قضية صلب المسيح فيقول: «أما النص الوارد فى سورة النساء، والذى قد يبدو فيه معنى إنكار المسيح وموته حيث جاء ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فإن هذه الكلمات التى يراها البعض ضد الإيمان المسيحى بالصلب هى فى الواقع دليل على الصلب، ولكنها تكذيب لليهود فى قولهم ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ لأن اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه، لأنهم لم يكونوا أصحاب السلطة والحكم أيام ظهور السيد المسيح بالجسد، وإنما كانت السلطة بيد الرومان، لذلك فالرومان هم الذين نفذوا الحكم بصلب السيد المسيح، وقد خيل لليهود، وشبه لهم بأنهم قتلوا السيد المسيح وصلبوه، لأنهم كانوا أصحاب شكاية، فعندما أجيبت شكواهم تخيلوا بذلك».

وهذا الإغراب فى التفسير لم ينقل عن أحد من مفسرى القرآن ولو على وجه ضعيف، وهل يعقل ألا ينسب القتل لليهود إلا إذا قاموا بأنفسهم بمباشرة القتل، وأما ذهابهم فى جمع من الشيوخ ورؤساء الكهنة للقبض على المسيح، ثم محاكمته والحكم عليه بالموت ودفعه للحاكم الرومانى لينفذ الحكم، ثم إصرارهم على التنفيذ، ورفض إطلاقه بعد أن اقتنع الحاكم أنه بار وبرىء، وعرض عليهم إطلاقه، فصرخوا وهاجوا: اصلبه. فخاف بيلاطس من الفتنة، فامتثل لأمرهم بعد أن اتهموه بأنه لا يحب القيصر....

أفبعد ذلك كله يقال بأن اليهود ليسوا هم القتلة، بل الحاكم الرومانى، ثم ماذا عن قوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ثم على أى حال فإن الآيات لم تكن تناقش من القاتل اليهود أم الرومان، إنما كانت تؤكد نجاة المسيح مما ظنه اليهود من أنهم تمكنوا منه وقتلوه.

ومثله حرّف القس أنيس شروش المعنى فى قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ فقال شروش: «لقد كان الخرافيون القدامى فى عصر

محمد يعتقدون أن الشمس تغرب فى ينبوع» يقول القفال فى تفسير هذه الآية «قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها ومسها، لأنها تدور مع السماء حول الأرض، من غير أن تلتصق بالأرض، وهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض، بل هى أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة، كما أنا نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض».

ويقول سيد قطب فى بيان معنى هذه الآية: «مغرب الشمس هو المكان الذى تغرب خلف الجبل، تغرب فى الماء كما فى المحيطات... والظاهر من النص أن ذا القرنين غرَّب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسى،... فرأى الشمس تغرب فيه. والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار حيث تكثر الأعشاب، ويجتمع حولها طين لزج هو الحمأ، وتوجد البرك، وكأنها عيون الماء... عند هذه الحمأة وجد ذو القرنين قوماً...».

وهكذا يكشف علماؤنا هذا التحريف للنصرانى، فالقرآن لم يقل بأن الشمس غربت فى عين حمئة، بل ذكر ما رآه ذو القرنين ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾.

ومن التحريف أيضاً أن النصارى حين استشهادهم بالنصوص الإسلامية كانوا يختارون ما يعجبهم من النص ويدعون ما لا يوافق هواهم، ومن ذلك قول وهيب خليل فى كتابه «استحالة تحريف الكتاب المقدس» فى سياق حديثه عن أدلة ألوهية المسيح فى القرآن والسنة فيقول: «روى البخارى فى الجزء الثالث ص ١٠٧ قائلاً: «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً»، وفى هذا دليل قاطع على ألوهية السيد المسيح، لأن الدينونة لله وحده».

وقد غض النصرانى طرفه عن بقية الحديث وفيه: «فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» فالأمور فى تتمة الحديث تدل على بطلان النصرانية، وأن المسيح سيحطم رمزها (الصليب)، وأنه سيحكم

بشريعة محمد ﷺ، كما أن الحديث يذكر أحداث قبل القيامة، فالساعة لا تقوم حتى تحصل هذه الأمور، والدينونة الكبرى إنما تكون بعد قيام الساعة.

ونصوص القرآن صريحة فى أن الله هو الذى سيدين الخلائق كما قال تعالى ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾

مغالطات النصارى

ويقع النصارى عند إثارتهم للشبهات فى مغالطات فى الاستدلال، ومن ذلك قول حبيب سعيد فى كتابه «أديان العالم»: «إن الله فى القرآن تحدث عن نفسه بصيغة الجمع، والجمع يدل على التثليث» ويقول: «نسب القرآن الخلق للمسيح، فيكون مع الله الذى تحدث عن نفسه بصيغة الجمع: أى اثنان.. ومن يخلق حيا يكون إلهاً».

ومثله جاء فى كتاب «الاستحالة» بعد أن ذكر أن القرآن يجعل من معجزات المسيح أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً. وذكر بأن المسيح يحيى الموتى ثم قال وهيب خليل: «فإذا كان الإسلام يشهد بأن الذى يحيى العظام وهى رميم هو الذى أنشأها أول مرة فقط، فمن يكون السيد المسيح الذى يشهد له الإسلام بأنه يحيى الموتى؟ أليس هو الله الحى القيوم المحيى المميت الذى أنشأها أول مرة؟».

والمغالطة تكمن فى أن الآيات نصت فى أن ذلك يكون بإذن الله. أى أنه تعالى هو الفاعل الحقيقى للإحياء والخلق.

كما أن معجزات المسيح فى سياق النصوص التى وردت فيها بينت أن المسيح إنما هو رسول الله فحسب.

ومن المغالطة أيضاً ما قاله وهيب خليل فى سياق استدلاله على وجود التثليث فى الإسلام حيث قال: «عندما يقسم الشخص المسلم فبم يقسم؟ إنه يقول: والله العظيم ثلاثة. لماذا لم يقل: والله العظيم. ويكتفى؟... إذا كان المقصود هو التوكيد فإن الأفضل فى هذه الحال أن نردد وبدلاً من ثلاثة القول بأعداد أكثر كثيراً لضمان التوكيد. ولكن المعنى الصحيح فى القول: والله العظيم ثلاثة هو

«والله الأب» و «والله الابن» «والله الروح القدس».. ومعلوم أن الطلاق فى الإسلام يتم فى الثلاثة... لماذا يتم بالثلاثة؟.. إن ذلك يرجع إلى أن زواجنا يتم باسم الآب والابن وروح القدس، وأن ذلك نقل إلى الإسلام مع بعض التعديلات».

ومن المعلوم أن المسلم حين يكرر البسملة أو أيا من كلامه ثلاثاً لا يخطر بباله تثليث النصارى، وإنما هو أسلوب فى توكيد الكلام أو المعانى، والعرب تعتبر الرقم ثلاثة من الأرقام التى تفيد الكثرة كالسبعة والسبعين خلافاً للاثنين والأربعة والستة. كما أن «الثلاثة» هى أول الجمع المفيد للكثرة، لذا يكثر استخدامه فى كلام الناس.

ويرد المطعنى شبهة النصرانى، ويبين بأن المسلم إنما يقول: والله العظيم ثلاثاً، وليس ثلاثة. فتمييز العدد تقديره: «مرة». أى أقسم ثلاث مرات، ومن الممكن أن يقسم مرة أو عشرة، وذلك كله لا علاقة له بالتثليث.

ويسخر ابن الخطيب من هذا النوع من الاستدلال، ويرى أنه يمكن للنصارى أن يستدلوا أيضاً لصحة معتقد التثليث بكون المخلفين ثلاثة، وعدة المطلقة اليائس ثلاثة أشهر، ويفرض على المتمتع أن يصوم فى الحج ثلاثة أيام.. وهكذا فكل هذه تصلح دليلاً على التثليث؟!

ومن المغالطة أيضاً قول القس شروش إن فى القرآن أسماء غير عربية كإبراهيم وفرعون وآدم... وأن هذا يتناقض مع عربية القرآن، وأسماء الأعلام لا علاقة لهم بلغة المقال.

ومن المغالطة احتجاجه على تسمية المسيح بعيسى بينما تسميه الأناجيل بالاسم العبرى أو السريانى «يسوع» فيقول: «أدعو السيد ديدات لنرى إن كان يستطيع أن يشرح لكم من أين أتى بكلمة «عيسى» فى القرآن فى حين أن اسمه: «يسوع بالعربية». والمغالطة تكمن فى أنه يتجاهل حقيقة معهودة فى سائر اللغات، وهى أن الأسماء والألفاظ عندما تنتقل من لغاتها إلى لغات أخرى فليس بالضرورة أن تبقى الكلمة كما هى، بل يعاد صرفها بما يلائم اللسان الذى ترجمت إليه، وهو ما صنعه شروش نفسه بعد دقائق حين قال وهو ينقل نصا إنجيليا بأسلوب محاكٍ للقرآن «فقال له عيسى أنا هو الصراط...» فاستخدم الاسم العربى للمسيح، وفعل

ذلك ثانية حين عرب اسم «مارية»، فاستخدم الاسم العربى «مريم»، وذلك فى قوله عن النبى ﷺ: «كذلك زوجته الثامنة» مريم» كانت عضواً فى طائفة مسيحية فى مصر».

ومن المغالطة أيضاً قول صاحب كتاب «الحق»: إشعياء قال قبل الميلاد بنحو ٧٠٠ عام: «الجالس على كرة الأرض» (إشعيا ٤٠/ ٢٢) بينما العلماء لم يجمعوا على كرويتها إلا فى عام ١٥٤٣ م، وبينما يقول القرآن ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾ «فاستنتج النصرانى من هذه الآيات أن القرآن، يقول بعدم كروية الأرض.

ويبين ابن الخطيب معنى هذه الآيات، وأنها تتحدث عن بسط الأرض ومهادها كما يراها الإنسان ويمشى عليها، فالمقصود بالأرض اليابسة التى يمشى عليها الناس، بينما حين تحدث القرآن عن الأرض ككوكب ذكر ما هو أدق من قول التوراة والنصرانى فقال: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أى جعلها كالدحية، وهى البيضة، وهذا ما ينطبق تماماً على الأرض، وهو أدق علميّاً من القول بأنها كروية، فقد ثبت عند العلماء أنها منبعجة فى طرفيها (عند القطبين).

ويلجأ النصارى فى شبهاتهم إلى محاكمة القرآن إلى كتبهم التى لا سند لها، ولا اعتداد ولا ثقة بها، فيعرضها النصارى وكأنها سندات ووثائق تاريخية لا خلاف على صحتها.

ومن ذلك تكذيبهم القرآن فى قوله بأن اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر، لأنه قد جاء فى التوراة أنه: تارح (انظر التكوين ١١/ ٢٧) وكذا تكذيبهم أن تكون زوجة فرعون قد كفلت موسى، وقالوا بأن الذى كفله هى ابنة فرعون لما جاء فى التوراة (انظر الخروج ٢/ ٥ ـ ٧)، وكذبوا أن يكون لون بقرة بنى إسرائيل أصفر فاقعا، لأن التوراة تقول بأنها كانت حمراء اللون (انظر العدد ١٩/ ١ ـ ٤).

ويعرض النصارى أقوالا غريبة أو منكرة ويقدمونها على أنها أخبار إسلامية موثوق بها ومن ذلك قول القس أنيس شروش وهو يرد ويدفع عن مبالغة التوراة فى قولها شمشون قتل ألفاً من الفلسطينيين بفك حمار (انظر القضاة ١٥/ ١٥) فيوهم شروش مستمعيه أن مثل ذلك منقول فى تاريخ الإسلام وكتب المسلمين، فيقول:

«المسعودى يخبرنا فى كتابه مرادى (يقصد مروج الذهب) أن عليّاً قتل ٥٢٥ رجلاً فى يوم واحد بيديه المجردتين من غير سلاح ولا عصا ولا فك حمار، ولعلى أتساءل إن كانت هذه القصة أكثر قابلية للتصديق من قصة قتل شمشون لآلاف من الفلسطينيين بفك حمار كبير».

والمسلمون لا يعتبرون كتاب المسعودى من كتب الاحتجاج، ومثل هذه الأخبار نطعن بها وبقائليها فكيف يُحتج بها علينا؟

وما نسبه القس للمسعودى لم يخل من التحريف فقد قال المسعودى فى سياق ذكره لكثرة القتلى يوم صفين، فذكر أن عليا قتل «بكفه فى يومه وليلته خمسمائة وثلاثا وعشرين رجلاً» وليس مراده أن هؤلاء قد قتلهم بيديه المجردتين، بل أراد كثرة من قتل على يديه.



المطلب الثانى: شبهات النصارى المتعلقة ببعض شرائع الإسلام

أكمل الله دينه بإنزال أفضل شرائعه على محمد ﷺ، فكان دينه الدين الخاتم الذى ارتضاه الله للبشرية ديناً إلى قيام الساعة، وقد توجهت سهام النصارى إلى شرائع الإسلام كما توجهت إلى عقائد الإسلام سواءً بسواء، إن كلاهما من وحى الله ودينه. وقد تمحورت شبهاتهم فى هذا الباب حول شرائع الإسلام المختصة بالمرأة وحقوقها فى الإسلام، كما أطالوا اللغط فى نيلهم وتقبيحهم لشرعة الجهاد فى سبيل الله عند المسلمين، لذا رأيت أن أفردهما بالذكر دون سائر الشبهات المتعاقبة بشرائع الإسلام.

أولاً: شبهة انتشار الإسلام بالسيف

فى السنة الأولى خرج النبى ﷺ من مكة مهاجراً بدينه، وما انفك العقد الأول من السنين حتى كانت جيوشه تقرع أبواب الروم.

ثم أفل القرن الأول وقد أضحت الأمة المسلمة فى انتشارها على وجه الأرض كالنار سرى فى الهشيم، فقد تحولت الأمم إلى الإسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، وامتد الوجود الإسلامى فى فترة وجيزة فملأ ما بين الصين والأندلس.

وحار النصارى فى فهم هذه الظاهرة إذ لا تفهم إلا بالاعتراف بأن هذا الدين حق وافق فطرة الناس وعقولهم فأذعنوا له.

وهروباً من هذه الحقيقة التى نشرت الإسلام فى ربوع كانت تُحسب قلاعاً للنصرانية قال النصارى بأن الإسلام دين قام على السيف، وبه انتشر، وأرادوا من خلاله طمس تلك الحقيقة الناصعة.

توالَى التعلق بهذه الفرية طوال قرون عديدة، ورددها المجادلون النصارى كثيراً، وتمسك بها المتأخرون منهم، يقول السيد المنسينور كولى فى كتابه «البحث عن الدين الحقيقى»: «الإسلام الذى أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين اتبعوه، وتساهل فى أقدس قوانين

الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب».

ويقول القس أنيس شروش «لقد كان محمد يزعم تلقى الوحى بواسطة جبريل... لتبرير سلوكه السياسى والأخلاقى وإضافة إلى غير ذلك من شعاراته الدينية وعند انتهاء المعركة تقترف عمليات الإعدام التى تشمل النساء، وكل ذلك تحت شعار الأمر الإلهى».

ويقول جيومان لوستير: «إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه بأن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو» ويمضى فيقول: «ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى، إن هؤلاء قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: أسلموا أو تموتوا، بينما أتباع المسيح قد كسبوا النفوس ببرهم وإحسانهم».

ويستبشع «الآباء البيض» فى أسبانيا فكرة الجهاد من أجل الدين، ويقولون: «أين نجد الترابط المنطقى لله الذى خلق البشر وأحبهم جميعاً، بينما نجد ـ كما فى النصوص القرآنية ـ يحث على قتال الكفار».

مبررات الجهاد الإسلامى

وقد أجاب علماؤنا عن هذه الشبهات، وأبانوا فرية النصارى فيها، فالمسلمون لم يأمروا أحداً باعتناق الإسلام قسراً، كما لم يُلجئوا الناس للتظاهر به هروباً من الموت أو العذاب، إذ كيف يصنعون ذلك وهم يعلمون أن إسلام المكرَه لا قيمة له فى أحكام الآخرة، وهى التى يسعى لها كل مسلم ويحفد، ولم يكرهوا الناس على الإسلام ولم يجعل الله إليهم وإلى الأنبياء من هداية البشر سوى البلاغ، وكيف يكرهون الناس على الإسلام والقرآن يقول ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، ويقول ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ويقول تعالى ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

وعندما خرجت كتائب الجهاد الإسلامى ما كان خروجها لقهر الناس وإجبارهم

على اعتناق الإسلام إنما كان لتحرير الإنسان وتحييد القوى الظالمة التى قد تحول بينه وبين الإسلام.

وأوضح القرآن بجلاء مبررات الجهاد الإسلامى ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، ويقول تعالى ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

ويفسر سيد قطب معالم المنهج الذى أوضحه القرآن فيقول: «لم يكن بد للإسلام أن ينطلق فى الأرض لإزالة الواقع المخالف لذلك الإعلان العام، وبالبيان وبالحركة مجتمعَيْن، وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التى تعبد الناس لغير الله... والتى تحول بينهم وبين الاستماع إلى البيان واعتناق العقيدة بحرية لا يتعرض لها السلطان... إنه لم يكن من قصد الإسلام قط أن يكره الناس على اعتناق عقيدته، ولكن الإسلام ليس مجرد عقيدة.

فالإسلام قاتل الدول التى تحول بين الإسلام وبين شعوبها، ولم يكره تلك الشعوب على اعتناق الإسلام، بل أقام العهود والمواثيق التى تكفل حرية التدين، ومن ذلك العهدة العمرية التى كتبها عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، وفيها: «هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب - أمير المؤمنين - أهل إيليا من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها: ألا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقض منها، ولا من خيرها، ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم... ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم (هكذا) فإنهم على بيعهم وصلبهم وأنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان من أهل الأرض (الروم وغيرهم من الأجناس) فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على إيليا من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء يرجع إلى

أهله، وإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله، وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين».

فقد ضمن عمر فى عهدته سلامة أماكن العبادة كما ضمن حرية المعتقد، وبمثل هذا النحو كانت سائر فتوح المسلمين.

وأضحى أهل تلك البلاد أهل ذمة يوصى رسول الله بهم فيقول: «لعلكم تقاتلون قوماً فتظهرون عليهم فيتقوكم بأموالهم دون أنفسهم وذراريهم، فيصالحونكم على صلح، فلا تصيبوا منهم فوق ذلك، فإنه لا يصلح لكم».

ويقول أيضاً موصياً أصحابه: «انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضمنوا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

وقال ﷺ «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»، ويقول «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً».

ولما تدانى الأجل بعمر بن الخطاب قال: «أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيراً، وأن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتلوا من ورائهم، وألا يكلفوا فوق طاقتهم».

وقد وفَّى المسلمون بذمة نبيهم، فأعطوا أهل الذمة حقوقهم، وينقل ترتون فى كتابه «أهل الذمة فى الإسلام» شهادة بطريك «عيشو بابه» الذى تولى منصب البابوية حتى عام ٦٥٧ هـ: «إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون. إنهم ليسو بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قديسينا وقسسنا، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا».

وبمثل هذا العدل عاشت الأمم المختلفة فى ظل الإسلام ودولته، فبقى الهندوس أغلبية فى الهند التى حكمها المسلمون قرابة ألف عام، ولا يزال بين ظهرانى المسلمين ما يقرب من ١٤ مليون عربى مسيحى، فكل ذلك شهادة ببراءة المسلمين من إجبار الأمم على اعتناق الإسلام.

ويقول المؤرخ درايبر فى كتابه «النمو الثقافى فى أوربا»: «إن العرب لم يحملوا معهم إلى أسبانيا لا الأحقاد الطائفية، ولا الدينية ولا محاكم التفتيش، وإنما حملوا معهم أنفس شيئين فى العالم، هما أصل عظمة الأمم: السماحة والفلاحة».

ويقول غوستان لوبون فى كتابه حضارة العرب: «إن القوة لم تكن عاملاً فى نشر القرآن، وإن العرب تركوا المغلوبين أحراراً فى أديانهم... والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم».

ويقول السير توماس أرنولد: «لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح فى القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح»، ويقول مفسر القرآن جورج سيل: «ومن قال إن الإسلام شاع بقوة السيف فقط، فقوله تهمة صرفة، لأن بلاداً كثيرة ما ذكر فيها اسم السيف، وشاع الإسلام».

شرعة القتال فى الإسلام والنصرانية

والقتال شريعة جعلها الله لإبطال الباطل وإحقاق الحق وحماية الدين ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾.

ولا يستغرب صدور الأمر بقتال الكفار ممن أعد لهم فى الآخرة ناراً تلظى، وأمر بقتل كل من يذبح للأوثان (انظر الخروج ٢٢/ ٢٠)، وأمر بقتل ٢٣ ألف رجل عبدوا العجل (انظر الخروج ٣٢/)، وأمر بقتل من عمل بالسبت (انظر الخروج ٣٥/ ٢).

وقد أمر الله أنبياءه بحمل السلاح لمواجهة عدوهم، وتحكى التوراة عن مذابح يشيب لها الولدان ارتكبها بنو إسرائيل فى حربهم المقدسة ضد أقوام من الوثنيين، فمما تنسبه التوراة لله عز وجل أنه قال لموسى «إذا دنوت من القرية لتقاتلهم ادعهم أولا بالصلح... فأما القرى التى تعطى أنت إياها فلا تستحى منها نفساً البتة، ولكن

أهلكهم إهلاكاً كلهم بحد السيف الحيثى والأمورى والكنعانى والفرزى... كما أوصاك الرب إلهك» (التثنية ٢٠/ ١٠ ـ ١٧) فالنص يتحدث عن أحكام القتال التى شرعت لبنى إسرائيل، وفى نص آخر «إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التى تدخل لترثها وبيد الشعوب الكثيرة من قدامك الحيثى والجرجانى والأمورانى والكنعانى والفرازى والحواى واليبوسانى سبعة أمم أكثر منكم عدداً وأشد منكم، وأسلمهم الرب إلهك بيدك، فاضرب بهم حتى أنك لا تبقى منهم بقية، فلا تواثقهم ميثاقاً ولا ترحمهم، ولكن فافعلوا بهم هكذا: مذابحهم فاخربوها، واكسروا أصنامهم...» (التثنية ٧/ ١ ـ ٥) فعلم من النص أن بنى إسرائيل أمروا بقتل سبع أمم أكثر عدداً منهم.

يقول القسيس مريك فى كتابه «كشف الآثار»: «علم من الكتب القديمة أن البلاد اليهودية كان فيها... ثمانية كرورات (أى ثمانون مليوناً) من ذى حياة»، وقد أمر بنو إسرائيل بقتلهم، وعليه فلا يجوز للنصارى الاعتراض على جهاد المسلمين، فقد أذن للأنبياء قبله، ثم أذن له ﷺ.

وتتحدث التوراة أيضاً عن تنفيذ بنى إسرائيل للأمر كما فى سفر المجازر (يشوع) فقد قتلوا حتى النساء والأطفال والحيوان، وفى سفر القضاة أن شمشون أخذ فك حمار... وقتل به ألف رجل (القضاة ١٥/ ١٥)، وتذكر التوراة أن داود لما سار إلى رابة، وانتصر على أهلها صنع فظائع «والشعب الذين كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير وداسهم بنوارج حديد، وقطعهم بالسكاكين، وأمرَّهم فى أتون الآجر، كذلك صنع بجميع قرى بنى عمون» (صموئيل (٢) ١٢/ ٣١).

ومثل هذه الفظائع لم يقع فى جهاد المسلمين لأعدائهم فما كانوا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا الدهماء من الناس، ويجدر أن نذكر بوصية الصديق حيث قال لأسامة بن زيد وجنده: «لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعزقوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل. وإذا مررتم بقوم فرَّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...».

ولما جاء المسيح عليه السلام أكد على مشروعية القتال فقال: «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً، بل سيفاً» (لوقا ٢٢/ ٢٦)، وقال: «أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا، واذبحوهم قدامى» (لوقا ١٩/ ٢٧)، لكن ذلك لم يتم للمسيح.

وأما المقالة التى يتشدق بها دعاة السلام المسيحيون «لا تقاوموا الشر، بل من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك بأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً...» (متى ٥/ ٣٩ ـ ٤٢) فهذا محض سراب لم يحققه النصارى بكنائسهم المختلفة يوماً واحداً حتى الآن.

الاضطهاد الدينى وانتشار النصرانية

وينطبق على النصارى المثل «رمتنى بدائها وانسلت»، إذ أن سبب انتشار النصرانية هو السيف الذى سلطته على الشعوب المختلفة، وقد بدأ سيف القهر عندما تنصر قسطنطين الوثنى فى بدايات القرن الميلادى الرابع وقال له بطريرك القسطنطينية: «أعطنى الدنيا وقد تطهرت من الملحدين أمنحك نعيم الجنة المقيم».

ويذكر القس مريك فى كتابه «كشف الآثار» أن قسطنطين أمر بقطع آذان اليهود، وأمر بإجلائهم إلى أقاليم مختلفة.

وفى نهاية القرن الرابع وضع الإمبراطور تيودسيوس ستا وثلاثين مادة لمقاومة اليهودية والهرطقة، وحظر عبادات الوثنيين، وأمر بتحطيم صورهم ومعابدهم. وفى عام ٣٧٩ م أمر الامبراطور فالنتيان الثانى بتنصر كل رعايا الدولة الرومية، وقتل كل من لم يتنصر، واعترف طامس نيوتن بقتل أكثر من سبعين ألفًا.

ويقول غوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب»: «أكرهت مصر على انتحال النصرانية، ولكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذى لم ينتشلها منه سوى الفتح العربى».

وفى القرن الخامس كان القديس أوغسطين يقول بأن عقاب الملحدين من علامات الرفق بهم حتى يخلصوا، وبرر قسوته على الذين رفضوا النصرانية بما ذكرته التوراة عن فعل يشوع وحزقيال بأعداء بنى إسرائيل الوثنيين، واستمر القتل والقهر لمن رفض النصرانية فى ممالك أوربا المختلفة، ومنها مملكة أسبانيا حيث خيروا الناس بين التنصر أو السجن أو الجلاء من أسبانيا، وذكر القس مريك أنه قد خرج من أسبانيا ما لا يقل عن مائة وسبعين ألفاً.

وفى القرن الثامن اعتيد فرض المسيحية فى شروط السلام والأمان التى تعطى للقبائل المهزومة.

وقريباً من ذلك العنف كان فى فرنسا، فقد فرض الملك شارلمان النصرانية بحد السيف على السكسون، وأباد الملك كنوت غير المسيحيين فى الدانمارك، ومثله

فعل الملك أولاف (٩٩٥ م) فى النرويج وجماعة من إخوان السيف فى بروسيا.

ولم ينقطع هذا الحال فقد أمر ملك روسيا فلاديمير (٩٨٨ م) بفرض النصرانية على أتباع مملكته.

يقول المؤرخ بريفولت: إن عدد من قتلتهم المسيحية فى انتشارها فى أوربا يتراوح بين ٧ - ١٥ مليوناً. ويلفت د/ أحمد شلبى النظر إلى أن العدد هائل بالنسبة لعدد سكان أوربا حينذاك.

ولما تعددت الفرق النصرانية استباحت كل من هذه الفرق الأخرى وساموا أتباعها أشد العذاب، فعندما رفض أقباط مصر قرار مجمع خليقدونية عذبهم الرومان فى الكنائس، واستمرت المعاناة سنين طويلة، وأحرق أخ الأسقف الأكبر بنيامين حيا ثم رموه فى البحر. فيما بقى الأسقف متوارياً لمدة سبع سنين، ولم يظهر إلا بعد استيلاء المسلمين على مصر، ورحيل الرومان عنها.

وكتب ميخائيل بطريرك أنطاكية: «إن رب الانتقام استقدم من المناطق الجنوبية أبناء إسماعيل، لينقذنا بواسطتهم من أيدى الرومانيين، وإذ تكبدنا بعض الخسائر لأن الكنائس التى انتزعت منا وأعطيت لأنصار مجمع خليقدونية بقيت لهم، إلا أننا قد أصابنا القليل بتحررنا من قسوة الرومان وشرورهم، ومن غضبهم وحفيظتهم علينا. هذا من جهة، ومن جهة أخرى سادت الطمأنينة بيننا»، وكان جستيان الأول (ت ٥٦٥) قد قتل من القبط فى الإسكندرية وحدها مائتى ألف قبطى.

كما تعرض الموحدون النصارى للنفى والقتل فى العصور المختلفة من تاريخ النصرانية فاضطهد آريوس وأتباعه وحرق سرفيتوس و... واستمر القتل والتنكيل حتى كاد أن يندثر الموحدون من النصرانية.

وكان للمسلمين نصيب كبير من الاضطهاد الدينى خاصة فى الأندلس التى عانى مسلموها من محاكم التفتيش حتى فر من استطاع الفرار إلى المغرب.

ويكفى أن ننقل ما سطره غوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب» حيث يقول عن محاكم التفتيش: «يستحيل علينا أن نقرأ دون أن ترتعد فرائصنا من قصص

التعذيب والاضطهاد التى قام بها المسيحيون المنتصرون على المسلمين المنهزمين، فلقد عمدوهم عنوة، وسلموهم لدواوين التفتيش التى أحرقت منهم من استطاعت من الجموع، واقترح القس بليدا قطع رؤوس كل العرب دون أى استثناء ممن لم يعتنقوا المسيحية بعد، بما فى ذلك النساء والأطفال، وهكذا تم قتل أو طرد ثلاثة ملايين عربى «وكان الراهب بيلدا قد قتل فى قافلة واحدة للمهاجرين قرابة مائة ألف فى كمائن نصبها مع أتباعه، وكان بليدا قد طالب بقتل جميع العرب فى أسبانيا بما فيهم المتنصرين، وحجته أن من المستحيل التفريق بين الصادقين والكاذبين فرأى أن يقتلوا جميعاً بحد السيف، ثم يحكم الرب بينهم فى الحياة الأخرى، فيدخل النار من لم يكن صادقاً منهم.

وقد تعرض المسلمون ـ سوى مذابح الأندلس ـ إلى مذابح عدة ليس هذا مجال ذكرها، منها مذبحة معرة النعمان ثم مذبحة الأقصى وغير ذلك، ونكتفى هنا بنقل ما ذكره المؤرخ جيبون عن مذبحة القدس التى رافقت دخول الصليبيين: «إن الصليبيين خدام الرب يوم استولوا على بيت المقدس فى ١٥/ ٧ / ١٠٩٩ م أرادوا أن يكرموا الرب بذبح سبعين ألف مسلم، ولم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال ولا النساء... حطموا رؤوس الصبيان على الجدران، وألقوا بالأطفال الرضع من سطوح المنازل، وشووا الرجال والنساء بالنار...».

وقريباً من هذه المذابح جرى بين المذاهب النصرانية، فقد أقام الكاثوليك مذابح كبيرة للبروتستانت منها مذبحة باريس (١٥٧٢ م) وقتل فيها وأثرها ألوف عدة وسط احتفاء البابا ومباركته، ومثله صنع البروتستانت بالكاثوليك فى عهد الملكة أليصابات حيث أصدرت بحقهم قوانين جائرة، وأعدمت ١٠٤ من قسس الكاثوليك، ومات تسعون آخرون بالسجن، وهدمت كنائس الكاثوليك وأخذت أموالهم.

وكانت الملكة تقول: «بأن أروح الكفرة سوف تحرق فى جهنم أبداً، فليس هناك أكثر شرعية من تقليد الانتقام الإلهى بإحراقهم على الأرض».

وعليه نستطيع القول بأن النصرانية يرتبط تاريخها بالسيف والقهر الذى طال حتى أتباع النصرانية غير أن الاضطهاد النصرانى يتميز بقسوة ووحشية طالت النساء والأطفال ودور العبادة.

وقد جرت هذه الفظائع على يد الأباطرة بمباركة الكنسية ورجالاتها وكانت الكنيسة قد سنت القوانين التى تدفع لمثل هذه المظالم وتأمر بقتل المخالفين، ومن ذلك أن البابا اينوشنسيوس الثالث (ت ١٢١٦ م) يقول: «إن هذه القصاصات على الأراتقة (الهراقطة) نحن نأمر به كل الملوك والحكام، ونلزمهم إياه تحت القصاصات الكنائسية» وفى مجمع توليدو فى أسبانيا قرر أن لا يؤذن لأحد بتولى الملة إلا إذا حلف بأن «لا يترك غير كاثوليكى بها، وإن خالف فليكن محروماً قدام الإله السرمدى، وليصر كالحطب للنار الأبدية».

وقد أكد هذا قرار المجمع اللاترانى حيث طلب من جميع الملوك والولاة وأرباب السلطة «فليحلفوا أنهم بكل جهدهم وقلوبهم يستأصلون جميع رعاياهم المحكوم عليهم من رؤساء الكنيسة بأنهم أراتقة، ولا يتركون أحداً منهم فى نواحيهم، وإن كانوا لا يحفظون هذه اليمين فشعبهم محلول من الطاعة لهم».

وهكذا رأى علماؤنا مظلمة النصارى لهذا الدين بهذه الشبهة التى هم أولى بها فما كان جهاد المسلمين قتلاً للنساء والأطفال كما لم يكن لإجبار الناس على اعتناق الإسلام، بل كان رحمة للأمم من جلاديها، وإزالة لطواغيت الأرض الذين يريدون أن يطفئوا نور الله، وأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره ذلك المشركون.

ثانياً: شبهات النصارى حول وضع المرأة فى شرائع المجتمع المسلم

ويلمز النصارى وضع المرأة فى المجتمع المسلم، ويرون فى بعض شرائعه انتقاصاً لها، ومن ذلك تعدد الزوجات حيث يقول القس شروش: «يسوع أعلن أن الذى خلقهم من البدء خلقهم رجلاً وامرأة، ولو أراد الله للرجل أن تكون له أربع زوجات لخلق من البدء أكثر من حواء.

ويقول القس سويجارت مفاخراً بتشريع الكنيسة فى قصر الزواج على واحدة: «المسيحية تسمح لنا بواحدة فقط، ولذلك ارتضى أفضلهن من أول قذيفة».

وتقول منظمة الآباء البيض فى رسالتها لرابطة العالم الإسلامى وهى تعتب

القول بتفوق الرجال على النساء فتقول: «لماذا يقبل تفوق جنس على آخر؟ وهو ما نراه من خلال النقاط التالية:

١ - قبول تعدد الزوجات مع تحريم تعدد الأزواج.

٢ - إمكانية هجر الرجل لزوجته دون أن يقدم تبريراً لعمله (يقصد الطلاق).

٣ - للأب حق الوصاية أو الولاية على الأبناء دائماً وإن كان الأطفال فى حضانة الأم...

٤ - بالنسبة للمواريث نجد أن نصيب المرأة وفى أغلب الأحيان هو أقل من نصف حصة الرجل.

ويمضى القس أنيس شروش فى عرضه لما يراه مثالب ارتكبها الإسلام بحق المرأة فيقول: «بإمكان الرجل المسلم أن يطلق زوجته دون أن يعطى لذلك سبباً واحداً ومن غير إشعار، فالزوج له السلطة المطلقة الفورية فى الطلاق غير القابلة للنقاش، ويمكنه أن يعلن أمام زوجته أنه يطلقها ثلاث مرات، فترحل، ليس هناك امتيازات ولا ترابط شعورى»، ثم يعرض فيذكر آية القوامة وما تضمنته من جواز ضرب الناشز، ثم آية توريث الذكر مثل حظ الأنثيين، ثم يقول: «على العكس من ذلك فإن الرب يوصى المسيحيين بحب الزوج للزوجة مثلما أحب المسيح الكنيسة».

وفى الإجابة عن هذه الشبهات أوضح المسلمون موقف الإسلام المكرم للمرأة، وبينوا ما تعرضت له من انتقاص على يد الجاهليات المختلفة ومنها النصرانية المحرفة، فالوثنيات القديمة العربية واليونانية وسواها ظلمت المرأة ظلماً كبيراً، فقد جعلت منها سلعة تباع كسائر المتاع، وتورث أيضاً إذا مات زوجها كسائر متاع بيتها، وحرمتها الجاهلية الوثنية من حق الحياة بوأدها طفلة أو تقديمها قرباناً للآلهة، إلى غير ذلك من الصور المستبشعة.

المرأة فى النصرانية

أما فى النصرانية والمجتمع النصرانى فكانت الإساءة للمرأة أكبر حيث أكدت النصوص التوراتية على بعض التشريعات التى تحط من قدر المرأة ومن ذلك أن النصوص تقر بيعها، فقد جاء فى سفر الخروج «وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد» (الخروج ٢١/ ٧)، وفى أيام القضاة اشترى بوعز جميع أملاك أبيمالك ومالكيون ومحلون، ومن ضمن ما اشتراه راعوث المؤابية امرأة محلون (انظر راعوث / ٩ ـ ١٠)، وتقول التوراة أيضاً «فوجدت أمر من الموت: المرأة التى هى شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود، الصالح قدام الله ينجو منها. أما الخاطئ فيؤخذ بها... رجلاً واحداً بين ألف وجدت، أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد» (الجامعة ٧/ ٢٦ ـ ٢٨).

ويقرن سفر اللاويين المطلقة والأرملة بالزانية، فيعتبرهن دنايا يحرم على الكاهن الزواج منهن (انظر اللاويين ١٠/ ٢١ ـ ١٥) كما يفرض السفر أحكاماً غاية فى القسوة على المرأة حال حيضتها حتى أن مجرد مسها ينجس الماس إلى المساء كما ينجس كل من مس فراشها أو شيئاً من متاعها (انظر اللاويين ١٥/ ١٩ ـ ٣٢).

وفى النصرانية يحمل بولس المرأة خطيئة آدم، ثم يحتقر المرأة تبعاً لذلك فيقول: «لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع، ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم، ولا تتسلط على الرجل، بل تكون فى سكوت، لأن المرأة أغويت، فحصلت فى التعدى» (تيموثاوس (١) ٢/ ١١ ـ ١٤)، ويقول مؤكداً ما يكنه من ازدراء للمرأة «الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل» (كورنثوس (١) ١١/ ٨ ـ ٩).

ومنذ ألبس بولس المرأة خطيئة الأبوين، والفكر النصرانى يضطهد المرأة ويعتبرها باباً للشيطان، ويراها مسئولة عن انحلال الأخلاق وتردى المجتمعات البشرية، ومن ذلك يقول القديس ترتليان (ق ٣): «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله، مشوهة لصورة الله (الرجل)»، ويقول أيضاً بعد حديثه عن دور حواء فى الخطيئة الأولى: «ألستن تعلمن أن كل واحدة منكن هى

حواء؟!... أنتن المدخل الذى يلجه الشيطان.. لقد دمرتن بمثل هذه السهولة الرجل صورة الله.

ويقول القديس سوستام عن المرأة: «إنها شر لابد منه، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة، ومصيبة مطلية مموهة»، ويقول جيروم (ق ٥) فى نصيحته لامرأة طلبت منه النصح: «المرأة إذن هى ألد أعداء الرجل، فهى المومس التى تغوى الرجل إلى هلاكه الأبدى، لأنها حواء، لأنها مثيرة جنسيا».

ويتساءل القديس أوغسطين (ق ٥) لماذا خلق الله النساء؟. ثم يقول «إذا كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة، فلقد كان من الأفضل كثيراً أن يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان كصديقين بدلاً من رجل وامرأة»، ثم تبين له أن العلة من خلقها هى فقط إنجاب الأولاد، ومنه استوحى لوثر فقال: «إذا تعبت النساء أو حتى ماتت فكل ذلك لا يهم، دعهن يمتن فى عملية الولادة، فلقد خلقن من أجل ذلك».

وعقدت الكنيسة مؤتمرات غريبة لبحث أمر هذا الكائن (المرأة)، ففى القرن الخامس عقد مؤتمر ماكون للنظر هل للمرأة روح أم لا؟ وقرر المؤتمر خلو المرأة عن الروح الناجية. وقال القديس جيروم: «المرأة عندما تكون صالحة تكون رجلاً». أى شذت عن مثيلاتها الإناث فكانت مثل الرجال.

وفى عام ٥٨٦ م عقد مؤتمر لبحث إنسانية المرأة، ثم قرر المؤتمر بأغلبية صوت واحد بأن المرأة إنسان خلق لخدمة الرجل. وبعد ظهور البروتستانت فى القرن السادس عشر عقد اللوثريون مؤتمراً فى وتنبرج لبحث إنسانية المرأة.

وقد انعكست هذه الصورة القاتمة للمرأة على القوانين المدنية والتى كانت تفرض غير بعيد عن رأى القس والأساقفة، فقد بقيت المرأة فى القانون الإنجليزى تباع من زوجها لآخر بست بنسات، واستمر هذا القانون سارياً حتى عام ١٨٠٥ م، فيما اعتبر قانون الثورة الفرنسية المرأة قاصراً كالصبى والمجنون، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨م.

وكان قمة الاضطهاد الذى تعرضت له المرأة فى ظل سيطرة الكنيسة فى القرن

السادس عشر والسابع عشر حيث انعكست الصورة السوداوية التى تنظر بها الكنيسة إلى المرأة بظهور فكرة اجتاحت أوربا وهى وجود نساء متشيطنات أى تلبسهن روح شيطانية، فهن يعادين الله، ويعادين المجتمع، تقول كارن ارمسترنج فى كتابها «إنجيل المرأة»: «لقد كان تعقب المتشيطنات بدعة مسيحية، وكان ينظر إليها على أنها واحدة من أخطر أنواع الهرطقات... ومن الصعب الآن معرفة عدد النساء اللائى قتلن خلال الجنون الذى استمر مائتى عام، وإن كان بعض العلماء يؤكد أنه مات فى موجات تعقب المتشيطنات بقدر ما مات فى جميع الحروب الأوربية حتى عام ١٩١٤ م... يبدو أن الأعداد كانت كبيرة بدرجة مفزعة».

إذن كان هذا هو موقف النصرانية من المرأة، وهو صورة قاتمة مغايرة كل المغايرة لصورة المرأة فى المجتمع المسلم.

المرأة فى المجتمع المسلم

فالإسلام يقرر إنسانية المرأة إذ هى أصل الإنسان ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ ويقرر النبى ﷺ ذلك بقوله: «إنماالنساء شقائق الرجال» ويقرر القرآن أهلية المرأة للإيمان والتكليف والعبادة، ومن ثم المحاسبة والجزاء ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ويقول تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾.

ويجعل القرآن الكريم آدم وزوجته شريكين فى الخطيئة الأولى والتوبة منها، شريكين فى جزائها ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ورغم ذلك فإن أحداً سواهما لن يحاسب على فعلهما ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقد نعى الله على الجاهلية كرهها لميلاد البنت ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وقد أوصى الإسلام بالمرأة مولوداً فحذر من وأدها ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، وأمر بالإحسان إليها بنتاً، فقال النبى ﷺ: «من بلى من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» وذكر ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم «الرجل تكون له الأَمَةُ فيعلمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها، فله أجران».

كما أمر الله ورسوله بالإحسان إلى الأم فى نصوص كثيرة خصت فى بعضها بمزيد تأكيد عن الأب.

وأما كون المرأة زوجاً فذاك عقد منح القرآن المرأة فيه أهلية التعاقد، فجعلها صاحبة الحق فى أمر نكاحها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويقول ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وقد جعل الله عز وجل مهرها حقا لها تتصرف فيه وفق مشيئتها لكمال أهليتها فى التصرف ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، وفى دفع المهر إليها من الكرامة ما لا يخفى، وجعل الله لها من الحقوق على زوجها ما يناسب دورها ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، وهذه الدرجة ليست لقعود جنس النساء عن جنس الرجال، بل هى لما أودعه الله فى الرجل من استعدادات فطرية تلائم مهمته ودوره فى المجتمع كما قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

ويحث القرآن على الإحسان إلى الزوجة وحسن العشرة لها حتى عند كراهيتها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وهكذا يظهر الفرق جليا بين مكانة المرأة فى الإسلام ومكانتها فى النصرانية.

قوامة الرجل على المرأة

ويشغب النصارى بإثارة بعض المسائل يريدون منها لمز مكانة المرأة فى الإسلام والمجتمع الإسلامى، ومن هذه المسائل قوامة الرجل على المرأة فى عصر يتنادى المتنادون فيه إلى مساواتها بالرجال.

وقد تجاهل هؤلاء وجود فرق فى الاستعدادات الفطرية بين الرجال والنساء، فكل أعطى من الخصائص ما يتناسب ودوره فى الحياة.

فقد جعل الله من المرأة مربية فى بيتها لأبنائها تعمل فى صناعة الإنسان، فيما أوكل إلى الرجل أمر ولايتها والإنفاق عليها، سواء أكانت فقيرة أم غنية، وولايته عليها ولاية رعاية لا ولاية استبداد أو تملك.

وقد أشار بولس إلى هذا التفوق الفطرى المستلزم للقوامة فقال: «يا أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة فى كل شىء» (أفسس ٥/ ٢٢ ـ ٢٤)، ولم يبين بولس سبب هذا الامتياز للرجال. ويقول: «أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل» (كورنثوس (١) ١١/ ٣).

ولا يستطيع أحد أن ينكر تمايز كلٍّ من الجنسين عن الآخر بخصائص خلقه الله عليها، وحتى أدعياء المساواة لا يدعون أن قدرات الرجال والنساء واحدة، وإلا فما تزال دول المساواة تحكم بالرجال دون النساء فى سائر مستوياتها السياسية والاجتماعية من رؤساء ووزراء وبرلمانيين و... إلا ما شذ

ما جاء فى ضرب النساء

وأما ما جاء فى إباحة ضرب النساء فى قوله ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾.

فإن ذلك خاص بالمرأة الناشز التى تستخف بحقوق زوجها والعاصية له، فإنها إن لم تستجب للنصح أولاً ولا للهجر ثانياً، فالضرب غير المبرح هو آخر أسلوب فى معالجة نشوزها، وهو بكل حال أهون من الوصول إلى حال الطلاق الذى يحرمه النصارى.

هذا ولم يضرب رسول الله ﷺ أحداً من نسائه قط، بل إنه لما بلغه أن قوماً يضربون نساءهم غضب وقال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها آخر اليوم»، ولما أتته امرأة تستشيره فى أمر زواجها أبان لها علة فى أحد خاطبيها فقال: «وأما أبو الجهم فإنه ضراب للنساء»، وقد أخرج الترمذى وصححه، والنسائى، وابن ماجه، عن عمرو بن الأحوص: أنه شهد خطبة الوداع مع رسول الله ﷺ، وفيها أنه قال النبى ﷺ «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوار عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن، فاهجروهن فى المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾. وقوله ﷺ: «ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن» وهكذا فإن الضرب المأذون به فى شريعتنا ليس لحرائر النساء الكريمات، وإنما هو دواء يلجأ إليه عندما يستفحل الداء. فهو ضرب المربى المؤدب لا ضرب المعتدى الآثم...

حل الطلاق وكونه من حقوق الرجل

ومما يشغب به النصارى على مكانة المرأة فى الإسلام إباحته للطلاق، وجعله فى يد الرجال دون النساء.

وفى الإجابة عن هذه الشبهة أكد علماؤنا أن حل الطلاق شرعية توراتية، فقد أبيح الطلاق إلا فى حالة واحدة، وهى زواج رجل من فتاة قد زنى بها، فيعطى لأبيها خمسين من الفضة، وتكون له زوجة «لا يقدر أن يطلقها كل أيامه» (التثنية ٢٢/ ٢٨).

وأما فى العهد الجديد فيفترض أن يبقى التشريع قائماً حتى لا ينقض الناموس، لكن متى يقول: «وجاء إليه (أى المسيح) الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى... فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا: فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق؟ قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا، وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا، وتزوج بأخرى يزنى... ليس الجميع يقبلون هذا

الكلام»، ثم حدثهم عن الخصيان الذين خصوا أنفسهم ابتغاء الملكوت فقال: «من استطاع أن يقبل فليقبل» (متى ١٩/ ٣ ـ ١٢)، وقد فهمت الكنيسة من هذا النص تحريم الطلاق.

ويرى أحمد عبد الوهاب أن النص الإنجيلى ما هو إلا إضافة أخلاقية، ولم يجره المسيح مجرى الإلزام والتشريع بدليل قوله: «من استطاع أن يقبل فليقبل»، وكان قبل قد ذكر أن ليس كل أحد يطيق كلامه هذا.

ويرى أحمد عبد الوهاب أيضاً أن الاستثناء فى قوله «إلا بسبب الزنا» قول دخيل على الإنجيل، وأنه بشهادة العلماء من وضع الكنيسة، بدليل أن حد المرأة المتزوجة ـ فى التوراة ـ إذا زنت: القتل (انظر التثنية ٢٢/ ٢٢).

ولم يكن لهذا النص الإنجيلى أن يغير سنة جارية فى الحياة، يلجأ إليها الزوجان عندما تستحيل بينهما الحياة، لذلك سنت دول النصرانية فى العصور الحديثة قوانين تسمح بالطلاق لأسباب مختلفة، كالرضا من الزوجين أو سوء المعاملة أو الغياب الطويل... وكل ذلك إقرار بضرورة وجود هذا التشريع.

كما بين علماؤنا النظم التى وضعها الإسلام لتشريع الطلاق والتى يجهلها الذين ينكرون على الإسلام إباحته، فقد رغب الإسلام فى إمساك الرجل زوجته على كراهته لها، ثم أذن له بطلاقها مرتين من غير أن يخرجها من بيتها قبل انتهاء عدتها، وأن يكون طلاقه لها فى طهر لم يجامعها فيه، قال تعالى ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وللزوج رد زوجته حال عدتها، فإن انقضت فلابد من عقد ومهر جديدين، فإن طلقها الثالثة لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

ويفرض القرآن للمطلقة حقا على زوجها، وهو المتعة ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، ويقول تعالى عن مقدار المتعة ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقد وضع الإسلام ـ كما الشرائع السابقة ـ الطلاق بيد الرجل لحكمة لا تخفى إذ رأينا من عاطفية المرأة ما يؤدى إلى تسرعها فى الأمور، بينما الرجل بعقليته الغالبة أقدر على تحمل مثل هذا القرار.

كما أن المرأة يجوز لها أن تطلب من القاضى أن يطلقها من زوجها بعد أن تبدى لذلك الأسباب الموجبة، ويجيز فقهاء الإسلام لها أن تشترط فى عقدها حقها فى طلاق نفسها إن شاءت. وفى كل ذلك ما يبرئ ساحة شريعة الإسلام من الغبن الذى ألحقه النصارى بها، ويؤكد واقعية هذه الشريعة ومثاليتها فى آن واحد.

حقوق المرأة والميراث

ويرى النصارى أن الإسلام يغبن المرأة حين يجعل لها من الميراث نصف ما للرجل، كما يجعل شهادتها نصف شهادة الرجل.

وبداية فلئن كان القرآن يجعل للمرأة من الميراث نصف ما للرجل فإن التوراة تحرم المرأة من الميراث كلية حال وجود أشقاء لها «فكلم الرب موسى قائلاً... أيما رجل مات وليس له ابن تنقلون ملكه إلى ابنته» (العدد ٢٧/ ٦ ـ ٨)، ويفهم من السياق أن وجود الابن يمنع توريث الابنة.

أما فى شريعة الإسلام فإن الذكر والأنثى قد يتساويان فى الميراث كما فى مسألة الكلالة ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ وقضى عمر بالتساوى بين الإخوة لأم، قال الزهرى: «ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله ﷺ».

ومرة أخرى ساوت الشريعة بين الوالدين فى إرثهما من ولدهما ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

وقضى الشارع الحكيم بتوريث الذكر ضعف الأنثى كما فى التوارث بين الزوجين وتوارث أولاد المتوفى، لكن ذلك يتناسب مع المسئولية المالية الملقاة على عاتق الزوج أو الأخ، إذ كل منهما ملزم بالإنفاق على زوجته أو أخته، وهذا غرم يستحق غنماً.

كما أن شرائع الإسلام تلزم الرجل نفقات لا تلزم المرأة كالمهر والإنفاق والدية التى يتحملها العصبة من الرجال دون النساء.

وهكذا حين جعل الله للذكر مثل حظ انثيين من الميراث لم يقض بهوان النساء، إنما قسم المال تقسيماً ماديا بحتاً يتناسب والمسئوليات المنوطة بكل منهما.

شهادة المرأة

وأما جعل شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد فذلك ليس مطرداً فى سائر الشهادات، فشهاداتها الأربع فى اللعان تعدل شهادات زوجها.

وقد يجعل الشارع شهادة المرأة معتبرة فى بعض المسائل ولا يقبل فيها شهادة الرجال كالأمور النسائية التى لا يطلع عليها الرجال عادة كحيضة المطلقة وطهرها فى قوله ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

فيما جعل القرآن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فى المسائل التى لا تضبطها النساء عادة كما فى بعض المعاملات المالية والتجارية كحفظ الدَّين الذى نصت عليه آية الدَّيْن.

وعليه فإن جعل شهادتها بنصف شهادة الرجل ليس إجحافاً بحقها أو استهانة بمقامها وإنسانيتها، وإنما هو مراعاة لقدراتها ومواهبها. وإلا فإن أهليتها كأهلية الرجل تماماً فى كثير من المعاملات كالبيع والشفعة والإجارة والوكالة والشركة والوقف والعتق.... إلخ

تعدد الزوجات

وقد تعلق النصارى طويلاً فى شبهة تعدد الزوجات فى الإسلام، وتساءلت منظمة الآباء البيض التبشيرية لم لا يسمح الإسلام للمرأة بتعدد الأزواج.

وفى بيان ودفع هذه الشبهة نقل علماؤنا نصوصاً مطولة من التوراة تتحدث عن تعداد الأنبياء وغيرهم للزوجات، كما أنه أمر معتاد عند سائر المجتمعات البشرية، ولا يوجد فى العهد الجديد ما يمنع تعدد الزوجات، فتحريم التعدد نقض للناموس، والمسيح يقول: «ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإن الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (متى ٥/ ١٧ ـ ١٨).

وثمة إشارات من المسيح يستنبط من دراستها جواز التعدد، ففى المثال الذى ضربه المسيح للملكوت شبه الملكوت بعشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس، وقد أخذت خمس منهن معها زيتاً للمصباح، فلما مر العريس «المستعدات (الخمس) دخلن معه إلى العريس، وأغلقن الباب» (متى ٢٥/ ١٠).

وفى كلام بولس ما يفهم منه جواز التعدد لغير الكاهن حيث يقول: «فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة... ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة» (تيموثاوس (١) ٣/ ١٢، ٢).

ويرى أحمد بن عبد الوهاب أن ليس من حجة صحيحة فى قول المسيح عن الزوجين: «يترك أباه وأمه، ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليست بعد اثنين، بل جسد واحد» (متى ١٩/ ٥ ـ ٦) فليس فى النص ما يمنع تعدد الزوجات، فهذه الوحدة المجازية يجوز أن يشترك بها أكثر من اثنين كما جاء فى يوحنا فى قول المسيح عن تلاميذه «ليكونوا هم أيضاً فينا» (يوحنا ١٧/ ٢١).

وقد بقيت قضية تعدد الزوجات صيحة تنادى بها فرق مسيحية شتى مثل «الأنابيشيت» فى ألمانيا فى أواسط القرن السادس عشر للميلاد، وكان القس فونستير (١٥٣١) يقول: من يريد أن يكون مسيحيا حقيقيا فعليه أن يتزوج عدة زوجات. وبمثله نادت فرقة «اللامعمدانيين» فى نفس القرن، ونادى به الألمان بقوة بعد الحرب العالمية الثانية، ويجدر بالذكر هنا أن إرساليات التبشير فى أفريقيا لا تمانع من بقاء الأفريقى المتنصر متزوجاً بأكثر من زوجة.

وقد أباح الإسلام تعدد الزوجات الذى أباحته النبوات السابقة، وشرط الشارع على الزوج العدل بين زوجاته فيما يقدر عليه، وعفى عما لا يتعلق بقدرته كالمحبة، كما حدد التعدد بأربع حسماً للفوضى والعبث.

وقد كانت إباحة الشارع لتعدد الزوجات شيئاً من حكمة الله الحكيم، إذ واقع الأرض لا يصلح إلا بمثل هذا التشريع، فعدد نساء البشر اليوم يربو على رجالها بأربعمائة مليون امرأة، مما يجعل تعدد الزوجات ضرورة ملحة لكل مجتمع يخشى الفساد والانحلال.

وقد تنبأ إشعيا بزيادة عدد النساء على الرجال فقال وهو يتحدث عن آثار الحروب: «فتمسك سبع نساء برجل واحد فى ذلك اليوم قائلات: نأكل خبزنا، ونلبس ثيابنا، ليدع فقط اسمك علينا. انزع عارنا» (إشعيا ٤/ ١).

كما أن تعدد الزوجات ينسجم مع ما جاء فى التوراة من أمر آدم وذريته بكثرة التوالد والذرية، فقد قال لآدم: «أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض» (التكوين ١/ ٢٨)، فتعدد الزوجات سبب فى كثرة النسل، فيما القصر على زوجة واحدة يمنع الزوج من الاستمتاع بنعمة الإنجاب لضعف المرأة ثم عجزها عن الإنجاب فى سن مبكرة عن الرجل.

كما أن تعدد الزوجات يعين الرجل على العفة والفضيلة، إذ من طبيعة الرجل أن يميل إلى التعدد لأسباب مختلفة كعقم الزوجة أو طمثها أو مرضها، وقصر الزواج على زوجة واحدة يدفع إلى البغاء، وهذا القس سويجارت يقول فى مناظرته لديدات: «المسيحية تسمح لنا بواحدة فقط، ولذلك ارتضى أفضلهن من أول قذيفة». وما إلا شهور حتى ظهر على شاشات التلفاز يعتذر لشعب الكنيسة عن فعله البغاء طوال سنين مع إحدى المومسات، ويعلن اعتزاله العمل الكنسى، ليكون دليلاً على حكمة الإسلام البالغة حين أباحت تعدد الزوجات.

والقس سويجارت ليس بدعاً بين أقرانه وأهل دينه ففضائح الرهبان تدوى بين يوم وآخر، وأصبح الأصل فى المجتمعات النصرانية الاقتصار على زوجة مع تعدد العشيقات.

وصدق لوثر فى نقده المرير لواقع الكنيسة والمجتمع النصرانى حين قال: «إن نبضة الجنس قوية لدرجة أنه لا يقدر على العفة إلا القليل... من أجل ذلك الرجل المتزوج أكثر عفة من الراهب... بل إن الزواج بامرأتين قد يسمح به أيضاً، كعلاج لاقتراف الإثم، كبديل عن الاتصال الجنسى غير المشروع».

ومن ذلك ندرك الحكمة التى من أجلها شرع تعدد الزوجات، ولم يشرع تعدد الأزواج فذلك ضد فطرة الإنسان، وهو مفض إلى اختلاط الأنساب التى هى من أجل ما يصونه الإنسان.

المطلب الثالث: شبهات النصارى حول نبوة نبينا ﷺ

وأثار النصارى سيلاً من الشبهات الباطلة التى أنصب كذبهم وبهتانهم فيها على شخص نبينا ﷺ ورسالته، وقصدهم من ذلك إبطال الركن الثانى من أركان هذا الدين.

معجزات النبى

ومن الشبهات التى أثارها النصارى ليشككوا فى نبوة نبينا ﷺ القول بأنه لم يأت بمعجزات، وفى إثبات ذلك تعلقوا ببعض الآيات القرآنية التى تأولوها على نحو باطل. يقول وهيب خليل فى كتابه «استحالة تحريف الكتاب المقدس»: «إن موسى عليه السلام صنع معجزات، أما رسول الإسلام فلم يصنع معجزات، وهذا بشهادة القرآن»، فقد تعلقوا بقوله تعالى ﴿وما منعنا أن نُّرْسِلَ بالآيات إلاَّ أن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ وقوله ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ وأمثال ذلك من الآيات التى طلب فيها الكفار آية معينة فلم يجبهم إليها النبى ﷺ.

وهذه الآيات التى تعسف النصارى فى الاستدلال بها موضوعها الآيات التى طلبها المشركون من النبى ﷺ تعجيزاً فقالوا للنبى ﷺ ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ فعند طلب أمثال هذه المعجزات مع الإعراض عن المعجزة الحقيقية لنبينا ﷺ والمعجزات الأخرى، عند ذلك لم يستجب الله عز وجل لطلب المشركين، إذ أن طلبهم ليس لعدم قيام الحجة الكافية بل هو نوع من التعنت والتعجيز، وقد كانوا كلما رأوا معجزة يقولون سحر مستمر أو ساحر مبين... فحتى لو نزلت هذه الآيات فلسوف يعيدون ذلك القول.

وقد قال تعالى عن معجزة القرآن ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وبعض هذه الآيات التى طلبوها مستحيل شرعاً كقولهم ﴿لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ وقد أجابهم الله على طلبهم لهذه الآيات ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ وعدم إجابة المشركين على تعنتهم لا تعنى أن رسول الله ﷺ لم يأت بآيات، فإن هذا يرده التأمل فى معجزة القرآن وما نقل من معجزات ﷺ المبثوثة فى كتب الحديث ودلائل النبوة.

ثم إن اشتراط النصارى المعجزة للدلالة على النبوة ليس بصحيح وفق دينهم وكتابهم، فها هو يوحنا المعمدان يقول عنه متى: «يوحنا عند الجميع نبى» (متى ٢١/ ٢٦)، وفى موضع آخر «أفضل من نبى» (متى ١١/ ٩)، ورغم ذلك لم يأت بآية واحدة، يقول يوحنا «فأتى إليه كثيرون وقالوا إن يوحنا لم يفعل آية واحدة» (يوحنا ٤١/ ١٠).

ثم إن مثل هذه النصوص القرآنية التى يتعلق بها النصارى وردت فى حق المسيح فى الأناجيل، يقول مرقس: «فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه، فتنهد بروحه، وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية. ثم تركهم...» (مرقس ٨/ ١١ - ١٣).

وكان الشيطان قد جربه قائلاً: «إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب: إنه يوصى ملائكته بك... قال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب إلهك» (متى ٤/ ٦ - ٧)، ولما وضع بين يدى هيرودس»: فرح جدا، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة، وترجى أن يرى آية تصنع منه، وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء» (لوقا ٢٣/ ٨ - ٩).

فما الذى يقوله النصارى فى هذه النصوص؟ وهل يرونها مبطلة لما جاء به المسيح من معجزات؟! فكل ما يقولونه فى حق المسيح نقوله فى حق نبينا عليه وعلى أخيه عيسى أفضل الصلاة والسلام.

تعدد زوجات النبى ﷺ

وأثار النصارى شبهات تتعلق بكثرة عدد زوجات النبى ﷺ، ويلخص القس فندر شبهاتهم فى هذا الباب فيقول: «إن المسلمين لا يجوز لهم أزيد من أربع زوجات، ومحمد - ﷺ - لم يكتف بها، بل أخذ تسعاً لنفسه، وأظهر حكم الله فى حقه: أن الله أجازنى لأن أتزوج بأزيد من أربع.

الثانى: أن المسلمين يجب العدل عليهم بين نسائهم، وأظهر حكم الله فى حقه أن هذا العدل ليس بواجب عليه.

الثالث: أنه دخل بيت زيد بن حارثة، فلما رفع الستر وقع نظره على زينب بنت جحش زوجة زيد، فوقعت فى نفسه، وقال: سبحان الله. فلما اطلع زيد على هذا الأمر طلقها، فتزوج بها، وأظهر أن الله أجازنى للتزوج.

الرابع: أنه خلا بمارية القبطية فى بيت حفصة فى يوم نوبتها فغضبت حفصة، فقال محمد: حرمت مارية على نفسى، ثم لم يقدر أن يبقى على التحريم، فأظهر أن الله قد أجازه لإبطال اليمين بأداء الكفارة.

والخامس: أنه يجوز فى حق متبعيه إن مات أحدهم أن يتزوج الآخر زوجته بعد انقضاء عدتها، وأظهر حكم الله فى حقه أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج من زوجاته بعد مماته».

ويستشهد النصارى بكثرة نساء النبى ﷺ لإثبات ولع رسول الله ﷺ - وحاشاه - بالدنيا فيقول الكندى: «قال بولس رسول الحق، رسول المسيح مخلص العالم: إن الذى له زوجة إنما غايته أن يصرف عنايته إلى رضا زوجته، والذى لا امرأة له فعنايته مصروفة إلى رضا ربه» (انظر كورنثوس (١) ٧/ ٣٢ - ٣٣) فمتى كان له الشغل الدائم المتصل بهذه الأمور الفراغ للصوم والصلاة والعبادة وجمع الفكر وصرفه إلى أمر الآخرة».

فأما كثرة نسائه ﷺ فإنه حال أشبه به الأنبياء السابقين كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾.

ويحكى الكتاب المقدس عن تعدد نساء الأنبياء فذكر لإبراهيم ثلاثاً سوى السرارى، وذكر ليعقوب أربع زوجات فيما ذكروا لداود تسع زوجات وعشرات الإماء، وأما سليمان الذى تقول التوراة بأن الله قال عنه «أنا أكون له أباً، وهو يكون لى ابناً» (صموئيل ١٤/ ٧ (٢) ويقول عنه كتبة الأسفار أيضاً «أحب الملك نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات، ومن الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل: لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات، وثلاث مائة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه، وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساؤه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه» (ملوك (١) ١١/ ١ ـ ٨).

ويجدر هنا أن داود على كثرة نسائه كان كاملاً مع الرب، رغم أن التوراة تذكر زناه بامرأة أوريا الحثى ـ وحاشاه ﷺ: ـ

فكما كان حال هؤلاء الأنبياء كان حال نبينا ﷺ، فلم تكن كثرة نسائه لتمنعه من أن يقوم بحق ربه على أكمل وأحسن وجه.

ثم كيف للنصارى أن يسقطوا حق النبوة من التعظيم بسبب كثرة الزوجات وهم لم يسقطوها للأنبياء وقد رموهم بأعظم الفواحش من زنا وخمر؟ وهو بكل حال أشد من تعدد الزوجات.

وتعدد زوجات النبى ﷺ كانت لحكمة أبعد وأعمق مما تصوره النصارى، فزواجه لم يكن لغرض دنيوى فحسب، ولو كان دافع الزواج حاجة الجسد فقط لكان ذلك فى شبابه أولى، فقد تزوج رسول الله ﷺ من خديجة وعمره خمس وعشرون سنة، وهى تكبره بخمس عشرة سنة، وبقيت وحيدة عنده حتى وفاتها، ثم تزوج بعد وفاتها بثلاث سنين من سودة بنت زمعة وعائشة بنت الصديق ثم بقية أزواجه، وقد كان زواجه من عائشة وسودة وعمره ثلاث وخمسون سنة.

وقد كانت جميع أزواجه ـ خلا عائشة ـ ثيبات، وفيهن من لا يرغب بزواجها لكبر سنها كسودة، وفيهن من قاربت الأربعين كأم سلمة.

وأما عائشة فكانت البكر الوحيدة فى نسائه وأصغرهن ﷺ ، وهنا يلمز النصارى بفارق السن بينها وبين رسول الله، ويغفلون عن خصائص البيئة العربية التى لا تجعل لفارق السن كبير اعتبار، إذ تتصرف الهمم لإنجاب الذرية، وكلما صغر عمر المرأة زادت خصوبتها.

ثم إن النصارى يرون من زواجه ﷺ من عائشة ما يستحق القدح، ولا يرون ذلك فى زواج إبراهيم عليه السلام من هاجر وقد دخل عليها وعمره خمس وثمانون سنة (انظر التكوين ١٦/ ١٦) كما أن داود عليه السلام قد تزوج فى شيخوخته أبيشج الشمونية، وبينهما من العمر ما يقارب الخمسين سنة (انظر الملوك (١) ١/ ١ ـ ٤).

وقد أوضح علماء الإسلام حكمة تعدد زوجات النبى ﷺ والتى يجملها أنه بتعدد نسائه:

١ ـ يكثر مشاهدة أحواله الباطنة، فيزداد ظهور صدقه وينتفى ما يرميه به المشركون من سحر وسواه. كما أن اطلاع هؤلاء على أحواله الباطنة وكمالاته تظهر قيمته إذا علمنا أن منهن أم حبيبة وصفية، وكلتاهما يومئذ ابنتا عدويه، فلو لم يكن أكمل الخلق إيماناً وأحسنهم أخلاقاً لنفرتا منه، وقد تحقق خلافه فى حياتهما رضي الله عنهما.

٢ ـ لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرتهم له، ويتألف قلوبهم بذلك إلى الإسلام، كما يكثر بذلك عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على عدوه، ويدرك هذا من عرف أهمية المصاهرة عند العرب، وقد كان زواجه بجويرية بنت الحارث المصطلقية سبباً فى إسلام قومها.

٣ ـ ومن حكم تعدد نسائه أن يكثر نقلة أحوال النساء إليه كما أن يتعلم نساؤه منه ومن أحواله ما يبلغنه إلى سائر النساء من أحكام خاصة بالنساء ويستحى من سؤاله عنها.

٤ ـ ضرورة التشريع كما سيأتى تفصيله فى قصة زواج زينب، وأيضاً ليقتدى به رجال أمته فى العدل بين النساء على كثرتهن وعدم الانشغال بهن عن أمر آخرته، كما يقتدى به عليه السلام فى إعالة من لا معيل لها على كثرة أعبائه وواجباته ﷺ.

وقد أنصف نظمى لوقا فى كتابه «محمد فى حياته الخاصة» حين قال: «هؤلاء

زوجـاته اللواتى بنى بهن، وجـمع بينهن لم تكن واحـدة منهن هدف اشـتـهـاء كـمـا يزعمون، وما من واحدة منهن إلا كان زواجه بها أدخل فى باب الرحمة وإقالة العثار والمواساة الكريمة، أو لكسب مودة القبائل وتأليف قلوبها بالمصاهرة وهى بعد حديثة عهد بالدين الجديد، هى ضريبة واجبة إذن أو ضريبة مكانة وزعامة.. وما كان من الهين على رسول قائد جيش وحاكم دولة محاربة أن يزيد أعباءه بما يكون فى بيت كثير النساء من خلافات على صغائر الأمور.. ولكنه الواجب: واجب الدعوة أو واجب النخوة.. واجب أقدم البعض على استغلاله استغلالاً منكراً، فرأينا من يعضلها أن تجد زوجاً لا ترعى الحشمة وتذهب للرسول ﷺ تعرض عليه نفسها متطاولة إلى شرف أمومة المؤمنين... ويسكت محرجاً لا يريد أن يجرح كرامة تلك المرأة المجترئة عسى أن تتصرف عنه وهو يعلم قبوله الزواج من مثلها سيفتح عليه باباً لا قبل له به، ولولا أن أحد أصحابه جعل نفسه فداء للرسول فى ذلك الزواج بالهبة، لأوذى فى حياته بإحدى خطتين: إما التورط فى القبول أو المجاهرة بالرفض الصريح...

وأنقذه القرآن بعد ذلك من مثل هذا التورط الفادح، فحرم عليه بصريح النص فى سورة الأحزاب (الآية: ٥٢). وهو قوله ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾.

وأما الإذن له ﷺ بزيادة الزوجات عن أربع، ثم منع المؤمنين من نكاح نسائه من بعده فهى من خصوصياته عليه السلام التى جعلها الله له فكما خصه بوجوب قيام الليل، وأذن له بوصال الصيام، ومنعه من توريث ماله لورثته. فكما خصه بذلك خصه بهاتين الخصلتين.

وفى التوراة أن الله يخص الهارونيين المسئولين عن الكهانة فى بنى إسرائيل بأحكام خاصة، فلا عجب أن يخص نبيا بها. وقد قال تعالى ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

ثم إن تحريم نسائه من بعده أمر طبيعى إذ هو ﷺ لأمته بمنزلة الأب، وهن أمهات المؤمنين، ولا يليق بالمرء أن يتزوج بمن لها اعتباريا منزلة الأم، كما أن الإذن

بنكاح نسائه من بعده قد يطمع أحداً بنكاح إحداهن بعده، فيتوق لموت النبى وهى مهلكة قطع الله طريقها بتحريم نكاح نسائه ﷺ.

وأما قصة زواجه من زينب وقد تلقفها النصارى من روايات لا تصح، رواها الطبرى وابن إسحاق، ويظهر ضعفها إذا تأملنا ما فيها من تناقضات، وعرفنا أن وجود هذه الروايات فى كتب المسلمين لا يعنى صحتها، وقد ذكر الطبرى فى مقدمة تاريخه وجود روايات منكرة عنده وعند القارئ يقول عنها: «فليعلم (أى القارئ) أنه لم يُؤتَ من قِبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا».

وقد أحسن ابن كثير حين قال عن هذه الروايات: «ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها... لكن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ (أن زينب) ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما جاءه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه قال ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾، وقد ذكر أصحاب السير أن زينب كانت تستعلى بنسبها القرشى على زيد المولى، فاستحالت الحياة بينهما، فأتى زيد رسول الله ﷺ يشكوها ويستأذنه فى طلاقها فأمره الرسول بإمساكها، فقد استصعب أمر زواجها لما يعلمه الناس من أنها زوجة متبناه، ولقد صرح القرآن الكريم بأن الأمر الإلهى كان لحكمة تشريعية وهى إبطال التبنى.

ومما يؤكد ضعف رواية ابن إسحاق وروايتى الطبرى أن زينب كانت ابنة عمته ﷺ وهو الذى خطبها لزيد، ومحاسنها لا تخفى عليه وقد رآها منذ طفولتها، فكيف يقال بأنه فتن بها بعد ذلك، فكأنه لم يرها من قبل.!!

فلا يجوز للنصارى أن يعجبوا من أمر الله نبيه بالزواج من مطلقة متبناه لإبطال عادة التبنى المتجذرة فى المجتمع العربى، إذ هم يقولون بأمور أغرب من ذلك ينسبونها لله منها أنه أمر نبيه هوشع بنكاح زانية (انظر هوشع ١/ ٢ ـ ٣)، وأمر إشعيا بأن يمشى مكشوف العورة عرياناً بين الرجال والنساء ثلاث سنين (انظر إشعيا ٤ ـ ٢/ ٢٠).

فتلك الأوامر وأمثالها تليق عندهم فى حق الله، ولا تحط من منزلة الأنبياء، أما أن يتزوج رسول الله بمطلقة زيد بعد انتهاء عدتها فهذا يحط من منزلة النبوة.

وأما تحريم النبى ﷺ لمارية ثم كفارته عن ذلك اليمين فهو أمر تقره الشريعة، ويقع به سائر الناس، فيعود أحدهم عما كان قد عزم عليه، ولكن العجب من أن النصارى لا تجيزه فيما يخص رسول الله ﷺ، وقد جعلته جائزاً فى حق الله عز وجل إذ جعلت الله عز وجل يندم على بعض فعله أو أمره وقد حكوا ذلك أيضاً عن المسيح عليه السلام كما فى قصة المرأة الكنعانية التى أ ى شفاء ابنتها، ثم بعد جدل ورجاء من التلاميذ قبل ذلك (انظر متى ١٥/ ٢١ ـ ٢٨) ومثله صنع لما طلبت منه أمه تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا فرفض، ثم صنع ذلك (انظر يوحنا ٢/ ٣ ـ ٤).

والقصة التى تعلق بها النصارى ذكرت فى سياق ما ذكره علماؤنا فى سبب نزول سورة التحريم، وهى رواية مرسلة إلى زيد بن أسلم، وليس فيه رواية مرفوعة إلى النبى ﷺ.

والصحيح فى سبب نزول آيات سورة التحريم ما جاء فى رواية البخارى أنه ﷺ حرم على نفسه العسل، فنزلت الآيات.

ورغم هذا الركام من الأراجيف فإن كلمة الحق تأبى إلا أن تعلن عن نفسها صريحة مدوية من أولئك المنصفين، ومنهم الكاردينال ترانكون رئيس أساقفة أسبانيا حيث قال فى قرطبة فى المؤتمر الثانى للحوار عام ١٩٧٧ م: «يريد المجمع البابوى منهم أن يعربوا عن احترامهم لنبى الإسلام، ولن أحاول هنا تعداد قيم نبى الإسلام الرئيسية، الدينية منها والإنسانية، غير أنى أريد أن أبرز جانبين إيجابيين ـ ضمن جوانب أخرى عديدة ـ وهى إيمانه بتوحيد الله وانشغاله بالعدالة».

وفى نفس المؤتمر قال د. ميجل ايرنا ثدث: «لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلماً على مدى التاريخ مثل محمد، إن الأفكار حول الإسلام والمسلمين ونبيهم استمرت تسودها الخرافة حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى... لقد سبق أن أكدت فى مناسبة سابقة الاستحالة من الوجهة التاريخية

والنفسية لفكرة النبى المزيف التى تنسب لمحمد ما لم نرفضها بالنسبة إلى إبراهيم وموسى وأصحاب النبوات الأخرى... وفيما يتعلق بى فإن يقينى أن محمداً نبى لدرجة أنى حاولت فى دراسة لى كتبت عام ١٩٦٨ م أن أشرح أن محمداً كان نبيا حقا من وجهة النظر الدينية المسيحية».

وفى المؤتمر التبشيرى الثالث للإنجليكانيين (١٩٦٣) قال كانون وارن: «لقد تجلى الله بطرق مختلفة، ومن الواجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لنصر على القول بأن الله كان يتكلم فى ذلك الغار الذى يقع فى تلك التلال خارج مكة».



المطلب الرابع: شبهات النصارى عن القرآن الكريم

لما كان القرآن الكريم الكتاب المقدس للمسلمين، فهم يعتبرونه كلام الله ووحيه الخاتم، حيث نزل على آخر رسله، لما كان بهذه المثابة عند المسلمين كان من الطبيعى أن يتجه النصارى للطعن والثلب لهذا الكتاب الذى يبين ضلالهم ويزيف باطلهم، ويقيم حجة الله عليهم.

وقد وجه النصارى إلى القرآن الكريم شبهات متنوعة متعددة راموا منها تزييف نسبة هذا الكتاب لله رب العالمين، وتتمحور هذه الشبهات حول خمس محاور نتحدث عنها فى هذا المطلب.

المحور الأول: حول المصدر

يشكك النصارى فى مصدر القرآن الكريم، ويعتبرونه من صناعة محمد ﷺ ويذكرون له مصادر أرضية، ويلخص القس أنيس شروش مزاعم النصارى فى مصادر القرآن الكريم، فيقول مخاطباً ديدات: «دعنى أتحداك ٧٥٪ من القرآن الرائع فى لغتى العربية الرائعة مأخوذ من الكتاب المقدس»، ويقول: «الواقع إن هناك نصوصاً عديدة من مقاطع العهد الجديد قد استعارها القرآن واقتبسها، هناك حوالى ١٣٠ مقطعاً فى القرآن مستوحاة من سفر المزامير، ونجد الروايات غير القانونية المرفوضة (الأناجيل الأبوكريفا) عند النصارى موجودة فى القرآن، إن سورة آل عمران الآية ٣٥ - ٣٧ تحكى بدقة الرواية الإنجيلية الأسطورية التى تحكى قصة زكريا المشهورة ومولد ابنهما».

ويتحدث القس شروش عن مصدر آخر للقرآن هو أشعار العرب، فيقول عن امرئ القيس «كان من أعظم شعراء العرب القدامى قبل محمد، وفى إحدى قصائده... هناك أربع آيات مأخوذة منها تم إدخالها فى القرآن من قبل محمد، وتظهر فى سورة القمر الآية ١، ٢٩، ٣١،... ٤٦

ويوضح ذلك فيقول ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ هذا فى القرآن، أما امرؤ القيس فيقول: دنت الساعة وانشق القمر». ولم يذكر شاهداً للثانية والثالثة، ثم ذكر

قوله تعالى ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ فادعى أنها منقولة من قول امرئ القيس: وإذا ما غاب عنى ساعة كانت الساعة أدهى وأمر.

ثم ذكر القس أن ابنة امرئ القيس أدركت الإسلام، وسمعت أبيات أبيها فعرفتها وطالبت بمعرفة كيف ظهرت أبيات أبيها فجأة فى السورة.

ويتحدث القس عن مصادر الإسلام عموماً فيقول: «من المنطقى استنتاج أن الإسلام نابع من ثقافة قبيلة مشركة هى قبيلة محمد» ويقول: «لأنه لمن المدهش أن نكتشف أن محمداً لم يؤمن بالثالوث الأقدس ولا بألوهية ولا قيام المسيح، ولفهم السبب علينا معاينة عقيدة نسطور وأتباعه، إنها طائفة مسيحية مهرطقة هاجرت إلى الجزيرة العربية قبل ١٤٠ سنة من مولد محمد، لقد اكتسب محمد ذاك الإنكار من هذه الهرطقة... لقد هرب (نسطور) هو وأتباعه وتفرقوا فى أماكن مختلفة من بلاد الفرس والجزيرة العربية حيث احتكوا بأسرة النبى.

معظم المفكرين المسيحيين يؤمنون، ويشهد لهم التاريخ الإسلامى أيضاً أن محمداً كان يلتقى بنسطور (رلعله أراد بحيرا) خلال أسفاره إلى الشام، وحين كان فى سن ١٢ رأى بحيرا فيه علامات النبوة، وبعد سنة أقنعه بذلك، وسافر معه، وعلمه كل ما يتعلق بما نسميه قصص الكتاب المقدس».

وفى التمثيل للاقتباسات من الوثنية ذكر شروش تقبيل الحجر الأسود، ومثله قال صاحب كتاب «الحق» وهو كاهن لم يذكر ابن الخطيب اسمه، وزعم بأن الحجر الأسود من بقية آلهة العرب التى كانوا يعبدونها.

ونلمس فى هذه الشبهات الكثير من الكذب الصراح كالزعم بنقل القرآن من الكتاب المقدس أو من أناجيل لا ترتضيها الكنيسة فهذا لا يصح بحال، ويظهر بجلاء لكل من وقف على موضوعات الكتاب المقدس وموضوعات القرآن الكريم، وقد تحدى ديدات القس بأن يأتى بمثال واحد، فعجز عن ذلك وينقل ديدات عن العالم ولير قوله: «هناك فقرة واحدة فى القرآن جرى اقتباسها من كتاب المزامير» وهى «الأبرار يرثون الأرض» (المزمور ١١/ ٣٧).

وقد ذكر القرآن وجود هذه الفقرة فى المزامير فقال ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، فقالقرآن ذكر أن الفقرة موجودة فى الزبور، فيما نقل متى الفقرة ذاتها فى إنجيله (انظر متى ٥/ ٥) ولم يشر إلى أنه اقتبسها من المزامير.

ويتساءل ديدات مراراً عن الـ (٧٥٪) المقتبسة من الكتاب المقدس، ويقول: «أى شىء فى الكتاب المقدس يستحق النسخ أو الاقتباس... هذا كتابك المقدس بالعربية، وهذه نسخة من القرآن بالعربية لأسهل الأمر عليك».

ولا ريب فى أنه لو كان الكتاب المقدس من عند الله لوجدنا صوراً أكثر من التشابه والتماثل التى تقتضيها وحدة المصدر والهدف، ولا يعنى حينذاك بأن القرآن مقتبس من الكتب السابقة، بل ذلك معناه أن الله كما أنزل هذه المعانى على الأنبياء السابقين أنزلها على رسوله الخاتم ﷺ.

ومن التماثل بين شرائع الله تعظيم الكعبة التى بناها إبراهيم عليه السلام وعظمها لأمر الله، ثم عظمها رسول الله لتعظيم الله لها فقد جعلها قبلة لعباده، وتقبيل الحجر الأسود من ذلك التعظيم، وقد قال عمر رضي الله عنه عندما وقف عليه يقبله «إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك».

ولم يكن تعظيمُ الرسول للكعبة تعظيمَ عبادة، إنما كان تعظيماً لشعائر الإسلام وهى منها، فقد أمر الله نبيه إبراهيم ببناء هذا البيت وتطهيره لعبادته.

هذا ولم يعرف فى العرب قط رغم عبادتهم للأصنام أن أحداً منهم عبد الكعبة أو الحجر الأسود.

وأما قول القس وغيره من النصارى عن بحيرا الراهب ونسطور فهو كلام لا دليل عليه البتة، والموجود فى كتب التاريخ الإسلامى أن رسول الله سافر إلى الشام مرتين إحداهما فى طفولته حيث لقيه بحيرا الراهب، وطلب من أبى طالب أن يحذر على ابن أخيه، والثانية فى شبابه حيث ذهب فى تجارة خديجة، وعاد بعدها مباشرة، ومن الكذب القول بأن بحيرا قد ذهب معه إلى مكة، وأنه قد علمه قصص الكتاب المقدس، بل إن مجرد المقارنة بين قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم

المشابهة كقصة آدم ونوح وإبراهيم، إن مجرد التأمل فيها والمقارنة بينها يكفى فى رد هذه الشبهة.

وهذه الشبهة قديمة ذكرها القرآن الكريم وأجاب عنها قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

ومن المعلوم أن أول ترجمة عربية للتوراة كانت بعد ظهور الإسلام بقرن من الزمان، حيث كان أسقف أشبيلية يوحنا أول من ترجم التوراة إلى العربية عام ٧٥٠م، وكتبها بأحرف عبرية، ثم كتبها يافث بن على فى أواخر ذلك القرن بأحرف عربية.

ويعجب المرء كيف ينسب للنبى ﷺ الاطلاع على كتب لم يكن بمقدور الأحبار والرهبان فى ذلك الزمان أن يطلعوا عليها كاملة، بل كيف يقال بأنه أخذ من الأناجيل غير القانونية التى اختفت فى بلاد المسيحية، وإن كشفت الدراسات وعمليات تنقيب الآثار عن بعض هذه الكتب فى هذا الزمان، ولكن كيف لرسول الله ﷺ أن يصل إليها قبل قرون وفى بلاد لا تعير لكتب أهل الكتاب أدنى اهتمام.

وبقيت أمية الرسول حجر عثرة أمام شبهات القس، لذا يزعم شروش بأن رسول الله كان يقرأ ويكتب، ويقول: «هذا كان مجرد دعوى لإظهار عظمة عمل محمد فى إنتاج القرآن وليثبت إعجاز القرآن، وحجتى الدامغة: قيل لنا أنه حين رفض أهل مكة الاعتراف بالعبارة المكتوبة على وثيقة المعاهدة (محمد رسول الله)، وانصياعاً لمطالبهم حذف محمد لقب «رسول الله»، وخط بيده عوضاً عنها عبارة محمد بن عبد الله. وإليكم حدثاً آخر يؤكد إلمامه بالكتابة والقرآن حين لوحظ احتضار محمد أوعز إلى زوجته المفضلة عائشة أن تحضر له قرطاساً ليخط عليه اسم خليفة من بعده»، ثم ذكر شروش أنه رأى وثيقة عليها توقيع رسول الله كما أن عمل رسول الله فى التجارة يوجب عليه أن يجيد القراءة والكتابة والحساب.

وأخيراً استشهد بقول الله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.

وفى إبطال هذه الحجج اكتفى العلامة ديدات برمى القس بالكذب مستدلا بتغييره للرواية فى مسألة صلح الحديبية حيث ثبت أن رسول الله ﷺ استعلم الصحابة عن مكان عبارة «رسول الله» ثم أزالها، وأنه أمر عليا بكتابة: «ابن عبد الله». ويؤكد دمشقية فى تعليقه على مناظرة شروش بأن لو كتب رسول الله بنفسه اسمه واسم أبيه فإن ذلك لا يرفع الأمية عنه، إذ لا شىء يمنع من أن يتعلم الإنسان رسم اسمه وهو لا يعرف الكتابة. ومثله يقال فيما رآه شروش من توقيع رسول الله ﷺ إن صدق فى زعمه.

وأما قصة الكتاب الذى أراد رسول الله كتابته فقد ذكره البخارى، وذكر بأنه قد كان عنده جمع من الصحابة وأنهم اختلفوا فلما رأى اختلافهم قال: «قوموا عنى، لا ينبغى عندى التنازع».

فكما كانوا حوله يكتبون الوحى طلب منهم أن يكتبوا هذا الكتاب.

وأما الآيات فى أول سورة العلق فقد سبقها قول النبى ﷺ «ما أنا بقارئ»، فالمقصود باقرأ هو أن يتلو ما يسمعه من وحى ينزل به جبريل. ولا يمكن أن يكون المقصود بالقراءة القراءة من كتاب إذ لم يدفع جبريل إلى النبى ﷺ كتاباً مكتوباً ليقرأه. وإنما دفع إليه وحياً مقولاً فقرأه بعده.

وقد أثبت القرآن فى غير موضع أمية النبى ﷺ، ولو كان قارئاً لما خفى ذلك على قومه فكذبوه. فعدم تكذيبهم دليل على معرفتهم بصدقه.

وأما قول القس بأن القرآن منحول من شعر العرب واستدلاله بتماثل بعض الآيات مع شعر امرئ القيس فهو مرفوض لأن التماثل فى بعض الألفاظ لا يعنى النقل على كل حال، ووقوع التماثل أمر طبيعى إذ جاء القرآن بما تعهده العرب فى كلامها من أمثلة واستعارات وسوى ذلك من ضروب البلاغة. ثم إن الشعر المنسوب لامرئ القيس هو المنقول عن القرآن كما قد سبق بيانه.

المحور الثانى: حول ثبوته

أثار النصارى شبهات تتعلق بثبوت القرآن الكريم، فالنصارى يعتقدون أن القرآن كان عند وفاة النبى ﷺ نصوصاً متنافرة وحدها عثمان، يقول سويجارت: «بعد وفاته (أى ﷺ) كان يوجد عدد لا بأس به من نسخ القرآن المتداولة التى لم تستقر بعد... الخليفة عثمان كان عليه أن يوحد النصوص... لأن نصوصاً كثيرة من القرآن كانت موجودة... بعث عثمان إلى كل إقليم إسلامى بنسخة مما تم نسخه، وأمر أن تحرق جميع المواد القرآنية الأخرى...، إن لم تكن متناقضة فإنى أستغرب لماذا أمر بإحراقها؟».

ويقول الحداد الخورى عن اقتصار عثمان فى جمعه للقرآن على حرف واحد: «بذلك أضاعوا علينا معرفة ما كان فى الأحرف الستة من مباينات ومناقضات واختلافات بالنسبة إلى الحرف الذى أثبتوه واقتصروا عليه».

وتحدث النصارى عن إسقاط المسلمين لبعض الآيات والسور القرآنية كآية رجم الزانى وسورة الحفد والخلع، ويقول الخورى معقباً: «وهكذا فقد أسقط عثمان من الصحف قرآناً كثيراً».

وللرد على هذه الشبهة شرح علماؤنا كيفية نزول القرآن وحفظه من قبل الصحابة فى عهد النبى ﷺ وبعده.

وقبل أن نشرع فى تفصيل ذلك ننبه لأمرين هامين غفل عنهما النصارى.

أولهما: أن المسلمين لا يسمون كل ما نزل على النبى ﷺ قرآناً، بل ما يطلق عليه «القرآن» هو ما لم ينسخ تلاوة من الوحى، وهو الذى تدارسه جبريل مع النبى ﷺ فى العرضة الأخيرة قبيل وفاته ﷺ.

والأمر الثانى: أن الأساس الذى حفظ القرآن، واعتمد عليه المسلمون هو حفظ الصدور والسطور، وقد كان الاهتمام بتدوين القرآن فى الصحف أمراً متمماً موثقاً لحفظ الصدور.

وقد نزل القرآن الكريم على النبى ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، فكان ﷺ إذا

نزلت السورة أو بعضها أمر الصحابة بكتابتها ووضعها فى مكانها بين سور القرآن وآياته، وكان له كُتَّاب مختصون بكتابة الوحى.

وتوفى رسول الله ﷺ ولما يجمع هذا الكتاب المكتوب فى مصحف واحد، وذلك لتتابع الوحى وعدم انقطاعه، وإن كان قد علم ترتيب السور وآياته.

وقد كان أصل تنزل القرآن على حرف واحد، فأشفق رسول الله ﷺ على أمته فقال: «يا جبريل إنى بعثت إلى أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط...» فاستجاب الله له وجعل نزول القرآن على سبعة أحرف قال ﷺ: «أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، وفى رواية أخرى أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال أسأل الله معافاته ومغفرته. وإن أمتى لا تطيق ذلك... إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة حروف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا».

وحذر رسول الله من المراء فى الأحرف السبع فقال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، على أى حرف قرأتم أصبتم، فلا تماروا، فإن المراء كفر».

وخبر نزول القرآن على سبعة أحرف خبر متواتر أراد الله به التيسير على الأمة عند قراءتها القرآن الكريم، وليس فى الأحاديث السابقة وغيرها ما يفهم منه أن هذه الأحرف كانت نصوصاً مختلفة، بل غاية ما فيه هو التسهيل فى قراءة القرآن.

وقد ذكر علماؤنا أن الأحرف هى وجوه فى القراءة توافق لغات العرب مع السماح ببعض الإبدال لحروف بعض الكلمات أو إبدال بعض الكلمات بدلاً لكلمات أخرى تقاربها فى المعنى أو ترادفها من غير مضادة ولا تناقض.

وقد حفظ عدد من الصحابة القرآن الكريم فى عهد النبى ﷺ، فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة خشى الصحابة من ضياع القرآن فجمعه زيد بن ثابت فى مصحف واحد بعد أن تتبعه من مكتوبات الصحابة ومحفوظاتهم، واستوثق له بتواتر الصحابة وإجماعهم، وكان هذا المصحف عند أبى بكر ثم عمر ثم حفصة رضى الله عن الجميع.

وفى عهد عثمان أتى حذيفة بن اليمان من فتوح أذربيجان وأرمينيا يحذر عثمان ويقول: «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق». وفى رواية الترمذى «فاختلفوا فى «التابوت» و «التابوة»، فقال القرشيون بالأول، وقال زيد بالثانى، فرفعوا اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه بالتابوت، فإنه نزل بلسان قريش».

ويفهم من الحديث أن ما فعله عثمان هو نسخ صحف أبى بكر مع إعادة رسم الكتابة وجعلها حسب لغة قريش، وأهمل الجمع الأخير من الأحرف السبعة ما تعارض مع الرسم العثمانى، وليس فى ذلك إهمال لنص القرآن، بل عاد الصحابة للأصل الأول وهو لسان قريش بعد أن زال سبب التخفيف والرخصة التى أنزل الله من أجلها بقية الأحرف، والذى دعا الصحابة لهذا الصنيع خوفهم من تفرق الأمة واختلافها بسبب هذه الرخصة التى فات محلها، والتى وقع الناس لجهلهم بحكمتها فى المراء الذى حذر رسول الله ﷺ منه. وقد كان فعل عثمان رضي الله عنه بإجماع الصحابة يقول على رضي الله عنه: «لا تقولوا فى عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملإ منا».

وقد امتثلت الأمة طائعة لأمر خليفتها، فأحرقوا ما فى أيديهم من الصحف والمصاحف التى كانت قد كتبت قبل العرضة الأخيرة ففيها ما نسخت تلاوته، كما فيها بعض الأجزاء الناقصة التى يخشى أن يظن بعد برهة بأنها هى الصحيح فقط.

وامتثال الصحابة وفعلهم إقرار لعثمان على صحة ما فعله، ودليل على أن ما

فعله عثمان هو إعادة نسخ مصحف أبى بكر، ولو كان فى فعله شائبة لثاروا عليه، كما ثار عليه البعض حين ولى بعض أقاربه، ومن المعلوم أن عثمان لم يأمر عماله بمتابعة الناس فى بيوتهم ومعرفة من أحرق ومن لم يحرق، فقد فعل المسلمون ذلك بمحض إرادتهم.

وما أثبته عثمان فى مصحفه هو العرضة الأخيرة كما أثبتها مصحف أبى بكر، لذا أسقط منه كل منسوخ تلاوة، ومما يدل على دقة عثمان فى جمعه أن عبد الله ابن الزبير يقول: «قلت لعثمان ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: يا أخى لا أغير شيئاً منه عن مكانه» فلم يرفع عثمان الآية وهى منسوخة بآية سورة البقرة رقم. ٢٣٤.

وأما الحجاج فقد اقتصر فعله على وضع النقط، ولم يصنع سوى ذلك، ولو صنع باطلاً لشنع عليه أعداؤه فى عهد بنى أمية ثم بنو العباس، ولكان فعله من الأمور التى يستمسك بها أعداء دولته، لكن شيئاً من ذلك لم يكن.

وقد صدق وليم موير حين قال مافند دعاوى النصارى فى كتابه «حياة محمد»، فقال: «إن نظم القرآن ومحتوياته تنطق فى قوة بدقة جمعه، فقد ضمت الأجزاء المختلفة بعضها إلى بعض ببساطة تامة، لا تعسف فيها ولا تكلف ولا أثر لأحد فى هذا الجمع سوى التأكد والمراجعة لكل ما كتب، وهو يشهد بإيمان الجامع وإخلاصه لما يجمع، فهو لم يجرؤ على أكثر من تناول هذه الآيات المقدسة ووضع بعضها إلى جانب بعض».



المحور الثالث: حول بعض المزاعم المثارة حول القرآن الكريم

زعم النصارى أيضاً أن فى القرآن تناقضات وأخطاء تاريخية بل ولغوية كما زعموا أنه ليس بكتاب معجز بل يمكن للبشر أن يأتوا بمثله.

أولاً: التناقضات

ومن التناقضات التى تخيلها النصارى فى آيات القرآن الكريم التناقض بين قوله تعالى ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ فهو يثبت النسخ فى القرآن، ويرونه مناقضاً لقوله تعالى ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ولا تناقض فالآية الأولى تتحدث عن نسخ الله بعض الأحكام وفقاً لمصلحة العباد، فيما تذكر الثانة أن أحداً غير الله لا يستطيع أن يبدل كلماته.

وكذا توهم النصارى تناقضاً فى قوله تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وقوله تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وقالوا: اختلفت الآيتان فى مقدار يوم القيامة. لكن شلبى لا يراه تناقضاً لأن العدد لا مفهوم له فى النصين، بل يراد منه الكثرة كما يقول الرجل: أرسلت خمسين رسالة، وأتيتك عشرين مرة. ومراده الكثرة.

وكذا توهم النصارى تناقضاً فى قوله تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، فرأوه مناقضاً لإقسامه به فى قوله تعالى ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ فظنوا أن لا فى الآية الأولى نافية، وهى للتوكيد، فتأتى فى القسم كما فى قوله ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أى أقسم بربك.

ورأى النصارى أيضاً أن ثمة تناقضاً فى مفهوم القضاء والقدر فى القرآن الكريم فقد جاءت آيات تتحدث عن مسئولية الإنسان عن عمله، ويرونه مناقضاً للنصوص التى تقرر هيمنة الله على هذا الكون ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ فأبان الجزيرى عن معتقد المسلمين فى القدر، ويتلخص فى أن الإنسان لا يؤاخذ ولا يعاقب إلا بكسبه،

ولكن أعمال الإنسان الخيرة والشريرة مخلوقة لله يفعلها الإنسان باختياره، ولولا خلق الله لها لما استطعنا فعلها.

ويرى الجزيرى أن قوله ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾ لا علاقة له بأفعال العباد، بل هو فى باب الإخبار فى أن الله قادر على أن يضل أو يهدى من يشاء بإرسال الرسل أو ترك البشرية على ضلالتها، لكنه برحمته أرسل الرسل.

ونقل قولاً آخر يفسر الآية وهو أن الله يخلق الهداية للعبد الذى أرادها وسعى إليها، كما يخلق الضلال لمن أراد العماية والغواية.

وأما ما جاء عن ختم الله على قلوب العصاة والكفرة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ فليس معناه أنهم ولدوا كذلك وقد ختم الله على قلوبهم، بل هذا حصل لهم بمقتضى أعمالهم.

ويقرر الجزيرى أن مثل هذا اللبس يمكن أن يطرح على النصارى، فبينما جاءت نصوص تقرر مسئولية الإنسان عن عمله كما فى (متى ١٢/ ٣٣٦ ـ ٣٧، ١٦/ ٢٥)، وغيرها جاء ما يفيد بأن الله يضل من يشاء، ففى سفر حزقيال «النبى إذا ضل وتكلم بكلام، فأنا الرب أضللت ذلك النبى» (حزقيال ١٤/ ٩)، وقد أضل الله فرعون فقال: (إنى أقسى قلب فرعون)» الخروج ٧/ ٣)، ويقول بولس عن الله «هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء، فتقول لى: لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته! بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة، وآخر للهوان، فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك...» (رومية ٢٢ ـ ١٨/ ٩).

وفى سفر إشعيا أن الله «مصور النور خالق الظلمة وصانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه» (إشعيا ٤٥/ ٧).

فهو خالق الشر بما فيه الكفر الذى يقع فيه الناس فكيف يوفقون بين هذه النصوص؟

وهكذا تعرض علماؤنا لما ساقه النصارى من نصوص توهموا منها التناقض

والتعارض فأزالوا وبينوا حقيقة المراد من النصوص وما فيها من عموم وخصوص أو ناسخ ومنسوخ...

ثانياً: الطعن فى عربيته وبلاغته

وذكر النصارى أيضاً أن فى القرآن ألفاظاً غير عربية كأسماء الأنبياء السابقين وبعض الأسماء المستعارة من لغات أخرى مثل: إستبرق، جهنم، ماعون، سندس، مشكاة... فوجود هذه الكلمات فى القرآن كما يرى النصارى يقدح فى عربية القرآن بل وبلاغته.

ويرد الآلوسى بأن وجود كلمات يسيرة لا تتجاوز الثلاثين غير عربية فى القرآن أو فى كلام عربى لا تخرجه عن عروبته، ثم هذه الألفاظ، وإن كانت فى أصولها غير عربية فإن العرب عربتها بألسنتها فصارت عربية، وكان الإمام الشافعى يمنع أن تكون أصول هذه الكلمات أعجمية، بل يراها عربية وإن وجدت فى لغات أخرى فهى مما نقله العجم عن العرب، وكان يقول «لا يحيط باللغة إلا نبى».

ويرى محمد عزة دروزة أن سبب تعريب العرب لهذه الكلمات لأنها تتعلق بمسميات غير مستعملة فى الحياة العربية، وصلت إلى العرب من الاحتكاك بالأمم أوزان ألفاظهم، وذلك قبل نزول القرآن الكريم.

ومما قاله النصارى مشككين فى بلاغة القرآن وجزالته قولهم بأن فى القرآن أخطاء نحوية، وضربوا لذلك أمثلة نورد بعضها.

وقد جهل هؤلاء أن القرآن سابق على قواعد النحو التى وضعها سيبويه والخليل بن أحمد الفراهيدى معتمدين فى استنباطهم لهذه القواعد على القرآن الكريم وبعض أشعار العرب فلا يمكن أن تكون هذه القواعد اللاحقة حكماً على الأصل الذى صدرت عنه.

ثم إن المتبصر العارف بلغة العرب يرى أن هذه المواضع التى أنكرها النصارى لم تخالف لغة العرب وما عهد عنهم وإن ظهر ذلك للعامى أو الأعجمى.

فأما قوله تعالى ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ فجاءت فيه ﴿إِنْ﴾ ساكنة، وهى ليست

«إنَّ» التى تستلزم نصب الاسم ورفع الخبر، ويرى شلبى بأن لكلمة «هذان» توجيهان: الأول: أن اسم إن المخففة هو ضمير الشأن المحذوف، وخبرها جملة ﴿هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ والثانى: أنها للنفى بمعنى: ما هذان إلا ساحران، وفى كلا الحالين ترفع كلمة (هذان).

وأشكل على النصارى أيضاً نصب لفظة ﴿ الصَّابِرِينَ﴾ فى قوله ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾.

ويرى دمشقية عجمة القس شروش وهو يحتج على هذه الآية التى نصبت لفظة ﴿الصَّابِرِينَ﴾ لعطفها على قوله ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أو نصبها كان بسبب فعل محذوف، وتقدير الكلام: أعنى الصابرين. وسبب الإضمار هو الإشعار بفضل الصبر.

وأما تأنيث العدد فى قوله ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ فسببه أن التميز ليس ﴿أَسْبَاطًا﴾ بل: فرقة. وهى مؤنثة ووافقها العدد، وأما أسباطاً فهى بدل كل من كل.

وأما نصب قوله ﴿ الْمُقِيمِينَ﴾ فى قوله تعالى ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ فقد نصبت لأن الواو التى قبلها ليست بواو العطف، بل الواو المعترضة وما بعدها نصب على المدح، وتقدير الكلام: أعنى المقيمين الصلاة.

فيما رفعت كلمة ﴿الصَّابِئُونَ﴾ فى قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة: ٦٩) قال سيبويه: الرفع محمول على التقديم والتأخير والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا... والصابئون والنصارى كذلك، ويورد الجزيرى وجهاً آخر يجيز الرفع: أن ﴿الصَّابِئُونَ﴾ معطوفة على اسم محل إن، واسم إن ينصب لكنه يبقى مرفوعاً للمحل، سواء كان محل الاسم قبل الخبر أو بعده.

وهذه الصور وغيرها مما ذكر علماؤنا يدل على جهل مثيرى الشبهات من النصارى بقواعد اللغة كما يدل على عظمة القرآن وبيانه.

ثالثاً: الزعم بوجود الخطأ فى القرآن

وزعم النصارى أيضاً بوجود أخطاء تاريخية فى القرآن الكريم، فذكروا أن إبراهيم هو ابن تارح وليس آزر، وأن الذى وجد موسى ورباه بعد أن ألقته أمه فى اليم هو ابنة فرعون - وليس زوجه - كما ذكر الكتاب المقدس، وعجبوا كيف يذكر القرآن بأن الذى صنع العجل هو السامرى، والسامرة مدينة فى فلسطين لم تكن أيام موسى ووجدت بعده عام ٧٤٢ ق. م، ورأوا أن الذى صنع العجل هو هارون عليه السلام، واعتبر النصارى أن من الخطأ ذكر هامان على أنه وزير لفرعون، إذ هو وزير لملك فارس كما صرح سفر استير، وبنى صرحه ببابل وليس بمصر (ويقصدون برج بابل).

وقد رد علماؤنا على زعم النصارى بأن ما ذكروه ليس بحجة إذ أن التوراة المحرفة لا يمكن أن تكون حجة على القرآن الكريم.

وبالنسبة لما ورد فى اسم أبى إبراهيم فإن المفسرين ذكروا أن آزر هو عم إبراهيم، وسماه القرآن أبا له، لأن العم بمقام الأب، وهو استعمال معهود فى اللغة، ومستعمل فى المجتمعات العربية حتى الآن.

وأما تسمية القرآن لصانع العجل لبنى إسرائيل بالسامرى فليس نسبة لمدينة السامرة التى بنيت فيما بعد، بل هو اسم قديم، فالسومريون اسم لحضارة قديمة وجدت قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة فى جنوب العراق، واستمرت هذه الحضارة قائمة حتى عام ٢٠٠٠ ق. م، وقد تميز السومريون بالمصنوعات الخزفية، فلعل السامرى الذى صنع العجل لبنى إسرائيل منهم، ومما يؤكد قدم هذا الاسم أن السامرة قد سميت بذلك نسبة لسامر الذى باع جبل السامرة بوزنتين من فضة (انظر ملوك (١) ١٦/ ٢٤)، وعليه فإن السامرى اسم لرجل كان قبل مدينة السامرة، وليس من دليل يمنع ذلك، والياء الملحقة بالاسم ليست ياء النسب.

ثم إن كلمة «السامرى» فى أصلها كلمة عبرانية معناها: «الحارس» فقد يكون مقصود القرآن أن الذى أضل بنى إسرائيل هو المعروف بالحارس.

وأما هامان فليس هناك ما يمنع أن يكون اسماً لأحد وزراء أو مستشارى

فرعون، ولا يمكن إقامة دليل على عدم وجود مستشار بهذا الاسم أو اللقب.

هذا ولم تتحدث التوراة عن الصرح الذى طلب فرعون بناءه، وأما المؤرخون فإن منهم من يقول بأن البناء قد تم، ثم دكه الله فليس هو برج بابل.

وأرى أن القرآن لم يتحدث عن بناء الصرح وإن ذكر جرأة فرعون على الله واستخفافه بقومه بأن أوهمهم بأنه إذا بنى الصرح سيغالب الله، لكن كما قال المفسرون فإن فرعون أعقل من أن يجهل عظمة الله، ولن يجهل ضعف مثله وقعوده عن مقام الربوبية.

رابعاً: الزعم بوجود مبالغات فى القرآن

وفى نقد النصارى للقرآن ذكروا أن فيه مبالغات وأموراً هى للأسطورة منها أقرب للحقيقة، ومثل القس شروش لذلك بما جاء فى قصة الرجل الذى أماته الله وحماره مائة عام، ثم بعثه، وتساءل عن الحكمة من بعث الحمار، وذكر أيضاً باللمز والسخرية استخدام سليمان للجن ووصف الصرح الذى دخلته ملكة اليمن، ومثله مسخ البشر إلى قردة وخنازير.

ومثل هذه الإخبار لم يقم دليل ينهض بتكذيبها، وغرابتها غير كافية للحكم بردها، ثم قد وقعت فى موقع الأعجوبة المعجزة أو العقوبة الإلهية المتناسبة مع عظم الضلال الذى وقع ببنى إسرائيل قتلة الأنبياء، فكان من المناسب أن يعاقبوا بعقوبة يشعرون بمرارتها طويلاً، ولو أماتهم حينذاك لكان فى الموت راحة لهم، ومسخهم عقوبة أبلغ فى العقوبة، والله على كل شىء قدير.

وأما مسخ عصاة بنى إسرائيل إلى قردة وخنازير الوارد فى قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٦٠) فقد ذكر العلماء له معنيين: أولهما أن المسخ كان مسخاً للقلوب فقط أى أنه مجازى. وثانيهما: وهو قول جمهور المسلمين أنه مسخ حقيقى. وأيا كان فإن النصارى الذين يقولون بتقمص الخالق للمخلوق لا يليق بهم أن يعترضوا على مثل هذه العقوبة

الإلهية، كما أن المسيح يورد ما يفيد جواز وقوع هذا المعنى فيقول: «إن الله قادر على أن يحول هذا الحجر إنساناً» (انظر متى (٩/ ٣).

المحور الرابع: حول إعجاز القرآن الكريم

وإبطالاً لمعجزة القرآن فإن النصارى يرون بأن قوة الكتاب اللغوية وجزالته ليست بكافية للحكم بنبوة صاحبه، ويذكرون بأنه قد كان فى الدنيا أعمال أدبية صدر بعضها من أناس لا يعرفون القراءة والكتابة كالإلياذة اليونانية والتى يقال بأن كاتبها هو الأعمى هوميروس، وكذلك الحال فى قوانين حمورابي والمعلقات السبع للعرب.

والمسلمون لا يقولون بأن فصاحة كتاب وبلاغة كاتب دليل على نبوته، بل يرون أن القرآن ظهر فى أمة تتفاخر بنظمها ونثرها، فدعاهم لمعارضة القرآن، فعجزوا، فدعاهم ليأتوا بمثل سورة منه، فعجزوا لمعرفتهم بعظمة هذا الكتاب، وقد عرفوا قعودهم عن الإتيان بمثله، ولو كانوا يرون فى المعلقات السبع أو غيرها ما يقارب القرآن فى نظمه لقالوا للنبى ﷺ ذلك، ولكسبوا منه التحدى، لكنهم فى الحقيقة عجزوا عن مقارعته، وأقر الوليد بن المغيرة ـ وهو للنبى ﷺ عدو وخصم ـ أقر بعظمة القرآن فقال: «قد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يَعْلُو ولا يُعْلَى عليه، وإنه ليحطم ما تحته» ولذلك لم يجدوا أمام بيان القرآن إلا أن يقولوا ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

ثم إن إعجاز القرآن لا يتوقف على بلاغته فقط، يقول نديم الجسر: «إن إعجاز القرآن لا يقوم على بلاغته فحسب كما يظن البعض، ولكن يمتد إلى ما فيه من آيات معجزات تحمل لعلماء الطبيعة أسراراً من حقائق الطبيعة، ولعلماء الاجتماع أسراراً فى نواميس المجتمع، وللفلاسفة أسراراً من حقائق الوجود، ولعلماء التاريخ أسرارا من دقائق الأخلاق (هكذا)، ولعلماء النفس أسراراً من قواعد علم النفس، ولعلماء التربية أسراراً من أساليب التربية.

وسر الإعجاز فى تلك الآيات أنها نزلت على رسول الله محمد النبى الأمى وليد البيئة الأمية قبل قرون طويلة من انكشاف أسرار العلم التى وصلنا إليها اليوم».

وبقى التحدى القرآنى يدعو أرباب الفصاحة للإتيان بمثل هذا القرآن، فما قدر على معارضته أحد على كثرة الأعداء، وتوافر البلغاء، لكن القس أنيس شروش يرى أن هناك من لبى تحدى القرآن، فيقول: «أذكركم أن شعراء قبل محمد (!) وبعده لبوا هذا التحدى».

ولم ينقل لنا شروش من هذه المحاولات سوى ما ذكره من اقتباس من إحدى المحاولات الحديثة، وقامت بها «مجموعة صغيرة من المفكرين فى أورشليم عملوا لتحقيق مشروع عمره ١٦ سنة»، والمشروع كما يظهر فى السياق الآتى هو محاولة لصياغة الإنجيل على محاكاة القرآن، وقد عرض لنموذج منه القس شروش فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم. قل يا أيها الذين آمنوا إن كنتم تؤمنون بالله حقا فآمنوا بى ولا تخافوا. إن لكم عنده جنات نزلاً. فلأسبقنكم إلى الله لأعدها لكم، ثم لآتينكم نزلة أخرى، وإنكم لتعرفون السبيل إلى قبلة العليا. فقال له توما الحوارى: مولانا إننا لا نملك من ذلك علماً. فقال له عيسى: أنا هو الصراط إلى الله حقّا، ومن دونى لا تستطيعون إليه سبيلا، ومن عرفنى فكأنما عرف الله، ولأنكم منذ الآن تعرفونه وتبصرونه يقيناً، فقال له فيليب الحوارى: مولانا أرنا الله جهرة تكفينا، فقال عيسى: أو لم تؤمنوا بعد وقد أقمت معكم دهراً؟ فمن رآنى فكأنما رأى الله جهراً « ... النص مأخوذ من إنجيل) يوحنا ١٤/ ١ ـ ٦) إنه نص جميل بلغة عربية جميلة».

ثم عرض القس قولين آخرين اعتبرهما من بلاغة العرب التى حازت أو فاقت بلاغة القرآن، فقال: «مثال آخر لعلى بن أبى طالب: إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت، وإنما الدنيا كبيت نسجه العنكبوت»، والقول الثانى: «كيفية المرء ليس يدركها، فكيف كيفية الجبار فى القدم، هو الذى أنشأ الأشياء مجتمعاً فكيف يدركه مستحدث النسم؟».

وكتب من قبل مسيلمة «نقى كما تنقين، لا الماء تعكرين، ولا الشراب تمنعين» وقال أيضاً: «ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج من بطنها نسمة تسعى، من بين شراشيف وحشى» فيما قال النضر بن الحارث وكان من فصحاء قريش: «والزارعات زرعاً. والحاصدات حصداً. والطاحنات طحناً. والعاجنات عجناً. والخابزات خبزاً»...

وكان الأقدمون قد عرفوا قدر معارضات مسيلمة والنضر فزاد يقينهم بالقرآن وإعجازه، وما على نصارى اليوم إلا أن يعرضوا جهد ستة عشر عاماً قامت به مجموعة من المفكرين بإعادة صياغة نص قديم، ثم يضعونه إزاء أسلوب القرآن الكريم لتظهر الثُّرَيَّا من الثَّرَى. وقد صدق ابن المقفع عندما أراد معارضة القرآن، ثم رأى عجزه عن مثل هذا البيان فقال: أشهد أن هذا لا يُعارَض، وما هو من كلام البشر.، ومثله صنع يحيى الغزال بليغ الأندلس.

وكان علماؤنا من قبل نقدوا أساطين الشعر العربى فى الجاهلية وبعد الإسلام وبينوا ما تخلل شعرهم من نقص البشر وسوء التعبير، ومن ذلك نقد الباقلانى لمعلقة امرئ القيس.

ويكفى أن نعرض المقارنة والدراسة نموذجاً سريعاً لمعنى جاء به القرآن وقالته العرب فى حكمتها، فإن الناظر فيهما يقف على الفارق بين كلام البشر وكلام رب البشر، فقد قالت العرب فى قتل القاتل «القتل أنفَى للقتل»، وقال القرآن ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾.

ويحكى الدكتور إبراهيم خليل فى كتابه «لماذا أسلم صديقى، ورأى الفاتيكان فى تحديات القرآن «يحكى قصة طبيب مصرى مسيحى قرر كتابة كتاب يرد فيه على تحدى القرآن، يعنون له بعنوان: «وانتهت تحديات القرآن».

وقد كتب الطبيب المصرى رسالة، وأرسل صورة منها إلى ألفى عالم أو معهد أو جامعة ممن تخصصوا بالدراسات العربية والإسلامية فى مختلف أنحاء العالم، وكان مما سطره فى خطابه قوله: «القرآن يتحدى البشرية فى جميع أنحاء العالم فى الماضى والحاضر والمستقبل بشىء غريب جداً، وهو أنها لا تستطيع تكوين ما يسمى بالسورة باللغة العربية... السورة رقم ١١٢، وهى من أصغر سور القرآن، ولا يزيد عدد كلماتها عن ١٥ كلمة لتكوين سورة واحدة كالتى توجد بالقرآن...

سيدى: أعتقد أن مهاجمة هذه النقطة الهامة والخطيرة، وذلك بالإتيان بأكبر عدد ممكن من السور كالتى توجد، أو - آمل أن تكون - أفضل من تلك الموجودة بالقرآن سيسبب لنا نجاحاً عظيماً لإقناع المسلمين بأنا قبلنا هذه التحديات، بل

وانتصرنا عليهم... فهل تتكرم يا سيدى مشكوراً بإرسال ١٥ كلمة باللغة العربية أو أكثر من المستوى البيانى الرفيع مكوناً جملة كالتى توجد فى القرآن»...

وقد أثبت إبراهيم خليل العناوين الألفين التى أرسل لها الخطابات، وتكررت محاولة الطبيب المسيحى أربع مرات طوال سنة ١٩٩٠ م.

فكانت محصلة ثمانية آلاف رسالة أرسلها أن وصلت إليه ردود اعتذار باهتة عرض صورها إبراهيم خليل، منها اعتذار كلية الدراسات الشرقية والإفريقية فى جامعة لندن فقد كان ردها: «آمل أن نتفهم أن كليتنا وأعضاءها يرفضون الخوض فى المنازعات الدينية، وبالتالى فإنه لا يمكننا إجابة طلبك»، وأما رد إذاعة حول العالم (مونت كارلو) فكان «الموضوع الذى طرحته موضوع هام، لكننا كإذاعة لا نحب أن ندخل فى حمى وطيس هذه المعركة، إذ لا نظن أنها تخدم رسالة الإنجيل، فرسالتنا هى رسالة محبة، وليست رسالة تحدٍّ».

وأما رد الفاتيكان فقد جاء فيه «بوصفنا مسيحيون فنحن. لا نقبل بالطبع أن يكون القرآن هو كلام الله على الرغم من إعجابنا به حيث يعتبر القمة فى الأدب العربى.. ولقد أخبرنى زميل مصرى بأن أفضل أجزاء القرآن تذكره بأجزاء من الكتاب المقدس، ولكن هذا بالطبع لا يعنى أنه أوحى به من عند الله كما هو الحال فى الكتاب المقدس، وهناك نقطة عملية تعوق مسألة الإتيان بسورة من مثل القرآن، وهى: من ذا الذى سيحكم على هذه المحاولة إن تمت بالفعل...» ولذلك اعتذروا عن إجابة طلبه، فأعاد المراسلة جميع معاهد ومؤسسات الفاتيكان طالباً إجابة التحدى، وعرض أن يكون هو الحكم بين القرآن والفاتيكان، وطلب من الأب «ليو» فى الفاتيكان أن ينقل أى جزء مكون من ١٥ كلمة من الكتاب المقدس ليعارض بها القرآن، فكانت الإجابة مشابهة لإجابة المئات الذين لم يردوا على الطبيب، بل صمت مدقع.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

وكنموذج للإعجاز القرآنى عرض إبراهيم خليل لكلمة «علق» الواردة فى قوله تعالى ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ فلمادة «علق» فى اللغة واحد وثلاثون معنى ذكرها

ابن منظور فى قاموسه «لسان العرب»، وهذه المعانى كما يرى إبراهيم خليل تنطبق جميعاً على الإنسان فقد «وصفت جميع صفات الإنسان التشريحية والفسيولوجية والنفسية والعاطفية والاجتماعية منذ كان جنيناً فى بطن أمه حتى صار رجلاً يحب ويكره...

فالإنسان بحق من علق قد خلقه الله من السائل المنوى (العلوق)، وعلقت بأمه (حملت به)، فأصبح علقة (كدودة حمراء تكون فى الماء تعلق بالبدن وتمتص الدم ثم إذا خرج من بطن أمه احتاج إلى الشراب واللبن والطعام (العليق والعلوق)، ويطلق العلق أيضاً على ما يتبلغ به من العيش.

والإنسان شديد الخصومة محب للجدل (علاقى معلاق) يكره (امرأة علوق) ويحب (علقت منه كل معلق)... إلى آخر تلك المعانى التى فصلت خصائص الإنسان وأطوار حياته الأولى.

وصدق العلماء الذين درسوا إعجاز القرآن حين قالوا: «إن القرآن رغم إيجازه المعجز فى عدد كلماته، بل وفى عدد حروفه إلا أن المعانى التى تجىء بها كل كلمة فيها إرباء وإنماء وزيادة، أى أن كل كلمة تولد، وتعطى من المعانى ما لا حصر له».

ومرة أخرى سارع الطبيب النصرانى إلى مراسلة كليات ومعاهد العالم طالباً منهم أن يأتوا بكلمة بديلة لـ «علق» تقوم مقامها أو تعطى نصف المعانى التى تعطيها كلمة «علق»، ومرة أخرى لا مجيب!!

المحور الخامس: الزعم بأن القرآن أيد المعتقدات المسيحية

وأثار النصارى فى وجه علمائنا شبهة تأييد القرآن لعقائد النصرانية كألوهية المسيح وصلبه والتثليث ومثله قولهم بأن القرآن شهد بسلامة كتب النصارى من التحريف.

وقد تداول النصارى هذه الشبهة قروناً متعاقبة، وقد انبرى للرد عليها علماء الإسلام من قبل القرافى والطوفى وابن تيمية، ولا يزال النصارى حتى يومنا هذا يثيرون هذه الشبهات متأولين ومحرفين لبعض النصوص القرآنية، وقد كان هذا الاتجاه واضحاً فى كثير من الكتابات التى دسها النصارى بين أبناء المسلمين يدعون فيها أن القرآن الكريم قد وافقهم فى هذه المسائل ومن هذه الكتابات «منار الحق»

الذى تبنت نشره الكنيسة المصرية، وكتاب «استحالة تحريف الكتاب المقدس» لوهيب خليل، وأسهم فيه الأنبا شنودة الذى كتب كتابه «القرآن والمسيحية»، ومنها كتاب «الباكورة الشهية فى الروايات الدينية» ولم يذكر اسم مؤلفه، وصدر عن مطبعة النيل المسيحية عام ١٩٢٦ م.

وأصدر الأب إبراهيم لوقا كتابه «المسيحية فى الإسلام» ونيقولا غبريل كتابه «أبحاث المجتهدين فى الخلف بين النصارى والمسلمين» وكتب أسقف آخر من البروتستانت لم يذكر البغدادى اسمه كتاب «الأقاويل القرآنية فى الكتب المسيحية»، وكتب القمص زكريا بطرس رسالته «بين المسيحية والإسلام».

وفى كتابه «أديان العالم» كتب حبيب سعيد مبحثاً عنون له «عقيدة الثالوث فى الإسلام»، وينقل محمد جمعة عن المبشر جون تاكلى قوله: «يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم المسلمين بأن الصحيح فى القرآن غير جديد، وأن الجديد فيه غير صحيح».

ويقول المنصر الإنجليزى برجس: «يجب أن نستخدم القرآن ضد الإسلام نفسه حتى نقضى عليه، وسواء كانت الوسيلة هى الكذب أم الزيف، فالمهم أن نثير فى أنفسهم الشك، وأن نطفئ فى قلوبهم جذوة الإيمان بهذا الكتاب الذى يتفوق فى جاذبيته وتأثيره على أى كتاب مقدس عرفه الناس من قبل».

دعوى تأييد القرآن لألوهية المسيح

وكان أهم المسائل التى تنادى بها النصارى للاستدلال عليها من القرآن ألوهية المسيح، وقد تعلق النصارى بقول الله تعالى عن المسيح ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وقوله لمريم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ يقول البابا شنودة عن لفظى «روح الله وكلمة الله» اللتين وردتا فى حق عيسى: «وأياً كانت النتيجة فإن هذين اللقبين يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره» فالنصارى يفسرون الكلمة بالمفهوم اليونانى القائل بأن الكلمة هى العقل الإلهى الضابط لحركات الموجودات، فمادام المسيح هو كلمة الله أى عقله، فهو أزلى لا ينفصل عن ذاته ولا يتخلف عنه

فى الوجود ابتداء، ويقول القمص إبراهيم لوقا فى رسالته عن التثليث: «إنه لا فرق بين الله وكلمته، كما لا فرق بين الإنسان وكلمته».

وأما روح الله فهى عندهم جزء من ذاته كحال البشر فإذا وصف المسيح بها دل ذلك على ألوهيته.

ويضيف النصارى إلى هذين اللقبين ما جاء فى القرآن من وصف لميلاد المسيح ومعجزاته الباهرة وتلقيبه بالمسيح... يقول البابا شنودة: «لم يقتصر الأمر على كنه المسيح أو طبيعته من حيث هو كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم، وإنما الطريقة التى ولد بها والتى شرحها القرآن فى سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة. زادها غرابة أنه يكلم الناس فى المهد. الأمر الذى لم يحدث لأحد من قبل ولا من بعد»، ثم يتحدث عن معجزات المسيح ويقول «لماذا يختص بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد، والتى هى من عمل الله ذاته».

ويلحظ علماؤنا اجتراء النصارى للنصوص التى أيدوا بها منطقهم، فالآيات التى تحدثت عن المسيح فوصفته بأنه: «روح منه أو كلمة» وردت فى سياق ذم النصارى وتثليثهم لا تأكيد عقائدهم، فالآية من أولها: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ..﴾ فوصفته الآيات أيضاً بأنه رسول الله وأنه عبده.

وعندما تحدث القرآن عن معجزات المسيح تحدث عن أنها وقعت بإذن الله، فأهمل النصارى ما يتناقض وغرضهم، ولما ذكر ميلاد المسيح العجيب ذكر أيضاً ميلاد آدم الذى يشبهه فى بعض الوجوه، وكما تحدث عن أعجوبة كلامه فى المهد، ذكر بأنه قال ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

ومثل هذا الاجتراء على النص القرآنى والانتقاء منه صنعه الحداد الخورى

حين أورد قول الله ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أوردها كدليل على بنوة المسيح لله. وأعرض عن الآية التى تليها فلم يذكرها وهى قوله ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ولا ريب أن هذا الصنيع يدل على عدم دلالة النصوص على ما يرومونه إلا باجتزائها، وهو صنيع مجاف لروح البحث عن الحقيقة واحترام الدليل.

وعند النظر فى تلك الأجزاء التى أوردها النصارى كشف علماؤنا لبس النصارى فى استدلالهم. فبخصوص «الكلمة» فإنه ينبه إلى أن الآيات لم تصف المسيح بالكلمة كما هو الأقنوم الثانى من الثالوث، بل سمته كلمة ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وقال ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾.

وسبب تسمية المسيح «كلمة» جاء لأحد أمور ذكرها المفسرون ونقلها أصحاب الردود الإسلامية.

أ ـ أن المسيح لم يخلق وفق ناموس الطبيعة المعتاد، بل خلق بأمر التكوين الإلهى «كن» فكان، فقد خلق بكلمة الله التى ترجع إليها جميع المخلوقات التى نسبها إلى السبب القريب (الأبوة)، بينما المسيح ليس له سبب قريب فينسب إلى السبب الأصل الذى نشأ عنه وجوده.

فإن اعترض النصارى وقالوا: إذاً لماذا لم يسم آدم أيضاً كلمة من الله؟ فيجيب عبد الرحيم محمد بأن سبب ورود ذلك فى حق المسيح دون آدم أن ميلاد آدم لم يثر تلكم الريبة التى وجدناها فى ميلاد المسيح عندما ولد من غير أب، فقال القائلون: هو ابن الله. وقال آخرون: ابن زنا. وسوى ذلك فاستلزم بيان سبب وجوده، وأنه ليس بذاك ولا ذا، بل هو مخلوق بكلمة الله.

ب ـ أن المقصود بالكلمة البشارة التى بشر الله بها مريم.

ج ـ وذكر السقا بأن المراد بأن المسيح يتكلم بكلام الله، فسمى بذلك كلمة.

ونبه علماؤنا بأن معنى الكلمة بمعنى أنها صفة الله المتولدة عنه أو أقنومه الثانى لم ترد فى القرآن الكريم ولا فى الكتب المقدسة سوى ما جاء فى مقدمة يوحنا.

وتتبع علماؤنا مع التمثيل معانى «الكلمة» فى الكتاب المقدس فوجدوها لا تخرج عن معانى: القول، الوعد، العقيدة، التعليم، الحكم، المخلوق، النظام أو الناموس. وليس فى كتب النصارى إطلاق لفظة الكلمة بمعنى: الإله المتجسد أو صفته المنفصلة عنه، أو المولودة... وقريباً من هذه المعانى استعملت لفظة «الكلمة» فى السياق القرآنى.

وأما قوله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فلفظة (منه) فيه ليست تبعيضية كما قال النصارى، بل هى لابتداء الغاية أى أن المخلوق بدأ من الله، أو هى للبيان أى أن هذه الكلمة من الله، وليست من الشيطان أو من غيره كما يقول اليهود فى المسيح عليه السلام.

وأما قوله ﴿أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ فهو إلقاء مجازى كما يقال: فلان ألقى كلمة أو أمراً، ومثله جاء فى التوراة والإنجيل (انظر الخروج ١٥/ ٤، المزمور ٥٠/ ١٦ - ١٧، مرقس. (١/ ٢١).

ووصف المسيح بأنه روح منه يعنى أن المسيح من روح الله، فـ (من) ليست تبعيضية، بل هى - كما سبق - بيانية أو الابتداء الغاية، كما قيل فى آدم ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وقال تعالى عن سائر المخلوقات ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾.

وكلمة الروح وردت فى القرآن بمعنيين:

الأول: جبريل عليه السلام

والثانى: القوة والتأييد الإلهى

ويرى المطعنى أنه يصح أن يقال بأن المقصود بالروح هو النفخ كما جاء فى شعر ذى الرمة «وأحيها بروحك» أى أشعلها بنفخك. ويرى السقا أنه يصح أن يقال بأن معنى ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾ هو إلهام منه، وكما ورد هذا الاستعمال أيضاً فى مواضع متعددة فى الكتاب المقدس.

وأيا كان معنى الروح فإن عبد السلام محمد يؤكد بأنه حتى النصارى لا يقولون بأن المسيح هو روح القدس.

وينقل عن سعيد الحاوى فى كتابه «البرهان القويم فى إثبات الثلاثة أقانيم» قوله: «الروح القدس المتحد مع الأب والابن أقنوم خاص مميز له عن أقنوميهما، فهو أقنوم ثالث فى اللاهوت».

ويقول ياسين منصور فى رسالته «التثليث والتوحيد» عن الروح القدس: «هو ذات حقيقى وشخص حى وأقنوم متميز لكنه غير منفصل، وهو أقنومية غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن، وهو نظير الأب والابن ومساوٍ لهما».

وزعم البعض من النصارى أن المسيح هو الحمل الفادى الذى ذكره القرآن فى ثنايا قصة الذبيح فى قوله تعالى ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾. ومما لا خلاف فيه عند المفسرين أن الذبح هو كبش فدى الله به إسماعيل.

وبمثل هذا التمحل للنصوص فعلوا عندما فسروا قول الله ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فقد زعم صاحب كتاب «الحق» أن الهدى المراد بالآية هو المسيح.

وما نبه إليه عبد السلام محمد آنفاً يصح فى حق الكاثوليك، ولا يصح فى دفع مذهب الأرثوذكس الذين يرون أن الله هو المسيح وأنه روح القدس.

وأما ميلاد المسيح ومعجزاته ونجاته ورفعه إلى السماء وتخصيصه باسم المسيح، فكل ذلك لا يخرج به عن مقام العبودية التى أوضحها القرآن الكريم بجلاء لا يقبل اللبس، وقد سبق بيان ذلك حتى فى كتب النصارى.

دعوى تأييد القرآن لعقيدة التثليث

وعقيدة التثليث التى لم يجد النصارى دليلاً فى كتبهم المقدسة زعموا أنها موجودة فى القرآن الكريم، واستدل لذلك حبيب سعيد فى كتابه «أديان العالم» بالنصوص التى تذكر الله بصيغة الجمع أى جمع التعظيم كما فى قوله تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾.

واستدل آخرون بصيغة البسملة فاعتبروها صيغة مثلثة. يقول وهيب عزيز خليل فى كتابه «استحالة تحريف الكتاب المقدس»: «البسملة المسيحية كالآتى: بسم

الآب والابن والروح القدس، والبسملة الإسلامية: بسم الله الرحمن الرحيم... وهاتين البسملتين هما صورة طبق الأصل من بعضهما، فالمسيحية تعرف الأقنوم الأول بالأب، بينما الإسلام يعرفه بالله، والمسيحية تعرف الأقنوم الثانى بالابن بينما يصفه الإسلام بالرحمن»... ويزعم الحداد الخورى أن ما جاء فى القرآن من تكفير المثلثة كما فى قوله ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

وقوله ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾، يزعم أن هذه النصوص وردت فى غير ثالوث النصارى، فيقول الحداد: «إن تقرير القرآن بكفر من يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإن الآلهة ثلاثة، وإن الله ثالث ثلاثة، وإن هناك من يتخذ مريم إلهاً مع ابنها، ليس موجهاً لجميع النصارى، وإنما هو لبعض طوائفهم».

وعليه فإن الخورى يرى أن التكفير متوجه إلى اليعاقبة الأرثوذكس أو للقائلين بأن مريم أحد أطراف الثالوث، أما سواهم من أهل التثليث فلا يكفرون.

وفى الإجابة عن هذه الشبهة رأى علماؤنا تمحلاً فى الاستدلال من النصارى لا يقبل، فالبسملة فيها تكرار لصفات الواحد، فالله هو الرحمن، وهو الرحيم، وهو الملك، وهو القدوس... وله جل وعلا تسعة وتسعون اسماً، بل وله أسماء أكثر من ذلك، لكنه ذات واحدة.

وأما ثالوث النصارى فالآب فيه ليس الابن ولا الروح القدس، بل لكل ذاته المستقلة وخصائصه فالابن ابن الآب وليس الأب أباً لنفسه، وقد ربط النصارى بين أطراف الثالوث بالواو العاطفة التى تقتضى المغايرة، فعطفهم إذاً عطف ذوات وليس عطف صفات.

ولو صح مثل هذا السبيل فى الاستدلال لكان قوله ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ دليلاً صحيحاً لمن يقول بثنائية الله، وتكون خواتيم سورة الحشر دليلاً لمن يؤمن بتعدد الآلهة.

وأما تعلق النصارى بالألفاظ التى تحدثت عن الله بصيغة الجمع فهو مردود لأن الجمع فيها جمع تعظيم وليس جمع تعداد، وهو معهود فى كلام الأمم، كما ورد فى القرآن آيات تحدثت عن الله فذكرته بصيغة الإفراد كقوله:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾.

وقد ورد الإفراد والجمع جنباً إلى جنب فى سورة العلق، ففى أولها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وفى آخرها ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

وهذا المعنى اللغوى لا يحتاج إلى كثير علم وفهم لإدراكه.



الخاتمة

وبعد أخلص من كل ما سبق إلى نقاط هامة عدة هى:

١ ـ أن أمة محمد ﷺ خير لا ينضب بتطاول الزمان وانصرام القرون.

٢ ـ المسيحية دين نحله بولس ومن بعده عن الوثنيات القديمة، فاقتبسوا منها عقائد النصرانية المختلفة: تجسد الإله. موت الإله كفارة للخطايا. واختصاص الصليب بهذا الموت. عقيدة الثالوث الموحد. العشاء الربانى...

٣ ـ النصرانية الحقة دين الله الذى أنزله على نبيه عيسى عليه السلام، وهو دين التوحيد الخالص الذى نؤمن به كما نؤمن بالتوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله عز وجل وملؤهما الهدى والنور وهذا الهدى لم تندرس آثاره إلى اليوم من الكتب المقدسة عند النصارى، حيث يظهر التوحيد فيها جليا كالشمس فى رابعة النهار، فى حين لا تكاد هذه الكتب تدل على التثليث إلا بالتحريف والتعسف والتمحل فى الفهم والاستدلال.

٤ ـ الأسفار المقدسة بين يدى النصارى اليوم كتب لا يعلم على وجه التحديد من كاتبها، وهى كتب سيرة وتاريخ لم يزعم كتابها المجهولون أنهم يقدمون من خلالها كلمة الله، وإن زعم النصارى أنها كتبت بإلهام. فإن التأمل بهذه الكتب يكشف زيف هذه الدعوى، ويثبت بشرية هذه الكتب وخلوها عن الوحى وهدى النبوات.

٥ ـ هذه الأسفار المقدسة قدسها البشر ومنحوها فى مجامعهم صفة القدسية والعلوية عبر مجامع عدة رفضت بعض هذه الأسفار، ثم أقرتها، ولا يزال بعضها مرفوضاً إلى يومنا هذا بعد إن كان مجمعاً على قداسته.

٦ ـ الأسفار المقدسة عند النصارى لا تدل على الكثير من معتقدات النصارى، بل هى فى كثير من المسائل تنقض معتقدات القوم وتكشف زيفها وعوارها. ويعود ذلك لصدور هذه العقائد عن فكر بولس المرفوض عند سائر التلاميذ أو عن المجامع المتأخرة التى صاغت العقائد تبعاً للفلسفات المختلفة.

٧ ـ فى الأسفار التى يتناقلها النصارى إثارة من نور الأنبياء تشهد لله بالتوحيد ولنبيه محمد بالرسالة، ولليهود بالفسق والتحريف والتبديل.

٨ ـ صلب المسيح أمر زعم النصارى وقوعه، وادعوا عليه التواتر بين الأمم، وقد أثبت علماؤنا وبعشرات النصوص الكتابية بطلان هذه القصة ونجاة المسيح من الصلب المزعوم.

٩ ـ عقيدة الفداء والخلاص وَهْمٌ آخر تعلق به النصارى من غير ما دليل صريح عن المسيح عليه السلام، وقد أثبت علماؤنا بطلان هذا المعتقد بالأدلة الكتابية والعقلية.

١٠ ـ شبهات النصارى عن الإسلام تنبع من الكذب الفاضح أو التلبيس الخادع أو الجهل المطبق بطبيعة وأصول هذا الدين.

١١ ـ جهود علماء القرن الرابع عشر خلاصة مباركة استثمرت جهود السابقين، وأضافت عليها من المعطيات الجديدة ما أثرى الجدل الإسلامى النصرانى فى هذا القرن.

١٢ ـ الدافع الذى دفع علماءنا لخوض الجدل مع النصارى إيمانهم بواجب البيان والتبليغ، وإدراكهم للخطر الذى تشكله المؤسسات الاستعمارية النصرانية والهجمة التبشيرية الشرسة على بلاد المسلمين المختلفة.

١٣ ـ جهود علمائنا المباركة تركزت فى فَنَّىِ التأليف والمناظرة، وقد أبدى علماؤنا فى كل من الفَنَّيْن ما يليق بمن يحمل سلطان العلم والحق والدليل.

والله ولى كل خير ويهدى إلى كل بر وهو وحده المستعان.



شبهات النصارى حول القرآن الكريم والرد عليها

أولاً: الرد على الأخطاء اللغوية فى القرآن الكريم

يتهجم المنصرون والمستشرقون وجهلة اللغة العربية على بعض الصور النحوية أو البلاغية التى لا يفهمونها فى القرآن الكريم، سواء أكان هذا عن عمد أم عن جهل، فهو نفس حال الذى يريد أن يخبئ نور الشمس بمنديل يمسكه فى يده.

١ ـ قوله: جعل الضمير العائد على المفرد جمعاً

البقرة: ١٧ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

فلماذا لم يجعل الضمير العائد على المفرد مفرداً فيقول: «ذهب الله بنوره» وليس ذهب الله بنورهم؟

الإجابة:

١ ـ قوله: جعل الضمير العائد على المفرد جمع خطأ، والصواب جعل الضمير العائد على المفرد جمعاً . (منصوب لأنه مفعول)

٢ ـ يحسن أن نتبين معانى الكلمات ونفهم مقاصد الآيات فالإعراب فرع عن المعنى.

٣ ـ اعلم أن (الذى) اسم ناقص يعبر به عن الواحد والجمع[1].

٤ ـ قوله تعالى ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ الباء معدية للفعل كتعدية الهمزة له، والتقدير (أذْهبَ الله نورَهم) وقد تأتى الباء للحال كقولك: ذهبتُ بزيدٍ، أى ذهبت ومعى زيد.. (تركهم) بمعنى صيرهم، يتعدى إلى مفعولين، ليس بمعنى الإهمال.

---

(١) التبيان فى إعراب القرآن: الشهير (بإملاء ما مَنَّ به الرحمن) تأليف أبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ج ٢ ص ٧٥٠.

٥ ـ قلنا إن (الذى) فى لغة العرب يقع للواحد وللجمع، قال الشاعر[١]:

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كلُّ القوم يا أم خالد

٦ ـ قال العلماء: (كالذى استوقد ناراً...) حمل أول الكلام على الواحد وآخره على الجمع، وقيل وحد (الذى) و (استوقد) لأن المستوقد واحد من جماعة تولى الإيقاد لهم، فلما ذهب الضوء رجع عليهم جميعاً[٢].

٧ ـ هذا ولابن عاشور كلام فى غاية الجمال، إذ يقول: «جمع الضمير فى قوله (بنورهم) مع كونه بلصق الضمير المفرد فى قو ، (ما حوله) مراعاة للحال المشبه وهى حال المنافقين لا للحال المشبه بها وهى حال المستوقد الواحد، على وجه بديع فى الرجوع إلى الغرض الأصلى.. إلى أن قال: فهذا إيجاز بديع، وكأنه قيل، فلما أضاءت ذهب الله بناره فكذلك يذهب الله بنورهم، وهى أسلوب لا عهد للعرب بمثله، فهو من أساليب الإعجاز[٣].

٢ ـ قوله: أتى بجمع كثرة حيث أريد القلة

● البقرة: ٨٠ ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾. لماذا لم يجمعها جمع قلة حيث إنهم أرادوا جمع قلة فيقول «أياما معدودات وليس أياما معدودة».

الإجابة:

١ ـ (المعدودة)، المحصورة القليلة، وكنى بالمعدودة عن القليلة لما أن الأعراب لعدم علمهم بالحساب وقوانينه تصور القليل متيسر العدد، والكثير متعسره، فقالوا: شىء معدود، أى قليل وغير معدود، أى كثير[٤].

٢ ـ قال ابن عاشور: إنما جمع قلة هنا لأن المراد بالمعدود الذى يعده الناس إذا رأوه أو تحدثوا عنه[٥].

(١) هو، الأشهب بن زميلة النهشلى، يرثى قوماً قتلوا فى مكان يقال له فلج، موقع بين البصرة ومكة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبى: ج ١ ص ٢١٢.

(٣) التحرير والتنوير ـ ابن عاشور: ج ١ ص ٣٠٨.

(٤) روح المعانى: الآلوسى: ج ١ ص ٤٦٩.

(٥) التحرير والتنوير: ابن عاشور: ج ١ ص ٥٠٨.

٣ ـ وقيل جمعها قلة إشارة إلى أنهم هم الذين يقللونها غروراً أو تغريراً.

٣ ـ قوله: نصب الفاعل

● **البقرة: ١٢٤ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. لماذا لم يرفع الفاعل فيقول «لا ينال عهدى الظالمون وليس الظالمين».**

الإجابة:

١ ـ الوجه الصحيح لإعراب الآية الكريمة هو:

قال: فعل ماض مبنى على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ويرجع إلى رب العزة سبحانه.

لا: نافية

ينال: فعل مضارع مرفوع بضمة ظاهرة على آخره

عهد: فاعل مرفوع

الياء: مضاف إليه

الظالمين: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم[(١)].

٢ ـ «وقد قُرِئَت (لا ينال عهدى الظالمون) والمعنى فى الرفع والنصب واحد، لأن النَّيْلَ مشتمل على العهد وعلى الظالمين إلا أنه منفى عنه، والقراءة الجيدة هى على نصب الظالمين».

٤ ـ قوله: أتى باسم الفاعل بدل المصدر

● **البقرة: ١٧٧ ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾. فلماذا قال: ولكن البر من آمن بالله؟ أليس فى هذا خطأ فى التركيب، والأصوب أن يقول: ولكن البر أن تؤمنوا بالله؟ لأن البر هو الإيمان لا المؤمن.**

---

(١) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه: تصنيف محمود صافى ج ١ ص ٢١٥.

الإجابة:

أولاً: سنتجاوز عن سفاهته وسوء أدبه مع الله عز وجل، فليس بعد الكفر ذنب.. ونعلمه أن القرآن الكريم بحر زاخر لا قِبَل له ولا لأمثاله بالخوض فيه ناهيك عن الغوص فى أعماقه.

ثانياً: كلمة (آمن) فعل ماضٍ وليس اسم فاعل كما زعم هذا المفترى، إنما اسم الفاعل من هذه المادة (مؤمن).

ثالثاً: قال العلماء البر اسم جامع لمعانى الخير.. والتقدير (ولكن البرَّ برَّ مَنْ آمن) فحذف المضاف، وقد قال النحويون «يجوز أن يُحذَف ما علم من مضاف أو مضاف إليه»[1]. فإن كان المحذوف المضاف، فالغالب أن يخلفه فى إعرابه المضاف إليه نحو (وجاء ربك) أى أمر ربك..»[2].

ومن ذلك قول الخنساء: (فإنما هى إقبال وإدبار)، أى ذات إقبال وإدبار، وقال النابغة:

وكيف تواصل من أضحت   خلالته كأبى مرحب

أى كخلالة أبى مرحب، وأبو مرحب كنية الظل عند العرب[3].

رابعاً: (البر) فى أول الآية قرئ بالرفع وقرئ بالنصب، فمن رفع جعله اسم ليس ومن نصب جعله خبرها، وذلك أن ليس وأخواتها إذا جاء بعدها معرفتان كنت مخيراً فيهما، وإذا جاء بعدها معرفة ونكرة، كان الاختيار أن تجعل المعرفة الاسم والنكرة الخبر[4].

٥ ـ قوله: نصب المعطوف على المرفوع

● البقرة: ١٧٧ ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾.

فلماذا لم يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: الموفون بعهدهم إذا عاهدوا

---

(١) راجع معانى القرآن وإعرابه للزجاج: ج ١ ص ٢٠٥.

(١) أوضح المسالك لابن هشام: ج ٣ ص ١٤٩.   (٢) المرجع السابق ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ـ القرطبى: ج ٢ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٤) الحجة فى القراءات السبع: ابن خالويه ص ٩٢.

والصابرون وليس الصابرين؟

الإجابة:

قال علماء العربية الفراء والأخفش - (الموفون) معطوفة على (مَن) لأن مَن هنا اسم موصول يفيد الجمع فى محل رفع، كأنه قال: (لكن البر المؤمنون الموفون).

و (الصابرين) نصب على المدح، فالعرب تنصب على المدح وعلى الذم كأنهم يريدون بذلك إفراد الممدوح أو المذموم.

أما المدح كما فى قوله (والمقيمين الصلاة)[1]، فسيأتى إن شاء الله.

٦ - قوله: أتى بجمع قلة حيث أريد الكثرة

● **البقرة: ١٨٣ - ١٨٤** ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ **فلماذا لم يقل: أياماً معدودة وليس معدودات؟**

الإجابة:

١ - المراد بالأيام فى قوله تعالى:﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ شهر رمضان عند جمهور المفسرين، وإنما عبر عن شهر رمضان بـ (أيام) وهى جمع قلة ووصف، (معدودات) وهى جمع قلة أيضاً تهويناً لأمره على المكلفين، و (المعدودات) كناية عن القلة لأن الشىء القليل يعد عدًّا[2].

٢ - قال العلماء: كل (معدودات) فى القرآن الكريم أو (معدودة) دون الأربعين ولا يقال ذلك لما زاد[3].

٧ - قوله: حذف جواب الشرط فى القرآن

● **البقرة: ٢٢٧** ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **. والتقدير إن عزموا الطلاق فلا تؤذوهم فإن الله يسمع أقوالهم ويعلم أفعالهم.**

الإجابة:

١ - أما الإعراب فـ (إنْ) حرف شرط جازم (عزموا) فعل ماضٍ مبنى على

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم: ج ٢ ص ٢٤٠.

(٢) التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج ٢ ص ١٦١. (٣) روح المعانى - الآلوسى - ج ٢ ص ٨٦.

الضم فى محل جزم فعل الشرط و(الواو) فاعل، (الطلاق) مفعول به منصوب، (الفاء) رابطة لجواب الشرط (إنّ) حرف مشبه بالفعل للتوكيد (الله) لفظ الجلالة اسم منصوب (سميع) خبر إن مرفوع (عليم) خبر ثان مرفوع، وجملة (عزموا الطلاق) لا محل لها معطوفة على جملة (فإن فاءوا) فى الآية السابقة[1].

٢ ـ وهذا من البلاغة حيث التعبير عن المقصود بكلمات قليلة دون إخلال بالمعنى، فالبلاغة فى الإيجاز، يقول ابن هشام «ويجوز حذف ما علم من شرط... ما علم من جواب»[2].

٨ ـ قوله: وضع الفعل المضارع بدل الفعل الماضى

● **آل عمران: ٥٩** ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ **فلماذا قال: (كن فيكون) ولم يعتبر المقام الذى يقتضى صيغة الماضى لا المضارع فيقول: خلقه من تراب ثم قال له كن فكان؟**

الإجابة:

١ ـ هذا الأسلوب شائع عند من له إلمام بالعربية، فالمستقبل يكون فى موضع الماضى إذا عُرف المعنى[3].

٢ ـ قوله تعالى (كن) تعبير عن تعلق القدرة بتكوينه حيا ذا روح، ليعلم السامع أن التكوين ليس بصنع يد ولا نحت آلة، ولكن بإرادة وتعلق قدرة. و (كن) فى محل نصب مقول القول، وجملة يكون فى محل رفع خبر لمبتدأ محذوف وتقديره هو.

٣ ـ وإنما قال (فيكون) ولم يقل فكان لاستحضار صورة تكوينه[4].

---

(١) الجدول فى إعراب القرآن الكريم وصرفه ج ٢ ص ٣٩١.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ـ ج ٤ ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى ج ٤ ص ١٠٣.

(٤) التحرير والتنوير ـ ابن عاشور ـ ج ٣ ص ٢٦٣.

٩ ـ قوله: نصب المعطوف على المرفوع

● **النساء: ١٦٢** ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾ **فلماذا لم يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: ولكن الراسخون.. المؤمنون.. والمقيمون الصلاة وليس المقيمين الصلاة؟**

الإجابة:

١ ـ تبدأ الآية الكريمة بقوله تعالى (لكن الراسخون) وليس (ولكن الراسخون) فأضاف (و) للآية وليست منها!!

٢ ـ قراءة الجمهور (والمقيمين) منصوب على المدح، أى وأعنى المقيمين، وهو مذهب البصريين فى النحو[١].

٣ ـ قال سيبويه: هذا باب ما ينصب على التعظيم مستشهداً بقول الشاعر[٢].

وكلُّ قومٍ أطاعوا أمرَ مرشدِهم
إلا نميرا أطاعتْ أمرَ غاويها
الظاعنين ولما يظعنوا أحدا
القائلون لمن دار نخليها

وقالت امرأة تصف قومها[٣]:

لا يبعد قومى الذين هُمُ
سُمُّ العداةِ وآفة الجُزُرِ

---

(١) التبيان فى إعراب القرآن: ج ١ ص ٤٠٧.

(٢) هو ابن الخياط: قوله (الظاعنين ولما يظعنوا أحداً أى يخافون من عدوهم لقتلهم وذلهم فيظعنون أى يرحلون، وقوله (لمن دار تخليها) أى إذا راحلوا عن دار لم يعرفوا من يسكنها بعدهم لخوفهم من جميع القبائل.

(٣) هى خرنق بنت عفان، من بنى قيس، تصف قومها بالشجاعة والظهور على العدو، وتصفهم بالكرم، ونحر الجزور للأضياف، كما تصفهم بالعفة والطهارة والبعد عن الفاحشة، انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى ج ٦ ص ١٤.

النازلين بكلّ معترك

والطيبون معاقد الأزرِ

١٠ ـ قوله: رفع المعطوف على المنصوب

● **المائدة: ٦٩ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾. لماذا لم ينصب المعطوف على اسم إن فيقول: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين وليس والصابئون؟**

الإجابة:

١ ـ هذه هى بلاغة القرآن، وهذه هو إعجازه، وهذه هى لغة العرب، وإن بدت لك غريبة.

٢ ـ قال سيبويه: إنَّ النية به تأخير بعد خبر إنّ وتقديره (ولا هم يحزنون والصابئون كذلك).. فهو مبتدأ والخبر محذوف، مثله قول الشاعر.

فمنْ يكُ أمسَى بالمدينةِ رحلَه

فإنى وقيار بها لغريب

والمعنى فإنى لغريب وقيار كذلك.

٢ ـ يقول النحويون: «وربما كان المضاف مؤنثاً فاكتسب التذكير من المضاف إليه كقوله تعالى (إن رحمت الله قريب من المحسنين). فرحمة مؤنث واكتسبت التذكير بإضافتها إلى (الله تعالى)[١].

٣ ـ قال العلماء: «لم تؤنث (قريب) لأنه أراد بالرحمة المطر أو الثواب فعاد النعت عليه.. وقيل هو النسب، أى ذات قرب، كما يقال: امرأة طالق، وليس طالقة[٢].

---

(١) شرح ابن عقيل ٢/ ٥٠ ـ ٥١، وأوضح المسالك ٣/ ٩١ ـ ٩٦.

(٢) الجدول فى إعراب القرآن: ج ٨ ص ٣٥٣ والجامع لأحكام القرآن الكريم ج ٧ ص ٢٢٦.

١١ ـ قوله: تذكير خبر الاسم المؤنث

• الأعراف: ٥٦ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. لماذا لم يتبع خبر إن اسمها فى التأنيث فيقول إن رحمة الله قريبة وليس إن رحمة الله قريب؟

الإجابة:

١ ـ فائدة: كتبت كلمة (رحمت) فى هذه الآية الكريمة بالتاء المفتوحة فى المصحف الشريف، وليس بتاء التأنيث المربوطة (رحمة) كما وردت فى الورقة، وذلك مفيد فى حالة الوقف عليها عند من له إلمام بقراءة القرآن(١).

٢ ـ يقول النحويون: «وربما كان المضاف مؤنثاً فاكتسب التذكير من المضاف إليه كقوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. فرحمة مؤنث واكتسبت التذكير بإضافتها إلى (الله تعالى).

٤ ـ قال العلماء: «لم تؤنث (قريب) لأنه أراد بالرحمة المطر أو الثواب فعاد النعت عليه.. وقيل هو النسب، أى ذات قرب، كما يقال: امرأة طالق، وليس طالقة.

---

(١) وردت كلمة (رحمت) مرسومة بتاء مفتوحة فى سبعة مواضع فى القرآن الكريم ويوقف عليها بالتاء وهذه المواضع هى:

١ ـ ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ **(البقرة: ٢١٨)**.

٢ ـ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ **(الأعراف: ٥٦)**.

٣ ـ ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ **(هود: ٧٣)**.

٤ ـ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ **(مريم: ٢)**.

٥ ـ ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ **(الروم: ٥٠)**.

٦ ـ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ **(الزخرف: ٣٢)**.

٧ ـ ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ **(الزخرف: ٣٢)**.

١٢ ـ قوله: تأنيث العدد وجمع المعدود

● الأعراف: ١٦٠ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾. لماذا لم يذكّر العدد ويأتى بمفرد المعدود فيقول: اثنى عشر سبطاً وليس اثنتى عشرة أسباطاً؟

الإجابة:

(أسباطاً) أى الجماعات، وهى كالقبائل فى العرب، جمع، مؤنث والتقدير (اثنتى عشرة أمة). فأنّث لفظ عشرة لأن المحذوف مؤنث تقديره (أمَّة أو فرقة)(١).

١٣ ـ قوله: حذف جواب الشرط فى القرآن

● الأنفال: ٣٨ ﴿وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾. فجواب الشرط محذوف وتقديره: وإن يعودوا فليحذروا أن يصيبهم ما أصاب الآخرين.

الإجابة:

جملة (إن يعودوا) فى محل نصب معطوفة على جملة إن ينتهوا، وجملة (فقد مضت سنة الأولين) لا محل لها تعليل لجواب الشرط المقدر (أى إن يعودوا ننتقم منهم لأنه قد مضت سنة الأولين). ويجوز عند النحويين جعل الجملة جواباً للشرط فى محل جزم(٢).

١٤ ـ قوله: أتى بضمير المفرد العائد على المثنى

● التوبة: ٦٢ ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾. فلماذا لم يثنى الضمير العائد على الاثنين فيقول: والله ورسوله أحق أن يرضوهما وليس يرضوه؟

الإجابة:

١ ـ قوله: (لم يثنى) بإثبات الياء فى آخر الفعل بعد الجازم خطأ، والصواب حذف الياء (حرف العلة) هكذا (لم يُثَنِّ).

والعجيب أن إنسانا بهذا الضعف فى اللغة يعترض على فصاحة القرآن وإعجازه البيانى. وكان الأولى إهماله، لولا احتمال أن يفتن بعض المبتدئين أو قليلى

---

(١) الجدول فى إعراب القرآن ج ٩ ص ٨٩.

(٢) الجدول فى إعراب القرآن: ج ٩ ص ١٩١.

المعرفة بالعربية.

٢ ـ (والله ورسوله أحق أن يرضوه) مبتدأ وخبر.. وذهب سيبويه أن التقدير (والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه)، ثم حذف للإيجاز، كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما

عندَك راضٍ والرأيُ مختلفٌ(١)

٣ ـ أفرد الضمير لأنه أراد عود الضمير على أول الاسمين، واعتبار العطف من عطف الجمل، بتقدير (والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك).

١٥ ـ قوله: لماذا لم يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمع

● التوبة: ٦٩ ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾. لماذا لم يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمع فيقول «وخضتم كالذين خاضوا وليس وخضتم كالذى خاضوا»؟

الإجابة:

قال العلماء: إن الكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف أى وخضتم خوضاً كالذين خاضوا، و (الذى) اسم ناقص يُعبّر به عن الواحد والجمع(٢).

١٦ ـ قوله: الالتفات من المخاطب إلى الغائب قبل إتمام المعنى

● يونس: ٢٢ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾. فلماذا التفت عن المخاطب إلى الغائب قبل إتمام المعنى وكان الواجب أن يصير على خطاب المخاطب؟

الإجابة:

أولاً: قرأ الآية الكريمة وكتبها خطأ فتغير المعنى، كتب (صيركم) بالصاد وفى الماضى!! والصواب (يُسيِّركم) بالسين وفى المستقبل، ولا شك أن هناك فرقاً بالمعنى، فظن هذا الجاهل أن المعنى مختل، ولو أضفنا إلى خطئه خطأ آخر حيث كتب

---

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٢٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٩٣ والتقدير فى بيت الشعر نحن بما عندنا راضون.

(١) التبيان ج ٢ ص ٦٥٠ وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٠١.

(جرين) بمد الجيم (جارين) وكتب (جاءتهم) والصواب (جاءتها) دل ذلك على عدم استقامة لسانه وعدم فهمه لمرامى الآيات ومعانيها.

ثانياً: (يسيِّر) مضارع مرفوع و (كم) ضمير مفعول به والفاعل مستتر تقديره هو (فى البر) جار ومجرور متعلق بـ (يُسير)(١).

ثالثاً: (الالتفات) من المخاطب إلى الغيبة والعكس أسلوب من أساليب البلاغة فى اللغة العربية فلو قال: (وجرين بكم) لكان موافقاً (لكنتم)، وكذلك (فرحوا) وما بعده(٢).

١٧ ـ قوله: نصب المضاف إليه

● **هود: ١٠ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾.**
فلماذا لم يجر المضاف إليه فيقول، ضراءٍ وليس ضراءَ؟

الإجابة:

ضراء: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة منع من التنوين لأنه منته بألف التأنيث الممدودة مثل نعماء قبلها(٣).

يقول ابن مالك:

لألف التـــأنيث مطلقـــاً منع

صـرف الذى حـواه كيـفـمـا وقع

يقول ابن عقيل شارحاً «فيمنع ما فيه ألف التأنيث من الصرف مطلقاً، أى سواه كانت الألف مقصورة كـ (حُبْلَى) أو ممدودة كـ (حمراء)(٤). وبالطبع فإن (نعماء) و (ضراء) منتهيان بالألف الممدودة المانعة من الصرف.

(١) الجدول فى إعراب القرآن: ج ١١ ص ٨٤.
(٢) التبيان: ج ٢ ص ٦٦٩.
(٣) الجدول فى إعراب القرآن الكريم ج ١٢ ص ٢٠٠.
(٤) شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ٣٢٢.

١٨ ـ قوله: لم يأتى بجواب لما:

● يوسف: ١٥ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾. أين جواب لما؟ أليس مثلاً لو حذفنا الواو فى وأوحينا لاستقام المعنى ولو قليلاً؟

الإجابة:

أولاً: هكذا استهل حديثه بإثبات حرف علة فى (يأتى) بعد الجزم فقال: (لم يأتى) والصواب (لم يأتِ) بحذف حرف العلة.

ثانياً: أسقط (به) من الآية فقال (فلما ذهبوا وأجمعوا) والصحيح (فلما ذهبوا به وأجمعوا..).

ثالثاً: كتب (غيابة) بالتاء المربوطة والصواب (غيابت) كما رُسِمَت فى المصحف بالتاء المفتوحة، وهذا مفيد فى معرفة كيفية الوقف عليها كما أسلفنا. وإن صح كتابتها إملائيا بالتاء المربوطة.

رابعاً: جواب لما الذى تبحث عنه محذوف تقديره (وعرَّفناه أو نحوه) دل عليه قوله (أن يجعلوه فى غيابت الجب)..[١] وإن شئت فابحث عنه عند الكوفيين فعندهم جواب (لما) (أوحينا) والواو زائدة، لأنها عندهم ـ تقحم مع (لما، حتى) ومنها قول الشاعر[٢].

فلما أَجَزْنا ساحةَ الحيِّ وانتحى

بنا بطنُ خبتٍ ذى حقافٍ عقنقل

فالمعنى إذاً لا يمكن إلا أن يكون مستقيماً، لكن العقول هى المريضة والقلوب ميتة نسأل الله السلامة والنجاة.

---

(١) التبيان ج ٢ ص ٧٢٥.

(٢) الشاعر الجاهلى المعروف اسمه جندح ولقبه امرؤ القيس، أى رجل الشدة وهو أصغر أبناء حجر ابن الحارث الكندى، ملك على بن أسد توفى عام ٥٤٠ م. قوله أجزنا ساحة الحى: أى جاوزنا مكان القبيلة، واعتمدنا مكاناً مطمئناً حوله أماكن مرتفعة. والخبت أرض مطمئنة، والحقاف ما ارتفع من الأرض، والعقنقل الرمل المنعقد المتلبد. والشاهد فيه أن (الواو) عند الكوفيين مقحمة بعد لما.

١٩ ـ قوله: حذف جواب الشرط فى القرآن

• الكهف: ١٠٩ ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ جواب الشرط محذوف وتقديره (ولو جئنا بمثله مددا لنفد).

الإجابة:

ـ ولو جئنا (أى بما لنا من العظمة التى لا تكون لغيرنا) بمثل البحر يُكتب منه لنفد أيضاً.. وهو كناية عن عدم نفاد كلمات الله عز وجل.. وقالوا: لعله عبَّر بجمع السلامة إشارة إلى أن قايلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه[١].

ـ تقرأ الآية من أولها ليُفهَم المعنى.

٢٠ ـ قوله: رفع اسم إنَّ

• طه: ٦٣ ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾. لماذا لم ينصب اسم إن فيقول إن هذين لساحران، وليس هذان؟

الإجابة:

أولاً: قرأ ابن كثير وعاصم من رواية حفص بالتخفيف (إنْ) وابن كثير يُشددٌ النون (هذان)، وهذه القراءة من القراءات السبع المتواترة، موافقة لخط المصحف وموافقة للإعراب.. وعليها يكون المعنى ما هذان إلا ساحران[٢].

فلو كانت النية سليمة لكفته هذه القراءة، ولكنها النية الخبيثة التى تبحث عن الثغرات والهنات لتشكك المسلمين فى دينهم، لكن هيهات أن تجد فى كتاب الله ثغرة أو هنة، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٣].

ثانياً: قرأ المدنيون والكوفيون (إنَّ هذان) وهذه القراءة هى التى ظن صاحبنا أنه لا وجه لها فى العربية ولو رجع إلى بعض المصادر لعلم أن للعلماء فيها أقوالاً: منها أن هذه لغة من لغات العرب، يقول الشيخ محيى الدين فى تعليقه على شرح ابن عقيل: «هذه لغة كنانة وبنى الحارث بن كعب وبنى عنبر... إلخ خرج عليه قوله

---

(١) نظم الدر ـ برهان الدين البقاعى: ج ١٢ ص ١٥١.

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم: ج ١١ ص ٢١٦. (٢) فصلت: ٤٢.

تعالى: (إن هذان لساحران) وقوله ﷺ: (لا وتران فى ليلة)[1]. فبعض قبائل العرب تجعل رفع المثنى ونصبه وخفضه بالألف، يقولون: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان[2].

قال شاعرهم[3]:

تزوَّد منا بينَ أُذناه ضــــربةً دعتْه إلى هابى الترابِ عقيم

ومن ذلك أيضاً إلزام الأسماء الخمسة (الألف) فى حالاتها الإعرابية الثلاث وفى ذلك يقول الشاعر[4]:

إنَّ أبَـاهـا وأبَـا أبَـاهـا

قـد بَلَغَـا فى المجـدِ غَـايَتَـاها

حكاه أبو زيد الأنصارى، ووافقه على ذلك جهابذة العربية الأخفش والكسائى، والفراء كلهم يقول إنها لغة الحارث بن كعب[5].

ثالثاً: قرأ أبو عمرو (إنَّ هذين لساحران) قراءة متواترة موافقة للإعراب.. فلماذا الطعن والتشكيك فى كلام الله؟

رابعاً: هناك أوجه أخرى منها أن (إنَّ المشددة تأتى بمعنى (نعم) فى كثير من كلام العرب فيكون المعنى (نعم هذان لساحران) قاله المبرد قال الشاعر[6].

بكر العواذلُ فى الصباح يلمننى وأُلومَهُنَّه

ويقلن شيبٌ قد علاك وقد كبرتَ فقلتُ إنَّهْ

---

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) التبيان فى إعراب القرآن ج ٢ ص ٨٩٤ وانظر الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ٢١٦ وما بعدها، وراجع الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص ٢٤٢.

(٣) هو هوبر الحارثى: وهابى التراب: ما رق منه وارتفع.

(٤) ينسب إلى أبى النجم: الفضل قدامة العجلى، وقيل قائله رؤبة بن العجاج: وغايتاها مفعول به، والمراد بها، غاية فى المجد وغاية فى الحسب.

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم ج ١١ ص ٢١٧.

(٦) ينسب البيت إلى: عبد الله بن قيس الرقيات.

والشاهد فقل إنَّهْ، أى نعم.

٢١ ـ قوله: أتى بضمير فاعل مع وجود الفاعل

● الأنبياء: ٣ ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فلماذا لم يقل «وأصروا لوجود الفاعل ظاهراً وهو الذين؟

الإجابة:

أولاً: كتب (وأسروا) ثلاث مرات بالصاد (وأصروا) وفرق كبير بين الإسرار والإصرار.. ففى القرآن الكريم (وأسروا) وليس (وأصروا).

ثانياً: الواو فى (وأسروا) علامة جمع لا محل لها من الإعراب أما الفاعل فهو (الذين) فى محل رفع بدلاً من الضمير(١). وهذا أحد أوجه كثيرة لإعراب هذه الآية الكريمة.

ثالثاً: قيل هذه لغة طئ وقيل منسوبة إلى أزد شنوءة وقد أورد ابن هشام فى أوضح المسالك عدداً من الشواهد النحوية الممثلة لهذه اللغة(٢).

هذا ويجوز جعل الواو للجماعة فى (وأسروا) فاعلاً وإعراب كلمة (الذين) بدلاً من الواو، ولكن الصحيح أن الواو حرف دال على الجمع ولا محل له من الإعراب كما تدل تاء التأنيث على التأنيث(٣).

٢٢ ـ قوله: جمع الضمير العائد على المثنى

● الحج: ١٩ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. فلماذا لم يثنى، الضمير العائد على المثنى فيقول هذان خصمان اختصما فى ربهما وليس هذان خصمان اختصموا فى ربهم؟

الإجابة:

أولاً: قال لماذا لم (يثنى) بإثبات حرف العلة بعد الجازم وهو خطأ وكان ينبغى أن يقول (لماذا لم يثن) بحذف حرف العلة.

---

(١) التبيان: ج ٢ ص ٩١١. وانظر الجدول فى إعراب القرآن ج ١٧ ص ٤.

(٢) أوضح المسالك: ج ٢ ص ٨٩ ـ ٩٦. (٣) شرح ابن عقيل: ج ١ ص ٤٦٨.

ثانياً: إنما جمع (اختصموا) حملاً على المعنى، لأن كل خصم فريق فيه عدد من الأشخاص[1].

ثالثاً: يتضح ذلك بمعرفة سبب نزول الآية الكريمة، فقد روى مسلم فى صحيحة عن قيس بن عباد[2].

قال: (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) إنما نزلت فى الذين برزوا يوم بدر، حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث ﷺ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة[3].

٢٣ ـ قوله: جمع اسم علم حيث يجب إفراده

● الصافات: ١٢٤ ـ ١٣٢ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .. سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ.. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ **فلماذا قال إلياسين.. بالجمع عن إلياس المفرد، أليس من الخطأ تغير اسم العلم حبا فى السجع المتكلف؟**

الإجابة:

أولاً: هكذا أورد النص القرآنى (،، إنه من عبادنا المؤمنون) بالرفع والصواب (إنه من عبادنا المؤمنين) ولا أدرى من أين له ذلك وهو الذى يتطاول على القرآن الكريم.

ثانياً: قال النحويون: (إن الأصل فى (آل) (أهل) أن الهاء قلبت همزة ومدت.. وقالوا (آل ياسين) على صيغة الجمع لأنه أراد به اسم النبى وضم إليه من تابعيه[4].

ثالثاً: قرئ بالقصر وسكون اللام وكسر الهمزة والتقدير إلياسين وأحدهم إلياسىّ ثم خفف الجمع، كما قالوا الأشعرون[5].

---

(١) التبيان: ج ٢ ص ٩٣٧.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ٥٣٦٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ج ١٢ ص ٢٥.

(٤) الحجة فى القراءات السبع ـ ابن خالويه ص ٣٠٣.

(٥) التبيان: ج ٢ ص ١٠٩٣.

٢٤ ـ قوله: تذكير خبر الاسم المؤنث

● **الشورى: ١٧ ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فلماذا لم يتبع خبر لعل اسمها فيقول: «لعل الساعة قريبة وليس لعل الساعة قريب»؟**

الإجابة:

أولاً: كتبت (الشورة) بتاء التأنيث المربوطة، وليس كذلك إنما هى (الشورى) بالألف المقصورة.

ثانياً: يجوز تذكير (قريب) على معنى الزمان أو البعث أو النسب.

ثالثاً: لم تؤنث (قريب) لأنها تأنيث غير حقيقى كالوقت قال الزَّجَّاج: المعنى، لعل البعث قريب أو لعل مجئ الساعة قريب.

رابعاً: قال الكسائى (قريب) نعت يُنعت به المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد، قال تعالى (إن رحمت الله قريب من المحسنين)(١).

وقال الشاعر:

وكُنا قـريبـاً والديارُ بعـيـدةٌ

فلما وصلْنا نصبَ أعينِهم غبْنَا(٢)



(١) راجع تعليق سابق.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم: ج ١٦ ص ١٥.

٢٥ ـ قوله: أتى بتركيب يؤدى إلى اضطراب فى المعنى

● الفتح: ٨ ـ ٩ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾، **على من يعود وتعذروه وتوقروه وتسبحوه؟ على الله أم على رسوله فإن كان قوله تعذروه وتوقروه وتسبحوه عائداً على رسول الله يكون هذا كفر لأن التسبيح هو لله وحده، وإن كان عائداً على الله فيكون هذا أيضاً كفراً لأن الله لا يحتاج لمن يعذره ويقويه بل هو الذى يقوى كل البشر ولا يحتاج لتقويتهم.**

الإجابة:

١ ـ حاشا أن يكون فى كلام الله اضطراب فقد وصفه مُنَزِّلُهُ تعالى بكونه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[1]. والاضطراب إنما هو فى أذهان المخذولين والجهلاء، فهذا الذى يصدر الأحكام جزافاً على القرآن الكريم لا يُحسن فهم معانى القرآن، ولا يحسن حتى الإملاء.. انظر إليه كيف كتب (تعذروه) كل مرة بالذال والصواب (تعزروه) بالزاى، وفرق كبير فى المعنى بينهما.

٢ ـ الآية الكريمة مستقيمة كاملة المعنى ـ وما ينبغى أن تكون غير ذلك قال القرطبى فى تفسيره فـ (الهاء) فى التعزير والتوقير عائد على النبى ﷺ بمعنى (تعزروه) أى تعظموه وتفخموه (وتوقروه)، تسودوه وتعظموه، وهنا وقف تام، ثم تبتدئ (وتسبحوه بكرة وأصيلا) أى تسبحوا الله صباح ومساء[2].

٣ ـ وقال بعض العلماء: إن الضمائر كلها عائدة على الله عز وجل، وعلى هذا يكون المعنى (تعززوه وتوقروه) أى تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا أن يكون له ولد أو شريك[3].

---

(١) الزمر: ٢٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق: ج ١٦ ص ٢٦٦.

٢٦ ـ قوله: حذف جواب الشرط فى القرآن

● الفتح: ٢٥ ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ﴾. وجواب الشرط محذوف وتقديره (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لسلطكم على أهل مكة).

الإجابة:

١ ـ (لم تعلموهم) نعت لـ (رجال، ونساء) وجواب (لولا) محذوف، يقول ابن عقيل: «يجوز حذف جواب الشرط والاستغناء بالشرط عنه وذلك عندما يدل دليل على حذفه وهذا كثير فى كلامهم»(١)، فالتقدير (لولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم لأذن الله لكم فى دخول مكة ولسلطكم عليهم، ولكننا صنا من كان فيها ممن يكتم إيمانه خوفاً.

٢ ـ قال الضحاك: لولا من فى أصلاب الكفار وأرحام نسائهم من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموا أن تطئوا آباءهم فتهلك أبناؤهم(٢).

٢٧ ـ قوله: أتى باسم جمع يدل على المثنى

● التحريم: ٤ ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. والكلام هنا موجه إلى حافصة، وعائشة. لماذا لم يقل: إن تتوبا إلى الله فقد صغا قلباكما، وليس فقد صغت قلوبكما؟

الإجابة:

أولاً: أم المؤمنين (حفصة) بنت عمر بن الخطاب وليست حافصة كما كتبها.

ثانياً: جواب الشرط محذوف وتقديره (فذلك واجب عليكما) دل عليه (فقد صغت) لأن إصغاء القلب لما حدث ذنباً.

ثالثاً: إنما جمع (قلوبكما) لأن لكل إنسان قلباً، وما ليس فى الإنسان منه إلا واحد جاز أن يجعل الاثنان منه بلفظ الجمع، وجاز أن يجعل بلفظ التثنية فلفظ الجمع أليق به، لأنه أمكن وأخف(٣).

---

(١) شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ٣٨٠، وانظر شرح الأشمونى ج ٤ ص ٢٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٢٨٥. (٣) التبيان ج ٢ ص ١٢٢٩ والقرطبى ج ٨ ص ١٨٨.

٢٨ ـ قوله: نَوَّنَ الممنوع من الصرف

● الإنسان: ٤ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾ فلماذا قال: سلسالاً بالتنوين مع أنها لا تنون أيضاً لامتناعها عن الصرف؟

الإجابة:

أولاً: كتب الكلمة القرآنية (سلسالاً) وما ذكره خطأ والصوب (سلاسلا).

ثانياً: قرئت بالتنوين وتركه، والقراءتان صحيحتان فمن نَوَّنَ شاكل به ما قبله من رأس الآية... (سلاسلا) قرأ نافع الكسائى وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر (بالتنوين).. وقرأ الباقون بغيره.. ووقف قنبل وابن كثير وحمزة بغير ألف والباقون بالألف.

والحجة لمن صرف:

١ ـ أن المجموع أشبهت الآحاد فجمعت جمع الآحاد فجعلت فى حكم الآحاد فصرفت.

٢ ـ ذكر نحاة العربية أربعة أسباب لصرف غير المنصوب من بينها إرادة التناسب كقراءة نافع (سلاسلا) و (قواريرا)، وقراءة الأعمش (ولا يغوثا ويعوقا ونسرا)[١].

ويقول الدكتور عباس حسن: «الممنوع من الصرف قد يجب تنوينه، وقد يجوز... ويجوز تنوينه ومنعه من التنوين فى حالتين: الأولى مراعاة التناسب فى آخر الكلمات المتجاورة أو المختومة بسجعة، أو بفاصلة فى آخر الجمل، لتتشابه فى التنوين، من غير أن يكون له داع إلا هذا لأن للتناسب إيقاعاً عذباً على الأذن، وأثراً فى تقوية المعنى... ومن الأمثلة كلمة (سلاسلا)... فقد نُوِّنت الكلمة لمراعاة التى تليها وتجاورها»[٢].

٣ ـ وحكى الأخفش عن العرب صرف جميع ما لا ينصرف إلا (أفعل منك) وكذا قال الكسائى والفراء، هى لغة من يجر الأسماء كلها، إلا قولهم (أظرف

---

(١) أوضح المسالك لابن هشام: ج ٤ ص ١٢٤.

(٢) النحو الوافى: ج ٤ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

منك)[1]. وأنشد ابن الأنبارى:

كأن سيوفَنا فينا وفيهم

مخاريقٌ بأيدى لاعبينا[2]

وقال لبيد[3]:

فضلاً وذو كرمٍ يعينُ على النَّدَى

سمح كسوب رغائبا غنامها

٢٩ ـ قوله: نَوَّن الممنوع من الصرف

● الإنسان: ١٥ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ فلماذا قال قواريرا بالتنوين مع أنها لا تنون لامتناعها عن الصرف لأنها على وزن مصابيح؟

الإجابة:

انظر الإجابة فيما سبق.

٣٠ ـ قوله: جزم الفعل المعطوف على المنصوب

● المنافقين: ١٠ ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فلماذا لم ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فيقول : (فأصَّدق وأكون من الصالحين) وليس (فأصدق وأكن من الصالحين)؟

الإجابة:

أولاً: هكذا بدأ بقوله (المنافقين) والصحيح (المنافقون) وكتب (ربى) بالمد فى قوله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ج ١٩ ص ١٢٣.

(٢) الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبى، صاحب المعلقة المشهورة.. والمخراق سيف من خشب، يقول قولنا لا نحفل بالضرب بالسيوف كما لا يحفل اللاعبون بالضرب بالمخاريق.. الشاهد، صرف مخارق.

(٣) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى، شاعر مخضرم معروف من أصحاب المعلقات.. الندى: الجود. ورغائب: جمع الرغيبه وهى ما رغب فيه من علق نفيس أو خصله شريفة. والغنام مبالغة الغنائم.. والشاهد صرف رغائب، انظر شرح المعلقات السبع للزوزنى ـ مكتبة المعارف ـ بيروت.

تعالى (فيقول ربى لولا اخرتنى) والصحيح (ربِّ) بغير مد كما جاء فى القرآن الكريم.

ثانياً: قال العلماء الجزم محمول على المعنى و (أكن) بالجزم عطفاً على موقع الفاء (فأصَّدق) إذ لو لم تكن الفاء لكان مجزوماً[1] فالأصل (لولا أخرتنى أصدق وأكن):

قال الشاعر[2]:

فـــأبلونى بليـــتكم لعلّى اصلحكم وأســـتـــدرج نويا

فجزم (وأستدرج) عطفاً على موضوع أصالحكم قبل دخول العامل، والمعنى فأبلونى بليتكم وأصالحكم. وقد جزم (أصالحكم) لوقوعها هنا فى جواب الطلب.

ثالثاً: قرأ عمرو بالنصب وإثبات الواو قبل النون وهى قراءة متواترة. فهذه هى العربية بحر زاخر ومد لا ينقطع.

٣١ ـ قوله: جمع اسم علم حيث يجب إفراده

● التين: ١ ـ ٣ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾.
فلماذا قال: سينين بالجمع عن سناء؟

الإجابه:

أولاً: لا خلاف فى ان (طور سينين) جبل كلَّم الله تبارك وتعالى عنده موسى عليه السلام.

ثانياً: أما معنى (سينين) فقد روى أن معناها حسن مبارك، وقيل معناها ذو شجر.

ثالثاً: قراءه الجمهر (طور سينين)، وقرأ ابن إسحق ورجاء (سَيْنين) بفتح السين وهى من لغات العرب.. وقرأ الحسن وابن مسعود (سِينا) بسين مكسورة وألف. وهكذا نجد أن الكلمة لم تتجاوز اللغة العربية[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ج ١٨ ص ١٣١ .

(٢) هو الهزلى وقيل أبو داود.. أبلونى: أعطونى، والبلية الناقة تعقل على قبر صاحبها الميت بلا طعام ولا شراب حتى تموت، ونويا: أصلها نواى قعصاى. راجع الحجة فى القراءات السبع ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧

(٣) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ـ ابن عطية الأندلسى ج ١٥ ص٥٠٢ .

ثانياً: الرد على التناقضات المزعومة حول القرآن الكريم

١ - عدد أيام خلق السموات والأرض:

(١) لا تناقض فى القرآن حول عدد أيام خلق السموات والأرض. ذكر أن خلق السماوات والأرض تم فى ستة أيام.

الآيات ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ **(فصلت: ٩ - ١٢)** ذكر بها أن خلق الأرض تم فى يومين وخلق الله الأنهار والغابات.. الخ فى الأرض (بعد خلقها) فى أربعة أيام، وأنه قد خلق السماوات فى يومين ويقول تعالى فى سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ **(يونس: ٣)**.

والجواب:

هذا السؤال يتعلق بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾.

نعم بجمع هذه الأيام دون فهم وعلم يكون المجموع ثمانية وقد ذكر الله فى مواضع كثيرة من القرآن أنه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام..

وما ظنه السائل تناقضا فليس بتناقض فإن الأربعة أيام الأولى هى حصيلة جمع اثنين واثنين.. فقد خلق الله الأرض خلقا أوليا فى يومين ثم جعل فيها الرواسى وهى الجبال ووضع فيها بركتها من الماء، والزرع، وما ذخره فيها من الأرزاق فى يومين آخرين فكانت أربعة أيام. فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾، هذه الأيام الأربعة هى حصيلة اليومين الأولين ويومين آخرين فيكون المجموع أربعة. وليست هذه الأربعة هى أربعة أيام مستقلة أخرى زيادة على اليومين الأولين.. ومن هنا جاء الخطأ عند السائل.. ثم إن الله خلق السماوات فى يومين فيكون المجموع ستة أيام بجمع أربعة واثنين..

ولا تناقض فى القرآن بأى وجه من الوجوه.. ثم إن القرآن لو كان مفترى كما يدعى السائل فإن محمدا ﷺ لم يكن ليجهل مثلا أن اثنين وأربعة واثنين تساوى ثمانية وأنه قال فى مكان آخر من القرآن إن الله خلق السماوات والأرض فى ستة أيام.. فهل يتصور عاقل أن من يقدم على تزييف رسالة بهذا الحجم، وكتاب بهذه الصورة يمكن أن يخطئ مثل هذا الخطأ الذى لا يخطئه طفل فى السنة الأولى الابتدائية؟!

لا شك أن من ظن أن الرسول افترى هذا القرآن العظيم ثم وقع فى مثل هذا الخطأ المزعوم فهو من أحط الناس عقلا وفهما. والحال أن السائل لا يفهم لغة العرب وأن عربيا فصيحا يمكن أن يقول: زرت أمريكا فتجولت فى ولاية جورجيا فى يومين، وأنهيت جولتى فى ولاية فلوريدا فى أربعة أيام ثم عدت إلى لندن.. لا شك أن هذا لم يمكث فى أمريكا إلا أربعة أيام فقط وليس ستة أيام لأن قوله: فى يومين فى أربعة أيام يعنى يومين فى جورجيا ويومين فى فلوريدا..

ومثله هنا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا

أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أى بزيادة يومين عن اليومين الأولين.

٢ ـ مقدار الأيام عند الله، فهل اليوم الواحد يساوى ألف سنة أم خمسين ألف سنة عند الله؟

والجواب:

سهل وبسيط وهو أن الأيام عند الله مختلفة فيوم القيامة يوم مخصوص وهذا مقداره خمسون ألف سنة من أيام الدنيا كما قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، وأما سائر الأيام عند الله فكل يوم طوله ألف سنة من أيام هذه الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. ومعلوم أن الأيام على الكواكب تختلف بحسب حجمها وحركتها، فماذا يمنع أن يكون يوم القيامة أطول من سائر الأيام.

٣ ـ قوله ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ **الحج وقال فى آية أخرى** ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ **السجدة وقال فى آية أخرى** ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾ **المعارج فقالوا فكيف يكون هذا الكلام المحكم وهو ينقض بعضه بعضا.**

الجواب:

أما قوله ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فهذا من الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض كل يوم كألف سنة.

وأما قوله ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وذلك أن جبرائيل كان ينزل على النبى ﷺ ويصعد إلى السماء فى يوم مقداره ألف سنة وذلك أنه من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام فهبوط خمسمائة وصعود خمسمائة عام فذلك ألف سنة.

وأما قوله ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾ ذلك أن وقت وقوع العذاب للكافرين يوم القيامة تعرج الملائكة وجبرائيل عليه السلام فى ذلك اليوم الذى سيكون مقداره خمسين ألف سنة، فأين هو التناقض؟؟!!!!

٤ ـ إخبار الله سبحانه وتعالى عن نوح عليه السلام وابنه. ففى سورة الأنبياء: الآية ٧٦ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ **ذكر بها أن نوح وأهل بيته قد نجوا من الفيضان، ولكن (سورة هود: الآيات ٣٢ إلى ٤٨)** ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي

أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **ذكر بها أن أحد أولاد نوح قد غرق؟**

والجواب:

إن الاستثناء أسلوب معروف فى لغة العرب فيذكر المتكلم المستثنى منه على وجه العموم ثم يخرج منهم من أراد إخراجه. ويمكن أن يأتى الاستثناء منفصلا، ويمكن أن يأتى متصلا.. وفى سورة الأنبياء قال الله تعالى عن نوح: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وقد بين سبحانه وتعالى المراد بأهله فى آيات أخرى وهو من آمن منهم فقط حيث أخبر سبحانه وتعالى فى سورة هود أنه قال لنوح: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ فقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يحمل أهله معه إلا من سبق القول من الله بهلاكهم.. وقد كان قد سبق فى علم الله أن يهلك ابنه مع الهالكين لأنه لم يكن مؤمنا.. ولم يكتب الله لأحد النجاة مع نوح إلا أهل الإيمان فقط، وابنه لم يكن مؤمنا.. وبالتالى فلا تناقض بين قوله تعالى فى سورة الأنبياء إنه نجى نوحا وأهله، وبين ما جاء فى سورة هود إنه أغرق ابن نوح لأن ابن نوح لم يكن من أهله، كما قال تعالى لنوح لما سأله عن ابنه ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾. وبالتالى فلا تناقض بحمد الله فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٥ ـ الآيات النازلة فى شأن جبريل عليه السلام. ويقولون: هناك وجهات نظر متضاربة فى ادعاء محمد النبوة. ففى سورة النجم (الآية: ٦ : ١٥) ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ **ذكر بها أن الله نفسه أوحى إلى محمد. وسورة النحل (١٦: ١٠٢، ٢٦: ١٩٢ ـ ١٩٤)، ذكر بها أن**

﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ نزلت إلى محمد. والسورة (١٥: ٨) ذكر بها أن الملائكة (وهم أكثر من واحد) نزلوا إلى محمد. السورة (٢: ٩٧) ذكر بها أن الملاك جبريل واحد فقط) لم يذكر فى القرآن ولا فى الأناجيل ما يقول إن ﴿ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ هو جبريل.

والجواب:

قوله سبحانه وتعالى فى سورة النجم (الآية: ٣ - ١٢) ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ عن رسوله محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ الآيات. فهذا وصف لجبريل الروح القدس الأمين الذى نزل على محمد ﷺ بحراء، وجاءه بالوحى من ربه، ولقد رآه رسول الله ﷺ على صورته التى خلقه الله عليه وله ستمائة جناح مرتين: واحدة فى مكة فى بدء الوحى وثانية عندما عرج بالنبى ﷺ إلى السماء كما جاء ذلك فى حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين فى الصحيحين (البخارى ومسلم) بالإسناد المتفق عليه. وجبريل المذكور فى سورة النجم (٥٣)، هو نفسه الذى ذكره الله، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (الآية: ١٠٢)، فقد سماه الله روحا لأنه ينزل بما يحيى موات القلوب وهو وحى الله إلى رسله ووصفه بروح (القدس) أى المقدس المنزه عن الكذب أو الغش فهو الذى قدسه الله ورفعه وأعلى من شأنه عليه السلام.



٦ ـ لا تناقض فى إخبار الرب عن خلق الإنسان مرة من طين وأخرى من ماء وتارة من نطفة وأيضاً ما اعترضوا على نزول الملائكة على رسول الله ﷺ

والجواب:

إن الله سبحانه وتعالى ذكر فى كتابه الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه بدأ خلق الإنسان بخلق أبى البشر آدم الذى خلقه من التراب، الذى أصبح طيناً بعجنه بالماء، ثم حمأ مسنوناً، أى طيناً مخمراً، ثم سواه الله بأن خلقه بيده سبحانه ثم أصبح آدم وهو فى صورته الطينية صلصالاً كالفخار، وهو الطين إذا يبس وجف، ثم نفخ الله فيه الروح فأصبح بشراً حيا، ثم أمر الملائمة بالسجود له بعد أ ن أصبح كذلك ثم خلق الله من أحد أضلاعه زوجته حواء (كما جاء ذلك فى الحديث النبوى).. فهى أنثى مخلوقة من عظام زوجها..

والله يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، ثم لما عصى آدم بأكله من الشجرة التى نهاه الله أن يأكل منها أهبطه الله إلى الأرض.

ثم جعل الله تناسل آدم من اجتماع ماء الرجل وماء المرأة، والعرب تسمى المنى الذى يقذفه الرجل فى رحم الأنثى ماء، وسماه الله فى القرآن ﴿مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾.. وكل ذلك موجود فى القرآن الكريم.

وهذا المسكين ظن أن هذه آراء متعارضة، ولم يفهم أن خلق آدم لم يكن كخلق حواء فآدم خلق من الطين، وحواء خلقت من ضلع آدم، وإن كل إنسان خلق من أنثى وذكر، من ماء مهين، وأن عيسى عليه السلام خلق من أنثى بلا ذكر كما قال سبحانه وتعالى عن عيسى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

وكان تنوع خلق البشر على هذه الصور ليبين الله لعباده قدرته الكاملة، فهو يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، وقد خلق الإنسان الأول آدم من طين من غير أنثى أو ذكر، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من اجتماع الذكر والأنثى فسبحان من له القدرة الكاملة، والمشيئة

النافذة. وهذا كله يدل على الخلق المستقل للإنسان وأنه لا ينتمى إلى حيوانات هذه الأرض، فالتطور إن كان حقا فهو إنما يكون فى حيوانات وأحياء هذه الأرض فقط. وأما الإنسان فإنه خلق خلقاً مستقلا فى السماء، وإن كان الله قد خلقه من طين هذه الأرض. وهذا هو الذى يؤيده العلم والنظر فى الكون.

هذا ما اعترض به المعترض على القرآن الكريم.

ونأتى الآن إلى ما اعترض به على جمع القرآن وحفظه وكذلك اعتراضه على ما ظنه أنه يخالف الحق والعلم من كلام رسول الله ﷺ.

وأما ذكره الله فى سورة الحجر الآية رقم ٢٨ فإن الله لم يذكر فيها أن الملائكة نزلوا على النبى بالوحى كما فهم هذا الجاهل حيث يقول (والسورة الحجر: ٨) ذكر فيها أن الملائكة وهم أكثر من واحد نزلوا على محمد).

وإنما الآيات هكذا ﴿وَقَالُوا﴾ ـ أى الكفار ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فرد الله مقالة الكفار هؤلاء الذين استعجلوا نزول الملائكة بالعذاب عليهم وهو ما هددهم الله به إن أصروا على التكذيب فقال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ أى إن الله لا ينزل الملائكة إلا بالحق وإنهم إذا نزلوا نزلوا بالعذاب عليهم فمعنى ذلك أنهم غير ممهلين، والحال أن الله أمهلهم ليقيم الحجة عليهم، ولم يشأ سبحانه وتعالى أن يعجل العقوبة الماحية المستأصلة لهم كما حدث للأمم السابقة بل شاء الله أن يعاقبهم بالعقوبات التى لا تستأصلهم فقد أنزل الملائكة فى بدر وغيرها من معارك الرسول خزيا للكفار ونصر للرسول والمؤمنين.

وأما آية سورة البقرة (٢: ٩٧)[1] فهى نص صريح فى أن جبريل عليه السلام هو الذى أنزل القرآن على رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا رد على اليهود الذين كرهوا جبريل، وأنه ينزل بحربهم وهلاكهم فأخبرهم الله أن هذا الملاك هو ملاك الرب، وأنه هو الذى أنزل القرآن على قلب محمد ﷺ. وقد وصف

(١) العدد ٢ يشير إلى رقم السورة والعدد ٩٧ يشير إلى رقم الآية.

الله جبريل فى القرآن بأنه روح القدس أى الروح المقدسة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾. وقد قدمنا معنى روح القدس.

٧ ـ قول موسى ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف وقال السحرة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء وقال النبى ﷺ ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام قالوا فكيف قال موسى وأنا أول المؤمنين وقد كان قبله إبراهيم مؤمناً ويعقوب وإسحق فكيف جاز لموسى أن يقول وأنا أول المؤمنين وقالت السحرة إن كنا أول المؤمنين وكيف جاز للنبى أن يقول وأنا أول المؤمنين وقد كان قبله مسلمون كثير مثل عيسى ومن تبعه فشكوا فى القرآن وقالوا إنه متناقض.

الجواب:

وأما قول موسى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنه حين قال ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ الأعراف ولا يرانى أحد فى الدنيا إلا مات فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف يعنى أول المصدقين أنه لا يراك أحد فى الدنيا إلا مات، وأما قول السحرة ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعنى أول المصدقين بموسى من أهل مصر من القبط وأما قول النبى ﷺ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعنى من أهل مكة فهذا تفسير ما شكوا فيه.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وادَّعُوا أن هذه الآية تناقض قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾.

الجواب:

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قوله ﴿لا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة والمعنى أقسم ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ولا زائدة ومن زيادة لا فى الكلام فى غير القسم قول الشاعر.

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة ... وكاد صميم القلب لا يتصدع

أى يتصدع ومن ذلك قوله مامنعك أن لا تسجد أى أن تسجد قال الواحدى أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة.

أما قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ أجمع المفسرون أيضاً فى هذه الآية أن البلد هى مكة ولا خلاف فى هذا.

وقد حكى أبو العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد/ ١) فأخبر سبحانه أنه لا يقسم بهذا البلد، ثم أقسم به فى قوله ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ (التين/ ٣) فقال ابن سريج: أى الأمرين أحب إليك؛ أجيبك ثم أقطعك؟ أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال: بل اقطعنى ثم أجبنى. قال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرانى قوم، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا، وعليه مطعناً، فلو كان هذا عندهم مناقضة لعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه. ولكن القوم علموا وجهلتَ، فلم ينكروا ما نكرت. ثم قال: إن العرب قد تدخل «لا» فى أثناء كلامها وتلغى معناها.

فأين هذا التناقض المزعوم؟!

٩ ـ سورة البقرة، آية ٢٩: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سورة فصلت: آيات ٩ ـ ١٢: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

سورة النازعات، آيات ٢٧ ـ ٣٠: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ فسورة البقرة وسورة فصلت تذكران خلق الله للأرض أولاً ثم السماء. بينما سورة النازعات تذكر خلق السماء أولاً ثم الأرض.

الجواب:

سهل وبسيط، أولاً: الدحى ليس معناها الخلق والتى ذكرها الله فى آخر سورة

النازعات الآية السابعة والعشرون ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

ثانياً: خلق الله الأرض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحا الأرض ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما فى يومين آخرين فذلك قوله ﴿ دَحَاهَا﴾، فأين هذا التناقض المزعوم؟؟؟

١٠ ـ ماذا تقولون فى قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾. وقال تعالى فى موضع آخر ﴿ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ والثعبان الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز أن تكون العصا فى حالة واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها وبأى شىء تزيلون التناقض عن هذا الكلام.

الجواب:

أول ما نقوله أن الذى ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التى أخبر أن العصا فيها بصفة الجان كانت فى ابتداء النبوة وقبل مصير موسى إلى فرعون والحال التى صار العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك وإذا اختلفت القصتان فلا مسألة على أن قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هذا السؤال إما لظنهم أن القصة واحدة أو لاعتقادهم أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب فى حالتين تارة إلى صفة الجان وتارة إلى صفة الثعبان أو على سبيل الاستظهار فى الحجة وأن الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه أحسن ما تكلف به الجواب لأجله لأن الأولين لا يكونان إلا عن غلط أو عن غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها.

أحدهما أنه تعالى إنما شبهها بالثعبان فى إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها فى الآية الأخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع أنها فى جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة

حركته وهذا أبهر فى باب الإعجاز وأبلغ فى خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين. وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان وإذا شبهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ولم يرد تعالى أن الفضة قوارير على الحقيقة وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع أنها من فضة وقد تشبه العرب الشىء بغيره فى بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم أن فى الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن أن يكون فى النساء وإنما وقع التشبيه فى صفة دون صفة ومن وجه دون آخر.

١١ - ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ **تناقض قوله** ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ..﴾

﴿لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ **تناقض قوله** ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ **تناقض قوله** ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

الجواب:

الصورة الأولى للتناقض الموهوم بين آية يونس: ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ وآية النحل ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ..﴾ لا وجود له إلا فى أوهامهم ويبدو أنهم يجهلون معنى التناقض تماماً. فالتناقض من أحكام العقل، ويكون بين أمرين كليين لا يجتمعان أبداً فى الوجود فى محل واحد، ولا يرتفعان أبداً عن ذلك المحل، بل لابد من وجود أحدهما وانتفاء الآخر، مثل الموت والحياة. فالإنسان يكون إما حيا وإما ميتاً ولا يرتفعان عنه فى وقت واحد، ومحال أن يكون حيا وميتاً فى آن واحد؛ لأن النقيضين لا يجتمعان فى محل واحد.

ومحال أن يكون إنسان ما لا حى ولا ميت فى آن واحد وليس فى القرآن كله صورة ما من صور التناقض العقلى إلا ما يدعيه الجهلاء أو المعاندون. والعثور على التناقض بين الآيتين المشار إليهما محال محال؛ لأن قوله تعالى فى سورة يونس ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ معناه لا تبديل لقضاء الله الذى يقضيه فى شئون الكائنات،

ويتسع معنى التبديل هنا ليشمل سنن الله وقوانينه الكونية. ومنها القوانين الكيميائية، والفيزيائية وما ينتج عنها من تفاعلات بين عناصر الموجودات، أو تغييرات تطرأ عليها. كتسخين الحديد أو المعادن وتمددها بالحرارة، وتجمدها وانكماشها بالبرودة. هذه هى كلمات الله عز وجل.

وقد عبر عنها القرآن فى مواضع أخرى ب.. السنن وهى القوانين التى تخضع لها جميع الكائنات، الإنسان والحيوان والنبات والجمادات. إن كل شىء فى الوجود، يجرى ويتفاعل وفق السنن الإلهية أو كلماته الكلية، التى ليس فى مقدور قوة فى الوجود أن تغيرها أو تعطل مفعولها فى الكون. ذلك هو المقصود بـ «كلمات الله»، التى لا نجد لها تبديلاً، ولا نجد لها تحويلاً.

ومن هذه الكلمات أو القوانين والسنن الإلهيــة النافذة طوعاً أو كرهاً قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، فهل فى مقدور أحد مهما كان أن يعطل هذه السنة الإلهية فيوقف «سيف المنايا» ويهب كل الأحياء خلوداً فى هذه الحياة الدنيا؟

فكلمات الله إذن هى عبارة عن قضائه فى الكائنات وقوانينه المطردة فى الموجودات وسننه النافذة فى المخلوقات.

ولا تناقض فى العقل ولا فى النقل ولا فى الواقع المحسوس بين مدلول آية: ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ وآية: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ..﴾.

لأن معنى هذه الآية: إذا رفعنا آية، أى أوقفنا الحكم بها، ووضعنا آية مكانها، أى وضعنا الحكم بمضمونها مكان الحكم بمضمون الأولى. قال جهلة المشركين: إنما أنت مفتر.

فلكل من الآيتين معنى فى محل غير معنى ومحل الأخرى.

فالآية فى سورة يونس ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ والآية فى سورة النحل: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ..﴾ لكل منهما مقام خاص، ولكن هؤلاء الحقدة جعلوا الكلمات بمعنى الآيات، أو جعلوا الآيات بمعنى الكلمات زوراً وبهتاناً، ليوهموا الناس أن فى القرآن تناقضاً. وهيهات هيهات لما يتوهمون.

أما الآيتان ﴿لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ و ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أو مثلها﴾ وقد تقدم ذكرهما فى السابق.

هاتان الآيتان بريئتان من التناقض براءة قرص الشمس من اللون الأسود:

فآية الكهف ﴿لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ معناها لا مغير لسننه وقوانينه فى الكائنات. وهذا هو ما عليه المحققون من أهل العلم ويؤيده الواقع المحسوس والعلم المدروس.

وحتى لو كان المراد من «كلماته» آياته المنزلة فى الكتاب العزيز «القرآن» فإنه - كذلك - لا مبدل لها من الخلق فهى باقية محفوظة كما أنزلها الله عز وجل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما آية البقرة: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ فالمراد من الآية فيها المعجزة، التى يجريها الله على أيدى رسله. ونسخها رفعها بعد وقوعها. وليس المراد الآية من القرآن، وهذا ما عليه المحققون من أهل التأويل. بدليل قوله تعالى فى نفس الآية: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ويكون الله عز وجل قد أخبر عباده عن تأييده رسله بالمعجزات وتتابع تلك المعجزات؛ لأنها من صنع الله، والله على كل شىء قدير.

فالآيتان - كما ترى - لكل منهما مقام خاص بها، وليس بينهما أدنى تعارض، فضلاً عن أن يكون بينهما تناقض.

أما الآيتان الأخيرتان الواردتان، وهما آية الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وآية الرعد: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ فلا تعارض بينهما كذلك؛ لأن الآية الأولى إخبار من الله بأنه حافظ للقرآن من التبديل والتحريف والتغيير، ومن كل آفات الضياع وقد صدق إخباره تعالى، فظل القرآن محفوظاً من كل ما يمسه مما مس كتب الرسل السابقين عليه فى الوجود الزمنى، ومن أشهرها التوراة وملحقاتها. والإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام.

أما الآية الثانية: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ فهى إخبار من الله بأنه هو وحده المتصرف فى شئون العباد دون أن يحد من تصرفه أحد. فإرادته ماضية، وقضاؤه

نافذ، يحيى ويميت، يغنى ويفقر، يصح ويمرض، يسعد ويشقى، يعطى ويمنع، لا راد لقضائه، ولا معقب على حكمه ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. فأين التناقض المزعوم بين هاتين الآيتين يا ترى؟ التناقض كان سيكون لو ألغت آية معنى الأخرى. أما ومعنى الآيتين كل منهما يسير فى طريق متواز غير طريق الأخرى، فإن القول بوجود تناقض بينهما ضرب من الخبل والهذيان المحموم، ولكن ماذا نقول حينما يتكلم الحقد والحسد، ويتوارى العقل وراء دياجير الجهالة الحاقدة؟ نكتفى بهذا الرد الموجز المفحم، على ما ورد ذكره.

١٢ - **﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ تناقض مع قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾.**

الجواب:

قال تعالى فى سورة الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾.

لقد قسم المولى سبحانه وتعالى البشر يوم القيامة إلى ثلاثة أزواج:

١ - أصحاب الميمنة (اليمين)

٢ - أصحاب المشأمة (الشمال)

٣ - السابقون السابقون

سأستعرض الآيات القرآنية وستعلمون أنه لا وجود لهذا التناقض إلا فى خيالهم الأعمى وسأكتفى بالقسمين الأولين وهما: السابقون السابقون وأصحاب الميمنة (اليمين) لتمركز التناقض المزعوم فى هذين القسمين:

أولاً: السابقون السابقون:

قال تعالى عن السابقون السابقون: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾.

فقد وصف الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات أن السابقون السابقون والذين لهم أعلى منازل النعيم فى الجنة أنهم ثلة من الأولين (أى كثيرون من الأولين) لأن الأولين قد عاصروا الرسول ﷺ وكانت درجات إيمانهم من أقوى الدرجات، وقوله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ لأن الأجيال المتأخرة لا يمكن مقارنة قوة إيمانهم بمن عاصروا الرسول ﷺ.

ثانياً: أصحاب الميمنة (اليمين):

قال تعالى عن أصحاب اليمين: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾.

فقد وصف الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات أن أصحاب الميمنة (اليمين) بأنهم ثلة من الأولين (أى كثيرون أيضاً من الأولين) وثلة من الآخرين (وأيضاً يشاركهم الآخرون فى ذلك).

فلا تناقض بين الآيتين على الإطلاق.

فهذه الآية ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ خصت (السابقون السابقون).

وهذه الآية ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ خصت أصحاب الميمنة (اليمين).

١٣ ـ تحريم الخمر فى الدنيا
تحليل الخمر فى الآخرة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠).

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ (محمد: ١٥).

الجواب:

لا أعرف، أين هو هذا التناقض بين الآيتين؟؟ فالآية الأولى تتكلم عن الخمر فى الدنيا والآية الثانية تتكلم عن الخمر فى الآخرة.. فمن البين أن السائل لا يعرف ما معنى التناقض؟؟ فالتناقض يكون بين نقيضين فى آن واحد، كالماء والنار والليل والنهار.

أما الخمر فى هاتين الآيتين فهو فى موضعين، موضع فى الدنيا موضع فى الآخرة، فلا تناقض بين الآيتين إطلاقا.

١٤ ـ قال أعداء الإسلام: إن فى القرآن آية تنهى عن النفاق، وآية أخرى تكره الناس على النفاق أما الآية التى تنهى عن النفاق ـ عندهم ـ فهى قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وأما الآية التى تكره الناس على النفاق ـ عندهم ـ فهى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

الجواب:

من المحال أن يفهم من له أدنى حظ من عقل أو تمييز أن فى الآية الأولى نهياً، وأن فى الآية الثانية إكراهاً ويبدو بكل وضوح أن مثيرى هذه الشبهات فى أشد الحاجة إلى من يعلمهم القراءة والكتابة على منهج: وزن وخزن وزرع.

ويبدو بكل وضوح أنهم أعجميو اللسان، لا يجيدون إلا الرطانة والتهتهة؛ لأنهم جهلة باللغة العربية، لغة التنزيل المعجز. ومع هذه المخازى ينصبون أنفسهم لنقد

القرآن، الذى أعجز الإنس والجن.

لا نهى فى الآية الأولى، لأن النهى فى لغة التنزيل له أسلوب لغوى ومعروف، هو دخول «لا» الناهية على الفعل المضارع مثل: لا تفعل كذا.

ويقوم مقامه أسلوب آخر هو: إياك أن تفعل، جامعاً بين التحذير والنهى، ولا إكراه فى الآية الثانية. وقد جهل هؤلاء الحقدة أن الإكراه من صفات الأفعال لا من صفات الأقوال أما كان الحرى بهم أن يستحيوا من ارتكاب هذه الحماقات الفاضحة.

إن الآية الأولى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ تحمل إنذاراً ووعيداً. أما النهى فلا وجود له فيها والآية الثانية تسجل عن طريق «الخبر» انحراف اليهود والنصارى فى العقيدة، وكفرهم بعقيدة التوحيد، وهى الأساس الذى قامت عليه رسالات الله عز وجل.

وليس فى هذه الآية نفاق أصلاً، ولكن فيها رمز إلى أن اليهود والنصارى حين نسبوا «الابنية» لله لم يكونوا على ثقة بما يقولون، ومع هذا فإنهم ظلوا فى خداع أنفسهم.

وكيف يكون القرآن قد أكرههم على هذا النفاق «المودرن» وهو فى الوقت نفسه يدعو عليهم بالهلاك بقبح إشراكهم بالله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾.

١٥ ـ لا شفاعة

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ **(الزمر: ٤٤).**

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾

(يونس: ٣).

توجد شفاعة

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ **(السجدة: ٤).**

الجواب:

يجب أن نأخذ الآية كلها ولا نقتطع جزءاً منها فالحكم على الشىء فرع

تصوره. فبداية الآية هو قول الله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر: ٤٣ ـ ٤٥).

فالآية تعيب على المشركين أنهم اتخذوا الأصنام شفعاء لهم من دون الله تعالى، فبين الله تعالى أنهم لا يملكون شيئاً، والشفاعة له وحده سبحانه وتعالى، أما الآية الثانية التى اعتقد أنها تنافى الآية الأولى ليس بينهما تضاد ولا اختلاف، فإذا قررنا أنه لا شفاعة إلا لله تعالى وحده والذى قرر هذا هو الله تعالى فإنه سبحانه عندما قرر أن هناك من يشفعون قيد هذه الشفاعة من بعض البشر والملائكة بإذنه سبحانه وتعالى، ورضاه. فالشفاعة من غير الله تعالى مقيدة برضا الله عز وجل وبإذنه فتكون شفاعتهم من شفاعته سبحانه وتعالى.

١٦ ـ القرآن مبين

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣).

القرآن متشابه

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧).

الجواب:

إن معنى كلمة مبين هو الواضح، والوضوح ليس لكل الناس فعلماء التفسير وأهل اللغة لديهم علم بمعانى الآيات أكثر من غيرهم، وهناك من هو أعلم منهم، وهناك من هو أقل علما، المهم أن هناك من الآيات ما هو متشابه لا يعلمه كثير من الناس. ولا ينفى هذا وضوح القرآن وسهولة لغته التى تتناسب مع كل من يقرؤها.

١٧ ـ كيف هلك قوم ثمود، وكيف هلك قوم عاد؟؟؟

يقول القرآن أن ثمود أهلكهم بالطاغية ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ **(الحاقة: ٥) ثم يقول أن ثمود أخذتهم صاعقة العذاب** ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ **(فصلت: ١٧).**

ثم يؤكد أن ثمود هلكوا بصاعقة مثل عاد: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ **(فصلت: ١٣).**

فهل هلك قوم ثمود بالطاغية أم بالصاعقة؟؟ وهل هلك قوم عاد بالصاعقة أم بالرياح الشديدة؟؟؟ وهل هلك قوم عاد وقوم ثمود بنفس الطريقة أم بطريقتين مختلفتين؟؟ أما عن قوم عاد فاختلف القرآن فيه كم يوما استغرق الله فى هلاك قوم عاد هل استغرق الهلاك يوم نحس مستمر؟؟؟ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ **(القمر: ١٨)** ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾

(القمر: ١٩).

لا بل استغرق الأمر أياما نحسات لا لم يستغرق يوماً ولا يومين بل على أقل تقدير ثلاثة أيام ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ **(فصلت: ١٥)** ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ **(فصلت: ١٦) بل استغرق الأمر سبع ليال وثمانية أيام** ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ **(الحاقة: ٦)** ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ **(الحاقة: ٧).**

وأخيراً هل كان قوم عاد صرعى (واقعين على الأرض) أم مثل أعجاز نخل خاوية (واقفة)؟؟؟

الجواب:

أولاً: قبل الإجابة على هذا الاختلافات المزعومة، يجب أن ننوه أن هذه الشبهة مبنية على جهل تام باللغة العربية.

السؤال الأول لهذا الجاهل يقول:

فهل هلك قوم ثمود بالطاغية أو بالصاعقة؟؟ وهل هلك قوم عاد بالصاعقة أم بالرياح الشديدة؟؟؟ وهل هلك قوم عاد وقوم ثمود بنفس الطريقة أم بطريقتين مختلفتين؟؟

يجب علينا أولاً أن نوضح معنى كلمتى الطاغية والصاعقة.

معنى كلمة طاغية يقول القرطبى: فيه إضمار؛ أى بالفعلة الطاغية.

وقال قتادة: أى بالصيحة الطاغية؛ أى المجاوزة للحد.

وقال مجاهد: بالذنوب. وقال الحسن: بالطغيان؛ فهى مصدر كالكاذبة والعاقبة.

والعافية: أى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم.

وقيل: إن الطاغية عاقر الناقة؛ قاله ابن زيد. أى أهلكوا بما أقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة، وكان واحداً، وإنما هلك الجميع لأنهم رضوا بفعله ومالؤوه.

وقال الشوكانى: الطاغية الصيحة التى جاوزت الحد، وقيل بطغيانهم وكفرهم، وأصل الطغيان مجاوزة الحد.

يعنى المعنى أن ثمود أهلكوا بالطاغية أى بسبب كفرهم المجاوز للحد.

أما الصاعقة: فهى اسم للمبيد المهلك، أى العذاب المهلك.

من معجم لسان العرب:

صعق الإنسان صعقا وصعقا فهو صعق غشى عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالهدة الشديدة.

وصعق صعقا وصعقا وصعقة وتصعاقا فهو صعق: مات، قال مقاتل فى قول أصابته صاعقة:

الصاعقة الموت، وقال آخرون: كل عذاب مهلك، وفيها ثلاث لغات: صاعقة وصعقة وصاقعة؛ وقيل:

الصاعقة العذاب، والصعقة الغشية، والصعق مثل الغشى يأخذ الإنسان من

الحر وغيره.

معنى ذلك نستطيع إن نقول أن الآية ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ تعنى أنذرتكم عذابا مثل عذاب عاد وثمود وبذلك تكون صاعقة عاد هى العذاب والهلاك الذى حل بهم وهذا رد على قوله هل أصيبت عاد بالصاعقة أم بالرياح الشديدة.

- إذن لا اختلاف هنا لأننا رأينا أن الصاعقة هى اسم للمبيد المهلك، فالرياح التى أرسلها الله على قوم عاد كانت مبيدة ومهلكة فقوم عاد قد صعقوا بالرياح المهلكة وقوم ثمود صعقوا بالصيحة الطاغية المجاوزة للحد وبطغيانهم.

السؤال الثانى لهذا الجاهل:

كم يوم استغرق هلاك قوم عاد يوم (القمر: ١٩) أم أكثر (فصلت: ١٦) و (الحاقة: ٧)؟؟.

- «فى يوم نحس مستمر» يستنتج المسمى نيومان من هذه الآية أن العذاب يوم واحد والمعنى واضح فإن بدء العذاب فى سورة القمر كان فى يوم نحس ثم هذا العذاب استمر فى أيام نحسات.

السؤال الثالث لهذا الجاهل:

هل كان قوم عاد صرعى (واقعون على الأرض) أم مثل أعجاز نخل خاوية (واقفة)؟؟

إن ما جاء فى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: المنقلع عن منبته، وكذلك الخاوية معناها معنى المنقلع فى قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، وقيل لها إذا انقلعت خاوية لأنها خوت من منبتها الذى كانت تنبت فيه وخوى منبتها منها، ومعنى خوت أى خلت كما تخوى الدار خويا إذا خلت من أهلها. (راجع معجم لسان العرب).

- فلا اختلاف هنا لأن الرياح التى سخرها الله على قوم عاد جعلتهم صرعى بمثابة أعجاز النخل التى خوت من منابتها أى جذورها، فالخاوية لا تعنى الواقفة.

١٨ ـ يؤكد القرآن أنه لا يمكن للملائكة أن تعصى الله تعالى (التحريم: ٦). ومع ذلك فقد عصى إبليس الذى كان من الملائكة، كما فى الآية (البقرة: ٣٤). فأيهما صحيح؟.

الملائكة خلقهم الله سبحانه وتعالى ليعبدوه ويطيعوه ويفعلون ما يُؤمرون كما قال الله تعالى: ﴿...عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ **(التحريم: ٦)** وهم منزهون عن العصيان إذ أنهم يؤدون ما يأمرهم الله سبحانه وتعالى دون تردد أو تباطؤ. والملائكة كائنات لطيفة مخلوقة من نور فقد قال ﷺ: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) وشهدت الملائكة بوحدانية الله سبحانه وتعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **(آل عمران: ١٨)**.

أما إبليس لعنه الله فقد عصى الله سبحانه وتعالى. من الأمثلة على ذلك رفضه السجود لآدم حينما أمره الله بذلك ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ **(البقرة: ٣٤)**، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ **(الأعراف: ١١)** وقد استكبر وقال لله عز وجل إنه خير من الإنس لأنه خلق من نار وخلق آدم من طين ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ **(الأعراف: ١٢)** فأمره الله سبحانه وتعالى بالهبوط من الجنة وجعله من الصاغرين ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ **(الأعراف: ١٣)** فسأل الله سبحانه وتعالى أن يمهله ـ أى يبقيه حيا ـ إلى يوم القيامة، فأخبره المولى عز وجل أنه رضى بذلك ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ **(الأعراف: ١٤: ١٥)**: هنالك ازداد الشيطان جحوداً وبدأ بوعوده بمحاربة الإنسان ومحاولة إغوائه ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ **(الأعراف: ١٦ ـ ١٧)** فباء بغضب الله هو ومن تبعه ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ **(الأعراف: ١٨)** ومنذ ذلك

الوقت هو عدو للإنسان وملعون من الله. وهذا مذكور فى غير مكان فى القرآن كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

(الحجر: ٢٨ ـ ٤٣).

أما القول أن إبليس كان من الملائكة فهذا غير صحيح. إن إبليس كان من الجن وهو أصل الجن وأبو الجن. ويدل على ذلك ثلاثة أشياء:

● تصريح القرآن بذلك: فقد قال تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ **(الكهف: ٥٠)**

قال الحسن البصرى: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر.

● صفات إبليس الخَلقية: فقد ذكر الله سبحانه وتعالى على لسان إبليس أنه مخلوق من نار ﴿... قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ **(الأعراف: ١٢)**

ونحن نعرف أن الملائكة مخلوقة من نور وأن الجن خلقوا من نار قال ﷺ: (خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) وهذا يدل أن إبليس خلق مما خلق منه الجن وليس الملائكة.

● الصفات الخُلقية: وهذا ما ذكرته سابقاً من أن الملائكة لا تعصى الله ما أمرها وأن إبليس عصى الله سبحانه وتعالى والآيات فى ذلك كثيرة.

وقد ورد عن جماعة من السلف أن إبليس كان من الملائكة، وأنه طاووس الملائكة، وأنه من خزنة الجنة، وغير ذلك. ولكن هذه الأقوال كلها غير صحيحة وهى تعتمد على الإسرائيليات، والإسرائيليات لا يؤخذ بها إذا خالفت ما نص عليه القرآن والسنة.

وبهذا يتبين لنا أن إبليس لم يكن من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإنما كان من الجن أو أصل الجن ولكن الأمر بالسجود لآدم شمله إكراماً لآدم عليه السلام وامتحاناً لإبليس عليه لعنة الله.. والله أعلم.



١٩ ـ حول تناقض النقل ـ القرآن ـ مع العقل

هناك من يقيمون التناقض بين «العقل» و «النقل»، ويدعون أن الثقافة الإسلامية نقلية لا عقلية، ويعتقدون أن جميع علماء الأمة بدون استثناء غير مؤهلين، لأنهم اعتمدوا على النقل وليس التفكير.. وأنه يجب التفكير فى كل أمور الدين، الأصل قبل الفرع.. وإلغاء كل الأساسيات الموجودة التى تعتبرها الأمة من المسلمات، والبحث من جديد عن الحقيقة، معتمدين على العقل فقط.. (ا. هـ).

الرد على الشبهة

إن القول بالاعتماد على العقل فقط ـ أى دون النقل، الذى هو الوحى الإلهى، فى بلاغه القرآنى وبيانه النبوى ـ .. واستخدام العقل وحدة أداة لإعادة النظر فى كل ما تعتبره الأمة من المسلمات.. هو قول يحتاج إلى ضبط.. وإلى تصويب.. ويمكن أن يتم ذلك من خلال إشارات إلى عدد من الحقائق:

أولاها : أن مقام العقل فى الإسلام هو مكان عال وفريد، ولا نظير له فى الشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية الخاتمة.. فالعقل فى الإسلام هو مناط التكليف بكل فرائض وأحكام الإسلام.. أى شرط التدين بدين الإسلام.

وثانيتها : أن النقل الإسلامى ـ وخاصة معجزته القرآنية ـ هو معجزة عقلية، قد ارتضت العقل حكماً فى فهمها وفى التصديق بها، وفى التمييز بين المحكم والمتشابه فى آياتها، وأيضاً فى تفسير هذه الآيات.. فليس للقرآن كهنوت يحتكر تفسيره، وإنما هو ثمرة لنظر عقول العلماء المفسرين.. وعلى حين كانت معجزات الرسالات السابقة معجزات مادية، تدهش العقول، فتشلها عن التفكير والتعقل، جاءت معجزة الإسلام ـ القرآن الكريم ـ معجزة عقلية، تستنفر العقل كى يتعقل ويتفكر ويتدبر، وتحتكم إليه باعتباره القاضى فى تفسير آياتها.. فكان النقل الإسلامى سبيلاً لتنمية العقلانية الإسلامية.. وكان هذا التطور فى طبيعة المعجزة متناسباً ومتسقاً مع مرحلة النضج التى بلغتها الإنسانية، ومع ختم السماء سلسلة الرسالات والوحى إلى الأنبياء والرسل وأمم الرسالات..

وثالثتها : أن العقل ـ فى الإسلام ـ هو سبيل الإيمان بوجود الله ووحدانيته

وصفاته.. لأن الإيمان بالله سابق على التصديق بالرسول وبالكتاب الذى جاء به الرسول، لأنه شرط لهما، ومقدم عليهما، فالتصديق بالكتاب ـ النقل ـ متوقف على صدق الرسول الذى أتى به، والتصديق بالرسول متوقف على وجود الإله الذى أرسل هذا الرسول وأوحى إليه.. والعقل هو سبيل الإيمان بوجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ وذلك عن طريق تأمل وتدبر بديع نظام وانتظام المصنوعات الشاهدة على وجود الصانع المبدع لنظام وانتظام هذه المصنوعات.. فالعقل ـ فى الإسلام ـ هو أداة الإيمان بجوهر الدين ـ الألوهية ـ وبعبارة الإمام محمد عبده: «.. فأول أساس وضع ﷺ هو النظر العقلى، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة، وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته..»(١).

وذلك على حين كان العقل غريباً ومستبعداً من سبل الإيمان فى حقب الرسالات السابقة على الإسلام.. حقب المعجزات المدهشة للعقول، عندما كانت الإنسانية فى مراحل الطفولة «خرافاً ضالة»، تؤمن بما يلقى إلى قلبها، دون إعمال عقل، لأن الإيمان لا يحتاج إلى إعمال عقل.. وفق عبارة القديس والفيلسوف النصرانى «أنسليم» (١٠٣٣ ـ ١١٠٩ م).

ورابعتها: أن المقابلة بين «العقل» و «النقل» هى أثر من آثار الثنائيات المتناقضة التى تميزت بها المسيرة الفكرية للحضارة الغربية، تلك التى عرفت لاهوتا كنسيا ـ نقلا ـ لا عقلانيا، فجاءت عقلانيتها، فى عصر النهضة والتنوير الوضعى العلمانى، ثورة على النقل اللاعقلانى ونقضاً له.. أما فى الإسلام، والمسيرة الفكرية لحضارته وأمته ـ وخاصة فى عصر الازدهار والإبداع ـ فإن النقل لم يكن أبداً مقابلاً للعقل، لأن المقابل للعقل هو الجنون، وليس النقل.. ولأن النقل الإسلامى ـ القرآن الكريم ـ هو مصدر العقلانية المؤمنة، والباعث عليها، والداعى لاستخدام العقل والتفكر والتدبر فى آيات الله المنظورة والمسطورة جميعاً.. وآيات القرآن التى تحض على العقل والتعقل تبلغ تسعاً وأربعين آية.. والآيات التى تتحدث عن «اللب» ـ بمعنى عقل وجوهر الإنسان ـ هى ست عشرة آية. كما يتحدث القرآن عن «النُّهَى» ـ بمعنى

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٣ ص ٣٠١.

العقل - فى آيتين.. وعن الفكر والتفكر فى ثمانية عشر موضعاً.. وعن الفقه والتفقه - بمعنى العقل والتعقل - فى عشرين موضعاً.. وعن «التدبر» فى أربع آيات.. وعن «الاعتبار» فى سبع آيات.. وعن «الحكمة» فى تسع عشرة آية.. وعن «القلب» كأداة للفقه والعقل - فى مائة واثنين وثلاثين موضعاً.. ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التى تبلغ فى القرآن أكثر من ثمانمائة آية.. فالنقل الإسلامى - أى الشرع الإلهى - هو الداعى للتعقل والتدبر والتفقه والتعلم.. والعقل الإنسانى هو أداة فقه الشرع، وشرط ومناط التدين بهذا الشرع الإلهى.. ولذلك لا أثر للشرع بدون العقل، كما أنه لا غنى للعقل عن الشرع، وخاصة فيما لا يستقل العقل بإدراكه من أمور الغيب وأحكام الدين.

ذلك أن العقل، مهما بلغ من العظمة والتألق فى الحكمة والإبداع، هو ملكة من ملكات الإنسان، وكل ملكات الإنسان - بالخبرة التاريخية والمعاصرة - هى نسبية الإدراك والقدرات، تجهل اليوم ما تعلمه غداً، وما يقصر عنه عقل الواحد يبلغه عقل الآخر.. وإذا كانت ميادين عالم الشهادة - النفس والكون.. أى الدنيا.. مفتوحة على مصاريعها أمام العقل وأمام التجربة - بالنسبة للإنسان - فإن هناك ميادين - وخاصة فى معارف عالم الغيب - سبيل معرفتها النقل - أى الوحى - والوجدان - القلب والإلهام - فالهدايات التى يهتدى بها الإنسان هى «العقل» و «النقل» و«التجربة» و «الوجدان».. وليست العقل وحده دون سواه.. وبتنوع الهدايات وسبل المعرفة الإنسانية، مع تنوع مصادر المعرفة الإنسانية - الوحى وآيات الله المسطورة، مع الكون وآيات الله المنظورة - تتكامل وتتوازن المعرفة الإنسانية - وهذه هى نظرية المعرفة الإسلامية - بينما يختل توازن هذه المعرفة إذا هى وقفت - فى المصادر - عند الكون وعالم الشهادة وحده - وفى الوسائل وإدراك المعرفة عند العقل وحده، أو العقل والتجربة وحدهما، دون النقل والوجدان.. ولقد عبر عن هذا التكامل والتوازن فى - نظرية المعرفة الإسلامية الإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) عندما تحدث - فى تفسيره لآية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ - من سورة الفاتحة - عن «الهدايات الأربع» - العقل، والنقل، والتجربة، والوجدان كما عبر عن التلازم الضرورى بين العقل والنقل، لتكامل المعرفة الإسلامية عندما قال:

«.. فالعقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله، وعلمه وقدرته، والتصديق بالرسالة.. أما النقل، فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة والعبادات.. والقرآن - وهو المعجز الخارق - دعا الإسلام الناس إلى النظر فيه بعقولهم.. فهو معجزة عرضت على العقل، وعرفته القاضى فيها، وأطلقت له حق النظر فى أنحائها، ونشر ما انطوى فى أثنائها.. وإذا قدرنا عقل البشر قدره، وجدنا غاية ما ينتهى إليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت الإدراك الإنسانى.. أما الوصول إلى كنه حقيقته فمما لا تبلغه قوته.. ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشرى أن يصل إليه وحده.. لهذا كان العقل محتاجاً إلى معين يستعين به فى وسائل السعادة فى الدنيا والآخرة..»[1].

فالإسلام لا يعرف - على الإطلاق - هذه الثنائية المتناقضة بين العقل والنقل.. وصريح المعقول لا يمكن أن يتعارض مع صحيح المنقول.. ولقد عبر الإمام محمد عبده عن ما قد يتوهمه البعض تعارضاً عندما صاغ حقيقة هذه القضية فقال: «لقد تقرر بين المسلمين أن الدين إن جاء بشىء قد يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل..»[2].. ففارق بين ما يعلو على إدراك العقل، من بعض أمور الدين، وبين ما يستحيل فى العقل الذى برئ ويبرأ منه الدين.

ومن بين علماء الإسلام الذين عبروا - بصدق وعبقرية - عن تكامل العقل والنقل - الحكمة والشريعة - حجة الإسلام - أبو حامد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١ م) عندما قال: «إن أهل السنة قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول، وعرفوا أن من ظن وجوب الجمود على التقليد واتباع الظواهر، ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر. وأن من تغلغل فى تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر. فميل أولئك إلى التفريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط.. فمثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق أن يكون طالب الاهتداء المستغنى إذا استغنى بأحدهما عن الآخر

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢٥، ٣٧٩، ٣٩٧.

(٢) (الأعمال الكاملة) ج ٣ ص ٢٥٧.

فى غمار الأغبياء، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور..»(١).

وهذه العلاقة بين العقل والنقل ـ علاقة التكامل والتآخى ـ هى التى أكد عليها أبو الوليد ابن رشد (١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) عندما قال: «.. فإنا ـ معشر المسلمين ـ نعلم على القطع، أنه لا يؤدى النظر البرهانى إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له.. فالحكمة هى صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة.. وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر والغريزة..»(٢).

فالباب مفتوح على مصراعيه أمام العقل فى سائر ميادين عالم الشهادة. وهو سبيل الفقه والفهم والتكليف فى الشرع والدين.. لكن لابد من مؤازرة الشرع والنقل للعقل فيما لا يستقل العقل بإدراكه من أخبار عالم الغيب والحكم والعلل من وراء بعض أحكام العبادات فى الدين.. وما قد يبدو من تعارض ـ عند البعض ـ أحياناً بين العقل والنقل، فهو تعارض بين العقل وبين «ظاهر» النقل وليس حقيقة معنى النقل أو مرجعه إلى تخلف «صحة» النقل.. أو تخلف «صراحة» العقل.. أو وجود ما يعلو على الفهم، لا ما يتعارض مع العقل.. فالعقل مع الشرع ـ كما قال حجة الإسلام الغزالى ـ «نور على نور».. وما الحديث عن التعارض بينهما إلا أثر من آثار الغلو فى أحدهما، تفريطاً أو إفراطاً.

وإذا كانت البداهة والخبرة البشرية ـ وحتى الحكمة الفلسفية ـ تقول: إن من مبادئ الدين والشرائع ما لا يستقل العقل بإدراك كنهه وحقيقة جوهره، فكيف يجوز لعاقل أن يدعو إلى تحكيم العقل وحده فى كل أساسيات الدين؟! لقد قال الفيلسوف الفقيه أبو الوليد بن رشد وهو الذى احترم عقلانيته المتألقة الأوربيون والمسلمون جميعاً. قال عن رأى الفلاسفة القدماء فى مبادئ الشرائع التى لا يستقل العقل بإدراكها: «إن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل فى مبادئ الشرائع مثل: هل الله تعالى موجود؟ وهل السعادة موجودة؟ وهل الفضائل

(١) (الاقتصاد فى الاعتقاد) ص ٢، ٣. طبعة القاهرة. مكتبة صبيح بدون تاريخ.

(٢) (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ص ٣١، ٣٢، ٦٧. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة دار المعارف. القاهرة سنة ١٩٩٩ م.

موجودة؟. وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد، ولذلك وجب قتل الزنادقة.. فيجب على كل إنسان أن يسلم بمبادئ الشرائع، لأن مبادئها أمور إلاهية تفوق العقول الإنسانية، وكيفية وجودها هو أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية، فلابد أن يعترف بها مع جهل أسبابها..»[١].

فليس هناك عاقل يحكم العقل فيما لا يستقل العقل بإدراكه من مبادئ الشرائع المعجزات، وكنه وجوهر وحقائق المغيبات.

وليس هناك عاقل يغفل أو يتغافل عن مكانة ودور العقل فى دين الإسلام.

وإدراك وظيفة العقل.. وميدان عمله.. وحدود قدراته، هو لب الاحترام للعقل، وليس فيه انتقاص من سلطانه، الذى تألق فى دين الإسلام وفكر المسلمين.



(١) (تهافت التهافت) لابن رشد ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣ م.

٢٠ ـ هل تناقض القرآن فى مادة خلق الإنسان؟

يعطى القرآن معلومات مختلفة عن خلق الإنسان.. من ماء مهين (المرسلات: ٢٠) من ماء (الأنبياء: ٣٠).. من نطفة (يس: ٧٧).. من طين (السجدة: ٧).. من علق (العلق: ٢).. من حمأ مسنون (الحجر: ٢٦).. ولم يك شيئاً (مريم: ٦٧).

فكيف يكون كل ذلك صحيحاً فى نفس الوقت؟ (ا. هـ).

الرد على الشبهة

ليس هناك أدنى تناقض بل ولا حتى شبهة تناقض بين ما جاء فى القرآن الكريم من معلومات عن خلق الإنسان.. وحتى يتضح ذلك، يلزم أن يكون هناك منهج علمى فى رؤية هذه المعلومات، التى جاءت فى عديد من آيات القرآن الكريم.. وهذا المنهج العلمى يستلزم جمع هذه الآيات.. والنظر إليها فى تكاملها.. مع التمييز بين مرحلة خلق الله للإنسان الأول آدم ـ عليه السلام ـ ومرحلة الخلق لسلالة آدم، التى توالت وتكاثرت بعد خلق حواء، واقترانها بآدم، وحدوث التناسل عن طريق هذا الاقتران والزواج..

● لقد خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان الأول ـ آدم ـ فأوجده بعد أن لم يكن موجوداً.. أى أنه قد أصبح «شيئاً» بعد أن لم يكن «شيئاً» موجوداً. وإنما كان وجوده فقط فى العلم الإلهى.. وهذا هو معنى الآية الكريمة ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ **(مريم: ٦٧)**.

● أما مراحل خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ لآدم.. فلقد بدأت بـ (التراب) الذى أضيف إليه (الماء) فصار (طيناً) ثم تحول هذا الطين إلى (حمأ) أى أسود منتناً، لأنه تغير والمتغير هو (المسنون).. فلما يبس هذا الطين من غير أن تمسه النار سمى (صلصالاً) لأن الصلصال هو الطين اليابس من غير أن تمسه نار، وسمى صلصالاً لأنه يصل، أى يصوت، من يبسه أى له صوت ورنين.وبعد مراحل الخلق هذه ـ التراب.. فالماء.. فالطين.. فالحمأ المسنون.. فالصلصال ـ نفخ الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى «مادة» الخلق هذه من روحه، فغدا هذا المخلوق «إنساناً» هو آدم ـ عليه السلام ـ..

● وعن هذه المراحل تعبر الآيات القرآنية، فتصور تكامل المراحل ـ وليس

التعارض المتوهم والموهوم - فتقول هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ (آل عمران: ٥٩). فبالتراب كانت البداية ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾(السجدة: ٧). وذلك عندما أضيف الماء إلى التراب ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (الصافات: ١١) وذلك عندما زالت قوة الماء عن الطين، فأصبح «لازباً أى جامداً».

● وفى مرحلة تغير الطين، واسوداد لونه، ونتن رائحته، سمى (حمأ مسنوناً)، لأن الحمأ هو الطين الأسود المنتن.. والمسنون هو المتغير.. بينما الذى ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ هو الذى لم يتغير.. وعن هذه المرحلة عبرت الآيات: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر: ٢٦ - ٣٥)[١].

تلك هى مراحل خلق الإنسان الأول، توالت فيها وتتابعت وتكاملت معانى المصطلحات: التراب.. والماء.. والطين.. والحمأ المسنون.. والصلصال.. دونما أية شبهة للتعارض أو التناقض.

● وكذلك الحال والمنهاج مع المصطلحات التى وردت بالآيات القرآنية التى تحدثت عن خلق سلالة آدم - عليه السلام -.

فكما تدرج خلق الإنسان الأول آدم من التراب إلى الطين.. إلى الحمأ المسنون.. إلى الصلصال.. حتى نفخ الله فيه من روحه.. كذلك تدرج خلق السلالة والذرية بدءاً من (النطفة) - التى هى الماء الصافى - ويعبر بها عن ماء الرجل (المنى).. إلى

---

(١) انظر معانى المصطلحات الواردة فى هذه الآيات فى: الراغب للأصفهانى أبي القاسم الحسين بن محمد (المفردات فى غريب القرآن) طبع دار التحرير - القاهرة - سنة ١٩٩١ م و (لسان العرب) - لابن منظور - طبعة دار المعارف - القاهرة.

(العلقة) التى هى الدم الجامد، الذى يكون منه الولد، لأنه يعلق ويتعلق بجدار الرحم إلى (المضغة) وهى قطعة اللحم التى لم تنضج، والمماثلة لما يمضغ بالفم.. إلى (العظام).. إلى (اللحم) الذى يكسو العظام.. إلى (الخلق الآخر) الذى أصبح بقدرة الله فى أحسن تقويم[1].

ومن الآيات التى تحدثت عن توالى وتكامل هذه المراحل فى خلق وتكوين نسل الإنسان الأول وسلالته، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

(الحج: ٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

(المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

● وإذا كانت (النطفة) هى ماء الرجل.. فإنها عندما تختلط بماء المرأة، توصف بأنها (أمشاج) ـ أى مختلطة ـ كما جاء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ **(الإنسان: ٢).**

● كما توصف هذه (النطفة) بأنها (ماء مهين) لقلته وضعفه.. وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ **(السجدة: ٧ ـ ٨).** ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾

(المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣).

● وكذلك، وصفت (النطفة) ـ أى ماء الرجل ـ بأنه (دافق) لتدفقه واندفاعه..

---

(١) انظر فى معانى هذه المصطلحات (المفردات فى غريب القرآن) ـ مصدر سابق ـ.

كما جاء فى الآية الكريمة ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (الطارق: ٥ - ٧).

هكذا عبر القرآن الكريم عن مراحل الخلق.. خلق الإنسان الأول.. وخلق سلالات وذريات هذا الإنسان..وهكذا قامت مراحل الخلق، ومصطلحات هذه المراحل، شواهد على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم. عندما جاء العلم الحديث ليصدق على هذه المراحل ومصطلحاتها، حتى لقد انبهر بذلك علماء عظام فاهتدوا إلى الإسلام.

فكيف يجوز ـ بعد ذلك ومعه ـ أن يتحدث إنسان عن وجود تناقضات بين هذه المصطلحات.. لقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).



٢١ ـ شبهة تناقض القرآن

شىء آخر يأخذه خصوم الإسلام، ليخدعوا به السذج.. وقبل أن نعرض لذلك الشىء نقول: إنه يجب على ولى الأمر حاكماً كان أو أباً أو معلماً أن يبصر من تحت يده من الأبناء والنساء بأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها.. لأن هذه سنة القرآن.

فالقرآن عرض علينا أباطيل خصوم الدين، ورد عليها.. لأنه لو ترك القضايا تفد علينا من غيره لدخلت علينا بغير دليل على بطلانها.. إذن لابد من عرض هذه القضايا ومعها دليل البطلان، لئلا تتفرد القضايا بالقلب.

حينما يفد علينا مرض، ونريد أن نتحصن منه فإننا نذهب إلى المرض نفسه، ونأخذ الميكروب فى صورة غير شرسة، ونعطيه للناس فى صورة «حقن». وأولياء الأمور من علماء ومدرسين وآباء، عليهم أن يعرضوا هذه القضايا من جهتهم، ولا يدعوها تفد إليهم من ورائنا، لأننا إن هوجمنا من الخلف هوجمنا بشراسة.

وكثير من الناس يستنكفون أن يذكروا هذه القضايا لأبنائهم، لئلا يلفتوا أنظارهم إليها، وهذا خطأ، لأن وسائل الإعلام شتى، فإن احتطت ألا تفد هذه الوافدات عن طريقك، فإنك لا تستطيع أن تمنعها من الوصول من غيرك وعن طريق وسائل الإعلام.

وخصوم الإسلام يقولون: إن القرآن الذى يرفعه المسلمون إلى مرتبة التقديس ليس من عند الإله.. لأن الإله لا يمكن أن يتضارب، وهذا القرآن متضارب فى كثير من آياته، وعدوا عشر آيات ظاهرها التضارب، وعنونوها «سفر البرهان فى متناقضات القرآن». وعرضوها بغير سليقة العربى ذى الملكة الذى يفهم الأسلوب ويدرك مراميه.

عرضوا قول الحق سبحانه ليشككوا فى القرآن ذاته: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ **(الأنعام: ١٦٤)** وقالوا: تلك قضية قرآنية. وقالوا: ثم يسهو محمد أنه قال هذه الآية، فينطلق لسانه بآية أخرى تناقض هذه الآية هو قوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ **(النحل: ٢٥)**.

فكيف لا تزر وازرة وزر أخرى، ثم يحملوا أوزارا مع أوزارهم؟

هم معذرون، لأنهم لم يتمرسوا بفهم الأسلوب العربى، أو هم فاهمون، ولكنهم يحاولون أن يدخلوا على الناس بهذا، لأنهم سيخاطبون ناشئة، هذه الناشئة ليس عندها بصر بأسلوب اللغة.

فنقول لهم: لا تضارب، لأن الدين الإسلامى دين ذاتى، بمعنى أن الإنسان لا يعاقب إلا على فعل فعله باختياره غير مكره عليه فى زمن يكون التكليف فيه موجوداً. ومعنى التكليف هو البلوغ والعقل إلى آخر الشروط الموضحة فى مواضعها من الشريعة، مما يدل على احتياطات الإسلام فى مسألة الجزاء.

فهو لم يكلف إلا من نضج عقله.. وآية نضج العقل: استكمال البلية الإنسانية بالبلوغ، لأنه لو كلف قبل ذلك ثم طرأ عليه البلوغ، والبلوغ ظاهرة جنسية عارمة، ربما قال: هذه لم تكن عندى ساعة تعاقدت على الإيمان. أنا الآن أجد فى جسمى أشياء أخرى.

والنضج فى كل شىء حى هو أن يقدر بذاتيته على أن يتجنب مثله، ولذلك فمن رحمة الله بنا من أجل بقاء الأنواع أن الثمار كلها فى أصل تكوينها إنما تكون من أجل حماية البذرة التى فى داخلها.. ولا تنضج الثمرة وتكون حلوة إلا إذا نضجت البذرة فيها.

فأنت إذا شققت بطيخة ووجدت اللب أبيض، فهى ليست حلوة، أما إذا وجدته أسود لامعاً فهى حلوة.. وقطف العنب إن كانت بذرته ناضجة فهو حلو، وإلا فلا.. وكذلك الإنسان لا ينضج إلا إذا كانت عنده القدرة الذاتية على الإنجاب. وهذا هو التكليف.

فإذا أكرهته على الفعل رفع عنه التكليف، وهذا هو الضمان لعدالة الجزاء. ويشترط أن تكون أداة الاختيار بين البديلات وهى العقل سليمة.. وهذا التحرى الدقيق للعدالة معناه أنى لا أحمل وزر سواى.

لكن الوزر الذى يفعله الشخص قد يظهر أثره فى غيره: فالذى يضل يضل

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٣ ص ٣٠١.

بذاته، من غير أن يتعدى ضلاله إلى الغير.. ولكن حين يريد أن ينقل ضلاله إلى الغير فإن له عملين حينئذ:

وأنه ضل فى ذاته.

وأنه أضل غيره.

فحين يضل غيره فهذا عمل جديد، وهو حينئذ يحمل وزر ضلاله فى ذاته، ووزر إضلاله لغيره، وهذا وزر مع وزره، هو أنه ضلل الغير. فهناك فرق بين وزر الضلال، ووزر الإضلال. وهم لا يفهمون ذلك.

ألم يروا أن الرسول ﷺ قال: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء»؟.

لأنها ما دامت سنة فقد أصبحت أسوة: ولذلك شرع الإسلام ستر بعض الجرائم، لأن إشاعتها تعطى أسوة فى الشر: فيسرها، ويأمر بعدم التنقيب عن عيوب الناس، لئلا توجد الأسوة فى الشر، فإن وجدت أسوة فى الشر فالذى صنعها هو الذى كشف عنها وأشاعها.

إذن فالمسألة الأولى من كتاب سفر البرهان فى متناقضات القرآن منقوضة:

وبعد ذلك يعرضون قضية العقوق الأبوى، قالوا: إن القرآن يخص الناس على أن يعاملوا آباءهم معاملة سيئة وقاسية. وعرضوا الآية:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ **(المجادلة: ٢٢)**.

ثم يقول: ويؤخذ محمد بعد ذلك بعاطفة من حنان تجعله يسهو فيقول ثانياً:

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ **(لقمان: ١٥)**.

ونقول لهم: وما ذنبنا نحن إن كان هؤلاء لا يفهمون العربية، لا بسليقة اللغة، ولا بإتقان الصنعة، نريد منك أن تخبرنا فى لغتك: ما هو الود؟ وما هو المعروف؟

فالآيتان لم تردا على شيء واحد، بل جاءت الأولى فى الود، وجاءت الثانية فى المعروف. ولو أن الآيتين وردتا على شيء واحد، لأمكن أن يقال: هناك تناقض.

ما هو الفرق بين الود والمعروف؟

الود: حب القلب. وحب القلب يدعو إلى انجذاب القالب بتبعاته من كل مظاهر الحب. والمعروف: بذل القالب.

المعروف تصنعه مع من تحب ومن لا تحب. وتبعات الود لا تصنعها إلا مع من تحب. فالأب الكافر لا يحبه المؤمن بالقلب، ولكن يصنع له المعروف، لأن الابن مأمور بأن يكون صاحب معروف حتى مع أعدائه..

الود القلبى يترتب عليه المعروف.. أما الود فلا يترتب عليه الود القلبى، ووقائع الإسلام الدالة على ذلك كثيرة.

فسعد بن أبى وقاص حين أسلم حلفت أمه ألا تأكل، ولا تشرب، ولا تغتسل، ولا تقوم من الشمس.. فقال سعد لقومه: دعوها، فإن آذاها القمل اغتسلت، وإن عضها الجوع أكلت، وإن أصابها الظمأ شربت. وقال لها: يا أمى، والله لو أن لك مائة نفس ونفس، ثم فاضت منك نفساً نفساً على أن أترك دين محمد ما تركته.

هذا هو الذى صنعه الإيمان.

الحب لا يتسع لأمرين أبداً، لأن الله يقول: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ **(الاحزاب: ٤)**. ولذلك حينما يطلب الله من المؤمن ألا يجعل حب الدنيا فى قلبه، فلأن الله يريد أن يكون قلب المؤمن منزله، ولا يريد أن يجعل معه فى القلب سواه.

والدليل على ذلك: أن الذين آمنوا خلعوا من قلوبهم الود لكل كافر، ولو كان ودا غريزيا أو عاطفيا كما حدث من سعد.

وهناك مثل آخر.. ففى موقعة بدر كان سيدنا أبو بكر بجانب النبى ﷺ، وابن له كان مازال كافراً يحارب معهم فى صف ضد أبيه. ثم أسلم الولد بعد ذلك فقال الولد لأبيه:

يا أبت لقد رأيتك يوم بدر، فعزفت عنك مخافة أن ينالك شيء.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله يا بنى لو تراءيت لى يوم المعركة لقتلتك.

كلاهما صادق، لأن أبا بكر يقارن بين بنوة وربوبية.. فيرجح عنده جانب الربوبية.. ولكن ابنه يقارن بين أبيه وبين لا شىء. لأنه تبين أنه لا يؤمن بأصنامه، وإلا لدخلت فى المقارنة، بدليل أنه تركها وأسلم.

كل ذلك دليل على أن الحب الإيمانى إذا تمكن فى القلب لا يوجد فيه فراغ لأن يحب شيئاً آخر.

ونحن نلاحظ أم حبيبة بنت أبى سفيان. وأبو سفيان رجل له مكانته وسيادته، وكان يقال له: سيد العير. وأم حبيبة حين أسلمت وهاجرت مع زوجها ـ وكانت تحبه ـ وشاء الله أن يخلصها للحب له وحده، والإيمان به، فأغراه أحد الأحباش بالنصرانية فتنصر، وبقيت هى على دين الإسلام.

إذ ثبت أنها آمنت لا لأن زوجها آمن، وهاجرت لا لأن زوجها هاجر، لذلك لم يكن لها من مكافأة عند الله وعند رسوله إلا أن يطمئنها إلى أن العوض عند الله، فعوضها عن زوجها الذى تنصر، بأن تزوجها رسول الله ﷺ.

ولم ينتظر رسول الله ﷺ إلى أن تذهب إلى هناك، بل جعل النجاشى يعقد لها عليه، حتى يعجل لها بالعوض، وأصبحت أمّاً للمؤمنين. وحين تصبح أمّاً للمؤمنين يكون قد ألزم كل المهاجرين بأن يكونوا فى خدمتها، وطوع إرادتها.. يذهب زوجها، فيصبح المسلمون فى الحبشة كلهم رعية لأم حبيبة.

وبعد ذلك تأتى إلى المدينة، ويذهب إليها أبوها، فتمنع أبا سفيان من أن يقرب فراش رسول الله، لأنه مشرك، وهذا هو ما يفعله الإيمان فى القلوب.

فلا يوجد ود فى قلب مؤمن لغير الله، ولغير من يشترك معه فى حب الله، والإيمان بالله، الود العاطفى والجسدى يذهب، ويأتى الإيمان كما حدث لمصعب بن عمير رضي الله عنه.

ومصعب بن عمير تربى فى النعيم، ولما أسلم عاش الكفاف، ولكنه كان أول داع إلى الإسلام فى المدينة.. والتقى بالكفار فى غزوة بدر، وكان له أخ اسمه أبو عزيز

يحارب مع الكفار، وقد وقع أسيراً فى يد أنصارى اسمه «أبو اليسر». ومر عليه أخوه مصعب وهو أسير، فقال لآسره: اشدد على أسيرك، فإن أمه غنية، وستفديه بمال كثير. فقال أخوه له: أهذه وصاتك بأخيك؟ قال مصعب: هذا أخى ولست أخى.

من هنا تعلم أن الود الإيمانى عمل قلبى بحت، والمعروف إحسان لمن تحب ومن لا تحب.

وقالوا: إن قرآن محمد تعرض لقضية كونية ما كان أغناه أن يتعرض لها. لأنها ليست من مهمة الإيمان، ولكن يشاء الله أن يوقعه فيها حتى تكون حجة عليه. قالوا: إن القرآن يتكلم عن خلق السموات والأرض. ويقول إن الله خلقهما فى ستة أيام.

وهذا يعطينا أن خصوم القرآن يقرءون القرآن، ويعلمون الإحصائيات حتى يفهمونا أنهم يتكلمون عن دراسة، وأنهم يستخرجون ما لا يستخرجه المؤمنون، لأن المؤمنين يقرءون القرآن بقداسة أنه من عند الله.

ونقول: إن إعلان خصوم الإسلام عن هذه القضايا مقصود لله تعالى، حتى يظهر إعجاز القرآن، ويظهر أنه من عند الله على مر العصور كما قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ـ طُويَتْ ـ أتاح لها لسان حسود

إذن «فالمعطيات» التى صنعها أهل الكفر هى التى دفعت أهل الإيمان إلى الرد عليها، فبدا جمال الدين، وجلال القرآن.

آيات القرآن تنص على أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام. ولكن آية واحدة اكتشفها أعداء الإسلام بزعمهم وقالوا: إنها فضحت محمداً قبحهم الله. وهى قوله تعالى:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ **(فصلت: ٩)**.

ووضعوا تحت يومين خطين ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾**(فصلت: ١٠)**. ووضعوا تحت أربعة أيام أربعة خطوط ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ **(فصلت: ١١، ١٢)**. ووضعوا تحت اليومين

خطين. وقالوا اقرءوا الخطوط تجدوها ثمانية أيام. إذن محمد سها حتى قال: إنها ثمانية أيام.

نقول لهم: أنتم لم تفهموا معطيات القرآن، لأنه نزل باللسان الفصيح الوضيح. كل حرف فيه له معان، والحس الصحيح هو الذى يدرك المعلومة القرآنية الصحيحة. والعربى يقرأ القرآن بملكته، وساعة يقرأه بملكته يستطيع أن يضع اللفظ فى مكانه المناسب وإن لم يكن منقوطاً.

الذى خلق الأرض فى يومين، وجعل فى الأرض رواسى من فوقها أى من فوق الأرض، وقدر فيها أقواتها، أى أقوات الأرض، إذن ما يأتى فى كلمة أربعة أيام لمخلوق ليس ابتداء، ولكنه تتمة لشىء.

الأيام الأربعة لم تتكلم عن خلق جديد، وإنما تكلمت عن إتمام شىء موجود، فالله خلق الأرض فى يومين، وجعل فيها رواسى وقدر فيها أقواتها فى تمام أربعة أيام، كما تقول سرت من القاهرة إلى طنطا فى ساعة، وإلى الإسكندرية فى ثلاث ساعات، فهل يكون المعنى من طنطا إلى الإسكندرية فى ثلاث ساعات؟ لا. بل من القاهرة إلى الإسكندرية فى ثلاث ساعات.

إذن الآية دخل فيها اليومان الأولان فى الأربعة. إذن لا تحسب الاثنين مرتين، فعندنا الآن أربعة أيام.

بعد ذلك هناك يومان، فالمجموع ستة، فاتفقت آيات الإجمال مع آيات التفصيل وانتهى الإشكال كما سبق وأن ذكرنا.



وعرضوا قضية أخرى، هى أن محمداً يجئ بألفاظ تؤدى معانى، ولا يفطن إلى وجه التداخل فيها.

يقولون هذا كأنهم يفهمون العربية أكثر من القوم الذين لهم ملكة العربية، حتى إن القرآن جاء يتحدى ملكتهم. فلو صح ما يقولونه لسهل على أصحاب الملكة من العرب أن يردوا به على رسول الله ﷺ، وقد كانوا كافرين، ومعارضين له، ويتلمسون

له الأخطاء. فلو كان هناك خلل فى البيان لملأوا الدنيا صياحاً:

ومع ذلك فقد أبقى الله تعالى كثيراً من صناديد الأمة كافرين حتى يشحذوا عقولهم للتحدى، ومع ذلك لم يستدركوا على القرآن شيئاً.

قالوا هناك آية تقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ **(آل عمران: ١٣٥)**.

وآية تقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ **(النساء: ١١٠)**.

أليس فعل الفاحشة ظلما للنفس؟ وأليس السوء ظلما للنفس؟ فكيف يكون العطف بأو وهى تقتضى المغايرة.. ما كان هناك داع للعطف بأو، إلا أن محمداً سها:

نقول: (أو) تأتى للتخيير، والإباحة، والتقسيم: وهى هنا للتقسيم.

الذى يفعل الفاحشة أو السوء يحقق لنفسه متعة عاجلة، وينسى العقاب الآجل. وهذا هو فعل السوء أو الفاحشة. وفى بعض الحالات لا يحقق لنفسه متعة، وإنما يحقق لغيره المتعة، وهذا ظالم لنفسه، لأنه سيعاقب والمتعة لغيره كشاهد الزور مثلاً، يحقق الفائدة لغيره، ويبوء هو بالإثم، وهذا هو ظلم النفس، فاختلفا[١].



(١) وهنا موضع المثل «أظلم الناس من ظلم الناس للناس».

ثالثاً: شبهات وردود حول إدعاءات تحريف القرآن الكريم

١ ـ فيض الرحمن فى الرد على من ادعى أن الفاتحة قد تم تحريفها بواسطة عبد الملك بن مروان:

عن الزهرى أنه بلغه (وأكرر)... بلغه... أن النبى وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد كانوا يقرؤون مالك يوم الدين قال الزهرى: وأول من أحدث: ملك هو مروان.

وللرد نقول:

١ ـ أظن أن صيغة الحديث كافية وكل لبيب بالإشارة يفهم (هذا إن كان لبيباً أصلاً).

٢ ـ قال ابن كثير معلقاً على ما قاله الزهرى: مروان عنده علم بصحة ما قرأه، لم يطلع عليه ابن شهاب أى أن الذى قاله الزهرى خطأ وقوله ليس مسندا.

والسؤال الآن ما دليل ما قاله ابن كثير؟؟

٣ ـ وردت الروايات أيضاً عند من أخرج خبر الزهرى بأن النبى كان يقرأ: مالك يوم الدين بألف عن أم سلمة أنها ذكرت قراءة رسول الله: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، يقطع قراءته آية آية.

وعنها أيضاً أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته، يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف، وكان يقرؤها: مالك يوم الدين.

٤ ـ أن المصاحف العثمانية اتفقت جميعها على رسم ﴿مَالِكِ﴾ هكذا دون ألف، وهذا الرسم محتمل للقراءتين بالمد والقصر جميعاً.

٢ـ فيض المنان فى الرد على من ادعى أن الحجاج حرف مصحف عثمان

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد

يثير النصارى شبهة أن الحجاج حَرَّف وغير فى المصحف عندما جاء لينقطه.

وإليكم الشبهة منقولة من موقعهم:

الحجاج قد غير فى حروف المصحف وغير على الأقل عشر كلمات، والسجستانى قد ألف كتابا اسمه «ما غيره الحجاج فى مصحف عثمان».

وللرد نقول:

١ ـ الدليل العقلى: وهو كيف إذا غير الحجاج هذه الحروف أن لا يعيب عليه أحد من الحفاظ؟؟

أم أن النصارى يريدون إقناعنا أنه لم يحفظ أحد القرآن أيام الحجاج

٢ ـ الدليل النقلى: أولاً قصة تنقيط المصاحف ليست كما رواها النصارى ولكنها كالآتى (كما وردت فى مناهل العرفان الجزء الأول من صفحة ٢٨٠ إلى صفحة ٢٨١).

قال الزرقانى: والمعروف أن المصحف العثمانى لم يكن منقوطاً... وسواء أكان هذا أم ذاك فإن إعجام ـ أى: تنقيط ـ المصاحف لم يحدث على المشهور إلا فى عهد عبد الملك بن مروان.

فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج أن يعنى بهذا الأمر الجلل، وندب «الحجاج» لطاعة أمير المؤمنين رجلين لهذا هما:

١ ـ نصر بن عاصم الليثى.

٢ ـ يحيى بن يعمر العدوانى.

وهما تلميذا أبى الأسود الدؤلى.

والسؤال الآن هل هذا المصحف هو أول مصحف منقط؟

نقول لا فقد نقط المصحف أبو الأسود الدؤلى وابن سيرين كان له مصحف منقط ولكن كلا المصحفين كانا على وجه الخصوص لا العموم.

أما ما أثير حول تحريف الحجاج للمصاحف فإليكم الرواية كاملة:

عن عبَّاد بن صهيب عن عوف بن أبى جميلة أن الحجاج بن يوسف غير فى مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، قال: كانت فى البقرة: ٢٥٩ ﴿لم يتسن وانظر﴾ بغير هاء، فغيرها ﴿لَمْ يتسنَّه﴾.

وكانت فى المائدة: ٤٨ ﴿شريعة ومنهاجاً﴾، فغيرها ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

وكانت فى يونس: ٢٢ ﴿هو الذى ينشركم﴾، فغيرها ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾.

وكانت فى يوسف: ٤٥ ﴿أنا آتيكم بتأويله﴾، فغيرها ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾.

وكانت فى الزخرف: ٣٢ ﴿نحن قسمنا بينهم معايشهم﴾، فغيرها ﴿مَّعِيشَتَهُمْ﴾.

وكانت فى التكوير: ٢٤ ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾، فغيرها ﴿بِضَنِينٍ﴾. إلخ..

كتاب «المصاحف» للسجستانى (ص ٤٩).

وإليكم الحكم على عباد بن صهيب:

١ ـ قال على بن المدينى: ذهب حديثه.

٢ ـ قال البخارى: متروك.

٣ ـ قال الترمذى: متروك.

٤ ـ وقال ابن حبان: كان قدرياً داعية، ومع ذلك يروى أشياء إذا سمعها المبتدئ فى هذه الصناعة شهد لها بالوضع.

٥ ـ قال الذهبى: متروك.

والرواية موضوعة

وإليكم رأى الرافضة فى هذا الأمر:

قال الخونى ـ وهو من الرافضة ـ: هذه الدعوى تشبه هذيان المحمومين

وخرافات المجانين وكيف لم يذكر هذا الخطب العظيم مؤرخ فى تاريخه، ولا ناقد فى نقده مع ما فيه من الأهمية، وكثرة الدواعى إلى نقله؟ وكيف لم يتعرض لنقله واحد من المسلمين فى وقته؟ وكيف أغضى المسلمون أعينهم عن هذا العمل بعد انقضاء عهد الحجاج وانتهاء سلطته؟ وهب أنه تمكن من جمع نسخ المصاحف جميعها، ولم تشذ عن قدرته نسخة واحدة من أقطار المسلمين المتباعدة، فهل تمكن من إزالته عن صدور المسلمين وقلوب حفظة القرآن وعددهم فى ذلك الوقت لا يحصيه إلا الله.

وبالمناسبة:

الإمام السجستانى لم يؤلف كتاباً اسمه «ما غيره الحجاج فى مصحف عثمان»، وكل ما هنالك أن الإمام السجستانى ترجم للرواية سالفة الذكر عن الحجاج بقوله: (باب ما كتب الحجاج بن يوسف فى المصحف).

٣ ـ فيض الرب فى الرد على من ادعى أن هناك سورتين زائدتين فى مصحف أبى بن كعب

والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

قال جهال النصارى:

١ ـ عن الأعمش أنه قال: فى قراءة أبى بن كعب: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك. ونثنى عليك ولا نكفرك. ونخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد. ولك نصلى ونسجد. وإليك نسعى ونحفد. نرجو رحمتك ونخشى عذابك. إن عذابك بالكفار ملحق.

٢ ـ عن ابن سيرين قال: كتب أبى بن كعب فى مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين، واللهم إنا نستعينك، واللهم إياك نعبد، وتركهن ابن مسعود، وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين.

وعن أبى بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين، فذكرهما، وأنه كان يكتبهما فى مصحفه.

٣ ـ عن عبد الرحمن بن أبزى أنه قال: فى مصحف ابن عباس قراءة أبى بن كعب وأبى موسى: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك. ونثنى عليك الخير ولا نكفرك. ونخلع ونترك من يفجرك. وفيه: اللهم إياك نعبد. ولك نصلى ونسجد. وإليك نسعى ونحفد. نخشى عذابك إن عذابك الجد بالكافرين ملحق.

وللرد على هؤلاء الجهلة نقول

١ ـ أنا أريد من أى متفيقه نصرانى أن يذكر لى رواية واحدة من هذه الروايات ويثبت لى أنها صحيحة ولضرب المثال فقط لا أكثر الرواية الأولى من كتاب غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

فكالعادة بعض النصارى لا تجدهم إلا جهلة لا يعرفون أى حديث يؤخذ به... أو جهال لا يعرفون فى علم الحديث أصلاً.

٢ ـ هل القنوت من القرآن؟!

٣ ـ كان الصحابة يثبتون فى مصاحفهم ما ليس بقرآن من التأويل والمعانى

والأدعية، اعتماداً على أنه لا يشكل عليهم أنها ليست بقرآن وهذا ما فعله أبى بن كعب.

٤ ـ بعض هذا الدعاء كان قرآناً منزلاً، ثم نسخ، وأبيح الدعاء به، وخلط به ما ليس بقرآن، فكان إثبات أبى هذا الدعاء.

٥ ـ نقل عن أبى بن كعب قراءته التى رواها نافع وابن كثير وأبو عمرو، وغيرهم، وليس فيها سورتا الحفد والخلع ـ كما هو معلوم.

٦ ـ كما أن مصحفه كان موافقاً لمصحف الجماعة.

قال أبو الحسن الأشعرى: قد رأيت أنا مصحف أنس بالبصرة، عند قوم من ولده، فوجدته مساوياً لمصحف الجماعة، وكان ولد أنس يروى أنه خط أنس وإملاء أبى بن كعب.



٤ ـ فيض المعبود فى الرد على شبهة مصحف ابن مسعود

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد

فهذه الشبهة التى يلقيها النصارى ومن قبلهم القرانيون ليست إلا دليلاً على جهلهم وسنثبت من خلال الرد عليهم أنهم بإثارة هذه الشبهة قد ردوا بأنفسهم على سائر الشبهات التى أثاروها بأنفسهم!

نذكر الآن الحديث من البخارى:

عن زر بن حبيش قال: سألت أبى بن كعب قلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا.

فقال أبى سألت رسول الله فقال لى: قيل لى فقلت.

فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ.

انتهى الحديث من رواية البخارى

طبعاً السؤال البديهى الآن: هو أين انكار ابن مسعود؟

الحديث ورد مبهما ولم يرد فيه أى تصريح مطلقاً!!!

وإليكم تعليق الحافظ ابن حجر فى الفتح.

قال رحمه الله: الحديث ورد مبهماً وقد ظننت أن الذى أبهمه البخارى ولكنى رجعت إلى رواية الإسماعيلى فوجدته مبهماً أيضاً أى ليس فيه تصريح!!!

بالطبع النصارى وإخوانهم من القرآنيين الآن سيشتموا رائحة النصر المزيف ويتهمونا بالجهل وذاك لأن التصريح ورد فى رواية الإمام أحمد فى مسنده حيث جاء الحديث على النحو التالى: (إن أخاك يحكها من المصحف).

وفى رواية للإمام أحمد أيضاً (أن عبد الله كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه).

وفى رواية فى زيادات المسند (أن ابن مسعود كان يحكها من مصحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله).

قلت: إذن فالنصارى والقرانيون الآن يعترفون بما يسمى (بجمع طرق الحديث).

فحديث البخارى يفسرونه بحديث مسند الإمام أحمد ويجعلونه حديث الإمام أحمد ملزما لحديث البخارى إذا اتفق معنا النصارى وإخوانهم القرانيون على ذلك فإذن أقول قد انتهت الآن جميع الشبهات لأن مشكلتهم هى تقطيع الآيات والأحاديث وعدم الجمع بين طرق الحديث.

وسأضرب لكم مثلاً حديث (إنما جئتكم بالذبح) هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد وله تفسير فى صحيح البخارى فإذا قرأت الحديثين فهمت معنى حديث مسند الإمام أحمد فإذا خاطبنا أهل الجهل من النصارى وإخوتهم بذلك قالوا (لا، لا نقبل هذا بل نريد تفسيراً لكل حديث على حدة!!!).

ثم الآن هم يجمعون بين طرق الحديث لإثبات ما يسمونه بالشبهة!!!!

عموماً وعلى أى حال نقول بعون الله:

إن الرد عليهم بحديث واحد، وهذا الرد كفيل بأن يزيل الشبهة تماماً ويرفعها.

والرد عبارة عن حديث فى مسند الإمام أحمد أيضاً وهو: عن زر بن حبيش قال قلت لأبى بن كعب إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه فقال أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرنى أن جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها فقال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبى ﷺ.

ما رأيكم بهذا الحديث؟؟

طبعاً سيتهلل النصارى وإخوتهم ويقولوا هذا دليل على الشبيهة.

أقول بل هذا دليل على جهلكم.

فقد روى الطبرانى فى الأوسط أن ابن مسعود قال مثل قول أُبَىٍّ!!! فما رأيكم؟؟

أى أن ابن مسعود أثبت كونهما من القرآن!!!

وهنا ثار أهل الكفر من القرانيين فقال أحدهم بل إن القائل فى حديث الطبرانى هو أبى بن كعب وحدث (إقلاب) عند الراوى واستدل بما قاله الحافظ فى الفتح حين قال (وربما يكون القائل هو أبى وحدث انقلاب عند الراوى).

قلت: أولاً ابن حجر يقول هذا من وجهة نظر الجمع بين الحديثين ولم يؤكد ابن حجر القول بأن الحديث انقلب على راويه بل قال «لعل» ونص قول ابن حجر (ووقع فى الأوسط أن ابن مسعود أيضاً قال مثل ذلك والمشهور أنه من قول أبى فربما يكون انقلاب من الراوى).

فاستخدم أهل الجهل كلمة ربما على أنها تأكيد!!!! يبدو أننا نواجه جهلاً مركباً من جهل بعلوم الدين إلى جهل بعلوم اللغة.

عموماً لننتقل إلى نقطة أخرى وهى:

كل الأحاديث فى هذه القصة هى عن زر بن حبيش وكلها على لسانه أى لم يرد فيها تصريح بقول من ابن مسعود.

مثال: لا يوجد حديث واحد مثلاً يقول عن زر عن ابن مسعود أنه قال: إن المعوذتين....

عموماً وما زلنا مع مسند الإمام أحمد الذى تجاهل فيه النصارى تماماً هذا الحديث:

حدثنا سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم عن زر قال قلت لأبى إن أخاك يحكهما من المصحف فلم ينكر.

قيل: ابن مسعود:

قال نعم وليسا فى مصحف ابن مسعود كان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما فى شىء من صلاته فظن أنهما عوذتان وأصر على ظنه وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما إياه.

وهذا الحديث هو تفسير من زر وسفيان أن ابن مسعود «ظن» أنهما ليستا قرآناً ولماذا ظن؟؟ لأنه لم يسمع النبى يقرأ بهما... أين؟!

فى الصلاة.... وسيأتى تفسير هذا لاحقاً.

قلت: جميع وكل هذه الأحاديث هى كما ذكرنا من طريق زر بن حبيش وزر كان كثيراً يسأل ابن مسعود فى المسألة فلا يفهم منه فيعود إلى أبى بن كعب فيسأله إما لزيادة فى الفهم أو التأكد.

ومثال ذلك من مسند الإمام أحمد أيضاً:

إذن فهذه الأحاديث الواردة فى ذكر المعوذتين كلها استنتاج من زر لذا فإن:

١ ـ النووى فى شرح المهذب.

وابن حزم فى المحلى.

وفخر الرازى فى أوائل تفسيره.

والباقلانى.

قد أجمعوا على أن هذه الأحاديث «أى أحاديث مسند الإمام أحمد» شاذة «فى المتن أقصد وليس السند طبعاً».

واليكم دليلهم

١ ـ فى أسانيد القراءات العشر قراءات تدور على عبد الله بن مسعود ولم نجد فى هذه القراءات إنكاراً للمعوذتين وأصحاب هذه القراءات هم:

قراءة أبى عمرو البصرى.

عاصم بن أبى النجود.

حمزة بن حبيب الزيات.

على بن حمزة الكسائى.

يعقوب بن إسحاق الحضرمى.

خلف بن هشام البزار.

فإن أحدهم لم ينكر المعوذتين رغم أن كلهم أخذوا عن عبد الله بن مسعود!!! (النشر فى القراءات العشر).

٢ ـ ابن مسعود لم يحفظ القرآن كاملاً وقيل تعليمه بعد وفاة النبى وقيل مات ولم يختمه (القرطبى).

٣ ـ أى أن ابن مسعود كان قارئاً ولم يكن حافظاً مثل زيد بن ثابت لذلك الأخذ عن ابن مسعود فى القراءة وليس فى الحفظ فإن كان ابن مسعود أخذ من فم

رسول الله ٧٠ سورة فإن زيداً أخذ القرآن كله منه ﷺ وسنشرح ذلك مفصلاً فى مشاركة منفردة إن شاء الله.

٤ ـ مصحف ابن مسعود لم يكن مصحفاً جامعاً وإنما كتب فيه بعض السور ولم يكتب أخرى ومثال ذلك عدم كتابته للفاتحة.

٥ ـ مصحف ابن مسعود كان مصحفاً خاصا به وكان يكتب فيه ما سمعه من النبى فى الصلاة فقط والدليل على ذلك:

أ ـ ترتيب السور فى مصحفه البقرة ثم النساء ثم آل عمران وذلك لأن النبى صلى بهم فى قيام الليل بهذا الترتيب.

ب ـ عدم كتابة ابن مسعود للفاتحة أكبر دليل على هذا فقد قال لما سئل لماذا لا تكتب الفاتحة؟ قال لو شئت أن أكتبها لكتبتها فى أول كل سورة.

متى يقرأ المسلمون الفاتحة فى أول كل سورة؟؟؟؟

لا يكون ذلك طبعاً إلا فى الصلاة الجهرية وهو ما يثبت أن ابن مسعود كان يكتب ما سمعه من الرسول فقط فى الصلاة.

ج ـ عدم كتابته للفاتحة دليل أيضاً على أنه رضى الله عنه لم يكن يكتب كل القرآن فى مصحفه وإنما كان مصحفاً خاصا به.

٦ ـ ليس لدينا حديث واحد صريح يقول فيه ابن مسعود إنه ينكر فيه المعوذتين.

٧ ـ قال الراوى (وكان يحكها من مصاحفه) فما هى مصاحف ابن مسعود؟؟

هل كتب رضي الله عنه أكثر من الصحابة؟؟

أما من ذهب لتصحيح هذه الأحاديث فأجاب بقوله:

١ ـ إن المقصود بالمعوذتين هو اللفظ أى أن المكتوب مثلاً كان المعوذتين: قل أعوذ برب الفلق.... فكان ابن مسعود يأمر بحك اللفظ وليس حك السورة نفسها والدليل على ذلك:

روى ابن أبى داود عن أبى جمرة قال أتيت إبراهيم بمصحف لى مكتوب فيه: سورة كذا وكذا وسورة كذا كذا آية. فقال إبراهيم امح هذا.

فإن ابن مسعود كان يكره هذا ويقول لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس منه.

(وهو نفس لفظ ابن مسعود (إن صح) فى المعوذتين) فذهبوا إن قصده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان حك الاسم وليس حك السورة خصوصاً أنه لم يرد التصريح أبداً فى أى حديث بقوله (قل أعوذ برب الفلق أو قل أوعوذ برب الناس ليستا من القرآن).

ذهب صاحب مناهل العرفان أن ابن مسعود رآها مكتوبة فى غير موضعها أو مكتوبة خطأ فأمر بحكها (أى فساد تأليف أو فساد نظم)..... (مناهل العرفان).

ذهب الباقلانى أن ابن مسعود أنكر كونهما فى المصحف وليس كونهما قرآناً.... (إذا كان القرآنيون الذين يدعون أنهم أهل القرآن لا يعلمون الفرق بين القرآن والمصحف فهذه مصيبة أخرى!!).

وذهب الرازى أنه أنكر ثم تواتر عنده ذلك فأثبتها....... (تفسير الرازى).

الخلاصة أنه ليس هناك دليل واحد على إنكار ابن مسعود للفاتحة أو المعوذتين سواء عند البخارى أو غيره وكل هذه الأدلة تدل على أحد أمرين.

١ ـ إما شذوذ متن الحديث وهذا فى حديث مسند الإمام أحمد.

٢ ـ وإما شذوذ تأويله.

وأما حديث البخارى فقد ورد لفظه مبهماً ولا يفسر حديث البخارى أحاديث شاذة المتن أو لا يفسرها حديث بتأويل شاذ.

وفى الحالتين لنا شىء واحد: جهل القرانيين وإخوانهم من النصارى جهلاً مركباً.

وبذلك تكون حجتهم واهية وأمهم هاوية.

٥ ـ سورة الولاية أو النورين

هذه السورة لا يملك صاحبها غير مجرد الدعوى أنها من القرآن الكريم، ولا يقدر أن يذكر ذلك بإسناد واحد ولو كان ضعيفاً، نكرر: لا يقدر أن يذكر ذلك بإسناد واحد ولو كان ضعيفاً، وإنما افتراها مفتر فنسبها إلى أنها مما أسقطه الصحابة من القرآن، فتبعه أصحاب الضلالة من بعده من أشياعه على كذبه وإفكه لأنهم حسبوا فيه نصر ما ينتمون إليه.

وإلا فهل يستطيعوا أن يأتوا بإسناد واحد لهذه النصوص المسماة بسورة الولاية؟؟

٦ ـ حديث الداجن

حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحق عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً ولقد كان فى صحيفة تحت سريرى فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها.

الحديث رواه الإمام ابن ماجه ١/ ٦٢٥ والدارقطنى: ٤/ ١٧٩ وأبو يعلى فى مسنده ٨/ ٦٤ والطبرانى فى معجمه الأوسط ٨/ ١٢ وابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث، وأصله فى الصحيحين، وأورده ابن حزم فى المحلى ١١/ ٢٣٦ وقال هذا حديث صحيح.

ولبيان هذا الحديث وتوضيحه نقول: إن التشريع الإسلامى فى حياة النبى ﷺ مر بمراحل عدة حتى وفاته ﷺ، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، ومن ذلك وقوع النسخ لبعض الأحكام والآيات، والنسخ عرفه العلماء بأنه: رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر.

ولم يقع خلاف بين الأمم حول النسخ، ولا أنكرته ملة فى الملل قط، إنما خالف فى ذلك اليهود فأنكروا جواز النسخ عملاً، وبناء على ذلك جحدوا النبوات بعد موسى عليه السلام، وأثاروا الشبهة، فزعموا أن النسخ محال على الله تعالى لأنه يدل على ظهور رأى بعد إن لم يكن، وكذا استصواب شىء علم بعد أن لم يعلم، وهذا

محال فى حق الله تعالى.

والقرآن الكريم رد على هؤلاء وأمثالهم فى شأن النسخ ردا صريحاً، لا يقبل نوعاً من أنواع التأويل السائغ لغة وعقلاً، وذلك فى قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ **(البقرة: ١٠٦)** فبين سبحانه أن مسألة النسخ ناشئة عن مداواة وعلاج مشاكل الناس، لدفع المفاسد عنهم وجلب المصالح لهم، لذلك قال تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ثم عقب فقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ والنسخ ثلاثة أقسام:

الأول: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، ومثاله آية الرجم وهى (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة..) فهذا مما نسخ لفظه، وبقى حكمه.

الثانى: نسخ الحكم والتلاوة معاً: ومثاله قول عائشة ﷺ: (كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخ بخمس معلومات يحرمن) فالجملة الأولى منسوخة فى التلاوة والحكم، أما الجملة الثانية فهى منسوخة فى التلاوة فقط، وحكمها باق عند الشافعية.

وقولها ﷺ: (ولقد كان..........) أى ذلك القرآن بعد أن نسخ تلاوة (فى صحيفة تحت سريرى) والداجن: الشاة يعلفها الناس من منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها.

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: (فصح نسخ لفظها، وبقيت الصحيفة التى كتبت فيها كما قالت عائشة ﷺ فأكلها الداجن، ولا حاجة إليها.. إلى أن قال: وبرهان هذا أنهم قد حفظوها، فلو كانت مثبتة فى القرآن لما منع أكل الداجن للصحيفة من إثباتها فى القرآن من حفظهم وبالله التوفيق).

وقال ابن قتيبة:

(فإن كان العجب من الصحيفة فإن الصحف فى عهد رسول الله ﷺ أعلى ما كتب به القرآن، لأنهم كانوا يكتبونه فى الجريد والحجارة والخزف وأشباه هذا).

وإن كان العجب من وضعه تحت السرير فإن القوم لم يكونوا ملوكاً فتكون لهم الخزائن والأقفال والصناديق، وكانوا إذا أرادوا إحراز شىء أو صونه وضعوه تحت السرير ليأمنوا عليه من الوطء وعبث الصبى والبهيمة، وكيف يحرز من لم يكن فى منزله حرز ولا قفل ولا خزانة، إلا بما يمكنه ويبلغه وجده، ومع النبوة التقلل والبذاذة كان رسول الله ﷺ يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويصلح خفه، ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد».

وإن كان العجب من الشاة فإن الشاة أفضل الأنعام، فما يعجب من أكل الشاة تلك الصحيفة، وهذا الفأر شر حشرات الأرض، يقرض المصاحف ويبول عليها، ولو كانت النار أحرقت الصحيفة أو ذهب بها المنافقون كان العجب منهم أقل.

وقد أجاب أهل العلم عن هذا الحديث بأجوبة أبسط من هذا يرجع فيها إلى أقوالهم لمن أراد المزيد، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ **(النساء: ٨٣)** فلله الحمد والمنة، فنحن على يقين أنه لا يختلف مسلمان فى أن الله تعالى افترض التبليغ على رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ قد بلغ كما أمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ **(المائدة: ٦٧)**.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ **(الحجر: ٩)** فصح أن الآيات التى ذهبت لو أمر رسول الله ﷺ بتبليغها لبلغها، ولو بلغها لحُفظت، ولو حفظت ما ضرها موته، كما لم يضر موته ﷺ كل ما بلغ من القرآن، وإن كان ﷺ لم يبلغ أو بلغه ولكن لم يأمر أن يكتب فى القرآن فهو منسوخ بتبيين من الله تعالى، لا يحل أن يضاف إلى القرآن. (كتبه الدكتور. عبد الله الفقيه).

رابعاً: شبهات النصارى
حول مصدر القرآن الكريم

١ ـ شبهة تقول: إن محمداً ﷺ جاء بهذا القرآن من عنده

أراد سبحانه وتعالى ـ وهو أعلم بالأصلح لعباده ـ أن يجعل دين الإسلام خاتم الأديان السماوية، وأن يجعل دستور الإسلام ـ وهو القرآن ـ خاتمة الكتب السماوية، وأن يجعل رسول الإسلام محمدا ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ومع ذلك، فإن كثيراً من الذين لم يعرفوا طريقهم إلى الإسلام بعد، ولا يزالون يتخبطون فى ظلمات الجهل، ويرتعون فى مرابع الغى والضلال، نقول: ما زال هؤلاء يأبون أن يقروا بحقيقة الإسلام، وحقيقة القرآن، وحقيقة رسول الإسلام ﷺ، وليس هذا فحسب، بل إنهم يسعون بين الحين والآخر إلى التشكيك بهذا الدين، وإثارة الشبهات حوله، لصد المؤمنين عن دينهم، ولثنى عزم من تلمس طريق الهداية والرشاد، وميز طريق الحق من الضلال.

ولقد تعرض دين الإسلام عموماً، والقرآن الكريم ورسول الإسلام الأمين خصوصاً للعديد من الشبهات والأقاويل الباطلة، التى ـ وبعد التحقيق والتمحيص ـ قد ظهر زيفها وبطلانها، وبقى دين الإسلام عبر العصور والأزمان شامخاً أبيا مؤيداً بتأييد الله، ومحفوظاً بحفظه سبحانه، تصديقاً وتحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

ومن الشبه ـ القديمة الحديثة ـ التى أثيرت حول هذا الدين شبهة تقول: إن

محمداً ﷺ جاء بهذا القرآن من عنده، ولم يوحَ إليه به من الله سبحانه وتعالى!!!

وقد سبق لأهل مكة أن أثاروا هذه الشبهة منذ فجر دعوة الإسلام، ونقل القرآن الكريم شبهتهم تلك، فقال على لسانهم: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ **(الفرقان: ٥)**

وقد علم بالتواتر والضرورة أنه ﷺ لم يكن يكتب شيئاً فى حياته، لا فى أول عمره ولا فى آخره، وقد نشأ ﷺ منذ مولده إلى بعثته بين أظهرهم، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه وبره، وأمانته ونزاهته عن الكذب وسائر الأخلاق الذميمة، بل إنهم ـ ولما هو عليه من هذه الصفات ـ سموه الأمين؛ لما يعلمون من صدقه ونزاهته، فكيف يستقيم أمر هذه الشبهة ـ والأمر على ما ذكرنا ـ لذلك وجدنا القرآن الكريم يدحض دعواهم تلك، ويرد عليهم تلك الفرية، فيقول: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **(الفرقان: ٦)**

أى إن هذا القرآن أنزله الذى اتصف بما لم يتصف به أحد من خلقه.

ثم إن من المقرر عند علماء اللغة والبيان أن الرجل هو الأسلوب، وأن الأسلوب هو الرجل؛ ومقتضى هذا، أنه بالمقارنة بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب السنة النبوية نجد فرقاً واضحاً وملموساً بين كلا الأسلوبين، بحيث لا يسع أى منصف أن يساوى بينهما، فإذا ما وضح هذا فكيف يصح القول: إن هذا القرآن من تأليف محمد، كما يدعى ذلك من لا خلاق لهم من المشركين قديماً وحديثاً... إن هذا لشىء عجاب.

ثم يقال أيضاً: لو جاز أن يكون هذا القرآن من وضع محمد ﷺ لجاز لغيره ممن عاصروه ـ وهم على ما هم عليه من البلاغة والبيان وامتلاكهم لناصية اللغة ـ أقول: لو كان ذلك كذلك لجاز لأولئك القوم ـ أو على الأقل لبعضهم ـ أن يأتى بمثل هذا القرآن، وواقع الحال والمآل أنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بل لن يستطيعوا لهذا الأمر ولو اجتمعت له جموع الأرض والسماء...!!

ومما يدحض هذه الشبهة - القديمة الجديدة - وينقضها من أساسها ما ثبت فى «الصحيحين» عن عائشة وأنس ﭬ أنهما قالا: لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية، أى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ **(الأحزاب: ٣٧)** ووجه الاستدلال فى هذا الحديث: أن القرآن الكريم لو كان من تأليف محمد ﷺ لما استقام عقلاً ولا واقعاً أن تكون فيه هذه الآية... إذ ليس من معتاد البشر ولا من طبيعتهم أن يذكروا من الأمور ما لا يحبون إطلاع الناس عليه... وهذا دليل على كون هذا القرآن ليس من وضع محمد رسول الله، وإنما هو وحى نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله ﷺ. والآيات فى هذا المعنى كثيرة نقتصر منها فى هذا المقام على قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ **الكهف: ١١٠)**.

نسأله تعالى أن يبصرنا بالحق ويرزقنا اتباعه، ويبصرنا بالباطل ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



٢ ـ شبهة تلفيق القرآن من الكتب السابقة

ما انفك أعداء الإسلام منذ فجر الدعوة الإسلامية يبذلون جهدهم لتلفيق الشبه بهذا الدين؛ إضعافاً لقوته، ومحاصرة لنفوذه، وإيقافاً لحضوره... ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.

ومن شبههم المندرجة فى هذا الاتجاه، شبهة مفادها:

- أن القرآن الكريم ليس إلا تلفيقاً وتجميعاً من الكتب السماوية التى سبقته!! وتحديداً التوراة والإنجيل. والرد على هذه الشبهة هو محور حديثنا فى هذا المقال. فنقول بداية:

إن منشأ هذه الشبهة يرجع إلى وجود تشابه بين القرآن الكريم وما سبقه من الكتب السماوية؛ إذ أن من المعلوم أن ثمة قيماً إنسانية وفضائل بشرية ارتضاها الناس وتعارفوا عليها على مر العصور والأزمان، كقيم الحق والعدل والخير... وبالمقابل فإن ثمة أموراً رفضها الناس وتعارفوا على نبذها ومحاربتها؛ كالباطل والظلم والشر... نقول:

- إذا تبين هذا فإن الشرائع السماوية كافة لم تنكر ما اتفقت الفطر الإنسانية السليمة على اعتباره، وأيضاً لم ترض بما اتفقت الفطر الإنسانية السليمة على إنكاره، وإنما جاءت تلك الشرائع على وفق الفطر الإنسانية، فأكدت قيم الحق والعدل والخير، ونبذت قيم الباطل والظلم والشر، وفرقت بين ما هو خير وحق، وما هو شر وباطل. فإذا وجدنا تشابهاً بين الكتب السماوية والقرآن فى نحو هذه الأمور فإن هذا لا يعنى ـ بحال من الأحوال ـ أن القرآن الكريم لم يكن إلا تلفيقاً لتلك الكتب السماوية السابقة عليه، وعلى هذا فلا يجوز أن يتهم محمد ﷺ بأنه لفق رسالة سماوية، لمجرد أن أقرت رسالته كل قيمة فاضلة، ونبذت كل قيمة رذيلة وشريرة!!

ثم إضافة لما تقدم نقول:

- لا يصح بصفة خاصة اتهام القرآن الكريم بأنه من تلفيق محمد ﷺ من

الكتب السابقة لأمور، نجمل القول فيها فى التالى:

- أن الرسالات السماوية السابقة للإسلام كانت كل رسالة منها تعبر عن مرحلة من مراحل تطور البشرية، وجاءت تلك الرسائل لأقوام خاصة؛ ثم شاءت إرادة الله سبحانه أن يجعل من دين الإسلام خاتم الأديان السماوية، التى لا يقبل سبحانه من عباده غيره، وجعل من هذا الدين ديناً قيماً، موافقاً ومناسباً لكل زمان ومكان؛ وكان هذا يقتضى - والحال والمآل على ما ذكرنا - أن يكون القرآن الكريم هو الكتاب المهيمن على كل ما سبقه من الكتب، يؤكد صحيحها ويصحح ما حرف فيها، وهو إن اتفق معها أو اختلف فإن ذلك لا يعنى أنه ملفق منها ولا مأخوذ عنها، لكنه التعبير الدقيق عن تكامل الرسالات السماوية واكتمالها... قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾

(المائدة: ٤٨).

- ثم إن الدراسات المقارنة للكتب السماوية الأخيرة - التوراة والإنجيل والقرآن - تؤيد وتؤكد بوضوح، وعلى لسان القوم أنفسهم، أن الحق دائماً ما قرره القرآن، سواء فى قضية الألوهية أو قضية المسؤولية الفردية... ولم يكن فى الرسالتين السابقتين ما كان محمد ﷺ بحاجة لأخذه منهما فى شؤون الدارين. ومع هذا كان من عظمة القرآن الكريم أنه اعتبر أن إيمان المسلم لا يكون صحيحاً ولا مقبولاً إلا إذا آمن بما جاء من كتب سماوية كافة.

بقى أن ننشر - علاوة على ما تقدم - أن مما يمنع القول بأن محمداً ﷺ استعان بما سبقه من كتب أمور، حاصلها:

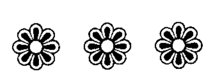
- أنه ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، فأنَّى له - وهو كذلك - أن يرجع إلى تلك الكتب، ليؤلف القرآن؟؟

- ثم على فرض أنه ﷺ كان يقرأ أو يكتب، فإن التوراة والإنجيل كانت مكتوبة باللغة العبرية لا العربية، فكيف له أن يستعين بها؟؟

وبناء على كل ما تقرر، نخلص إلى القول: إن الرسالة المحمدية - ممثلة بقرآنها

- هى رسالة جديدة ذات شخصية مستقلة، جاءت لدعوة الناس جميعاً، ومن جملتهم اليهود والنصارى... وإن من التمحل والتهافت، بل من الهراء والافتراء القول: إن القرآن ليس إلا تلفيقاً لما سبقه من الكتب السماوية ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ **(الكهف: ٥)**

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الخلق أجمعين.



٣ـ شبهة تلقى النبى عن اليهود والنصارى

من الشبه المثارة حول نبينا ﷺ وسيرته العطرة، أنه تأثر بالأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى؛ مثل بحيرى الراهب، وورقة بن نوفل، وأنه جالسهم فترة زمنية، وتلقى عنهم، وقد أثار هذه الشبهة وروج لها المستشرقون أمثال: بروكلمان، وفيليب حتى، وجولدزيهر الذى يقول: إن النبى ﷺ تتلمذ على رهبان النصارى وأحبار اليهود الذين كانوا أساتذة له.

والإجابة على هذه الشبهة يكون من خلال الأمور التالية

١ ـ لو حصل ذلك لنقل إلينا من قبل أتباعه ﷺ، الذين لم يغفلوا شيئاً من أخباره.

٢ ـ لو صح ذلك لاتخذه أعداؤه من المشركين حجة لهم، بهدف الطعن فيه، وهم الذين تعلقوا بأوهى التهم كزعمهم أنه تعلم من رومى حداد أعجمى، فرد عليهم القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ **(النحل: ١٠٣)**.

٣ ـ أن النبى ﷺ أمىٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ولم يثبت أنه رأى التوراة والإنجيل أو قرأ فيهما أو نقل منهما.

٤ ـ أن القرآن الكريم فضح اليهود والنصارى، وهتك أستارهم، وذمهم، كما فى قوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ **(النساء: ١٧١)**، ولو كانوا معلمين للرسول لمدحهم القرآن، وأثنى عليهم.

٥ ـ أن أحكام الشريعة الإسلامية كانت تتنزل متدرجة حسب الحوادث، والوقائع، وكان الرسول ﷺ يتوقف فى الحكم على بعض الأمور حتى ينزل الوحى

عليه، مما يدل على أنه ليس لديه علم سابق، ولم يسأل أهل الكتاب.

٦ ـ ومما يرد به على هذه الشبهة كذلك وجود اختلاف مع أهل الكتاب فى كثير من الأحكام، بل إن مخالفتهم مقصد شرعى حث الشرع عليه فى نصوص كثيرة؛ من ذلك ما جاء فى الحديث الصحيح: (خالفوا اليهود والنصارى، فإنهم لا يصلون فى خفافهم، ولا فى نعالهم) رواه ابن حبان وأبو داود وصححه الألبانى.

٧ ـ ما حصل من توافق فى بعض الأحكام لا يدل على أن الرسول ﷺ أخذ منهم، وتعلم على أيديهم، وإنما لكون اليهودية والنصرانية أصلهما صحيح يتفق مع أصول الإسلام، لولا ما اعتراهما من تحريفٍ وتغيير وتبديل.

٨ ـ لم يثبت أن رسول الله ﷺ التقى بأحد من الأحبار والرهبان غير ورقة بن نوفل، وبحيرى الراهب، وكان اللقاء مرة واحدة بالنسبة لورقة، ومرتين بالنسبة لبحيرى، وذلك لا يكفى للتلقى عنهم، إضافة إلى أن ورقة توفى بعد اللقاء بثلاث سنوات ورسول الله ﷺ لم يجهر بدعوته بعد، أما اللقاء ببحيرى فكان فى المرة الأولى أثناء دعوة طعام عندما كان مع عمه أبى طالب، والكل كان منشغلاً بالحديث والطعام، لا مجال للتعلم والتلقى، فضلاً عن صغر سن النبى ﷺ، حيث كان فى الثانية عشرة من عمره، وفى المرة الثانية كان النبى ﷺ منشغلاً بالتجارة لخديجة، ولم يُنقل شىء من أخبار التلقى حتى بعد رجوع القوم إلى مكة. أما ادعاؤهم أخذه عن الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة، فهذا محض افتراء مردود، لأنه ﷺ لم يلتق بهم إلا بعد الهجرة ودخولهم فى الإسلام، فالتقى بهم تابعين له آخذين عنه متعلمين منه، مؤمنين مصدقين غير مكذبين.

٩ ـ وقد تنبه لبطلان هذه الشبهة بعض المفكرين الغربيين أمثال الفرنسى «الكونت هنرى دى كاسترى» حيث قال: «ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبى محمد من مطالعة التوراة والإنجيل».

ويقول المستشرق دوزى:

ـ «أما أواسط بلاد العرب، وفى قلب جزيرتهم... فلم تنجح فيه الدعاية للدين المسيحى».

وهكذا أخى نرى أن هذه الشبهة مردودة على أصحابها، وأن الحقيقة واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار، وأن ما يثيره هؤلاء الحاقدون إنما القصد منه إبعاد الناس عن قبول الحق واتباعه، وأنَّى لهم ذلك، فالحق له نوره الوهاج الذى يبدد الظلمات من طريقه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).



٤ ـ شبهة: لم يأتِ القرآن بجديد

نواصل حديثنا فى سلسلة شبهات حول القرآن، ونقف فى مقالنا هذا عند شبهة رددتها بعض الألسنة ـ قديماً وحديثاً ـ تقول: إن القرآن لم يأتِ بجديد عما جاء فى الكتب السابقة!! وهذه الشبهة ـ كما سيتضح ـ ذات صلة وثيقة بشبهة سابقة، كنا قد تحدثنا عنها، تقول: إن القرآن ليس إلا تلفيقاً وتجميعاً من الكتب السابقة!! فما حقيقة الأمر فى هذه الشبهة، وما خطبها ورصيدها من الصحة والواقع؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه.

ولكن.. قبل الدخول فى تفاصيل ذلك، نود أن نلفت انتباه القارئ الكريم إلى ملاحظتين مهمتين فى هذا السياق، حاصل أولهما: أن أصل التوراة والإنجيل حق لا ريب فيه؛ لأنه من عند الله سبحانه، ومن ثم فلا يمكن لتلك الكتب أن يناقض بعضها بعضاً، بل هى مكملة ومتممة لبعضها البعض؛ بيد أن التوراة والإنجيل ـ وهذا أيضاً حق وواقع لا يمكن نكرانه بحال ـ طرأ عليهما الكثير من التحريف والتبديل ـ فإذا تبين هذا، فإن حديثنا فى هنا يتعلق بما فى التوراة والإنجيل المحرفين، واللذين بقيا بين أيدى الناس.

أما الملاحظة الثانية فمفادها أنه مما لا شك فيه أن القرآن جاء مصدقاً ومهيمناً على ما سبقه من الكتب السماوية؛ ومن معانى الهيمنة أن يكون فى القرآن ما ليس فى غيره من الكتب. وبناءً على هاتين الملاحظتين نشرع فى الرد على هذه الشبهة، فنقول:

إن الناظر والمتأمل فيما جاء فى التوراة والإنجيل، وما جاء فى القرآن الكريم، لا يعجزه أن يقف على بطلان هذه الشبهة من أساسها، ويتبين له ـ مقارنة بما جاء

فى التوراة والإنجيل ـ عناصر الجدة التى تضمنها القرآن الكريم، والتى اشتملت على جوانب عدة، كالعقيدة والتشريع والعبادات والمعاملات.

ففى جانب العقيدة ـ وهو الجانب الأهم والأبرز ـ نجد أن القرآن الكريم قد جاء بعقيدة التوحيد الصحيحة، إذ أفرد الله سبحانه بالعبودية، وبين أنه الخالق والمدبر لكل أمر فى هذا الكون من مبتداه إلى منتهاه، وأن مقاليد الكون كلها بيده سبحانه، وهذا واضح لكل قارئ لكتاب الله وضوح الشمس فى كبد السماء؛ بينما تقوم عقيدة اليهود المحرفة على وصف الخالق بصفات بشرية لا تليق بجلاله سبحانه، وفى أحسن أحوالها تقول بوجود إله حق، إلا أن مفهوم الإله فى تلك العقيدة أنه إله قومى خاص بشعب إسرائيل فحسب.

وكذلك فإن عقيدة النصارى المحرفة تقوم على أكثر من تصور بخصوص الذات الإلهية، ويأتى فى مقدمة تلك التصورات عقيدة التثليث، وعقيدة حلول الذات الإلهية فى شخص عيسى عليه السلام، تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً.

ثم فى مجال العقيدة أيضاً، لا توجد كلمة واحدة فى جميع أدبيات الكتب المقدسة ـ كما يذكر عبد الأحد داود فى كتابه «محمد فى الكتاب المقدس» ـ حول قيامة الأجساد، أو حول الجنة والنار؛ بينما نجد القرآن الكريم حافلاً بهذه المسائل، بل جعل الإيمان بها من أهم مرتكزات الإيمان الصحيح.

أما فى مجال التشريع، فقد جاء القرآن الكريم بشريعة واقعية، راعت مصالح الدنيا والآخرة معاً، ولبت مطالب الجسد والروح فى آن واحد ففى حين دعت الشريعة المسيحية إلى الرهبانية، التى تعنى اعتزال الحياة وتحقير الدنيا ـ وكان هذا الموقف من الشريعة المسيحية رد فعل على العبودية اليهودية للحياة الدنيا ومتاعها ـ رأينا القرآن يذم موقف النصارى من الرهبنة، وينعى عليهم هذا الموقف السلبى من الحياة، فيقول: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (الحديد: ٢٧) فالشريعة الإسلامية ـ كما نزلت فى القرآن ـ ترى فى الرهبانية موقفاً لا يتفق بحال مع ما جاءت به من الوسطية والتوازن بين حاجات الروح والجسد.

وهذه الوسطية الإسلامية أمر مطرد وجار فى جميع أحكام الشريعة الإسلامية، يقف عليها كل من تتبع أمرها، وعرف حقيقتها، وهذا ما لم يكن فى الشرائع السابقة البتة.

وبعبارة أخرى يمكن القول: لقد جاءت شريعة الإسلام بتشريع يواكب الحاضر والمستقبل جميعاً، باعتبارها الرسالة الأخيرة التى أكمل الله بها الدين، وختم بها الرسالات، ونقلها من المحيط المحدد إلى المحيط الأوسع، ومن دائرة القوم إلى دائرة العالمية والإنسانية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ **(سبأ: ٢٨)**.

أما فى مجال العبادات، فلم يحصر القرآن مفهوم العبادة فى نطاق ضيق، ولا ضمن شكليات محددة وطقوس جامدة، بل وسع مفهوم العبادة غاية الوسع، وجعل القصد من الخلق والحياة العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ **(الذاريات: ٥٦)** وأيضاً لم يقيد أداء العبادة فى مكان محدد، بل جعل الأرض كلها مكاناً لذلك ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ **(البقرة: ١١٥)** ولا يخفى أن الأمر فى الشرائع السابقة لم يكن على ما جاء به القرآن.

أما فى مجال المعاملات، فنقف على بعض الأمثلة التى توضح جديد القرآن:

- فى محيط الأسرة نظرت التوراة إلى المرأة باعتبارها مصدر كل شر، أما الإسلام فقد رفع مكانة المرأة، ولم يفرق بينها وبين الرجل إلا فى مواضع اقتضتها طبيعة الأشياء والأمور ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ **(البقرة: ٢٢٨)**.

- وفى مجال الحرية واحترام كرامة الإنسان، نجد التعاليم المسيحية تعتبر طاعة الطبقة الحاكمة كطاعة المسيح، ونقرأ فى تلك التعاليم مثلاً: أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة. أما فى الإسلام فلا يخضع الإنسان إلا لخالقه وحده، ويقرر القرآن الحرية للإنسان من لحظة ميلاده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ **(الإسراء: ٧٠)**.

- أما فى السلم والحرب، فقد اعتبر القرآن السلام هو الأصل فى الإسلام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً..﴾ (البقرة: ٢٠٨) وجعل الحرب ضرورة تقتضيها سنن العمران والدفع الحضارى من الخير للشر ومن الحق للباطل؛ هذا فضلاً عن آداب القتال التى شرعها الإسلام. وكل هذا لا نقف عليه فى الشريعتين اليهودية والنصرانية.

- أما فى شؤون المال والاقتصاد فقد كان الربا ولا يزال قوام الاقتصاد بين أهل الكتاب... وكان المال وما زال عند أهل الكتاب المعبود والغاية التى يجب الوصول إليها بأية وسيلة كانت... فى حين جاء الإسلام بتحريم كل تعامل ربوى، وآذن القرآن بحرب من الله لكل من يتعامل به... وبين الموقف الصحيح من المال، وأن الأصل فيه أنه لله، وأن الإنسان فى هذه الحياة مستخلف عليه ومحاسب عليه، كسباً وإنفاقاً ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧).

والأمثلة على هذا أكثر من أن يحصرها مقال كهذا، وفيما ذكرنا غنية لما أردنا بيانه. والحمد لله الذى ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٧٠) وصلى الله على خاتم المرسلين.



٥ - لماذا لم يجمع القرآن في عهده ﷺ

كما أخبر القرآن الكريم بسنن حضارية وعمرانية لا تتخلف، تجرى فى الحياة مجرى الشمس والقمر، كقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧) وقوله أيضاً: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥) فقد أخبر كذلك بسنن اجتماعية، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة:٢١٧) وهذا واقع مشاهد، لا ينكره إلا جاهل بالتاريخ أو عالم مكابر؛ فمنذ رأت دعوة الإسلام النور وشقت طريقها فى مواجهة مقومات الجاهلية وحتى يوم الناس هذا، وهى لا تزال تلقى الكيد والعداء والتربص من أعدائها، وهذا مما لا يخفى على ذى بصر وبصيرة.

إذا تقرر هذا، فإن الشبه حول هذا الدين كانت ولا تزال تحاك بين الحين والآخر؛ صداً عن سبيله، وفتنة لأتباعه، وامتحاناً لأنصاره.

والشبهة التى نخصص لها مقالنا هذا، تقول: إن القرآن لم يجمع فى حياة النبى ﷺ، وإنما جمع بعد وفاته، وإن الصحابة قد اختلفوا فى جمعه وترتيبه!! هذا حاصل الشبهة، وفى الرد عليها نقول:

إن مما لا شك فيه أن القرآن الكريم لم يجمع فى السطور كاملاً فى عهده ﷺ بل كان محفوظاً فى الصدور، صدور الصحابة ﭫ . وكانت أجزاء منه قد كتبت على الرقاع، وأخرى على أغصان النخيل، والأحجار، وما تيسر من وسائل الكتابة فى ذلك العصر..

ولسائل أن يسأل: لِمَ لَمْ يدون القرآن ويكتب فى عهده ﷺ؟ وهو سؤال مشروع، والجواب عليه من وجهين:

الوجه الأول: أن وجود النسخ فى حياته ﷺ كان أمراً وارداً على بعض آيات القرآن الكريم، فلو دون الكتاب ثم جاء النسخ لأدى ذلك إلى الاختلاف والاختلاط فى الدين، فحفظه سبحانه فى قلوب الصحابة إلى انقضاء زمان النسخ، ثم وفق الصحابة بعدُ للقيام بجمعه. وأيضاً فإن الله سبحانه قد أمن رسوله من النسيان، بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ﴾ (الأعلى: ٦) فحين وقع الخوف من نسيان الخلق، وحدث ما لم يكن، أحدث بضبطه ما لم يحتج إليه قبل ذلك.

الوجه الثانى: إن دواعى الكتابة لم تكن قائمة فى عهده ﷺ، من جهة أن القرآن ربما كان لم يكتمل بعد، ومن جهة أيضاً أن عدداً كبيراً من الصحابة كان يحفظ القرآن فى صدره.

ولكن... لما توافرت دواعى الكتابة، متمثلة بوفاته ﷺ، وما ترتب بعد ذلك من حروب الردة التى استنفدت عدداً كبيراً من الصحابة الحفظة... لما حدث ما حدث بادر الصحابة إلى جمعه وتدوينه مخافة ضياعه وذهابه من الصدور.

يرشد لهذا حديث البخارى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: (أرسل إلىَّ أبو بكر مقتلَ أهل اليمامة، فإذا عمر عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر - أى اشتد وكثر - يوم اليمامة بقراء القرآن...) ففى الحديث دلالة واضحة على أن أبا بكر ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم لما رأوا الحاجة إلى جمع القرآن بادروا إلى ذلك وقاموا بجمعه من صدور الرجال، ومن الرقاع المكتوبة عند بعض الصحابة. ومن الثابت أن القرآن الكريم كان فى مجموعه محفوظاً فى صدور الرجال أيام النبى ﷺ، ومؤلفاً على الترتيب الذى بين أيدى الناس اليوم.

ومما له دلالته فى هذا السياق، ما ورد فى الحديث نفسه، من قول زيد رضي الله عنه قال: (... فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب - ورق النخل - واللخاف - حجارة بيض رقيقة - وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ (التوبة: ١٢٨) حتى خاتمة سورة براءة، ووجه الدلالة فى قول زيد رضي الله عنه أنه لم

يجد هاتين الآيتين مكتوبتين عند أحد من الصحابة، إلا عند خزيمة الأنصارى، وإلا فالصحابة ﷺ كانوا يحفظونهما فى صدورهم. وهذا يدل على أن أكثر آيات القرآن الكريم كانت مكتوبة عند الصحابة، وما لم يكن كذلك كان محفوظاً فى الصدور. وهذا يؤيد ويؤكد ما قررناه آنفاً من أن القرآن الكريم كان محفوظاً كاملاً فى عهده ﷺ، ما بين الصدور والسطور.

ولسنا هنا بصدد سرد المراحل التاريخية التى تم جمع القرآن الكريم فيها - فقد أفردنا للحديث عن ذلك محوراً خاصاً يمكن الرجوع إليه - لكن ما يهمنا تقريره وتأكيده أن قرار أبى بكر بجمع القرآن الكريم بين دفتى كتاب، كان أعظم قرار فى تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ حفظ لها بذلك دستور حياتها ومعالم طريقها.

نخلص مما تقدم أن جمع أبى بكر للقرآن لم يكن مغايراً لما كان عليه الأمر فى عهده ﷺ، وكل ما فى الأمر أن أبا بكر نقله من الصدور والأماكن المتفرقة التى كتب عليها، ومن ثم جمعها فى موضع واحد، مخافة ضياعها وفواتها بفوات الصحابة.

أما الإجابة عن شبهة من قال إن الصحابة قد اختلفوا فى جمع القرآن وترتيبه، فحاصل القول فيها: إنه إذا بدت من بعض الصحابة وجه معارضة ومخالفة حول جمع القرآن بداية، إلا أن الاختلاف بين الصحابة قد آل إلى وفاق واتفاق فى النهاية، واجتمعت كلمة الصحابة على ضرورة جمع القرآن فى مصحف واحد، وليس فى هذا ما يدعو إلى التشكيك فى موقف الصحابة ﷺ من جمع القرآن.

ثم يقال أيضاً: إن حاصل القول فى مسألة ترتيب آيات القرآن وسوره، أن ترتيب آياته كان بتوقيف منه ﷺ، ولم يكن للصحابة فيه مدخل لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ كان جبريل عليه السلام ينزل عليه بالوحى، ويأمره بوضع آية كذا فى موضع كذا، وهذا مما لا خلاف فيه. أما ترتيب سوره فالذى استقر عليه رأى أهل العلم المعتبرين أنه ﷺ فوض ذلك إلى صحابته من بعده، ولما كان الصحابة ﷺ قد ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبى ﷺ وقت حياته، فدونوه على وفق ذلك السماع، دون خلاف بينهم، واستقر الأمر على ذلك؛ على أن هناك من العلماء من ذهب إلى أن ترتيب السور أيضاً كان بتوقيف منه ﷺ.

وبهذا نكون قد أجبنا على هذه الشبهة بما يسمح المقام به. ونسأل الله الثبات والتوفيق للمسلمين فى الأمر كله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٦ ـ اتهام الرسول ﷺ بتأليف القرآن الكريم
ونعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى

كما اتهمت قريش محمداً ﷺ بتأليف القرآن الكريم، كذلك فعل بعض المستشرقين من أمثال بيرسى هورنستاين ـ يوليوس فلهاوزن ـ د. يروس و د. لوبون وقد أخبرنا الله جل علا عن ذلك فى عدة مواضع من كتابه الكريم حيث قال:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (هود: ٣٥).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة: ٣).

إن هذه شبهة واهية لا أساس لها من الصحة ولنا فى إثبات ذلك أدلة هى:

١ ـ أن أسلوب القرآن الكريم يخالف مخالفة تامة أسلوب محمد ﷺ. فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التى جمعت أقوال محمد ﷺ وقارناها بالقرآن الكريم لرأينا الفرق الواضح والتغاير الظاهر فى كل شىء، فى أسلوب التعبير، والموضوعات، فحدث محمد ﷺ تجلى فيه لغه المحادثة والتفهيم والتعليم والخطابة فى صورها ومعناها المألوف لدى العرب كافة، بخلاف أسلوب القرآن الكريم الذى لا يعرف له شبيه فى أساليب العرب.

وإذا افترض الشخص أن القرآن الكريم إنتاج عقل بشرى، فإنه يذكر شيئاً عن عقلية مألوفة، ولو كانت تلك الادعاءات حقيقة فإن أدلة ذلك ستظهر فى القرآن الكريم، فهل توجد مثل تلك الأدلة؟ وحتى نتمكن من الإجابة على ذلك فإن علينا معرفة الأفكار والتأملات التى دارت فى عقله فى ذلك الوقت ثم نبحث عنها فى القرآن.

ويستشعر القارئ فى فطرته عند قراءة الحديث النبوى شخصية بشرية ذاتية

تعتريها الخشية والمهابة والضعف أمام الله، بخلاف القرآن الكريم الذى يتراءى للقارئ من خلال آياته ذاتية جبارة عادلة حكيمة خالقة بارزة مصورة، رحيمة لا تضعف حتى فى مواضع الرحمة مثل قوله سبحانه فى شأن اتباع عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائده :١١٨) فلو كان القرآن من كلام محمد ﷺ لكن أسلوبه وأسلوب الأحاديث سواء. ومن المسلم به لدى أهل البصر الأدبى والباع الطويل فى اللغه أن من المتعذر على الشخص الواحد ان يكون له فى بيانه أسلوبان يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً جذريا.

٤ ـ محد ﷺ أمّىّ ما درس ولا تعلم ولا تتلمذ، فهل يُعقل انه أتى بهذا الإعجاز التشريعى المتكامل دون أى تناقض، فأقر بعظمة هذا التشريع القريب والبعيد، المسلم وغير المسلم؟ فكيف يستطيع هذا الأمى أن يكون هذا القرآن بإعجازه اللغوى الفريد الغريب وإعجازه التشريعى المتكامل اجتماعيا واقتصاديا ودينيا وسياسيا.... هل يمكن لهذا الكتاب ان يكون من عنده؟؛ وهل يجرؤ على تحدى ذلك بقوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ هذا تحد واضح لغير المسلمين فهو يدعوهم لإيجاد خطأ فيه.

٥ ـ إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة المتناسقة للكون والحياة والفكر والمعاملات والحروب والزواج والعبادات والاقتصاد لو كانت من صنع محمد ﷺ، لما كان محمد ﷺ بشراً. إن هذه التنظيمات وهذه التشريعات والآراء تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات عالمية وتخصص عميق مهما أتيح لها من المراجع والدراسات والوقت. فرجل واحد أيا كانت عبقريته، وأيا كانت ثقافته ليعجز عن أن يأتى بتنظيم فى مسألة واحدة من هذه المسائل، فما بالك بكلها مع تنوعها وتلون اتجاهاتها وهل يتسنى لأمى أن يأتى بهذه النظرة الشاملة فى الكون والحياة والفكر؟

٦ ـ لماذا يؤلف محمد ﷺ القرآن وينسبه إلى غيره؟ فالعظمة تكون أقوى وأوضح وأسمى فيما لو جاء بعمل يعجز عنه العالم كله، ولكان بهذا العمل فوق طاقة البشرية فيرفعه إلى مرتبة أسمى من مرتبة البشر، فأى مصلحة أو غاية لمحمد ﷺ فى أن يؤلف القرآن ـ وهو عمل جبار معجز ـ وينسبه لغيره؟

٧ ـ فى القرآن الكريم أخبار الأولين بما يغادر أخبارهم فى الكتب المتداولة أيام محمد ﷺ فإن القرآن الكريم يحتوى على معلومات كثيرة لا يمكن أن يكون مصدرها غير الله. مثلاً: من أخبر محمداً ﷺ عن سد ذى القرنين ـ مكان يبعد مئات الأميال شمالاً ـ؟ وماذا عن سورة الفجر وهى السورة رقم ٨٩ فى القرآن الكريم حيث تذكر مدينة باسم إرم «مدينة الأعمدة» ولم تكن معروفة فى التاريخ القديم ولم يكن لها وجود حسب معلومات المؤرخين. ولكن مجلة الجغرافية الوطنية وفى عددها الذى صدر فى شهر كانون الأول لعام ١٩٧٨ أوردت معلومات هامة ذكرت أنه فى عام ١٩٧٣ اكتشفت مدينة إلبا فى سوريا. وقد قدر العلماء عمرها بستة وأربعين قرناً، لكن هذا لم يكن الاكتشاف الوحيد المدهش، بل إن الباحثين وجدوا فى مكتبة المدينة سجلاً للمدن الأخرى التى أجرت معها إلبا تعاملات تجارية، وكانت إرم إحدى تلك المدن! أى أن مواطنى إلبا تبادلوا معاملات تجارية مع مواطنى إرم!



٨ ـ وماذا عما فيه من إعجاز علمى فى الكون والحياة والطب والرياضيات وذلك بالعشرات بل والمئات، فهل يعقل أن هذا الأمى قد وضعها؟ كيف عرف الأمى:

ـ أن الأراضى كروية بشكل بيضوى لقوله سبحانه ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ **(النازعات: ٣٠)**.

ـ أن الحياة ابتدأت من الماء، لا يمكن إقناع من عاشوا منذ أربعة عشر قرناً بهذا، فلو أنك وقفت منذ أربعة عشر قرناً فى الصحراء وقلت «كل هذا الذى ترى» وتشير إلى نفسك «مصنوع بأغلبيته من الماء» فلن يصدقك أحد، لم يكن الدليل على ذلك موجوداً قبل اختراع الميكروسكوب. كان عليهم الانتظار لمعرفة أن السيتوبلازم وهى المادة الأساسية المكونة للخلية تتكون من ٨٠٪ من الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ **(الأنبياء: ٣٠)**.

ـ أن هناك اختلافاً فى التوقيت بين مناطق العالم ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ **(يونس: ٢٤)** ومعنى الآية أنه عند نهاية التاريخ ومجىء يوم القيامة، فإن ذلك سيحدث فى لحظة ستصادف بعض الناس أثناء النهار وآخرين أثناء الليل، وهذا يؤكد حكمة الله وعلمه الأزلى بوجود مناطق زمنية، رغم أن ذلك لم يكن معروفاً منذ أربعة عشر قرناً. إن هذه الظاهرة ليس بالإمكان رؤيتها بالعين المجردة، أو نتيجة لتجربة شخصية وهذه حقيقة تكفى لتكون دليلاً على مصداقية القرآن الكريم.

ـ نظرية انتشار الكون لقوله سبحانه ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ **(الذاريات: ٤٧)**.

ـ نظرية الانفجار الكبير ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ **(الأنبياء: ٣٠)**.

ـ أن كمية الهواء فى الأجواء تقل إلى درجة أن الإنسان يضيق صدره فيها ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا

حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾

(الأنعام: ١٢٥).

- أن الشمس والقمر يَسْبَحَان فى هذا الفضاء لقوله سبحانه ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ **(الرعد: ٢).**



٩ - فى القرآن عتب ولوم لمحمد ﷺ فى مواضع عديدة مثل:

- سورة كاملة عنوانها «عبس» من آياتها ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾.

- ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة: ٤٣).

- ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦١).

- ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٧).

- ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة: ١١٣).

- ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٨).

- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ (الكهف:٢٣، ٢٤).

- ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: ٣٧).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التحريم: ١).

- بل إن فى القرآن الكريم تهديد ووعيد لنبى الله حيث يقول سبحانه ﴿وَلَوْ

تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾

(الحاقة: ٤٤ - ٤٦).

وقوله سبحانه ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ **(الإسراء: ٧٤ - ٧٥)**.

هذا العتاب وغيره كثير، فهل يعقل أن يؤلف محمد ﷺ الكتاب ثم يوجه العتاب إلى نفسه؟ وحوادث عديدة قام بها محمد ﷺ مع أصحابه ثم تبدلت فى نص القرآن فلم يجد فى نفسه غضاضة، فلو كان القرآن من عنده لما قام بها ودونها، غيّرها وعمل الأنسيّاب دون تسجيل الحادثة.

ودليل آخر: كانت تنزل بمحمد ﷺ نوازل وأحداث من شأنها أن تحفزه إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلح عليه بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً، ولكن كانت تمضى الليالى والأيام تتبعها الليالى والأيام ولا يجد فى شأنها قرآناً يقرؤه على الناس فقد حدث أن سئل عن أهل الكهف فقال إنه سيرد عليهم غداً على أمل أن ينزل الوحى بالرد ولكنه لم يقل إن شاء الله فنزلت الآيات الكريمة ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ **(الكهف: ٢٣ - ٢٤)**.

وأهم من ذلك كله: كيف استطاع قرآن بشرى أن يقوم بدعوة لتوحيد الله فى سلوب من القول والتوجيه لم تستطعه كتب السماء نفسها. هل هذا منطق؟

٧ ـ مصادر القرآن الكريم «أساطير الأولين»

من الشبهات الأخرى التى يثيرها المستشرقون أمثال نورمان دانيال ومن نحا نحوه أن النبى ﷺ ما جاء بجديد فى القرآن وإنما أخذ بعضاً من اليهودية، وبعضاً من النصرانية، وبعضاً من قصص الفرس، فكان القرآن. وقد ذكر لنا ربنا جل جلاله هذا فى كتابه الكريم فقال سبحانه:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ **(الفرقان: ٤)**.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾

(الفرقان: ٥).

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾

(النحل: ١٠٣).

ولرد تلك الشبهة على أصحابها أقول وبالله التوفيق: إن عنصر المعجزة لا يفارق القرآن حتى ولو صح الاتهام.

فإذا ثبت أن محتويات القرآن مقتبسة من اليهود والنصارى والفرس فإن صياغة القرآن ليست منهم لأن لغاتهم أعجمية، ولغة القرآن عربية فى مستوى الإعجاز. وإذا بقى عنصر المعجزة فى القرآن ـ ولو من ناحية واحدة، وهى ناحية الصياغة ـ يكون دليلاً على أنه من الله، ولا تبقى حاجة إلى إثبات أن القرآن معجزة فى محتواه، كما هو معجزة فى صياغته.

وقد اختلطت التهمة بالدفاع، فـ ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ **(النحل: ١٠٣)**

وهذا يعبر عن مدى صدمة القرآن لعقلية الجزيرة العربية.

والواقع: أن القرآن معجزة واضحة فى صياغته، وهذه.. ما فهمتها الجزيرة العربية ومن ورائها الأدباء العرب فى كل مكان وزمان.

ولكنه: معجزة أضخم فى محتواه وهذه.. ما تفهمها العقول العلمية والقانونية إلى يوم القيامة.

غير أن الشبهة التى وسوست فى الصدور ولا تزال نتجت من ملاحظة أن الناس شاهدوا فى بعض آيات القرآن ما كانوا يتلقونه من ألسنة الأحبار والرهبان - بفارق بسيط - وما تتبادله الأمم من أمثلة وحكم.

ولا تزال الطوائف والشعوب تحتفظ فى تراثها الدينى والقومى بأمثال وقصص وحكم وردت فى القرآن، وتاريخها يرجع جذورها إلى ما قبل نزول القرآن، فهى لم تأخذها من القرآن، فلا بد أن القرآن اقتبسها منها ونسبها إلى نفسه بعد أن طورها وأجرى عليها بعض التعديلات.

والجواب على هذه الشبهة:

إن التراث الدينى الذى يحتفظ به الشعوب فلا يصح تجاهل تأثره بالأنبياء إلى حد بعيد، وخاصة فى لمعاته الذكية لأن العناصر المفكرة فى كل الشعوب، لم تكن بعيدة عن الأنبياء، لأن الله كان يواتر أنبياءه إلى كل الشعوب، والعناصر المفكرة كانت تأخذ منهم - آمنت أم لم تؤمن بهم - فترسبت تركة الأنبياء فى مشاعر الشعوب، واحتفظت ببعضها فى التراث، وإن لم تحتفظ بسلسلة سند كل قصة وحكمة.

ولهذا نجد فى التراث القومى لكل شعب، لفتات روحية لا شك أنها من رواسب تعاليم الأنبياء. بل لو قارن الباحث خطوات الشعوب نحو الأمام مع حركة الرسالات؛ يتأكد من أن كل خير نالته البشرية عليه بصمة أحد الأنبياء، وإن طالت الفترة بين انبثاقه من النبوة ونضوجه كظاهرة على سطح الحياة.

فخير ما فى التراث الدينى وغيره للشعوب، هو تراث الأنبياء. والأنبياء جميعاً أخذوا عن الله.

والله تعالى أعطى لكل نبى بمقدار استعداد قومه للأخذ، وأعطى لمحمد بن عبد الله ﷺ أكثر مما أعطى لغيره. فكان فى القرآن الكريم ما تركته الأنبياء لشعوبهم وزيادة فوجود مواد من التراث الدينى وغيره لسائر الشعوب فى القرآن؛ إن دل على شىء فإنما يدل على وحدة المصدر، وهو الله سبحانه وتعالى.



٨ ـ تقييم دقيق لحادثة الراهب بحيرى

لم يدع نبى الإسلام أبداً أن تعاليمه هى نتاج فكره الخاص. وقد دافع عنه القرآن الكريم فى الآية الكريمة:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾

(الشورى: ٥٢ ـ ٥٣).

وأما الشبهة التى تثار حول تعاليمه ﷺ، وهى أن مصدرها الديانة اليهودية والنصرانية، فإن من الجدير بالذكر أن مصادر تلك الأديان السماوية واحد وهو الوحى الإلهى، وأن هناك وحدة فى هدف تلك الأديان وهو إرشاد البشرية. لم يدع نبى الإسلام أبداً أن ما جاء به هو دين فريد فى نوعه. وقد وضح القرآن الكريم هذه الحقيقة:

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ **(الأحقاف: ٩)**.

إن التشابه فى بعض الأمور الدينية بين الأديان السماوية الثلاث ناتج عن وحدة المصدر، ومن المتعذر أن يكون نبى الإسلام ﷺ قد اقتبس تعاليمه من الإنجيل وقد اعترف بعض المستشرقين بذلك، فقد قال البروفيسور مونتجمرى واط» (....) إن من المستبعد أن يكون محمد ﷺ قد قرأ الكتب الدينية اليهودية أو النصرانية (ص ٣٩) (...) ومن الأرجح أنه لم يقرأ أى كتاب آخر.

وقد شاركه ج. س. هجسن نفس الرأى بقوله «إن قاعدة نبوة محمد من ناحية مبدئية هى نفس تجربة وأعمال أنبياء بنى إسرائيل. لكنه لم يعرف شيئاً عنهم بشكل مباشر. ومن الواضح أن تجربته كانت خاصة».

إن الإسلام طريقة حياة أوحى به الله من خلال نبيه لإرشاد البشرية جمعاء على مدى العصور والأزمان، وقد حافظ دائماً على تعاليمه وأهدافه، وكان من الممكن اعتباره سخيفاً لو اختلفت تعاليمه الأساسية التى تتناسب مع الزمان والمكان عما هى عليه، فالله واحد وهو خالق وقيوم كل شىء، لا شبيه ولا شريك له، ويوم القيامة آت لا شك فيه، كما وإن الجريمة والزنا والكذب والسرقة والقسوة... إلخ كلها ذنوب قد تعرض مرتكبها للعقاب. أما الرحمة والصدق وإخراج الزكاة وخدمة جميع الكائنات والرفاهية الاجتماعية والفضائل فقد كانت حقيقة منذ مئات آلاف السنين، وما زالت حقيقة إلى يومنا هذا وستبقى حقيقة عبر القرون القادمة. فكيف تكون تعاليم نبى مختلفة عن تعاليم نبى آخر مع وجود فترة زمنية بينهما قد تبلغ مئات بل آلاف السنين؟ وكذلك الحال بالنسبة للأحداث التاريخية، ما عدا إحداث بعض التغيير فيها من خلال انعدام المسئولية أو لإهمال فى توخى الدقة وقت تدوينها. من المهم معرفة تلك الحقيقة، ومن واجب المستشرقين تعريف الجميع بها. يقول القرآن الكريم ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ **(الشورى: ١٣)**.

كان نبى الإسلام أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يكن لديه أى اتصال بأى مسئول دينى، كما لم تتوفر لديه فرصة لتلقى العلم من أحدهم، هناك حديث يروى أنه سافر ضمن قافلة تجارية مع عمه وولى أمره أبى طالب عندما كان فى التاسعة أو فى الثانية عشرة من عمره، وقد توقفت القافلة فى بصرى. وكان هناك راهب يعيش فى صومعة وقد تعرف على محمد ﷺ على أنه رسول رب العالمين. وعندما سئل عن سبب ذلك، قال إن كل شجرة وصخرة قد ركعت له، وأن ذلك لم يحدث إلا للأنبياء. وقد أعاده أبو طالب إلى مكة المكرمة مع أبى بكر وبلال بناء على نصيحة

بحيرا. لم يألوا المستشرقون جهداً فى إثارة الشبهة حول تلك الحادثة، والادعاء بأن نبى الإسلام قد اقتبس دينه من ذلك الراهب. لقد تركوا ثقافتهم وموضوعيتهم ودراستهم التحليلية ومستوى بحوثهم العالى الذى عرفوا به وجعلوا من الحبة قبة.

لقد روى ذلك الحديث بواسطة سلسلة من رواة مختلفين (إسناد)، وفى مجموعات مختلفة. وأقوى تلك الروايات رواية الترمذى، وجميع الروايات الأخرى موضوعة بحيث أن لا أحد ممن جمعوا الأحاديث أعطاها أى اهتمام.

وهذه سلسلة رواة الحديث كما رواه الترمذى:

روى الترمذى عن الفضل بن سهل، عن عبد الرحمن بن غزوان - عن يونس بن أبى إسحق - عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه (أبى موسى الأشعرى) أنه قال: «ذهب أبو طالب إلى بلاد الشام... الخ».

قام العلامة شبلى ثعمانى ومن بعده تلميذه العلامة س. سليمان ندفى بإجراء دراسة تحليلية لحادثة بحيرا فى كتابهم «سيرة النبى ﷺ» (٧ مجلدات) باللغة الأردية، وهذه خلاصة ملاحظاتهم التى وردت فى المجلد الأول (للشبلى) والمجلد الثالث (لسليمان نفدى):

مع أن أحد الرواة - عبد الرحمن بن غزوان - قد حصل على اعتراف من نقاد علم أسماء الرجال (علم مصداقية رواة الأحاديث) لكن آخرين قد وجهوا له التهم. يقول العلامة الذهبى فى كتابه «ميزان الاعتدال» إن عبد الرحمن يروى الأحاديث الضعيفة، وأكثر تلك الأحاديث الغير مقبولة هو الحديث المتعلق بحادثة بحيرا. وكذلك فقد روى حديث المماليك المختلق. يقول حكيم «لقد روى حديثاً غير مقبول عن الإمام الليث» وكتب ابن حبان «لقد ارتكب أخطاء. إن عبد الرحمن هذا قد روى ذلك الحديث عن يونس بن إسحق، ورغم أن بعض النقاد قد أيدوا يونس لكنه يعتبر بشكل عام ضعيفاً وغير موثوق به. يقول يحيى: لقد كان مهملاً، واتهمه شعبة بالغش. أما الإمام أحمد فقد صنف روايته بشكل عام على أنها غير موثوقة ولا قيمة لها. نقل يونس هذا روايته عن أبى بكر الذى بدوره روى عن أبيه أبى موسى الأشعرى، لكن ليس مؤكداً إن كان قد سمع الحديث من أبيه مباشرة، ورفض الإمام

أحمد بن حنبل تماماً سماع أبى بكر عن أبيه، مما جعل ابن سعد يصنف حديثه على أنه ضعيف. وبذلك فإن بالإمكان تصنيف الحديث على أنه منقطع (أى انقطاع سلسلة الرواة).

وبعد هذا الموجز عن سلسلة رواة ذلك الحديث من كتاب سيرة النبى، فإننا سنجرى دراسة تفصيلية للرواة، فعلينا أولاً أن نعطى وصفاً للراوى الأول أبى موسى الأشعرى الذى كان أحد صحابة نبى الإسلام ﷺ، قال عنه ابن الأسير:

قالت جماعة من علماء الوراثة والسيرة الذاتية أن أبى موسى ذهب إلى مكة، وتحالف مع سعيد بن العاص ثم عاد إلى قبيلته. وبعد ذلك (بعد ليس أقل من ١٠ ـ ١٥ سنة) ذهب إلى مكة مع إخوته، وتزامنت رحلته مع عودة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة زمن فتح خيبر. يقال إن الرياح قادت سفينتهم إلى أرض النجاشى، حيث عاشوا لبعض الوقت. ثم انضموا إلى المهاجرين أثناء عودتهم من الحبشة إلى المدينة.

توفى أبو موسى ما بين عام ٤٢ ـ ٥٣ هجرية عن عمر ناهز ٦٣ عاماً.

جمع حافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن أسامة الذهبى معلومات مفصلة عن أبى موسى فقال:

روى أن أبا موسى توفى عام ٤٢ هـ.

يروى أبو أحمد الحكيم أنه توفى عام ٤٢ هـ.

وفى رواية أخرى أنه توفى عام ٤٣ هـ.

روى أبو نعيم، أبو بكر بن أبى شيبة، ابن نمير وقعنب بن المحرر أنه توفى عام ٤٤ هـ.

أما الواقدى فإنه يقول إنه توفى عام ٥٢ هـ ويقول المدائنى «فى عام ٥٣ بعد المغيرة».

وذكر فى طبقات القرى «الحقيقة هى أن أبا موسى توفى فى شهر ذى الحجة من عام ٤٤».

وقد سجلت معلومات أخرى مشابهة من قبل المؤرخين:

(أ) ابن حجر العسقلانى.

(ب) ابن سعد.

يتضح من ذلك أن:

١ ـ أبا موسى الأشعرى قد توفى عن عمر ناهز ٦٣.

٢ ـ أنه توفى ما بين عام ٤٢ ـ ٥٣ هـ والأرجح أنه توفى عام ٤٤ كما ذكر الذهبى سابقا.

٣ ـ إذا كان قد توفى عام ٤٢ هـ فإنه يكون قد ولد عندما كان عمر النبى ﷺ ٣٢ عاماً أى من ٢٠ ـ ٢٣ عاماً بعد حادثة بحيرا.

٤ ـ لا يمكن بحال من الأحوال اعتبار أبى موسى الأشعرى شاهد عيان للحادثة التى حدثت قبل ميلاده بمدة ٢٠ ـ ٣٤ عاماً وقبل ٣٠ ـ ٤٠ عاماً قبل بلوغه حيث أن درجة فهمه وتذكره لمثل تلك الحادثة تكون ضعيفة.

وحتى ولو لم يكن أبو موسى شاهد عيان فإن من الممكن قبول روايته لو أنه قال منذ البداية أنه سمع الحادثة من النبى ﷺ نفسه، أو من أحد صحابته الذين سمعوها من النبى ﷺ نفسه.

وفى غياب مثل تلك الرابطة فإن سلسلة الرواية تعتبر مقطوعة، ويعتبر مثل ذلك الحديث «مرسل» أى تصنيفه ضعيف. وحتى لو أننا تجاهلنا تلك النقطة فإن لسلسلة الرواية عيوباً جدية أخرى تحول دون قبولها. فإن أبا بكر يروى الحديث عن أبيه أبى موسى الأشعرى، ولا يوجد دليل واحد على أنه سمع حديثاً عن أبيه وذلك لأنه توفى عام ١٠٦ هـ بينما توفى والده موسى الأشعرى عام ٤٢ هـ عن عمر ناهز ٦٣ عاماً كما روى الإمام شمس الدين الذهبى، كما نورد هنا «يروى ابن سعد عن هيثم بن عدى أنه مات عام ٤٢ هـ أو لاحقاً...».

وهذا يعنى أنه عاش ٦٤ عاماً أو نحوها بعد وفاة أبيه مما يجعله لم يكن إلا صبيا وقتها.

وقد رفض الإمام أحمد بن حنبل رفضاً قاطعاً إمكانية قبول روايته.

ويعتبره ابن سعد كاذباً ولا يؤخذ بقوله.

يقول الحافظ يوسف المزى إن اسمه كان إما عمارا أو عامرا. ويضيف:

إنه روى الأحاديث عن: الأسود بن هلال، البراء بن عازب، جابر بن سمره، عبدالله بن عباس، على بن أبى طالب ومما قيل عنه خطأ عن أبيه عن أبى موسى الأشعرى.

لقد نقل الحديث من أبى بكر إلى يونس بن إسحق. وكما ذكرنا فإنه ضعيف ولا يعتمد عليه ومهمل بل وحتى ملفق. يقول أبو حكيم إنه غالباً ما يشعر بالحيرة والإحساس بالهذيان إزاء روايته. رغم أن بعض النقاد أيدوا وحتى قبلوا روايته إلا أن معظمهم يعتبرونه غير موثوق به. لقد جمع الحافظ المزى معلومات مفصلة نوعاً ما عنه، وأرى أن إلقاء الضوء على بعضها ضرورى:

يروى صالح بن أحمد بن حنبل عن المدينى أنه كان يستمع إلى يحيى. وأنه قال عندما ذكر يونس بن إسحق: «كان الإهمال وعدم الاهتمام صفة متأصلة فى شخصه». يستشهد بندار بقول سلم بن قتيبة «جئت من الكوفة. وقد سألنى شعبة عمن رأيت هناك، فقلت رأيت فلاناً وفلاناً، وقابلت أيضاً يونس بن إسحق، ثم سألنى وأى حديث نقل إليك، فرويت له ما سمعت، فسكت برهة قلت له إن يونس قال «قال لى بكر بن ماعز» فقال شعبة «ألم يقل إن عبد الله بن مسعود روى له؟ (وكان ذلك مستحيلاً وبوضوح نظراً للفارق الزمنى بينهما. وهذا يعنى أن شعبة ينظر إليه على أنه مبتدع). يقول أبو بكر الأثرم سمعت أبا عبد الله عندما ذكر اسم يونس بن أبى إسحق يصنف روايته عن أبيه بأنها غير موثوقة. لقد أخبر أبو طالب أحمد بن حنبل أن هناك إضافات على روايات الأشخاص فى حديث يونس بن اسحق. سمع ابنه إسرائيل ذلك ودونه من أبى إسحق، لكن لا يوجد أية إضافات كإضافات يونس. قال عبدا الله بن أحمد بن حنبل «لقد سألت أبى عن يونس بن أبى إسحق فأجاب إن رواياته ضعيفة ومشوشة (...) وأنه كذا وكذا «قال أبو هيثم إنه كان موثوقاً به، لكن أحاديثه يصعب تصديقها واتخاذها دليلاً على شىء. وقال عنه الإمام النسائى بقوله لا ضرر من ورائه (...) توفى عام ١٥٩ أو ١٥٢ أو ١٥٨ والأصح أنه توفى عام ١٥٩.

أما الراوى التالى عبد الرحمن بن غزوان فرغم أن معظم النقاد وضعوه فى صف الرواة الأقوياء والموثوق برواياتهم، إلا أنه لم يسلم من اللوم فقد قال عنه الإمام المزِّى:

قال ابن حبان عنه لقد اعتاد ارتكاب الأخطاء. فإن روايته لقصة المماليك عن الليث.... عن مالك.... عن الزهرى.... عن عروة.... عن عائشة تؤلم وتزعج القلب (العقل). يقول محمد بن جرير الطبرى أنه توفى عام ٢٠٧ هـ.

والآن يتبقى فقط الفضل بن سهل بن إبراهيم الأعرج. لقد كان راوياً قويا، ولكن هناك تحفظات بالنسبة له. يقول الخطيب البغدادى:

قال لى أحمد بن سليمان بن على المقرئ.... أبو سعيد أحمد بن محمد الملينى.... عبد الله بن عدى.... قال «سمعت عبدان يقول إنه سمع أبا داود الساجستانى يقول إنه لم يحب رواية بعض الأحاديث عن الفضل الأعرج» فسألته عن السبب. فأجاب كيف يمكن أنه لم يفوت منه أى حديث صحيح». قال ابن عدى إنه سمع أحمد بن الحسين الصوفى يقول إن الفضل بن سهل الأعرج كان شخصاً ماكراً كالثعالب ومراوغاً ومخادعاً.

مما يجدر ملاحظته أنه لو أن راوياً واحداً قد وجه له النقد، أو أن هناك انقطاعا فى سلسلة رواة الحديث، أو أن الراوى الأول لم يكن شاهد عين للحادثة، فإن سلسلة الرواة بأكملها تصبح محل شك، مما يجعل الرواية أو الحديث غير موثوق به.

بغض النظر عن ذكر أحد فى هذا الحديث، فإن معظم الرواة يعتبرون بطريقة أو بأخرى مجروحين. وثانياً إن سلسلة الرواة تعتبر منقطعة. وأخيراً الراوى الأول ليس شاهد عين للحدث أو طرفا فيه.

رغم وجود كل هذه العيوب وكون سلسلة الرواة فى حالة مشكوك فيها، فإن من الغريب أن عالماً باحثاً يتجرأ بل ويستشهد بذلك الحديث ويقدمه كدليل على موضوع هام هو الحادثة التى يتناولها الحديث المذكور على أنها المصدر الرئيسى لتعاليم النبى الدينية؟

بعد القيام بدراسة خارجية لإسناد الحديث، فإن نصه ومحتوياته يخضعان أيضاً للدراسة وهذا هو نص الحديث:

سافر أبو طالب مع النبى ﷺ إلى بلاد الشام بصحبة بعض كبار رجال قريش فى قافلة تجارية، وعندما اقتربوا من الراهب بحيرا، قرروا التوقف للاستراحة، فذهب إليهم الراهب رغم أنه لم يكن يفعل ذلك عندما كانوا يمرون فى رحلاتهم السابقة، فهو لم يعرهم أى اهتمام أبداً. وعندما كانوا يحطون رحالهم مر الراهب من وسطهم،. وتوجه نحو النبى ﷺ، فأمسك بيده وقال «هذا رئيس العالم، رسول رب العالمين، وسيعينه الله رحمة للعالمين. فسأله كبراء قريش عن سبب قوله ذلك، فقال «عندما ظهرتم من الممر، فإن كل شجرة وحجر انحنت له، ولم يحدث ذلك لأحد إلا لنبى، وعرفته أيضاً بسبب خاتم النبوة الشبيه بالتفاحة الموجودة أسفل عظم كتفه، ثم عاد وأحضر لهم طعام الغداء، وكان نبى المستقبل مع قطيع الإبل. فأرسل له الراهب طعاماً. عندما حضر نبى المستقبل كانت غمامة تظله، وعندما وصل وجد أن الرجال قد اتخذوا الأماكن الظليلة تحت الشجرة، فجلس النبى فما كان من ظل الشجرة إلا أن انحنى فوقه. قال الراهب «انظروا هنا! لقد خضع ظل الشجرة له، وكان لا يزال واقفاً معهم، ويطلب منهم عدم أخذ محمد ﷺ إلى بلاد الروم، لأنهم سيتعرفون على صفاته ويقتلونه، وفجأة ظهر سبعة أشخاص من الروم، فرحب بهم الراهب وسألهم عن سبب زيارتهم، فأجابوا «بلغنا أن النبى المنتظر سيأتى من مكان إقامته هذا الشهر، ولذلك فقد أرسل أشخاص إلى كل جهة وأرسلنا إلى هذه الطريق». فقال الراهب «هل يوجد رئيس لكم من حيث جئتم؟ أجابو نعم وقالوا إن فرقتهم أفضل فرقة مما جعل الرئيس يختارهم لتلك الجهة، فسألهم الراهب» هل فكرتم؟ هل بإمكان أحد أن يمنع إتمام مهمة قضاها الله؟ وعندما أجابوا بالنفى حثهم على مبايعة النبى، وبناء على طلبه أخبره الرجال أن أبا طالب هو ولى أمر محمد ﷺ. ونزولاً على إصراره المتواصل بضرورة أن يعيده أبو طالب إلى مكة مع أبى بكر وبلال (أو أن أبا بكر هو الذى أرسل بلالاً معه، هذا لا يبدو نقلاً مناسباً) وزودهم الراهب بزيت وكعك كمئونة للطريق.

عندما يحلل النص بطريقة نقدية فإن ذلك يكشف عن ثغرات جدية. وها هى بعض الملاحظات:

١ ـ كان الدخول فى التعاملات التجارية والذهاب ضمن قوافل تجارية محصوراً على الأشخاص الأثرياء ولم يحلم أبو طالب أن يكون منهم، لأنه لم يكن ثرياً أبداً بل إن ثروته كانت ضئيلة لدرجة عدم تمكنه من الإنفاق على أولاده، مما جعل بعض أقاربه يتعاطفون معه ويأخذون على عاتقهم مسئولية تربية بعض أبنائه. إن قصة الحديث مختلقة ولا يوجد دليل على أن أبا طالب كان له رحلات تجارية إلى أى مكان. كان بائع عطور بسيط، وقد روى أنه كان أعرجَ وبذلك يفقد الأهلية للقيام برحلة شاقة كتلك.

٢ ـ لو كان بحيراً حقاً عالماً عظيماً وبارعاً لدرجة أن خطط لنبوة محمد ﷺ، فإن من المفروض أن يوجد له فى السجلات النصرانية أدب كثير، ومجلدات عن حياته وأعماله، ولكننا لا نجد عنه شيئاً إلا فى أحاديث الدرجة الثالثة فى الأدب الإسلامى.

٣ ـ اختار بحيرا نبى المستقبل وفى حضور كبار رجال قريش قال إن الصبى سيصبح رئيس العالم المختار، ونبى رب العالمين ورحمة للعالمين. وبذلك يكون رجال قريش شهوداً على تلك الحادثة الغير عادية، وينقلونها إلى أهل مكة عند عودتهم إليها وبذلك تصبح حديث الناس، ومن الطبيعى أنه عندما يحدث شىء يتعلق بنبى المستقبل فإن أولئك الرجال ومن سمع الحادثة منهم سيعودون للحديث عن تلك الحادثة، لقد ظهر محمد فى الصباح الباكر فى البيت الحرام بعد ذلك ببضعة سنوات، حيث حل النزاع حول وضع الحجر الأسود، وكان من المفروض أن يصيح الناس «لقد وصل رسول رب العالمين، ورئيس جميع المخلوقات، وظهر رحمة العالمين، ونحن نؤيده ونقبل رأيه». لكن كتب التاريخ لم تذكر شيئاً من هذا القبيل، بل تذكر أنهم قالوا «جاء الأمين.... الصادق.... الخ» ومرة أخرى عندما أعلن النبى المنتظر أنه اختير لأداء المهمة، وكان من المفترض أن يعلن كل من اعتنقوا الإسلام أنهم كانوا يعرفون ذلك وينتظرونه، فإننا نجد أن ذلك لم يحدث.

٤ ـ عندما سئل بحيرا عن سبب معرفته بأن الصبى سيصبح نبيا أجاب بأن

جميع الأشجار والحجارة قد ركعت له. ولو كان الأمر كذلك فإن كل من كانت له صلة به فى مكة أو غيرها سيعرف ذلك أيضاً، فقد كان أمراً غير عادى، وظاهرة غير طبيعية أو مألوفة، وبذلك لا يمكن أن تمر دون أن يلاحظها الناس. من الغريب أن رجال القافلة الذين ارتحلوا معها مئات من الأميال لم يلاحظوا الأمر وكان بحيرا فقط هو الذى أدركها. وبناء عليه فإن من المفترض أن علامة النبوة المذكورة تكون موجودة فى الإنجيل، لكن الأمر ليس كذلك مما يجعل الحادثة مختلقة وغير موثوق بها.

٥ - لو أن المستشرقين الذين اتخذوا من تلك الحادثة عاملاً يساعدهم فى ادعائهم أن محمداً ﷺ قد تعلم وأخذ تعاليم دينه عن النصرانية من خلال الراهب المذكور، لو أنهم اعتقدوا أن حادثة بحيرا تلك كانت حقيقة وليست خيالاً، ولو أنهم كانوا صادقين في دراستهم لكان موقفهم تجاه الإسلام مختلفاً تماماً، بينما يكشف موقفهم السلبى الحالى من الإسلام أنهم حقا لا يعتقدون بصحة ذلك الحديث.

٦ - لو كان قول إن الأشجار والحجارة ركعت للنبى ﷺ، فإن ذلك لن ينحصر فى تلك الحادثة فقط، ويكون مئات الآلاف من الأشخاص قد شاهدوا ذلك فى مكة وسواها. لكننا لا نجد حديثاً صحيحاً واحداً يؤيد حدوث ذلك مما يؤكد أن ذلك الحديث موضوع لا أصل له.

كما ويجدر ذكره أن الإسلام قد حرم الركوع لأحد سوى الله. يقول القرآن الكريم:

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ **(فصلت: ٣٧).**

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ **(الرحمن: ٦ - ٧).**

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ **(الفرقان: ٥٥).**

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ **(الفرقان: ٦٠).**

وقد منع الرسول ﷺ الركوع أمام أحد سوى الله. كما منع ذلك فى الإنجيل «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى» الخروج ٢٠: ٤ - ٦.

وبذلك يتضح عدم جواز الركوع لغير الله فى أية حالة.

٧ - بالنسبة «لخاتم النبوة» فإنه لا يوجد له دليل واضح فى الإنجيل، ولو كان لهذه العلامة حقا على ظهره الشريف، كما جاء فى الحديث على لسان الراهب، فإنه لا يوجد أى تبرير لغياب تأييد كبار قريش لتصديق دعوى محمد ﷺ بأنه رسول الله، وبالتالى قبول دينه على أنه دين الحق. رغم وجود كتلة سوداء شبيهة بالغدة أعلى ظهره (تحت عظام الكتف)، إلا أنه لم يدع أبداً أنها علامة نبوته، مع أنه كان بإمكانه إبرازها كدليل على صدق دعواه وهذا يدل على عدم أهميتها كعلامة إعجازية. وبذلك تسقط مصداقية الحديث.

٨ - لو لم تكن تلك الحادثة مختلقة من قبل رواة سُذَّج أو أصدقاء مغفلين أو بعض أعداء الإسلام، لعرضها النبى ﷺ كدليل واضح على صدق نبوته، ولكان من الصعب على الكفار رفض دليل واضح عليها كعلامة ختم النبوة.

٩ - وتنطبق الملاحظات السابقة على حادثة تظليل السحابة لنبى الإسلام.

١٠ - كما أنها تنطبق على حادثة مد الشجرة لظلها نحوه.

١١ - لقد حثهم الراهب على عدم أخذ الصبى إلى بلاد الروم، لأنه لدى رؤيته له تعرف على علامات النبوة التى ستجعلهم يقتلونه، وهذا يعنى أن علامات نبوة النبى المنتظر كانت من الوضوح فى الإنجيل بحيث لا يمكن أن تفوت عن أنظار كبار الروم. هل يتفق المستشرقون مع ملاحظات الراهب؟ وإن كان الأمر كذلك فما مدى استعدادهم لقبول مصداقية نبوة محمد ﷺ؟ هل يعتقد أولئك أن العلامات لصالح نبى الإسلام حقا موجودة فى الإنجيل بوضوح بحيث إن مجرد رؤيته تجعل العالم يتعرف عليه كما ظن الراهب؟

١٢ ـ أما عن مجموعة الرجال السبعة الروم الذين قالوا إن النبى المنتظر كان سيخرج من بلده ذلك الشهر، فإن المرء يتساءل عن مصدر علمهم ذلك، فبالنسبة للإنجيل لا يوجد شىء فيه من هذا القبيل، ومن الغريب أن يكون المستشرقون قد اختاروا بناء قصرهم بدون أى أساس وعلى أرضية مزيفة، مما يجعله قابلاً للسقوط بمجرد ضربة واحدة من قبل ناقد موضوعى.

١٣ ـ لو كانت الحادثة حقيقية لما تردد كبار قريش وخاصة أبو طالب فى اعتناق الإسلام فور إعلان النبى ﷺ لرسالته.

١٤ ـ لو كان فى الرواية أى جزء من حقيقة لامتلأت كتب الأدب الدينى الإسلامى بوصف مراحل حياة ذلك الراهب المختلفة، لكننا لا نجد له أثراً فيها.

١٥ ـ يقول الفصل الأخير من الحديث أنه وبناء على إصرار من الراهب فإن أبا طالب أعاد الصبى مع أبى بكر وبلال، وهذا دليل واضح على أن القصة مختلقة، فإن الرسول ﷺ لم يكن أكبر من أبى بكر رضي الله عنه إلا بعامين أو ثلاثة، فلو كان عمر النبى ﷺ حينئذ ٩ سنوات، فإن عمر أبا بكر سيكون ٦ سنوات، ولو كان عمر نبى المستقبل ١٢ عاماً لكان عمر أبى بكر ٩ أعوام، هناك مثل فارسى يقول «الكذب لا ذاكرة له». لقد نسى مؤلف القصة أن أبا بكر كان أصغر من النبى ﷺ كما هو مدون فى التاريخ.

يروى ابن سعد:

أخبرنا محمد بن عمر أنه سمع شعيب بن طلحة يروى عن ابن أبى بكر الصديق أنه قال «كان بلال ترباً لى (متساويين فى السن). قال محمد بن عمر «لو كان الأمر كذلك وكان أبو بكر قد توفى حقا عام ١٣ هـ عندما كان عمره ٦٣ عاماً، لكان الفرق بين هذا وبين ما روى لنا عن بلال ٧ سنين. ويقول شعيب بن طلحة عن ميلاد بلال: كان فى مثل سن أبى بكر.

يروى الحافظ الذهبى الذى يعتبر مصدراً موثوقاً فى معرفة أسماء الرجال ملخصاً لحياة أبى بكر فيقول:

توفى الصديق قبل نهاية شهر جمادى الآخرة بثمانية أيام، عام ١٣ هـ وكان عمره ٦٣ عاماً.

تظهر الروايات السابقة أنه يبدو أن لا منطق فى إرسال أبى بكر مع نبى المستقبل لحمايته أثناء رحلة عودته إلى بلده.

١٦ ـ أما بالنسبة لبلال فمن المحتمل أن لا يكون قد ولد بعد فى ذلك الوقت، يقول ابن سعد:

توفى بلال فى دمشق ودفن فى باب الصغير عام ٢٠ هـ عن عمر جاوز الستين عاماً. ويقال أيضاً أنه توفى عام ١٧ أو ١٨ هـ.

وقد زودنا ابن حجر العسقلانى بمعلومات مماثلة فقال:

توفى بلال فى بلاد الشام عام ١٧ أو ١٨ هـ ويقال أيضاً عام ٢٠ هـ عندما جاوز الستين من عمره.

روى شمس الدين الذهبى بعض التقارير عن بلال فقال:

روى يحيى بن بكير: توفى بلال فى دمشق بمرض الطاعون عام ١٨ هـ، وروى محمد بن إبراهيم التيمى وابن إسحق وأبو عمر الزرير ورواة آخرون أنه توفى فى دمشق عام ٢٠ هـ.

ذكر الحافظ جمال الدين المزى بعض المعلومات عن بلال فقال:

ويقول البخارى إنه توفى فى بلاد الشام فى عهد عمر رضي الله عنه.

ويروى أحمد بن عبد الله بن البرقى أنه توفى عام ٢٠ هـ.

ويقول الواقدى وعمار بن على أنه توفى فى دمشق عام ٢٠ هـ عن عمر جاوز الستين عاماً.

أستنتج من المراجع والمعلومات العامة أعلاه:

- تقارب أعمار النبى ﷺ وأبى بكر وبلال رضي الله عنهما فقد كانت أعمارهم عند وفاتهم كانت ٦٣ عاماً تقريباً.

● توفى النبى ﷺ عام ١١ هـ.

● توفى أبو بكر رضي الله عنه عام ١٣ هـ بعد عامين وثلاثة أشهر من وفاة النبى ﷺ.

● توفى بلال ؓ عام ١٧ أو ١٨ والأرجح أنها عام ٢٠ هـ أى والأرجح ٩ سنوات بعد وفاة النبى ﷺ.

● وبناء عليه فإنه قد لا يكون قد ولد بعد أو أن عمره كان ١ ـ ٣ سنوات، عندما كان عمر الرسول ﷺ ٩ سنوات.

● عندما كان عمر النبى ﷺ ١٢ عاماً كان عمر بلال ٥ ـ ٧ سنوات والأرجح ٣ سنوات.

وبذلك نستطيع بسهولة أن نستنتج أنه لا يمكن أن يكون بلال رضي الله عنه قد أرسل لحماية النبى ﷺ أثناء رحلة عودته من بصرى إلى بلده.

وهذا يجعل من المستحيل قبول هذا الحديث، ويثبت أنه ملفق لا أصل له. وبذلك يتضح للجميع بطلان الأساس الذى ارتكز عليه المستشرقون فى زعمهم أن محمداً ﷺ قد أخذ تعاليمه الدينية عن الراهب النصرانى.

قال عبد الرحمن بن مبارك بورى خلال تفسيره لهذا الحديث فى سنن الترمذى:

لقد اعتبره أئمتنا وهماً وذلك لأن النبى ﷺ كان عمره ١٢ عاماً وقتئذٍ، وكان أبو بكر يصغره بسنتين وربع السنة، بينما لم يكن بلال قد ولد بعد فى ذلك الوقت.

جاء فى ميزان الاعتدال.

إن من الأمور التى تدل على تلفيق هذا الحديث قوله «وأرسله مع أبى بكر وبلال» مع أن بلالاً لم يكن قد ولد بعد، وكان أبو بكر ما زال صبياً.

صنف الذهبى هذا الحديث على أنه ضعيف وغير موثوق به نظراً لقوله «وأرسله أبو بكر مع أن أبا بكر لم يكن قد اشترى بلالاً بعد، وبناءً عليه فلا حق له فى أن يأمره بأداء أية مهمة (...).

قال الحافظ ابن القيم فى كتابه زاد المعاد (...) عندما بلغ محمد ﷺ ١٢ عاماً ذهب مع عمه إلى بلاد الشام، ويقال أيضاً إن عمره كان ٩ سنوات وقتذاك (...)

وهذا خطأ واضح لأن من الأرجح أن بلالاً لم يكن قد ظهر للوجود بعد، ولو كان موجوداً لما أمكن أن يكون مع أبى بكر.

يقول الحديث أنه بناءً على إصرار الراهب فقد أعيد النبى المنتظر إلى مكة تحت رعاية أبى بكر وبلال، بحجة أنه لو أخذ إلى بلاد الروم فإن ذلك سيضع حياته فى خطر، وذلك لأن علماء الدين سيتعرفون عليه ويقتلونه. فلم يرسل أبا بكر وبلالا معه ليكونا رفاق طريق ولم تكن رحلة ترفيهية. ومن السخف واستحالة التصديق أن أبا طالب رغم محبته لمحمد أكثر من محبته لأبنائه، أن يتركه فى رعاية صبيين أحدهما يصغره بثلاث سنوات، والآخر إما أن لا يكون قد ولد بعد (إن كان عمر النبى المنتظر ٩ سنوات) أو أنه كان طفلاً رضيعاً عمره سنتان. يصعب تفسير كيف أن المثقفين المستشرقين الذين يشهد لهم بالقيام ببحوث تستحق التقدير، والذين اختاروا هذا الحديث الواضح تلفيقه، وأقاموا على أساسه قصراً فى الهواء، أن تكون أمانيهم هى التى الدافع الذى ألقى بهم فى تلك الهاوية.

١٧ ـ عندما أصبح النبى ﷺ شابا فى سن الخامسة والعشرين، شارك مرة أخرى فى رحلة مع قافلة تجارية إلى بلاد الشام لصالح خديجة ﵂. لو كان يعرف أن أهل تلك البلاد يكنون له العداوة، وأنهم بمجرد رؤيته سيتعرفون عليه من خلال علامات نبوته الواضحة لما قام أبداً بتلك الرحلة. لكنه لم يبد أى تردد فى قبول عرض خديجة له فى الاتجار لصالحها، ولم يقم أحد بإيذائه وعاد سالماً معافاً بعد قيامه بعمليات تجارية رابحة.

١٨ ـ من الغريب ملاحظته فى هذا الحديث الذى وبالرغم من أنه كله ملفق، إلا أنه أقوى من جميع الأحاديث التى تناولت حادثة بحيرا، لكن الراهب لم يخاطب نبى المستقبل مباشرة فى أى وقت من الأوقات، وبإمكان الشخص ملاحظة ذلك من خلال قراءته للحديث ليرى بنفسه تلك الظاهرة الغريبة. لا يوجد فى الحديث ضمير غائب بديلاً لمحمد ﷺ، لقد استعمل الراهب فى كل مرة شخصاً ثالثاً أو ضمير إشارة بدلاً من الصبى. هذا يدل على أن الراهب لم يعتبر أن صبيا أميا يمكنه أن يفهم ما يقول عنه. ومن الملاحظ أيضاً أن أحداً من رواة ذلك الحديث لم

يكن من السخف لدرجة أن يظهر الراهب وهو يخاطب الصبى بشكل مباشر. لأنهم من الطبيعى أن لا يتصوروا أن صبياً فى مثل عمره يستحق تلك المحادثة.

وخلاصة القول: إن من المفيد إلقاء نظرة على الملاحظات الحيادية لبعض المستشرقين. يقول جون ب. نوس وديفيد س. نوس فى كتابهما الشهير «أديان الرجل».

(...) إن من الواجب إدراج الحديث الشريف الذى يقول إن محمداً ﷺ تعلم اليهودية والنصرانية خلال رحلاته مع القافلة التجارية المتجهة للشام، وكانت الأولى بصحبة عمه أبى طالب عندما كان فى سن الثانية عشرة، والثانية عندما كان عمره ٢٥ عاماً كموظف لخديجة التى تزوجها فيما بعد، على أنه حديث غير مقبول.

ويقول توماس كارلايل:

لا أعرف ماذا أقول بشأن سيرجيوس (بَحيرا أو بُحيرا، مهما كان اللفظ، وقد أطلق عليه أيضاً اسم سرجيوس)، الراهب النسطورى الذى قيل إنه تحادث مع أبى طالب، أو كم الممكن أن يكون أى راهب قد علم صبياً فى مثل تلك السن، لكننى أعرف أن حديث الراهب النسطورى مبالغ فيه بشكل كبير، فقد كان عمر محمد ﷺ ١٤ عاماً (كان إما ٩ أو ١٢ عاماً على أكثر تقدير) ولم يعرف لغة غير لغته، وكان معظم ما فى الشام غريباً وغير مفهوم بالنسبة له.

نستنتج من متابعة التعليل أعلاه أن دعوى أولئك العلماء فى أن نبى الإسلام قد أخذ تعاليم دينه من بعض علماء الإنجيل مثل بحيرا لا أساس لها من الصحة، ولم يؤلفوا تلك القصة الغريبة والمستحيلة الحدوث إلا بدافع تمنى حدوثه.

إن الدراسة الموضوعية تتطلب جهوداً مستمرة، وغير مجهزة مسبقاً لتأمين الحقائق بطريقة معقولة وممكن تبريرها وتتسم بالمسئولية.

ـ كما أن الكاتب نفى وجود علامة خاتم النبوة فى الأناجيل رغم أن سفر الإنشاد ٥ : ١٠ يقول «حبيبى أبيض وأحمر. معلم بين ربوة...... وكله مشتهيات....».

لقد ثبت أن كلمة مشتهيات أصلها فى النسخة العبرية «محمدم» كما هو

موضح هنا:

Hikow mamtaqiym wkulow mahamadiym zeh dowdiy wzeh ree'iy»
.«bnowt yruushaalaaim

لذا فإننى أتساءل: إذا كانت «معلم بين ربوة» هذه هى بداية لفقرة انتهت بالحديث عن محمد، أفلا يكون من الطبيعى أنها أيضاً تتحدث عنه؟

وهذا يعارض ما جاء فى صحيح البخارى عن قصة إسلام الصحابى الجليل سلمان الفارسى رضي الله عنه:

«..... فسلمت عليه، ثم استدرت إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى، فلما رآنى رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أنى أستثبت فى شىء وصف لى، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكى...».



٩ـ مصادر القرآن الكريم
«ورقة بن نوفل»

تعريف بالفرقة الأبيونية:

قال المؤرخ موشيم فى المجلد الأول من تاريخه: (إن الفرقة الأبيونية التى كانت فى القرن الأول كانت تعتقد أن عيسى عليه السلام إنسان فقط تولد من مريم ويوسف النجار مثل الناس الآخرين وطاعة الشريعة الموسوية ليست منحصرة فى حق اليهود فقط، بل تجب على غيرهم أيضاً والعمل على أحكامه ضرورى للنجاة.

ولما كان بولس ينكر وجوب هذا العمل ويخاصمهم فى هذا الباب مخاصمة شديدة كانوا يذمونه ذما شديداً ويحقرون تحريراته تحقيراً بليغاً انتهى.

وقال جامعو تفسير هنرى واسكات: «سبب فقدان النسخة العبرانية أن الفرقة الأبيونية التى كانت تنكر ألوهية المسيح حرفت هذه النسخة وضاعت بعد فتنة يروشالمن وقال البعض إن الناصريين أو اليهود الذين دخلوا فى الملة المسيحية حرفوا الإنجيل العبرانى، وأخرجت الفرقة الأبيونية فقرات كثيرة منه.

ويشير أبو موسى الحريرى فى كتابه «قس ونبى» إلى عقائد بعض الفرق الأبيونية الهرطقية التى ادعت أن المسيح يتحول برضاه من صورة إلى صورة، فقد ألقى فى صلبه شبهه على سمعان، وصلب سمعان بدلاً عنه، فيما هو ارتفع إلى السماء حيا إلى الذى أرسله، ماكراً بجميع الذين مكروا للقبض عليه. لأنه كان غير منظور للجميع (ص ١٢٩).

يزعم النصارى أن ورقة بن نوفل كان من تلك الفرقة وأنه المصدر الذى تعلم منه محمد ﷺ القرآن الكريم. وقد دفعنى للكتابة عن هذا الموضوع سببين:

السبب الأول كان ردا من أحد النصارى على منتدى للحوار حيث قال عن ورقة ابن نوفل:

«لأنه كان أبيونيا وليس مسيحيا فالنصارى هم طائفة يهودية اتبعت النصارى عيسى وهم ليسوا مسيحيين فكانت فى الجزيرة بدعة اسمها الأبيونية لأنهم يتبعون الإنجيل الأبيونى المنحول كما كانت هناك بدعة المريميين الذين يعبدون مريم فهو من ترجمة التوراة من العبرية إلى العربية على يد ورقة فإن القرآن والحديث يثبتون أن محمدا لم يكن يتنبأ أو يعلم الغيب ولو كان به شىء صحيح فإنه من التوراة التى كانت موجودة من آلاف السنين أو من العلوم والأخبار المنتشرة وقتها».

ومن قراءة الفقرة نلاحظ ما يلى:

١ ـ أنه اعتبر ورقة بن نوفل أبيونيا ليس مسيحيا بل يهوديا.

٢ ـ أنه يرفض مسيحية من اتبعوا عيسى الناصرى بينما كتابهم يقول فى إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ : ١٩ «يسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبيا مقتدراً فى الفعل والقول»؟.

٣ ـ يقول «لأنهم يتبعون الإنجيل الأبيونى المنحول».

ثم يناقض نفسه فيقول عن القرآن الكريم «فهو من ترجمة التوراة من العبرية إلى العربية على يد ورقة»؟؟؟!!!

ويعود ليؤكد تناقضه فيقول عن القرآن الكريم «ولو كان به شىء صحيح فإنه من التوراة التى كانت موجودة من آلاف السنين أو من العلوم والأخبار المنتشرة وقتها».

ما هو الأصح؟؟؟ هل هو من الإنجيل الأبيونى المنحول أم من التوراة أم من العلوم والأخبار المنتشرة وقتها؟؟؟

أما السبب الثانى فهو رسالة وصلتنى عبر البريد من أحد النصارى وقد تكلم

فيها عن كتاب قرأه فقال:

«يقوم الكاتب (وهو شخصية رائعة جداً فى التحليل والبحث والتنقيب واستخلاص الحقائق الخفية) بتقديم الصورة الحقيقية التى حاول كتاب السيرة إخفاءها للعلاقة بين محمد بن عبد الله والقس ورقة بن نوفل النصرانى النسطورى وغيره من رهبان النصارى مثل الراهب بحيرى وغيره. ويبدو أن ورقة بن نوفل وهو زعيم كنيسة مكة النسطورية كان يعمل على إعداد خلف له ليترأس الكنيسة وعثر فى محمد (الذكى جدا) على ضالته المنشودة فزوجه من بنت عمه (خديجة هى بنت عم ورقة وهى نصرانية) واعتنى به وكان هو وخديجة وعبد المطلب خير عضد وسند لمحمد فى بداية دعواه.

يعتمد هذا البحث على إعادة ترتيب سور القرآن بحسب تاريخ النزول لا بحسب الترتيب الغريب (من الأطول إلى الأقصر) وسيجد المرء بدون أدنى شك العلاقة القريبة والتشابه بين ما يدعو إليه محمد وبين بدعة النسطورية ولربما الأبيونية النصرانية بشكل لا يترك مجالاً للشك.

ثم يموت ورقة (ويفتر الوحى؟!؟!) ثم تموت خديجة ويموت عبد المطلب فيبدأ القرشيون بمهاجمة محمد بدون أن يجدوا من يقاومهم فورقة زعيم النصارى مات وعبد المطلب كبير الهاشميين مات وزوجته الثرية ماتت. فكانت الهجرة وجمع الفلول والعودة بقوة السلاح لفرض ما يريده. فى هذه الفترة رأى محمد أنه سيفشل إن استمر فى الدعوة النصرانية بما فيها من جدالات ونقاشات حول الله وهل هو ثلاثة أو واحد والمسيح إله أم بشر أم غيره. فماذا فعل؟!

عاد إلى الأصل وأين الأصل لا فى موسى والشريعة واليهودية بل فى أبى الديانتين المسيحية واليهودية حين كان الله واحدا بكل بساطة وبدون أنبياء: إبراهيم.

وهنا حاك قصة إسماعيل بن إبراهيم وأبو العرب وكان يعلم عن ذلك من دروسه الكتابية التى نالها على يدى ورقة وغيره.

ثم أتجدين أختى مسلمة غريباً قول محمد لأبى بكر: لو أنك سبقت لفزت أنت بالنبوة ولكننى أنا سبقت فهى من نصيبى؟! فماذا يعنى بذلك؟! ألا يعنى أن الاثنين

الرفيقين الذين تعبدا فى غار حراء كانا يستعدان معاً لقيادة كنيسة مكة ولكن محمداً (الذكى العبقرى) سبق وأعلن الوحى والنبوءة فلم يبق لأبى بكر غير الإذعان والتصديق؟! وكانت مكافأة أبى بكر أنه خلف محمدا ثم عمر بن الخطاب بينما كان الأولى أن يخلفه على بن أبى طالب».

انتهت الرسالة.

من قراءة الرسالة نلاحظ ما يلى:

١ ـ اعتبر الكاتب ورقة بن نوفل نسطوريا مسيحيا وليس خارجاً عن النصرانية كما فعل الأول. والسؤال هو: هل ورقة كان نسطوريا أم أبيونيا؟

فمن الأصح يا ترى؟؟؟

٢ ـ «... واستخلاص الحقائق الخفية (لا أعرف كيف تمكن الكاتب من الوصول للحقائق وقد أخفاها أصحابها فهو لم يذكر مصدر معلوماته!!!) يقول إن ورقة هو الذى زوج خديجة ﵂ ومحمدا ﷺ مع أن جميع المصادر تذكر قصة زواجهما ولا يوجد لورقة أى ذكر فى الموضوع. فمن أين أتى الكاتب بزعمه؟ تقول كتب السيرة أنه لما بلغ محمد ﷺ من العمر خمساً وعشرين سنة، سافر إلى بلاد الشام للمرة الثانية، فى تجارة تخص خديجة بنت خويلد، وهى سيدة كانت توكل إلى الرجال أمر تجارتها، وقد رغبت فى إسناد هذه المهمة إلى محمد، الذى عرف بين القوم بحسن الخلق، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، حتى اشتهر عنه لقب (الصادق الأمين)، وصار موضع ثقة الناس واحترامهم. وقد أرسلت معه خادمها ميسرة، فذهبا واتجرا بمالها وربحا ربحاً وافراً، ولما رجعا إلى مكة أخبر ميسرة سيدته بما رأى من غرائب شهدها بصحبته محمداً فى تلك الرحلة؛ فقد كان من شأنه أنه كلما اشتد الحر، رأى ملكين يظلانه من حرارة الشمس وقيظها، فأعجبت خديجة بما سمعت، وأرسلت إليه تخطبه لنفسها وكانت فى الأربعين من عمرها، فقبل محمد وأرسل عمه يطلب يدها من أهلها ثم تزوجها.

٣ ـ لماذا اختص ورقة ابن نوفل محمداً من دون البشر ليوكل له مهمة ترأس كنيسة مكة؟ ألم يكن له أبناء أو إخوة أو أبناء إخوة أو أفراد عندهم علم أو أكثر

قرابة من محمد ﷺ؟ ولماذا لم يؤلف قرآناً لنفسه بدلاً من أن يعطيه لغيره؟؟!!

٤ ـ أين نجد السيرة الذاتية لبحيرى وورقة فى كتب النصارى القديمة؟

٥ ـ من أين أتى الكاتب بدعوى أنه كان فى مكة نصارى وكنيسة بينما أجمعت كتب التاريخ على أن أهل مكة كانوا وثنيين يعبدون الأصنام وقد أعرضوا عن اعتناق النصرانية لتنافرها مع العقل والفطرة السليمة، كما وأنهم أعرضوا عن اليهودية لأن أنفتهم وإباءهم جعلهم يرفضون فكرة شعب الله المختار التى تجعل من معتنقى اليهودية الجدد يهودا من الدرجة الثانية! لم يبلغ عدد نصارى مكة عدد أصابع اليد الواحدة وأسماؤهم مذكورة فى كتب السيرة النبوية وقد أسلموا جميعاً ولله الحمد. ألا يصفهم كتاب النصارى بالأمة الغبية كما فى سفر التثنية الإصحاح ٣٢ «٢١ هم أغارونى بما ليس إلهاً أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم».

أما إنجيل متى فيقول فى الإصحاح ٤/ ١٦ الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نوراً عظيماً. والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور.

(قال اليعقوبى فى تاريخه: وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بنى أسد بن عبد العزى. منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن أسد... (تاريخ اليعقوبى ١ ـ ١٥٧).

إذن كان ورقة ممن (تنصروا) وليس ممن ورثوا النصرانية..!!

٦ ـ أين نجد أسماء رؤساء كنيسة مكة المزعومة قبل ورقة؟ ثم إننا نجد على الانترنت مقالات تزعم أنه كان فى مكة أكثر من كنيسة ودير فما هو مرجعهم فى ذلك؟

٧ ـ إذا كانت الأبيونية قد تكونت فى القرن الأول فلماذا انتظر معتنقوها قروناً ولم يعملوا على تأليف كتاب جديد لهم قبل سيدنا محمد ﷺ؟

٨ ـ أما عن نقطة الكاتب بخصوص إعادة ترتيب سور القرآن بحسب تاريخ النزول لا بحسب الترتيب الغريب (من الأطول إلى الأقصر) فإنها تنم عن جهل لأن السور الطويلة لم تنزل دفعة واحدة كما وأن منها آيات نزلت فى مكة المكرمة وآيات نزلت فى المدينة المنورة!

٩ ـ يقول «ثم يموت ورقة (ويفتر الوحى؟!؟!).

أليس هذا دليلاً قاطعاً على أن محمداً ﷺ كان يتلقى الوحى من الله؟ وإلا فكيف يكون شديد الذكاء كما قال المؤلف ولا يفطن إلى أن انقطاعه بعد وفاة ورقة عن تزويد أتباعه بآيات جديدة سيؤدى إلى كشف عدم صدقه فى أن الله هو الذى يوحى إليه؟؟؟

ثم إن الوحى لم ينزل على نبى الإسلام إلا مرة واحدة قبل وفاة ورقة. وعندما عاد نزلت سورة الضحى ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ **(الضحى: ١ ـ ١١)**. ما الذى جعل محمداً متأكداً من أن المستقبل سيكون فيه الرضا له وقد تحقق ذلك فى حياته؟؟؟

هنا لفتة لغوية وهى أن الجملة تقول «وفتر الوحى» وليس ففتر الوحى.

يقول علم النحو إن حرف الواو يدل على تتابع الأحداث بالترتيب الزمنى أى على التراخى بمعنى: مات ورقة وبعد ذلك فتر الوحى.

أما «ففتر الوحى» فإن حرف الفاء السببية بمعنى أن موت ورقة كان سبباً فى انقطاع الوحى وهذا ما لم يحدث.

أما الخوف والفزع الذى انتابه لما سمع ورأى فى الغار حتى جعله يقطع خلوته، ويسرع إلى البيت مرتعش الفؤاد، فإنه يوضح أن ظاهرة الوحى هذه لم تأت متممة لشىء مما كان النبى ﷺ يتصوره أو يخطر فى باله، وإنما فوجئ بها وبالرسالة دون أى توقع سابق. كما أن ذهاب خديجة به لابن عمها دليل على أنها لم تكن تعلم كنهه مما جعلها تسأل قريبها ورقة عنه.

١٠ ـ يقول الكاتب «ويموت عبد المطلب» لم يذكر الكاتب ما إذا كان عبد المطلب نصرانيا أم لا، رغم أنه زعيم قريش.

١١ ـ يزعم الكاتب أن الهجرة كانت بهدف جمع الفلول والعودة بقوة السلاح لفرض ما يريده نبى الإسلام!!! يبدو أن الكاتب قد نسى أن ورقة بن نوفل قد تنبأ لمحمد ﷺ بأنه سيضطر للخروج من مكة المكرمة تماماً كما حدث مع بعض أنبياء الله مثل سيدنا موسى عليه السلام! وهناك مثال آخر عن ثقة النبى ﷺ فى صدق نبوته وبالتالى فى التأكد من حماية الله له ولرسالته وذلك عندما ترك مكة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أثناء الهجرة إلى المدينة، لقد رأوا رجالاً قادمين لقتلهم مما أخاف أبى بكر، لو كان محمد ﷺ كاذباً أو دجالاً أو شخصاً يحاول خداع الناس لأن يصدقوا نبوته، فإن المفروض فى تلك الحالة أن يقول لصاحبه «اسمع يا أبا بكر حاول أن تجد مخرجاً خلفيا لهذا الكهف» أو اجلس القرفصاء فى تلك الزاوية وابق هادئاً». لكنه قال لأبى بكر «لا تخف. إن الله معنا!» وهذا دليل واضح على ثقته بعون الله له. إذا كان الشخص يعرف أنه يخدع الناس فمن أين له تلك الثقة؟ إن حالة الطمأنينة الفكرية هذه لا يمكن أن توجد فى شخص كذاب أو دجال.

١٢ ـ يتجاهل الكاتب أو يتعامى عن حقيقة أن الدعوة تدرجت من كونها سرية بدأت بدعوة عائلة نبى الله ﷺ لقوله سبحانه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ **(الشعراء: ٢١٤)** ثم اتخذت صفة الجهر بالدعوة بناء على أوامر الله لقوله سبحانه ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ **(الحجر: ٩٤)** وقد بقى نبى الله فى مكة يدعو للإسلام ويتلقى وأصحابه صنوف العذاب من الكفار على مدى ثلاث عشرة سنة. وبعد ذلك أمره الله بالهجرة إلى المدينة المنورة وقد ورد ذكر ذلك فى سفر إشعياء الإصحاح ٢١» ١٣ نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية: ستبيتين فى صحارى بلاد العرب يا قوافل الددانيين، ١٤ فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاربين بالخبز، ١٥ لأنهم قد فروا من السيف المسلول، والقوس المتوتر، ومن وطيس المعركة. ١٦ لأنه هذا ما قاله لى الرب: فى غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، ١٧ وتكون بقية الرماة، الأبطال من أبناء قيدار، قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم».

وهذا نص آخر:

١٣ ـ وحى من جهة بلاد العرب. فى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين.

١٤ ـ هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه.

١٥ ـ فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب.

١٦ ـ فإنه هكذا قال لى السيد فى مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار.

١٧ ـ وبقية عدد قسى أبطال بنى قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم.

أقول للنصارى:

ـ نبوة محمد ﷺ الوحيدة فى بلاد العرب.

ـ «العطشان والهارب بخبزه» هو ﷺ عندما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

ـ «فإنهم من أمام السيوف قد هربوا» أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بالهجرة من مكة إلى المدينة هرباً من بطش قريش عندما تسلحوا بسيوفهم وحاصروا بيته لقتله ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه منهم.

ـ «يا سكان أرض تيماء» مدينة فى المملكة العربية السعودية تقع شمال المدينة المنورة وقد كان يسكنها اليهود وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى لهم باتباع محمد ﷺ.

ـ «فى مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار «لقد حدثت معركة بدر الكبرى وقد نصر الله سبحانه وتعالى فيها محمدا ﷺ فى العام الثانى للهجرة وكانت بداية فناء أمجاد قيدار الجاهلية واعتنق جميعهم الإسلام فيما بعد.

ـ «وبقية عدد قسى أبطال بنى قيدار تقل» لقد قتل ٧٠ من صناديد قريش يوم بدر.

فهل خطط ورقة بن نوفل لهذا أيضاً؟!

لقد حرم نبى الله وأصحابه من وطنهم وأملاكهم وعائلاتهم فأذن الله لهم بمحاربة الكفار لقوله سبحانه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج: ٣٩ ـ ٤٠).

فكيف يدعى الكاتب أن نبى الله هاجر ليفرض الإسلام بالسيف؟ وكيف عرف

أن أهل المدينة المنورة سيناصرونه خاصة وأن بينهم اليهود وهم من أشد الناس عداوة للمسلمين؟ بل وكيف يكذب الكاتب ما ورد فى كتابه على لسان المسيح عليه السلام فى إنجيل لوقا ٤» ثم أضاف: «الحق أقول لكم: ما من نبى يقبل فى بلدته».

١٨ ـ يقول الكاتب «فى هذه الفترة رأى محمد أنه سيفشل إن استمر فى الدعوة النصرانية بما فيها جدالات ونقاشات حول الله وهل هو ثلاثة أو واحد والمسيح إله أم بشر أم غيره. فماذا فعل؟! عاد إلى الأصل وأين الأصل لا فى موسى والشريعة واليهودية بل فى أبى الديانتين المسيحية واليهودية حين كان الله واحد بكل بساطة وبدون أنبياء: إبراهيم».

أقول: أحمد الله الذى يدافع عن دينه ويظهر الحق حتى على ألسنة أعدائه! فقد أثبت الكاتب العبقرى أن التثليث دخيل على دين الله منذ أن خلق آدم وإلى يوم القيامة ولا علاقة لإبراهيم أو موسى به. ثم إنهم يدعون أن القرآن الكريم نسخة مختزلة من كتابهم فكيف يكون ذلك؟؟!!!

١٩ ـ يقول «وهنا حاك قصة إسماعيل بن إبراهيم وأبو العرب وكان يعلم عن ذلك من دروسه الكتابية التى نالها على يدى ورقة وغيره». لى أكثر من ملاحظة على هذه المقولة:

ـ لقد بقى العرب يعظمون دين إبراهيم عليه السلام وهذا سبب حرصهم على إبقاء الكعبة أم أن الكاتب ينكر وجود الكعبة فى مكة المكرمة لمئات السنين قبل حياة محمد صلى الله عليه وسلم؟

ـ وماذا عن بئر زمزم؟ أم أن الكاتب أيضاً ينكر وجوده؟ بل وماذا عما يقول كتاب النصارى بهذا الشأن حيث يقول سفر التكوين الإصحاح ٢١ «وتشبثى به لأننى سأجعله أمة عظيمة». ١٩ ثم فتحت عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبى. ٢٠ وكان الله مع الصبى فكبر، وسكن فى صحراء فاران، وبرع فى رمى القوس. ٢١ واتخذت له أمه زوجة من مصر.

ـ وكيف يفسر الكاتب ما يقول سفر التثنية الإصحاح ٣٣: ٢ ـ ٤ «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران...».

- وماذا عما جاء فى سفر التكوين الإصحاح ١٧ «٢٠ أما إسماعيل، فقد استجبت لطلبتك من أجله سأباركه حقا، وأجعله مثمراً، وأكثر ذريته جدا فيكون أباً لاثنى عشر رئيساً، ويصبح أمة كبيرة..» أين هى تلك الأمة؟ وهل تقاس الأمم فى الكتب المقدسة بعددها أم بقيمتها الإيمانية؟؟؟

٢٠ - ثم يأتى الكاتب بأكذوبة أخرى فى قوله «قول محمد لأبى بكر: لو أنك سبقت لفزت أنت بالنبوة ولكننى أنا سبقت فهى من نصيبى؟! «فماذا يعنى بذلك؟! ألا يعنى أن الاثنين الرفيقين الذين تعبدا فى غار حراء كانا يستعدان معاً لقيادة كنيسة مكة ولكن محمداً (الذكى العبقرى) سبق وأعلن الوحى والنبوءة فلم يتبق لأبى بكر غير الإذعان والتصديق؟! وكانت مكافأة أبى بكر أنه خلف محمدا ثم عمر بن الخطاب بينما كان الأولى أن يخلفه على بن أبى طالب».

من أين أتى الكاتب بهذا؟ ثم إن أبا بكر لم يشارك نبى الله فى تحنثه فى الغار. ومن المستحيل على رجل عظيم مثل عمر أن يكون تابعاً لأحد ما لم يكن متأكداً من صدقه؟؟؟؟

وأخيراً : هذا هو الحديث الخاص بنزول الوحى لأول مرة على سيدنا محمد ﷺ:

وقد ذكر النبى ﷺ فيما روته عنه عائشة زوجه ﵂ قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى، الرؤيا الصادقة فى النوم، فكان لا يرى شيئاً إلا جاء مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - أى يتعبد فيه - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة - زوجه - فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال زملونى زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع،

فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى، فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر.

فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرأ تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى - فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل على موسى - عليه السلام - يا ليتنى جذعاً، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجى هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحى).

والحمد لله على نعمة الإسلام

منقول عن الأخت مسلمة Muslimah



١٠ ـ المصطلحات الأعجمية
فى القرآن الكريم

إن المستشرقين قبلوا النظرية التى قال بها شفالى فى كتابه (تاريخ القرآن) أن «القرآن» قد اشتق من كلمة «قريانا» السريانية، (ومعناها القراءة المقدسة، والدرس).

أما النظرة الغالبة لدى الدوائر الإسلامية فهى أن الكلمة اسم من قرأ.

ويشير الكاتب إلى أن كلا الرأيين يجد لنفسه سنداً من القرآن، حيث يظهر فعل «قرأ» ولكن ليس كما يتكرر بمعنى القراءة أو التلاوة. ثم يقول:

«ولعل أنسب النتائج وأقربها قبولاً هى أن مصطلح القرآن قد أصل فى القرآن نفسه لكى يمثل كلمة» قريانا السريانية «ولكنه أسس على مصدر عربى بصيغة» فعلان «من قرأ».

وهكذا حاد كاتب المقال عن الحقيقة بعد أن تبينت له، فالكلمة العربية اشتقت من القراءة، كما أن أول سورة من القرآن ـ حسب الترتيب الزمانى للسور والذى أعده المستشرقون أنفسهم، تبدأ بكلمة: اقرأ، فعل أمر من قرأ، وهى نفس المادة العربية التى اشتقت منها كلمة القرآن.

وآثر الكاتب أن يقحم الرأى المتعسف الذى افتراه المستشرق الألمانى شفالى ومن سار على دربه من المستشرقين بأن الكلمة منحدرة من المصادر النصرانية السريانية، (معتمداً على مخطوطة سريانية من القرن السادس موجودة بالمتحف البريطانى) وهى المصادر التى لا يمكن لأحد أن يأتى بدليل على ظهورها وتأثيرها عند نزول القرآن الكريم.

ولا شك أن الكاتب يهدف بتصدير المقال بهذا المبحث اللغوى المتعسف إلى أن يبين أن هناك اتصالاً وثيقاً بين القرآن الكريم والمصادر المذكورة، وأن هذا الاتصال إنما يبدأ بكلمة «القرآن» نفسها التى ليست فى الواقع إلا كلمة مأخوذة من السريانية، كل ذلك لكى يسهل على القارئ أن يتقبل ما سوف يرد من آراء فى هذا السياق.

ويمضى كاتب المقال قائلاً: «ولا يمكن لمعنى كلمة القرآن ومصدر الكتاب المقدس للمسلمين أن يتضحا تماماً دون أن نضع فى الاعتبار استخدام عدد آخر من المصطلحات الوثيقة الصلة بالموضوع، ولا يقتصر الأمر هنا على «آية» و «كتاب» فحسب، بل يشمل أيضاً «سورة» و «ذكر» و «مثانى»، و ثم يقول «إن المعنى الأصلى للفظ «آية» كالكلمة الشبيهة فى العبرية «أوث»، والسريانية «آثا»، هى العلامة والدليل وتأتى كرمز لحقيقة غير مرئية «ولكنه يستدرك قائلاً» غير أن اشتقاقها ليس مؤكداً».

وبعد ذلك يعرض لكلمة «سورة» فينقل عن شفالى قوله: إنها تبدو مشتقة من «صورطا» أو «سورثا» السريانية: ومعناها الكتاب المقدس.

كما يعرض للفظ «مثانى» فينقل ما قاله بعض المستشرقين من أنها مشتقة من «مشنا» العبرية، وبعضهم الآخر من «ماثنيتكا» السريانية أو الآرامية، لكن اللفظ كما يؤكد كاتب المقال ـ لابد أن صحة اشتقاق بعضها من هذه الأصول.

وهو يتتبع كل كلمة من الكلمات السابق ذكرها فيعرض لمعانيها الواردة فى المكى ثم المدنى من القرآن الكريم متبعاً فى ذلك منهج النقد الأدبى، كما سبق أن أشرنا.

وإذا تأملنا النتائج التى توصل إليها المستشرقون فى هذا البحث ـ وفقاً لما عرضه كاتب المقال ـ نجد أنها لم تأت بجديد، فهى قد أقرت بما أعلنه المسلمون من أن ألفاظ: قرآن، آية، سورة، كتب إنما تمثل وحدات من التنزيل، وأن الكتاب يعنى كتاب الله... إلخ ومن ثم لا يشتمل هذا المبحث إلا على ما أثاره بعض المستشرقين من شبهات حول اشتقاق بعض ألفاظ القرآن الكريم وردها إلى أصول عبرية أو سريانية، وبمعنى آخر ردها إلى أصول يهودية أو نصرانية.

ولا شك أن الهدف من وراء هذا التشكيك فى أصالة المصطلحات الرئيسية فى

القرآن الكريم وردها إلى أصول عبرية أو سامية أو آرامية إنما هو استدراج للقارئ وتمهيد لإقناعه بأن القرآن هو من اختراع محمد وتأليفه، وأنه قد تعلم هذه الألفاظ من اليهود والنصارى.

قال القرطبى أجمعوا على أنه ليس فى القرآن شىء من التراكيب الأعجمية وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط واختلفوا هل فيه شىء من غير ذلك بالأعجمية فأنكر ذلك الباقلانى والطبرى وقالا ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات.



١١ ـ هل ورد فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب

أولاً لا خلاف بين الأئمة أنه ليس فى القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب وأن فيه أسماء أعلاماً لمن لسانه غير العرب كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب فذهب القاضى أبو بكر وغيره إلى أن ذلك لا يوجد فيه وأن القرآن عربى صريح وما وجد فيه من الألفاظ التى تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم وذهب بعضهم إلى وجودها فيه وأن تلك الألفاظ لقلتها لا تخرج القرآن عن كونه عربيا مبيناً ولا رسول الله عن كونه متكلماً بلسان قومه.

فالمشكاة: الكوة

ونشأ: قام من الليل ومنه إن ناشئة الليل ويؤتكم كفلين أى ضعفين وفرت من قسورة أى الأسد كله بلسان الحبشة.

والغساق: البارد المنتن بلسان الترك

والقسطاس: الميزان بلغة الروم

والسجيل: الحجارة والطين بلسان الفرس

والطور: الجبل

واليم: البحر بالسريانية

والتنور: وجه الأرض بالعجمية

قال ابن عطية: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهى عربية بهذا الوجه وقد كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتى قريش وكسفر مسافر بن أبى عمرو إلى الشام وكسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة فى اللغة فعلقت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها حتى جرى مجرى العربى الصحيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن فإن جهلها عربى ما فكجهله الصريح بما فى لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر إلى غير ذلك.

قال ابن عطية: وما ذهب إليه الطبرى رحمه الله من أن اللغتين اتفقتا فى لفظة فذلك بعيد بل إحداهما أصل والأخرى فرع فى الأكثر لأنا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذا.

قال غيره: والأول أصح وقوله: هى أصل فى كلام غيرهم دخيلة فى كلامهم ليس بأولى من العكس فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أو لا فإن كان الأول فهى من كلامهم إذ لا معنى للغتهم وكلامهم إلا ما كان كذلك عندهم ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم.

وقد قال ذلك الإمام الكبير أبو عبيدة

فإن قيل: ليست هذه الكلمات على أوزان كلام العرب فلا تكون منه قلنا: ومن سلم لكم أنكم حصرتم أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها فقد بحث القاضى عن أصول أوزان كلام العرب ورد هذه الأسماء إليها على الطريقة النحوية وأما إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون وحينئذ لا يكون القرآن عربيا مبيناً ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم والله أعلم.

ويناقش الدكتور عبد الرحمن بدوى مزاعم المستشرقين فى هذا الصدد قائلاً:

«ولكى نفترض صحة هذا الزعم فلابد أن محمداً كان يعرف العبرية

والسريانية واليونانية، ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل الأدب التلمودى والأناجيل المسيحية ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجامع الكنسية وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين وكتب مختلف الكنائس: الملل والنحل المسيحية».

ويعلق عبد الرحمن بدوى على هذا بقوله: «هل يمكن أن يعقل هذا الكلام الشاذ لهؤلاء الكتاب، وهو كلام لا برهان عليه.

إن حياة النبى محمد ﷺ قبل ظهور رسالته وبعدها معروفة للجميع... ولا أحد قديماً أو حديثاً يمكنه أن يؤكد أن النبى كان يعرف غير العربية، إذاً كيف يمكن أن يستفيد من هذه المصادر كما يدعون».

على أن اللغات العربية والعبرية والسريانية تنتمى إلى سلالة لغوية واحدة هى سلالة اللغات السامية، ولابد من أجل ذلك أن يكون بينها الكثير من التشابه والتماثل.

ومن ثم فإن القول بأن إحدى اللغات قد استعارت ألفاظاً بعينها من أخوتها هو ضرب من التعسف، ما لم يقم عليه دليل.

ويمكن أن تكون هذه الألفاظ قد وجدت فى العربية قبل زمن النبى ﷺ بوقت طويل واستقرت فى اللغة العربية حتى أصبحت جزءاً منها وصارت من مفرداتها التى يروج استخدامها بين العرب.

كما أن من المستحيل الآن بسبب غموض تاريخ اللغات السامية أن نحدد من اقتبس هذه الألفاظ المشتركة من الآخر: العربية أم العبرية؟

وهذا كاف فى الدلالة على إثبات تفاهة حجج من توسع من المستشرقين فى باب الاشتقاق من اللغات السامية.

منقول بتصرف

١٢ ـ دعوى اقتباس القرآن الكريم من الكتب السماوية السابقة

لم يدَّع رسول الإسلام ﷺ ولا أى مسلم أن القرآن الكريم بمعزل عن باقى الكتب السماوية.. بل خلاصة عقيدة المسلمين أن القرآن وكافة الكتب السماوية من رب العزة سبحانه وتعالى.. وأن القرآن فقط تولاه الله بحفظه بعد أن أضاع أتباع الرسالات السابقة الأمانة فقامت عليهم الحجة بتحريف كتبهم.. لذا فما كان مشتركاً فيرجع إلى طبيعة الأمور.. إذ أن ذكر قصص الأنبياء مرتبط عادة بالعبرة من مواقفهم الخاصة فهل يتخيل ألا يأتى ذكر للأنبياء فى القرآن؟؟ فبمن يتأسى رسول الله ﷺ إذن؟؟؟ لقد كان ذكرهم تسرية عن الأذى الذى يتعرض له رسول الله ﷺ.. يقول تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠).

وما اختلف فهذا من باب رفع الظلم عن الأنبياء من اتهام بالزنا أو ما شابه من الكبائر التى يعف عنها حتى حثالة القوم.. إذ لا يعقل أبداً أن ينزل الله رسالته على حثالة القوم ويترك الصالحين.. وتنظير نظرية أن ما تشابه يصبح اقتباساً مردود عليه عقلاً ونقلاً.

فأما عقلاً لأن تطبيق هذه القاعدة يقتضى اقتباس النصارى من الأديان الوثنية لوجود تشابه تام بين عقيدتهم وعقيدة تلك الأديان الوثنية.. فكرشنا عند الهنود الوثنيين هو ابن الله والأقنوم الثانى من ثالوث مقدس.. بل هذا هو المؤرخ الشهير ديورانت يقول فى قصة الحضارة فى «قيصر والمسيح» المجلد ١١ صفحة ٢٧٥: إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها. ذلك أن العقل اليونانى المحتضر

عاد إلى الحياة فى صورة جديدة فى لاهوت الكنيسة وطقوسها.. ثم يقول: فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ومنها جاءت عبادة أم الطفل.. ومن فيريجيا جاءت عبادة الأم العظمى.. ومن سوريا أخذت عقيدة بعث «أوتيس» ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام... وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شىء عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم».

أما نقلا فلأن الخلاف شديد بين القرآن وبين التوراة والإنجيل فى صلب قصص الأنبياء ويظهر تناقض فى موقف النصارى بالنسبة لهذا الموضوع.. فعندما يذكر مثلاً سيدنا نوح فى القرآن يقولون هذا اقتباس من التوراة.. وحين لا يذكر عندهم سيدنا صالح عليه السلام يقولون هذا لا ند له عندنا فينكرونه.. فالقاعدتان مردود عليهما بعون الله.. أما الأول فقد عرفته فى النقطة الثانية وأما الثانى فمردود عليه من كتابهم: «ففى الآية الثلاثون من الاصحاح العشرين فى إنجيل يوحنا: «وآيات أخر كثيرة صنعها يسوع أن كتبت واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة» فها هو الإنجيل لم يستطع أن يحصر كل معجزات المسيح فهل يجمع كل ما جاء على وجه الأرض منذ خلق آدم عليه السلام؟ وكمثال ثان: يهوذا ٩: ١ «وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب». وهذه المخاصمة لا توجد على الإطلاق فى كتاب من كتب العهد القديم.. فهل تطبق نفس القاعدة عليها؟؟؟ وكذلك نرد من الناحية العلمية التطبيقية أن آثار مدن صالح موجودة بجانب المدينة المنورة.. وتسمى مدائن صالح.. فهل ننكر ما تراه أعيننا؟؟

كيف يتحقق الاقتباس عموماً؟

الاقتباس عملية فكرية لها ثلاثة أركان:

الأول: الشخص المقتبَس منه.

الثانى: الشخص المقتبِس (اسم فاعل).

الثالث: المادة المقتبَسة نفسها (اسم مفعول).

والشخص المقتبس منه سابق إلى الفكرة، التى هى موضوع الاقتباس، أما المادة المقتبسة فلها طريقتان عند الشخص المقتبس، إحداهما: أن يأخذ المقتبس الفكرة بلفظها ومعناها كلها أو بعضها. والثانية: أن يأخذها بمعناها كلها أو بعضها كذلك ويعبر عنها بكلام من عنده.

والمقتبس فى عملية الاقتباس أسير المقتبس منه قطعاً ودائر فى فلكه؛ إذ لا طريق له إلى معرفة ما اقتبس إلا ما ذكره المقتبس منه. فهو أصل، والمقتبس فرع لا محالة.

وعلى هذا فإن المقتبس لابد له وهو يزاول عملية الاقتباس من موقفين لا ثالث لهما:

أحدهما: أن يأخذ الفكرة كلها بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط.

وثانيهما: أن يأخذ جزءا من الفكرة باللفظ والمعنى أو بالمعنى فقط.

ويمتنع على المقتبس أن يزيد فى الفكرة المقتبسة أية زيادة غير موجودة فى الأصل؛ لأننا قلنا: إن المقتبس لا طريق له لمعرفة ما اقتبس إلا ما ورد عند المقتبس منه، فكيف يزيد على الفكرة والحال أنه لا صلة له بمصادرها الأولى إلا عن طريق المقتبس منه.

إذا جرى الاقتباس على هذا النهج صدقت دعوى من يقول إن فلاناً اقتبس منى كذا.

أما إذا تشابه ما كتبه اثنان، أحدهما سابق والثانى لاحق، واختلف ما كتبه الثانى عما كتبه الأول مثل:

١ - أن تكون الفكرة عند الثانى أبسط وأحكم ووجدنا فيها ما لم نجده عند الأول.

٢ ـ أو أن يصحح الثانى أخطاء وردت عند الأول، أو يعرض الوقائع عرضاً يختلف عن سابقه.

فى هذه الحال لا تصدق دعوى من يقول إن فلاناً قد اقتبس منى كذا.

ورد هذه الدعوى مقبول من المدعى عليه، لأن المقتبس (اتهاماً) لما لم يدر فى فلك المقتبس منه (فرضاً) بل زاد عليه وخالفه فيما ذكر من وقائع فإن معنى ذلك أن الثانى تخطى ما كتبه الأول حتى وصل إلى مصدر الوقائع نفسها واستقى منها ما استقى. فهو إذن ليس مقتبساً وإنما مؤسس حقائق تلقاها من مصدرها الأصيل ولم ينقلها عن ناقل أو وسيط.

وسوف نطبق هذه الأسس التى تحكم عملية الاقتباس على ما ادعاه القوم هنا وننظر:

هل القرآن عندما اقتبس كما يدعون من التوراة كان خاضعاً لشرطى عملية الاقتباس؟؟

وهما: نقل الفكرة كلها، أو الاقتصار على نقل جزء منها فيكون بذلك دائراً فى فلك التوراة، وتصدق حينئذ دعوى القوم بأن القرآن (معظمه) مقتبس من التوراة؟

أم أن القرآن لم يقف عند حدود ما ذكرته التوراة فى مواضع التشابه بينهما؟ بل:

١ ـ عرض الوقائع عرضاً يختلف عن عرض التوراة لها.

٢ ـ أضاف جديداً لم تعرفه التوراة فى المواضع المشتركة بينهما.

٣ ـ صحح أخطاء «خطيرة» وردت فى التوراة فى مواضع متعددة.

٤ ـ انفرد بذكر «مادة» خاصة به ليس لها مصدر سواه.

٥ ـ فى حالة اختلافه مع التوراة حول واقعة يكون الصحيح هو ما ذكره القرآن. والباطل ما جاء فى التوراة بشهادة العقل والعلم إذا كان الاحتمال الأول هو الواقع فالقرآن مقتبس من التوراة..

أما إذا كان الواقع هو الاحتمال الثانى فدعوى الاقتباس باطلة ويكون للقرآن فى هذه الحالة سلطانه الخاص به فى استقاء الحقائق، وعرضها فلا اقتباس لا من

توراة ولا من إنجيل ولا من غيرهما.

لا أظن أن القارئ يختلف معنا فى هذه الأسس التى قدمناها لصحة الاتهام بالاقتباس عموماً.

وما علينا بعد ذلك إلا أن نستعرض بعض صور التشابه بين التوراة والقرآن، ونطبق عليها تلك الأسس المتقدمة تاركين الحرية التامة للقارئ سواء كان مسلماً أو غير مسلم فى الحكم على ما سوف تسفر عنه المقارنة أنحن على صواب فى نفى الاقتباس عن القرآن؟

والمسألة بعد ذلك ليست مسألة اختلاف فى الرأى يصبح فيها كل فريق موصوفاً بالسلامة، وأنه على الحق أو شعبة من حق.

وإنما المسألة مسألة مصير أبدى من ورائه عقيدة صحيحة توجب النجاة لصاحبها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أو عقيدة فاسدة تحل قومها دار البوار يوم يقدم الله إلى ما عملوا من عمل فيجعله هباءً منثوراً.

الصورة الأولى: آدم ما بين القرآن الكريم والتوراة

إن أهمية دراسة قصة سيدنا آدم ترجع لكونه أول نبى وأول مخلوق من الإنس خلقه الله.. والإنسان مجبول بفطرته على الفخار بنسبه - بخاصة إذا كان نسباً شريفاً - وكون آدم عليه السلام هو أبو البشر جميعاً يجعل الاهتمام متضاعفا بحياته وتعبه وحمله للرسالة.. فلننظر كيف ذكرت التوراة حال آدم عليه السلام.. ومعها نرى إن شاء الله الفارق بينها وبين القرآن وما نتيجة هذا الفارق..

١ - فى السطر السابع والعشرين من سفر التكوين الإصحاح الأول: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» وتلك هى أول وقفة لنا مع أول ذكر للإنسان فى التوراة.. فمن سياق التوراة نجد أن الله خلق الإنسان كشبهه.. كشبه من؟؟ كشبه الله.. على صورة الله.. دلالة هذا الكلام أن الإنسان لو نظر إلى صورته عرف صورة الله... فأين التمييز بين المخلوق والخالق؟؟؟ بل من أين تأتى الخشية ناحية الخالق

إن كان خلق كالخالق نفسه؟؟ ثم أضف إلى هذا ما هو أشد خطورة،،، إذ أن للإنسان أعضاء يخجل من ذكر اسمها فهل نتخيل وجودها فى الله ـ حاشاه سبحانه.

الآن فكيف النظرة الإسلامية بخصوص هذه النقطة؟ إن أول قاعدة أن الله سبحانه وتعالى قال عن نفسه: «ليس كمثله شىء» إذن هو نفى المثلية فهنا تبدو على الفور ملامح التمييز بين المخلوق والخالق.. فلا يظن المخلوق بنفسه الأهمية.. بل هو مخلوق من آلاف الملايين من المخلوقات.. ولا تبدو أهميته عن غيره إلا بمقدار طاعته لله.. يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.. فإن عبد فهو عابد مطيع.. وإن لم يعبد فعليه إثمه.. وهذا أول اختلاف.. التوراة تقول بتشابه سيدنا آدم فى الخلقة لله والقرآن ينفى المثلية لله ـ فى نفس السطر فى سفر التكوين: «فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض وتلك نقطة تتفق مع العقيدة الإسلامية إذ أن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ **(لقمان: ٢٠)**.

٢ ـ فى السطر العشرين من الإصحاح الثالث بنفس السفر.. «فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية».. ها هو ذا النص يبين لنا أن سيدنا آدم قد تعلم أسماء البهائم والطيور حيوانات البرية جميعها... فهل هذه هى النظرة الإسلامية؟؟؟

لا.. بل النظرة الإسلامية أشمل.. يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ **(البقرة: ٣١)** فلفظة كلها أشمل وأكبر من تحديد بعض الأسماء كما فعلت التوراة.. وإلا فهل علم آدم عليه السلام أسماء الملائكة والجن؟؟ فى نص التوراة لا.. وفى القرآن نعم.. وهذا تكريم لسيدنا آدم لم تخبر به التوراة.. تكريم يزيد الإنسان فخارا بنسبه.

٣ ـ وفى السطر ٢٥ من نفس الاصحاح والسفر: «وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان» ثم لما فعلا المعصية: نقرأ فى السطر السابع من

الاصحاح ٣: «فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان.. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر» فما هى نظرة الإسلام فى هذا وتلك هى أخطر نقطة؟.

يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ **(الأعراف: ٢٧)** فالفارق هنا كبير وجوهرى جدا.. فسيدنا آدم والسيدة حواء كانا أصلاً مستورين ولكن الشيطان عراهما بالمعصية فسقطت ملابسهما من عليهما. ثم سارعا فى البحث عن الستر الذى كان سترهما: «فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة» إذن الأصل فى المسلم الموحد الستر والأصل عند أهل التوراة العرى.. وزد على هذا أن آدم كان جاهلاً فى التوراة برغم علمه بأسماء الحيوانات والمخلوقات التى ذكرت فى النص التوراتى أنه كان عرياناً.. إذن الأصل فيه الجهل بنفسه.. وفى القرآن الأصل فيه العلم والستر.. وفى التوراة جاء العلم الأهم مع المعصية وفى القرآن جاء العقاب مع المعصية..

٤ ـ كذلك فالقرآن يذكر توبة سيدنا آدم على الفور بعكس التوراة التى لم تذكر له توبة على الإطلاق.. يقول تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ **(البقرة: ٣٧)** والفاء للترتيب والتعقيب (السرعة).

٥ ـ وكذلك فالقرآن يذكر أنه خليفة الله فى الأرض.. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ **(البقرة: ٣٠)** والتوراة لا تذكر هذا على الإطلاق.. والفخار أن يكون الإنسان خليفة لله عز وجل أكبر بمراحل من أن يكون سيدا ومتسلطا على المخلوقات فقط هو السيد فى البيت وهو الذى يتحمل عبء المسئولية ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ **(البقرة: ٣٥)** فقدمه سبحانه على زوجته لكى يبين لنا من المسئول الأول ولا تختلط الأمور فيحدث التفكك الأسرى الذى نراه الآن ونزيد تشريفاً لسيدنا آدم من القرآن أن الله أسجد له الملائكة فى حين التوراة

لا تأتى بهذا إطلاقاً.. فأى فخار أحسه حين أعلم أننى من نسل إنسان عُلم أسماء كل شىء.. مستور.. سريع التوبة والندم.. فهل لعاقل بعد هذا أن يدعى اقتباس القرآن من التوراة؟؟؟ وهل تكون الصورة أفضل من الأصل لغة ومعنى؟؟؟ لغة لبديع النص القرآنى بعكس ركاكة النص التوراتى ومعنى لسمو المعنى القرآنى فى وصف خصال سيدنا آدم.. فالحمد لله على نعمة الإسلام.

الصورة الثانية: من التشابه بين التوراة والقرآن لقطة من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز

تبدأ هذه اللقطة من بدء مراودة امرأة عزيز مصر ليوسف (عليه السلام) ليفعل الفحشاء وتنتهى بقرار وضع يوسف فى السجن. واللقطة كما جاءت فى المصدرين هى:

نصوصها فى التوراة

«وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت: اضطجع معى، فأبى وقال لامرأة سيده: هو ذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدى، ليس هو فى هذا البيت أعظم منى. ولم يمسك عنى شيئاً غيرك لأنك امرأته. فكيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله، وكانت إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها..

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معى فترك ثوبه فى يدها وخرج إلى خارج، وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها، وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة:

«انظروا قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا دخل إلى ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم، وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى خارج. فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلىَّ العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبنى وكان لما رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب إلى خارج فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذى كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بى عبدك أن غضبه حمى..

فأخذ سيده يوسف ووضعه فى بيت السجن المكان الذى كان أسرى الملك محبوسين فيه».

نصوص القرآن الأمين

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

تلك هى نصوص الواقعة فى المصدرين

وأدعو القارئ أن يقرأ النصين مرات قراءة متأنية فاحصة. وأن يجتهد بنفسه فى التعرف على الفروق على المصدرين قبل أن يسترسل معنا فيما نستخلصه من تلك الفروق. ثم يكمل ما يراه من نقص لدينا أو لديه فقد يدرك هو ما لم ندركه، وقد ندرك نحن ما لم يدركه ورب قارئ أوعى من كاتب..



الفروق كما نراها :

التوراة	القرآن الأمين
المراودة حدثت مراراً ونصح يوسف لامرأة سيده كان قبل المرة الأخيرة	المراودة حدثت مرة واحدة اقترنت بعزم المرأة على يوسف لينفذ رغبتها.
تخلو من الإشارة إلى تغليق الأبواب وتقول إن يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب وانتظرت هى قدوم زوجها وقصت عليه القصة بعد أن أعلمت بها أهل بيتها.	يشير إلى تغليق الأبواب وأن يوسف هَمَّ بالخروج فقدت ثوبه من الخلف وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزيز يدخل عليهما فبادرت المرأة بالشكوى فى الحال.
لم يكن يوسف موجوداً حين دخل العزيز ولم يدافع يوسف عن نفسه لدى العزيز.	يوسف كان موجوداً حين قدم العزيز، وقد دافع عن نفسه بعد وشاية المرأة، وقال هى راودتنى عن نفسى.
تخلو من حديث الشاهد وتقول إن العزيز حمى غضبه على يوسف بعد سماع المرأة.	يذكر تفصيلاً شهادة الشاهد كما يذكر اقتناع العزيز بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها بخطئها. وتثبيت يوسف على العفة والطهارة.
تقول إن العزيز فى الحال أمر بوضع يوسف فى السجن ولم يعرض أمره على رجال حاشيته.	يشير إلى أن القرار بسجن يوسف كان بعد مداولة بين العزيز وحاشيته.
تخلو من حديث النسوة اللاتى لمن امرأة العزيز على مراودتها فتاها عن نفسه، وهى فجوة هائلة فى نص التوراة.	يذكر حديث النسوة بالتفصيل كما يذكر موقف امرأة العزيز منهن ودعوتها إياهن ملتمسة أعذارها لديهن ومصرة على أن ينفذ رغبتها.

هذه ستة فروق بارزة بين ما يورده القرآن الأمين، وما ذكرته التوراة. والنظر الفاحص فى المصدرين يرينا أنهما لم يتفقا إلا فى «أصل» الوقعة من حيث هى واقعة وكفى.

ويختلفان بعد هذا فى كل شىء. على أن القرآن قام هنا بعملين جليلى الشأن:

أولهما: أنه أورد جديداً لم تعرفه التوراة ومن أبرز هذا الجديد:

(١) حديث النسوة وموقف المرأة منهن.

(٢) شهادة الشاهد الذى هو من أهل امرأة العزيز.

ثانيهما: تصحيح أخطاء وقعت فيها التوراة ومن أبرزها:

(١) لم يترك يوسف ثوبه لدى المرأة بل كان لابساً إياه ولكن قطع من الخلف.

(٢) غياب يوسف حين حضر العزيز وإسقاطها دفاعه عن نفسه.

اعتراض وجوابه

قد يقول قائل: لماذا تفترض أن الخطأ هو ما فى التوراة، وأن الصواب هو ما فى القرآن؟! أليس ذلك تحيزاً منك للقرآن؛ لأنه كتاب المسلمين وأنت مسلم؟ ولماذا لا تفترض العكس؟ وإذا لم تفترض أنت العكس فقد يقول به غيرك، وما تراه أنت لا يصادر ما يراه الآخرون. هذا الاعتراض وارد فى مجال البحث. وإذن فلابد من إيضاح.

والجواب:

لم نتحيز للقرآن لأنه قرآن. ولنا فى هذا الحكم داعيان:

الأول: لم يرد فى القرآن ـ قط ـ ما هو خلاف الحق؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وقد ثبتت هذه الحقيقة فى كل مجالات البحوث التى أجريت على «مفاهيم» القرآن العظيم فى كل العصور. وهذا الداعى وحده كافٍ فى تأييد ما ذهبنا إليه.

الثانى: وهو منتزع من الواقعة نفسها موضوع المقارنة وإليك البيان: كل من التوراة والقرآن متفقان على «عفة يوسف» وإعراضه عن الفحشاء. ثم اختلفا بعد ذلك:

فالتوراة تقول: إن يوسف ترك ثوبه كله لدى المرأة وهرب.

والقرآن يقول: إنه لم يترك الثوب بل أمسكته المرأة من الخلف ولما لم يتوقف يوسف عليه السلام اقتطعت قطعة منه وبقيت ظاهرة فى ثوبه.

فأى الروايتين أليق بعفة يوسف المتفق عليها بين المصدرين؟! أن يترك ثوبه كله؟! أم أن يخرق ثوبه من الخلف؟!

إذا سلمنا برواية التوراة فيوسف ليس «عفيفاً» والمرأة على حق فى دعواها؛ لأن يوسف لا يخلع ثوبه هكذا سليماً إلا إذا كان هو الراغب وهى الآبية.

ولا يقال إن المرأة هى التى أخلعته ثوبه؛ لأن يوسف رجل، وهى امرأة فكيف تتغلب عليه وتخلع ثوبه بكل سهولة ثم لما يمتنع تحتفظ هى بالثوب كدليل مادى على جنايته المشينة؟!

وهل خرج يوسف «عرياناً» وترك ثوبه لدى غريمته..؟!

والخلاصة أن رواية التوراة فيها إدانة صريحة ليوسف وهذا يتنافى مع العفة التى وافقت فيها القرآن الأمين.

أما رواية القرآن فهى إدانة صريحة لامرأة العزيز، وبراءة كاملة ليوسف عليه السلام.

لقد دعته المرأة إلى نفسها ففر منها. فأدركته وأمسكته من الخلف وهو ما يزال فارّاً هارباً من وجهها فتعرض ثوبه لعمليتى جذب عنيفتين إحداهما إلى الخلف بفعل المرأة والثانية إلى الأمام بحركة يوسف فانقطع ثوبه من الخلف.

وهذا يتفق تماماً مع العفة المشهود بها ليوسف فى المصدرين ولهذا قلنا: إن القرآن صحح هذا الخطأ الوارد فى التوراة.

فهل القرآن مقتبس من التوراة؟!

فهل تنطبق على القرآن أسس الاقتباس أم هو ذو سلطان خاص به فيما يقول ويقرر؟

المقتبس لابد من أن ينقل الفكرة كلها أو بعضها. وها نحن قد رأينا القرآن

يتجاوز هذه الأسس فيأتى بجديد لم يذكر فيما سواه، ويصحح خطأ وقع فيه ما سواه.

فليس الاختلاف فيهما اختلاف حَبْكٍ وصياغة، وإنما هو اختلاف يشمل الأصول والفروع. هذا بالإضافة إلى إحكام البناء وعفة الألفاظ وشرف المعانى.

إن الذى روته التوراة هنا لا يصلح ولن يصلح أن يكون أساساً للذى ذكره القرآن. وإنما أساس القرآن هو الوحى الصادق الأمين. ذلك هو مصدر القرآن «الوضىء» وسيظل ذلك هو مصدره تتساقط بين يديه دعاوى الباطل ومفتريات المفترين فى كل عصر ومصر.

الصورة الثالثة: من صور التشابه بين التوراة والقرآن ـ قصة هابيل وقابيل ابنى آدم ـ

نصوص التوراة

«حدث من بعد أيام أن قابين قدم من أثمار قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه، ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قابين. وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قابين جدا وسقط وجهه. فقال الرب لقابين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع؟؟. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها، وأنت تسود عليها. وكلم قابين هابيل أخاه. وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله. فقال الرب لقابين أين هابيل أخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخى؟ فقال ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلىَّ من الأرض. فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يديك متى علمت الأرض؟؟ تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون فى الأرض فقال قابين للرب: ذنبى أعظم من أن يحتمل أنك قد طردتنى اليوم على وجه الأرض، ومن وجهك أختفى وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض فيكون كل من وجدنى يقتلنى فقال له الرب: لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقابين علامة لكى لا يقتله كل من وجده. فخرج قابين من لدن الرب وسكن فى أرض نود شرقى عدن».

نصوص القرآن الأمين

﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.

الفروق بين المصدرين

اتفق المصدران حول نقطتين اثنتين لا ثالث لهما واختلفا فيما عداهما. اتفقا فى: مسألة القربان. وفى قتل أحد الأخوين للآخر. أما فيما عدا هاتين النقطتين فإن ما ورد فى القرآن يختلف تماماً عما ورد فى التوراة: وذلك على النحو الآتى:

التـــوراة	القرآن الأمين
تسمى أحد الأخوين بقابين وهو «القاتل» والثانى «هابيل» كما تصف القربانين وتحدد نوعهما.	لا يسميهما ويكتفى ببنوتهما لآدم كما اكتفى بذكر القربانين ولم يحددهما.
تروى حواراً بين قابين والرب بعد قتله أخاه، وتعلن غضب الرب على قابين وطرده من وجه الرب إلى أرض بعيدة.	لا يذكر حواراً حدث بين القاتل وبين الله، ولا يذكر أن القاتل طرده الله من وجهه إلى أرض بعيدة، إذ ليس على الله بعيد.

القرآن الأمين	التوراة
يذكر الحديث الذى دار بين ابنى آدم ويفصل القول عما صدر من القتيل قبل قتله وتهديده لأخيه بأنه سيكون من أصحاب النار إذا قتله ظلماً.	التوراة تخلو من أى حوار بين الأخوين.
يذكر مسألة الغراب، الذى بعثه الله ليرى القاتل كيف يتصرف فى جثة أخيه، ويوارى عورته.	لا مقابل فى التوراة لهذه الرواية ولم تبين مصير جثة القتيل؟!
يصرح بندم «القاتل» بعد دفنه أخيه وإدراكه فداحة جريمته.	تنسب الندم إلى «قابين» القاتل لما هدده الله بحرمانه من خيرات الأرض، ولا تجعله يشعر بشناعة ذنبه.
يجعل من هذه القصة هدفاً تربويا ويبنى شريعة القصاص العادل عليها. ويلوم بنى إسرائيل على إفسادهم فى الأرض بعد مجئ رسل الله إليهم.	لا هدف لذكر القصة فى التوراة إلا مجرد التاريخ. فهى معلومات ذهنية خالية من روح التربية والتوجيه.

أضف إلى هذه ما تحتوى عليه التوراة من سوء مخاطبة «قابين» الرب، فترى فى العبارة

«أحارس أنا لأخى» فيها فظاظة لو صدرت من إنسان لأبيه لعد عاقا جافا فظا عليظاً فكيف تصدر من «مربوب» إلى «ربه» وخالقه..؟!

ولكن هكذا تنهج التوراة فلا هى تعرف «قدر الرب» ولا من تنقل عنه حواراً مع الرب.

ولا غرابة فى هذا فالتوراة تذكر أن موسى أمر ربه بأن يرجع عن غضبه على بنى إسرائيل، بل تهديده إياه سبحانه بالاستقالة من النبوة إذا هو لم يستجب لأمره.

والواقع أن ما قصه علينا القرآن وهو الحق من أمر ابنى آدم مختلف تماماً عما ورد فى التوراة فى هذا الشأن.

فكيف يقال: إن القرآن اقتبس هذه الأحداث من التوراة وصاغها فى قالب البلاغة العربية؟!

إن الاختلاف ليس فى الصياغة، بل هو اختلاف أصيل كما قد رأيت من جدول الفروق المتقدم.

والحاكم هنا هو العقل فإذا قيل: إن هذه القصة مقتبسة من التوراة قال العقل:

- فمن أين أتى القرآن بقصة الغراب الذى جاء ليرى القاتل كيف يوارى سوءة أخيه وهى غير واردة فى التوراة المدعى أصالتها للقرآن؟!
- ولماذا أهمل القرآن الحوار الذى تورده التوراة بين «الرب» وقابين القاتل وهذا الحوار هو هيكل القصة كلها فى التوراة؟!

إن فاقد الشىء لا يعطيه أبداً، وهذا هو حكم العقل. والحقائق الواردة فى القرآن غير موجودة فى التوراة قطعاً فكيف تعطى التوراة شيئاً هى لم تعرف عنه شيئاً قط..؟!

لا.. إن القرآن له مصدره الخاص به الذى استمد منه الوقائع على وجهها الصحيح، ومجرد التشابه بينه وبين التوراة فى «أصل الواقعة» لا يؤثر فى استقلال القرآن أبداً.



الصورة الرابعة: من صور التشابه بين التوراة والقرآن - مقارنة بين بعض التشريعات المحرمات من النساء -

قارنا فيما سبق بين بعض المسائل التاريخية التي وردت فى كل من التوراة والقرآن الأمين. وأثبتنا بأقطع الأدلة أن القرآن له سلطانه الخاص به فيما يقول ويقرر، ورددنا دعوى أن القرآن مقتبس من التوراة. وبينا حكم العقل فى هذه الدعوى كما أقمنا من الواقع «المحكى» أدلة على ذلك.

ونريد هنا أن نقارن بين بعض المسائل التشريعية في المصدرين؛ لأنهم يقولون: إن المسائل والأحكام التشريعية التى فى القرآن لا مصدر لها سوى الاقتباس من التوراة.

وقد اخترنا نص المحرمات من النساء فى التوراة لنقابله بنص المحرمات من النساء فى القرآن الحكيم ليظهر الحق.

النص فى المصدرين

أولاً: فى التوراة

«عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف. إنها أمك لا تكشف عورتها. عورة امرأة أبيك لا تكشف. إنها عورة أبيك. عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت، أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها. عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها إنها عورتك. عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك. عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك. عورة أخت أمك لا تكشف إنها قريبة أمك عورة أخى أبيك لا تكشف. إلى امرأته لا تقرب إنها عمتك. عورة كنتك لا تكشف. إنها امرأة ابنك لا تكشف عورتها.

عورة امرأة أخيك لا تكشف إنها عورة أخيك. عورة امرأة، وبنتها لا تكشف، ولا تأخذ ابنة ابنتها أو ابنة بنتها لتكشف عورتها إنهما قريبتاها. إنه رذيلة. ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها.

ثانياً: فى القرآن الحكيم

﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (٢٢) حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما (٢٣) والمحصنات من النساء﴾.

هذان هما النصان فى المصدرين. نص التوراة، ونص القرآن الحكيم. فما هى أهم الفروق بنهما يا ترى؟!

وقبل إجراء المقارنة نفترض صحة النص التوراتى وخلوه من التحريف إذ لا مانع أن يكون هذا النص فعلاً مترجماً عن نص أصلى تشريعى خلا مترجمه من إرادة تحريفه.

والمهم هو أن نعرف هل يمكن أن يكون نص التوراة هذا أصلاً اقتبس منه القرآن الحكيم فكرة المحرمات من النساء، علماً بأن النص التوراتى قابل إلى حد كبير لإجراء دراسات نقدية عليه، ولكن هذا لا يعنينا هنا.

الفروق بين المصدرين

التوراة	من معانى القرآن الأمين
١ ـ لا تقيم شأناً للنسب من جهة الرضاعة.	١ ـ يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.
٢ ـ تحرم نكاح امرأة العم وتدعوها عمة.	٢ ـ لا يحرم نكاح امرأة العم ولا يدعوها عمة.

التـــوراة	القرآن الأمين
٣ ـ تحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه.	٣ ـ لا يحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه إذا طلقها أو مات عنها أخوه.
٤ ـ لا تذكر حرمة النساء المتزوجات من رجال آخرين زواجهم قائم.	٤ ـ يحرم نكاح المتزوجات فعلاً من آخرين زواجاً قائماً ويطلق عليهن وصف المحصنات من النساء.
٥ ـ تجعل التحريم غالباً للقرابة من جهة غير الزوج مثل قرابة الأب الأم العم... وهكذا.	٥ ـ يجعل التحريم لقرابة الزوج ممن حرمت عليه. أو قرابة زوجته أحياناً.

هذه الفروق الواضحة لا تؤهل النص التوراتى لأن يكون أصلاً للنص القرآنى، علميا، وعقليا، فللنص القرآنى سلطانه الخاص ومصدره المتميز عما ورد فى التوراة. وإلا لما كان بين النصين فروق من هذا النوع المذكور.

وقفة مع ما تقدم

نكتفى بما تقدم من التوراة وإن كانت التوراة مصدراً ثريا لمثل هذه المقارنات، ولو أرخينا عنان القلم لما وقفنا عند حد قريب ولتضاعف هذا الحجم مئات المرات. ومع هذا فما من مقارنة تجرى بين التوراة وبين القرآن إلا وهى دليل جديد على نفى أن يكون القرآن مقتبساً من كتاب سابق عليه، فالقرآن وحى أمين حفظ كلمات الله كما أنزلت على خاتم النبيين، وقد رأينا فى المقارنات الثلاث المتقدمة أن القرآن فوق ما يأتى به من جديد ليس معروفاً فى سواه وهذا هو معنى «الهيمنة» التى خص الله بها القرآن فى قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

فالأمور التى لم يلحقها تحريف فى التوراة جاء القرآن مصدقاً لها أو هو

مصدق لكل من التوراة والإنجيل بالصفة التى أنزلها الله عليهما قبل التحريف والتبديل.

أما الأمور التى حرفت، وتعقبها القرآن فقصها قصا صحيحاً أميناً، وصحح ما ألحقوه بهما من أخطاء، فذلك هو سلطان «الهيمنة» المشهود للقرآن بها من منزل الكتاب على رسله.

فالقرآن هو كلمة الله «الأخيرة» المعقبة على كل ما سواها، وليس وراءها معقب يتلوها؛ لأن الوجود الإنسانى ليس فى حاجة مع وجود القرآن إلى غير القرآن.

كما أن الكون ليس فى حاجة مع الشمس إلى شمس أخرى تمده بالضوء والطاقة بعد وفاء الشمس بهما.

ولنأخذ صورة مقارنة من العهد الجديد أيضاً حيث يختلف عن العهد القديم وذلك لأن نص الإنجيل الذى سندرسه يقابله من القرآن نصان كل منهما فى سورة مما يصعب معه وضع النص الإنجيلى فى جدول مقابلاً بالنصين القرآنيين. ولهذا فإننا سنهمل نظام الجدول هنا ونكتفى بعرض النصوص، والموازنة بينهما والموضوع الذى سنخضعه للمقارنة هنا هو بشارة زكريا عليه السلام بابنه يحيى عليه السلام وذلك على النحو الآتى:

الصورة الخامسة: من الإنجيل والقرآن

ـ بشارة زكريا بـ «يحيى» (عليهما السلام) ـ

النص الإنجيلى

«لم يكن لهما يعنى زكريا وامرأته ولد. إذا كانت اليصابات يعنى امرأة زكريا عاقراً. وكان كلاهما متقدمين فى أيامهما فبينما هو يكهن فى نوبة غرفته أمام الله حسب عادة الكهنوت اصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلى خارجاً وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا؛ لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك الياصابات ستلد لك ولداً وتسميه يوحنا،

ويكون لك فرح وابتهاج. وكثيرون سيفخرون بولادته؛ لانه يكون عظيماً أمام الرب. وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلأ بروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلاههم، ويتقدم أمامه بروح إليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء. والعصاةإلى فكر الأبرار، لكى يهيئ للرب شعباً مستعدا. فقال زكريا للملاك: فكيف أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها..؟!

فأجاب الملاك وقال: أنا جبرائيل الواقف قدام الله. وأُرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لا تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل. فكان يومئ إليهم. وبقى صامتاً..».

النصوص القرآنية

(١) سورة آل عمران:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾

(٢) سورة مريم:

﴿كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ

عتيًا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

ذلك هو نص الإنجيل. وذان هما نصا القرآن الأمين. والقضية التى نناقشها هنا هى دعوى «الحاقدين» أن القرآن مقتبس من الأناجيل كما ادَّعوا قبلاً أنه مقتبس من التوراة.

وندعو القارئ أن يراجع النص الإنجيلى مرات، وأن يتلو النصوص القرآنية مرات، ويسأل نفسه هذا السؤال:

هل من الممكن علميا وعقليا أن يكون النص الإنجيلى مصدراً لما ورد فى القرآن الأمين؟!

إن المقارنة بين هذه النصوص تسفر عن انفراد النصوص القرآنية بدقائق لا وجود لها فى النص الإنجيلى. ومن أبرز تلك الدقائق ما يلى:

أولاً: فى سورة آل عمران

(أ) تقدم على قصة البشارة فى «آل عمران» قصة نذر امرأة عمران ما فى بطنها لله محرراً. وهذا لم يرد فى النص الإنجيلى.

(ب) الإخبار بأنها ولدت أنثى «مريم» وكانت ترجو المولود ذكراً وهذا لم يأت فى النص الإنجيلى.

(ج) كفالة زكريا للمولودة «مريم» ووجود رزقها عندها دون أن يعرف مصدره والله سبحانه وتعالى أعلم سؤاله إياها عن مصدره. وهذا بدوره لم يرد فى النص الإنجيلى.

(د) القرآن يربط بين قصة الدعاء بمولود لزكريا وبين قصة مولودة امرأة عمران. وهذا لا وجود له فى النص الإنجيلى.

(هـ) دعاء زكريا منصوص عليه فى القرآن وليس له ذكر فى النص الإنجيلى.

ثانياً: فى سورة مريم

(أ) ما رتبه زكريا على هبة الله له وليا، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب. ولم يرد هذا فى النص الإنجيلى.

(ب) السبب الذى حمل زكريا على دعاء ربه وهو خوفه الموالى من ورائه والنص الإنجيلى يخلو من هذا.

(ج) كون زكريا أوحى لقومه بأن يسبحوا بكرة وعشيا. ولا وجود لهذا فى النص الإنجيلى.

(د) الثناء على المولود «يحيى» من أنه بار بوالديه عليه السلام يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً ورد فى القرآن ولا مقابل له فى النص الإنجيلى.

هذا كله جديد خاص بالقرآن لا ذكر له فى سواه. وهذا يعنى أن القرآن قد صور الواقعة المقصوصة تصويراً أميناً كاملاً.

وهذه هى المهمة الأولى التى تعقب بها القرآن المهيمن ما ورد فى الإنجيل المذكور. وبقيت مهمة جليلة ثانية قام بها القرآن المهيمن نحو النص الإنجيلى، كما قام بمثلها نحو النصوص التوراتية المتقدمة. وتلك المهمة هى: تصحيح الأخطاء التى وردت فى النص الإنجيلى.

ومن ذلك:

(أ) النص الإنجيلى يجعل الصمت الذى قام بزكريا عقوبة له من الملاك.

فصحح القرآن هذه الواقعة، وجعل الصمت استجابة لدعاء زكريا ربه. وقد حرص على هذا النصان القرآنيان معاً. ففى آل عمران ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾ وفى مريم: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

فالصمت كان تكريماً لزكريا عليه السلام من الله، وليس عقوبة من الملاك، وقد انساق

بعض مفسرى القرآن الكريم وراء هذا التحريف الإنجيلى فقال: إن الصمت كان عقوبة لزكريا، ولكن من الله لا من الملاك.

وها نحن نرفض هذا كله سواء كان القائل به مسلماً أو غير مسلم.

فما هو الذنب الذى ارتكبه زكريا حتى يعاقب من الله أو حتى من الملاك؟!

هل إقراره بكبر سنه وعقر امرأته هو الذنب؟!

لقد وقع هذا من إبراهيم عليه السلام حين بشر بإسحق، ووقع من سارة حين بشرت به فلم يعاقب الله منهما أحداً.

وقد وقع هذا من «مريم» حين بشرت بحملها بعيسى ولم يعاقبها الله عليه. فما السر فى ترك إبراهيم وسارة ومريم بلا عقوبة وإنزالها بزكريا وحده مع أن الذى صدر منه صدر مثله تماماً من غيره.

أفى المسألة محاباة..؟! كلا.. فالله لا يحابى أحداً.

إن أكبر دليل على نفى هذا القول هو خلو النصوص القرآنية منه، وليس هذا تعصباً منا للقرآن. وإنما هو الحق، والمسلك الكريم اللائق بمنزلة الرسل عند ربهم.

إن الصمت الذى حل بزكريا كان بالنسبة لتكليم الناس، ومع هذا فقد ظل لسانه يلج بحمد الله وتسبيحه فى العشى والإبكار كما نص القرآن الأمين.

(ب) النص الإنجيلى يحدد مدة الصمت بخروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن ولد يحيى.

وهذا خطأ ثان صححه القرآن المهيمن فجعل مدته ثلاثة أيام بلياليهن بعد الخروج من المحراب.

(ج) النص الإنجيلى يجعل البشارة على لسان ملاك واحد، بينما النصان القرآنيان يجعلانها على لسان جمع من الملائكة: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾.

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ﴾.

وهذا خطأ ثالث وقع فيه النص الإنجيلى فصححه القرآن الأمين.

(د) النص الإنجيلى يجعل التسمية بـ «يحيى» يوحنا من اختيار زكريا بيد أن الملاك قد تنبأ بها.

وهذا خطأ رابع صححه القرآن الأمين فجعل التسمية من وحى الله إلى زكريا: ﴿اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

(هـ) النص الإنجيلى يقول: «إن زكريا حين جاءه الملاك وقع عليه خوف واضطراب».

وقد خلا النص القرآنى من هذا.. فدل خلوه منه على أنه لم يقع.

ذلك أن القرآن الحكيم عودنا فى قَصِّه للوقائع المناظرة لهذه الواقعة أن يسجلها إذا حدثت ولا يهملها، بدليل أنه قد نص عليها فى واقعة السحرة مع موسى عليه السلام فقال: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾. وقال فى شأنه كذلك عند انقلاب العصى حية لأول مرة: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾. وحكاها عن إبراهيم عليه السلام حين جاءته الملائكة تبشره فقال حكاية عن إبراهيم لضيوفه: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾. وحكاها عن مريم حين جاءها الملك: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

وحرص القرآن على ذكر هذا الانفعال (الخوف، إذا حدث) يدل على أن خلوه منه بالنسبة لزكريا دليل على أنه لم يقع منه خوف قط، وهذا «الخلو» يعتبر تصحيحاً لما ورد فى الإنجيل من نسبة حدث إلى زكريا هو فى الواقع لم يصدر منه.

فهذه خمسة أخطاء قام بتصحيحها القرآن الأمين نحو نصوص الإنجيل المذكورة هنا فى المقارنة. وبهذا نقول:

إن القرآن أدى هنا فى تعقبه للنص الإنجيلى مهمتين جليلتين:

الأولى: تصوير الواقعة المقصوصة تصويراً أميناً كاملاً.

الثانية: تصحيح الأخطاء الواردة فى النص الإنجيلى المقارن.

وقفة أخيرة مع دعوى الاقتباس

موضوع الدعوى كما يروج لها المبشرون أن القرآن اقتبس من الكتاب المقدس كل قصصه التاريخى.

والواقعة التى هى موضوع دعوى الاقتباس هنا هى حادثة تاريخية دينية محددة ببشارة زكريا عليه السلام بيحيى عبد الله ورسوله ووثائق تسجيلها هما: الإنجيل، ثم القرآن الأمين.

وصلة الإنجيل بالواقعة المقصوصة أنه سجلها فرضاً بعد زمن وقوعها بقليل؛ لأن عيسى كان معاصراً ليحيى عليهما السلام وصلة القرآن الأمين بها أنه سجلها بعد حدوثها بزمن طويل «حوالى سبعمائة سنة».

وقرب الإنجيل من وقوع الحادثة المقصوصة، وبعد القرآن الزمنى عنها يقتضى إذا سلمنا جدلاً بدعوى الاقتباس المطروحة أن يأتى الاقتباس على إحدى صورتين:

أولاهما : أن يقتبس القرآن جزءاً مما ورد من القصة الكلية فى الإنجيل. وتظل القصة فيه ناقصة عما هى عليه فى المصدر المقتبس منه (الإنجيل) على حسب زعمهم.

ثانيهما: أن يقتبس القرآن القصة كلها كما هى فى الإنجيل بلا نقص ولا زيادة، سواء أخذها بألفاظها أو صاغها فى أسلوب جديد (البلاغة العربية كما يدعون)، بشرط أن يتقيد بالمعانى الواردة فى المصدر المقتبس منه؛ لأن الفرض قائم (حتى الآن) على أن القرآن لم يكن له مصدر يستقى منه الواقعة غير الإنجيل المقتبس منه.

ومحظور على القرآن عملاً بهذه القيود التى تكتنف قضية الاقتباس للوقائع التاريخية من مصدرها الأوحد أن يأتى بجديد أو يضيف إلى الواقعة ما ليس فى مصدرها الأوحد.

فماذا صنع القرآن إذن؟

هل اقتبس من الإنجيل جزءاً من الواقعة؟ أم الواقعة كلها؟!

دائراً فى فلك الإنجيل دورة ناقصة أو دورة كاملة؟!

لو كان القرآن قد فعل هذا: اقتبس جزءاً من الواقعة كلها، ولو مع صياغة

جديدة لم تغير من المعنى شيئاً؛ لكان لدعوى الاقتباس هذه ما يؤيدها من الواقع القرآنى نفسه. ولما تردد فى تصديقها أحد.

ولكننا قد رأينا القرآن لم يفعل شيئاً مما تقدم. لم يقتبس جزءاً من الواقعة ولا الواقعة كلها.

وإنما صورها تصويراً أميناً رائعاً. سجل كل حقائقها، والتقط بعدساته كل دقائقها. وعرضها عرضاً جديداً نقيا صافياً، وربط بينها وبين وقائع كانت كالسبب الموحد لها فى بناء محكم وعرض أمين.

ولم يقف القرآن عند هذا الحد.. بل قام بإضافة الكثير جدا من الجديد الذى لم يعرفه الإنجيل. وصحح كثيراً من الأخطاء التى وردت فيه بفعل التحريف والتزوير. إما بالنص وإما بالسكوت. وهذا لا يتأتى من مقتبس ليس له مصدر سوى ما اقتبس منه.

وإنما يتأتى ممن له مصدره ووسائله وسلطانه المتفوق، بحيث يتخطى كل الحواجز، ويسجل الواقعة من «مسرحها» كما رآها هو، وعقلها هو، وسجلها هو. وكان هذا هو القرآن.

إن المصدر الوحيد للقرآن هو الوحى الصادق الأمين.. وليس ما سجله الأحبار والكهان، والفريسيون والكتبة فى توراة أو أناجيل.

إن مقاصد القرآن وتوجيهاته وكل محتوياته ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل منها شىء يذكر. وفاقد الشىء لا يعطيه. هذا هو حكم العقل والعلم، ومن لم يخضع لموازين الحق من عقل وعلم ونقل فقد ظلم نفسه[1].



(١) موقع الأزهر بتصرف.

١٣ ـ شبهة: هل استعان الرسول بأحبار اليهود فيما أوحى إليه من القرآن

من الشبهات التى أثيرت حول القرآن الكريم، شبهة تقول: إن رسول الله ﷺ قد استعان فى كتابة القرآن الكريم ببعض أحبار اليهود ورهبان النصارى؛ وهذه الشبهة ذات صلة وثيقة بشبهة كنا قد تحدثنا عنها من قبل، تقول: إن القرآن الكريم كان من تأليف محمد ﷺ، ولم يكن بوحى من الله سبحانه وتعالى. وقد بينا فى ذاك المقال تهافت تلك الشبهة، وأنها لا تقوم على سند عقلى ولا نقلى.

ونقول فى الرد على هذه الشبهة ـ موضوع مقالنا ـ إن محاولة إيجاد أى علاقة بين النص القرآنى ـ وهو نص إلهى ـ والاستعانة بعناصر من أهل الكتاب، هو نوع من القول الخرافى والأسطورى، الذى يكذبه الواقع التاريخى والدليل العقلى.

وبيان ذلك، أن المشركين من أهل مكة ـ قد دأبوا على أن يجدوا أى صلة أو علاقة تدل على كذب رسول الله ﷺ فيما جاء به عن ربه؛ ولو صح لديهم أو شاع عندهم أنه ﷺ كان يستعين ببعض أهل الكتاب لكانت تلك فرصتهم، وحجتهم القوية على أنه غير صادق فيما جاء به من الوحى. ومن الثابت تاريخيا أن اتهامات المشركين ـ بمن فيهم اليهود ـ لم يكن فيها أنه استعان بعناصر من أهل الكتاب، مع أن الفرصة أمام اليهود والنصارى كانت سانحة لهم ليوجهوا له مثل هذه الاتهام، أما وإنهم لم يفعلوا ذلك ـ مع توافر الدواعى ـ دل على أن هذه المقولة كاذبة، ولا تمت إلى الحقيقة بصلة.

ثم على فرض أن هذا الادعاء لم يكن أهل مكة يعرفونه، فمن المفروض أن مصدر الاستعانة ـ لو صح هذا ـ وهم أهل الكتاب كانوا موجودين زمن البعثة

المحمدية، بدليل أن بعض وفود أهل الكتاب قد جاءت إلى رسول الله ﷺ، ولم ينقل إلينا التاريخ أن أحداً منهم أعلن أن محمداً أخذ عنهم أو استعان بهم.

بل أكثر من هذا وذاك، فإن الخلافات والنزاعات التى بين اليهود ورسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة كانت دافعاً مغرياً لإعلان كذبه - حاشاه - فيما يدعيه، من أن الوحى يأتيه من السماء، وكان ثمة فرصة لإشاعة أنهم هم الذين علموه القرآن، أو على الأقل ساعدوه فى تأليفه، وهذا ما لم يحدث، ولو حدث ذلك لتناقلته الأخبار، ولسارت بأمره الركبان.

وكما ذكرنا فى غير هذا الموضع، من أن أسلوب الرجل يدل عليه، ويخبر عن صفاته وشمائله، وأن الشمائل والصفات التى عرف بها رسول الله ﷺ فى حياته وشبابه، لتدل دلالة قاطعة على كذب هذه الفرية... فهل يعرف بالكذب من كان يلقب بالصادق الأمين، وهل يعرف الكذب ممن كان مرجعاً للقبائل، فيما اختلفت فيه وتنازعت عليه، ثم لو كان ﷺ كذاباً أو مفترياً أكانت تكون له هذه المكانة بين قومه، تلك المكانة التى أقر له الجميع بها. والحق الذى لا يقبل غيره هو أن شخصية اتصفت بتلك الصفات والشمائل لا يمكن لصاحبها أن يفترى على الناس الكذب، أو أن يدعى شيئاً لم يكن له.

وحاصل القول

إن هذه الشبهة لا ينهض بها دليل عقلى، ولا يقوم بها سند تاريخى، بل هى من ساقط القول وباطله... وصدق الله إذ يقول على لسان نبيه: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (هود: ٣٥)**.

نسأل الله أن يرد كيد الظالمين فى نحورهم، وأن لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خامساً: الرد على الأخطاء التاريخية المزعومة حول القرآن الكريم

١ ـ اسم أبى إبراهيم الخليل

١ ـ يقول القرآن إن أبا إبراهيم اسمه آزر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ **(الأنعام: ٧٤)** ولكن اسمه تارح؟

الجواب: فى البداية أخطأ السائل أن جعل كتاب النصارى هو المرجع، فأبسط ما يقال للنصارى أنتم على خطأ والقرآن على صواب، ثانياً اختلف العلماء فى تفسيره ونورد بعض أقوالهم:

قال محمد بن إسحاق والكلبى والضحاك: إن آزر أبو إبراهيم عليه السلام وهو تاريخ، مثل إسرائيل ويعقوب؛ قلت فيكون له اسمان كما تقدم. وقال مقاتل: آزر لقب. وتاريخ اسم: وحكاه الثعلبى عن ابن إسحاق والقشيرى ويجوز أن يكون على العكس. قال الحسن: كان اسم أبيه آزر.

وقال الفراء: هى صفة ذم بلغتهم؛ كأن قال يا مخطئ؛ فيمن رفعه. أو كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطئ؛ فيمن خفض. ولا ينصرف لأنه على أفعل؛ قاله النحاس. وقال الجوهرى: آزر اسم أعجمى، وهو مشتق من آزر فلان فلانا إذا عاونه؛ فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام.

وقال مجاهد ويمان: آزر اسم صنم. وهو فى هذا التأويل فى موضع نصب، التقدير: أتتخذ آزر إلهاً، أتتخذ أصناماً. وقال الثعلبى فى كتاب العرائس: إن اسم أبى إبراهيم الذى سماه به أبوه تارح، فلما صار مع النمرود قيماً على خزانة آلهته سماه آزر. وقال مجاهد: إن آزر ليس باسم أبيه وإنما هو اسم صنم. وهو إبراهيم

ابن تارح بن ناخور بن ساروع بن أوغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.

٢ـ كيف وصف محمد الهيكل وكيف صلى معه أنبياء الله

يحكى القرآن عن إسراء محمد إلى المسجد الأقصى، أى هيكل سليمان، وكيف صلى فيه مع الأنبياء، ووصف أبوابه ونوافذه. مع أن هيكل سليمان كان قد خرب قبل الإسراء بـ ٥٥٠ سنة **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)** وبنى بعد موت محمد بنحو مئة سنة!

الجواب: إن النبى ﷺ رأى الأنبياء وصلى معهم بمعجزة من الله سبحانه وتعالى وهذا ليس غريباً كما أن المسيح رأى موسى وإيلياء على الجبل مع التلاميذ!! (متى/ ١٧، لوقا/ ٩/ ٢٨، مرقس/ ٩) وليس بغريب أن يكون مثل هذا بل أكثر منه مع محمد ـ ﷺ ـ وإلا فكيف تكون معجزة؟! أما بالنسبة لوصف النبى الخاتم الدقيق لهيكل سليمان فهذا ليس صحيحا بل إن النبى ﷺ حينما كذبته قريش بشأن الإسراء والمعراج نبأهم بصفاته ولقد افتتن المشركون فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، ولكنهم اضطروا للإعتراف بصحة وصفه لمسجد بيت المقدس، فلا غريب إلا فى عقولكم!! إذ أنهم تنبؤوا بالغيب فما لغريب أن يصفوا الماضى ويذكروا أحداثه بدقة أليس هو رسول الله سبحانه وتعالى!

(١) عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأنى بالسلام.

٣ـ هل الإسكندر الأكبر اليونانى هو ذو القرنين العادل

يقول القرآن الكريم عن الإسكندر الأكبر ذى القرنين إنه بلغ قوماً لا يفقهون، وإنه بنى سداً من زبر الحديد ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ **(الكهف: ٨٣ ـ ٩٧)**. وقد فسروا معنى ذى القرنين بأنه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها، وقيل لأنه انقرض فى أيامه قرنان من الناس، وقيل كان له قرنان لشجاعته. وقال القرآن إن ذا القرنين بلغ مغرب الشمس فوجدها تغرب فى عين حمئة، أى ذات طين أسود مبتل بالماء ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ **(الكهف: ٨٦)**. قالوا ولم يكن ذو القرنين نبيا بل كان من عباد الأصنام، ادعى أنه ابن آمون إله مصر. ولا الشمس تغرب فى عين حمئة، ولا عمر ذى القرنين قرنين من الزمن، بل مات وعمره ٣٣ سنة.

الجواب:

فى القرآن الكريم ـ بسورة الكهف: ٨٣ ـ ٩٨ حكاية ذى القرنين: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ

عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ إلى آخر الآيات.

وخلال هذه الآيات يتبدى عدل «ذو القرنين» فيقول: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾. تلك هى تسمية القرآن الكريم لهذا الملك «ذو القرنين».

أما أن ذا القرنين هذا هو الإسكندر الأكبر المقدونى (٣٥٦ ـ ٣٢٤ ق. م) فذلك قصص لم يخضع لتحقيق تاريخى.. بل إن المفسرين الذين أوردوا هذا القصص قد شككوا فى صدقه وصحته.. فابن إسحاق (١٥١ هـ ٧٦٨ م) ـ مثلاً ـ يروى عن «من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذى القرنين «أنه كان من أهل مصر، وأنه اسمه» مرزبان بن مرديه اليونانى».

أما الذى سماه «الإسكندر» فهو ابن هشام (٢١٣ هـ ٨٢٨ م) ـ الذى لخص وحفظ (السيرة) ـ لابن إسحاق... وهو يحدد أنه الإسكندر الذى بنى مدينة الإسكندرية، فنسبت إليه.

وكذلك جاءت الروايات القائلة إن «ذو القرنين» هو الإسكندر المقدونى عن وهب ابن منبه» (٣٤ ـ ١١٤ هـ ٦٥٤ ـ ٧٣٢ م) وهو مصدر لرواية الكثير من الإسرائيليات والقصص الخرافى. ولقد شكك ابن إسحاق ـ وهو الذى تميز بوعى ملحوظ فى تدوين ونقد القصص التاريخى ـ شكك فيما روى من هذا القصص ـ الذى دار حول تسمية ذى القرنين بالإسكندر، أو غيره من الأسماء.. وشكك أيضاً فى صدق ما نسب للرسول ﷺ حول هذا الموضوع.. وذلك عندما قال ابن إسحاق: «فالله أعلم أى ذلك كان؟.. أقال رسول الله ﷺ ذلك أم لا؟».

ويثنى القرطبى على شك وتشكيك ابن إسحاق هذا، عندما يورده، ثم يقول: «والحق ما قال».. أى أن الحق هو شك وتشكيك ابن إسحاق فى هذا القصص، الذى لم يخضع للتحقيق والتمحيص وإن يكن موقف ابن إسحاق هذا، وكذلك القرطبى، هو لون من التحقيق والتمحيص. فليس هناك، إذاً ما يشهد على أن الإسكندر الأكبر المقدونى ـ الملك الوثنى ـ هو ذو القرنين، العادل، والموحد الله غير صحيح.

٤ ـ هل هامان وزير فرعون

يقول إن هامان وزير فرعون ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ⑥ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ⑦ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص: ٦ ـ ٨) مع أن هامان كان فى بابل، وجاء بعد فرعون بنحو ألف سنة (رازى فى تفسير غافر: ٣٦ و ٣٧).

الجواب:

هامان مذكور فى القرآن فى ستة أماكن مختلفة كأحد المقربين إلى فرعون بينما تذكر لنا التوراة أن هامان لم يذكر فى حياة موسى عليه السلام على الإطلاق وأن هامان كان وزيراً وخليلاً لأحشوريش ملك الفرس الذى يدعوه اليونان زركيس، وكثيراً من الذين يريدون أن يطعنوا فى القرآن ويدعون وجود أخطاء تاريخية فيه ومن بينها علاقة هامان بفرعون موسى، سخافة هذه الادعاءات عرضت فقط بعد فك طلاسم الأبجدية الهيروغليفية المصرية قبل حوالى ٢٠٠ سنة تقريباً واسم هامان قد اكتشف فى المخطوطات القديمة وقبل هذه الاكتشافات لم يكن شىء معروف عن التاريخ الفرعونى، ولغز الهيروغليفية تم حله سنة ١٧٩٩ باكتشاف حجر رشيد الذى يعود إلى سنة ١٩٦ قبل الميلاد وتعود أهمية هذا الحجر بأنه كتب بثلاث لغات: اللغة الهيروغليفية والديموقيطية واليونانية وبمساعدة اليونانية تم فك لغز الهيروغليفية من قبل شامبليون وبعدها تم معرفة الكثير حول تاريخ الفراعنة وخلال ترجمة نقش من النقوش المصرية القديمة تم الكشف عن اسم (هامان) وهذا الاسم أشير إليه فى لوح أثرى فى متحف هوف فى فينا وفى مجموعة من النقوش كشفت لنا أن هامان كان فى زمن تواجد موسى فى مصر قد رقى إلى أن أصبح مديراً لمشاريع الملك الأثرية وها هى النقوش تكشف لنا حقيقة هامان بعكس ما ذكرته التوراة وردا على الزعم الخاطئ لمعارضى القران.

هامان الذى تتحدث عنه الآثار المصرية التى أوردها كتاب:

Triumphant the life and times of ramesses II K.A. Kitchen pharaoh

ونسخته العربية (رمسيس الثانى، فرعون المجد والانتصار، ترجمة د. أحمد زهير أمين) ص ٥٥:

كان الشاب آمن (= هامن/ هامان) أم اينت Amen em inet فى مثل سن الأمير (رمسيس ٢) ورفيق صباه، فلما أصبح رمسيس نائباً للملك ووريثاً للعرش أصبح الفتى بالتبعية رفيقه وتابعه ففتح له الطريق لمستقبل زاهر وهو ما تحقق فعلاً. وكان لآمن أم اينت Amen em inet (هامان) أقارب ذوو نفوذ منهم عمه (لعله منموسى، Minmose) كبير كهنة الإله مين والآلهة إيزيس بقفط (شمال طيبة) وقائد Commandant فيالق النوبة - أى الساعد الأيمن لنائب الملك فى النوبة. ومنهم الفتى باكن خنسو (والده باسر وزير الجنوب وابن عم آمن أم اينت Amen em inet (هامان) ص ٢٤٢) مدرب الخيول الملكية الذى التحق بعد ذلك بالسلك الكهنوتى المستديم فى خدمة آمون بطيبة (أصبح كبير كهنة آمون، ص ٢٤٢).

ص ٧٣: رقى الملك رفيق طفولته آمن أم اينت Amen em inet (هامان) إلى وظيفة قائد المركبات الملكية Royal Charioteer وناظر للخيل Horse Intendent of Super.

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص: ٦).

ص ٩٧: آمن أم اينت Amen em inet (هامان) رفيق الفرعون القديم قد رقى إلى منصب رسول الملك لكل البلاد الأجنبية ويقول الرجل بهذه المناسبة موضحاً طبيعة عمله الجديد: ارفع له (الفرعون) تقارير عن أحوال البلاد الأجنبية كلها.

ص ١٩٩: وكانت أرقى وظائف الدولة هى وظيفة السفير (رسول الملك إلى كل البلاد الأجنبية) وكانت الترقية إليها قاصرة على كبار ضباط سلاح العربات الحربية.

ص ١٧٩: واختار الملك للمنصب (كبير كهنة آمون) الشاغرون نفر Wennofer (مات سنة ٢٧) وهو والد رفيق طفولة رمسيس الثانى آمن أم اينت (هامان). وكان

هامان نفسه قد نقل من وظيفته العسكرية إلى الرمسيوم ليصبح مديراً لمشاريع الملك الأثرية هناك Chief of Works of All Royal Monument ـ ولا يزيد البعد بينه وبين أبيه كبير الكهنة بالكرنك عن عبور النهر إلى الضفة الأخرى من النيل.

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ **(القصص: ٣٨)**.ذكر كتاب An Introduction to Ancient Egypt، أن أقدم استعمال للطين الموقود بمصر كان معروفاً منذ الدولة الوسطى.

ص ١٩٢: ويرجع الفضل فى صعود نجم باسر Paser، وزيرا للجنوب بطيبة Viceroy، عم باسر كان قائد الفرق بالنوبة وبعده ابنه نخت مين (ابن عم باسر) واختياره نائباً للملك (فى النوبة) يرجع إلى عراقة أسرته، فابن عمه آمن أم اينت (هامان) هو رفيق طفولة رمسيس الثانى.

ص ١٩٩: وكان من علية القوم من اتخذ من الخدمة العسكرية ذريعة للوثوب إلى الوظائف المدنية العليا، وقد تعرفنا من هؤلاء على...، وآمن أم اينت (هامان) القائد بسلاح المركبات ثم ميليشيات المدجاى ـ Chief of Medjay Militia، بعدها عين مديراً للمصانع (وزير صناعة).

ص ٢٤٠: أمنحتب.. لكنه كان ينتمى لأسرة ذات نفوذ هى أسرة آمن أم اينت (هامان) قائد ميليشيات المدجاى الشهيرة.

ص ٢٤٢: حيث يحتل مين مس آخر منصب كبير كهنة مين وإيزيس والذى يمت هو الآخر بصلة قرابة إلى آمن أم اينت.

٥ ـ كيف ينسب القرآن ما فعله جدعون إلى النبى طالوت (شاول)

يقول الله تعالى فى **(البقرة: ٢٤٩)** ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فقد عزا إلى طالوت (وهو شاول) ما فعله جدعون (القضاة ٧: ٥ ـ ٧).

الجواب: هذا أسلوب ضعف فى نقد القرآن الكريم، إذ أننا لا نسلم لهم بصحة

ما فى كتبهم التى يقدسونها كى يقيسوا صحة القرآن الكريم بها. وإذا كان كذلك فلماذا لا يكون السؤال أن هذا ما فعله طالوت (شاول) فلماذا حرفتم كتابكم ونسبتوه إلى جدعون؟!!

٦ـ كيف ينسب القرآن صناعة العجل للسامرى

يقول لموسى: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ **(طه: ٨٥)** ويقصد أن السامرى صنع العجل الذهبى لبنى إسرائيل، ولكن السامريين لم يجيئوا إلا بعد سبى بابل (١ ملوك ١٦: ٢٤).

الجواب:

إن القرآن الكريم ذكر أن الذى صنع العجل لبنى إسرائيل هو السامرى، وهذا فى ظنهم خطأ تاريخى واضح! لأن مدينة السامرة المنسوب إليها السامرى لم تكن موجودة آنذاك، بل هى بعد موسى بمئات السنين. وهذا الوهم قائم على أساس أن اسم السامرى لم يكن معروفاً إلا بعد بناء مدينة السامرة، وأنه منسوب إليها. والواقع أن السامرى هو من قبيلة تدعى السامرة اطلق على المدينة اسم قبيلة هذا السامرى وهذا يحدث كثيراً، ودليل على صحة هذا القول إن مدينة «دان» سميت بـ دان بعد أن كان اسمها «لايش» تيمناً باسم القبيلة التى أخذت المدينة بعد إبادة أهلها (القضاة/ ١٨/ ٢٧).

٧ـ بعض أحوال المسيح التى ذكرها القرآن ـ ولم تحدث

فى **(مريم: ٣٣)** ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقول إن المسيح ولد تحت نخلة، مع أنه ولد فى مذود. ويقول إنه تكلم فى المهد ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ **(آل عمران: ٤٦)** ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ

سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١١٠) ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩). وإنه خلق من الطين طيراً وهو صبى ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩) ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة ١١٠). ولكن أول معجزة أجراها المسيح كانت فى عرس قانا الجليل وهو فى الثلاثين من عمره.

الجواب: قلنا ونقول إن أسلوب نقد القرآن الكريم استناداً على الكتاب المقدس غير مقبول نهائيا، وأفضل وصف لهذا الأسلوب أنك تخطئ القرآن استناداً على حديث موضوع.. ماذا يكون العهد الجديد والقديم ليستند عليه فى تخطئة القرآن الكريم إذ لا سند له ولا أدلة قطعية على صحة نسبتها لكتبتها، وإن لم يذكر هذه المعجزة فكذلك معجزة تكلمه عليه السلام فى المهد فقد ذكرها كتابكم ولكنكم نحلتمونها لشخص آخر. ونحن نسأل ما الذى يمنع أن يكون المسيح قد عمل كل هذه المعجزات ولم تدونها كتبكم. كما أننا لا نسلم لكم بأنه عمل المعجزة التى تتحدثون عنها أنه حول الماء إلى خمر ليسكر الناس!! حاشا لنبى مرسل من الله أن ينشر الفساد.

٨ ـ يقول إن أخ مريم العذراء هو هارون (مريم: ٢٨) مع أن هارون سابق للعذراء بـ ١٦٠٠ سنة

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

الجواب: إن المقصود بهارون فى الآيه الكريمة إما هارون أخو موسى والأخوة المذكورة ليست أخوة حقيقية لأن بين هارون ومريم مئات السنين بالفعل وإنما هى

أخوة مجازية فمعنى أنها أخت هارون أنها من نسله وذريته كما يقال للتميمى يا أخا تميم؟ وللقرشى: يا أخا قريش! فمعنى قولهم: يا أخت هارون، أى يا من أنت من ذرية ذلك النبى الصالح، كيف فعلت هذه الفعلة؟ وحتى لو لم تكن من نسله وذريته تنتسب إليه بخدماتها للهيكل وانقطاعها للعبادة فيه. فقد كانت خدمة الهيكل موقوفة على ذرية هارون. فمعنى: يا أخت هارون! يا من تنتسبين إلى هذا النبى الصالح بالخدمة والعبادة والانقطاع للهيكل. والأصح أن المراد بهارون فى الآية هو رجال صالح من قومها فى ذلك الحين... كانت تتأسى به مريم... وتتشبه به فى الزهد والطاعة والعبادة، فنسبت إليه، فقالوا لها: يا من تتشبهين وتقتدين بذلك الرجل الصالح، ما كان أبوك بالفاجر، ولا أمك بالبغى فمن أين لك هذا الولد؟ وقد روى أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى أهل نجران - وكانوا نصارى - فقالوا: أرأيت ما تقرؤون: يا أخت هارون؟ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ يعترضون على المغيرة.. قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ: (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم؟)[1] وهذا التفسير النبوى يبين أن هارون المذكور فى الآية ليس من اللازم أن يكون هو أخا موسى كما فهم أهل نجران، وإنما هو هارون معاصر لمريم... فقد كان قومها يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين منهم. والله تعالى أعلم.

٩ - حول خلاف القرآن للكتاب المقدس فى عصر نمرود

حسب قول القرآن والمفسرين ألقى نمرود بإبراهيم فى النار (الأنبياء: ٦٨ - ٦٩) وليس من المعقول أن يكون نمرود حيا فى زمن إبراهيم - عليه السلام - (الكتاب المقدس - سفر التكوين ٨: ١٠، ١١، ١٠: ٢٢ - ٢٥، ١١: ١٣ - ٢٦). (ا. هـ).

الرد على الشبهة

فى قصص القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل - عليه السلام - مشاهد عديدة.. منها

(١) صحيح مسلم رقم الحديث ٣٩٨٢ (كتاب الآداب، نهى التكنى بأبى القاسم وبيان ما يستحب).

معجزة نجاته من التحريق بالنار، بعد أن حطم أصنام قومه التى يعبدونها: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨ ـ ٧٠).

ويحكى القرآن محاجة إبراهيم للملك ـ فى سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

والقرآن الكريم لم يبسم الملك الذى حاج إبراهيم فى ربه؛ لأن قصد القرآن من القصص هو مضمون المحاجة، والعبرة منها.. واسم الملك لا يقدم ولا يؤخر فى المضمون والعبرة. أما تسمية هذا الملك ـ الذى حاجه إبراهيم ـ بـ «النمرود» والاختلاف فى نطق اسمه. ومدة ملكه.. فجميعها قصص تاريخى، أورده المفسرون.. فهو غير ملزم للقرآن الكريم[1].. ومن ثم لا يصح أن يورد ذلك كشبهة تثار ضد القرآن.. فليس لدينا فى التاريخ الموثق والمحقق ما يثبت أو ينفى أن اسم الملك الذى حاج إبراهيم الخليل فى ربه هو «النمرود». وإنما هو قصص تاريخى يحتاج إلى تحقيق..

ولقد راجعت العهد القديم، فى المواضع التى جاء ذكرها فى السؤال (سفر التكوين الإصحاح ٨: ١٠، ١١ والإصحاح ١٠: ٢٢ ـ ٢٥ والإصحاح ١١: ١٣ ـ ٢٦) وهى تحكى عن قبائل نوح، ومواليد ابنه سام، فلم أجد فيها ذكر الملك «النمرود».

وفى (دائرة المعارف الإسلامية) التى كتبها المستشرقون ـ وقد حرر مادة «إبراهيم» «فيها» ج. إيزيرغ» ـ يأتى ذكر الملك نمرود فى قصة إبراهيم دون اعتراض.. وفى أثنائها إشارات إلى مصادر عبرية أشارت إلى النمرود ـ منها (دلالة الحائرين ـ لموسى بن ميمون ـ الفصل ٢٩).. ومنها «سفر هياشار» فصل نوح..

وتأتى الإشارة إلى «نمرود» الملك فى سفر التكوين ـ بالعهد القديم ـ الإصحاح ١٠: ٨ ـ ١١ باعتباره «الذى ابتدأ يكون جباراً فى الأرض».. وبه كان يضرب المثل فى

---

(١) انظر: القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) ج٣ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥ ـ مصدر سابق ـ والزمخشرى (الكشاف) ج١ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ـ مصدر سابق ـ.

التجبر.. «وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة من أرض شنغار. من تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى..» إلخ.. إلخ..

وأخيراً.. فليس هناك مما يمنع تكرار لاسم «نمرود» لأكثر من ملك فى أكثر من عصر وتاريخ.. ويبقى أن الشبهة ـ إذا كان هناك شبهة ـ خاصة بالقصص التاريخى.. ولا علاقة لها بالقرآن الكريم..

١٠ ـ حول خلاف القرآن للكتاب المقدس فى أسماء بعض الشخصيات التاريخية

يعطى القرآن أسماء لبعض الشخصيات التاريخية مخالفة لأسمائهم حسب الكتاب المقدس الذى سبق القرآن بعدة قرون. فمثلاً والد إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان اسمه Teral أو «تارح»، ومع ذلك يسميه القرآن آزر. واسم الذى كان يوسف ـ عليه السلام ـ فى بيته Potiphar أما الاسم المعطى له فى القرآن فهو «عزيز» (يوسف: ٣٠). (ا. هـ).

الرد على الشبهة

أولاً: لا يصح أن نجعل من الكتاب المقدس حجة على القرآن ومرجعية له.. لأن الثابت ـ حتى فى الدراسات التى قام بها كثير من علماء اليهود والنصارى أن هذا الكتاب المقدس قد أعيدت كتابته، وأصابه التحريف.. كما أن ترجماته قد أدخلت عليه تغييرات وتصحيفات وخاصة فى أسماء الأماكن والأشخاص..

وثانياً: لأن القرآن قد تمتع بمستوى من الحفظ والتوثيق والتواتر فى النقل جعله الوحى الوحيد الصحيح على ظهر هذا الكوكب الذى نعيش عليه.. فهو الحاكم والمرجع لكل ما عداه من النصوص الدينية الأخرى..

وفى هذا الإطار.. ومن هذا المنطلق نناقش الشبهات التى يثيرها هذا السؤال.. فنقول:

● بالنسبة لاسم والد الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا تختلف معظم المصادر الإسلامية ـ سواء منها تفاسير القرآن، أو قصص الأنبياء على أن «آزر» ليس اسم والد إبراهيم.. وعلى أن اسمه «تارح» ومن العلماء من يرى أن «آزر» اسم صنم، وأن الآية خطاب استنكارى لعبادة والد إبراهيم لهذا الصنم، تقدم المفعول فى هذا

الخطاب.. والمعنى أتتخذ آزر إلهاً ومعبوداً؟..

ومن العلماء من يرى أن «آزر» لقب أطلق على «تارح» بعد أن عمل فى حاشية الملك الذى كان حاكماً فى ذلك التاريخ..

ونحن نقرأ ـ حول هذه القضية ـ فى تفسير القرطبى:

«قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾ تكلم العلماء فى هذا، فقال أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجوينى الشافعى الأشعرى فى النكت من التفسير له: وليس بين الناس اختلاف فى أن اسم والد إبراهيم تارح. والذى فى القرآن يدل على أن اسمه آزر.. وقيل: آزر اسم صنم كأنه قال: وإذا قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلها، أتتخذ أصناما آلهة..

قلت ـ (أى القرطبى) ما ادعاه من اتفاق ليس عليه وفاق. فقد قال محمد بن إسحاق والكلبى والضحاك: إن آزر أبو إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو تارح، مثل إسرائيل ويعقوب. قلت: فيكون له اسمان. وقال مقاتل: آزر لقب، وتارح اسم. وحكاه الثعلبى عن ابن إسحاق والقشيرى. ويجوز أن يكون العكس.. وقال الجوهرى: آزر اسم أعجمى، وهو مشتق من آزر فلان فلانا إذا عاونه، فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام.. وقال الثعلبى ويمان: آزر اسم صنم، أى أتتخذ آزر إلها. أتتخذ أصناما.. وقال الثعلبى فى كتاب العرائس: إن اسم أبى إبراهيم الذى سماه به أبوه تارح، فلما صار مع النمرود قيما على خزانة آلهته سماه آزر. وقال مجاهد إن آزر ليس باسم أبيه وإنما هو اسم صنم، وهو إبراهيم بن تارح بن ناخور بن سارو بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ»[(1)].

ونفس التفسيرات الموضحة لهذه الشبهة نجدها فى (قصص الأنبياء):

«قال السيد المرتضى الزبيدى ـ فى «ص ١٢ ج٢ تاج العروس»: روى عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾ قال: لم يكن بأبيه، ولكن آزر اسم صنم، فموضعه نصب على إضمار الفعل والتلاوة كأنه قال: «وإذ قال إبراهيم أتتخذ آزر إلها، أى أتتخذ أصناما آلهة».

وقال الصغانى: «التقدير أتتخذ آزر إلها».

(١) (الجامع لأحكام القرآن) ج٧ ص ٢٢، ٢٣ ـ مصدر سابق.

وقد نقل شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا عبارة تاج العروس السابقة فى أول كتابه «تكملة كتاب الأصنام لابن الكلبى».

وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى الأقوال عندى بالقبول. وعلى ذلك يكون والد إبراهيم لم يذكر باسم العلم فى القرآن الكريم. ومما يستأنس له بأن «آزر» اسم إله أننا نجد فى الآلهة القديمة عند المصريين الإله «أوزوريس» ومعناه الإله القوى المعين، وقد كانت الأمم السالفة يقلد بعضهم بعضا فى أسماء الآلهة..»[١].

فليست هناك مشكلة، إذن، حول هذا الموضوع.

أما الشبهة الثانية فى هذا السؤال، والخاصة باسم الذى اشترى وآوى يوسف ـ عليه السلام ـ فى بيته، والذى أطلق عليه القرآن الكريم اسم «عزيز» بينما سماه الكتاب المقدس Potiphar.. فإنها لا تمثل، هى الأخرى، مشكلة من المشكلات.

ذلك أن منصب هذا الذى آوى يوسف كان «رئاسة الشرطة».. واسمه «فوطيار».. ولقبه «العزيز» فلا تناقض بين أسماء التعريف به هذه.. ولقد تناولت ذلك المصادر الإسلامية.. ففى (قصص الأنبياء):

«وكان سيده رئيس شرطة المدينة، واسمه «فوطيفار»، ويعبر عن منصبه فى العبرية بـ «سرها طباحيم»، أى رئيس الشرطة..»[٢].

وفى تفسير القرطبى:

«قال الضحاك: هذا الذى اشتراه ملك مصر، ولقبه العزيز.. واسمه قطفير. وقال ابن إسحاق: إطفير. اشتراه لامرأته.. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير وزير ملك مصر.. وكان هذا العزيز الذى اشترى يوسف على خزائن الملك..»[٣].

أما الخلافات والاختلافات الطفيفة فى نطق الاسم فهى واردة، بسبب النقل من لغة إلى لغة.. ومن لهجة إلى لهجة.. وبسبب النسخ للمخطوطات. والتصحيف والتحريف.. فلا مشكلة... إذن، حول هذه الأسماء.

---

(١) (قصص الأنبياء) ص ٧٢ ـ مرجع سابق. (٢) المرجع السابق ص ١٢٢.

(٣) (الجامع لأحكام القرآن) ج٩ ص١٥٨ ـ مصدر سابق ـ.

سادساً: الرد على الأخطاء العلمية المزعومة فى القرآن الكريم

١ ـ هل الجبال تحفظ توازن الأرض؟ والأرض تدور حول نفسها؟

الرد على الشبهة:

فى المزمور ٧٥: ٢ (أنا وزنت أعمدتها)

وفى مز ١٠٤: ٥ (المؤسس الأرض على قواعد فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد).

وفى علم الجيولوجيا أن الله جعل الجبال لحفظ الأرض؛ وذلك مثل الفقاعات تشاهد كالقبة على سطح المياه وتدور مع المياه وهى مثبتة فى جميع أطرافها، وأن الجبال آخر مراحل تكوين الأرض فى بدء الخليقة.

وللدكتور زغلول النجار كتاب مستقل عن الجبال.

وصدق الله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ **(النساء الآية: ٨٣)**

وصدق الله: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ **(العنكبوت الآية: ٤٣)**



٢ ـ هل النجوم رجوم الشياطين؟

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك: ٥)

الرد على الشبهة:

إن الإسلام دين، وهو موحى به من رب العالمين يخبرنا عن صدق ويقين، وهو القائل سبحانه: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (الكهف: ٥١). والإسلام ليس بدعاً من الأديان ولذلك نرى أن الكتب المقدسة تذكر ذلك؛ فإن الله تعالى يقول:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (الجن: ٨). ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن: ٩) قال ذلك حكاية عن الجن. وليس المعنى كما فهم المؤلف، وإنما المعنى هو أن الله جعل على السماء حراساً من الملائكة، وخلق لهم أدوات عقاب تناسب أجسام الشياطين. وهى الشهب. فإذا جاء شيطان رماه أحد الملائكة بشهاب وليست الشهب كواكب كالقمر والشمس، وإنما هى أدوات عقاب كالسيف فى يد الجندى المحارب.

وفى الإصحاح الثالث من سفر التكوين؛ أن الله لما طرد آدم من الجنة وهى جنة عدن، ليعمل الأرض التى أخذ منها، أقام شرقي جنة عدن ملائكة تسمى الكروبيم، ووضع لهيب سيف متقلب فى أياديهم لحراسة طريق شجرة الحياة: «فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أُخذ منها؛ فطرد الإنسان، وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة»

ويقول المفسرون: «إن الكروبيم من الملائكة المقربين. وهو فى الفارسية بمعنى الحارس». وكان عملهم وقت طرد آدم هو «حراسة الفردوس؛ لئلا يرجع الإنسان إليه».

وفى القرآن تفسير الشهب بشواظ من نار. فى قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ

بسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ﴾ (الرحمن الآيات: ٣٣ ـ ٣٥).

فقد جعل للجن غير ما جعل للإنس من أدوات العقاب. ولم يجعل للجن كواكب ترمى بها كالقمر والشمس، وإنما جُعل للجن «شواظ» أى» شهب.

٣ ـ القرآن يتناقض مع العلم

إنه جاء فى القرآن أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن. فكيف يقول عن أرضنا وهى واحدة من ملايين الكواكب ـ إنه يوجد سبعة مثلها؟

وفى القرآن: (أن السماء سقفاً محفوظاً)، وأن الله يمسكها لئلا تقع. فكيف يقول عن الفضاء غير المتناهى: إنه سقف قابل للسقوط؟

وفى القرآن أن الله زين السماء الدنيا بمصابيح. فكيف يقول عن ملايين الكواكب التى تسبح فى هذا الفضاء غير المتناهى إنها مصابيح؟

الرد على الشبهة

هذا السؤال مكون من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: هو أنه ليس فى العالم سبعة أرضين. فكيف يقول عن الأرض: إنها سبعة كما أن السموات سبعة؟ وقول المؤلف إن الأرض سبعة؛ أخذه من بعض مفسرى القرآن الكريم. وهو يعلم أن المفسرين مجتهدون، ويصيبون ويخطئون. والرد عليه فى هذا الجزء من السؤال هو: أن نص الآية هو: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢).

إنه أتى بـ (مِنْ) التى تفيد التبعيض؛ لينفى العدد فى الأرض. وليثبت المثلية فى قدرته. فيكون المعنى: أنا خلقت سبع سموات بقدرتى، وخلقت من الأرض مثل ما خلقت أنا السماء بالقدرة. ولهذا المعنى علل بقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الطلاق: ١٢).

وبيان التبعيض فى الأرض: هو أن السماء محكمة، وأن الأرض غير محكمة. وهى غير محكمة لحدوث الزلازل فيها، وللنقص من أطرافها. وقد عبر عن التبعيض فى موضع آخر فقال: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الأنبياء: ٤٤). والنقص من الأطراف يدل على أن الباقى من الأرض ممسوك بقدرة الله، كما يمسك السماء كلها.

والجزء الثانى: هو أن السماء سقف قابل للسقوط. والرد عليه فى هذا الجزء من السؤال هو: أن كل لغة فيها الحقيقة وفيها المجاز. والتعبير على المجاز. فإن السماء شبه سقف البيت، والمانع للسقف من السقوط على الحقيقة هو الأعمدة، وعلى المجاز هو الله؛ لأن كل شىء بقدرته. ولذلك نظير ما فى التوراة وفى الإنجيل: «بالكسل يهبط السقف». وفى ترجمة أخرى: «من جراء الكسل ينهار السقف. وبتراخى اليدين يسقط البيت» (جامعة ١٠: ١٨) يريد أن يقول: إن الكسل يؤدى إلى الفقر، والفقر يؤدى إلى خراب البيوت. وعبر عن الخراب بانهيار السقف. والسقف لا ينهار بالكسل، وإنما بهد الأعمدة التى تحمله. وفى سفر الرؤية: «فسقط من السماء كوكب» (رؤ ٨: ١٠) كيف يسقط كوكب من السماء بغير إرادة الله؟ وفى سفر الرؤية: «ونجوم السماء سقطت» (رؤ ٦: ١٣)، ويقول عيسى عليه السلام: إن العصفور لا يقع إلى الأرض إلا بإرادة الله: «أما يباع عصفوران بفلس واحد. ومع ذلك لا يقع واحد منهما إلى الأرض خفية عن أبيكم» (متى ١٠: ٢٩). وفى الرسالة إلى العبرانيين: «حقا ما أرهب الوقوع فى يدى الله الحى؟» (عب ١٠: ٣١).

والجزء الثالث: وهو أنه كيف يقول عن الكواكب إنها مصابيح؟ والمؤلف دل بقوله هذا على إنكار الواقع والمشاهد فى الحياة الدنيا، ودل أيضاً بقوله هذا على جهله بالتوراة وبالإنجيل. ففى سفر الرؤية: «كوكب عظيم متقد كمصباح» (رؤ ٨: ١٠)، «وأمام العرش سبعة مصابيح» (رؤ ٤: ٥).

- وجاء المصباح على المجاز فى قول صاحب الأمثال: «الوصية مصباح والشريعة نور» (أم ٦: ٢٣).

٤ ـ كيف يكون العلم كفراً

يعترض على قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ (التوبة: ٣٧). أن النسىء الذى فى السنة القبطية من الحساب الفلكى.. فكيف يكون العلم كفراً؟

الرد على الشبهة

إن النسىء فى الآية هو ما كان يفعله المشركون من تبديل الأشهر الحرم مكان الأشهر الحلال ليستحلوا بذلك القتال فيها، ولا علاقة له بالأيام التى تضبط السنة القبطية للزراعة، ومن هنا يتبين مدى محاولة التلبيس والتدليس الذى يضحك منها العارفون مع جزمهم أن يصل الترصد ضد كلام الله سبحانه والعمل على أن لا يصل إلى الخلق باعتباره ـ الكلمة الأخيرة للعالمين ـ إلى هذا الحد الرخيص من التلاعب بالألفاظ والمصطلحات.

٥ ـ رى مصر بالغيث

إن أرض مصر تروى بالنيل، ولا تروى بالمطر. وفى القرآن: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: ٤٩).

وهذا يدل على غوثهم بالمطر. فكيف ينسب خصب مصر للغيث والمطر؟

الرد على الشبهة

هنا كلمتان:

١ ـ يغاث

٢ ـ يعصرون.

وكلمة الغوث على الحقيقة تدل على نزول ماء من السماء. وكلمة العصر على الحقيقة تدل على عصير العنب. لأن الشائع بين الناس فى العصر هو العنب. والمؤلف يوجه النقد على المعنى الحقيقى فى نزول المطر، ولم يوجه النقد لعصير العنب. وكلمة الغيث جاءت على الحقيقة مثل: «فامتنع الغيث ولم يكن مطرا (إرمياء ٣ : ٣)، وجاءت على المجاز مثل: «لأعرف أن أغيث المعيى» (إشعياء ٥٠ : ٤). أما

على المجاز فالشبهة منتفية. وأما على الحقيقة فهذا هو غرض المعترض وهو مغرض فى ذلك.

وذلك لأن الأمر كله خارج على المألوف. وبيان خروجه على المألوف: أن المدة خمس عشرة سنة. سبع شداد يأكلن سبعًا سمانًا أو: سبع سمان يأكلهن سبع عجاف. والسنة الأخيرة يأتى فيها الخير قليلاً. والمناسب لقلة الخير؛ نزول المطر. وقلة المياه تكفى لرى العنب والفواكه فى أماكن زراعته، وتكفى لإنبات قمح يكون بذره بذرا للسنوات الآتية التى سيكثر فيها ماء النيل. وهذا أمر غير مستبعد فى العقل. فكيف يكون شبهة؟

أما عن العصر. فإنه يكون على الحقيقة مثل: «فأخذت العنب وعصرته فى كأس فرعون، وأعطيت الكأس فى يد فرعون» (تكوين ٤٠ : ١١)، ويكون على المجاز مثل: «فألقاه إلى معصرة غضب» (رؤية ١٤ : ١٩).

وإذا ثبت وجود العصر، وليس لماء النيل وجود. فكيف حيى النبات وعاش؟ وفى السنوات السبع العجاف كانت سنابل القمح تخرج من الأرض خروجاً هزيلاً. فكيف خرجت وهى هزيلة والنيل لا يروى الأراضى؟

لابد من القول بوجود مصدر للمياه غير النيل. إما آبار عيون، وإما مطر. ففى حلم فرعون: «وهو ذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحد سمينة وحسنة. ثم هو ذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها» (تكوين ٤١ : ٥ ـ ٦)، وكرر الكلام وقال فيه: «نابتة وراءها» (تك ٤١ : ٢٣) كيف تكون نابتة وليس لماء النيل من سواقى؟

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: ٤٩)

٦ ـ الرعد ملك من الملائكة

إن فى القرآن أن الرعد يسبح الله. وإن فى الأحاديث النبوية أن الرعد ملك من ملائكة الله. ونحن نعلم أن الرعد هو الكهرباء الناشئة عن تصادم السحاب فكيف يكون الرعد ملكاً؟

الرد على الشبهة

إن المؤلف لا ينكر تسبيح الرعد لله؛ وذلك لأن فى التوراة أن الرعد يسبح لله. وكلُّ شىء خلقه؛ فإنه يسبحه. وإنما هو ينكر كون الرعد مَلَكًا. فمن أكّد له أن الرعد ملك؟ ليس فى القرآن أنه ملك.

والأحاديث النبوية تذكر أن للرعد ملكًا؛ وليس أن الرعد ملك، والفرق واضح. ففى التوراة عن التسابيح لله: «شعب سوف يُخلق؛ يسبح الرب»؛ يقصد شعب محمد ﷺ (مز ١٠٢ : ١٨)، وفى سفر الزبور: «تسبحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها» (مز ٦٩ : ٣٤). وفى سفر الزبور: « سبحوا الرب من السموات، سبحوه فى الأعالى، سبحوه يا جميع ملائكته، سبحوه يا كل جنوده، سبحيه يا أيتها الشمس والقمر، سبحيه يا جميع كواكب النور، سبحيه يا سماء السموات، ويا أيتها المياه التى فوق السموات. لتسبح اسم الرب. لأنه أمر فخُلقت، وثبتها إلى الدهر والأبد. وضع لها حدا فلن تتعداه.

سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج. النار والبرد. الثلج والضباب. الريح العاصفة كلمته، الجبال وكل الآكام، الشجر المثمر وكل الأرز. الوحوش وكل البهائم، الدبابات والطيور ذوات الأجنحة. ملوك الأرض وكل الشعوب، الرؤساء وكل قضاة الأرض. الأحداث والعذارى، أيضًا الشيوخ مع الفتيان. ليسبحوا اسم الرب؛ لأنه قد تعالى اسمه وحده. مجده فوق الأرض والسموات» (مز ١٤٨).

وفى الأناجيل الأربعة: «يسبحون الله بصوت عظيم» (لوقا ١٩ :٣٧)، «وهم يمجدون الله ويسبحونه» (لو ٢ : ٢٠)، «وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين: المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» (لو ٢ : ١٣)، وكان عيسى عليه السلام يسبح الله تعالى مع الحواريين. ففى

مرقس: «ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مر ١٤ : ٢٦)، وفى متى: «ثم سبَّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (متى ٢٦ : ٣٠). ومن يسبح الله كيف يكون هو الله أو إله مع الله؟.

وفى القرآن الكريم: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١)، وفى الزبور: «سبحوا اسم الرب. سبحوا يا عبيد الرب «إلى أن قال: «كل ما شاء الرب صنع فى السموات وفى الأرض. فى البحار وفى كل اللجج. المصعد السحاب من أقاصى الأرض. الصانع بروقا للمطر. المخرج الريح من خزائنه..»[1] (مز : ١٣٥).

٧ ـ الوادى طوى

إنه لا يوجد وادٍ اسمه «طوى» فى سيناء. فمن أين جاء به القرآن؟

الرد على الشبهة

إنه فهم من قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢) أن (طوى) اسم للوادى المقدس. وفهمه خاطئ. وذلك لأن الله لما عبر عن السموات بأنها ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) يعنى بذلك: أن لا إله غيره يملك من أمر السموات من شىء. عبر عن الأرض بأنها فى ملكه وليس لإله آخر فيها من شىء. فالطى فى السماء كناية عن القدرة والطى فى الأرض كناية عن القدرة. والكناية مناسبة للوادى المقدس؛ والمقصود الأرض كلها لئلا يُظن أن التقديس لغيره. وكرر الله المعنى فى السموات فقال: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) وشبهه أن تكون الأرض (طوى) أى فى قبضته. وفى الرسالة إلى العبرانيين: «وأنت يارب فى البدء أسست الأرض، والسموات هى عمل يديك. هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها؛ فتتغير، ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفنى» (عب ١: ٢٠ ـ ٢٢) فقد عبر عن طيها بطى الرداء. فيكون المعنى (إنك بالوادى المقدس الذى سيصير (طوى) بمعنى مطوى كما أن السماء ستكون مطوية بقدرته.

---

(١) فى سورة الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ (آية رقم ٢٢) ـ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ (آية رقم ٢١).

وهنا هو لا يعترض على القرآن بل على التفاسير، وهو جانب آخر من إعجاز القرآن يزيد فى إثباته وذلك أن كلام البشر من العلماء والمفسرين قد يختلف ويؤخذ منه ويُرد؛ ولكن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، شىء عجيب حقا ذلك القرآن الذى يقف أمام هؤلاء جميعاً بكل ذلك الفهم الخاطئ والتصيد المستمر وإذ به يتعالى عليهم ويبقى فى عليائه معجزاً للبشر إلى يوم الدين.

٨ـ هل الزيتون يخرج من طور سيناء، وهو يخرج من فلسطين، فكيف ذلك؟

الرد على الشبهة

أن سيناء من فلسطين وفلسطين والشام هى شمال مصر، وهذا المعنى يوجد فى التوراة ففى سفر الزبور: (سينا فى القدس) مز ٦٨ : ١٧.

ولا تعتمد التقسيمات السياسية الحديثة التى فصلت الديار بعضها عن بعض بل إن مصر فى الأصل كانت تمتد إلى هذا الحد، أما تقسيمات سايكس بيكو فلا يمكن تفسير النصوص المقدسة عليها.

٩ـ جبل قاف المحيط بالأرض كلها

إنه جاء فى القرآن الكريم: (سورة ق:١) ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ونقل من كتاب عرائس المجالس: أن معنى (ق) جبل يقال له جبل قاف. ونقل من كتاب قصص الأنبياء أن رسول الله ﷺ قال: إن أعلى قمة فى الأرض هى جبل قاف.

وقال المؤلف: إن الكلمة العبرانية «تاو» ومعناه «الخط» لما سمعها الصحابة لم يعرفوا أن معناها «الخط» بل توهموا أنها سلسلة جبال عظيمة اسمها قاف. فكيف يعتبر بعض القرآن ما نسميه الأفق ـ وهو خط وهمى ـ جبلاً حقيقيا؟

الرد على الشبهة

إن كلام مؤلف عرائس المجالس ليس حجة على صحة القرآن، وإن الأحاديث الموضوعة ليست حجة على صحة القرآن. ولم يجمع المسلمون على معنى (ق) فإن لهم فى المعنى آراء كثيرة. منها أن (ق) حرف من حروف الهجاء مثل الألف والباء والتاء.. إلخ. فاعتراض المؤلف على القرآن ليس فى موضعه.

حقائق حول الأنبياء والرسل والأعلام

١٠ ـ هامان وزير فرعون

ونعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى

جاء فى القرآن أن هامان كان وزيراً لفرعون. وهذا خطأ تاريخى؛ لأن هامان كان وزيراً لأحشويرش ملك الفرس فى مدينة بابل. وبين فرعون وأحشويرش زهاء ألف سنة.

الرد على الشبهة

من أعلم المؤلف بأن هامان كان وزيراً لفرعون؟ وهذا السؤال على معنى أن هامان اسم شخص. ولا أحد أعلمه بأن هامان اسم شخص إلا لرواة الذين لا يوثق بمروياتهم. وإذا أصر على أن هامان اسم شخص. فليسلم بأن فرعون اسم شخص. ومعلوم أنه لقب «الملك» كان لرئيس المصريين فى زمن يوسف ـ عليه السلام ـ وأن لقب «فرعون» كان لرئيس المصريين فى زمن موسى ـ عليه السلام ـ مما يدل على تغير نظام الحكم.

وإذا صح أن «هامان» لقب لكل نائب عن الملك، لا اسم شخص. فإنه يصح أن يطلق على النائب عن فرعون أو عن أى ملك من الملوك. وعلى ذلك يكون معنى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾(القصص: ٨) هو إن رئيس مصر الملقب بفرعون، ونائبه الملقب بهامان ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ومثل ذلك: مثل لقب الملك الذى يطلق على رؤساء البلاد؛ فإنه يطلق على رؤساء فارس واليونان ومصر واليمن وسائر البلاد، ولا يتوجه على إطلاقه خطأ من أخطاء التاريخ.

وفى الإنجيل أن اليهود كانوا يطلقون لقب «المضل» على من يخالفهم فى الرأى. وإذا أطلقه العبرانيون على رجل منهم يقولون له: يا سامرى، بدل قولهم يا مضل. وذلك لأنهم يعتبرون السامريين كفاراً. وإذا أطلقه السامريون على رجل منهم يقولون له: يا عبرانى، بدل قولهم يا مضل. وذلك لأنهم يعتبرون العبرانيين كفاراً. وإذا سمع العبرانى عنهم كلمة «سامرى» لا يفهم منها أنها اسم شخص، وإنما يفهم منها أنها لقب للذم. وعن هذا المعنى جاء فى إنجيل يوحنا أن علماء اليهود قالوا

لعيسى - عليه السلام -: «إنك سامرى، وبك شيطان» ورد بقوله: «أنا ليس بى شيطان، لكنى أكرم أبى وأنتم تهينونى. أنا لست أطلب مجدى. يوجد من يطلب ويدين» (يو ٨: ٤٨ - ٥٠).

١١ - قارون وهامان مصريان

إن قارون يهودى، وفرعون مصرى، وهامان فارسى فكيف قاوم هامان نبى الله موسى وهو لم يكن فى زمانه؟

الرد على الشبهة

إن هامان ليس اسم شخص، وإنما هو لقب يدل على نائب الرئيس. وبهذا المعنى يكون هامان - أى النائب عن فرعون - قد قاوم نبى الله موسى عليه السلام.

١٢ - العجل الذهبى من صنع السامرى

ونعود إلى الموضوع مرة أخرى

إن مدينة السامرة فى فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر، مع موسى، وسكنوا أرض سيناء. وفيها عمل لهم هارون العجل الذهبى كطلبهم. فكيف نتخيل سامريا يضع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود؟

الرد على الشبهة

١ - إنه ليس فى فلسطين مدينة تسمى بمدينة السامرة. وإنما كان للسامريين مملكة فى فلسطين، عاصمتها «نابلس» المسماة قديماً «شكيم» وكانت هذه المملكة مكونة من عشرة أسباط. وكان للسبطيين مملكة فى فلسطين عاصمتها «القدس» المسماة قديماً «أورشليم».

- ولما صعد موسى عليه السلام إلى جبل الطور وتلقى التوراة، نزل فوجد اليهود يعبدون عجلاً جسداً له خوار. فسأل عن ذلك فدلوه على من أغراهم بعبادته. فأمسك به وسأله (ما خطبك يا سامرى) أى ما هذا الذى فعلته أيها المضل؟ لأن كلمة (سامرى) تطلق على المضل. ولا تطلق على شخص كاسم من الأسماء.

وبهذا المعنى لا يكون الذى أضلهم رجل مسمى بالسامرى، حتى يتوجه الإشكال. وإلا يلزم أن يكون السامرى من أسماء المسيح عيسى - عليه السلام - فإن اليهود قالوا له: «إنك سامرى، وبك شيطان» (يو ٨: ٤٨).

١٣ - أبو إبراهيم آزر

إن فى التوراة أن أبا إبراهيم اسمه تارح. وقد أخطأ القرآن فى قوله إن أباه اسمه آزر.

الرد على الشبهة

ونعود فنقول

إن الأنساب مختلفة بين التوراة السامرية والعبرانية واليونانية. وإن عدد السنين لكل أب من آدم إلى إبراهيم مختلف فيه بين نسخ التوراة الثلاثة، ولوقا كاتب الإنجيل أزاد على الأسماء قينان. نقلاً عن اليونانية. ومعنى هذا أنه كان يجب على المؤلف تصحيح كتبه قبل أن يوجه نقده. ولذلك جاء فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ **(النمل: ٧٦)**.

١٤ - مريم العذراء بنت عمران

إن القرآن نسب مريم العذراء إلى عمران أبى موسى النبى. وقال: إنها أخت هارون النبى - عليه السلام - وهذا يخالف ما جاء فى إنجيل لوقا أنها بنت هالى (لوقا ٣: ٢٣) ويخالف التاريخ لأن بين مريم وهارون ألف وستمائة سنة.

الرد على الشبهة

إن المؤلف نقل عن الإنجيل أن مريم بنت هالى. ونقله خطأ. والنص هو: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة. وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف» إلى أو أوصل نسبه إلى «ناثان بن داود» عليه السلام. وهذا النص لا يدل على أنه نسب مريم كما قال المؤلف، وإنما يدل على أنه نسب المسيح. فكيف يكذب القرآن بنسب ليس لها؟ وكيف ينسبون المسيح

إلى يوسف بن هالى. وفى الإنجيل أنه لا أب له ولا سبط له؟ ذلك قوله عن يوسف: «ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر» (متى ١ : ٢٤)، وكيف يكذبون القرآن بنسب على سبيل الظن؟ ذلك قوله: «وهو على ما كان يظن» وفى إنجيل متى أن المسيح ابن يوسف بن يعقوب بن متان بن اليعازر بن آليود. إلى أن أوصل نسبة إلى سليمان - عليه السلام - (متى: ١).

والحق: أن مريم ابنة عمران الأب المباشر لموسى - عليه السلام - وهو أب مباشر لموسى، وهو أب لمريم لأنه رئيس العائلة التى تناسلت هى منها. وهارون بن عمران. وهى من نسل هارون - عليه السلام - فيكون هو أخوها على معنى أنها من نسله. أما أبوها المباشر فاسمه «يهويا قيم» وأمها اسمها «حنة» كما جاء فى إنجيل يعقوب الذى لا يعترف به النصارى.

والنسب هكذا

إبراهيم - إسحاق - يعقوب - لاوى وهو الابن الثالث ليعقوب. وأنجب لاوى ثلاثة هم جرشون وقهات ومرارى. وبنو قهات عمرام ويصهار وحبرون وعزئييل. وبنو عمرام هارون وموسى ومريم. وقد وصى موسى عن أمر الله تعالى أن تتميز الأسباط التى تريد الإرث فى بنى إسرائيل. وذلك بأن تتزوج كل بنت فى سبطها. ففى سفر العدد: «وكل بنت ورثت نصيباً من أسباط بنى إسرائيل؛ تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها؛ لكى يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه» (عدد ٣٦ : ٨). ووصى بأن يتفرغ سبط لاوى للعلم والدين، ولا يكون له نصيب فى الأرض، وإنما يسكن بين الأسباط فى مدنهم، ووصى بأن تكون الإمامة فى نسل هارون وحده. وعلى هذه الشريعة نجد فى بدء إنجيل لوقا: أن «أليصابات» زوجة زكريا - عليه السلام - كانت من نسل هارون من سبط لاوى، وكان زكريا من نسل هارون من سبط لاوى. وتزوجت أليصابات زكريا. وأن مريم العذراء كانت قريبة لأليصابات. وإذا ثبت أنها قريبة لها؛ يثبت أن مريم هارونية من سبط لاوى. يقول لوقا: «كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا، وامرأته من بنات هارون، واسمها أليصابات.. إلخ» ويقول لوقا: «وهو ذا أليصابات نسيبتك... إلخ»؛

قال لها الملاك ذلك وهو يبشرها بالحمل بعيسى - عليه السلام - فإذا صح أنها قريبة لها ونسيبة لها. فكيف يخطئ المؤلف القرآن فى نسبتها إلى هارون - عليه السلام - ؟ وفرقة أبيا هى فرقة من بنى هارون، وهى الفرقة الثامنة من الفرق التى عدها داود - عليه السلام - للعمل فى المناظرة على بيت الرب. وخبرهم فى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول.

١٥ - يوسف هم بالفساد

إن يوسف - عليه السلام - هم بالمرأة وهمت به حسبما جاء فى القرآن. وأنه لم يهم بها ولم تهم به حسبما جاء فى التوراة. وما جاء فى التوراة هو المناسب لأحوال الأنبياء.

الرد على الشبهة

ونعود للرد على هذه الشبهة

١ - يوجد فرق بين رجل عرف الله ورجل لم يعرفه. فالعارف بالله لا يقدم على معصية لله ولا يقدم على ضرر للبشر. والذى لا يعرفه لا يستحى أن يفعل ما يشاء من المعاصى والضرر. وعلى هذا المعنى يوجد فرق بين امرأة العزيز التى تعبد مع قومها غير الله وبين يوسف - عليه السلام - الذى عرف ربه بواسطة البراهين التى قادت إلى معرفته فى كونه، وبما سمعه عن الله من آبائه. فامرأة العزيز همت به أن يفعل الفاحشة بها، وهو قد قال لها: (معاذ الله) وعلل عدم الفعل بأنه يكون مسيئاً لمن أحسن إليه. وهو سيده. والإساءة إلى المحسن نوع من أنواع الظلم.

٢ - انظر إلى قوله: (وراودته) وإلى قوله (معاذ الله) تجد أنها لما راودته (همت به) فيكون الهم منها بمعنى طلب فعل الفاحشة. وتجد أنها لما (همت به) صار منه هم بها. يفسره قوله (معاذ الله) كما فسر همها (وراودته) فيكون همه بها؛ دفعاً لها وامتناعاً عنها.

٣ - ولو فرضنا أن يوسف غير عارف بالله وغير مقر به مثلها؛ فإننا نفرض أنه لو همت به للفعل بها؛ لهم بها للفعل بها. ولولا أنه رأى برهان وجود الله فى كونه، لكان قد فعل بها. إذ هذا شأن الوثنيين. وكهذا البرهان؛ أريناه براهين فى الآفاق

وفى الأنفس ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ (يوسف: ٢٤).

٤ ـ ولا يمكن تفسير (برهان ربه) بعلامة مجئ سيده إلى بيته؛ لأنه لو ظهرت علامة مجىء سيده؛ ما استبقا الباب: هى للطلب، وهو للدفع. فاستباقهما معناه: أنها تغلق الأبواب وتمنع من الإفلات وهو يحاول الدفع، حتى أنها جذبته من خلف ظهره من ثوبه، وعندئذ ﴿أَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ (يوسف: ٢٥) وصرح بأنه غير مذنب، وشهد شاهد بالقرائن من أهل الشهادة أنه غير مذنب.

٥ ـ على هذا يكون القرآن مقرا ببراءة يوسف ـ عليه السلام ـ ويكون لفظ هم فى جانبه على سبيل المشاكلة لأنه صرح قبله بقوله ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾(يوسف: ٢٣).

١٦ ـ نوح يدعو للضلال

نوح يدعو للضلال

إن نوحاً ـ عليه السلام ـ قال لله تعالى: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾ (نوح: ٢٤)؛ فكيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالاً؟

الرد على الشبهة

إن نوحاً لم يدع ربه أن يزيد الناس ضلالاً، وإنما دعا على الظالمين من الناس. ومثل ذلك: ما فى التوراة عن الأنبياء فإنهم دعوا على الظالمين، ولم يدعوا على كل الناس. ففى المزمور الثامن عشر: «من الرجل الظالم تنقذنى» ـ «مثل طين الأسواق؛ اطرحهم» وفى الإنجيل يقول المسيح لله عن الذين آمنوا به: «احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى» (يو ١٧ : ١١) ولم يدع للكل.

١٧ ـ فرعون ينجو من الغرق

إن فى القرآن تناقض فى نهاية فرعون. ففى سورة يونس ٩٢: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ وهذا يدل على نجاته من الغرق، وفى سورة القصص ٤٠: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ وهذا يدل على غرقه.

الرد على الشبهة

إن المؤلف لم يفسر ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ على المعنى الظاهرى. وهو إبعاد الجثة عن الهبوط فى اليم، وتركها على الشاطئ حتى يضعها المحنطون فى المقبرة فيراها كل المصريين فيعتبروا ويتعظوا. وفسر على المعنى المجازى كناية عن إفلاته من الغرق. ووجه الشبهة على المعنى المجازى وليس على المعنى الحقيقى. والمعنى المجازى الذى به وجه الشبهة؛ موجود فى التوراة عن فرعون. ففيها أنه لم يغرق، وموجود فيها ما يدل على غرقه. وهذا هو التناقض الذى نسبه إلى القرآن. وسوف نبين ما فى التوراة من التناقض عن غرق فرعون. ونسأله هو أن يوفق بين المعنيين المتناقضين. وما يجيب به فى التوفيق؛ يكون إجابة لنا.

ففى الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج: «فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر. لم يبق منهم ولا واحد» وفى الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر: «تغطيهم اللجج. قد هبطوا فى الأعماق كحجر» وفى تفسير التوراة ما نصه: «ولا سبيل لنا هنا إلى الحكم بغرق فرعون، إذ لا دلالة عليه فى هذا النبأ، ولا من قول المرنم (مز ٨٧٨: ٥٣ و ١٠٦: ١١) وساق المفسرون أربع حجج على عدم غرقه. ومعنى قولهم: إن قول المرنم لا يدل على غرقه هو: أن داود - عليه السلام - فى المزمور ٧٨ والمزمور ١٠٦ قال كلاماً عن فرعون لا يدل صراحة على غرقه.

ونص ٧٨: ٣ هو «أما أعداؤهم فغمرهم البحر» ونص ١٠٦: ١١ هو «وغطت المياه مضايقيهم واحد منهم لم يبق».

هذا عن عدم غرق فرعون. وأما عن غرقه ففى المزمور ١٣٦: ١٥ «ودفع فرعون وقوته فى بحر يوسف؛ لأنه إلى الأبد رحمته» وفى ترجمة أخرى: «أغرق فرعون وجيشه فى البحر الأحمر إلى الأبد رحمته»[1] ومفسرو الزبور - وهم أنفسهم الذين صرحوا بعدم غرق فرعون - كتبوا عن فرعون: «فإن هذا الأخير قد حاول جهد المستطاع أن يرجع الإسرائيليين إلى عبوديتهم؛ فما تم له ما أراد، بل

---

(١) جمعية الكتاب المقدس فى لبنان سنة ١٩٩٣ م.

اندحر شر اندحار» انتهى.

ومن هذا الذى قدمته يكون من الواجب على المؤلف حل التناقض الموجود عنده فى أمر فرعون، قبل أن يوجه كلامه إلى القرآن.

١٨ ـ انتباذ مريم

إن فى القرآن: أن مريم انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا، واتخذت لها حجاباً من قبل أن تحبل بالمسيح. فلماذا انتبذت؟ هل كانت فى مشاجرة مع أهلها وهم المشهورون بالتقوى؟ ولماذا تسكن فتاة عذراء بعيدة عن أهلها؟

فى القرآن تناقض فى هذا المعنى. وهو أنه صرح بأنها كانت فى المحراب فى كفالة زكريا، وصرح بأنها انتبذت. أى خرجت منهم بعد مشاجرة.

وقال المؤلف: إن القرآن قد خالف الإنجيل فى مكان سكناها من قبل الحبل بعيسى ـ عليه السلام ـ ففى القرآن: أنها كانت تسكن فى محراب أورشليم، أو فى أى مكان مجهول. وفى الإنجيل أنها كانت تسكن فى «الناصرة» (لو ١: ٢٦ ـ ٢٣).

الرد على الشبهة

١ ـ جاء فى إنجيل يعقوب: أن مريم وهى فى سن الثالثة: ذهبت بها أمها بصحبة أبيها إلى «أورشليم» وسلماها إلى كهنة هيكل سليمان، وكانت علامات السرور تبدو عليها.

تركاها ورجعا إلى أورشليم، وعاشت مع الراهبات المنذورات إلى أن حبلت.

٢ ـ وإن أنت نظرت فى خريطة فلسطين. تجد حبرون أسفل أورشليم وقريبة منها، وتجد الناصرة على نفس الخط وبعيدة عن أورشليم. فتكون أورشليم غرب الناصرة، وشرق حبرون.

٣ ـ وفى الإنجيل: «وفى ذلك الوقت ولد موسى وكان جميلاً جداً. فربى هذا ثلاثة أشهر فى بيت أبيه. ولما نبذ؛ اتخذته ابنة فرعون، وربته لنفسها ابناً» (أعمال ٧: ٢١).

قوله «ولما نبذ» لا يدل على أن أهله كرهوه وإنما يدل على أنهم وضعوه فى التابوت وهم لوضعه كارهون. ومن ينتبذ عن قوم؛ لا يدل انتباذه عنهم على كرهه لهم، وإنما يدل على ابتعاده عنهم لسبب أو لأسباب. وإذ صح وثبت أن ابتعادها عنهم كان لعبادة الله؛ يثبت أنها لم تنبذ لمشاجرة.

٤ ـ وقد تبين أن «الناصرة» من نصيب سبط زبولون ـ وهو من أسباط السامريين ـ وهى من سبط يهوذا ـ على حد زعمه ـ فكيف تكون من سكان الناصرة؟ وإذا كانت من سكان الناصرة، فلماذا أتت إلى أورشليم لتعد مع سكانها. وسكان أورشليم من سبطى يهوذا وبنيامين؟ فالحق ما قاله القرآن أنها كانت هارونية. ومعلوم أن زكريا وامرأته ويوحنا المعمدان كانوا من التابعين لأهل أورشليم.

١٩ ـ مريم تلد فى البرية وليدها يكلمها من تحتها

لقد ولدت مريم السيد المسيح فى بيت لحم كما تنبأ أنبياء التوراة بذلك قبل حدوثه بمئات السنين، وليس بجوار جذع نخلة. ووضعت مريم وليدها فى مذود (لوقا ٢: ٢ ـ ٢٠) وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: وأن تهز جذع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من الجدول. فإذا مر بها أحد تقول: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ **(مريم: ٢٦)** فأين الصوم وهى الآكلة الشاربة المتكلمة؟

الرد على الشبهة

١ ـ ولادة المسيح فى بيت لحم ـ كما قال المؤلف ـ تدل على أن مريم من سكان الخليل التى هى حبرون، ولا تدل على أنها من سكان الناصرة. ففى خريطة فلسطين تجد بيت لحم تحت أورشليم، وبعدها حبرون. وعلى هذا تكون مريم بعد حملها بالمسيح وإحساسها بدنو الوضع. قد اتجهت إلى حبرون (فأجأها المخاض) عند بيت لحم. ولو كانت من الناصرة وأحست بالحمل وبالوضع. لاتجهت إلى الناصرة. وعندئذ يكون الوضع فى مكان بين أورشليم وبين الناصرة. فقولهم بالمخاض فى بيت لحم يصدق القرآن فى أنها كانت من نسل هارون الساكنين فى حبرون.

٢ ـ وقول المعترض: إن التوراة تنبأت بولادة المسيح فى بيت لحم. يقصد به ما جاء فى سفر ميخا وهو «أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأول» (ميخا ٥ : ٢٠) والنبوءة موضوعة وليست من النص الأصلى. بدليل: أن المسيح كان من الهارونيين من جهة أمه، وبيت لحم من مدن سبط يهوذا. ولو كان له أب لأمكن للنصارى نسبته إلى سبط أبيه. ولكنه لا أب له؛ فكيف ينتسب إلى سبط يهوذا أو غير سبط يهوذا؟ وبدليل: أن المتسلط على إسرائيل وهو النبى الأمى الآتى على مثال موسى. يكون ملكاً وفاتح بلاد. ولم يكن المسيح ملكاً ولا فاتح بلاد.. وبدليل: أن سفر ميخا مرفوض من السامريين. وبدليل أن شراح سفر ميخا يصرحون بالتناقض فيه. والنبوءة من مواضع التناقض التى صرحوا بها. يقول الشراح: «هناك تعليمان متشابكان فى كتاب ميخا: الأول: الله يدين شعبه ويعاقبه (ف ١ ـ ٣: ٦: ١ ـ ٧: ٧) الله يعد شعبه بالخلاص (ف ٤ ـ ٥ و ٧: ٨ ـ ٢٠) حين يعيده إلى حاله السابقة ويجعله بقيادة رئيس من نسل داود (٥: ١ ـ ٤).

٣ ـ وقد جاء فى إنجيل متى الأبوكريفى معجزة النخلة.

٤ ـ وكلام المسيح فى المهد جاء فى برنابا وفى إنجيل الطفولية العربى، وجاء فى تاريخ يوسيفوس.

٥ ـ وقال المعترض: إن المسيح كلم أمه من تحتها: أن تهز جذع النخلة.. إلخ. وهو قد قال بذلك على قراءة «مِن تحتها» والحق: أن الذى ناداها هو ملاك الله نفسه. وسياق الكلام يدل على أنه الملاك. فإنه قد قال لها: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ٢٦)، ولما حملته وانتبذت به وجاءها المخاض وتمنت الموت؛ عاد إلى خطابه معها فقال: ﴿أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: ٢١).

وأما كلام المسيح فهو لم يقل إلا ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٢٤ ـ ٢٦).

٦ ـ المعترض قد غالط فى نقل المعنى بقوله: «وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: أن تهز جذع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من الجدول؛ فإذا مر بها أحد تقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم:٢٦).

إذ مر بها أحد تقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٦) فأين الصوم وهى الآكلة الشاربة المتكلمة؟».

ووجه المغالطة: أنه يقول فإذا مر بها أحد تقول.. إلخ. والمعنى الصحيح: أنها لا تقول لكل أحد يمر عليها إنها صائمة عن الطعام والشراب. وإنما تقول: لا أتكلم مع أحد فى أمر ابنى فى هذه الأيام. فجملة (فإما ترين من البشر). جملة مستأنفة لا صلة لها بالطعام وبالشراب. وقولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ تعنى به المعنى المجازى وهو الإمساك عن الكلام بدليل: (فلن أكلم) ولم تقل فلن آكل.

٢٠ ـ لكل أمة رسول منها إليها

إنه جاء فى القرآن أن لكل أمة رسول منها. وهذا يناقض الكتاب المقدس فى أن الأنبياء والرسل هم من بنى إسرائيل وإليهم وإلى كل العالم. فإذا صدق ما فى القرآن فكيف لم يخرج للأمم فى إفريقيا وأوروبا وأمريكا واستراليا وآسيا: أنبياء منهم وإليهم؟ ولو كان لهذه الأمم أنبياء ـ منها وإليها ـ لجاز أن يكون للعرب رسول منهم.

الرد على الشبهة

إن كلمة الرسول تأتى على الحقيقة وتأتى على المجاز. فعيسى ـ عليه السلام ـ رسول على الحقيقة. وإذا هو أرسل واحداً من الحواريين إلى قرية من القرى فإنه يكون رسولَ رسولِ الله عيسى على المجاز. ففى إنجيل متى: «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: «إلى طريق أمم لا تمضوا».. (متى ١٠: ٥).

وابتداء الدعوة إلى الله كان فى زمن أنوش بن شعيب بن آدم، لقوله: «حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب» (تك ٤: ٢٦) وظل الحال على هذه الدعوة التى كانت

دعوة إلى مكارم الأخلاق وعدم سفك الدماء ظلماً إلى زمان نوح - عليه السلام - ولم يكن من المطعومات شىء محرم فلما خرج نوح من السفينة أعطاه الله شريعة فيها أن كل الطعام حلال، وأن يحب المرء لأخيه ما يحبه هو لنفسه، وليس فيها شريعة تبين أن هذا حلال وهذا حرام. ففى الإصحاح التاسع من سفر التكوين: «كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع..» وظلت شريعة نوح سائدة على العالم إلى أن جاء موسى - عليه السلام - وأعطاه الله التوراة (موعظة وتفصيلاً لكل شىء) وأمره أن يخصص سبط لاوى من بين الأسباط ليعرفها ويعرفها للناس.

وهذا الذى ذكرته هو ما يقول به أهل الكتاب جميعاً، ونص عليه أهل الكتاب فى كتبهم. وعنه فى القرآن الكريم: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٩٣) وهو حلال من أيام نوح - عليه السلام - وعلى ذلك نسأل المؤلف هذا السؤال وهو أن الناس من آدم أبى البشر إلى موسى الكليم كانت رسلهم من بنى إسرائيل أم من غير بنى إسرائيل؟ إن قلت إن رسلهم كانت من بنى إسرائيل يكذبك الواقع والكتب التى تقدسها، وإن قلت كانت من غير بنى إسرائيل فلماذا وجهت السؤال إلى المسلمين؟

أما من موسى إلى محمد ﷺ فإن علماء بنى إسرائيل من اللاويين والهارونين كانوا يبلغون التوراة لليهود وللأمم، وإذا انطلق واحد منهم إلى الأمم؛ فإنه يكون رسولاً إلى الأمم. ليس على الحقيقة، وإنما على المجاز بمعنى أنه رسولُ رسولِ الله موسى - عليه السلام - وظلوا على هذا الحال إلى زمان سبى بابل سنة ٥٨٦ ق. م فإنهم وهم فى بابل حرفوا التوراة، وقصروا شريعة موسى على اليهود من دون الناس، وابتعدوا عن دعوة الأمم، وتعصبوا لجنسهم وتآمروا على الأمم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: ٧٥).

ومن قبل سبى بابل كان علماؤهم يدعون العرب إلى الله على وفق شريعة موسى. فيكون العالم الداعى رسولاً مجازاً. وهكذا فى سائر بلاد العالم. أما من بعد السبى وتخلى العلماء عن الدعوة فإن كل أمة سارت على ما عندها من العلم. وقد وبخهم المسيح عيسى - عليه السلام - على إهمالهم فى دعوة الأمم بقوله: «لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون؛ لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس؛

فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون» (متى ٢٣: ١٣).

ثم حث أتباعه بالانطلاق إلى بلاد اليهود أولاً بأمرين هما أن يعلموا بالتوراة، وأن يستعدوا لتركها إذا ما ظهر محمد رسول الله الذى يبشر به.

وإذا فرغوا من دعوة اليهود فى بلادهم ينطلقون إلى الأمم، وسماهم رسلاً مجازاً. فقال: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون، اكرزوا قائلين: «إنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ١٠: ٥). وملكوت السماوات هو مجىء محمد ﷺ بعد مملكة الروم كما أنبأ النبى دانيال فى الإصحاح السابع من سفره.

٢١ ـ خلط الأسماء

ذكروا آيتين من سورة الأنعام، وأوردوا الشبهة على نص الآيتين حيث قالوا:

جاء فى سورة الأنعام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ **(الأنعام: ٨٤ ـ ٨٦)**.

والترتيب التاريخى هو

أيوب ـ إبراهيم وابن أخته لوط وابناه إسماعيل وإسحاق وحفيده يعقوب وابن حفيده يوسف ومن بعده موسى ـ هارون ـ داود ـ سليمان ـ إلياس ـ اليسع ـ يونس ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسى.

الرد على الشبهة

١ ـ إن الضمير فى (ومن ذريته يعود إلى نوح، ولا يعود إلى إبراهيم وذلك لأن لوطا ليس من ذرية إبراهيم، وإنما خرج معه مهاجراً إلى الله، بعدما آمن له. وفى التوراة «ولوطا ابن أخيه» (تك ١٢: ٥).

٢ - إن الترتيب التاريخى غير حاصل لأسباب منها: أنه يريد بيان فضلهم وصلاحهم؛ ليقتدى الناس بهم. وفى التوراة أنبياء لا يعرفون تواريخهم ولا يعرفون نسبهم، ومنهم «أيوب» فإن منهم من يقول إنه من العرب ومنهم من يجعله اسماً فرضيا. بل إن الأنبياء أصحاب الأسفار كإشعياء وإرمياء وملاخى وحبقوق وميخا؛ لا يعرفون هم أنفسهم السابق منهم عن اللاحق.

وقد جمعوا أسفارهم فى وقت واحد. ففى الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط سنة ١٩٩٣ م ما نصه: «كانت أول لائحة وضعت فى سبيل قانونية» العهد القديم وأسفاره تضم أسفار الشريعة الخمسة فى أيام عزرا (نح ٨: ١) حوالى عام ٤٠٠ ق. م زاد المعلمون الأسفار النبوية من يشوع والقضاة حتى إشعياء وإرمياء وحوالى سنة ٩٠ ق. م التقى معلمو الشريعة اليهود من مختلف البلدان، فى بلدة «يمنية الواقعة فى فلسطين» وثبتوا لائحة نهائية وكاملة للأسفار المقدسة.. إلخ[١].

٢٢ ـ أخنوخ وليس إدريس

إنه فى القرآن اسم إدريس. واسمه فى التوراة أخنوخ. وقال البيضاوى فى تفسيره: إن إدريس هو أخنوخ. ونحن نسأل من أين جاء فى القرآن اسم إدريس؟ والصواب أنه أخنوخ.

الرد على الشبهة

إن اسمه فى التوراة السامرية «حنوك» والنص هو:

«وسلك حنوك فى طاعة الله وفقد؛ إذ تولته الملائكة» (تك ٥: ٢٤) والتوراة اليونانية تضيف حرف السين فى آخر الاسم ليعلم أنه اسم مثل يوسيفوس - إدريانوس. وإدريس؛ فى آخره السين، وكذلك يونس. وهو فى العبرى يونان. وعيسى - عليه السلام - فى اليونانى «إيسوس»، وفى العبرى «يهو شوع» وينطق أحياناً «أيشوع» و «يسوع».

وأخنوخ له سفر لا يعترف به النصارى. ومع ذلك نقل منه يهوذا فى رسالته:

---

(١) ص ٣ الكتاب المقدس طبعة لبنان سنة ١٩٩٣ م.

«انظروا جاء الرب مع ألوف قديسيه؛ ليحاسب جميع البشر، ويدين الأشرار جميعاً على كل شر فعلوه، وكل كلمة سوء قالها عليه هؤلاء الخاطئون الفجار» (يهو ١: ١٤ ـ ١٥).

وهذا النص يثبت أن كل امرئ بما كسب رهين، خلافاً لاعتقاد النصارى فى موت المسيح على الصليب ليكفر عن خطايا آدم.

ومفسرو التوراة يستدلون من نقله على ثبوت الحياة من بعد الموت ورأى فيلبسون من قوله «الله آخذه» أن ذلك تلطف بالتعبير عن الوفاة قبل إكمال العمر، وأن فى ذلك دليلاً على وجود حياة وراء هذه الحياة الأرضية. ونزيد على ذلك: أن نقل أخنوخ فى متوسط العصر الذى قبل الطوفان، وأن حياته كانت على الأرض ٣٦٥ سنة وهو عدد الأيام فى السنة الشمسية وكانت سنة العبرانيين ٣٥٤ يوماً وسنة الكلدانيين ٣٦٠ يوماً» انتهى.

٢٣ ـ نوح لم يتبعه الأراذل

إن فى القرآن أن نوحاً عليه السلام نجا معه جماعة من المؤمنين من غير أولاده. وهذا يخالف ما فى التوراة وما فى الإنجيل من أنه لم ينج معه من المؤمنين أحد غير أولاده. وأن القرآن بين أن الكافرين بنوح وصفوا المؤمنين به بأنهم أراذل.

الرد على الشبهة

١ ـ إن الذين خرجوا من السفينة حسب نص التوراة العبرانية:

١ ـ سام

٢ ـ حام

٣ ـ يافث

٤ ـ نوح

٥ ـ امرأته

٦ ـ زوجة سام

٧ ـ زوجة حام

٨ ـ زوجة يافث فيكون العدد ثمانية

٢ ـ والدليل على صحة ما فى القرآن: هو أن قابين لما قتل هابيل؛ ولد حنوك ولد عيراد، وعيراد ولد محويائيل، ومحويائيل ولد متوشائيل، ومتوشائيل ولد لامك، ولامك ولد يابال. الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاة المواشى. واسم أخيه يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار، واسم أخيه توبال قابين. الضارب كل آلة من نحاس وحديد (تكوين: ٤).

قوله عن الثلاثة: الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاة المواشى ـ الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار ـ الضارب كل آلة من نحاس وحديد؛ يدل على أنه كان من الناجين غير أبناء نوح. ولذلك قال مفسرو التوراة: «وسلالة قابين سلالة الحياة المدنية، وسلالة شعث سلالة الحياة القدسية».

٢٤ ـ تهاويل خيالية حول برج بابل

قال المؤلف: إنه جاء فى سورة النحل ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ **(النحل: ٢٦)** ثم قال: قال البيضاوى. قيل: المراد به نمرود بن كنعان فإنه بنى صرحاً ببابل.

الرد على الشبهة

إنه وجه الشبهة على كلام مفسر. وهذا المفسر لم يجزم بأن تفسيره هو الصحيح بدليل قوله: «قيل» فكيف يورد شبهة على كلام مفسر؟

٢٥ ـ اختراع طفل ينطق بالشهادة

إنه فى سورة يوسف ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ **(يوسف: ٢٦)** وذكر تفسير الشيخ البيضاوى وهو أنه قيل إنه ابن عم لها كان صبيا فى المهد.

الرد على الشبهة

إن المعنى المراد هو: وشهد شاهد من أهل الشهادة بقرينة الحال. ومع هذا فإنه لا يصح توجيه شبهة على قول مفسر، خاصة أنه قال: «قيل».

٢٦ ـ الكعبة بيت زحل

فى (سورة البقرة ١٢٥: ١٢٧) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

ثم قال: كيف تكون الكعبة بيت الله، وقد بنيت أول الأمر لعبادة كوكب زحل؟ واستدل على قوله هذا بأقوال مؤرخين.

وقال: إن فى الكتاب المقدس: أن إبراهيم دعى من «أور» الكلدانيين إلى أرض كنعان، وتعرب فيها.

الرد على الشبهة

١ ـ إن أقوال المؤرخين ليست حجة.

٢ ـ إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يدع من «أور» كما قال هذا المعترض. وإنما خرج من أرض آبائه وهو لا يعلم أين يذهب. ففى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين: «وقال الرب لإبرام: اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك؛ فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة» (تك ١٢: ٢) وكان خروجه عن «حاران» والدليل على أنه من «حاران»: «وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران» (تك ١٢: ٤) وفى سفر أعمال الرسل: «فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين، وسكن فى حاران» (أ ع ٧: ٤) ففى التوراة أنه خرج من حاران، وفى الإنجيل أنه خرج من أرض الكلدانيين. فأى النصين هو الصحيح؟

٢٧ ـ إسماعيل بين الأنبياء

إن القرآن ذكر أن إسماعيل كان (رسولاً نبيا) وفى التوراة أنه إنسان وحشى. وهذا تناقض.

الرد على الشبهة

١ ـ أما أنه كان رسولاً فهذا لا إشكال فيه. فإن الشريعة التى كان عليها هى شريعة نوح ـ عليه السلام ـ وكان يبلغها للناس كما يبلغها غيره.

٢ ـ وأما أنه كان نبيا فهذا هو الإشكال عند المؤلف، وهو ليس بإشكال.

لأن النبى هو المنبئ بغيب، ويقع الغيب من بعده كما أنبأ به. فلننظر فى إسماعيل ـ بحسب تفسير كلمة النبى عندهم ـ هل أنبأ بغيب أم لا؟ إنه من إبراهيم الذى سار مع الله، ودعا إليه، ورغب فيه. ولسيره، وعده الله بالبركة فى إسماعيل وإسحاق. والبركة ملك ونبوة وإذ وعد إسماعيل بنبى من نسله، وأنبأ بتحقيق هذا الوعد. ووقع كما قال. فإنه قد ظهر منه محمد ﷺ فإنه يكون نبيا ففى التوراة: «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة؛ ظهر الرب لأبرام وقال له: «أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملاً؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً» (تك ١٧: ١ ـ ٢) وعن البركة فى إسحاق: «وأباركها وأعطيك أيضاً منها أبناء أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون» (تك ١٧: ١٦)، وعن البركة فى إسماعيل: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جدا..» (تك ١٧: ٢٠) وقد قام ببركة إسحاق نبى الله موسى، وقام ببركة إسماعيل نبى الله محمد. وإسماعيل قد أنبأ به من قبل ظهوره.

٢٨ ـ أبناء يعقوب يطلبون أن يلعب يوسف معهم

إنه جاء فى سورة يوسف من القرآن الكريم أن إخوة يوسف احتالوا على أبيهم فى أخذ يوسف منه بقولهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ **(يوسف: ١٢)** وليس فى التوراة هذه الحيلة.

الرد على الشبهة

إن ما جاء فى القرآن، ولم يجئ فى التوراة؛ لا يدل على إيراد شبهة على القرآن، وذلك لأن نسخ التوراة الثلاثة العبرانية واليونانية والسامرية لا تتفق على القصة اتفاقاً تاما. ففى اليونانية صواع الملك. وليس فى العبرانية صواع الملك. ففى التوراة العبرانية ترجمة البروتستانت: «ولما كانوا قد خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا؛ قال يوسف للذى على بيته: ثم اسع وراء الرجال، ومتى أدركتهم فقل لهم: «لماذا

جازيتم شرا عوضاً عن خير؟ أليس هذا هو الذى يشرب سيدى فيه. وهو يتفاءل به؟ أسأتم فيما صنعتم» (تك ٢٤: ٤ ـ ٥) وفى الكتاب المقدس ترجمة ١٩٩٣ م بلبنان الصادر عن دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط: «فما أن خرجوا من المدينة، وابتعدوا قليلاً حتى قال يوسف لوكيل بيته: قم اتبع هؤلاء الرجال. فإذا لحقت بهم فقل لهم: لماذا كافأتم الخير بالشر؟ لماذا سرقتم كأس الفضة التى يشرب بها سيدى. وبها يرى أحوال الغيب؟ أسأتم فيما فعلتم».

فكأس الفضة فى نسخة، وهو غير موجود فى نسخ أخرى.

٢٩ ـ وليمة نسائية وهمية

إنه جاء فى سورة يوسف أن امرأة العزيز هيأت وليمة لبعض السيدات وأنهن قطعن أيديهن. وهذا غير معقول.

الرد على الشبهة

كانت دعوة موسى ـ عليه السلام ـ فى الأصل عالمية لليهود وللأمم. وكان فيها الدعوة إلى حميد الصفات. وكان فيها عدم احتقار اليهودى للأممى، وعدم التعدى على أمواله وحرماته. وكان فيها الحث على دعوة الأممى إلى معرفة الله وعبادته. وفى زمان سبى بابل حرف اليهود التوراة، وامتنعوا عن دعوة الأمم إلى معرفة الله، وأباح اليهود لأنفسهم أخذ الربا من الأمميين، والزنا بنسائهم، وسفك دمائهم وما شابه ذلك من الصفات الذميمة. وكتبوا ما يدل على ذلك فى التوراة، وحذفوا من التوراة حال تحريفهم لها ما يمنعهم عن ظلم الأمميين. ومن هذا الذى حذفوه: دعوة يوسف ـ عليه السلام ـ للمصريين الذين كانوا معه فى السجن إلى عبادة الله تعالى وترك الآلهة المتعددة، وحذف قول النسوة ليوسف: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ **(يوسف: ٣١)**. لأن هذا يتعارض مع تخليهم عن دعوة الأمم، ويتعارض مع ما اتفقوا عليه من العبث بنسائهم. وألا يكن هذا صحيحاً. فما هذه الترهات المكتوبة فى التوراة عن الأنبياء وغيرهم؟ ففى التوراة أن لوطاً ـ عليه السلام ـ زنا بابنتيه (تك ١٩) وأن سليمان ـ عليه السلام ـ أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون (الملوك الأول ١١).

وقال كاتب التوراة: إن سليمان - عليه السلام - هو ابن داود من زوجة أوريا الحثى، أى أنه تعدى على زوجة رجل من الأمم هو من قبيلة بنى حث وليس من اليهود، وإذا كان هذا هو المكتوب بغية التعدى على نساء الأمم؛ فإن العقل لا يتصور أن يضع فى التوراة عفة يوسف عن نساء الأمم. ولا يتصور العقل أن يكتب عن يوسف أنه فسر حلم الملك من قبل أن يخرج من السجن. لأنه لو كتب ذلك لكان معناه أن يوسف يحسن إلى من يسيىء إليه. وهو يريد لليهود أن يسيئوا لمن يحسن ولمن لا يحسن.

وإن أصر مورد الشبهة على إيرادها. ففى نسخ التوراة زيادة ونقص، وفى نسخ الإنجيل أيضاً. ومن أمثلة ذلك: المزمور المائة والحادى والخمسين؛ فإنه فى النسخة القبطية فقط.

٣٠ - عدم سجن بنيامين

إن فى القرآن أن يعقوب قال لأبنائه بعد رحيل بنيامين إلى مصر: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ (يوسف: ٨٣). وقال المؤلف: إن المفسر البيضاوى يقول: إنه يقصد بقوله (بهم جميعاً) يوسف وبنيامين وأخيهما الذى توقف بمصر.

وإن القرآن جعل عدد مرات مجىء إخوة يوسف لمصر أربع مرات بدل ثلاث كما جاء فى التوراة، وأن فى القرآن أن يوسف حبس بنيامين، وأن إخوة يوسف رجعوا إلى أبيهم بدون شمعون وبنيامين.

الرد على الشبهة

الخلاف بين التوراة وبين القرآن فى سرد حوادث القصة لا يدل على عيب فى القرآن، ويدل على ذلك: ما فى التوراة من زيادة ونقص فى النسخة الواحدة، وفى النسخ الثلاث. ومع هذا ففى التوراة ما يدل على ما جاء فى القرآن ومن ذلك:

١ - أن يوسف كان قد أنجب ولدين فى مصر هما أفرايم ومنسى (تك ٤٦: ٢٠) ويعقوب أبوه من الأنبياء الملهمين، ويدل على ذلك أنه يقول: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ (يوسف: ٩٤). - ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن

رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧) فإذا قال (بهم) بضمير الجمع. وقد صرح من بعد بفقد اثنين هما: يوسف وأخيه فقط؛ لا يدل ضمير الجمع على ولد ثالث محبوس فى مصر، وإنما يدل على ولدى يوسف.

٢ ـ أن فى التوراة ما يدل على سجن بنيامين وهو أنه لما دبر حيلته فى استبقائه وتمت الحيلة، طلبوا منه أن يطلقه فرد عليهم بقوله: «حاشا لى أن أفعل هذا. الرجل الذى وجد الكأس فى يده؛ هو يكون لى عبداً، وأما أنتم فاصعدوا بسلام إلى أبيكم» (تك ٤٤: ١٧).

فقوله: «هو يكون لى عبداً» معناه: أنه استبقاه فى مصر».

٣ ـ وفى التوراة ما يدل على بقاء كبيرهم فى مصر، مع يوسف وبنيامين. وكبيرهم هو «رأوبين» لا شمعون كما قال المؤلف إنه أخذه رهينة، ولا يهوذا كما قال كاتب التوراة.

ومما يدل على بقاء كبيرهم: أنه استعطف يوسف بقوله: «فالآن ليمكث عبدك عوضاً عن الغلام عبداً لسيدى، ويصعد الغلام مع إخوته؛ لأنى كيف أصعد إلى أبى والغلام ليس معى؟ لئلا أنظر الشر الذى يصيب أبى» (تك ٤٤: ٣٣ ـ ٣٤).

٣١ ـ قميص سحرى

إنه جاء فى القرآن أن قميص يوسف لما رآه يعقوب؛ أتى بصيراً إلى مصر مع أهله، وقد كان قد عمى من الحزن.

ونقل من كتب التفسير أنه كان قميص إبراهيم.. إلخ.

واستبعد شفاء يعقوب برؤية القميص.

الرد على الشبهة

إن التوراة مصرحة بعمى يعقوب، وأنه سيبصر إذا وضع يوسف يده على عينيه. ذلك قوله: «أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك» (تك ٤٦: ٤) هذه ترجمة البروتستانت. وفى ترجمة الكتاب المقدس بلبنان:

«أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك منها. ويوسف هو يغمض عينيك ساعة تموت» فيكون النص فى عدم العمى صراحة فى هذه الترجمة.

واتفقت التراجم على ضعف بصر يعقوب «وكانت عينا يعقوب كليلتين من الشيخوخة، ولم يكن يقدر أن يبصر» (تك ٤٨: ١٠).

واستبعاد شفاء يعقوب برؤية القميص؛ لا محل له. وذلك لأن فى التوراة من هذا كثير. فنبى الله اليسع - عليه السلام - لما مات ودفنوه فى قبره؛ دفنوا معه بعد مدة ميتاً. فلما مست عظامه اليسع؛ ردت إليه روحه. وهذا أشد فى المشابهة من قميص يعقوب ففى الإصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الثانى: «ومات اليشع فدفنوه. وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة، وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة؛ فطرحوا الرجل فى قبر اليشع. فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع؛ عاش وقام على رجليه» (٢ مل ١٣٢: ٢٠ - ٢١).

٣٢ - ابنة فرعون أو زوجته

إن فى القرآن أن امرأة فرعون هى التى التقطت موسى - عليه السلام - ويقول: إن فى التوراة أن الملتقطة له هى ابنة فرعون وليست امرأته. وهذا تناقض.

الرد على الشبهة

إن كلمات التوراة مشكوك فيها. والدليل على ذلك: أن اسم الرجل فى موضع، يأتى فى موضع آخر باسم آخر. وكذلك المرأة. وهذا يتكرر كثيراً. فإسماعيل - عليه السلام - كانت له ابنة اسمها «محلث» وتزوجت «العيس» بن إسحاق - عليه السلام - (تك ٢٨: ٩) وفى ترجمة لبنان «محلة» وفى نفس الترجمة «وبسمة» وفى ترجمة البروتستانت «بسمة» (تك ٣٦: ٣).

وفى كتب تفسير التوراة تصريح بكلمات ملتبسة مثل «ثم يذبحه كل جماعة إسرائيل فى العشية» (خر ١٢: ٦) يقولون: «العشية» هذه اللفظة ملتبسة.. «والشيخ الكبير فى أرض مدين مختلف فى اسمه. ففى الخروج (٢: ١٨) «رعوئيل» وفى الخروج (٤: ١٨) «ثيرون» والابن الأول لموسى فى ترجمة «جرشوم» وعند يوسيفوس «جرشام» وفى ترجمة السبعين «جرسام» (خر ٢: ٢٢).

٣٣ ـ طرح الأولاد فى النهر صدر قبل ولادة موسى لا بعد إرساله

إن فى سورة الأعراف: أن الملأ من قوم فرعون بعد ولادة موسى وظهور نبوته قالوا لفرعون: أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض؟ وقد رد عليهم بقوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾

(الأعراف: ١٢٧).

وفى سورة القصص: أن قتل الأبناء واستحياء النساء كانا من قبل ولادة موسى وهذا تناقض.

الرد على الشبهة

إن قتل الأبناء واستحياء النساء كانا من قبل ولادة موسى - عليه السلام - وهو فيما بعد يهدد باستمرار القتل والزيادة فيه.

٣٤ ـ صداق امرأة موسى

إن فى سورة القصص أن موسى أصدق امرأته من مدين خدمة ثمانى أو عشر لأبيها. وفى التوراة أنه كان له سبع بنات لا اثنتين، وأنه لم يصدق المرأة. لا بالخدمة ولا بما يقوم مقامها.

الرد على الشبهة

هب أنه كان عنده سبعة. وقدم له اثنتين لائقتين بحاله لينتقى واحدة منهما. فما هو الإشكال فى ذلك؟ وحال يعقوب مع خاله «لابان»، كحال موسى مع كاهن مديان. فإنهما كانا يتعيشان من رعى الغنم. وخدم يعقوب خاله سبع سنين صداقاً لابنته الأولى «ليئة» وخدم سبع سنين أخرى صداقاً لابنته الأخرى «راحيل» وموسى هارب من أرض مصر بلا مال. فكيف يتزوج فى أرض غريبة بلا مال.

وفى النص ما يدل على ما اتفقا عليه. وهو «فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صفورة ابنته» ارتضى على ماذا؟ ولماذا قال بعد الارتضاء: «فأعطى موسى صفورة ابنته»؟ والنص كله هو: «وكان لكاهن مديان سبع بنات.

فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن. فأتى الرعاة فطردوهن. فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن.

فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن فى المجئ اليوم؟ فقلن: رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة، وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم. فقال لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفورة ابنته» (خر ٢ : ١٦) وفى النص السامرى: «فلما أمعن موسى فى السكنى مع الرجل؛ أعطاه صفورة ابنته لموسى زوجة».

٣٥ ـ لم ترث إسرائيل مصر

إن فى القرآن أن بنى إسرائيل ورثوا أرض مصر بعد هلاك فرعون. وهذا خطأ فإنهم لم يرثوا إلا أرض كنعان.

الرد على الشبهة

١ ـ على قوله: إن دعوة موسى كانت خاصة لبنى إسرائيل. فإن حدود مصر تبدأ من «رفح» وهم يقولون: إن المواعيد هى من النيل إلى الفرات. فيكون الجزء من رفح إلى النيل داخلاً فى الإرث.

٢ ـ والإرث ليس لاستغلال خيرات الأرض وتسخير أهلها فى مصالح اليهود. ولكنه «إرث شريعة» فإن الله قال لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: «سر أمامى وكن كاملاً» (تك ١٧ : ١) أى امش أمامى فى جميع البلاد لدعوة الناس إلى عبادتى وترك عبادة الأوثان. وقد سار إبراهيم ودعا بالكلام وبالسيوف. ولذلك سر الله منه، ووعده بمباركة الأمم فى نسل ولديه إسحاق وإسماعيل. والبركة معناها: ملك النسل على الأمم إذا ظهر منه نبى. وسلمه الله شريعة. ولما ظهر موسى ـ عليه السلام ـ وسلمه الله التوراة. أمره بنشرها بين الأمم. وإذا نشرها بين أمة فإنه يكون وارثاً لهذه الأمة «إرث شريعة» إذ هو بنشرها يكون بنو إسرائيل والأمم متساوون أمام الله فيها. وما فائدة بنى إسرائيل إلا التبليغ فقط. وبه امتازوا عن الأمم. ويدل على ذلك: إرثهم لأرض كنعان ـ كما يقولون ـ فإنهم ورثوها لنشر شريعة التوراة فيها، وكان الإرث

على يد طالوت وداود - عليهما السلام - وقد قال داود - عليه السلام - لجالوت وهو يحاربه: إن الحرب للرب. أى أن القتال فى سبيل الله. ذلك قوله: «وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب؛ لأن الحرب للرب. وهو يدفعكم ليدنا» (صموئيل الأول ١٧: ٤٧).

وإذا أراد الله نسخ التوراة يكون معنى النسخ إزالة ملك النسل اليهودى عن الأمم ليقوم النسل الجديد بتبليغ الشريعة التى أقرها الله فيهم لتبليغها إلى الأمم. وهذا ما حدث فى ظهور الإسلام. فإن بنى إسماعيل - عليه السلام - حاربوا وملكوا ونشروا القرآن وعلموه للأمم. ولهم بركة. فإن الله قال لإبراهيم عن إسماعيل: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» (تك ١٧: ٢٠).

وفى التوراة عن بركة إبراهيم: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك ١٢: ٣) ومعنى مباركة جميع أمم الأرض فى إبراهيم: هو أن نسله يبلغون للناس شرائع الله.

وفى التوراة عن إرث بنى إسماعيل للأمم: «ويرث نسلك أمماً، ويعمر مدناً خربة» (إش ٥٤: ٣).

٣ - وكتب المؤرخين تدل على أن بنى إسرائيل أقاموا فى مصر. وقد نقل صاحب تفسير المنار فى سورة يونس عن يونانيين قدماء أن موسى - عليه السلام - رجع إلى مصر بعد هلاك جنود فرعون وحكم فيها ثلاث عشرة سنة.

٣٦ - ضربات مصر عشر لا تسع

إن فى التوراة أن الآيات البينات عشر. وفى القرآن تسع[1]. وهذا تناقض.

الرد على الشبهة

إن مفسرى التوراة صرحوا بالاختلاف فى عدد هذه الآيات. فالآية الثانية وهى الضفادع؛ يوجد من يقول إنها التماسيح.

---

(١) المقصود بالآيات التسع ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ سورة الإسراء: ١٠١، وقد ورد ذكر آية الطوفان فى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ سورة الأعراف: ١٣٣، أما بقية الآيات التسع فقد وردت فى آيات قرآنية أخرى.

والآية الثالثة قال بعضهم إنها ضربة القمل، وقال بعضهم إنها ضربة البعوض.

والآية الرابعة قال بعضهم إنها ذباب الكلب خاصة؛ وقيل مطلق ذباب.

٣٧ ـ الطوفان على المصريين

إن فى القرآن أن الآيات التسع فيها آية الطوفان، وليس فى التوراة هذه الآية.

الرد على الشبهة

إن مفسرى التوراة مختلفون فى البيان كما نقلنا عنهم سابقاً.

٣٨ ـ صخرة حوريب وليست آبار إيليم

جاء فى (سورة البقرة: ٦٠) ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾.

وفى التوراة الاثنتا عشرة عيناً فى «إيليم» وفى القرآن أنها فى «حوريب» وهذا تناقض.

الرد على الشبهة

لم يذكر القرآن أن الاثنتى عشرة عيناً فى «حوريب».

٣٩ ـ لوحا الشريعة

إن الله كتب لموسى فى الألواح من كل شىء. وهذا على ما فى القرآن وعلى ما فى التوراة كتب لوحين اثنين، وكتب عليهما الوصايا العشر فقط.

الرد على الشبهة

١ ـ إن الألواح الأولى قد كسرت. وحل محلها ألواح جديدة.

٢ ـ والألواح الأولى كانت مكونة من:

أ ـ لوحين للعهد للعمل بالتوراة.

ب ـ ومن عدة ألواح مكتوب عليها كل أحكام التوراة.

ففى الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج وما بعده إلى الإصحاح الرابع والعشرين كل أحكام التوراة وبعدها «فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام».

ثم صعد إلى جبل الطور فأعطاه الله:

أ ـ لوحى الحجارة.

ب ـ والشريعة والوصية.

ومن قبل نزوله من على الجبل؛ عبدوا العجل من دون الله.

ولما سمع موسى بالخبر كسر لوحى العهد فى أسفل الجبل. ولكن كاتب سفر التثنية يقول: «إنه كسر لوحين كان عليهما كل أحكام الشريعة وعليهما مثل جميع الكلمات التى كلمكم بها الرب فى الجبل من وسط النار فى يوم الاجتماع» (تث ٩: ١٠) ولا يمكن للوَّحَىْ العهد أن يحملا مع العهد كل أحكام الشريعة التى نزلت فى يوم الاجتماع».

ولما كسر الألواح. أعطى الله له بدلها ألواحا جديدة (خر ٣٢: ٢٩) والمكتوب على الألواح الجديدة؛ أحكام الشريعة الموجودة فى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية. وفيها: «لا تطبخ جديا بلبن أمه» والمناسب لأحكام الشريعة (الألواح) بالجمع. ومنها لوحى العهد.

٤٠ ـ هل طلبوا رؤية الله

إن فى القرآن أن بنى إسرائيل طلبوا رؤية الله. وفى التوراة أنهم قالوا لموسى: «تكلم أنت معنا، ولا يتكلم معنا الله؛ لئلا نموت» (خر ٢٠: ١٩) فعكس القرآن الموضوع.

الرد على الشبهة

إن المؤلف جاهل بما فى كتابه. وإن فيه:

أ ـ أن اليهود رأوا الله.

ب ـ وأن موسى طلب رؤية الله.

جـ ـ وأنهم طلبوا أن لا يروا الله.

أ ـ فموسى لما أخذ العهد على اليهود أن يعملوا بالتوراة، بكر فى الصاح وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل. وأخذ العهد. ثم قال الكاتب: «ثم صعد».

موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا» (خروج ٢٤: ٩ ـ ١١).

ب ـ وطلب موسى رؤية الله «فقال: أرنى مجدك» ورد عليه بقوله: «لا تقدر أن ترى وجهى. لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خر ٣٣: ١٨).

جـ ـ ولما تجلى الله للجبل؛ حدث من هيبته حال التجلى نار ودخان وارتجف كل الجبل جدا. فارتعب بنو إسرائيل من هذا المنظر، وقالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى؛ فليكن عن طريقك يا موسى ونحن لك نسمع ونطيع. فرد الله بقوله: أحسنوا فيما قالوا. وسوف أكلمهم فى مستقبل الزمان عن طريق نبى مماثل لك يا موسى من بين إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به (تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢).

٤١ ـ سليمان أو أبشالوم

إن داود وسليمان ـ كما فى القرآن ـ حكما فى الحرث، وإن سليمان راجع داود فى الحكم. ثم ذكر كلام المفسرين فى هذه القضية. وعقب عليه بقوله: القضية تليق بأبشالوم بن داود؛ لأنه كان دائماً يعارض أقوال أبيه ولا تليق بسليمان.

الرد على الشبهة

إن فى التوراة أن سليمان كان حكيماً. أحكم من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته. واللائق بحكمته هو الحكم فى الحرث. ففى الإصحاح الرابع من سفر الملوك الأول: «وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق، وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس من إيثان الإرزاحى، وهيمان وكلكول ودردع بنى ما حول، وكان صيته فى جميع الأمم حواليه وتكلم بثلاثة آلاف مثل، وكانت نشائده

ألفا وخمسا. وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان، إلى الزوفا الثابت فى الحائط، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته» (امل ٤: ٣٠ ـ ٣٤).

٤٢ ـ هاجر أو السيدة العذراء

إنه جاء فى سورة مريم: أن مريم لما حملت بالمسيح انتبذت به مكاناً قصيا. وعندئذ قد جعل الله لها تحتها سريا، أى نهرا جارياً لتشرب منه. وهذا فى التوراة عن هاجر أم إسماعيل؛ فإنها لما عطشت هيأ الله لها عين ماء. وقد وضعه القرآن على مريم.

الرد على الشبهة

إنه فسر السرى بالنهر الجارى. وليس كذلك. فإن الملاك ناداها بعدم الحزن؛ لأن الله قد جعل تحت كفالتها ورعايتها غلاماً سيكون سيداً. فالسرى هو السيد وليس هو جدول الماء. وقد تحقق هذا الوعد؛ فإن المسيح صار سيداً. أى معلماً للشريعة. وقال للحواريين عن هذا المعنى: «أنتم تدعوننى معلماً وسيداً. وحسناً تقولون؛ لأنى أنا كذلك» (يو ١٣: ١٣).

٤٣ ـ لم تنزل مائدة من السماء

إن فى سورة المائدة: أن الحواريين قد طلبوا مائدة من السماء. وأن الله قال (إنى منزلها عليكم) ولا يقول الإنجيل: إن تلاميذ المسيح طلبوا منه آية من السماء، ولا يقول: إن مائدة نزلت من السماء.

الرد على الشبهة

إن المعترض غير دارس للإنجيل وغير دارس للتوراة. وذلك لأن فى إنجيل يوحنا أن الحواريين طلبوا آية من السماء «فقالوا له: فأية آية تصنع؛ لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية. كما هو مكتوب أنه: «أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا» (يو ٦: ٣٠ ـ ٣١).

إنهم طلبوا مائدة من السماء؛ لأنهم قالوا: «آباؤنا أكلوا المن فى البرية» بعد قولهم «فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟» واستدلوا على أكل آبائهم للمن بقولهم مكتوب فى التوراة أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا. وهذا يدل على أن آباءهم أكلوا المن والسلوى فى سيناء. والنص هو: «وأمطر عليهم منا للأكل وبر السماء أعطاهم» (مزمور ٧٨: ١٩) فهل نزل المن من السماء؟ وقد سماه داود - عليه السلام - مائدة فى قوله عنهم: «قالوا: هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية؟» (مز ٧٨: ١٩) فمعنى نزوله من السماء: أنه من جهة الله لا من جهة إله آخر. ونص إنجيل يوحنا يبين أنهم طلبوا مائدة من السماء. ذلك قوله: «أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا» فإذا بارك الله فى طعام من الأرض ليشبع خلقاً كثيراً؛ فإنه يكون مائدة من السماء. كالمن النازل من السماء. وهو لم ينزل من السماء وإنما كان على ورق الشجر، وكالسلوى.

ومن أعجب العجب: أن مؤلف الإنجيل قال كلاماً عن المسيح فى شأن محمد رسول الله لا يختلف اثنان فى دلالته عليه ﷺ. وقد استدل المسيح فيه عليه ﷺ بنص فى الإصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء.

ويقول المعترض: ولعل قصة القرآن عن نزول مائدة من السماء نشأت عن عدم فهم بعض آيات الإنجيل الواردة فى متى ٢٦ ومرقس ٢٤ ولوقا ٢٢ ويوحنا ١٣. وغرضه من قوله هذا أن لا يعرف المسلمون موضع المائدة من الأناجيل لأنها بصدد كلام من المسيح فى شأن محمد رسول الله، وموضعها الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا.

٤٤ - قصة ذى الكفل

يقول المعترض: إنه جاء فى القرآن ذكر نبى اسمه (ذا الكفل) وليس فى التوراة مسمى بهذا الاسم. وذكر من كلام البيضاوى كلاماً فى شأنه، وذكر أيضاً كلاماً لغيره.

الرد على الشبهة

هو أنه جاء فى كتاب «نزهة المشتاق» ومؤلفه يهودى يحكى فيه تاريخ يهود العراق: أن (ذا الكفل) الذى ورد اسمه فى القرآن هو نبى الله حزقيال. وكان معاصراً لسبى اليهود فى بابل.

٤٥ ـ أصحاب الرس

جاء فى سورة الفرقان (وأصحاب الرس) ثم ذكر كلام البيضاوى المفسر، ووجه الإشكال عليه.

الرد على الشبهة

إن كلام المفسر ليس بحجة، ويوجد فى أرض العرب مدينة تسمى «مدينة الرس» وهذا يدل على ذكر اسم قديم فى بلاد العرب. ربما يكون من اسم الأوائل.

٤٦ ـ حتى لقمان نبى

إنه جاء فى القرآن ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ **(لقمان: ١٢)**. ونقل عن البيضاوى المفسر أنه كان معاصراً لداود ـ عليه السلام ـ وحرف المؤلف قول البيضاوى وهو أنه من أولاد آزر ابن أخت أيوب إلا أن لقمان كان معاصراً لأيوب. ووجه نقده على هذا بقوله كيف يكون معاصراً لأيوب وداود، وبين أيوب وداود ما يقرب من ٩٠٠ سنة؟ والبيضاوى لا يقصد معاصرته وإنما يقصد نسبه. ولم يقل البيضاوى إن لقمان كان نبيا ولم يقل القرآن وإنما قال ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ولكن المؤلف وجه الإشكال على النبوة فقال: فكيف يكون لقمان نبيا؟

الرد على الشبهة

إنه قال كيف يكون لقمان نبياً؟ وليس فى القرآن أنه كان نبياً وإنما كان حكيماً. واسمه «لوكيوس» فى اليونانى و «لقمان» فى العبرانية. وفى سفر أعمال الرسل: «وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ولوكيوس القيروانى ومناين..» (أ ع ١٣: ١) وفى سفر الرسالة إلى أهل روما: أنه كان معاصراً لبولس، وصديقاً له: «يسلم عليكم تيموثاوس العامل معى، ولوكيوس وياسون..» (رو ١٦: ٢١) واللغة اليونانية تضيف حرف السين فى آخر الاسم مثل يوسيفوس ـ هيرودس ـ أغسطس قيصر. بير كلينوس وهو اسم أحمد رسول الله فى إنجيل يوحنا. وفى العبرانية «يونان» بالألف والنون. وفى اليونانية «يونس».

٤٧ ـ الكعبة مقام إبراهيم

الكعبة مقام إبراهيم

إنه جاء فى القرآن أن الكعبة أول بيت وضع للناس. وأنها كانت مقام إبراهيم، ومعلوم أن الكعبة من بناء الوثنيين كما جاء فى الكتب التاريخية.

الرد على الشبهة

أولاً : إن الكعبة ليست من بناء الوثنيين كما جاء فى الكتب التاريخية التى لا يشك أحد فى أن لليهود دخلا فيها. وإنما هى من بناء نوح ـ عليه السلام ـ فإنه لما خرج من السفينة، ونجا من الغرق هو ومن آمن معه. بنى «مذبحاً» لذبح الحيوانات عنده قرباناً لله تعالى. ففى التوراة: «وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح» (تك ٨: ٢٠) وهذا المذبح كان فى أرض مكة المكرمة المدينة التى استقر الفلك فيها على الجودى. والدليل على ذلك قول التوراة: إن الناس من بعد نوح ارتحلوا شرقاً إلى أرض شنعار التى هى أرض العراق. فارتحالهم إلى الشرق إلى العراق يدل على أن السفينة كانت فى بلاد العرب. ذلك قوله: «وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة. وحدث فى ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار، وسكنوا هناك» (تك ١١: ١ ـ ٢).

وليس فى القرآن نصوص صريحة على أن العرب قد عبدوا الأصنام حتى يقال: إن الكعبة كانت لصنم زُحل. وفى التوراة نصوص صريحة على أن اليهود وأدوا نبيهم وبناتهم فى النار للعرافة والسحر وأنهم عبدوا الأصنام. بل وفى القرآن نصوص صريحة على أن اليهود عبدوا صنم البعل فى أيام إلياس ـ عليه السلام ـ ففى المزمور المائة والسادس: «وأهرقوا دماً زكيا. دم نبيهم وبناتهم الذين ذبحوا لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء» (مز ١٠٦: ٣٨). وفى الإصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء: «أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى، ورتبوا للسعد

الأكبر مائدة، وملأوا للسعد الأصغر خمراً ممزوجة..» (إش ٦٥ : ١١).

فى ترجمة الكتاب المقدس فى **الشرق الأوسط** سنة ١٩٩٥ م تحت كلمة السعد الأكبر: لجاد وهو المشترى، وتحت كلمة السعد الأصغر: لمنى وهو الزهرة. وفى ترجمة ١٩٩٥ م بلبنان: «ونسيتم جبلى المقدس. وهيأتم مائدة للإله جاد، ومزجتم الخمر للآلهة مناة» والتعليق عندهم **هكذا**: جاد ومناة إلهان عند الكنعانيين. هذا مما فى التوراة عن عبادة اليهود للأصنام ومما فيها: «بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا، وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ومذابح للتبخير للبعل» (إرمياء ١١ : ١٣). ويمكن الفهم من آيات فى القرآن أن العرب بنى إسماعيل - عليه السلام - لم يعبدوا الأصنام قط. فإبراهيم - عليه السلام - وهو يبنى الكعبة ولم يكن له من ولد غير إسماعيل، يطلب من الله طلبين فى ذريته:

أولهما: أن يجنبهم عبادة الأصنام، **وثانيهما**: أن يبعث فيهم نبيا منهم. وإذ شهد الواقع بتحقيق الطلب الثانى فإن محمداً قد أرسل؛ يكون الطلب الأول قد تحقق أيضاً. وفى القرآن أن الله قد عاهد إبراهيم وإسماعيل بتطهير الكعبة من الأصنام ولم يذكر أنهم نقضوا العهد. كما ذكر أن اليهود نقضوا فى قوله **﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٥)** وأما قوله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ﴾ (النجم: ١٩)** فإن فى التوراة أن اليهود عبدوا صنم مناة. والضمير فى (أفرأيتم) يحتمل أنه للعرب ويحتمل أنه لليهود. واحتمال عوده إلى اليهود أقوى لوجد شواهد فى التوراة عليه. ولا يقدر عاقل على اتهام بدليل محتمل. وأما قوله تعالى: **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨ - ٩)**.

ففى التوراة أن اليهود وأدوا بنيهم وبناتهم وليس فى القرآن نص صريح على نسبة الوأد إلى العرب

٤٨ ـ فرعون بنى برج بابل بمصر

إن فى القرآن أن فرعون طلب من هامان أن يبنى له برجاً. وهذا خطأ لأن البرج من بناء الناس فى «بابل» من بعد نوح.

الرد على الشبهة

ونعود للرد على تلك الشبهة

إن فرعون طلب من وزيره الملقب بهامان أن يوقد له على الطين ليجعل له صرحاً. ولم يرد فى القرآن أنه أوقد له على الطين وجعل له صرحاً. ولو أنه أوقد وجعل فما هو الدليل على أن صرح مصر هو برج بابل؟ ومن المحتمل أنه أراد ببناء الصرح؛ التهكم على موسى.

٤٩ ـ شاول الملك أو جدعون القاضى

جاء فى (سورة البقرة: ٢٤٧) ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾...إلخ.

وهذه القصة هى قصة طالوت وداود لما فتحا فلسطين. ووجه الإشكال أنه قال فيها: إن الله امتحن جيش طالوت بالشرب من النهر. والامتحان لم يكن لجيش طالوت وإنما كان لجيش جدعون وهو يحارب أهل مدين (قضاة ٧: ١ ـ ٨).

الرد على الشبهة

إن سفر القضاة سفر تاريخى، وسفر صموئيل الأول الذى أورد قصة طالوت وداود سفر تاريخى. فأى مانع يمنع من خطأ المؤرخ فى نقل جزء من قصة إلى قصة أخرى مشابهة لها. خاصة وأنه ليس معصوماً كالنبيين والمرسلين الحقيقيين؟

ولهذا أمثلة كثيرة منها أن هذا النص مذكور مرتين: مرة فى سفر الخروج، ومرة فى سفر التثنية من التوراة السامرية. ومذكور مرة واحدة فى سفر التثنية من التوراة العبرانية واليونانية. وهو: «نبيا أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك وجعلت خطابى بفيه، فيخاطبهم بكل ما أوصيه به. ويكون الرجل الذى لا يسمع من خطابه الذى

يخاطب باسمى؛ أنا أطالبه. والمتنبئ الذى يتقح على الخطاب باسمى ما لم أوصه من الخطاب، ومن يخاطب باسم آلهة أخرى؛ فليقتل ذلك المتنبئ. وإذ تقول فى سرك: كيف يتبين الأمر الذى لم يخاطبه الله؟ ما يقوله المتنبئ باسم اللهو لا يكون ذلك الأمر ولا يأتى؛ هو الأمر الذى لم يقله الله. باتقاح قاله المتنبئ. لا تخف منه».

٥٠ـ يتكلم فى المهد

إنه قد جاء فى القرآن أن المسيح قد تكلم فى المهد. وليس فى الأناجيل ما يدل على كلامه فى المهد.

الرد على الشبهة

إن مريم لم تكن مخطوبة ولا متزوجة. وقد أحصنت فرجها. أى منعت نفسها عن الزواج طيلة حياتها وسلكت فى سلك الرهبنة. ثم إنها ابنة كاهن من نسل هارون ـ عليه السلام ـ وابنة الكاهن إذا زنت فإنها تحرق بالنار. لما جاء فى سفر الأخبار: «وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنا؛ فقد دنست أباها، بالنار تحرق» (لا ٢١ : ٩). ومريم قد أتت بولد وهى غير متزوجة. وهذا هو دليل الاتهام فلماذا لم تحرق؟ إن عدم حرقها يدل على أن ابنها تكلم فى المهد. ومع ذلك فقد جاء فى بعض الأناجيل المرفوضة أنه تكلم فى المهد. ومن ذلك: «وبينما كانوا نياماً؛ حذرهم الطفل من الذهاب إلى هيرودس» (بر ٧: ١٠).

٥١ـ يصنع من الطين طيراً

إن القرآن يصرح بأن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير، وليس فى الأناجيل المعتمدة هذه المعجزة.

الرد على الشبهة

إن هذه المعجزة وردت فى إنجيل توما. فإنه قد صنع من الطين هيئة اثنى عشر عصفوراً، وأمرهم أن يطيروا؛ فطاروا والناس ينظرون إليهم.

٥٢ ـ إنكار الصلب

إن القرآن ينكر صلب المسيح. والتاريخ يثبته.

الرد على الشبهة

إن العلة المترتبة على صلب المسيح هى غفران خطايا من يؤمن به ربا مصلوبا والغفران لكل من كان فى المدة من آدم إلى المسيح إذا قدر أنهم لو كانوا له مشاهدين، لكانوا به مؤمنين. فهل هذه العلة صحيحة؟ بالتأكيد ليست بصحيحة. وذلك لأن آدم لما أخطأ هدته الحكمة أن يعترف بخطئه وأن يتوب. فتاب الله عليه. وإذ هو قد تاب، فأى فائدة من سريان خطيئة آدم فى بنيه؟ ففى سفر الحكمة: «والحكمة هى التى حمت الإنسان الأول أب العالم الذى خلق وحده لما سقط فى الخطيئة؛ رفعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شىء» (حك ١٠: ١ ـ ٢).

وفى التوراة: أن نجاة المرء من غضب الله يكون بالعمل الصالح حسبما أمر الله. ومن لا يعمل بما أمر الله؛ فإنه لا يكون له نجاة. ففى سفر الحكمة عن نوح ـ عليه السلام ـ وولده: «وعندما غاصت الأمم فى شرورها؛ تعرفت الحكمة برجل صالح، وحفظته من كل عيب فى نظر الله، وجعلته قويا يفضل العمل بأمر الله على الاستجابة إلى عاطفته تجاه ولده» (حكمة ١٠: ٥).

انظر إلى قوله «تجاه ولده» أى ولده الذى غرق لعدم إيمانه وعمله. وهذا النص من سفر الحكمة عن ولده» ليس له نظير فى قصة نوح الموجودة فى التوراة العبرانية. ويقول المسيح عيسى عليه السلام ـ: «كل كلمة فارغة يقولها الناس؛ يحاسبون عليها يوم الدين. لأنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان» (متى ١٢: ٣٦ ـ ٣٧).

وفى التوراة: «لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يقتل» (تث ٢٤: ١٦).

وفى الأناجيل أن المسيح بعد حادثة القتل والصلب؛ ظهر أربعين يوماً للحواريين، وتكلم عن ملكوت الله معهم. وهو ملكوت محمد رسول الله ﷺ ففى بدء سفر أعمال الرسل: «الذين أراهم أيضاً نفسه حيا ببراهين كثيرة بعدما تألم، وهو

يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله» (أ ع ١ : ٣) وظهوره وكلامه عن الملكوت، يدلان على استمراره فى الدعوة.

٥٣ ـ حول مدة خلق السموات والأرض

توضح كثير من سور القرآن أن السموات والأرض قد خلقت فى سته أيام. وهنا مشكلتان:

الأولى: أنه من الثابت علمياً أن خلق السموات والأرض قد استغرق بلايين السنين.

الثانية: أنه فى التعبير القرآنى نفسه كانت مدة الخلق ثمانية أيام بدلاً من ستة (فصلت: ٩ ـ ١٢).

فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات؟. (أ. هـ).

الرد على الشبهة

نعود فنقول

فى كثير من السور القرآنية تتحدث آيات كثيرة عن خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وتقدير ما فيهما فى ستة أيام.. ومن هذه الآيات:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: ٥٤).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (هود: ٧).

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الفرقان: ٥٩).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (السجدة: ٤).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (ق: ٣٨).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الحديد: ٤).

● وليس هناك تعارض بين تحديد زمن لخلق السموات والأرض فى ستة أيام، وبين ما يراه العلم من استغراق ذلك الخلق بلايين السنين، ذلك أن المدى الزمنى «لليوم» عند الله، سبحانه وتعالى ليس هو المدى الزمنى «لليوم» فى العرف والتقويم الذى تعارف عليه الإنسان فى هذه الحياة الدنيا. وفى القرآن الكريم آيات شاهدة

على ذلك منها:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

فبعض اليوم، فى حساب الإنسان - هنا - بلغ مائة عام.. أى قرابة ٣٧٠٠٠ يوم! وكذلك الحال فى قصة أهل الكهف.. فما حسبوه يوماً أو بعض يوم قد بلغ ثلاثمائة عام بالتقويم الشمسى وثلثمائة وتسعة أعوام بالتقويم القمرى.. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ (الكهف: ١٩).. ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾

(الكهف: ٢٥ - ٢٦).

● وكذلك الحال يوم ينفخ فى الصور - يوم البعث - يحسب بعض المجرمين أن مكثهم فى الدنيا لم يتجاوز عشر ليال.. بينما يحسب آخرون منهم أن مكثهم لم يتعد اليوم الواحد:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾

(طه: ١٠٢ - ١٠٤).

● أما عند الله، سبحانه وتعالى فإن لمصطلح «اليوم» مدى لا يعلم حقيقة طوله وأمده إلا هو: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧).

والآية لا تحدده بألف سنة مما نعد نحن فى تقويمنا.. وإنما تستخدم أداة

التشبيه - الكاف - (كألف) ليظل المدى غير معلوم لنا فى هذه الحياة.. وغير ممكن التحديد بواحداتنا نحن فى القياس الزمنى.

فيوم الدين - الجزاء -.. وأيام الله.. والأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض.. مداها - بمقاييس أيامنا نحن - لا يعلمها إلا الله، سبحانه وتعالى..

● ثم إن ما اكتشفه العلم من سرعات للصوت.. وسرعات للضوء.. وزمن للضوء - سنة ضوئية - يجعل تفاوت واختلاف المفاهيم والمقاييس لمصطلح «اليوم» أمراً مقرراً ومألوفاً.

هذه هى المشكلة الأولى من مشكلتى السؤال..

أما المشكلة الثانية - من مشكلتى السؤال - والخاصة بحديث بعض الآيات القرآنية عن أن الخلق للسموات والأرض قد يفهم على أنه قد استغرق ثمانية أيام، وليس ستة أيام.. وهى آيات (**سورة فصلت: ٩ - ١٢**) ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾.

هذه «المشكلة» لا وجود لها!.. فليس هناك تناقض ولا تفاوت بين المدة الزمنية التى جاءت فى هذه الآيات وبين الآيات الأخرى التى ورد فيها تحديد الأيام الستة.

ففى هذه الآيات - من سورة فصلت - نجد أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأنه: ﴿**خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾.

ثم ﴿**جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾ فى تمام ﴿**أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾.. أى فى يومين آخرين يضافان إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض، فيكون المجموع أربعة أيام.. وليس وارداً أن يكون خلق الرواسى وتقدير الأقوات قد استغرق أربعة أيام.. كما ذكرنا ذلك آنفاً.

ولعل الشبهة ـ التى جاءت فى السؤال ـ قد أتت من هنا.. أى من توهم إضافة أربعة إلى اليومين اللذين خلقت فيهما الأرض، فيكون المجموع ستة.. وإذا أضيف إليها اليومان اللذان خلقت فيهما السماء ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يكون المجموع ثمانية أيام، وليس ستة أيام.. لكن إزالة هذه الشبهة متحققة بإزالة هذا الوهم.. فالأرض خلقت فى يومين.. وخلق الرواسى وتقدير الأقوات قد استغرق ما تمم اليومين أربعة أيام.. أى استغرق هو الآخر يومين.. ثم استغرق خلق السموات السبع يومين.. فكان المجموع ستة أيام من أيام الله، سبحانه وتعالى..

ولقد نبه المفسرون على هذه الحقيقة ـ المزيلة لهذا الوهم ـ فقال القرطبى: «﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾. ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام وإلى الكوفة فى خمسة عشر يوما، أى فى تتمة خمسة عشر يوماً[1].

وقال الزمخشرى:

«﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ فذلكة[2] لمدة خلق الله الأرض وما فيها، كأنه قال: كل ذلك فى أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان.. وقال الزجاج: فى تتمة أربعة أيام، يريد بالتتمة اليومين»[3].

فهذه الآيات ـ من سورة فصلت ـ تؤكد هى الأخرى ـ على أن خلق السموات والأرض إنما تم فى ستة أيام.. ومن ثم فلا تناقض بين آيات القرآن ولا تفاوت فى مدة الخلق الإلهى للسموات والأرض.. وحاشا أن يكون شىء من ذلك فى الذكر الحكيم.

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٥ ص ٣٤٣ ـ مصدر سابق.

(٢) الفذلكة: جملة ما فصل وخلاصته.

(٣) (الكشاف) ج ٣ ص ٤٤٤ ـ مصدر سابق.

٥٤ ـ حول غروب الشمس فى عين حمئة ومخالفة ذلك للحقائق العلمية

تغرب الشمس فى عين حمئة، حسب القرآن (الكهف: ٨٦) وهذا مخالف للعلم الثابت. فكيف يقال إن القرآن لا يتناقض مع الحقائق العلمية الثابتة؟ ا.هـ.

الرد على الشبهة

فى حكاية القرآن الكريم لنبأ «ذو القرنين» حديث عن أنه إبان رحلته:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾

(الكهف الآية: ٨٦).

والعين الحمئة، هى عين الماء ذات الحمأ، أى ذات الطين الأسود المنتن.

ولما كان العلم الثابت قد قطعت حقائقه بأن الأرض كروية، وأنها تدور حول نفسها وحول الشمس، فإن غروب الشمس ليس اختفاء في عين أو غير عين، حمئة أو غير حمئة.. والسؤال: هل هناك تعارض بين حقائق هذا العلم الثابت وبين النص القرآنى؟.

ليس هناك أدنى تعارض ـ ولا حتى شبهة تعارض ـ بين النص القرآنى وبين الحقائق العلمية.. ذلك أن حديث القرآن هنا هو عن الرؤية البصرية للقوم الذين ذهب إليهم ذو القرنين، فمنتهى أفق بصرهم قد جعلهم يرون اختفاء الشمس ـ غروبها ـ فى هذه البحيرة ـ العين الحمئة ـ.. وذلك مثل من يجلس منا على شاطئ البحر عند غروب الشمس، فإن أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص ـ رويدًا رويدًا ـ فى قلب ماء البحر.

فالحكاية هنا عما يحسبه الرائى غروبًا فى العين الحمئة، أو فى البحر

المحيط.. وليست الحكاية عن إخبار القرآن بالحقيقة العلمية الخاصة بدوران الأرض حول الشمس، وعن ماذا يعنيه العلم فى مسألة الغروب.

وقد نقل القفال، أبو بكر الشاشى محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر (٤٢٩ـ٥٠٧ هـ/ ١٠٣٧ ـ ١١١٤م) عن بعض العلماء تفسيرًا لهذه الرؤية، متسقًا مع الحقيقة العلمية، فقال: «ليس المراد أنه (أى ذو القرنين) انتهى إلى الشمس مشرقًا ومغربًا حتى وصل إلى جرْمها ومسَّها.. فهى أعظم من أن تدخل فى عين حمئة، كما أنا نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض، ولهذا قال: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ **(الكهف الآية: ٩٠)**. ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسّهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم» [١].

فالوصف هو لرؤية العين، وثقافة الرائى.. وليس للحقيقة العلمية الخاصة بالشمس فى علاقتها بالأرض ودورانها، وحقيقة المعنى العلمى للشروق والغروب.

فلا تناقض بين النص القرآنى وبين الثابت من حقائق العلوم..



(١) القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) ج ١١ ص ٤٩، ٥٠ ـ مصدر سابق .

٥٥ـ الإنسان على القمر

وجاءوا أيضاً بشىء قامت حوله ضجة عظيمة، حينما وصل الإنسان إلى سطح القمر، فبعضهم أنكر ذلك، وبعضهم أراد أن يدخلها فى مدلول القرآن.. من قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ **(الرحمن الآية: ٣٣)**.

هلل كثير من المسلمين وقالوا: إن القرآن قد تنبأ بوصول الإنسان إلى القمر بهذه الآية، وهو يريد إخلاصاً لدينه أن يبين سبق القرآن لقضايا جاءت فى القرن العشرين. لابد أن يسنده عقل وفكر حازم، بحيث لا يتورط الإنسان، فيمكن خصمه منه، فيكون الذى خسره من الحقائق الثابتة أكثر من الحقائق التى لم يستطع أن يدلل عليها.

هل هذه الآية نص فى الموضوع إذن؟

قلنا: إن مسألة الشمس والقمر لم تأت فى الآية.. وإنما الذى جاء هو أقطار السموات والأرض، أى لا تأخذ أقطار الأرض وحدها، بل لابد أن تأخذ معها أقطار السموات.

ونحن نعلم بالواقع الفلكى الذى قاله العلماء أن الأرض سيار من السيارات أو تابع من التوابع هو المجموعة الشمسية التى فيها الأرض. وهم قالوا: إن المجرة التى تعتبر مجموعنا الشمسية منها، فيها مائة مليون مجموعة شمسية أخرى. ونحن بيننا وبين القمر هذه المدة البسيطة التى لا تتجاوز ثانيتين ضوئيتين وبيننا وبين الشمس ثمانى دقائق ضوئية. ومع ذلك هى دون السماء الدنيا. فما دخل أقطار السموات فى الآية؟

إن القمر يعتبر ضاحية من ضواحى الأرض، فما الذى أدخل السماء والأرض؟

وكلمة (سلطان) فى الآية لا يمكن أن تكون سلطان العلم، لأنه لو كان معناها سلطان العلم لدخل فى استطاعتنا، وما دام قد دخل فى استطاعتنا فكيف يقول الله تعالى بعد ذلك:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ﴾ **(الرحمن الآية: ٣٥)**.

إذن هذه الآية لا تنطبق على هذا الواقع.

فعلى العلماء أن يبحثوا عن فهم الحقائق حتى لا يرتد فهمهم ضدهم.

يقولون: ما معنى الاستثناء فى قوله: ﴿ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾؟

معنى الاستثناء أنه ليس سلطان الناس، وإلا لم يرسل الله شواظ النار والنحاس. فرسول الله ﷺ عرج به إلى السماء السابعة وما فوقها فلو لم ترد كلمة ﴿ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ لكذبنا رسول الله ﷺ فى المعراج. فالمعنى على هذا: إلا بسلطان منا. هو سبحانه الذى يلغى القوانين، ويلغى النواميس، ويجعل واحداً منكم ينفذ إلى أقطار السموات ويكون صادقاً.

فيجب على العلماء ألا يغفلوا بإخلاصهم عن كثير من الملامح حتى لا يخسروا أكثر مما يكسبون.

وعلى هذا يجب أن نفرق بين الحقيقة على أنها حقيقة، وبين الأمر يظن أنه حقيقه. إذن فالتصادم بين القرآن والكون جاء من شيئين:

الأول: أن تعتبر حقيقة قرانية وهى ليست حقيقة قرآنية. وهذه فعلتك أنت.

الثانى: أن تعتبر حقيقة كونية، وهى ليست حقيقة كونية.

فإذا ما انتهيت إلى أن هذه حقيقة قرآنية بمقاييس الحقيقة، وهذه حقيقة كونية بمقاييس الحقيقة، فلا بد أن يلتقيا.



٥٦ ـ القرآن والعلم الحديث

وجاءوا بفرية أخرى هى أن أقوال علماء الإسلام متضاربة فى قضايا القرآن.. فبينما نجد قوماً يتحمسون لكل ابتكار جديد من ابتكارات العلم الحديث فى العصور الحديثة، ثم يذيعون ويشيعون أن القرآن قد سبق إلى هذه القضية منذ أربعة عشر قرناً. وهناك أناس يؤلفون كتباً فى هذه المسألة.. وهذا كلام صحيح.

وهناك علماء آخرون ينكرون قضايا جاء بها العلم الحديث مجيئاً يقينياً، ومع ذلك ينفونها، لأن القرآن لا يؤيدها، ويستدلون على ذلك بكتيبات طبعت بالفعل لبعض العلماء الذين ينكرون كثيراً من قضايا العلم الكونية، لأن القرآن يتعارض معها، ويقصدون عرض قضية لا تدل على ما على الأرض، ولكن تتعلق فى نفس جرم الأرض.

وعرضوا كتاباً ألف فى هذا الموضوع، مما يدل على أنهم استوعبوا ما كتب عن الإسلام من رجال الإسلام، فجاءوا بالمؤلفات التى تقول: إن القرآن يتمشى مع العلم الحديث، والمؤلفات التى تقول إنه يعارضها وقالوا:

نريد أن نعرض قضية واحدة، ليست هى ما على الأرض، ولكن عن الأرض ذاتها.

لقد ثبت علمياً وتجريبياً ومشهدياً وواقعياً أنها كرة، لا سيما بعد أن عبر الإنسان الفضاء، وصورها من الخارج فجاءت كل الصور للأرض وهى كروية.

وقالوا: إن هناك كتاباً ألف فى بلد يحكمه منطق الإسلام. وأظنهم يقصدون السعودية ـ وقالوا: إن هذا الكتاب يكذب كروية الأرض، ويقول عنها: إنها خرافة، ولكن الأرض مسطوحة، وجاءوا بالأدلة التى تثبت أن الأرض ليست كروية ولكنها مسطوحة.

ونحن نقول لهم: إن فهم واحد من علماء المسلمين لقضية قرآنية لا يعتبر حجة

على القضية القرآنية.. لأن كلمة الحق شيء ثابت، والشيء الثابت لا يتغير إلى مقابل ولا إلى نقيض. وما دام الشيء ثابتاً فهو مثله فيما مضى وفيما يكون.

فإذا نظرنا إلى الكون وجدنا فيه حقائق كونية ثابتة، وهى مخلوقة لله، والقرآن كلام الله، وما دام الكون من خلق الله، والقرآن كلام الله، فوجب ألا تتعارض حقيقة قرآنية مع حقيقة كونية أبداً. فإن تعارضت الحقيقة القرآنية مع الحقيقة الكونية فإن واحدة منهما ليست من عند الله. وإذا التقت الحقيقة القرآنية والحقيقة الكونية فكلتاهما من عند الله.

فإذا وجدنا حقيقة قرآنية تتعرض لأن تهدمها حقيقة كونية، أو حقيقة كونية تتعرض لأن تهدمها حقيقة قرآنية فإننا نقول: أنتم المخطئون فى فهم الحقيقة، ولابد أن يعيدوا النظر من جديد، لتفهموا الحقيقة القرآنية والحقيقة الكونية، لأن إن وجدت حقيقة قرآنية هى الحقيقة القرآنية، وحقيقة كونية هى الحقيقة الكونية، فلابد أن تتفقا. فإذا اختلفتا فأنتم فهمتم حقيقة قرآنية وهى ليست حقيقة قرآنية، أو فهمتم حقيقة كونية وهى ليست حقيقة كونية.

ضربوا المثل بكروية الأرض.. ونحن وجدنا بعض العلماء ينكرون هذا، ويقولون: الأرض مسطوحة. وبعد ذلك جعل هذا الفهم حقيقة قرآنية، نقول: لا. هؤلاء أخطأوا فى أنهم جعلوا فهمهم هذا حقيقة قرآنية، لأن القرآن لا يعطى هذه الحقيقة، وقد استدلوا فى هذا الكتاب على أن الأرض مبسوطة، وعلى أن هذا يتناقض مع ما جاء فى العلم الحديث من أنها مكورة بقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ **(الحجر الآية: ١٩)**. وفسروا المد على أنه البسط.

وقال الكاتب: ما دام الله قال: ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ يعنى بسطناها، فإن قلتم إنها كرة فلن نصدق.

هم يؤمنون بالحقيقة القرآنية.. ويؤمنون بأنه إذا قال القرآن ذلك فلا يمكن أن توجد حقيقة كونية تخالفها، ولكنهم أخطأوا فيما فهموه هو حقيقة قرآنية، لأن (مددناها) لا تعطى معنى بسطناها.

فمعنى (مددناها) أنك كلما وقفت على مكان من الأرض وجدت أمامك أرضاً

أخرى، فهى ممدوة، ولو كانت مبسوطة على هيئة مستطيل أو مثلث أو أى شكل آخر، فلابد أن تكون لها حافة ما دامت مبسوطة، وإن وصلت إلى الحافة انتهى معنى بسطناها، ولم تعد ممدوة. لكن الله يقول: (مددناها).

فأنت طالما تقف على أرض فستجد أمامك أرضاً ممدوة، وخلفك أرضاً ممدودة، وعن يمينك أرضاً ممدودة، وعن يسارك أرضاً ممدودة. ولا يتأتى ذلك أبداً إلا إذا كانت مكورة.. فإذا كانت على غير هيئة التكوين لا ينطبق الواقع على قوله تعالى: (مددناها).

إذن الكاتب المتعصب لقرآنه أخطأ فى فهم الحقيقة. لكن لو فهمت الحقيقة لما وجدت هذا التعارض.

ولذلك قلنا: إن كثيراً من الذين يحلو لهم أن يجعلوا العلم الحديث يصادم القرآن يعرضون قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ **(لقمان الآية: ٣٤)**.

وقفوا عند قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ وقالوا: إن الطب الحديث الآن يعلم ما فى الرحم.

نقول: صدقت، ولكن من الذى قال لك إن الله حينما قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ أراد: أذكر هو أم أنثى، بل هى عامة. يعلم كل ما يتصل بالأرحام، وليس الذكورة والأنوثة فقط.. ويعلم إن كان الولد طويلا أو قصيراً، سعيداً أو شقياً، ذكراً أو أنثى، طويل العمر أم قصيره، غنيا أو فقيرا. إلى آخر ما يتصل بحياة الإنسان.

أخطأتم فى فهم الحقيقة القرآنية، وهى ليست حقيقة قرآنية، هل يرسل الحق سبحانه وتعالى أحداً ليأخذ عينة من رحم الأنثى ليحللها، وبعد ذلك يقول: ذكر هو أم أنثى؟ لا. بل إنه يعلم ولا يرسل أحدا ليبشر به..

هو وحده الذى يبشر: قال تعالى:

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ **(مريم الآية: ٧)**.

قال ذلك قبل أن يلتقى زكريا بزوجه.

وهب أن الله كشف عن بصيرة أحد كما حصل لأبى بكر فتنبأ بأن ما فى بطن امرأته أنثى، فهذا إلهام من الله. فهل الله قال لأبى بكر: اذهب إلى الحمل، وخذ عينة وحللها لتعلم؟ لا. فالله يعلم ما فى الأرحام بدون أن يقترب من المرأة. وبدون أن يأخذ منها شيئاً ليحلله.

أما أن يعلموا الأشياء بواسطة مقدمات فلا يقال: إنكم علمتم ما فى الأرحام.

إذن علينا أن نعلم أن الذين يخاصمون الإسلام يستوعبون ما قيل عن الإسلام، سواء من الذين يفهمون الإسلام حقيقة، أو من الذين لهم إخلاص للإسلام، وليس لهم عقل الاستنباط من الإسلام.

وما داموا هكذا فنحن نهيب بمثل هؤلاء ألا يدخلوا القرآن في مثل هذه المتاهة ما داموا لا يستطيعون الاستنباط فيه، أو البرهنة على كلامهم، لأن هؤلاء يأخذونها حجة علينا نحن، وبعد أن يأخذوها حجة علينا ينقلونها لتكون حجة على الإسلام.



سابعاً: آيات يحتج بها النصارى

١ ـ قال النصارى: أليس فى كتبكم معشر المسلمين ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (التحريم: ١٢). فما تأويل ذلك غير ما ذهبنا إليه؟!

جوابه من وجوه

الوجه الأول:

هذا لا يفيدكم شيئاً فى مطلوبكم؛ إذ ليس اعتقاد أحد منكم أن روح الأب اتحد بالمسيح، وإنما الذى اتحد به هو العلم. وإن الروح ترد على معانى شتى منها: أن ترد والمراد بها الوحى كقوله ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ **(الشورى: ٥٢)**.

وترد والمراد بها جبريل وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ **(الشعراء: ١٩٣)**.

وترد والمراد بها ملك كبير يقوم يوم القيامة صفا والملائكة قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ **(النبأ: ٣٨)**.

وترد والمراد بها أرواح الأشخاص وهو المعنى بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ **(الإسراء: ٨٥)**، وإذا كان اللفظ متردداً بين معانٍ كثيرة فلا يسوغ التمسك به إلا مع اقترانه بما يفسره.

فالمسيح سماه الله (روحا) كتسمية جبريل روحاً، وقد قلنا: إن الشىء قد يسمى بما يلازمه، فالله تعالى نفخ فى مريم بواسطة جبريل وهو المعنى بقول لوقا (الروح القدس تحل عليك)[١]، وقد قالت التوراة (هل نجد مثل هذا رجلا حل فيه روح الله)[٢] وذلك كناية عن العلم والحكمة[٣].

وفى التوراة (انظر. قد دعوت بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه. وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة)[٤]، وفى التوراة (ويشوع بن

---

(١) لوقا: ١/ ٣٥. (٢) التكوين: ٤١/ ٣٨.

(٣) كما بين ذلك العدد الذى يليه (ثم قال فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك). (٤) الخروج: ٣١/ ١ ـ ٣.

نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه)[١].

وفى القضاة (ولبس روح الرب جدعون فضرب بالبوق فاجتمع ابيعزر وراءه)[٢]، وفى كتاب صاموئيل (فحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم)[٣]. وفى إنجيل لوقا (وامتلأت اليصابات من الروح القدس)[٤]. وزكريا (وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس)[٥]، قال لوقا كذلك (وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان. وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه)[٦].

وقال بولس (أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو)[٧].

وذلك كله دليل على مساواة المسيح غيره من الأنبياء فى حلول هذه الروح التى هى إما ملك، أو العلم والحكمة.

أما الوجه الثانى:

أما قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ وقوله فى سورة الأنبياء ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ **(الأنبياء: ٩١)**

فهذا تفسيره فى قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ **(مريم: ١٧ ـ ١٩)**

فأخبر أنه رسوله وروحه، وأنه تمثل لها بشراً، وأنه ذكر أنه رسول الله إليها، فعلم أن روحه مخلوق مملوك له، ليس المراد حياته التى هى صفته سبحانه وتعالى.

وكذلك قوله تعالى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ وهو مثل قوله فى آدم عليه السلام ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ **(الحجر: ٢٩)** فالمسيح روح من لله

---

(١) التثنية: ٣٤/ ٩، وارجع إلى سفر العدد/ ٢٧/ ١٨ (فقال الرب لموسى: خذ يشوع بن نون، فهو رجل فيه روح الرب، وضع يدك عليه) ـ الترجمة السبعينية، دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط.

(٢) القضاة: ٣٤/٤. (٣) صاموئيل الأول: ١٩/١٠. (٤) لوقا: ٤١/١.

(٥) لوقا: ٦٧/١ (٦) لوقا: ٢٥/٢. (٧) رسالته الأولى لأهل كورونثوس: ٣/ ١٦ ـ ١٧

كمثل آدم أبيه روح من الله وإن ما يكون على المسيح يكون قبله على آدم، وقد شبه سبحانه المسيح بآدم ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩)

والشبهة فى هذا نشأت عند بعض الجهال من إن الإنسان إذا قال: روحى، فروحه فى هذا الباب هى الروح التى فى البدن، وهى عين قائمة بنفسها، وإن كان من الناس من يعنى بها الحياة، والإنسان مؤلف من بدن وروح، وهى عين قائمة بنفسها عند سلف المسلمين وأئمتهم وجماهير الأمم.

والرب تعالى منزه عن هذا، وأنه ليس مركباً من بدن وروح، ولا يجوز أن يراد بروحه ما يريد الإنسان بقوله: روحى، بل تضاف إليه ملائكته وما ينزله على أنبيائه من الوحى والهدى والتأييد، ونحو ذلك.

فى صحيح مسلم الحديث رقم ٧٥٢ عن أم المؤمنين عائشة قالت إن رسول الله ﷺ كان يقول فى ركوعه وسجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

فالله سبحانه وتعالى فى عقيدتنا نحن المسلمين رب الروح والمسيح من الروح التى الله ربها وهو خالقها والمخلوق عبد من عباد الله.

تفصيل أكثر فى المسألة من الناحية الإسلامية

وفى الختام نقول:﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

(الأنعام: ١٠٢ ـ ١٠٣)

قال تعالى

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف: ٥٧ ـ ٥٩) والعبد المقصود به: هو المسيح عليه السلام.

٢ ـ سأل أحد النصارى: يقول كتابكم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ما معنَى ﷺ؟ أليست الصلاة لله؟

الجواب:

يجب أن يفرق الناس بين الصلاة عَلَى والصلاة لِـ، أما الصلاة لـ فى العبادة كما نقول نحن نصلى لله أما الصلاة على الرسول فيأتى بيانها من معجم لسان العرب.

«وصلاة الله على رسوله: رحمته له وحسن ثنائه عليه. وفى حديث ابن أبى أوفى أنه قال: أعطانى أبى صدقة ماله فأتيت بها رسول الله ﷺ فقال: اللهم صل على آل أبى أوفى؛ قال الأزهرى: هذه الصلاة عندى الرحمة، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ **(الأحزاب: ٥٦)** فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سميت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار. وفى الحديث: (التحيات لله والصلوات) قال أبو بكر: الصلوات معناها الترحم. وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أى يترحمون. وقوله: اللهم صل على آل أبى أوفى أى ترحم عليهم، وتكون الصلاة بمعنى الدعاء. وفى الحديث قوله ﷺ: (إذ دعى أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطراً فليطعم، وإن كان صائماً فليصلِ) قوله: فليصلِ يعنى فليدع لأرباب الطعام بالبركة والخير، والصائم إذا أكل عنده الطعام صلت عليه الملائكة؛ ومنه قوله ﷺ: (من صلى علىَّ صلاة صلت عليه الملائكة عشراً) وكل داع فهو مصلٍّ؛ ومنه قول الأعشى:

عليك مثل الذى صليت فاغتمضى نوماً، فإن لجنب المرء مضجعا

معناه أنه يأمرها بأن تدعو له مثل دعائها أى تعيد الدعاء له، ويروى: عليك مثل الذى صليت، فهو رد عليها أى عليك مثل دعائك أى ينالك من الخير مثل الذى أردت بى ودعوت به لى. قال أبو العباس فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾ **(الأحزاب: ٤٣)** فيصلى يرحم، وملائكته يدعون للمسلمين والمسلمات.

إذاً نعلم من هذا أن الصلاة أصلاً هى الثناء وأطلق على قيامنا ركوعنا وسجودنا لله صلاة لأننا نثنى على الله فيه.

٣ ـ يقول النصارى: إنهم مؤمنون

يقصد أن القرآن يشهد للمسيحيين أنهم مؤمنون ـ ثم زعم أن القرآن يؤيد مدعاه فقال: من (**سورة آل عمران: ٥٥**) **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** إذاً نحن معشر النصارى غير كفرة بل مؤمنون؟

على أى أساس زعم النصارى أنهم اتبعوا المسيح؟!.. تعالوا إخوتى فى الله ننظر هل هم اتبعوا المسيح أم لا:

كتابهم: إن الإنجيل الذى نحن معشر المسلمين نؤمن به والذى يتحدث عنه القرآن هو إنجيل عيسى، وليس إنجيل متى أو لوقا أو يوحنا.. والدليل قوله تعالى: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).**

أوتى: أى أعطى، فهل النصارى يؤمنون بإنجيل أعطى للمسيح؟ لا قطعاً فلديهم أربع أناجيل ولا واحد منهم هو إنجيل المسيح الذى تحدث عنه القرآن... هذا أولاً.

إيمانهم: هل يطابق إيمان المسيح عليه السلام؟ فلننظر قال المسيح عليه السلام **﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾**

(الصف: ٦).

هل يؤمن النصارى ما بما بشر به المسيح؟ أن يأتى رسول من بعده اسمه أحمد؟ لا!! يا سبحان الله إذاً كيف يكونون أتباع المسيح وهم لا يؤمنون بما بشر به!!

وقال المسيح عليه السلام **﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٣٠).** **﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾ (الصف: ٦).** قال المسيح إنه عبد الله وأنه رسول الله.. وليس الله أو ابن الله.. فهل يؤمن النصارى

بذلك؟ قطعاً لا.. فبأى عقل تقول النصارى إنهم أتباع المسيح؟!! وقد نفى المسيح ألوهيته التى زعموها ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ **(المائدة: ١١٦)** فهل صدقوه أو اتبعوه..

ولكن القرآن العظيم شهد لهم بعدم الإيمان بالله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ **(آل عمران: ٧٠)**. فقد شهد الله عليهم، وقال سبحانه: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ **(البقرة: ١٠٥)** فالذين لم يؤمنوا بمحمد قد كفروا.. كما أن اليهود كفروا بالمسيح حينما أرسل فكذلك النصارى كفروا بمحمد ﷺ قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ **(الحشر: ٢)** وقال جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ **(الحشر: ١١)** وكذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ **(البينة: ١)** وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ **(البينة: ٦)**.. فهذه آيات بينات تكفر أهل الكتاب.

أما الآن نذكر ما قد خص الله النصارى بعدم الإيمان قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ **(المائدة: ١٧)**. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢) وقال سبحانه فى الآية التى تليه ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(المائدة: ٧٣).

والحمد لله رب العالمين

٤ ـ يقول النصارى: إن المسيح كما يشهد به قرآنكم أنه كلمة الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾، وكلمة الله هى الله وهى جزء لا يتجزء من الله. فما قولكم؟

الجواب:

قوله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ **(النساء: ١٧١)**.

أطلق الله عليه كلمة؛ لأنه خُلق بالكلمة، عليه السلام، فالحديث ليس على ظاهره، إذ عيسى عليه السلام ليس كلمة، لأنه يأكل، ويشرب، ويبول، ويتغوط، وتجرى عليه جميع أحوال البشرية قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ **(آل عمران: ٥٩)**. إذا فلقد فسرت هذه الآية الكريمة أن الكلمة التى ألقاها إلى مريم هى كلمة التكوين كن فيكون.

وعيسى عليه السلام ليس كلمة الله، إذ أن كلام الله وصف قائم به، لا بائن منه، أما عيسى فهو ذات بائنة[1] عن الله سبحانه، يذهب ويجىء، ويأكل الطعام.

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ **(النساء: ١٦٤)** فقد ثبت أن الله كلم موسى تكليماً وكلام الله التى سمعه موسى عليه السلام ليس هو المسيح!!

أما قوله ﴿أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾.

أى: وجهها إليها بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

ونذكر هنا بعض النصوص التوراتية والإنجيلية لتوضيح معنى الكلمة.

هناك معانٍ كثيرة لـ (الكلمة) منها:

الأول: الوعد أو البشارة كما قال فى (إرمياء ٣٣/ ١٤ ـ ١٦) (ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التى تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا). من هذا النص لدينا تعليقان مهمان..

١ ـ أن الله وصف الكلمة بأنها صالحة.. ولو كانت الكلمة جزءاً من الله لما

---

(١) بائنة: أى منفصلة.

وصفها بالصالحة لأن من البديهى أن لا كامل إلا الله وكما جاء فى متى ١٠/ ١٨ (فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله). فالكلمة الصالحة هى البشارة الخيرة أما الغير صالحة فهى النذير من عقاب أو هلاك أو دمار الهيكل كمثال.

٢ ـ أنه قال فى النص (أقيم) ثم قال (تكلمت) الله سبحانه وتعالى سيقيم كلمة (لم تقم إلى الآن) قد تكلم بها سابقاً الواضح أن الكلمة هى كلام معنوى.. يعنى لو كان الكلمة إنسانا قائما بذاته لما قال أقيم الكلمة التى تكلمت بها.. كمثال قول القائل سيأتى الرجل الذى أتى..! ولو أن الكلمة شىء حسى لأتت فى الوقت التى تكلم بها الله سبحانه.. وليس أن تأتى بعد أن تكلم الله بها بزمن وقدرة..!

وكذلك ما فى سفر إشعياء ٤٠/ ١ ـ ٣١ وملخص ذلك السفر أنها بشارة كما هو فى بداية السفر (٢ طيبوا قلب أورشليم وبشروها بنهاية أيام تأديبها والعفو عما ارتكبت من إثم) ثم يتحدث السفر عن مجريات الأحداث التى ستحصل ثم ينتصف السفر قوله (أما كلمة إلاهنا الوعد الذى فى بداية السفر) ستبقى إلى الأبد ثم يقول (اصعدوا على جبل عالٍ يا مبشرى صهيون ارفعوا أصواتكم يا مبشرى أورشليم) وهم فرحون بوعد الله لهم بالفرج بعد الكرب والعناء وانتهاء العقاب.

وكذلك إصحاحات كثيرة منها[1].

ثانياً: تأتى الكلمة بمعنى النذير كما جاء فى حزقيال ١٢/ ١٩ وقال للشعب ما تكلم به السيد الرب على سكان أورشليم الباقين فى أرض إسرائيل سيأكلون خبزهم بغم ويشربون ماءهم بقلق. فتفقر أرضهم من كل ما فيها بسبب الظلم الذى يصنعه جميع الساكنين فيها ٢٠ والمدن المسكونة تخرب، والأرض تصير قفراً، فيعلمون أنى أنا هو الرب... (إلى قوله) ... ٢٨ لذلك قل لهم ما تكلم به السيد الرب: لا يتأخر بعد من كلامى شىء، وما أتكلم به يتم هكذا يقول السيد الرب).

قد يقول قائلهم كيف يكون هذا الأمر معنويا وذكر كتابكم ﴿أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾؟!

---

(١) إشعياء (٤٤/ ٢٦، ٤٥/ ١ ـ ٢٥، ٦١/ ١ ـ ١١) إرمياء (٣٠/ ١ ـ ٢٤، ٣١/ ١ ـ ١٤).

الجواب هذه من أساليب اللغة.. والعجيب أن كتابكم تكلم بهذا الأسلوب ألا تعلمون ما فى كتبكم!!

المزمور ١٤٧ / ١٥ (يُرسل أمره فى الأرض، فما أسرع كلمته)[١] فهو أرسل الأمر وهو أمر معنوى ثم وصف الأمر بأنه كلمة سريعة.

(١) من الترجمة السبعينية، فسرت الترجمة السبعينية الكلمة بأنها الأمر. وأما ما هو مكتوب فى ترجمة «فان دكى» هى (١٥ يرسل كلمته فى الأرض سريعا جدا يجرى قوله).

٥ ـ يقول النصارى: إن قرآنكم قد برأنا من تهم تتهموننا بها من أن حملات القتل وسفك الدماء قام بها وحرض عليها قسيسونا ورهباننا.. كيف يكون هذا وقد قال قرآنكم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ **(المائدة: ٨٢)**

الجواب:

قد اعتدنا منكم معشر النصارى التدليس وبعدم إكمال ما بدأتم به.. فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.. لو أنهم أكملوا قراءة الآية التى بعدها لما سألوا هذا السؤال.. قال تعالى

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ **(المائدة: ٨٣)**

فأقرب الناس إلينا هُم الذين إذا سمعوا القرآن الكريم ترى أعينهم تفيض من الدمع مصدقين بالرسالة مؤمنين بها.

٦ ـ يقول النصارى: إن القرآن الكريم قد شهد للمسيح بالألوهيه حينما ذكر أن المسيح يخلق، ولا خالق إلا الله، فى قوله ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **(آل عمران: ٤٩)**

الجواب

وتعليقى على هذه الآية من عدة وجوه تفيد وتثبت عبودية المسيح عليه السلام:

١ ـ قال تعالى ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أول دليل على عبودية المسيح أنه رسول وكما معلوم ومُسَلم به أن المُرسِل لديه سلطان على المُرسَل، يعنى الذى أرسل المسيح له سلطان على المسيح فكيف يكون هو ذاته الله، لأنه كما هو معلوم أن الملك يرسل الوزير.. والوزير يرسل المسؤول والمسؤول يرسل العامل.

ومن المستحيل أن العامل يرسل المسؤول والمسؤول يرسل الوزير والوزير يرسل الملك!!!! فالأعلى يرسل من هو تحته ومن هو دونه وليس العكس.

وهذا يثبت عبودية المسيح وأن المسيح يقع تحت سلطان الله سبحانه وتعالى وكما هو مذكور فى رسالة كوروثنس الأولى الإصحاح ١٥ العدد ٢٨

٢٨ ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضا سيخضع للذى أخضع له الكل كى يكون الله الكل فى الكل.

٢ ـ قال المسيح عليه السلام (قد جئتكم بآية من ربكم) فالآية التى جاء بها المسيح ليس من نفسه بل هى من عند الله سبحانه وتعالى

اعمال الرسل الاصحاح ٢ العدد ٢٢ «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون».

٣ ـ قال المسيح (إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) فالمسيح يخلق من الطين كهيئة الطير، وليس طيراً أى أنه يأتى بالطين

ويصنعها ويشكلها مثل الطير وينفخ فيها (فالله يحييها بقدرته) كى تكون آية على صدق المسيح عليه السلام وهذا ما يأيده أعمال الرسل الاصحاح ٢ العدد ٢٢ «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون».

فالآيات التى أتى بها المسيح قد صنعها الله بيديه. أم إنكم تؤمنون ببعض كتابكم وتكفرون ببعض!

٤ ـ قد يتساءل احد لماذا وقعت الآية بيد المسيح عليه السلام!! الأمر ببساطة أن الله سبحانه وتعالى صنعها على يدى المسيح ليدلل على صدقه.. ولو فعلها بعيداً عنه لما كان من الممكن أن تثبت صدق المسيح لأنها لم تقع على يديه!! فلا يصح له أن ينسب لنفسه النبوة بمعجلة لم تقع على يديه!

وبعد ذلك بعد أن برهن لبنى إسرائيل صدق نبوته بالآيات والمعجزات السابقة.. ذكر لهم ما هى رسالته وما هو خبره، مقرا بعبوديته قال فى آية بعدها ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٥١)

وأخيراً لا تنس الآيات الكثيرة فى إثبات عبودية المسيح صراحة وليس فيها تأويل ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٣٠)

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٥١)

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢)

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة: ١١٦)

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف: ٥٩)

فهذه هى الآيات الصريحة المباشرة التى لا تقبل أى جدال فى عبوديته، فهل تستطيعون أن تأتوا بدليل واحد مباشر على ذلك!! قطعاً لا تستطيعون ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً..

انجيل يوحنا الاصحاح ١٧ العدد ٣.

٣ وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته.

لا إله إلا الله المسيح رسول الله

٧ ـ يستشهد كثير من النصارى بآيات بينات من القرآن الكريم على صحة توراتهم وإنجيلهم (زعموا!!) وإليكم بعض ما يستشهدون به.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ **(المائدة: ٤٤)**

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ **(المائدة ٦٨)**

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ **(آل عمران: ٣ـ ٤)**

وبهذه الآيات يقول النصارى إن توراتهم وإنجيلهم صحيحان بشهادة القرآن الكريم..

الرد

إن القرآن الكريم قد شهد فى مواضع كثيرة على تحريف كتبهم التى يقدسونها فيقول سبحانه وتعالى.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: ٤١ ـ ٤٢)

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **(البقرة: ٧٥)**

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ **(البقرة: ٧٩)**

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ **(آل عمران: ٧٨)**

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦)

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣)

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة: ٤١)

هذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر..

إذا كيف يجمع المسلمون بين إيمانهم بالتوراة والإنجيل أن فيها هدى ونور وبين تحريفها..

إن المدح والثناء على التوراة والإنجيل فى القرآن الكريم ما هو إلا مدح للتوراة التى أتى بها موسى عليه السلام والإنجيل الذى أتى به المسيح عيسى ابن مريم عليهم السلام. وليس للكتب التى بيد النصارى اليوم سموها توراة وإنجيل (زعموا!!) وما هى بتوراة ولا هى بإنجيل إن هى إلا أسماء استعاروها.

وننقدهم من عدة جوانب:

قال تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦)

بالنسبة للإنجيل:

- نحن نؤمن بإنجيل واحد وليس (٤ أناجيل).
- لماذا زعموا أن القرآن يصدق أناجيلهم الأربعة وهناك إنجيل برنابا وإنجيل توما وإنجيل مريم المجدلية وأناجيل كثيرة تم حرقها فى المجامع (مادليلهم على أن القرآن يقصد الأناجيل التى بين أيديهم؟!!!).

● قال تعالى فى الآية (وما أوتى موسى وعيسى) فنحن المسلمين نؤمن بإنجيل أوتى (أعطى) للمسيح عليه السلام إنجيل المسيح إنجيل عيسى بن مريم وليس إنجيل متى ولوقا ويوحنا ومرقس!!!

بالنسبة للتوراة:

فإن اليهود والنصارى يزعمون أن بعد ما ضاعت التوراة بسبب النكبات المتتالية على اليهود قد أعاد عزرا كتابه التوراة بإلهام من الله (زعموا).

ونحن نقول: يا أيها النصارى نحن نؤمن بتوراة موسى عليه السلام كما جاء فى الآية (وما أوتى موسى وعيسى) فنحن نؤمن بتوراة موسى وليس عزرا.

والحمد لله رب العالمين

٨ ـ كما هو حال الغريق حينما تتقطع به السبل للنجاه يتمسك بقشة على أمل النجاة!! هذا هو حال النصارى إخوانى الكرام حينما لم يجدوا دليلا واحدا فى تاليه المسيح عبد الله ورسوله.

يستشهد النصارى بقوله سبحانه وتعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ **(مريم: ١٧)**.

يستشهد بها النصارى على أن المرسل إلى مريم العذراء عليها السلام هو الله؛ لأن الله روح سبحانه تعالى الله علوا كبيراً..

الرد

فى البداية نسأل النصارى من أين جئتم بهذه الهرطقة القائلة بأن الله سبحانه وتعالى روح، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

● ليس هناك عالم من علماء المسلمين يقول إن الله سبحانه وتعالى روح، بل إن الأدلة صريحة بعبودية الروح وعلى أن الروح هو مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى وأن الله هو الذى خلق الروح، وإن الله ليس روحا قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **(الشورى: ١١)**.

والآن نضع الأدلة أمامكم إخوانى الكرام على عبودية الروح لله سبحانه وتعالى.

● قوله سبحانه ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، والله سبحانه وتعالى يُرْسِل ولا يُرْسَل، فالذى يرسل هو أعلى مرتبة ومقام من المرسل، فالملك والرئيس يرسل الرسل، ولكن الرسل لا ترسل الملوك وهذا منطقى وبديهى.

● قال سبحانه ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أى أن الروح الذى أرسله الله سبحانه وتعالى تهيأ وصار على شكل بشر، تعالى الله أن يتمثل شكل البشر وينزل إلى الحياة الدنيا، والذى ينفى ذلك قصة موسى عليه السلام حينما كلمه الله سبحانه وتعالى فقال عليه السلام ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ **(الأعراف: ١٤٣)**، فجاء جواب الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام فى تكملة الآية قائلاً ﴿قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **(الأعراف:**

١٤٣) وأخرج الإمام الألبانى فى صحيح الترمذى أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال حماد: هكذا، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى، قال: فساخ الجبل وخر موسى صعقا.

ونرى أن عندما تجلى الله سبحانه وتعالى مقدار رأس الإصبع خر الجبل دكا، فكيف يصح ما يزعمه النصارى أن الله سبحانه تمثل بصورة بشر ونزل إلى الدنيا.

● جاء فى صحيح البخارى فى كتاب تفسير القرآن: «سورة النحل (روح القدس) جبريل» انتهى الاقتباس.

● وجاء كذلك فى صحيح مسلم رقم ٧٥٢ ما نصه: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن بشر العبدى حدثنا سعيد بن أبى عَروبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أن عائشة نبأته أن رسول الله ﷺ كان يقول فى ركوعه وسجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

فالله سبحانه وتعالى هو رب الملائكة وهو رب الروح، فكيف يزعم المهرطقة أن الله سبحانه وتعالى روح (تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً).

والحمد لله رب العالمين

٩ - قام الظالمون لأنفسهم من أعداء الإسلام بإلقاء شبهة أبسط ما يقال عنها أنها شبهة من حاقد على الإسلام والمسلمين.. وفيه يقول :

قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ **(يونس: ٩٤)**.

ويقول «فالإحالة على أهل الكتاب، والقول بأن القرآن مصدق لما فى الكتب الإلهية المقدسة، من غير ما تخصيص بفرقة خاصة منهم، ولا ارتكان على نصوص معينة من الكتاب، دليل كاف على صدقه وسلامته من التحريف وإلا ما اتخذ شاهداً ومؤيداً ودليلاً».

والجواب:

بعد الاستعانة بالله سبحانه وتعالى نقول، الجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: هو أن تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط، بل قد يتعلق بشرط ممتنع لبيان حكمة، فمثلاً يقول كثير مَن يناظر النصارى «إن أتيت لى بجملة من كتابكم الذى تقدسونه يقول فيه المسيح على لسانه أنا هو الله، أو اعبدونى، فسأدخل فى دينكم».

فقد اشترط السائل أن يظهروا له هذه الجملة وبعد ذلك سيدخل فى دينهم، وهذا الشرط شرط ممتنع أى أنه قطعاً لن يتحقق، إذاً ما الحكمة من ذلك؟!

الحكمة هى المبالغة فى الاستبعاد أن يوجد فى كتبهم ذلك.. فهذا مثال لشرط الممتنع.. ولذلك نقول أن تعليق الحكم (أنه سيدخل فى دينهم) إذا تحقق الشرط (أن يأتوا بتلك الجملة)، وهذا الشرط لن يتحقق فهو شرط ممتنع.. وبذلك لا نستطيع أن نقول إن من قال هذا الشرط أصبح نصرانيا فتعلق الحكم على شرط لا يعنى تحقق الشرط لأنه شرط ممتنع وهو لبيان حكمة.

مثال آخر من كتاب الله العزيز قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(الأنعام: ٨٤ ـ ٨٨).

فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم ـ الأنبياء ـ لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، مع إنتفاء الشرك عنهم بل امتناعه لأنهم قد ماتوا!!، ولأن الأنبياء معصومون من الشرك قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ **(الزمر: ٦٤ ـ ٦٦).**

والحكمة منه هو إظهار عظمة هذا الجرم ـ الشرك بالله ـ وأنه يحبط عمل المؤمن حتى لو بلغ من الأعمال والمنزلة ما بلغة الأنبياء والمرسلين والمصطفين (وهذا مستحيل طبعاً أن يبلغ الإنسان مبلغ الأنبياء ولكنه ذكر لحكمة وهى بيان عظيم جرم الشرك).

إذاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ **(يونس: ٩٤)** لا يدل على وقوع الشك، بل إن النبى ﷺ لم يكن شاكا ولم يسأل أحدا منهم، بل روى عنه أنه قال: (والله لا أشك ولا أسأل) أورده الطبرى فى تفسيره، وابن كثير فى تفسيره.

وهذا الأسلوب (تعليق حكم بشرط ممتنع) هو أسلوب المبالغة فى الاستبعاد؛ أى لا سبيل إلى اعتقاده.

الوجه الثانى: ما جاء فى تفسير القرطبى وفيه قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الخطاب للنبى ﷺ والمراد غيره، أى لست فى شك ولكن غيرك شك. قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت الإمامين ثعلبا والمبرد يقولان: معنى «فإن كنت فى شك» أى قل يا محمد للكافر فإن كنت فى شك مما

أنزلنا إليك «فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» أى يا عابد الوثن إن كنت فى شك من القرآن فاسأل من أسلم من اليهود، يعنى عبد الله بن سلام وأمثاله؛ لأن عبدة الأوثان كانوا يقرون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب؛ فدعاهم الرسول ﷺ إلى أن يسألوا من يقرون بأنهم أعلم منهم، هل يبعث الله برسول من بعد موسى».

الوجه الثالث: أنه بمعنى ما شككت و «إن» تأتى فى كلام العرب بمعنى «ما» كما جاء فى تفسير الآية الكريم ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾

(الزخرف: ٨١).

جاء فى تفسير الطبرى

«عن قتادة، قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ قال قتادة: وهذه كلمة من كلام العرب ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾: أى أن ذلك لم يكن، ولا ينبغى. ٢٣٩٨٤ ـ حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ قال: هذا الانكفاف ما كان للرحمن ولد، نكف الله أن يكون له ولد، وإن مثل «ما» إنما هى: ما كان للرحمن ولد، ليس للرحمن ولد، مثل قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (إبراهيم: ٤٦) إنما هى: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، فالذى أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه أثبت من الجبال، و «إن» هى «ما» إن كان ما كان تقول العرب: إن كان، وما كان الذى تقول.



خاتمـــة
أسئلة تبحث عن أجوبة فى الكتاب المقدس

السؤال الأول

يعتقد الأرثوذكس أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ جسداً بشريا وأتى بنفسه للعالم بينما نجد أن كاتب إنجيل يوحنا يقول: لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ٣١٦ وقال يوحنا فى رسالته الأولى: إن الله قد أرسل الوحيد إلى العالم لكى نحيا به ٤٩.

،نحن نسأل: هل الله قد تجسد كما تزعمون وأتى بنفسه للعالم أم أنه أرسل للعالم ابنه الوحيد كما تزعم النصوص؟ ومما لا شك فيه أن المرسِل غير المرسَل إليه والباعث غير المبعوث وهناك العديد من النصوص التى تنص على أن الله لم يتجسد وينزل ولكنه أرسل ابنه للعالم انظر الرسالة الأولى ليوحنا (٤ : ١٤).

السؤال الثانى

يؤمن النصارى بعدل الله وأنه إله عادل.. وقد ذكر كتابهم المقدس العقاب الذى شمل آدم وحواء والحية بعد قصة السقوط وهذا العقاب قد شملهم بالآتى:

(١) أوجاع الحمل والولادة لحواء. (تكوين ٤ : ٢).

(٢) دوام العداوة بين نسل المرأة والحية.

(٣) لعنة التربة التى يعتمد عليها الإنسان فى حياته على الأرض (تكوين ٣: ١٧ _ ١٩).

(٤) عقوبة الرب للحية التى أغوت حواء بأن جعلها تسعى على بطنها

(تكوين ٣: ١٤).

والسؤال المطروح هو: بما أن الله عادل.. وقد صالحنا بصلب المسيح المزعوم.. فلماذا لم تنته هذه العقوبات..؟ لماذا مازالت الحية تسعى على بطنها؟ لماذا مازالت المرأة تصاب بأوجاع الحمل والولادة؟ لماذا لم تنته العداوة بين نسل المرأة والحية؟

ألستم تقولون إن الله صالحنا بموت المسيح على الصليب فلماذا مازالت المرأة تلد بالأوجاع ـ لدرجة أن البعض منهن يستخدمن المخدر من شدة الألم ـ ولماذا عقاب الاشتياق مازال موجوداً منها ومن الرجل؟ ولماذا عقاب الرب للحية بأن تمشى على بطنها مستمراً (تكوين ٣: ١٤)؟؟!

أين هو عدل الله بحسب إيمانكم؟؟ ونلاحظ أيضاً أن الله أعطى عقوبة لآدم «بعرق وجهك تأكل خبزاً.. ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها» (تك ٣: ١٧، ١٩) فإذا كانت قصة الخلاص المسيحية هى حقيقة فلماذا لا تزال هذه العقوبات قائمة؟! أم انها باقية للذكرى كما قال البابا شنودة فى إحدى كتاباته؟!

هل من عدل الله بعد أن خلصنا المسيح وصالحنا أن يبقى هذه العقوبات؟

السؤال الثالث

لقد ادعى بولس مؤسس المسيحية المحرفة بأن أجرة الخطية الموت، فإذا كانت أجرة الخطية الموت فلماذا لم يمت إبليس المتسبب الرئيسى للخطية والذى هو صاحب كل خطية فى العالم؟ نريد إجابة مقنعة بحسب عدل الله الذى تدعونه.

السؤال الرابع

تدَّعون أن الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم متحدة، فهل تعتمد هذه الأقانيم على بعضها البعض؟ وهل لكل منها وظيفة لا يستطيع الآخر أن يقوم بها؟ فإن كانوا يعتمدون على بعضهم فليس أى منهم إلها، لأن الإله لا يعتمد على غيره. وإن كانوا لا يعتمدون على بعضهم، فيكونون حينئذ ثلاثة آلهة وليس إلهاً واحداً. وبالمثل إن كان لكل منهم وظيفة لا يستطيع الآخر القيام بها، لا

يكون أى منهم إلهـا، لأن الله كـامل، وعلى كل شـىء قـدير. وإن كـان لكل منـهم وظيفة محددة، يكون كل منهم إلها ناقصاً، ولا يُقرُّ دينكم هذا.

السؤال الخامس

هل قال المسيح لتلاميذه وأتباعه، إنه يتكون من جزء لاهوتى وجزء ناسوتى؟ وأنه إله كامل وإنسان كامل؟ نطالب النصارى بالأدلة النقلية من الكتاب المقدس على لسان المسيح التى تثبت ذلك.

ثم إذا كان الناسوت واللاهوت هو ركيزة أساسية فى النصرانية وسبب من أسباب الانقسام والحروب والاضطهاد والكراهية بين النصارى. فماذا قال المسيح عنها؟ كيف شرحها لهم؟

وإذا كان هذا من البدع التى ابتدعوها بعد السيد المسيح عليه السلام فكيف يكون أساس الدين وأكثر الأمور جدالا حولها لم يشرعه الله ولم يتكلم عنها المسيح؟

السؤال السادس

هل القتل حرام أو حلال؟

قال الرب لموسى فى الوصايا العشر: لا تقتل لا تزنى. لا تسرق خروج ٢٠: ١٣

إلا أننا نجد فى سفر العدد (٣١: ١ـ ١٧) أن الرب يناقض الوصية بعدم القتل:

وقال الرب لموسى.. ١٧ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا أيضاً كل امرأة ضاجعت رجلاً، ١٨ ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلا.

وجاء فى سفر يشوع (٦: ١٦):

قال يشوع للشعب: اهتفوا، لأن الرب قد وهبكم المدينة. ١٧ واجعلوا المدينة وكل ما فيها محرما للرب،.... أما كل غنائم الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد، فتخصص للرب وتحفظ فى خزانته.. ٢ فهتف الشعب، ونفخ الكهنة فى الأبواق. وكان هتاف الشعب لدى سماعهم صوت نفخ الأبواق عظيماً، فانهار السور فى موضعه. فاندفع الشعب نحو المدينة كل إلى وجهته، واستولوا عليها. ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال

وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير.

وفى سفر هوشع (١٣: ١٦) يقول الرب:

«تجازى السامرة لأنها تمردت على إلهها. بالسيف يسقطون. تحطم أطفالهم، والحوامل تشق»

وفى سفر إشعيا (١٣: ١٦) يقول الرب:

«وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم»

السؤال السابع

يزعم النصارى أن المسيح مولود من أبيه أزلاً ونحن نقول: إذا كان الأمر كما تقولون فيكونان موجودان أزليان الله الأب أزلى والله الابن أزلى فإن كان الأب قديماً فالابن مثله وإن كان الأب خالقاً كان الابن خالقاً مثله، والسؤال هو:

لم سميتم الأب أبا والابن ابنا، فإذا كان الأب استحق اسم الأبوة لقدمه فالابن أيضاً يستحق هذا الاسم بعينه لأنه قديم قدم الأب، وإن كان الأب عالماً قديراً فالابن أيضاً مثله فهذه المعانى تبطل اسم الأبوة والبنوة، لأنه إذا كان الأب والابن متكافئين فى القدرة والقدم فأى فضل للأب على الابن حتى يرسله فيكون الأب باعثاً والابن مبعوثاً؟

ألم يقل يوحنا إن الأب أرسل الابن للعالم. ولا شك أن المرسِل هو غير المرسَل.

السؤال الثامن

يعلمنا كتاب الله أن الملائكة هم عباده المعصومون عن الخطأ والزلل إلا أن كتبة الأسفار زعموا أن من الملائكة من سار وراء رغباته وضل، ولم يبتعد عن هوان المعصية فاستحق بذلك العذاب المهين.. فقد جاء فى رسالة بطرس الثانية ٢: ٤ قوله الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء. وجاء فى رسالة يهوذا ١: ٦ الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام.

والعجب العجاب أن بولس مؤسس المسيحية المحرفة يزعم أنه سيحاكم وسيحاسب ملائكة الله فى يوم الحساب.

فهو القائل: ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة ـ كورنثوس الأولى ٦: ٢ ـ ٣.

فهل يعقل هذا الكلام؟

السؤال التاسع

قال متى فى إنجيله (٢٨: ٣) وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه.

والسؤال هو إذا كان المسيح إلها فهل الإله يحتاج الى ملاك من السماء ليزيح ويدحرج الحجر الذى كان بباب قبره؟

السؤال العاشر

من أين جئتم بكلمة التثليث؟ فهى غير موجودة بكتابكم المقدس

السؤال الحادى عشر

يمثل صلب المسيح كفارة عن خطيئة آدم الركن الأساسى فى عقيدة النصرانية، وتزعمون أنه بسبب خطيئة آدم جاء المسيح عليه السلام.

والسؤال هو

أين نجد نصا فى الأناجيل الأربعة على لسان المسيح عليه السلام يقول فيه ويذكر انه جاء من اجل الخطيئة الأزلية لأبيهم آدم؟

السؤال الثانى عشر

قال بولس لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام كونثوس الأولى ٣٣ ١٤

وجاء فى سفر التكوين: «وقال الرب: هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. ٨ فبددهم الرب من هناك

على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعى اسمها «بابل» لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هناك بددهم الرب على وجه الأرض» ٩ـ ١١: ٦.

وفى الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى (٢: ١١) نجد أن الله يرسل إليهم عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب.

فمن نصدق رواية بولس، أم رواية سفر التكوين بالعهد القديم؟ وهل يتعارض كلام الله؟

وهل نفهم من ذلك أن تعلم اللغات الأجنبية محرم من الله حسب كتابكم المقدس؟

السؤال الثالث عشر

من التناقضات الموجودة فى الإنجيل نجد أنه قد ورد فى إنجيل يوحنا (٢٠: ١٧) قول المسيح لمريم المجدلية لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلا أننا نجد بعد ذلك فى العدد ٢٧ من نفس الإصحاح أن المسيح يقول لتوما: هات إصبعك.. وهات يدك وضعها فى جنبى.

السؤال الرابع عشر

جاء فى إنجيل يوحنا قول المسيح عن يهوذا هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة ـ أى المسيح ـ وأعطاها ليهوذا سمعان الأسخريوطى.

ومعنى هذا أن السيد المسيح هو الذى أدخل الشيطان على يهوذا!! وهل عرفت يد المسيح عليه السلام إلا الخير والإحسان؟

السؤال الخامس عشر

عندما وقعت المعصية لم يكن هناك إلا آدم وحواء، وبناء عليه لماذا ترك إله المحبة والسلام الإنسانية تتوالد تحت ناموس اللعنة والخطية وأن يعم الفساد وينتشر؟

السؤال السادس عشر

فى قضية الصلب والفداء نرى الآتى:

الإنسان يخطئ ضد الله

الله يتألم

الله يجعل نفسه خطية

ليجعل البشر بر الله

وفى هذا نرى: أن الخاطئ هو الذى تكون خطيئته سبباً فى تألم الله.

ثم يحمل الله خطيئة هذا المذنب ويجعل نفسه مكانه ليظهر بره

فأى عدل هذا؟

السؤال السابع عشر

جاء فى سفر التثنية (١٨: ٢٠).

«وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى.»

ونحن نسأل: هل يعنى ذلك طبقاً لهذا النص أن نبى الله يوحنا الذى كانت نهايته القتل كذاب؟ ـ والعياذ بالله ـ وهل ينطبق هذا النص أيضاً على نبى الله زكريا وغيرهم من الأنبياء الذين قتلوا؟ أم أن النص من المحرف؟

السؤال الثامن عشر

كتب يوحنا فى (١٩: ٣٣) حول حادثة الصلب المزعومة ما يلى:

وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات ٣٤ لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء ٣٥ والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم .

والسؤال هو

كيف تمكن الشاهد الذى عاين وشهد كما يقول يوحنا من التفريق بين الماء والدم من هذه الطعنة؟؟ لأنه من المعروف أن الماء إذا اختلط بالدم فإن الخليط سيصبح لونه أحمر أقل قتامة من الدم بحيث يستحيل على الرائى أن يفرق بين الدم والماء بالعين المجردة فى عصرنا هذا يمكن الوصول إلى ذلك بأدوات تحليل الدم

وخصوصاً أن الحادثة وقعت والظلام قد حل على الأرض كلها (مرقس : ١٥: ٣٣).

والنقطة الثانية والمهمة هى أن خروج الدم والماء من جنب يسوع لدليل دامغ على أنه لم يمت فمن المعروف أن دماء الموتى لا تسيل.

السؤال التاسع عشر

قال لوقا فى إنجيله عن ختان المسيح: «ولما تمت ثمانية ايام ليختنوا الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن» (٢: ٢١) والسؤال هو: هل القطعة المقطوعة من يسوع عندما ختن هل كانت متحدة باللاهوت أم انفصلت عنه وأين رموا القطعة بعد الختان؟

السؤال العشرون:

من الذى حبل مريم العذراء؟

يقول لوقا: «فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟» فأجاب الملاك: الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله.» لوقا ١: ٣٤ ـ ٣٥.

ومعنى ذلك أن الحمل تم عن طريقين: (الروح القدس يحل عليك) (وقوة العلى تظللك)، فهما إذن شيئان مختلفان وليسا متحدين.

فلو كان الروح القدس هو المتسبب فى الحمل، فلماذا ينسب إلى الله؟

ولو كان هناك اتحاد فعلى بين الأب والابن والروح القدس لا ينفصل طرفة عين، فعلى ذلك يكون الابن (الذى هو أيضاً الروح القدس) هو الذى حبل أمه.

السؤال الحادى والعشرون

يقول متى: «فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً.» متى ١: ١٧

وهذا يخالف ما ورد فى سفر أخبار الأيام الأول، فقد ذكر أن أجيال القسم

الثانى (ثمانية عشر). فقد أسقط متى يواش (أخبار الأيام الأول ٣: ١٢) وأمصيا (أخبار الأيام الأول ٣: ١٢) وعزريا (أخبار الأيام الأول ٣: ١٢) ويهوياقيم (أخبار الأيام الأول ٣: ١٦) وفدايا (أخبار الأيام الأول ٣: ١٩).

فكيف نسى الرب أن يوحى بهذه الأسماء ولماذا نسيهم؟ هل تعلم أن الرب لا ينسى؟ هل تعلم أن الرب صادق ولا يتكلم إلا بالصدق؟ (أنا الرب متكلم بالصدق) إشعياء ٤٥: ١٩، (فاعلم أن الرب إلهك هو الله، الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه، ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل) تثنية ٧: ٩، (ليس الله إنسانا فيكذب، هل يقوم ولا يفعل؟ أو يتكلم ولا يفى؟) عدد ٢٣: ١٩ فمن إذن الذى كتب هذا الكتاب؟

فلماذا حذف متى خمسة أجيال من ترتيبه بين داود والسبى البابلى؟ «وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا. ٧ وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد أبيا. وأبيا ولد آسا. ٨ وآسا ولد يهوشافاط.

ويهوشافاط ولد يورام. ويورام ولد عزيا. ٩ وعزيا ولد يوثام. ويوثام ولد أحاز. وأحاز ولد حزقيا. وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد آمون. وآمون ولد يوشيا. ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبى بابل.» (متى (١: ٦ ـ ١١).

وهل حذفهم من نفسه أو أوحى إليه ذلك؟ ولو أوحى الرب ذلك، فلماذا لم يعدل الرب من كتابه الأول لو كان هو الذى أوحى هذا الكلام؟

السؤال الثانى والعشرون

يقول الكتاب: «ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له.» متى ٢: ١ ـ ٢ «فلما سمعوا من الملك ذهبوا. وإذا النجم رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبى. فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جدا وأتوا إلى البيت ورأوا» متى ٢: ٩ ـ ١١

ما علاقة عبدة النار من المجوس باليهودية وبمجئ ملك اليهود؟ وكيف عرفوا ذلك على الرغم من عدم معرفة اليهود أنفسهم بهذا الموعد؟ فبعد ٣٣ سنة عاشوها معه سأله رئيس الكهنة: «أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟» متى ٢٦: ٦٣ «فوقف يسوع أمام الوالى. فسأله الوالى: أأنت ملك اليهود؟» متى ٢٧: ١١.

فلو صدقوا بذلك لكانوا من أتباع اليهودية! ولم نسمع ولم نقرأ ولم يسجل أحد المؤرخين القدماء أن المجوس سجدوا لأحد من ملوك اليهود، فلماذا تحملوا مشقة السفر وتقديم كنوزهم والكفر بدينهم والسجود لمن يقدح فى دينهم ويسب معبودهم؟

ثم كيف أمكن للنجم الضخم تحديد المكان الصغير الذى ولد فيه يسوع من مكان يبعد عن الأرض بلايين السنوات الضوئية؟ فالمعتاد أن أشير بأصبعى لأحدد سيارة ما. لكن أن أشير بالسيارة لأحدد أحد أصابع شخص، فهذا غير منطقى.

السؤال الثالث والعشرون

يقول الإنجيل إن رب الأرباب وملك الملوك لما بلغ عمره ثمانية أيام ختنوه: «ولما تمت ثمانية أيام ليختتوا الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن» لوقا ٢: ٢١.

فهل كان يحتوى الإله على جزء ضار غير نافع فى جسمه؟ وهل ترى احتفظوا بهذا الجزء أم تخلصوا منه فى القمامة؟

السؤال الرابع والعشرون

ورد فى إنجيل (متى ٢١: ٣٧) فى قوله «فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابنى». ويقصدون أن الله أرسل ابنه المسيح إلى شعب اليهود لأنهم لم يهابوا الله وقد يهابوا ابنه - تعالى الله عن هذا الخرافات علوا كبيراً.

ولو صدق أحد هذا لوجب ألا يكون هناك ثلاثة فى واحد، بل ثلاثة فى ثلاثة، حيث إن الإله الأول لم يهبه أحد، فأرسل إليهم ابنه!! فالمرسِل غير المرسَل.

وإذا كان الإله قد جاء فى صورة الجسد ليحدث التشابه بينه وبين الإنسان

فيوقع انتقامه على البشر وبذلك يخلصهم، فلماذا لم يُحى آدم لينتقم منه بدلاً من الانتقام من (شخص / أو إله / أو ابنه/ أو نفسه) برىء مظلوم؟ ولماذا لم يجئ فى صورة امرأة؟ ألم يقل بولس إن المرأة هى التى أغويت، وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى (تيموثاوس الأولى ٢ : ١٤).

السؤال الخامس والعشرون

هل المسيح كان من الأشرار؟

حسب الإيمان المسيحى نعم. فقد قرر الكتاب المقدس أن «الشرير فدية الصديق» أمثال ٢١ : ١٨، وقد قرر بولس أن المسيح صلب كفارة لخطايا كل العالم (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٢).

السؤال السادس والعشرون

يقول مرقس عن سمعان صخرة الكنيسة «فأنكر أيضاً. وبعد قليل أيضاً قال الحاضرون لبطرس: حقا أنت منهم لأنك جليلى ولغتك تشبه لغتهم. فابتدأ يلعن ويحلف: «إنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه!» مرقس ١٤ : ٧٠ ـ ٧١.

أين البر؟ وأين الفضيلة؟ وأين الأخلاق فى كذب بطرس ـ صخرة عيسى عليه السلام الذى يملك مفاتيح السماوات والذى عليه بنيت كنيسة يسوع، تلك الكنيسة التى لا تقوى أبواب الجحيم عليهما؟

السؤال السابع والعشرون

متى نزلت الحمامة بالضبط؟

بعد أن صعد من الماء: متى ٣ : ١٦ ـ ١٧

أثناء صعوده من الماء: مرقس ١ : ٩ ـ ١١

أثناء صلاته أى بعد التعميد: لوقا ٣ : ٢١ ـ ٢٢

ألا يعنى نزول روح الرب كحمامة وظهورها منفصلة أنه لا اتحاد بين روح الرب ويسوع؟ فقد ظهرا منفصلين وهل روح الرب صغيرة لدرجة أنها تتشكل

فى جسم حمامة؟ ولماذا لم تظهر روح الرب لكل الناس لتعلمهم بذلك؟ لماذا خصت المعمدان بهذا الشرف وحده؟

السؤال الثامن والعشرون

هل طريق يسوع هين وخفيف على سالكيه أم ضيق ملىء بالصعوبات؟ ضيق: «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه!» متى ٧: ١٤

هين: «احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم: لأن نيرى هين وحملى خفيف.» متى ١١: ٢٩ ـ ٣٠

السؤال التاسع والعشرون

ماذا فعل يسوع بعد أن أنهى الشيطان تجربته معه؟

«ثم تركه إبليس وإذا ملائكة فصارت تخدمه. ١٢ ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل. ١٣ وترك الناصرة وأتى فسكن فى كفر ناحوم التى عند البحر فى تخوم زبولون ونفتاليم » متى ٤: ١١ ـ ١٣.

«ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل وخرج خبر عنه فى جميع الكورة المحيطة. وكان يعلم فى مجامعهم ممجداً من الجميع. وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى.» لوقا ٤: ١٤

فترى يسوع عند متى كان فى الناصرة وانصرف منها إلى الجليل واستقر فى كفر ناحوم.

أما عند لوقا فقد رجع إلى الجليل واستقر فى الناصرة.

السؤال الثلاثون

متى أعطى يسوع التلاميذ القدرة على إخراج الشياطين؟

حدثت أولاً قصة المجنون الأخرس فى (متى ٩: ٣٢ ـ ٣٤)، ثم أعطاهم القدرة على إخراج الشياطين وإشفاء المرضى فى (متى ١٠: ١ ـ ١٠).

وعند لوقا أعطاهم أولاً القدرة على إخراج الشياطين وإشفاء المرضى (٩: ١ ـ ٦)، ثم حدثت قصة التجلى (٩: ٢٨ ـ ٣٦).

السؤال الحادى والثلاثون

لماذا لا تسجدون فى صلاتكم، كما كان يصلى المسيح؟

جاء عند متى عن المسيح «ثم تقدم وخر على وجهه وكان يصلى» متى ٢٦: ٣٩

وفى متى أيضاً أن يسوع قال لإبليس: عندما طلب منه إبليس أن يسجد له وقال له: «أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى». حينئذ قال له يسوع: «اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.» متى ٤: ٩ ـ ١٠ ولوقا ٤: ٧ ـ ٨.

وجاء عند مرقس: «ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن.» مرقس ١٤: ٣٥.

وأيضاً: «من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك، لأنك وحدك قدوس، لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أظهرت.» رؤيا يوحنا ١٥: ٤

السؤال الثانى والثلاثون

هل جهنم فى الفردوس عندكم؟ وأين كان يسوع عقب موته؟ هل كان فى الفردوس أم فى جهنم؟

لقد قال بولس: «وأما أنه صعد، فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. ١٠ الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السماوات، لكى يملأ الكل.» أفسس ٤: ٩ ـ ١٠.

أى أن يسوع نزل إلى الهاوية وجهنم لكى يخلص الخطاة ويحررهم من خطيئة آدم وحواء.

إلا أن يسوع نفسه قال: «وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا!. ٤ فانتهره الآخر قائلا: أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه؟ أما نحن فبعدل لأننا ننال

استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله. ٤٢ ثم قال ليسوع: اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك. ٤٣ فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معى فى الفردوس.» لوقا ٢٣: ٣٩ ـ ٤٣.

السؤال الثالث والثلاثون

هل من الرحمة أن يسلم الأب ابنه للصلب دون أن يقترف إثماً أو جريمة مَّا تستحق هذه العقوبة؟ وما الفائدة التربوية التى نتعلمها من مثل هذا التصرف؟ فما بالك إذا كان الآخر ابن الإله؟ وكيف يثق خلقه به إذا كان قد ضحى بالبار البرىء من أجل غفران خطيئة مذنب آخر؟ هل يعجبه أن يصفه أحد خلقه بالقسوة وعدم الرحمة؟ «الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين» رومية ٨: ٣١ ـ ٣٢.

ولو كان الصلب والفداء لغفران خطيئة آدم وحواء فكيف يكفر عن خطيئة الشيطان؟ وهل سيضطر إلى النزول مرة أخرى والزواج من شيطانة لينجب شيطاناً يصلب عن الشياطين؟ (أستغفز الله تعالى) أليست خطيئة الشيطان أعظم وأجل؟

وهل يعقل أن تكون قوانين الأمم المتحضرة اليوم أعدل من قانون الله، حيث إنها لا تحاسب الإنسان على فعل غيره ولو كان ابنه أو أباه؟ كيف تكون عملية الصلب والقتل وإسالة دم البرىء رحمة وهبة للبشرية؟

السؤال الرابع والثلاثون

لقد شهد إلاهكم قبل أن يموت على الصليب المزعوم ويفدى البشرية من خطيئة آدم أن تلاميذه من الأطهار باستثناء واحد منهم: «قال له سمعان بطرس: «يا سيد ليس رِجلى فقط بل أيضاً يدى ورأسى. قال له يسوع: «الذى قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله. وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم.» يوحنا ١٣: ٩ـ ١٠ ألا يكذب هذا بدعة الصلب والفداء؟

السؤال الخامس والثلاثون

جاء فى إنجيل متى قول المسيح: «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى» متى ٦: ١٤، ومعنى هذا أن غفران الله لنا يتوقف على مغفرتنا لإخواننا والتحاب بيننا، وليس على الصلب والفداء.

السؤال السادس والثلاثون

تزعمون أن المسيح جاء برضاه إلى الدنيا لكى يقتل على الصليب ولكى يصالح البشرية مع الله ويفديهم بدمه ليخلصهم من خطيئة أبيهم آدم. وهذا يتناقض مع ما جاء فى الأناجيل، فقد بينت الأناجيل أن المسيح لم يكن راضياً على صلبه، وأنه أخذ يصلى ويستغيث بالله، أن ينجيه من أعدائه، حتى أن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الأرض، واستمر فى دعائه قبل القبض عليه وبعد أن وضع على الصليب حسب اعتقادكم: «حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى فقال للتلاميذ: اجلسوا ههنا حتى أمضى وأصلى هناك. ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم: نفسى حزينة جدا حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت.» (متى ٢٦: ٣٦ ـ ٤٤) و(مرقس ١٤: ٣٢ ـ ٣٩) و(لوقا ٢٢: ٤١ ـ ٤٤).

السؤال السابع والثلاثون

لماذا حزن تلاميذه والمؤمنون لو كانوا قد علموا بفرية الفداء والصلب؟ ألم تكن هذه الحادثة مدعاة إلى سرور الناس جميعاً؟ «وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم.» لوقا ٢٣: ٤٨.

السؤال الثامن والثلاثون

هل كان الأنبياء الكبار قبل ديانة بولس يؤمنون بالتثليث وأن الله ثلاثة فى واحد؟ وأين الدليل؟

السؤال التاسع والثلاثون

ماذا تعنى عندكم هذه الفقرة: «لأنى أقول لكم: إنكم لا تروننى من الآن

حتى تقولوا: مبارك الآتى باسم الرب!» متى ٢٣: ٣٩؟

لو كان المسيح هو الله فكيف سيأتى باسم الرب لماذا لا يأتى باسمه هو؟

السؤال الأربعون

يقول متى إنه عند تعميد يسوع انفتحت السماء، وأتت روح الله كحمامة وتكلمت وسمعها الناس ويوحنا المعمدان أيضاً: «فلما تعمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السماوات قائلا: «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت.» متى ٣: ١٦ ـ ١٧

ويقول أيضاً: «وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً: «هذا هو النبى الحبيب الذى به سررت. له اسمعوا.» متى ١٧: ٥ وأيضاً مرقس ٢: ٧

إلا أن يوحنا، شاهد العيان، ينفى وقوع مثل هذا التمثيليات، ويؤكد أنه لم يسمع أحد قط صوت الله قائلاً: «والأب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته» يوحنا ٥: ٣٧ فوحى من نصدق إذاً؟

السؤال الحادى والأربعون

هل أراد عيسى عليه السلام حقا إفناء البشرية من عباد الله؟ فلماذا قال إذاً؟ «لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات. من استطاع أن يقبل فليقبل.» متى ١٩: ١٢

وأين حق النساء فى الزواج والاستمتاع بأزواجهن؟ ألم يعلم إلهكم بعلمه الأزلى أن الساقطات سوف يستخدمن مثل هذا القول من أجل تبرير السحاق؟

ولم يكن هو نفسه أو أحد الأنبياء مخصيا أو حتى أحد الحواريين، فمن المعروف أن بعض الحواريين كان متزوجاً مثل بطرس وبولس، بل ويندد سفر التثنية بمن يفعل ذلك قائلاً: «لا يدخل مخصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب.» تثنية ٢٣: ١

السؤال الثانى والأربعون

كم كان عمر عيسى عليه السلام حين صلبه اليهود على زعمكم؟

تقول كل كتب النصارى إن عمره كان حوالى ٣٣ سنة، إلا أن إنجيل يوحنا يفاجئنا بقول اليهود له: «فقال له اليهود: ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم؟» يوحنا ٨: ٥٧

فهل عاش فعلاً قريباً من هذا العمر؟ لأنه من السفه القول بأن الإنسان لا يمكنه التفرقة بين ابن الثلاثين وابن الخمسين فى الشكل.

السؤال الثالث والأربعون

من هو الكاهن الذى قتلته اليهود فى بيت الرب؟

«ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم: (هكذا يقول الله: لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون؟ لأنكم تركتم الرب قد ترككم). ٢١ ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك فى دار بيت الرب.» أخبار الأيام الثانى ٢٤: ٢٠

«لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل والصديق إلى دم ذكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح. ٣٦ الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتى على هذا الجيل!» متى ٢٣: ٣٥ ـ ٣٦.

لقد أخطأ الكاتب بين زكريا بن يهوياداع الكاهن الذى قتل (أخبار الأيام الثانى ٢٤: ٢٠ ـ ٢٢) وبين زكريا بن برخيا (زكريا ١: ١، ٧).

انظر هامش إنجيل متى صفحة ٦ ـ ١١ من الكتاب المقدس.

السؤال الرابع والأربعون

هل يريد الرب أن يخلص كل الناس أم يصدقوا الكذب ويهلكون؟

«لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله، ٤ الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.» تيموثاوس الأولى ٢: ٣ ـ ٤

«ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال، حتى يصدقوا الكذب، ٢ لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سروا بالإثم.» تسالونيكى الثانية ٢: ١١ ـ ١٢

السؤال الخامس والأربعون

جاء فى إنجيل مرقس ١٤: ٢٧ ـ ٣١ «وقال لهم يسوع: إن كلكم تشكون فى هذه الليلة لأنه مكتوب: أنى أضرب الراعى فتبدد الخراف. ٢٨ ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل». فقال له بطرس: وإن شك الجميع فأنا لا أشك! ٣٠ فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات». ٣١ فقال بأكثر تشديد: ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك. وهكذا قال أيضاً الجميع.»

ان قول بطرس والتلاميذ هنا «ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك» لدليل على معرفة التلاميذ له بأنه إنسان معرض للهلاك والموت، وأن هرطقة الاتحاد بينه وبين الله والروح القدس من الخرافات التى دخلت فيما بعد على دين عيسى عليه السلام وأفسدت رسالته الحقة. وكيف يكون هو الإله والله هو الحى الباقى الذى لا يموت؟

السؤال السادس والأربعون

من الذى دعا إلى انعقاد المجمع المسكونى الأول (نيقية)؟ وماذا كانت ديانته؟

السؤال السابع والأربعون

من هو مترجم كل إنجيل؟ وما هى كفاءته العلمية واللغوية بكلا اللغتين؟ وما هى درجة تقواه وتخصصه؟ وما هى جنسيته؟

السؤال الثامن والأربعون:

ما حكاية الموحدون الأوائل الذين كانوا يعيشون من القرن الأول حتى القرن الرابع الميلادى؟ مثل فرقة أبيون وفرقة الشنشاطى وفرقة آريوس وفرقة ميلينوس؟ وقد كانوا كلهم من الفرق التى تنادى بلا إله إلا الله عيسى عبد الله ورسوله.

السؤال التاسع والأربعون

هل بخطيئة واحد أخطأ الجميع رومية ٥: ١٢ أم أخطأ الكثيرون رومية ٥: ١٩؟

وما رأيكم فى قول يعقوب فى رسالته: «وتم الكتاب القائل: «فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا» ودعى خليل الله.» يعقوب ٢: ٢٣، وأيضاً «وبارك الرب إبراهيم فى كل شىء» تكوين ٢٤: ١، فقد كان إبراهيم إذاً من الأبرار، من قبل أن يتجسد الإله ويصلب.

وكذلك «وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه» تكوين ٥: ٢٤

وأيضاً «بالإيمان نقل أخنوخ لكى لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله - إذا قبل شهد له بأنه قد أرضى الله.» عبرانيين ١١: ٥ وكذلك «صعد إيليا فى العاصفة إلى السماء» ملوك الثانى ٢: ١١

السؤال الخمسون

هل قال عيسى لتلاميذه وأتباعه، إنه يتكون من جزء لاهوتى وجزء ناسوتى؟ وأنه إله كامل وإنسان كامل؟ أيد إجابتك بالأدلة النقلية من الكتاب المقدس على لسان المسيح.

السؤال الحادى والخمسون

أين نجد قول عيسى عليه السلام نفسه لتلاميذه إنه الله وقد نزل إلى الدنيا لكى يغفر للبشر خطاياهم بالصلب؟

فإن كان الجواب بالإيجاب، فأيد إجابتك من الأناجيل

السؤال الثانى والخمسون

كم عدد الشهود الذين شهدوا أنه قال إنه ينقض الهيكل ويبنيه فى ثلاثة أيام؟ حسب إنجيل متى: كانوا اثنين فقط «...... ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور وقالا: «هذا قال إنى أقدر أن أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه.» متى ٢٦: ٦٠ - ٦١.

ولكن حسب إنجيل مرقس كانوا قوماً: «ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين: نحن سمعناه يقول: إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأيادٍ.» مرقس ١٤: ٥٧ - ٥٨.

السؤال الثالث والخمسون

لماذا تنكرون التعدد فى الزوجات وكتابكم المقدس يقول:

زوجات إبراهيم هن:

١- سارة أخته لأبيه (تكوين ٢٠: ١٢)

٢- هاجر (تكوين ١٦: ١٥)

٣- قطورة (تكوين ٢٥: ١)

٤- حجور (الطبرى ج ١ ص ٣١١)

٥- يقول سفر التكوين: «وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حى.» تكوين ٢٥: ٦

ومعنى ذلك أنه كان سيدنا إبراهيم يجمع على الأقل ثلاث زوجات بالإضافة إلى السرارى التى ذكرها الكتاب بالجمع.

وإذا علمنا أن سليمان كان عنده ٣٠٠ من السرارى، وداود ترك جزءا من سراريه لحفظ البيت، ويبلغ عددهن ١٠ سرارى (صموئيل الثانى ١٥: ١٦).

فإذا ما افترضنا بالقياس أن سيدنا إبراهيم كان عنده ١٠ سرارى فقط بالإضافة إلى زوجاته، يكون قد جمع تحته ١٣ زوجة وسرية.

وزوجات يعقوب هن

١- ليئة

٢- راحيل

٣- زلفة

٤- بلهة

وبذلك يكون سيدنا يعقوب قد جمع ٤ زوجات فى وقت واحد.

وزوجات موسى هن

١- صفورة (خروج ٢: ١١ ـ ٢٢)

٢- امرأة كوشية (وهو فى سن التسعين) عدد ١٢: ١ ـ ١٥

وبذلك يكون نبى الله موسى قد تزوج من اثنتين (يؤخذ فى الاعتبار أن اسم حمى موسى جاء مختلفاً: فقد أتى رعوئيل (خروج ٢: ٢٨) ويثرون (خروج ٣: ١) وجوباب القينى قضاة ١: ١٦) وقد يشير هذا إلى وجود زوجة ثالثة لموسى عليه السلام؛ إلا إذا اعترفنا بخطأ الكتاب فى تحديد اسم حمى موسى عليه السلام.

وزوجات جدعون هن

«كان لجدعون سبعون ولداً خارجين من صلبه، لأن كانت له نساء كثيرات» قضاة ٨: ٣٠ ـ ٣١

وإذا ما حاولنا استقراء عدد زوجاته عن طريق عدد أولاده، نقول: أنجب إبراهيم ١٣ ولداً من ٤ نساء. فيكون المتوسط التقريبى ٣ أولاد لكل امرأة.

وكذلك أنجب يعقوب ١٢ ولداً من ٤ نساء، فيكون المتوسط التقريبى ٣ أولاد لكل امرأة. ولما كان جدعون قد أنجب ٧٠ ولداً: فيكون عدد نسائه إذن لا يقل عن ٢٣ امرأة.

وزوجات داود هن

١- ميكال ابنة شاول (صموئيل الأول ١٨: ٢٠ ـ ٢٧)

٢- أبيجال أرملة نابال (صموئيل الأول ٢٥: ٤٢)

٣- أخينوعيم اليزرعيلية (صموئيل الأول ٢٥: ٤٣)

٤- معكة ابنة تلماى ملك جشور (صموئيل الثانى ٣: ٢ ـ ٥)

٥- حجيث (صموئيل الثانى ٣: ٢ ـ ٥)

٦- أبيطال (صموئيل الثانى ٣: ٢ ـ ٥)

٧- عجلة (صموئيل الثانى ٣: ٢ ـ ٥)

٨- بثشبع أرملة أوريا الحثى (صموئيل الثانى ١١: ٢٧)

٩- أبيشج الشونمية (ملوك الأول ١: ١ ـ ٤)

وجدير بالذكر أن زوجة نبى الله (أبيشج الشونمية) كانت فى عمر يتراوح بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة، وكان داود قد شاخ، أى يتراوح عمره بين ٦٥ و٧٠ سنة. أى أن العمر بينه وبين آخر زوجة له كان بين ٤٥ و٥٠ سنة.

وكذلك كان عمر إبراهيم عندما تزوج هاجر ٨٥ (أنجب إسماعيل وعمره ٨٦ سنة (تكوين ١٦: ١٦). وكان عمر هاجر عندما تزوجها إبراهيم حوالى ٢٥ إلى ٣٠ سنة (فقد أعطيت لسارة من ضمن هدايا فرعون له، وتزوجها بعد هذا الموعد بعشر سنوات هى مدة إقامته فى أرض كنعان.فمتوسط عمرها عندما أُهديت لسارة بين ١٥ ـ ٢٠ سنة).

وبذلك يكون الفرق فى العمر بين إبراهيم وهاجر بين ٥٥ و٦٠ سنة.

«وعلم داود أن الرب قد أثبته ملكاً على إسرائيل، وأنه قد رفع ملكه من أجل شعبه إسرائيل. ١٣ وأخذ داود أيضاً سرارى ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون، فولد أيضاً لداود بنون وبنات.» صموئيل الثانى ٥: ١٢ ـ ١٣.

ويمكن استقراء عدد نساء داود فى أورشليم كالآتى:

ملك داود فى حبرون على سبط يهوذا نحو ٧ سنين، تزوج فيها ست زوجات، أى بمعدل زوجة جديدة كل سنة.

ولما انتقل داود إلى أورشليم ملكاً على إسرائيل، كان عمره ٣٧ سنة، وقد بدأت المملكة تستقر.

فمن المتوقع أن يستمر معدل إضافة الزوجات الجدد كما كان سلفاً، أى زوجة جديدة كل سنة. وإذا أخذنا عامل السن فى الاعتبار، فإننا يمكننا تقسيم مدة حياته فى أورشليم، التى بلغت ٣٣ سنة إلى ثلاث فترات، تبلغ كل منها إحدى عشرة سنة، ويكون المعدل المقبول فى الفترة الأولى زوجة جديدة كل سنة، وفى الفترة الثانية زوجة جديدة كل سنتين، وفى الفترة الثالثة زوجة جديدة كل ثلاث سنوات.

وبذلك يكون عدد زوجات داود الجدد اللائى أخذهن فى أورشليم ٢٠ زوجة على الأقل.

أما بالنسبة للسرارى فيقدرها العلماء بـ ٤٠ امرأة على الأقل. فقد هرب داود خوفاً من الثورة التى شنها عليه ابنه أبشالوم مع زوجاته وسراريه وترك عشر نساء من سراريه لحفظ البيت (صموئيل الثانى ١٥: ١٢ ـ ١٦).

وبذلك يكون لداود ٢٩ زوجة و ٤٠ سرية، أى ٦٩ امرأة على الأقل. وهذا رقم متواضع إذا قورن بحجم نساء ابنه سليمان الذى وصل إلى ١٠٠٠ امرأة.

نساء رحبعام هن:

«وأحب رحبعام معكة بنت أبشالوم أكثر من جميع نسائه وسراريه لأنه اتخذ ثمانى عشرة امرأة وستين سرية وولد ثمانية وعشرين ابناً وستين ابنة.» أخبار الأيام الثانى ١١: ٢١

نساء هوشع هن:

زوجتان (هوشع ١: ٢ ـ ٣ و هوشع ٣: ١ ـ ٢).

الحُسينى الحُسينى معدّى

فهرس الكتاب



1

الأجوبة الجليَّة

فى الرد على الأسئلة المسيحية

في زمن المحن والاختبارات تكثر الابتلاءات، وتتوالى على الأمة الإسلامية، وها نحن الآن نعيش هجمة شرسة على القرآن الكريم والرسول محمد ﷺ لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وإن لم تكن الأولى ولا الأخيرة. وساعد على ذلك ظهور العولمة بثوراتها العلمية الجبارة المتمثلة في الإنترنت، والقنوات الفضائية، والموبايل... إلخ.

ونظراً لتعرض الإسلام والمسلمين لحرب دينية مسخر لها أقوى وأعتى جمعيات تنصيرية وكنسية في العالم. ومع خطورة هذه الحرب الشرسة، واستخدام الخصم لأبشع الألفاظ من السب والشتم والكذب الواضح على النبي ﷺ وديننا العظيم.

ومن أجل أن يكون في متناول يدك الإجابة المقنعة والحجة القوية للرد على أكاذيب المبشرين والمنصِّرين حول الإسلام ونبيه، ومصادره وتعاليمه، ولإبطال كيد المتربصين والحاقدين على الإسلام باعتباره أسرع الأديان انتشاراً في العالم.

نضع بين يدى القارئ المسلم، والباحث عن الحق من النصارى في أي مكان هذا الإصدار، والذي التزمنا فيه بالموضوعية، والحوار الهادئ، والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال الحسن القائم على الحجة والمنطق والبرهان.

والله نسأل القبول والإخلاص وهو الموفق إلى طريق الهدى والرشاد.

W.Salama 010 15 17 873


I.S.B.N. 977-376-305-6
9789773763053



الأجوبة الجليَّة

فى الرد على الأسئلة المسيحية

شبهات النصارى حول الرسول (صلى الله عليه وسلم)



الحسينى الحسينى معدى

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

مسيحى يسأل؟ 2

ومسلم يجيب



اسم الكتاب : الأجوبة الجليه فى الرد على الأسئلة المسيحية ـ جـ ٢

اسم المؤلف : الحسينى الحسينى معدّى

المراجعة اللغوية والتدقيق : طه عبدالرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٧/١٥١٣٦

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 376 - 306 - 4

تطلب كافة منشوراتنا :

حلب : دار الكتاب العربى ـ الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين ـ ت: ٢٢٥٦٨٧٠

دمشق : مكتبة رياض العلبى ـ خلف البريد ـ ت : ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى ـ أمام البريد ت : ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة ـ جسر فيكتوريا ت : ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبه الفتال ـ فرع أول ـ ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثانى ـ ت : ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى

٢٠٠٧



E-mail:darkitab2003@yahoo.com



سوريا ـ دمشق ـ الحجاز ـ شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٣٤٨٢٥ فاكس : ٢٢٤٧٢٩٧

مصر ـ القاهرة ـ ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت ـ شقة ١١ تلفاكس : ٢٣٩١٦١٢٢

لبنان ـ تلفاكس : ٤٣٤١٨٦ / ٠٥ ـ تليفون : ٦٥٢٢٤١ / ٠٣ ـ ص. ب ٣٠٤٣ الشويفات

الأجوبه الجليه فى الرد على الأسئلة المسيحية

الجزء الثانى

◆

الحسينى الحسينى معدى

◆

الناشر



دمشق - القاهرة

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

كثر الافتراء على القرآن الكريم وعلى خاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبدالله - صلوات الله وسلامه عليه - من قبل المبشّرين والمنصّرين الحاقدين على الإسلام، والحاقدين على الشباب المسلم المبلغ لدين الله فى كثير من الدول الغربية الذين ساعدوا الكثير من النصارى للاهتداء إلى الدين الحق.. الإسلام دين الأنبياء والرسل جميعاً. فما كان من هؤلاء المبشّرين والمنصّرين الذين لا يريدون الانصياع لكلمة الله سبحانه وتعالى، واتباع دينه الصحيح، والتصديق بنبيه الأمى الصادق الأمين إلا أن زادوا فى افتراءاتهم وشبهاتهم حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ لتشكيك المسلمين فى دينهم، ومحاولة تنصيرهم بكل الأساليب والوسائل الممكنة. وما هذا كله إلا للتعصب الدينى والعرقى لدين الآباء والأجداد المحرف بشهادة علمائهم وكتّابهم المشهورين!!

فما كان من الباحث إلا أن كتب هذا الكتاب لكشف أكاذيبهم وافتراءاتهم حول الدين الإسلامى، وإظهار زور كتبهم، وتحريف أسفارهم!!

ولا شك بأن من يغمض عينيه عن الحق، ويصم أذنيه دون الحق فإنه لن يضر الحق، وإنما سيضر نفسه... وستبقى الشمس ساطعة مضيئة لكل ذى عينين.

وفى زمن المحن والاختبارات، تكثر الابتلاءات وتتوالى على الأمة الإسلامية، وها نحن الآن نعيش هجمة شرسة، وإن لم تكن الأولى ولا الأخيرة. لها أقوى وأعتى

جمعيات تنصيرية وكنسية فى العالم. ومع خطورة هذه الحرب الشرسة، ولدادة الخصم، واستخدامه لأبشع الألفاظ من السب والشتم، والكذب الواضح على النبى ﷺ وديننا العظيم. قام الباحث بجمع أهم الردود على الشبه التى يوردها النصارى عن الإسلام على شبكة الإنترنت العالمية، والقنوات الفضائية وخاصة قناة الحياة التبشيرية التى تقوم على أكاذيب وأباطيل القمص زكريا بطرس، إلى جانب الكتب والمطبوعات والأسطوانات والإصدارات بأنواعها المختلفة، والتى تنشرها الجمعيات التنصيرية والكنسية فى الداخل والخارج.

ونظراً لتعرضنا الشديد نحن المسلمين لمحاولات التبشير والتنصير، وإهانة عقائدنا ومقدساتنا الإسلامية بمواقع الإنترنت، وغرف الدردشة، وتشويه صورة الإسلام عامة. فكان لزاماً علينا الرد على أباطيل وافتراءات المبشّرين والمنصّرين أينما وجدوا، وبيان حقيقة الإسلام العظيم.

والجدير بالذكر أن نشير أن بعض المسلمين يحرص على تجنب الكتابة فى موضوع المسيحية ومناقشة أهلها والرد على شبهاتهم لأسباب مختلفة. منها الرضوخ لضغط الأقليات الدينية أو الأكثريات الدينية. ومنها الرغبة فى المجاملة. ومنها عدم توفر المعلومات لدى الكاتب، ومنها عدم الاهتمام بالموضوع كله. ولكننا نرى الأمر من زاوية أخرى. فالأمر فى غاية الأهمية من وجهة نظر الباحث. فمن كان يعتقد أنه يعرف الحقيقة، فعليه ألا يبخل على الناس بها حتى يشعر أنه قام بواجبه نحو نفسه ونحو الآخرين من حوله، ونحو الأمة كلها.

وهذا الكتاب نقدمه اليوم بدافع حب الخير لجميع عباد الله، وبدافع أن تعم هداية الله سبحانه وتعالى وتسود، وبدافع تبيان الحقائق لمن تهمه الحقائق. ولنرد فيه على معظم مزاعم وافتراءات وشبهات أعداء الإسلام والكارهين له، ونقارن فيه بين عقائدهم وعقائد المسلمين الصحيحة بعبارة سهلة.

وليس الهدف من الكتاب مهاجمة المسيحيين، بل المقصود مناقشة الديانة المسيحية والكتاب المقدس، وكذلك الرد على ادعاءات المبشّرين والمنصّرين الذين يطعنون فى الدين الإسلامى الحنيف. ويريدون تأليه عيسى عليه السلام من خلال القرآن

الكريم، أمـلاً فى أن تضـعـف جـذوة الإسـلام فى قلوب أتبـاعـه، وتخبـو أنواره فى قلوبهم وسـاعتها يمكن القضـاء عليهم، وهذه هى مـهمة التنصيـر الآن: إما تنصيـر المسلم، أو على الأقل رده عن دينه فلا يهتم به ولا يدافع عنه. وأراد الباحث تجميع معظم الشبهات والرد عليها فى سلسلة وأجزاء متتالية، لبيان كذب وافتراء خصوم الإسلام. وتتبع كل ما يستجد ويثار من المزاعم والأباطيل والافتراءات حول الإسلام والرد عليهـا سـواء أكـانت على شـبكة الإنتـرنت أو قناة الحـيـاة أو إصـدار من الإصدارات المختلفة مقروءة أو مسموعة أو مرئية.

والحمد لله الذى جعل حق الدفاع عن الدين الإسلامى ليس حكراً على أحد ما دام يراعى الموضوعية والحيادية التامة والتماس الحق والحقيقة أيّاً كانت.

ولذلك نضع بين يدى القـارئ المسلم الكريم، والبـاحث عن الحق من اليـهـود والنصارى الصادقين هذا الكتاب.

وأسـأل الله العلى العظيم رب العـرش الكريم أن ينفع بهـذا الكتـاب إخـوتنا المسلمين حتى يستطيعوا الرد على شبهات النصارى. كما أسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم القيامة.

وأدعو الله أن يسـاهم هذا الكتـاب فى تثبيت قلوب المؤمنين ودحـر كيد أعداء الدين، وأن تكون الشـبـهـات البـاطلة قد ذهبت أمام الحق أدراج الريـاح، فكانت هباءً منثوراً. وصدق الله العظيم القـائل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ١٨).

الحسينى الحسينى معدّى

شبهات والرد عليها

١ ـ زواج الرسول ﷺ من عائشة رضي الله عنها

يحاول الحاقدون على الإسلام من النصارى أن يثيروا الشبهات فى زواج رسول الله ﷺ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وللرد عليهم وتبيان جهلهم نقول وكما ذكرنا فى الجزء الأول ولكننا نبسط هنا الموضوع وبالله التوفيق:

أولاً : نقول لهم: إذا كنتم تعيبون النبى محمداً ﷺ أنه تزوج عائشة وهى صغيرة، فما رأيكم فى أنبياء كتابكم المقدس الذى وصفهم بأنهم زناة ومجرمون كداود وحاشاه، وسراق كيعقوب وحاشاه، وعباد أوثان كسليمان وحاشاه إلخ؟! مع أن هذه الخطايا غير مسقطة لنبوتهم كما تؤمنون..؟!

أليس من العجيب إنكارهم على رسول الله ﷺ زواجه الشرعى من السيدة عائشة رضي الله عنها وهم يقبلون من كتابهم المقدس أن الأنبياء يمارسون زنا المحارم كالنبى لوط عليه السلام ويهوذا، ويزنون ويقتلون ليس فقط بدون وجه حق بل للوصول للزنا كقصة النبى داود عليه السلام وزوجة أوريا وأنهم أهل خمر كالنبى نوح والنبى لوط عليهما السلام فوق ذلك كله أنهم عبدة أوثان كالنبى سليمان عليه السلام الذى عبد الأوثان لأجل إرضاء زوجاته الوثنيات. كما فى سفر الملوك.

ثانياً: لعل النصارى لا يقرأون كتابهم ولا يعرفون دينهم جيداً.. ولعل القساوسة يخفون الحقائق دائماً، ففى الوقت الذى كان يسأل فيه النصارى عن زواج الرسول الكريم من السيدة عائشة ويدعون أن الفرق السنى كبير بل كبير جدا فى وجهة نظرهم المحدودة...

نجد أن السيدة مريم العذراء حينما كانت متزوجة (أو مخطوبة) بشهادة النصارى من يوسف النجار وولدت السيد المسيح.. كان سنها ١٢ سنة فقط في حين كان يوسف النجار على مشارف التسعين من عمره.. حوالى (٨٩).. يعنى أكبر منها بحوالى ٧٧ سنة.. وهذا الكلام موثق فى الموسوعة الكاثوليكية...

http://www. newadvent. org/cathen/ 08504 a.htm

"a respectable men to espouse Mary, then twelve to fourteen years of age, joseph, who was at the ninety years old"

http://www. cin. org/ users/ james/ filles/ key 2 mary. htm

"Virgin Mary Delivers jesus pbuh @ the age of 12".

ثالثاً: أن زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة ﵂ كان أصلاً باقتراح من خولة بنت حكيم على الرسول ﷺ لتوكيد الصلة مع أحب الناس إليه سيدنا أبى بكر الصديق، لتربطهما أيضاً برباط المصاهرة الوثيق.

رابعاً: أن السيدة عائشة ﵂ كانت قبل ذلك مخطوبة لجبير بن المطعم بن عدى، فهى ناضجة من حيث الأنوثة مكتملة بدليل خطبتها قبل حديث خولة.

خامساً: أن قريش التى كانت تتربص بالرسول ﷺ الدوائر لتأليب الناس عليه من فجوة أو هفوة أو زلة، لم تدهش حين أعلن نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين وأوفى صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أى أمر طبيعى.

سادساً: أن السيدة عائشة ﵂ لم تكن أول صبية تزفُّ فى تلك البيئة إلى رجل فى سن أبيها، ولن تكون كذلك أُخراهن. لقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عم آمنة فى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبية هى فى سن هالة وهى آمنة بنت وهب. ثم لقد تزوج سيدنا عمر بن الخطاب من بنت سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو فى سن جدها، كما أن سيدنا عمر بن الخطاب يعرض بنته الشابة حفصة على سيدنا أبى بكر الصديق وبينهما من فارق السن مثل الذى بين الرسول ﷺ وعائشة ﵂. ولكن نفراً من المستشرقين يأتون بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام من ذلك الزواج فيهدرون فروق العصر والإقليم، ويطيلون القول

فيما وصفوه بأنه الجمع الغريب بين الكهل والطفولة ويقيسون بعين الهوى زواجاً عقد فى مكة قبل الهجرة بما يحدث اليوم فى بلاد الغرب حيث لا تتزوج الفتاة عادة قبل سن الخامسة والعشرين.

ويجب الانتباه إلى أن نضوج الفتاة فى المناطق الحارة مبكر جدا وهو فى سن الثامنة عادة، وتتأخر الفتاة فى المناطق الباردة إلى سن الواحد والعشرين كما يحدث ذلك فى بعض البلاد الباردة. وأيا ما يكون الأمر فإنه ﷺ لم يتزوج السيدة عائشة رضي الله عنها من أجل المتعة، وهو الذى بلغ الخامسة والخمسين من عمره، وإنما كان ذلك لتوكيد الصلة مع أحب الرجال إليه عن طريق المصاهرة، خاصة بعد أن تحمل أعباء الرسالة وأصبحت حملاً ثقيلاً على كاهله، فليس هناك مجال للتفكير بهذا الشأن، ولو كان ﷺ همه النساء والاستمتاع بهن لكان فعل ذلك أيام كان شابا حيث لا أعباء رسالة ولا أثقالها ولا شيخوخة، بل عنفوان الشباب وشهوته الكامنة. غير أننا عندما ننظر فى حياته فى سن الشباب نجد أنه كان عازفاً عن هذا كله، حتى إنه رضى بالزواج من السيدة خديجة رضي الله عنها الطاعنة فى سن الأربعين وهو ابن الخامسة والعشرين.

ثم لو كان عنده هوس بالنساء لما رضى بهذا عمراً طويلاً حتى توفيت زوجته خديجة رضي الله عنها دون أن يتزوج عليها. ولو كان زواجه منها فلتة فهذه خديجة رضي الله عنها توفاها الله، فبمن تزوج بعدها؟ لقد تزوج بعدها بسودة بنت زمعة العامرية جبراً لخاطرها وأنساً لوحشتها بعد وفاة زوجها وهى فى سن كبير، وليس بها ما يرغب الرجال والخطاب. هذا يدل على أن الرسول ﷺ كان عنده أهداف من الزواج إنسانية وتشريعية وإسلامية ونحو ذلك. ومنها أنه عندما عرضت عليه خولة بنت حكيم الزواج من عائشة فكر الرسول ﷺ أيرفض بنت أبى بكر وتأبى عليه ذلك صحبة طويلة مخلصة ومكانة أبى بكر عند الرسول والتى لم يظفر بمثلها سواه. ولما جاءت عائشة رضي الله عنها إلى دار الرسول ﷺ فسحت لها سودة المكان الأول فى البيت وسهرت على راحتها إلى أن توفاها الله وهى على طاعة الله وعبادته، وبقيت السيدة عائشة رضي الله عنها بعدها زوجة وفية للرسول ﷺ تفقهت عليه حتى أصبحت من أهل العلم والمعرفة بالأحكام الشرعية. وما كان حب الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها إلا

امتداداً طبيعيا لحبه لأبيها رضي الله عنه. ولقد سُئل عليه الصلاة والسلام: من أحب الناس إليك؟ قال: (عائشة) قيل: فمن الرجال؟ قال: (أبوها). هذه السيدة عائشة رضي الله عنها الزوجة الأثيرة عند الرسول ﷺ وأحب الناس إليه. لم يكن زواجه منها لمجرد الشهوة ولم تكن دوافع الزواج بها المتعة الزوجية بقدر ما كانت غاية ذلك تكريم أبى بكر وإيثاره وإدناءه إليه وإنزال ابنته أكرم المنازل فى بيت النبوة.. والحمد لله رب العالمين.

سيرة زواج السيدة عائشة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ

لفضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام... مع الدرس الحادى عشر من دروس سير الصحابيَّات الجليلات رضوان الله تعالى عليهن أجمعين، ومع أمهات المؤمنين، زوجات رسول الله ﷺ، ومع الزوجة الثالثة السيدة عائشة بنت أبى بكر رضي الله عنها.

أيها الإخوة الكرام... قد يسأل أحدكم: هذا الفارق الكبير فى السن بين السيدة عائشة وبين رسول الله ﷺ؟ كيف تزوج النبى امرأة فى سن أمه؟ ثم كيف تزوج امرأة فى سن ابنته؟ الأمور التى لا يدلى الشرع فيها بحكم ترجع إلى الأعراف.

فأنت إذا قلت: أنا أكلت اللحم. ماذا تقصد؟ لحم الضأن أو لحم البقر، لأنك إذا أكلت سمكاً تقول: أكلت سمكاً. فإذا إنسان حلف بالطلاق ألا يأكل لحماً، فهل بإمكانه أن يأكل سمكاً؟ نعم بإمكانه، مع أن السمك لحم، لكن العرف هو أن اللحم هو لحم الضأن أو البقر والسمك شىء آخر، ففى الموضوعات التى لم يكن هناك حكم شرعى يعود الأمر إلى العرف.

وهذا موضوع طويل فى أصول الفقه، باب كبير، فأحد المصادر التشريعية العرف فهو الذى يحكم القضايا التى ليس فيها حكم شرعى.

لو أن فى زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة، أى مأخذ فى أعراف العرب وقتها لأخذ على النبى ﷺ هذا الزواج، بل إن البيئة وقتها تسمح بأن تأخذ امرأة فى سن أمك، وتسمح بأن تأخذ امرأة فى سن ابنتك؛ ولكن السيدة عائشة لها دور كبير جدا فى موضوع الفقه..

فقال بعض العلماء: «إن ربع الأحكام الشرعية علم منها». إن ربع الأحكام الشرعية التى عرفناها من رسول الله ﷺ إنما عرفت من أحاديث روتها السيدة عائشة رضي الله عنها، فامرأة النبى، زوجة النبى، أم المؤمنين لها دور خطير جدا فى الدعوة؛ لأنها يمكن أن تختص بالنساء، تعلمون أن النساء يسألن النبى ﷺ عن موضوعات تخص حالهن، وأفضل إنسانة تعبر عن الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة زوجة رسول الله ﷺ، إذ لها دور فى الدعوة.

ويقول العلماء أيضاً: «ما رأوا أحداً أعلم بمعانى القرآن وأحكام الحلال والحرام من السيدة عائشة، وما رأى العلماء أحداً أعلم بالفرائض وللطب والشعر والنسب من السيدة عائشة». مع أنها صغيرة إلا أنها كانت شيئاً نادراً فى الذكاء، وشيئاً نادراً فى الحفظ، وشيئاً نادراً فى الوفاء للنبى ﷺ.

إذا فليعلم القارئ حقا ويطمئن أن زوجات النبى ﷺ قد اختارهن الله جل جلاله له، لما سيكون لهن من دور فى الدعوة مستقبلاً.

فهذا الذى يفكر أن النبى تزوج زوجة فى سن ابنته، أو امرأة فى سن أمه، هذا لا يعرف من هو النبى، فالنبى ﷺ بقى مع السيدة خديجة وهى فى سن أمه ربع قرن، وكان بإمكانه أن يتزوج أجمل فتيات مكة، فهو بعيد جدّاً عن هذا الذى يفكر فيه أعداء الإسلام.

أيها الإخوة الكرام... هذه السيدة الجليلة - السيدة عائشة - روت عن رسول الله ﷺ ألفى حديث ومئتين وعشرة أحاديث، وحفظت القرآن الكريم كله فى حياة النبى ﷺ.

إذاً من يقول: إن هناك فارقاً فى السن. هذا الفارق فى السن كان مألوفاً فى عصر النبى، ولو كان هناك مطعن فى هذا الموضوع لما سكت أعداء النبى، ولجعلوا

من هذه القضية قضية كبيرة جدا.

من صفات هذه الزوجة الطاهرة، على صغر سنها، أنها كانت نامية ذلك النمو السريع، العوام الآن يعبرون عن هذه الظاهرة بقولهم:

قطعتها كبيرة. فالعبرة بالمرأة فى قطعتها لا فى عمرها، كانت على صغر سنها نامية ذلك النمو السريع الذى تنموه نساء العرب، وكانت متوقدة الذهن، نيرة الفكر، شديدة الملاحظة، وهى وإن كانت صغيرة السن لكنها كبيرة العقل.

نحن تعلمنا فى الجامعة أن للإنسان عمرين؛ عمر زمنى، وعمر عقلى، وقد يبتعدان عن بعضهما، قد تجد إنساناً عمره الزمنى عشر سنوات، أما عمره العقلى فخمسة عشر عاماً، وقد تجد إنساناً عمره الزمنى عشرون عاماً؛ وعمره العقلى خمسة عشر عاماً، فالعقل لا ينمو مع نمو الجسم بل له نموه الخاص، فالسيدة عائشة رضي الله عنها على صغر سنها نمت نموا سريعاً وعلى صغر سنها كانت متوقدة الذهن، نيرة الفكر، شديدة الملاحظة، فهى وإن كانت صغيرة السن لكنها كبيرة العقل، أى لها دور فى الدعوة الإسلامية.

تروى كتب السيرة أن النبى ﷺ تزوج امرأة فيما بعد، قال لها ضراتُها:

«إذا التقيت بالنبى فقولى له: أعوذ بالله منك».

فلما دخل عليها النبى قالت:

- «أعوذ بالله منك». فماذا قال لها؟:

«الحقى بأهلك».

(من صحيح البخارى: عن «السيدة عائشة»).

رفضها، هل يعقل أن تكون زوجة رسول الله بهذا الإدراك؟ فهى مبلغة عن رسول الله، تبلغ عنه الشرع، شىء خطير جدا أن تكون زوجة النبى ﷺ محدودة التفكير، لأنها تنقل عنه، وربما نقلت عنه الشىء الذى ما أراده النبى ﷺ.

إذاً هناك حكمة إلهية بالغة من أن الله سبحانه وتعالى هيأ لرسوله الكريم هذه الزوجة العاقلة، المتقدة فى الذهن والذكاء والفطنة، كثيرة الملاحظة، ذات النفسية الطيبة.

يقولون: «ولو لم تكن السيدة عائشة ﵂ فى تلك السن التى صحبت بها رسول الله ﷺ، وهى السن التى يكون فيه الإنسان أفرغ بالاً، وأشد استعداداً لتلقى العلم، لما تهيَّأ لها ذلك».

فالعلم شئٌ أساسىٌّ فى حياة المؤمن، والنبى ﷺ كل شىءٍ يقوله ينبغى أن ينقل عنه، وأفضل امرأة تنقل عنه زوجته، إذاً فلنطمئن أن الله سبحانه وتعالى اختارها على علم لرسول الله ﷺ.

قال الإمام الزُّهرى: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل».

والحقيقة أن الشىء الذى يدهش العقول، أو الشىء الذى يلفت النظر أن تكون المرأة على درجة عالية جداً من الفهم والعلم والفقه، فالمرأة عند الناس امرأة، لكن المرأة التى تتمتَّع بعقل راجح، وإدراكٍ عميق، وفهم دقيق، وحفظٍ شديد؛ هذه امرأةٌ نادرةٌ جدا، وامرأةٌ مؤهَّلةٌ لأن تكون زوجة لرسول الله ﷺ.

عطاء بن أبى رباح يقول: «كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً فى العامة».

والحقيقة من مُتَع الحياة أن تعيش مع الذكى، ومن البلاء الشديد أن تعيش مع المحدود ـ محدود التفكير ـ تكاد تخرج من جلدك، سمعتم مرةً منى أن الإمام أبا حنيفة ﵁ بينما كان يلقى درساً على إخوانه حول صلاة الفجر، وفيما قرأت كانت رجله تؤلمه، وبينه وبين تلاميذه مُباسطة ليس هناك كلفة، ولعذرٍ فيه كان يمد رجله، وتعلمون أن النبى ﷺ ما رؤى مادا رجليه قط بين أصحابه ـ أما إذا وجد عذرٌ فموضوع ثان ـ دخل رجل طويل القامة، عريض المنكبين، حسن الهيئة، يرتدى عمامةً وجُبةً، وجلس فى مجلس هذا الإمام العظيم.

فأبو حنيفة ﵁ ظنَّه عالماً كبيراً، فاستحيا منه ورفع رجله، أى أن بينه وبين إخوانه ليس هناك تكليف، أما هذا فضيف غريب لعلَّه ينتقده، فلما انتهى الدرس سأله هذا الرجل: يا إمام كيف نصلى الصبح إذا طلعت الشمس قبل الفجر؟ فقال له: «عندئذٍ يمد أبو حنيفة رجله».

فأن يعيش الإنسان مع شخص محدود التفكير يخرج من جلده أحياناً، والحقيقة من سعادة الإنسان أن يكون الذين حوله فى مستواه، يفهمون عليه.

لذلك فأنا أرى أن من إكرام الله لرسول الله أنه قيَّض له أصحاباً على مستوى عالٍ من الفطنة، والوفاء، والذكاء، والحُب، والتضحية، والإخلاص، وكلَّما ارتقى مقامك عند الله هيَّأ الله لك أُناساً يفهمون عليك، يفهمون عليك بالإشارة، يقدِّرون ما أنت فيه، يعرفون قدرك حق المعرفة، يعرفون أهدافك النبيلة.

وإذا غضب الله على عبدٍ جعل مَن حوله لا يعرفون قيمته ولا فضله، لذلك ورد فى الأثر:

«أكرموا عزيز قوم ذل، وغنيا افتقر، وعالماً ضاع بين الجُهال».

كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً، وقال أبو موسى الأشعرى: «ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها فيه علماً».

وقال مسروق: «رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض».

وقال عروة: «ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا طبٍّ ولا بشعرٍ من عائشة».

وقال أبو الزناد: «ما كان ينزل بها شيءٌ إلا أنشدت فيه شعراً».

شاعرة، ذات حافظة عالية جدا، ذكية، فطنة، تنقل عن رسول الله أكثر من ألفى حديث.



أيها الإخوة... أردت من هذه المقدمة أن تعلموا أن عائشة أم المؤمنين، اختارها الله عزَّ وجل لنبيِّه الكريم، لتكون زوجته وأمينة سرِّه وراويةً عنه.

كلكم يعلم أن النبى ﷺ عقد عليها وهو فى مكة قبل الهجرة، ثم هاجر ﷺ إلى المدينة، واستقبله الأنصار، وهم محيطون به، متقلِّدى سيوفهم، وهنا حدِّث ولا حرج عن سرور أهل المدينة، فكان يوم تحوُّله إليهم يوماً سعيداً، لم يُرَوْا فرحين فرحهم برسول الله ﷺ.

والعبد الفقير لما كنت فى المدينة المنورة فى إحدى العُمرات، وقفت قبالة مسجد قباء، فهناك ميدان فى وسطه نُصب تذكارى، مكتوب عليه بخط جميل **طلع البدر علينا**، أىْ فى هذا المكان ـ فى مكان مسجد قباء، وقباء فى ظاهر المدينة ـ خرج الأنصار من المدينة، ليستقبلوا رسول الله ﷺ، وفى هذا المكان بالذات أنشدوا: **طلع البدر علينا**. والله أيها الإخوة كأننى أسمع هذا النشيد لأول مرة، وله وقعٌ فى هذا المكان لا يوصف، فى المكان الذى وقف فيه الأنصار ينتظرون النبى ﷺ، وحينما أطل عليهم قالوا:

طلع البــــدر علينا من ثنيّـــــات الـوداع
وجب الشكر علينا مــــا دعـــا لله داع
أيهــا المبعوث فينا جـئت بالأمـــر المُطاع

❀ ❀ ❀

وفى الصحيحين عن أبى بكر رضي الله عنه فى حديث الهجرة، قال: «وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله، وكان الأنصار قد اجتمعوا فمشوا حول ناقته ﷺ، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شُحّاً على كرامة رسول الله ﷺ، وتعظيماً له، وكلَّما مرَّ بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل، فيقول ﷺ: «**دعوها فإنها مأمورة فإنما أنزل حيث أنزلنى الله**».

(من كشف الخفاء: عن "ابن الزبير")

إخواننا الكرام... كان ﷺ حكيماً إلى درجة كبيرة جداً، لأنه لو اختار البيت بنفسه لكان، كل إنسان لم يختر بيته ليكون نُزلاً لرسول الله يتألَّم، لذلك ترك الأمر لله عزَّ وجل، قال: «**دعوها فإنها مأمورة**». حتى يطيِّب قلب أصحابه جميعاً فما اختار هو البيت، بل قال «**دعوها فإنها مأمورة**»، ونزلت فى بيت أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه.

فهو لم يستطع أن ينام فى الدور الذى فوق رسول الله، فبيته طابقان،

والنبى ﷺ رأى فى الطابق الأرضى أسهل لزواره ومن يأتيه، وسمح لأبى أيوب أن ينام فى الطابق العلوى، من شدة أدب هذا الصحابى الجليل لم يستطع أن ينام فى الطابق الذى فوق رسول الله، وكان فى حرج شديد، ومرة قدر الماء انكسر، فخاف أن ينزل على النبى قطرة ماء، فجاء باللحاف الذى لا يملك غيره فى الشتاء، فوضعه فوق الماء، كى يمنع نزول الماء على رسول الله ﷺ، وهذا هو الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى الذى حظى بضيافة رسول الله ﷺ.

ولما استقر ﷺ فى المدينة، أين كانت عائشة؟ كانت فى مكة، ولما يدخل بها رسول الله ﷺ.

يجب أن نعلم أيها الإخوة علماً دقيقاً، أن العقد على عائشة سبق الدخول بسنوات، فإذا قلنا صغيرة، وبينها وبين النبى فرق كبير، فإن العقد شئ والدخول شئٌ آخر، عقد عليها بمكة، ولم يدخل بها إلا فى المدينة، ولما استقر ﷺ بالمدينة، أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ليأتيا بمن خلف من أهله، وأرسل معهما عبد الله بن أريقط يدلهما على الطريق، فقدما بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة زوجه، وأم أيمن حاضنته فى صغره، وابنها أسامة بن زيد، وأما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع، وخرج مع الجميع عبد الله بن أبى بكر بأم عائشة زوج أبيه، وأختيه عائشة وأسماء زوج الزبير بن العوام، وكانت حاملاً بابنها عبد الله بن الزبير، وهو أول مولود للمهاجرين فى المدينة، وصحبهم من مكة طلحة بن عُبَيْد الله.

وبعد أن استقر النبى بالمدينة، وانتهى ضجيج الهجرة، وانتهت المطاردة، أرسل هؤلاء الصحابة ليأتوا بأهله، أتوا بفاطمة، وأم كلثوم، وسودة، وأم أيمن، وابنها أسامة بن زيد، أما زينب فمنعها زوجها من الهجرة.

والنبى ﷺ يهيئ الدور لزوجته سودة ولزوجته عائشة ليستقبل فيها أهله.

وفى أيامنا هذه تجد شخصاً عادياً جدا يسألك عن مكان سكنى ابنته المخطوبة، أين ستسكنها؟. غرفة صغيرة جدا ملحقة بالمسجد هذه الغرفة بيت عائشة، وهو رسول الله ﷺ، وكانت هذه الغرفة الصغيرة التى لا تتسع لصلاته ونوم زوجته معاً، إما أن يصلى فتنزاح جانباً، وإما أن يناما معاً، أما أن يصلى هو وتنام

هى فالغرفة لا تتسع لهما، هذا بيت رسول الله.

طبعاً حينما حضر أهل النبى ﷺ من مكة إلى المدينة؛ ابنته فاطمة، وأم كلثوم، وزوجته عائشة وأمها، ومن يصحبهن فهذا الشىء يبعث فى النفس السرور طبعاً، لأنه ورد عن النبى ﷺ:

«المرء حيث أهله والمرء حيث رحله»

وصلت هذه السيدة الجليلة إلى المدينة مع أمها أم رومان، وأختها أسماء، وأخيها عبد الله واستقروا فى دار الوالد الصديق رضي الله عنه، ولم تمض أشهر معدودات - بعد أشهر معدودة - حتى تكلم الصديق رضي الله عنه إلى النبى ﷺ فى إتمام الزواج الذى عقده بمكة.

فالنبى عقد بمكة قبل سنوات من الهجرة، وبعد الهجرة بأمد طويل استقدم أهله، وبعد هذا الاستقدام بقيت فى بيت أبيها، فلما كلم الصديق رسول الله فى شأن إتمام الزواج، سارع النبى ﷺ، وسارعت نساء الأنصار إلى منزل الصديق لتهيئة هذه العروس الشابة لرسول الله ﷺ.

أجمل موقف وقفته أم السيدة عائشة رضي الله عنها، ومعها ابنتها العروس السيدة عائشة بعد أن هُيئت له، دخلت على النبى ﷺ وهو فى دار أبى بكر وقالت: «يا رسول الله هؤلاء أهلك، بارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك». وهذا أجمل دعاء يلقى فى عقود القرآن: «بارك الله لك فيها وبارك لها فيك».

والزواج المبارك هو الذى يكون مبنيّاً على طاعة الله، وعلى تطبيق منهج رسول الله، والله عز وجل يلقى الحب بين الزوجين، والألفة والمودة، وينجب من هذين الزوجين الذرية الطيبة الصالحة، فالزواج شىء جميل جدا، والزواج له ثمرة؛ وثمرته أولاد أبرار، والإنسان حينما يموت ينقطع عمله، أما إن كان له ولد صالح، فهذا الولد الصالح ينفع الناس من بعده، وكل أعماله فى صحيفة أبيه.

البارحة زارنى صديقان، أحد الصديقين له ابن طالب علم شرعى، متفتح، يدعو إلى الله عز وجل، فقلت له: إن هذا الابن أثمن شىء فى الدنيا بالنسبة لأبيه.

* * *

أيها الإخوة... وتقضى ليلة الزفاف المباركة فى دار أبى بكر رضي الله عنه، ثم يتحول النبى ﷺ بأهله إلى البيت الجديد، ما كان هذا البيت سوى حجرة من الحجرات التى شيدت حول مسجد رسول الله ﷺ، من اللبن[1] وسعف النخيل، وقد فرش بحصير، ووضع فيه فراش، وبعض ملحقاته، وأوان بسيطة للشراب والطعام، وهذا كل بيت رسول الله. غرفة سقفها من سعف النخيل، جدرانها من اللبن، فيها فراش، وفيها بعض الأدوات البسيطة جدا، وفى هذا البيت المتواضع بدأت حياة العروس الكريمة عائشة رضي الله عنها، وبدأت الحياة الزوجية الحافلة بالمكرمات والخيرات، مكرمات النبوة وخيرات الرسالة.

وأنا أعلم أن هناك بيوتاً فخمة جدا لكن لا سعادة فيها، وهناك بيوت متواضعة جدا فيها سعادة زوجية تامة، السعادة الزوجية أساسها طاعة الله، والشقاء الزوجى أساسه معصية الله عز وجل.

هذه العروس الصغيرة على صغر سنها إلا أنها احتلت مكانها المرموق فى بيت النبوة، وحياة رسول الله، وتاريخ الدعوة، والتاريخ الإسلامى.

الحقيقة التى لا ريب فيها أنه يشهد لهذه الزوجة أنها كانت فى أعلى مستوى من العلم، والمعرفة فى شؤون الدين، وعلى جانب عظيم من الدراية لأسرار الأحكام الشرعية، ولها منزلة رفيعة من التقوى والورع، بالإضافة إلى معرفتها بالأمور الاجتماعية والسياسية، لذلك فاعلم أخى الكريم:

«الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة».

(من الجامع الصغير: عن «ابن عمرو»).

التى..

«إذا نظرت إليها سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك، وإذا أمرتها أطاعتك».

(من الجامع الصغير: عن «عبد الله بن سَلاَم»).

وحينما قال الله عز وجل:

---

(١) الطين النيئ قبل الحرق.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

قال العلماء: «حسنة الدنيا هى المرأة الصالحة».

وأنا أرجو الله سبحانه وتعالى لكل إخوتنا الشباب، الذين لم يقدموا على الزواج بعد، فماذا يمنعهم أن يكون دعاؤهم لله عز وجل: اللهم ارزقنا زوجة صالحة. الزوجة الصالحة أحد أسباب النجاح فى الحياة، فحينما تطلب امرأة صالحة، تتوافر فيها الشروط، تكون قد حققت أحد جوانب السعادة فى حياتك الدنيا.

فى درس آخر إن شاء الله ننتقل إلى هذه الزوجة الطاهرة مع ضراتها - نساء النبى - عليهنّ جميعاً رضوان الله عز وجل، وكيف أن الحياة الزوجية جزء من حياة الإنسان الطيبة..

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

والمرأة الصالحة جزءٌ من الحياة الطيبة.

والحمد لله رب العالمين

٢ - زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها

نوايا خبيثة

هناك وللأسف أساطير وقصص مختلفة افتعلها أعداء الدين الإسلامى فى هذا الصعيد، حيث إنهم حوروا موضوع زواج النبى ﷺ من زينب مطلقة زيد بن حارثة ويكرروها كقصة غرامية وكذبوا على نبينا العظيم بغية الحط من قدسيته ومكانته السامية، وقد عرفت بطلانها من خلال معرفة حقيقة الأمر من الآيات القرآنية الصريحة. وقد أثبت العلماء ولله الحمد ضعف تلك القصص والروايات وأنها ليست إلا أكاذيب واضحة وأخبارا مدسوسة لا أساس لها من الصحة والواقع.

ما هى حقيقة زواج رسول الله ﷺ من زوجة زيد بن حارثة بعد طلاقها منه؟

جواب: زينب بنت جحش هى إحدى زوجات النبى وقد تزوج بها الرسول فى السنة الخامسة من الهجرة، وهى بنت أمية بنت عبد المطلب عمة النبى وكانت زوجة لزيد بن حارثة قبل أن تصبح زوجة لرسول الله.

أما زيد بن حارثة - زوج زينب قبل الرسول - فكان يدعى قبل الإسلام بزيد بن محمد لكنه لم يكن من أولاد الرسول ﷺ، بل كان غلاماً اشترته خديجة بعد زواجها من النبى ثم أهدته إلى النبى فأعتقه الرسول فى سبيل الله، ثم تبناه النبى اعتباريا على عادة العرب لرفع مكانته الاجتماعية بعد أن اختار زيد سيدنا رسول الله على أهله، وهكذا فقد منحه الرسول احتراماً كبيراً وشرفاً عظيماً ورفع من شأنه بين الناس حتى صار يدعى بين الناس بابن محمد.

وعندما أحس النبى بحاجة زيد إلى الزواج أمره بخطبة بنت عمته زينب بنت جحش، لكن زينب رفضت ذلك تبعاً للتقاليد السائدة فى تلك الأيام ولاستنكاف الحرة من الزواج من العبد المعتق، خاصة وإن زينب كانت من عائلة ذات حسب وشأن، فنزلت الآية الكريمة التالية: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)**. فأخبرت زينب النبى بقبولها بهذا الزواج، وهكذا فقد تم الزواج برضا زينب، نزولاً عند رغبة الرسول وخضوعاً لحكم الله تعالى. قال الحافظ ابن كثير: «زوج رسول الله ﷺ زيداً بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية، وأمها أمية بنت عبد المطلب، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً.. فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها..» (تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٥).

وهنا نقول لهؤلاء الحاقدين: كيف يطمع الرسول فى زينب وهو الذى اقترح واختار زواجها لزيد أساساً؟

لقد أراد الرسول ﷺ كسر العادات والتقاليد الخاطئة والتى كانت تمنع زواج العبيد المعتقين من بنات العوائل المعروفة، وبالفعل فقد تحقق للنبى العظيم ما أراد وتمكن من تطبيق المساواة بصورة عملية بين أفراد المجتمع الإسلامى.

طلاق زينب

بعد ذلك تأثرت العلاقة الزوجية بين الزوجين ـ زينب وزيد ـ وآل أمرهما إلى الطلاق والانفصال رغم المحاولات الحثيثة التى قام بها النبى لمنع وقوع الطلاق، ولم تؤثر نصائح النبى فى زيد ولم يفلح فى تغيير قرار زيد الخاطئ فوقع الطلاق.

زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بزينب

وبعد أن مضى على طلاق زينب فترة قرر النبى ﷺ أن يتزوج ابنة عمته زينب تعويضاً لما حصل لها، غير أن النبى كان يخشى العادات والتقاليد التى تحرم زواج الرجل من زوجة ابنه من التبنى لاعتباره ابناً حقيقيا، وإلى هذه الحقيقة يشير القرآن الكريم حيث يقول: **﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب: ٣٧)**.

قال القاضى عياض

«وأصح ما فى هذا ما حكاه أهل التفسير عن على بن حسين - أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكاها إليه زيد قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله. وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وتطليق زيد لها. وروى نحوه عمرو بن فائد، عن الزهرى، قال: نزل جبريل على النبى يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش، فذلك الذى أخفى فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا: وكان أمر الله مفعولا، «أى لابد لك أن تتزوجها».

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ ذكر ابن أبى حاتم والطبرى ها هنا آثاراً عن بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها. يريد بذلك أمثال: «فوقعت فى قلبه» و «سبحان مقلب القلوب». فهذه كلها آثار لم تثبت صحتها. وهذا ما ذهب إليه المحققون من المفسرين كالزهرى والقاضى بكر بن العلاء القشيرى والقاضى أبى بكر بن العربى والقاضى عياض فى الشفاء.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن زواج النبى من زينب إنما كان بأمر من الله تعالى، كما تشهد بذلك تتمة الآية السابقة حيث تقول: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ **(الأحزاب: ٣٧، ٣٨).**

هذا وإن زينب كانت متفهمة لنية الرسول ولما حباه الله تعالى من الشرف العظيم إذ جعل لها دوراً فى إزالة عادتين خرافيتين ونالت شرف الزواج من الرسول ﷺ فكانت زينب تفتخر على سائر نساء النبى ﷺ وتقول: زوجكن أهلوكن وزوجنى الله من السماء.

إذن يمكن تلخيص أهداف زواج الرسول صلى الله عليه وآله من زينب كالتالى:

١ ـ تعديل ما حصل لابنة عمته وتضررها بالطلاق وقد رضيت بالزواج من زيد بأمر من الله ورسوله، فأراد الرسول أن يكرمها ويعوضها عما حصل لها.

٢ ـ كسر العادات والتقاليد الخاطئة التى تمنع الزواج من زوجة الابن من التبنى، رغم كونه ابناً اعتباريا لا غير. (تشريع فى صورة عملية).

إن الإسلام ـ من خلال القرآن الكريم ـ رفض الاعتراف بالتبنى الذى كان سائداً بين العرب فى الجاهلية، وعلى أساس ذلك كانوا ينسبون زيد بن حارثة إلى رسول الله فيقولون زيد بن محمد، وجاء الرفض القرآنى حاسماً من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (الأحزاب: ٤، ٥). وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وكان التوجيه القرآنى للرسول بالزواج من مطلقة (زيد بن حارثة) لأجل تأكيد تجاهل المشرع الإسلامى للعرف الجاهلى الآنف، لتكون ممارسة الرسول رافعة لكل التباس قد يبقى عالقاً فى الأذهان، علماً أن تزويج الرسول كان بعد تطليقها من جانب زيد بن حارثة فلم تكن هذه المرأة مرتبطة بأكثر من رجل.

ثم إنه لا يخفى أن من مهام الأنبياء هو إزالة العادات الخاطئة والسنن الظالمة وهذا ما فعله النبى ﷺ كما كان يفعل ذلك جميع الأنبياء من قبل فى قضايا مشابهة مع ما فى مكافحة الخرافات من تخوف جدى وإحراج شديد ذلك لأن ذلك يعد محاربة للتقاليد والسنن والاعتقادات الراسخة والمتجذرة فى عقولهم، لكن مهمة الأنبياء لا تقبل التعلل والخوف والمجاملة، فهم يحملون على عواتقهم رسالة سماوية حمّلهم إياها رب العالمين، وإلى هذه الحقيقة تشير الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ (الأحزاب: ٣٨).

وأخيراً نقول:

أى ضرورة هذه التى تدعو سيدنا محمداً ﷺ أن يدرج هذه الآية فى القرآن فيقرأها الناس كلهم، وهى من أول حرف فيها إلى آخر حرف عتاب للرسول شديد، وكشف عما يخفيه فى نفسه من معرفة أنه سيتزوج زينب بعد تطليق زيد لها، ثم هى بيان لما يخشاه من كلام قومه إذا أقدم فتزوج مطلقة زيد ـ نقول أى ضرورة تدعو سيدنا محمداً ﷺ إلى أن يدرج هذه الآية فى القرآن، ويسجلها على مر الدهر كله، لو لم يكن هذا القرآن كلام خالقه الذى لا يسعه أن يخفى حرفا واحدا منه؟!

ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض

فإن قلت: فما معنى إذاً قوله تعالى فى قصة زيد: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ **(الاحزاب: ٣٧).**

فاعلم ـ أكرمك الله، ولا تسترب فى تنزيه النبى ﷺ عن هذا الظاهر وأن يأمر زيداً بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها، كما ذكر عن جماعة من المفسرين.

وأصح ما فى هذا ما حكاه أهل التفسير عن على بن حسين ـ أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكاها إليه زيد قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله. وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وتطليق زيد لها. وروى نحوه عمرو بن فائد، عن الزهرى، قال: نزل جبريل على النبى يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش، فذلك الذى أخفى فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا: وكان أمر الله مفعولاً، أى لابد لك أن تتزوجها.

ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها، فدل أنه الذى أخفاه ﷺ مما كان أعلمه به تعالى.

وقوله تعالى فى القصة: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ **(الأحزاب: ٣٨).**

فدل أنه لم يكن عليه حرج فى الأمر.

قال الطبرى: ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل، قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ (الأحزاب: ٣٨)، أى من النبيين فيما أحل لهم، ولو كان على ما روى فى حديث قتادة من وقوعها من قلب النبى ﷺ عندما أعجبته، ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج، وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا، ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء فكيف سيد الأنبياء؟.

قال القشيرى: وهذا إقدام عظيم من قائله، وقلة معرفة بحق النبى ﷺ بفضله.

وكيف يقال: رآها فأعجبته وهى بنت عمته، ولم يزل يراها منذ ولدت، ولا كان النساء يحتجبن منه ﷺ، وهو زوجها لزيد، وإنما جعل الله تعالى طلاق زيد لها، وتزويج النبى ﷺ إياها، لإزالة حرمة التبنى وإبطال سنته، كما قال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ (الأحزاب: ٤٠). وقال: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٧) ونحوه لابن فورك.

وقال أبو الليث السمرقندى: فإن قيل: فما الفائدة فى أمر النبى ﷺ لزيد بإمساكها؟ فهو أن الله أعلم نبيه أنها زوجته، فنهاه النبى ﷺ عن طلاقها، إذ لم تكن بينهما ألفة، وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس: يتزوج امرأة ابنه، فأمره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته، كما قال تعالى: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ (الأحزاب: ٣٧).

وقد قيل: كان أمره لزيد بإمساكها قمعاً للشهوة، وردا للنفس عن هواها. وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها. ومثل هذا لا نكرة فيه، لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن، ونظرة الفجاءة معفو عنها، ثم قمع نفسه عنها، وأمر زيداً بإمساكها، وإنما تنكر تلك الزيادات فى القصة. والتعويل والأولى ما ذكرناه عن على بن حسين، وحكاه السمرقندى، وهو قول ابن عطاء، وصححه واستحسنه

القاضى القشيرى، وعليه عول أبو بكر بن فورك، وقال: إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير، قال: والنبى ﷺ منزه عن استعمال النفاق فى ذلك، وإظهار خلاف ما فى نفسه، وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾، ومن ظن ذلك بالنبى ﷺ فقد أخطأ.

قال: وليس معنى الخشية هنا الخوف، وإنما معناه الاستحياء، أى يستحى منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه.

وأن خشيته ﷺ من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء، كما كان، فعتبه الله على هذا، ونزهه عن الالتفاف إليهم فيما أحله له، كما عتبه على مراعاة رضا أزواجه فى سورة (التحريم:١) بقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وكذلك قوله له ها هنا: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب: ٣٧).

وقد روى عن الحسن وعائشة: لو كتم رسول الله - ﷺ - شيئاً كتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه[١].



(١) يراجع: مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٢١٢، للفخر الرازى، وروح المعانى: ٢٢/ ٢٤، ٢٣، للآلوسى.

٣ ـ قصة الغرانيق المكذوبة

تحت عنوان: (وحى من الشيطان) كتب أعداء الإسلام ما يلى:

جاء فى سورة الحج: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(الحج: ٥٢).

قال المفسرون: إن محمداً لما كان فى مجلس قريش أنزل الله عليه سورة النجم فقرأها حتى بلغ أفرأيتم اللاَّت والعزَّى ومناة الثالثة الأخرى فألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه ـ وهو تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. فلما سمعت قريش فرحوا به ومضى محمد فى قراءته فقرأ السورة كلها، وسجد فى آخرها وسجد المسلمون بسجوده، كما سجد جميع المشركين. وقالوا: لقد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر. وقد عرفنا أن الله يحيى ويميت ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده.

ونحن نسأل: كيف يتنكر محمد لوحدانية الله ويمدح آلهة قريش ليتقرب إليهم ويفوز بالرياسة عليهم بالأقوال الشيطانية؟ وما الفرق بين النبى الكاذب والنبى الصادق إذا كان الشيطان ينطق على لسان كليهما؟

الجواب

هذا الكلام مبنى على رواية باطلة مكذوبة، قال عنها ابن كثير وغيره: «لم تصح عن النبى ﷺ بسند صحيح».

وقد سئل ابن خزيمة عن هذه القصة فقال: من وضع الزنادقة.

وقال البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ورواية البخارى عارية عن ذكر الغرانيق.

وقال الإمام ابن حزم: «والحديث الذى فيه: وأنهن الغرانيق العلا، وأن شفاعتهن لترتجى. فكذب بحت لم يصح من طريق النقل ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد» (الإسلام بين الإنصاف والجحود) ص ٦٩.

واستناداً إلى القرآن والسنة واللغة والمعقول والتاريخ نفسه فإن هذه الرواية باطلة مكذوبة:

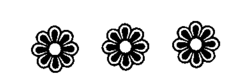
١ - لأن أسانيدها واهية وضعيفة فلا تصح.

٢ - لأن النبى ﷺ معصوم فى تبليغه للرسالة محتجين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾

(الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦).

٣ - لأن النبى ﷺ لم يحترم الأصنام فى الجاهلية إذ لم يعرف عنه أنه تقرب لصنم بل قال: «بغض إلىَّ الأوثان والشعر».

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) للعلامة الألبانى رحمه الله والله الموفق.



٤ ـ تعدد زوجات الرسول ﷺ

يحاول الحاقدون على الإسلام من النصارى أن يثيروا الشبهات فى زواج رسول الله ﷺ بأمهات المؤمنين، فكيف ندحض هذه الشبهة ونلقم أصحابها الحجارة فى حلوقهم؟

الجواب

نقول لهؤلاء النصارى:

إنكم تزعمون أن تعدد الزوجات عيب يخل بمقام النبوة، وبديهى أن الزنا الصريح أشد عيباً وفظاعة من تعدد الزوجات (على فرض أن الزواج عيب). وأن الزنا بامرأة القائد المخلص وقتله للاستيلاء على امرأته أشد فظاعة ونكراً من الزنا العادى. وأن الزنا بالبنات والمحارم أشد فظاعة وجرماً من الزنا بامرأة القائد وأن خيانة الله سبحانه وخداعه فى أمر الرسالة أشد جرماً من الزنا فى ذاته، وهذه الأمور كلها قد ذكرها كتابكم المقدس صراحة وألصقها بالأنبياء الكرام الذى عبر عنهم كتابكم المقدس بأنهم أولاد الله الأبكار! وأنتم مع ذلك تؤمنون بكتابكم المقدس وتؤمنون بأن هؤلاء الأنبياء الذين ارتكبوا هذه الجرائم والموبقات من كبار الأنبياء.

وتؤمنون أيضاً أن ارتكاب الأنبياء لهذه الخطايا والجرائم ليس فيه أسقاط لنبوتهم.

على أن تعدد الزوجات قد وجد فى الأنبياء العظام كإبراهيم وداود ويعقوب وسليمان وغيرهم كما نص بذلك كتابكم المقدس وبالتالى كيف يصح لعاقل منكم قرأ كتابه المقدس أن يعيب ويطعن على محمد ﷺ الذى جمع بين عدد من النساء؟!

ألا يعلم المبشرون أن طعنهم على كتاب الله ونبى الله بهذه الحالة هو فى الحقيقة طعن على كتابهم المقدس؟! لأن البداهة تقضى بأن يقول الناس إذا كان تعدد الزوجات عيباً ينافى النبوة فالزنا الصريح والشرك والخيانة التى أثبتها كتابكم المقدس فى حق نبى الله داود وسليمان الحكيم تنافى النبوة من باب أولى ومع هذا فلا يمكن للمبشرين أن يسقطوا ويطعنوا فى نبوة هؤلاء الأنبياء وبالتالى أصبح النصارى أمام أمرين:

إما أن يكفوا عن الكلام فى موضوع تعدد زوجات الرسول محمد ﷺ وإما أن يعترفوا بأن كتابهم المقدس الذى نقل عن الأنبياء أنهم عددوا فى الزوجات وأن منهم زناة ومجرمين وخطاة هو من المحرف...

أيها السائل الكريم:

لقد درج أعداء الإسلام منذ القديم على التشكيك فى نبى الإسلام والطعن فى رسالته والنيل من كرامته، ينتحلون الأكاذيب والأباطيل ليشككوا المؤمنين فى دينهم، ويبعدوا الناس عن الإيمان برسالته ﷺ، ولا عجب أن نسمع مثل هذا البهتان والافتراء والتضليل فى حق الأنبياء والمرسلين، فتلك سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ **(الفرقان: ٣١)**.

وقبل أن نتحدث عن أمهات المؤمنين الطاهرات وحكمة الزواج بهن نحب أن نرد على شبهة سقيمة طالما أثارها كثير من الأعداء من الصليبيين الحاقدين والغربيين المتعصبين.

رددوها كثيراً ليفسدوا بها العقائد ويطمسوا بها الحقائق ولينالوا من صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه إنهم يقولون: «لقد كان محمد رجلاً شهوانيا يسير وراء شهواته وملذاته ويمشى مع هواه، لم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع كما أوجب على أتباعه، بل عدد الزوجات فتزوج عشر نسوة أو يزيد سيراً مع الشهوة وميلاً مع الهوى».

كما يقولون أيضاً: «فرق كبير وعظيم بين عيسى وبين محمد، فرق بين من

يغالب هواه ويجاهد نفسه كعيسى ابن مريم وبين من يسير مع هواه ويجرى وراء شهواته كمحمد»، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ (الكهف: ٥).

حقاً إنهم لحاقدون كاذبون فما كان محمد ﷺ رجلاً شهوانيا إنما كان نبيا إنسانيا تزوج كما يتزوج البشر، ليكون قدوة لهم فى سلوك الطريق السوى، وليس هو إلهاً ولا ابن إله كما يعتقد النصارى فى نبيهم، إنما هو بشر مثلهم فضله الله عليهم بالوحى والرسالة، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (الكهف: ١١٠).

ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه بدعاً من الرسل حتى يخالف سنتهم أو ينقض طريقتهم فالرسل الكرام قد حكى القرآن الكريم عنهم بقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: ٣٨).

فعلام إذاً يثيرون هذه الزوابع الهوجَ فى حق خاتم النبيين ﷺ؟ ولكن كما يقول القائل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وصدق الله حيث يقول: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

رد الشبهة

هناك نقطتان جوهريتان تدفعان الشبهة عن النبى الكريم وتلقمان الحجر لكل مفتر أثيم يجب ألا نغفل عنهما وأن نضعهما نصب أعيننا حين نتحدث عن أمهات المؤمنين وعن حكمة تعدد زوجاته الطاهرات رضوان الله عليهن أجمعين.

هاتان النقطتان هما:

أولاً: لم يعدد الرسول الكريم ﷺ زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة أى بعد أن جاوز من العمر الخمسين.

ثانياً: جميع زوجاته الطاهرات ثيبات ـ أرامل ـ ماعدا السيدة عائشة رضي الله عنها فهى

بكر، وهى الوحيدة من بين نسائه التى تزوجها ﷺ وهى فى حالة الصبا والبكارة، ومن هاتين النقطتين ندرك بكل بساطة تفاهة هذه التهمة وبطلان ذلك الادعاء الذى ألصقه به المستشرقون الحاقدون.

فلو كان المراد من الزواج الجرى وراء الشهوة أو السير مع الهوى أو مجرد الاستمتاع بالنساء لتزوج فى سن الشباب لا فى سن الشيخوخة، ولتزوج الأبكار، وهو القائل لجابر بن عبد الله ﷺ حين جاءه وعلى وجهه أثر التطيب والنعمة: (هل تزوجت؟) قال: نعم، قال: (بكراً أم ثيباً؟) قال: بل ثيباً، فقال له صلوات الله عليه: (فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك).

فالرسول الكريم أشار عليه بتزوج البكر وهو عليه السلام يعرف طريق الاستمتاع وسبيل الشهوة، فهل يعقل أن يتزوج الأرامل ويترك الأبكار ويتزوج فى سن الشيخوخة ويترك سن الصبا إذا كان غرضه الاستمتاع والشهوة؟!

إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفدون رسول الله ﷺ بمهجهم وأرواحهم، ولو أنه طلب الزواج لما تأخر أحد منهم عن تزويجه بمن شاء من الفتيات الأبكار الجميلات، فلماذا لم يعدد الزوجات فى مقتبل العمر وريعان الشباب؟! ولماذا ترك الزواج بالأبكار وتزوج الثيبات؟! إن هذا بلا شك يدفع كل تقول وافتراء ويدحض كل شبهة وبهتان ويرد على كل أفاك أثيم يريد أن ينال من قدسية الرسول أو يشوه سمعته، فما كان زواج الرسول بقصد الهوى أو الشهوة، وإنما كان لحِكم جليلة وغايات نبيلة وأهداف سامية سوف يقر الأعداء بنبلها وجلالها إذا ما تركوا التعصب الأعمى وحكموا منطق العقل والوجدان، وسوف يجدون فى هذا الزواج المثل الأعلى فى الإنسان الفاضل الكريم والرسول النبى الرحيم، الذى يضحى براحته فى سبيل مصلحة غيره وفى سبيل مصلحة الدعوة والإسلام.

إن الحكمة من تعدد زوجات الرسول كثيرة ومتشعبة ويمكننا أن نجملها فيما يلى:

أولاً: الحكمة التعليمية.

ثانياً: الحكمة التشريعية.

ثالثاً: الحكمة الاجتماعية.

رابعاً: الحكمة السياسية.

أولاً: الحكمة التعليمية

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هى تخريج بعض معلمات للنساء يعلمونهن الأحكام الشرعية، فالنساء نصف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال.

وقد كان الكثيرات منهن يستحيين من سؤال النبى ﷺ عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل، كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان كما تروى كتب السنة أشد حياءً من العذراء فى خدرها، فما كان ﷺ يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة بل كان يكنى فى بعض الأحيان ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده عليه السلام.

تروى السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت النبى ﷺ عن غسلها من المحيض فعلمها ﷺ كيف تغتسل ثم قال لها: (خذى فرصة ممسكة ـ أى قطعة من القطن بها أثر الطيب ـ فتطهرى بها) قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: (تطهرى بها) قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال لها: (سبحان الله تطهرى بها)، قالت السيدة عائشة: فاجتذبتها من يدها فقلت: ضعيها فى مكان كذا وكذا وتتبعى بها أثر الدم. وصرحت لها بالمكان الذى تضعها فيه، فكان صلوات الله عليه وسلامه يستحى من مثل هذا التصريح.

وهكذا كان القليل أيضاً من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها وعلى حيائها فتجاهر النبى ﷺ بالسؤال عما يقع لها، نأخذ مثلاً لذلك حديث أم سلمة المروى فى الصحيحين وفيه تقول: جاءت أم سُلَيْم ـ زوج أبى طلحة ـ إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت؟ فقال لها النبى ﷺ: (نعم إذا رأت الماء) فقالت أم سلمة: لقد

فضحتِ النساء، ويحك أو تحتلم المرأة؟ فأجابها النبى الكريم بقوله: (إذاً فبم يشبهها الولد؟).

مراده ﷺ أن الجنين يتولد من ماء الرجل وماء المرأة، ولهذا يأتى له شبه بأمه، وهكذا كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢) قال ابن كثير رحمه الله: «أمشاج أى أخلاط والمشج والمشيج الشىء المختلط بعضه فى بعض، قال ابن عباس: يعنى ماء الرجل وماء المرأة، إذا اجتمعا واختلطا...».

وهكذا مثل هذه الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجواب عنها فيما بعد زوجاته الطاهرات، ولهذا تقول السيدة عائشة ﵂: (رحم الله نساء الأنصار؛ ما منعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين)، وكانت المرأة منهن تأتى إلى السيدة عائشة فى الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساء الرسول خير معلمات وموجهات لهن وعن طريقهن تفقه النساء فى دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبى ﷺ فحسب، بل هى تشمل قوله وفعله وتقريره، وكل هذا من التشريع الذى يجب على الأمة اتباعه، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله ﷺ فى المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتى أكرمهن الله، فكن أمهات للمؤمنين، وزوجات لرسوله الكريم فى الدنيا والآخرة؟!

لا شك أن لزوجاته الطاهرات رضوان الله عليهن أكبر الفضل فى نقل جميع أحواله وأطواره وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هديه ﷺ، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء.

ثانياً: الحكمة التشريعية

ونتحدث الآن عن الحكمة التشريعية التى هى جزءٌ من حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ، وهذه الحكمة ظاهرة تدرك بكل بساطة، وهى أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة، ونضرب لذلك مثلاً بدعة التبنى التى كان يفعلها العرب قبل الإسلام فقد كانت ديناً متوارثاً عندهم، يتبنى أحدهم ولداً ليس من صلبه ويجعله فى حكم الولد الصلبى، ويتخذه ابناً حقيقيا له حكم الأبناء من النسب فى جميع الأحوال؛ فى الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه، وكان ديناً تقليديا متبعاً فى الجاهلية.

كان الواحد منهم يثبنى ولد غيره فيقول له: «أنت ابنى، أرثك وترثنى»، وما كان الإسلام ليقرهم على باطل، ولا ليتركهم يتخبطون فى ظلمات الجاهلية، فمهد لذلك بأن ألهم رسوله ﷺ أن يتبنى أحد الأبناء - وكان ذلك قبل البعثة النبوية - فتبنى ﷺ زيد بن حارثة على عادة العرب قبل الإسلام. وفى سبب تبنيه قصة من أروع القصص، وحكمة من أروع الحكم ذكرها المفسرون وأهل السير، لا يمكننا الآن ذكرها لعدم اتساع المجال. وهكذا تبنى النبى الكريم زيد بن حارثة، وأصبح الناس يدعونه بعد ذلك اليوم زيد بن محمد.

روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر أنه قال: (إن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ**﴾ **(الأحزاب: ٥)** فقال النبى ﷺ: «أنت زيد بن شراحبيل».

وقد زوجه ﷺ بأبنة عمته زينب بنت جحش الأسدية، وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقات بينهما، فكانت تغلظ له القول، وترى أنها أشرف منه؛ لأنه كان عبدًا مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول وهى ذات حسب ونسب.

ولحكمة يريدها الله تعالى طلق زيد زينب، فأمر الله رسوله أن يتزوجها ليبطل بدعة التبنى ويقيم أسس الإسلام، ويأتى على الجاهلية من قواعدها، ولكنه ﷺ كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار، أن يتكلموا فيه ويقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه،

فكان يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله ﷺ، فى قوله جل وعلا: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾

(الأحزاب: ٣٧).

وهكذا انتهى حكم التبنى، وبطلت تلك العادات التى كانت متبعة فى الجاهلية، وكانت ديناً تقليدياً لا محيد عنه ونزل قوله تعالى مؤكدًا هذا التشريع الإلهى الجديد ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وقد كان هذا الزواج بأمر من لله تعالى، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة كما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله، وكان لغرض نبيل وغاية شريفة هى إبطال عادات الجاهلية وقد صرَّح الله عز وجل بغرض هذا الزواج بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ (الأحزاب: ٣٧).

وقد تولى الله عز وجل تزويج نبيه الكريم بزينب امرأة ولده من التبنى، ولهذا كانت تفخر على نساء النبى بهذا الزواج الذى قضى به رب العزة من فوق سبع سماوات.

روى البخارى بسنده أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ وتقول: (زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات)، وهكذا كان هذا الزواج للتشريع وكان بأمر الحكيم العليم فسبحان من دقت حكمته أن تحيط بها العقول والأفهام وصدق الله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

ثالثاً: الحكمة الاجتماعية

أما الحكمة الثالثة فهى الحكمة الاجتماعية، وهذه تظهر بوضوح فى تزوج النبى ﷺ بابنة الصديق أبى بكر رضي الله عنه، وزيره الأول، ثم بابنة وزيره الثانى الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه، ثم باتصاله ﷺ بقريش اتصال مصاهرة ونسب وتزوجه العدد منهن مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقى حول دعوته فى إيمان وإكبار وإجلال.

لقد تزوج النبى ﷺ بالسيدة عائشة بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدرًا لديه ألا وهو أبو بكر الصديق الذى كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وروحه وماله فى سبيل نصرة دين الله والذود عن رسوله وتحمل ضروب الأذى فى سبيل الإسلام حتى قال ﷺ كما فى الترمذى مشيدًا بفضل أبى بكر: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر، وما عرضت الإسلام على أحد إلا تردد ما عدا أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إلا وإن صاحبكم خليل الله تعالى».

فلم يجد الرسول ﷺ مكافأة لأبى بكر فى الدنيا أعظم من أن يقر عينه بهذا الزواج بابنته ويصبح بينهما مصاهرة وقرابة تزيد فى صداقتهما وترابطهما الوثيق، كما تزوج ﷺ بالسيدة حفصة بنت عمر، فكان ذلك قرة عين لأبيها عمر على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه فى سبيل هذا الدين، وعمر هو بطل الإسلام الذى أعز به الإسلام والمسلمين، ورفع به منار الدين، فكان اتصاله ﷺ به عن طريق المصاهرة خير مكافأة له على ما قدم فى سبيل الإسلام، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبى بكر فى تشريفه بهذه المصاهرة فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما بل أعظم مكافأة ومنة ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما فى هذه الحياة بشرف أعلى من هذا الشرف فما أجل سياسته، وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلى رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه وخلفاؤه من بعده فى نشر ملته وإقامة دعوته فما أجلها من حكمة وما أكرمها من نظرة.

رابعاً: الحكمة السياسية

لقد تزوج النبى ﷺ ببعض النسوة من أجل تأليف القلوب عليه وجمع القبائل حوله، فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة، وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة التى هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج.

أولاً : تزوج ﷺ بالسيدة جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفتدى نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشىء من المال فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك، فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا ـ أى أنهم فى الأسر ـ فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعًا ودخلوا فى دين الله وأصبحوا من المؤمنين، فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها لأنه كان سببًا لإسلامهم وعتقهم وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

أخرج البخارى فى صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفارس سهمين والراجل سهمًا فوقعت جويرية بنت الحارث فى سهم ثابت بن قيس، فجاءت إلى الرسول فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت، وقد كاتبنى ثابت على تسع أواق فأعنى على فكاكى فقال ﷺ: «أو خير من ذلك؟» فقالت: ما هو؟ فقال: «أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك» فقالت: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله: «قد فعلت» وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله يُسْتَرَقُّون؟! فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبى بنى المصطلق فبلغ عتقهم مائة بيت بتزوجه ﷺ بنت سيد قومه.

ثانياً : وكذلك تزوجه ﷺ بالسيدة صفية بنت حيى بن أخطب التى أسرت بعد قتل زوجها فى غزوة خيبر، ووقعت فى سهم بعض المسلمين فقال أهل الرأى والمشورة: هذه سيدة بنى قريظة لا تصلح إلا لرسول الله ﷺ، فعرضوا الأمر على الرسول الكريم فدعاها وخيرها بين أمرين:

أ ـ إما أن يعتقها ويتزوجها ﷺ فتكون زوجًا[1] له.

ب ـ وإما أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت أن يعتقها وتكون زوجا له، وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته

(١) من المعلوم أن الرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل أيضا.

وحسن معاملته، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

روى أن صفية ﵂ لما دخلت على النبى ﷺ قال لها: لم يزل أبوك من أشد اليهود لى عداوة حتى قتله الله، فقالت يا رسول الله: إن الله يقول فى كتابه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (فاطر: ١٨)، فقال لها الرسول الكريم: اختارى فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك، فقالت: يا رسول الله: لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعونى إلى رحلك وما لى فى اليهودية أرب وما لى فيها والد ولا أخ وخيرتنى بين الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلى من العتق وأن أرجع إلى قومى، فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه.

ثالثاً: وكذلك تزوجه ﷺ بالسيدة أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الذى كان فى ذلك الحين حامل لواء الشرك وألد الأعداء لرسول الله ﷺ، وقد أسلمت ابنته فى مكة ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها، وهناك مات زوجها، فبقيت وحيدة فريدة لا معين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم بأمرها أرسل إلى النجاشى ملك الحبشة ليزوجه إياها، فأبلغها النجاشى ذلك فسرت سروراً لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه؛ لأنها لو رجعت إلى أبيها أو أهلها لأجبروها على الكفر والردة أو عذبوها عذابا شديدًا، وقد أصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبى المصطفى ﷺ. ولما بلغ أبا سفيان الخبر أقر ذلك الزواج وقال: «هو الفحل لا يقدع أنفه»، فافتخر بالرسول ولم ينكر كفاءته له إلى أن هداه الله تعالى للإسلام، ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة فى تزوجه ﷺ بابنة أبى سفيان، فقد كان هذا الزواج سببًا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة مع أن أبا سفيان كان وقت ذاك من ألد بنى أمية خصومة لرسول الله ومن أشدهم عداء له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سببًا لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريمًا لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارة بدينها، فما أكرمها من سياسة وما أجلها من حكمة.

٥ ـ إصابة الرسول ﷺ بالسحر

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله،،،

ردا على شبهة إصابة الرسول بالسحر:

نقول وبالله التوفيق:

إن الله سبحانه وتعالى يبتلى رسله عليهم الصلاة والسلام بأنواع البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، ويعظم ثوابهم، فقد ابتلى رسله بتكذيب أقوامهم لهم، ووصل إيذاؤهم إليهم، وابتلى بعض الرسل بالمرض، ومن الابتلاء الذى أوذى به الرسول ﷺ ما أصابه من السحر، روى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من بنى زُرَيْق يقال له: لبيد بن الأعصم سحر رسول الله ﷺ، حتى كان رسول الله يخيل إليه أنه كان يفعل الشىء وما فعله....

إلا أن هناك بعض العلماء أنكروا هذا الحديث، وردوه ردّاً منكراً بدعوى أنه مناقض لكتاب الله الذى برأ الرسول من السحر.

فمن هؤلاء العلماء (الجصاص) فى كتابه أحكام القرآن: (١ : ٤٩)

حيث قال: «ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعباً بالحشو الطغام....»

ومنهم (أبو بكر الأصم) حيث قال: «إن حديث سحره ﷺ المروى هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله سبحانه وتعالى...» (نقله عنه شارح المجموع: ١٩ : ٢٤٣)

ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمى فى تفسيره المسمى (محاسن التأويل) حيث قال: «ولا غرابة فى أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه، وإن كان مخرجاً فى

الصحاح، وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سالماً من القدح والنقد سنداً أو معنى كما يعرفه الراسخون...»

وقال الشيخ محمد عبده: «وقد ذهب كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما النبوة، ولا ينبغى لها إلى أن الخبر بتأثير السحر قد صح.... وقال: وهو مما يصدق فيه المشركين: ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ (الفرقان: ٨)

وقد أجاب كثير من العلماء عن هذه الشبهة وبينوا زيفها بالآتى:

أولاً: من المعلوم أن الرسول ﷺ بشر، فيجوز أن يصيبه ما يصيب البشر من الأوجاع والأمراض وتعدى الخلق عليه وظلمهم إياه كسائر البشر إلى أمثال ذلك مما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها فإنه ﷺ لم يعصمن هذه الأمور، وقد كان ﷺ يصيبه ما يصيب الرسل من أنواع البلاء وغير ذلك، فغير بعيد أن يصاب بمرض أو اعتداء أحد عليه بسحر ونحوه يخيل إليه بسببه فى أمور الدنيا ما لا حقيقة له، كأن يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وهو لم يطأهن، وحدث أنه جاء للرسول ﷺ أحد الصحابة يعوده قائلاً له: «إنك توعك يا رسول الله فقال: إنى أوعك كما يوعك الرجلان منكم» إلا أن الإصابة أو المرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقى الوحى عن الله سبحانه وتعالى ولا إلى البلاغ عن ربه إلى الناس لقيام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على عصمته ﷺ فى تلقى الوحى وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشؤون الدين.

والذى وقع للرسول ﷺ من السحر هو نوع من المرض الذى يتعلق بالصفات والعوارض البشرية والذى لا علاقة له بالوحى وبالرسالة التى كلف بإبلاغها، لذلك يظن البعض أن ما اصاب الرسول ﷺ من السحر هو نقص وعيب وليس الأمر كما يظنون لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من الاعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعترى البشر كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (إبراهيم: ١١)

واستدل ابن القصار على أن الذى أصابه كان من جنس المرض بقول الرسول

فى حديث آخر: «أما أنا فقد شفانى الله» ويؤيد ذلك حديث ابن عباس عند ابن سعد: «مرض النبى ﷺ وأُخِذَ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان» فتح البارى ١٠ : ٢٢٧.

قال المازرى: «إن الدليل قد قام على صدق النبى فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى وعلى عصمته فى التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو فى ذلك عرضة لما يتعرض له البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان فى المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه فى اليقظة.

قال القاضى عياض رحمه الله: «قد نزه الله سبحانه وتعالى الشرع والنبى عما يدخل فى أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته.

وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ولا يفعله، فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شىء من تبليغه وشريعته، أو يقدح فى صدقه لقيام الدليل، والإجماع على عصمته من هذا، أما ما يجوز طروه عليه فى أمر دنياه التى لم يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلى عنه كما كان. وجاء فى مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد أن أخت لبيد بن الأعصم قالت: «إن يكن نبيّاً فسيُخَبّر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله.» فوقع الشق الأول.

ثانياً: أما دعواهم أن السحر من عمل الشيطان والشيطان لا سلطان له على عباد الله لأن الله يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٢)

فنقول:

إن المراد من قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أى فى الإغواء والإضلال فالسلطان المثبت للشيطان هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه للشر والباطل وإفساد إيمانهم، فهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى حكاية عن الشيطان فى

مخاطبته رب العزة: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٣٩ ـ ٤٠) ولا ريب أن الحالة التى تعرض لها الرسول ﷺ لا تنطبق عليها هذه الآية الكريمة.

ولا شك أن إصابة الشيطان للعبد الصالح فى بدنه لا ينفيه القرآن، وقد جاء فى القرآن ما يدل على إمكان وقوعها، ومن ذلك قول أيوب عليه السلام فى دعائه ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (سورة ص: ٤١)

وموسى عليه السلام من أولى العزم من الرسل، وقد خيل إليه عندما ألقى السحرة عصيهم أنها تسعى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ (طه: ٦٧) فهذا التخيل الذى وقع لموسى يطابق التخيل الذى وقع للرسول ﷺ، إلا أن تأثير السحر كما قررنا لا يمكن أن يصل إلى حد الإخلال فى تلقى الوحى والعمل به وتبليغه للناس، لأن النصوص قد دلت على عصمة الرسل فى ذلك.

أيضاً: نريد أن نسأل النصارى سؤالاً

إذا كنتم تعتقدون أن ما أصاب النبى محمداً على أيدى اليهود من السحر والذى قررنا أنه لم يكن له تأثير فى دينه وعبادته، ولا فى رسالته التى كلف بإبلاغها، إذا كنتم تعتقدون أن إصابته هى قدح وطعن فى نبوته فهل يعنى ذلك أنكم اسقطتم أنبياء كتابكم المقدس الذى نص على أنهم عصاة زناة كفار؟!

ألم يرد فى كتابكم المقدس أن نبى الله سليمان كفر وعبد الأوثان وهو نبى من أنبياء الله (سفر الملوك الأول).

فهل أسقطتم نبوة سليمان وهل ما أقدم عليه النبى سليمان من السجود للأوثان والكفر بالله هو أمر موجب للطعن فى نبوته ومسقط لها؟!

وإذا كان ما قام به النبى سليمان من السجود للأوثان والكفر بالله هو أمر لا يوجب الطعن فى نبوته ولا يسقط نبوته عندكم، فكيف تعتبرون ما أصاب النبى محمدا ﷺ من السحر الذى لم يكن له تأثير فى دينه وعبادته ولا فى رسالته التى كلف بإبلاغها هو أمر موجب للطعن فى نبوته؟

ثم أخبرونا عن ذلك الشيطان الذى تسلط على المسيح طوال ٤٠ يوماً كما جاء

فى إنجيل متى ابتداءً من الإصحاح الرابع، حيث كان إبليس يقود المسيح إلى حيث شاء فينقاد له. فتارة يقوده إلى المدينة المقدسة ويوقفه على جناح الهيكل وتارة يأخذه إلى جبل عال جدا... إلخ.

رابعا: فى قصة سحر النبى ﷺ الكثير من أدلة نبوته ﷺ طبقاً للآتى:

١ ـ كيف عرف النبى ﷺ أن الذى سحره هو لبيد بن الأعصم وأن السحر موجود فى مكان كذا وكذا لو لم يكن نبيّاً؟ فالنبى ﷺ هو الذى أرسل أصحابه ليستخرجوا السحر من المكان الذى وضع فيه، (وقصة إخبار الملائكة لمحمد ﷺ بموضع ومكان السحر لم يذكرها هؤلاء الضالون فهم انتقائيون فى اختيار موادهم.)

٢ ـ لقد فك الرسول ﷺ السحر بقراءة المعوذتين وهذا دليل على أن المعوذتين كلام الله عز وجل وأن محمداً نبى موحَى إليه.

٣ ـ هذه القصة دليل على كذب المستشرقين عندما قالوا إن السنة النبوية قد صنعها أصحاب النبى ليثبتوا أنه نبى وأنه كامل فى كل صفاته فلو كان كلامهم صحيحاً لكان هذا الحديث أول شىء يحذفه الصحابة من السنة لأنه ينقص من قدر النبى ﷺ على حد زعمهم طبعاً فقد أثبتنا الآن أن هذا الحديث يدل على نبوة محمد ﷺ.

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



٦ ـ محاولة النبى محمد ﷺ الانتحار

الرد على الشبهة

نقول لهؤلاء الحاقدين:

أولاً: بحسب نص الرواية التى تستشهدون بها نريد منكم معرفة الآتى:

١ ـ من الذى منع محمداً من تحقيق هذه المحاولة؟

٢ ـ لماذا؟

٣ ـ علام يدل ذلك؟

ثانيا: وهو الحق الذى يجب أن يقال.. أن هذه الرواية التى استندتم إليها ـ يا خصوم الإسلام ـ ليست صحيحة رغم ورودها فى صحيح البخارى رضي الله عنه؛ لأنه أوردها لا على أنها واقعة صحيحة، ولكن أوردها تحت عنوان «البلاغات» يعنى أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ، ومعروف أن البلاغات فى مصطلح علماء الحديث: إنما هى مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن(١).

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى(٢) بقوله:

«إن القائل بلغنا كذا هو الزهرى، وعنه حكى البخارى هذا البلاغ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله ﷺ، وقال الكرمانى: وهذا هو الظاهر».

وبلاغ الزهرى هذا حكمه الضعف سنداً؛ لأنه سقط من إسناده اثنان على الأقل، وبلاغات الزهرى ليست بشىء كما الحال فى مرسلاته؛ فهى شبه الريح ـ أى

---

(١) انظر سلسلة الاحاديث الضعيفة للألبانى.

(٢) فتح البارى الجزء ١٢ صفحة ٣٧٦.

لا أساس لها بمنزلة الريح لا تثبت - فقد قال يحيى القطان: (مرسل الزهرى شر من مرسل غيره؛ لأنه حافظ، وكلما يقدر أن يسمى سمى؛ وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه!). انظر (شرح علل الترمذى) لابن رجب ١/٢٨٤. فإذا كان هذا حال المرسل؛ فكيف يكون حال البلاغ؟ أما رواية ابن مردويه التى ذكرها الحافظ فى (فتح البارى) ١٢ / ٣٥٩ - ٣٦٠، وأنها من طريق محمد بن كثير، عن معمر بإسقاط قوله: (فيما بلغنا) فتصير الرواية كلها من الحديث الأصلى؛ أقول: هذه الرواية ضعيفة أيضاً لا يحتج بها؛ لأن محمد بن كثير هذا هو المصيصى، وهو كثير الغلط كما فى (التقريب) ٦٢٩١. وأما رواية ابن عباس ﷺ عند الطبرى فى (التاريخ) ٢/ ٣٠٠ - ٣٠٢، والتى ذكرها ابن حجر فى (الفتح) ١٢ / ٣٦١؛ فإنها واهية جدا بل موضوعة، فالحمل فيها على محمد بن حميد الرازى، وهو متهم بالكذب - بل كذبه صراحة بلديه أبو زرعة الرازى، وهو أعرف به من غيره - فلا قيمة لروايته أصلاً. كما أن هذا ليس من المتن. هذه الزيادة ليست مسندة، وإنما علقها البخارى من قول الزهرى، وغالب روايته عن تابعين. ومن المتفق عليه أن مرسل الزهرى ضعيف لأنه يرسل عن متروكين. والبخارى أخرج هذا الحديث فى عدة مواضع بدون هذه الزيادة. فكأنه أشار إلى بطلانها. ثم إنها ليست من الحديث، وإنما معلقة. وليست كل المعلقات صحيحة.

هذه هو الصواب، وحاش أن يقدم رسول الله - وهو إمام المؤمنين - على الانتحار، أو حتى على مجرد التفكير فيه.

وعلى كلٍّ فإن محمداً ﷺ كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعيًا للألوهية.

والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان ﷺ يعتنى بها، وقد قال القرآن الكريم فى ذلك: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ **(الإسراء: ٩٣)**.

ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - فى علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادى لا غبار عليه؛ لأنه من أعراض بشريته ﷺ.

وحين فتر (تأخر) الوحى بعد أن تعلق به الرسول ﷺ كان يذهب إلى المكان الذى كان ينزل عليه الوحى فيه يستشرف لقاء جبريل، فهو محبٌّ للمكان الذى جمع

بينه وبين حبيبه بشىء ليشعر ببعض السكن والطمأنينة، فماذا فى ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد ﷺ فى كل ما يأتى وما يدع؟

وإذا كان أعداء محمد ﷺ يستندون إلى الآية الكريمة: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ **(الشعراء: ٣).**

فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار، ولكنها تعبير أدبى عن حزن النبى محمد ﷺ بسبب صدود قومه عن الإسلام، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم ﷺ بدعوة الناس إلى الله، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور.

وهذا خاطر طبيعى للنبى الإنسان البشر الذى يعلن القرآن على لسانه ﷺ اعترافه واعتزازه بأنه بشر فى قوله - ردا على ما طلبه منه بعض المشركين -: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾

(الإسراء: ٩٠ - ٩٣).

ثالثا: نذكركم بشاول الملك والذى يؤمن به اليهود أنه نبى والذى يقول عنه الكتاب المقدس «فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل» (صموئيل الأول ١٩ : ٢٤) نذكركم بأنه قد مات منتحراً!! فى صموئيل الثانى ١ : ٤ - ١١

أما قولهم على محمد ﷺ إنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعاً.

حيث ثبت فى صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة للرسول ﷺ، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربهم؛ منها نبع الماء من بين أصابعه، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة، ومنها تكثير الطعام حتى يكفى الجم الغفير، وله معجزة دائمة هى معجزة الرسالة وهى القرآن الكريم الذى وعد الله بحفظه فَحُفِظَ، ووعد ببيانه؛ لذا يظهر بيانه فى كل جيل بما يكشفه الإنسان ويعرفه.

٧ـ حد الردة

ينكر النصارى حد الردة فى الإسلام وهو أن من ارتد عن الملة الإسلامية يُقْتَل.

الجواب

أولاً: إن كان هذا الأمر طعناً فإنه يقع على كتاب النصارى المقدس بأشنع وجه وإليك الأدلة:

١ ـ جاء فى سفر الخروج (٢٢: ٢٠) قول الرب:

«من يقترب ذبائح لإلهة غير الرب وحده يهلك».

٢ ـ جاء فى سفر التثنية (١٣: ٦) قول الرب:

«وإذا أضلك سرا أخوك ابن أمك، أو ابنك أو ابنتك، أو زوجتك المحبوبة، أو صديقك الحميم قائلاً: لنذهب ونعبد آلهة أخرى غريبة عنك وعن آبائك من آلهة الشعوب الأخرى المحيطة بك أو البعيدة عنك من أقصى الأرض إلى أقصاها، فلا تستجب له ولا تصغ إليه، ولا يشفق قلبك عليه، ولا تترأف به، ولا تتستر عليه. بل حتماً تقتله. كن أنت أول قاتليه، ثم يعقبك بقية الشعب. ارجمه بالحجارة حتى يموت...» ترجمة كتاب الحياة.

٣ ـ ورد فى سفر الخروج (٣٢: ٢٨) أن الرب أمر نبيه موسى عليه السلام بقتل عبدة العجل من بنى لاوى فقتل منهم ٢٣ ألف رجل: «فأطاع اللاويون أمر موسى. فقتل من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. عندئذ قال موسى للاويين: «لقد كرستم اليوم أنفسكم لخدمة الرب، وقد كلف ذلك كل واحد منكم قتل ابنه أو أخيه، ولكن لينعم عليكم الرب فى هذا اليوم ببركة».

٤ ـ ورد فى سفر التثنية (١٣ : ١ ـ ٥) أنه لو دعا نبى إلى عبادة غير الله يقتل وإن كان ذا معجزات عظيمة:

«إذا ظهر بينكم نبى أو صاحب أحلام، وتنبأ بوقوع آية أو أعجوبة. فتحققت تلك الآية أو الأعجوبة التى تنبأ بها، ثم قال: هلم نذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ونعبدها. فلا تصغوا إلى كلام ذلك النبى أو صاحب الأحلام، لأن الرب إلهكم يجربكم ليرى إن كنتم تحبونه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم.... أما ذلك النبى أو الحالم فإنه يقتل».

٥ ـ ورد فى سفر التثنية (١٧ : ٢ ـ ٧) قول الرب:

«إذا ارتكب بينكم، رجل أو امرأة، مقيم فى إحدى مدنكم التى يورثكم إياها الرب إلهكم، الشر فى عينى الرب متعدياً عهده، فغوى وعبد آلهة أخرى وسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لأى من كواكب السماء مما حظرته عليكم، وشاع خبره، فسمعتم به، وتحققتم بعد فحص دقيق أن ذلك الرجس اقترف فى إسرائيل، فأخرجوا ذلك الرجل أو تلك المرأة، الذى ارتكب ذلك الإثم إلى خارج المدينة، وارجموه بالحجارة حتى يموت»».

وهذه التشددات لا توجد فى القرآن الكريم، فالعجب من النصارى المتعصبين، أن الكتاب المقدس لا يلحقه عيب بهذه التشددات، وأن الإسلام يكون معيباً!!!!

٦ ـ جاء فى سفر الملوك الأول (١٨ : ١٧ ـ ٤٠) أن إليا ذبح فى وادى قيشون ٥٠ رجلاً من الذين كانوا يدعون نبوة البعل:

«ثم قال إيليا للشعب: «أنا بقيت وحدى نبيا للرب، وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون».

«فقال إيليا: اقبضوا على أنبياء البعل ولا تدعوا رجلاً منهم يفلت فقبضوا عليهم، فساقهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك».

ثانياً: إن الإسلام يقرر حرية اختيار الدن، فالإسلام لا يُكرِه أحداً على أن يعتنق أى دين يقول الله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

غاية ما هنالك أن الإسلام لا يقبل الشرك بالله ولا يقبل عبادة غير الله وهذا من صلب حقيقة الإسلام باعتبار كونه دينا من عند الله جل وعلا، ومع ذلك يقبل النصارى واليهود ولا يقاتلهم على ما هم عليه ولكن يدعوهم إلى الإسلام. كما أن الإسلام لا يبيح الخروج لمن دخل فى دين الله لا يكلف أحداً أن يجهر بنصرة الإسلام، ولكنه لا يقبل من أحدٍ أن يخذل الإسلام، والذى يرتد عن الإسلام ويجهر بذلك فإنه يكون عدوا للإسلام والمسلمين ويعلن حرباً على الإسلام والمسلمين ولا عجب أن يفرض الإسلام قتل المرتد، فإن كل نظام فى العالم حتى الذى لا ينتمى لأى دين تنص قوانينه أن الخارج عن النظام العام له عقوبة القتل لا غير فيما يسمونه بالخيانة العظمى.

وهذا الذى يرتد عن الإسلام فى معالنة وجهر بارتداده، إنما يعلن بهذا حربا على الإسلام ويرفع راية الضلال ويدعو إليها المنفلتين من غير أهل الإسلام وهو بهذا محارب للمسلمين يؤخذ بما يؤخذ به المحاربون لدين الله.

والمجتمع المسلم يقوم أول ما يقوم على العقيدة والإيمان. فالعقيدة أساس هويته ومحور حياته وروح وجوده، ولهذا لا يسمح لأحد أن ينال من هذا الأساس أو يمس هذه الهوية. ومن هنا كانت الردة المعلنة كبرى الجرائم فى نظر الإسلام لأنها خطر على شخصية المجتمع وكيانه المعنوى، وخطر على الضرورة الأولى من الضروريات «الدين والنسل والعقل والمال».

والإسلام لا يقبل أن يكون الدين ألعوبة يدخل فيه اليوم ويخرج منه غداً على طريقة بعض اليود الذين قالوا: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٧٢).

والردة عن الإسلام ليست مجرد موقف عقلى، بل هى أيضاً تغير للولاء وتبديل للهوية وتحويل للانتماء. فالمرتد ينقل ولاءه وانتماءه من أمة إلى أمة أخرى فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام التى كان عضواً فى جسدها وينقم بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها ويعبر عن ذلك الحديث النبوى بقول رسول الله ﷺ فيه: (التارك لدينه المفارق للجماعة) (رواه مسلم)، وكلمة المفارق للجماعة وصف كاشف لا منشئ، فكل

مرتد عن دينه مفارق للجماعة.

ومهما يكن جرم المرتد فإن المسلمين لا يتبعون عورات أحدٍ ولا يتسورون على أحدٍ بيته ولا يحاسبون إلا من جاهر بلسانه أو قلمه أو فعله مما يكون كفراً بواحاً صريحاً لا مجال فيه لتأويل أو احتمال فأى شك فى ذلك يفسر لمصلحة المتهم بالردة.

إن التهاون فى عقوبة المرتد المعلن لردته يعرض المجتمع كله للخطر ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه. فلا يلبث المرتد أن يغرر بغيره، وخصوصاً من الضعفاء والبسطاء من الناس، وتتكون جماعة مناوئة للأمة تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأمة عليها وبذلك تقع فى صراع وتمزق فكرى واجتماعى وسياسى، وقد يتطور إلى صراع دموى بل حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس.

وجمهور الفقهاء قالوا بوجوب استتابة المرتد قبل تنفيذ العقوبة فيه بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية هو إجماع الصحابة - رضي الله عنهم - وبعض الفقهاء حددها بثلاثة أيام وبعضهم بأقل وبعضهم بأكثر ومنهم من قال يستتاب أبداً، واستثنوا من ذلك الزنديق؛ لأنه يظهر خلاف ما يبطن فلا توبة له وكذلك ساب الرسول ﷺ لحرمة رسول الله وكرامته فلا تقبل منه توبة وألف ابن تيمية كتاباً فى ذلك أسماه «الصارم المسلول على شاتم الرسول».

والمقصود بهذه الاستتابة إعطاؤه فرصة ليراجع نفسه عسى أن تزول عنه الشبهة وتقوم عليه الحجَّة ويكلف العلماء بالرد على ما فى نفسه من شبهة حتى تقوم عليه الحجة إن كان يطلب الحقيقة بإخلاص وإن كان له هوى أو يعمل لحساب آخرين، يوليه الله ما تولى.

٨ ـ الجنة فى الإسلام هى للزواج وشرب الخمر فقط!!

إن ما يردده أعداء الإسلام عن العقيدة الإسلامية حيال موضوع الجنة وأنه نعيم بالخمر والنساء والغناء فيه قصور كبير عن الاعتقاد الصحيح حيال ذلك، فإن نعيم الجنة ليس نعيماً حسيا جسديا فقط بل هو كذلك نعيم قلبى بالطمأنينة والرضا به سبحانه وتعالى وبجواره، بل إن أعظم نعيم فى الجنة على الإطلاق هو رؤية الرب سبحانه وتعالى، فإن أهل الجنة إذا رأوا وجهه الكريم نسوا كل ما كانوا فيه من ألوان النعيم، يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة يونس: ٢٦ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، ويقول الله سبحانه وتعالى فى سورة القيامة: ٢٢ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وفى الحديث الصحيح: «فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» مسلم برقم: ١٨١.

وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين ولا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلا سلاماً سلاما، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾ **(الواقعة: ٢٥، ٢٦)**.

وما ذكروه من أن دخول الجنة يتحقق بترك محرمات معينة ليفوز الإنسان بها فى الآخرة هو أيضاً خطأ كبير بهذا الإطلاق إذ أن الإسلام دين يأمر بالعمل لا بالترك فقط فلا تتحقق النجاة إلا بفعل المأمورات وليس بترك المنهيات فقط فهو قيام بالواجبات وانتهاء عن المحرمات، وكذلك فإنه ليس كل نعيم الجنة مما كان محرماً فى الدنيا على سبيل

المكافأة بل كم فى الجنة من النعيم الذى كان مباحاً فى الدنيا فالزواج مباح هنا وهو نعيم هناك والفواكه الطيبة من الرمان والتين وغيرها مباح هنا وهو من النعيم هناك والأشربة من اللبن والعسل مباح هنا وهو نعيم هناك وهكذا، بل إن المفسدة التى تشتمل عليها المحرمات فى الدنيا تنتزع منها فى الآخرة إذا كانت من نعيم الجنة كالخمر مثلاً قال الله سبحانه وتعالى عن خمر الجنة: «لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون» فلا تذهب العقل ولا تسبب صداعاً ولا مغصاً، فطبيعتها مختلفة عما هى عليه فى الدنيا، (انظر تفسير الآية) والمقصود أن نعيم الجنة ليس مقصوراً على إباحة المحرمات الدنيوية. وكذلك مما يجب التنبيه عليه أن هناك من المحرمات التى لا يجازى على تركها فى الدنيا بإعطاء نظيرها فى الآخرة سواء من ذلك المطعومات أو المشروبات أو الأفعال والأقوال فالسم مثلاً لا يكون نعيماً فى الآخرة مع حرمته فى الدنيا وكذا اللواط ونكاح المحارم وغير ذلك لا تباح فى الآخرة مع حظرها فى الدنيا، وهذا واضح بحمد الله.

واعلم أن كل ما فى الجنة من سررها وفرشها وأكوابها ـ مخالف لما فى الدنيا من صنعة العباد، وإنما دلنا الله بما أراناه من هذا الحاضر على ما عنده من الغائب ولذلك ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمة الله عليه: واليهود والنصارى والصابئون من المتفلسفة وغيرهم فإنهم ينكرون أن يكون فى الجنة أكل وشرب ولباس وزواج ويمنعون وجود ما أخبر به القرآن.

والرد عليهم هو أن ما ورد فى القرآن الكريم من وصف ملذات الجنة أن حقيقتها ليست مماثلة لما فى الدنيا، بل بينها تباين عظيم من التشابه فى الأسماء، فنحن نعلمها إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصية لا ندركها فى الدنيا، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كل وجه، وتلك الحقائق على ما هى عليه (رسالة الإكليل من مجموعة الرسائل الكبرى ـ لابن تيمية ٢: ١١).

عن جابر بن عبد الله ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح

المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» (مسلم برقم ٢٨٣٥).

إن طعام وشراب أهل الجنة ليس لحاجة البقاء وإنما كنوع من المتعة واللذة، مكافأة لمن دخلها من الصالحين. والحقيقة أن إنسان الجنة كامل الخلق والتكوين، ولكن تركيبته الكيميائية والفيزيائية مختلفة فليس له حاجة بتاتاً للجهاز الهضمي بما فيه من أجهزة لمعالجة الطعام والشراب ثم التخلص من الفضلات.

وفى معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ **(البقرة: ٢٥)**.

أى لا يبلن ولا يتغوطن ولا يلدن ولا يحضن ولا يمنين ولا يبصقن. تفسير القرطبى.

وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسير الآية:

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس مطهرة من القذر والأذى. وقال مجاهد من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنى والولد وقال قتادة مطهرة من الأذى والمأثم. وفى رواية عنه لا حيض ولا كلف.

ولقد جاء فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: يقول الله تعالى: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (البخارى برقم ٣٢٤٤) (مسلم برقم ٢٨٢٤) والآية من **(سورة السجدة: ١٧)**.

وإليكم الآن هذه النصوص القاطعة من كتاب النصارى التى تدل على حسية الجنة لديهم:

أولاً: ما ورد على لسان المسيح عليه السلام

بشرب الخمر فى ملكوت الله تعالى أى الجنة

مرقس (١٤: ٢٥): «الحق أقول لكم أنى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً فى ملكوت الله».

فالمسيح وعد تلاميذه بأنه سيشرب الخمر معهم فى ملكوت الله الجديد وهذا الملكوت الجديد حسب ما يعتقده المسيحيون سيتحقق بعد أن يدين الله العالم ويحاسبهم فى يوم القيامة.

وهذا النص كافٍ لبيان حسية الجنة وإقامة الحجة على النصارى..

ثانياً: ما ورد فى الإنجيل على اشتمال الجنة على الأكل

جاء فى إنجيل لوقا (٢٢ : ٣٠) قول المسيح لتلاميذه: «وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً، لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى، وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر».

قال المسيح فى إنجيل لوقا (١٤ : ١٢): «عندما تقيم غداء أو عشاء، فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا جيرانك الأغنياء، لئلا يدعوك هم أيضاً بالمقابل، فتكون قد كوفئت. ولكن، عندما تقيم وليمة ادع الفقراء والمعاقين والعرج والعمى؛ فتكون مباركاً لأن هؤلاء لا يملكون ما يكافئونك به، فإنك تكافأ فى قيامة الأبرار» فلما سمع هذا أحد المتكئين، قال له: طوبى لمن سيتناول الطعام فى ملكوت الله!».

وهذه النصوص كلها على خلاف معتقد النصارى..

ثالثاً: ما جاء على لسان المسيح من وجود النعيم الحسى فى الجنة عن طريق ضربه لمثل الإنسان الفقير

قال المسيح عليه السلام: «كان هنالك إنسان غنى، يلبس الأرجوان وناعم الثياب، ويقيم الولائم المترفة، متنعماً كل يوم وكان إنسان مسكين اسمه لعازر، مطروحاً عند بابه وهو مصاب بالقروح. ومات المسكين، وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ثم مات الغنى أيضاً ودفن. وإذ رفع عينيه وهو فى الهاوية يتعذب، رأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه. فنادى قائلاً: يا أباى إبراهيم! ارحمنى، وأرسل لعازر ليغمس طرف إصبعه فى الماء ويبرد لسانى: فإنى معذب فى هذا اللهيب. ولكن إبراهيم قال: يا بنى، تذكر أنك نلت خيراتك كاملة فى أثناء حياتك، ولعازر نال البلايا. ولكنه الآن يتعزى هنا، وأنت هناك تتعذب. وفضلاً عن هذا كله، فإن بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت، حتى إن الذين يريدون العبور من هنا لا يقدرون، ولا الذين من هناك يستطيعون العبور إلينا» (إنجيل لوقا ١٦ : ١٩) ترجمة كتاب الحياة.

إن هذا الكلام من المسيح حجة على النصارى، فقد قال المسيح: «إن إليعازر

هذا فى كفالة إبراهيم يتنعم ويتلذذ فى الآخرة». كما قال: «إن ذلك الغنى كان كل يوم يتنعم ويتلذذ فى دنياه». والذى يبتدر إلى الأفهام منه التنعم بالطيبات المألوفة المعروفة، وقد جاء ذلك فى الإنجيل كثيراً ولكن النصارى محجوبون بالتقليد عن النظر فى أقوال الأنبياء...

رابعاً: رؤية الله تعالى فى الآخرة بالجسد

جاء فى سفر أيوب: «أعلم أن إلهى حى، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى وسأرى بعينى الله مخلصى» (أى ١٩: ٢٥ - ٢٧) وفى ترجمة البروتستانت: «وبدون جسدى».

خامساً: الاتكاء والالتقاء مع الأنبياء

ورد فى إنجيل متى (٨: ١١) قول المسيح: «وأقول لكم أن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات».

فهل بعد كل هذا سيستمر النصارى بدعوى أن جنتهم جنة روحية فقط؟؟



٩ ـ أكذوبة النصارى بأن الرسول قد اقتبس من شعر امرئ القيس الجاهلى

لقد أثار بعض الفجرة من النصارى قضية أبيات منحولة إلى امرئ القيس الشاعر الجاهلى، بأن نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد اقتبسها ووضعها بالقرآن، فى محاولات مستميتة منهم للطعن فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومحاولاتهم بدأت مع بداية بعثة نبينا ﷺ ولم تنل من الإسلام شيئاً ولن تنل من الإسلام شيئاً فإن الله قد تكفل لنا بحفظ كتابه حتى قيام الساعة، فلا خوف على كتاب الله أن يصيبه التحريف أو التبديل سواء نصا أو معنى، كما أصاب كتب النصارى أو اليهود. وكان من نتيجة ادعاء هؤلاء الجهلة ذلك وغيره، أن انبرى عدد من المسلمين للرد على مزاعم هؤلاء، وتفنيد شبهاتهم، وبهذا يحدث التأييد والنصرة لهذا الدين على يد هؤلاء السفهاء من حيث لا يعلمون.

وأنا أصف هؤلاء الجهلة بما وصف به امرؤ القيس حماراً حيث قال:

يوارد مجهولات كل خميلة ... يمج لفاظ البقل فى كل مشرب

فهم يردون الخمائل وهى الحدائق وأعنى بها الكتب والتراث ولكنهم كالحمار لا يحسنون شم الورود بل فقط إفسادها بأكلها ثم يردون الماء الذى هو سبيل الحياة ولا يحسنون سوى مج بقايا الطعام الذى هو البقل من أفواههم إلى الماء فهم دائماً يكدرون صفاء الماء ويتلفون جمال الحدائق، فتراثنا جميل كخميلة ولكن هؤلاء يختارون منه ما يوافق كفرهم ليشوهوا به صفاء عقيدتنا.

بحثت عن أصل لتلك الأبيات المدعاة فلم أجد لها ذكراً، ولكن للأمانة العلمية

فقط أسوق مصدراً واحداً وردت فيه على سبيل ما ينسب ويدعى لامرئ القيس، ففى كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمام المناوى وردت تلك الأبيات فى سياق تعريفه لامرئ القيس وأنها تنسب إليه ولم يتعرض الإمام المناوى لها (لمن لا يعلم فالإمام المناوى متوفى عام ١٠٢٩ هـ)، ولم ترد تلك الأبيات فى ديوان امرئ القيس بطبعاته المختلفة. فمن هو امرؤ القيس المقصود، والذى يعنيه جهلة النصارى أنه صاحب تلك الأبيات، فلدينا الكثير من الشعراء ممن يحملون اسم امرئ القيس بعضهم جاهلى، وبعضهم إسلامى فأيهم يعنون؟؟؟ بالطبع هم أجهل من أن يعلموا ذلك.

١ ـ الجاهلى

أ ـ امرؤ القيس بن حُجّر بن الحارث الكندى، شاعر جاهلى وهو أشهر الشعراء على الإطلاق، يمانى الأصل مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، قال الشعر وهو غلام وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته وهو فى نحو العشرين من عمره عاش من سنة ١٣٠ قبل الهجرة إلى سنة ٨٠ قبل الهجرة وهو المقصود فى بحثنا هذا حيث نسبوا إليه الأبيات المدعاة.

ب ـ امرؤ القيس السكونى وهو شاعر جاهلى اسمه امرؤ القيس بن جبلة السكونى وهو ممن لم يصلنا الكثير من شعره.

ج ـ امرؤ القيس الكلبى هو امرؤ القيس بن حمام بن مالك بن عبيدة بن عبد الله وهو شاعر جاهلى عاصر المهلهل بن ربيعة.

د ـ امرؤ القيس الزهيرى وهو امرؤ القيس بن بحر الزهيرى شاعر جاهلى وأيضاً هو ممن وصلنا القليل من شعره.

٢ ـ الإسلامى

أ ـ وهو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن السمط بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الأكبر ابن معاوية بن ثور بن مرتح بن معاوية بن الحارث بن كندة الكندى. وفد إلى النبى ﷺ فأسلم وثبت على إسلامه ولم يكن فيمن ارتد من

كندة وكان شاعراً نزل الكوفة وهو الذى خاصم الحضرمى إلى رسول الله ﷺ: «فقال الحضرمى: «بينتك وإلا فيمينه» قال: يا رسول الله إن حلف ذهب بأرضى، فقال رسول الله ﷺ من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مالاً لقى الله وهو عليه غضبان فقال امرؤ القيس: يا رسول الله ما لمن تركها وهو يعلم أنها حق قال: «الجنة» قال: فأشهدك أنى قد تركتها له» ومن شعر امرئ القيس هذا:

قف بالديار وقوف حابس ... وتأن إنك غير آيس

لعبت بهن العاصفات ... الرائحات من الروامس

ماذا عليك من الوقو ... ف بهالك الطللين دارس

يا رب باكية علىَّ ... ومنشد لى فى المجالس

أو قائل: يا فارساً ... ماذا رزئت من الفوارس

لا تعجبوا أن تسمعوا ... هلك امرؤ القيس بن عابس

ونحن نظن أن هذا هو قائل تلك الأبيات المنسوبة إلى امرئ القيس الجاهلى فلننظر إلى هذا الشعر والشعر المدعى لامرئ القيس الجاهلى ونر مدى التشابه والتطابق بينهما وانظر إلى ما سنسوقه لاحقاً من أبيات امرؤ القيس الجاهلى وما بينهما من بعد الشقة فى اللفظ والنظم، وكلاهما امرؤ القيس.

النص المدعى

دنت الساعة وانشق القمر ... عن غزال صاد قلبى ونفر

أحورٌ قد حِرتُ فى أوصافه ... ناعس الطرف بعينيه حور

مر يوم العيد بى فى زينة ... فرمانى فتعاطى فعقر

بسهامٍ من لحاظٍ فاتك ... فر عنى كهشيم المحتظر

وإذا ما غاب عنى ساعة ... كانت الساعة أدهى وأمر

كُتب الحُسن على وجنته ... بسحيق المسك سطراً مختصر

عادة الأقمار تسرى فى الدُّجى فرأيت الليل يسرى بالقمر
بالضحى والليل من طرته فرقه ذا النور كم شىء زهر
قلت إذ شق العذار خده دنت الساعة وانشق القمر

وبكتاب إعجاز القرآن للإمام الباقلانى فصل كبير للمقارنة بين الشعر والقرآن وخصص منه الباقلانى جزءاً كبيراً لشعر امرئ القيس وتعرض فيه بكل أمانة لمسألة الفرق بين الشعر والقرآن، فهل لم يصل هذا الشعر إلى الإمام الحافظ أبى بكر الباقلانى ليرد عليه ويشمله ببحثه.

والعجيب أنه بعد بحث طويل لم أجد أى ذكر لهذا الشعر ولا للرد عليه، فهل لم يكتشف هذا الشعر إلا هؤلاء العلوج فى هذا القرن ليفاجئونا بأن القرآن قد اقتبس أبياتاً من شعر امرئ القيس، فيسقط فى يدنا ونسلم لهؤلاء الجهابذة بأن كتابنا قد أصابه شىء مما أصاب كتابهم ونصبح كما يقال بمصر (بالهوا سوا).

ومن عجب القول أن تكن تلك الأبيات لامرئ القيس ويظهر رسول الله فى قريش التى هى أفصح العرب وأحفظهم لشعر الشعراء حتى إنهم يضعون أشهر سبع قصائد مطولات على جدران الكعبة وتسمى المعلقات، ويأتى رسول الله ﷺ ليسفه دينهم، ويكسر أصنامهم، ويمحى باطلهم، ولا يخرج منهم رجل حافظ للشعر، واحد فقط، ويقول له أنت يا محمد نقلت تلك الأبيات من امرئ القيس، ثم يأت سفيه بعد ألف وخمسمائة سنة ليقل لنا خذوا تلك أبيات امرئ القيس التى نقلها نبيكم بقرآنكم.

وأكاد أجزم أن هؤلاء السفهاء الذين يرددون هذا الكلام، لم يقرأوا فى حياتهم شيئاً من أشعار امرئ القيس أو غيره ولكن مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً، يلقى إليهم رهبانهم وقساوستهم الكلام فيرددونه كالببغاوات بلا فهم ولا علم ولا وعى.

وهل هذا الشعر السلس السهل غير الموزون فى بعض أبياته شعراً جاهلياً؟ وإذا قارنا بين شعر امرؤ القيس وتلك الأبيات هل نجد أى وجه شبه بينهما؟ وإليك شيئاً مما قاله امرؤ القيس لتر الفارق فى النظم واللفظ وقوة العبارة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل

فتوضح فالمقراةِ لم يعف رسمُها لما نسجتها من جنوبٍ وشمأل

ترى بعرَ الأرامِ فى عرصاتِها وقيعانها كأنه حَبُّ فُلْفلِ

كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحىِّ ناقفُ حنظلِ

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وهل يقارن ذاك الشعر الركيك بقول امرئ القيس

فلما أجزنا ساحةَ الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى خفافٍ عقنقل

وقوله:

رفعن حوايا واقتعدن قعائدا وحففن من حوكِ العراقِ المنمق

ثم قوله فى النص المدعى (مر يوم العيد فى زينته) أليس يوم العيد احتفالاً إسلاميّاً؟ فكيف يكن هذا امرئ القيس الجاهلى ويذكر فيه يوم العيد وهو من مات قبل مولد نبينا ﷺ بثلاثين عاما أو أكثر والنبى بعث وعمره أربعون سنة أى أن تلك الأبيات بينها وبين النبى ﷺ ما يزيد عن سبعين عاماً.

وعلى افتراض أنه شعر جاهلى فهو منحول، نسب إلى امرئ القيس لأن حفاظ شعر امرئ القيس لم يذكروه، فما هو الشعر المنحول؟ النحل فى اللغة كما ذكر فى لسان العرب وانتحل فلان شعر فلان أو قال فلان إذا ادعاه أنه قائله. وتنحله: ادعاه وهو لغيره. وقال ابن هرمة:

ولم أتنحل الأشعار فيها ولم تعجزنى المِدَحُ الجياد

ويقال: نحل الشاعر قصيدة إذا نسبت إليه وهى من قيل غيره؛ وقال الأعشى فى الانتحال:

فكيف أنا وانتحالى القوا فى، بعد المشيب، كفى ذاك عارا!

وقيدنى الشعر فى بيته كما قيد الأسراتُ الحمارا!

وفى مختار الصحاح ونَحَلَهُ القول من باب قطع أى أضاف إليه قولا قاله غيره وادَّعاه عليه وانْتَحَلَ فُلان شِعْر غيره أو قول غيره إذا ادَّعاه لنفسه وتَنَحّل مثله

وفُلان يَنْتَحِلُ مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه.

وفى مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى: والانتحال: ادعاء الشىء وتناوله، ومنه يقال: فلان ينتحل الشعر.

وقضية نحل الشعر لمشاهير الشعراء قضية مشهورة معروفة فى الأدب العربى يعرفها كل باحث، فليثبت لنا هؤلاء الجهلة أن تلك الأبيات لامرئ القيس الجاهلى أولاً، ثم نناقشهم فيها بعد ذلك وختاماً نقول إن بحثنا هذا ليس دفاعاً عن امرئ القيس بل هو دفاعاً عن دين الله.

وختاماً نقل لهؤلاء الجهلة إن امرأ القيس سيكون معكم حيث ستذهبون، وستلاقونه فى جهنم، إن لم تسلموا لله وحده قبل موتكم، وحينما تقابلونه سيمكنكم معرفة أن تلك الأبيات ليست من شعره.

كلمة منحول تعنى أن هناك من قاله ونسبه لغير صاحبه، وقد زعم طه حسين أن الشعر الجاهلى المنقول إلينا كله منحول، أى كتب فى العصر العباسى ونسب لشعراء الجاهلية. وقد نفى فى كتابه (فى الشعر الجاهلى) كل ما ينسب إلى امرئ القيس من شعر إلا قصيدتين هما:

الأولى: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

والثانية: ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالى

وقوله لا يخلو فى بعض الصور من صحة، إذ ثمة كثير من الأبيات المنسوبة للجاهليين منحولة، ومنها هذه الأبيات بدليل عدم وجودها فى ديوان امرئ القيس الذى جمعه المحققون. لأنه منحول.

ثم نقول لهم جدلاً إذا صح استدلالكم بتماثل بعض الآيات القرآنية مع شعر امرئ القيس فإن هذا التماثل فى بعض الألفاظ لا يعنى النقل على كل حال، ووقوع التماثل أمر طبيعى إذ جاء القرآن بما تعهده العرب فى كلامها من أمثلة واستعارات وسوى ذلك من ضروب البلاغة. ثم إن الشعر المنسوب لامرئ القيس هو المنقول عن القرآن كما قد سبق بيانه.

ويقول الدكتور عبدالله الفقيه من مركز الفتوى فى الشبكة الإسلامية بما معناه:

ويكفى فى الرد على مثل هذه السفسطات والتفاهات، سقوطها وانحطاطها عند من لديه أدنى نظر:

فالآيات من سورة القمر لا تتفق أصلاً مع موازين الشعر العربى حتى يقال إنها من الشعر مما يدلك على جهل واضعى هذه الشبهة إن صح تسميتها شبهة.

ومنها أن السورة مكية وقد تلاها النبى ﷺ على مشركى قريش وهم فى ذلك الوقت من أشد الناس عداوة للنبى ﷺ وأحرص الناس على العثور على ما يشكك فى صدق ما يقوله من أن القرآن كلام الله تعالى منزل من عنده ليس من كلام البشر. وهم نقلة الشعر ورواته ومع ذلك لم يدعوا هذا الادعاء ولا قريباً منه، بل أقروا وأقر غيرهم من فصحاء العرب وبلغائهم أن القرآن الكريم ليس من وضع البشر ولا من تأليفهم، بل أقروا بالعجز عن الإتيان بسورة من مثله مع تحدى القرآن لهم دائماً. إلى غير ذلك من الردود الواضحة.

والله ولى التوفيق.



١٠ ـ إثبات الوحى عن طريق خديجة رضى الله عنها

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يقول النصارى:

كيف لا يعرف النبى ﷺ الوحى الذى أنزل عليه؟

وكيف يطلب من خديجة رضي الله عنها أن تتأكد له من الوحى بجلوسه على فخذها؟

وكيف ينتظر منها أن تخبره إذا كان وحيا أم شيطانا؟

ويستدلون على كلامهم هذا برواية أوردها ابن هشام فى سيرته.

وللرد على هذه الشبهة، نورد لكم هذه الرواية أولاً من سيرة ابن هشام وهى من طريقين، ثم نقوم بمشيئة الله تعالى بتفنيد مزاعمهم وثم نبيين ضعف هذه الرواية وسقوطها وبالله تعالى نستعين.

واليكم الرواية:

الطريق الأولى:

قال ابن إسحاق: وحدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير: أنه حُدث «٢٣٩» عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ أى ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال نعم. قالت فإذا جاءك فأخبرنى به. فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله ﷺ لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى، قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى؛ قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت هل تراه؟ قال نعم قالت فتحول فاجلس على فخذي

اليمني؛ قالت فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت هل تراه؟ قال نعم. قالت فتحول فاجلس فى حجرى، قالت فتحول رسول الله ﷺ فجلس فى حجرها. قالت هل تراه؟ قال نعم قال فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها، ثم قالت له هل تراه؟ قال لا، قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان.

الطريق الأخرى:

قال ابن اسحاق: وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنى سمعتها تقول أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله ﷺ إن هذا لملك وما هو بشيطان (انتهى).

نقول وبالله تعالى التوفيق،

على فرض صحة هذه الرواية، لم يرد فيها أن النبى ﷺ لم يعرف الوحى الذى أنزل عليه، وليس فيها أنه طلب من خديجة أن تتأكد له من الوحى، وهذا يرجع عندهم إلى التعصب الأعمى الذى يقودهم إلى اختلاق الأكاذيب أو أنهم لا يفقهون ما يقرءون ويرددون كلام المستشرقين كطائر الببغاء، وكل ما فى الرواية أن خديجة رضي الله عنها هى التى طلبت التأكد وليس النبى ﷺ،... فتأمل!

ونحن لسنا بحاجة إلى هذا التبرير لأن الرواية ضعيفة، ولكن أردنا أن نبين على فرض صحتها مدى تفكيرهم السقيم وحقدهم على البشير النذير.

وإليك الآن عزيزى القارئ إثبات ضعف هذه القصة:

الطريق الأولى:

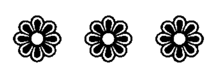
فيها انقطاع، لأن إسماعيل بن أبى حكيم لم يسمع من خديجة ٪ وقال: إنّهُ حُدِّثَ عن خديجة (بضم الحاء وكسر الدال) ولم يذكر من حدثه عنها، وهذا كاف لإبطال هذه الطريق ولله الحمد.

الطريق الاخرى:

وهى عن فاطمة بنت حسين عن خديجة، وفاطمة هى بنت الحسين بن على بن أبى طالب ﷺ ، وهى تابعية ولدت بعد وفاة خديجة بنحو ثلاث وأربعين سنة، ففاطمة عن هذا لم تسمع من خديجة، فيصبح الحديث من المراسيل وهذا أيضا كاف لتضعيف هذه الطريق، وحتى الحسين رضي الله عنه لم ير خديجة لأنها توفيت ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين، والحسين ولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة أى بعد وفاتها بسبع سنين، فإذا كان أبوها لن يسمع من خديجة، فكيف بابنته فاطمة؟ ﷺ جميعا، فتأمل!

وهكذا عزيزى القارئ يتبين لك مدى ضعف هذه الرواية ومدى سقوط الاحتجاج بها، وإن خصومنا من النصارى يتعلقون بالضعيف والمكذوب نسأل الله السلامة ونعوذ بالله من الخذلان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،



١١ - رضاع الكبير

صار حديث رضاع الكبير مضغة فى أفواه النصارى يتصايحون به ويقذفونه فى وجوه المسلمين حين عجزهم عن مواجهة الواقع الأليم فى كتابهم «المكدس» بالفضائح الجنسية!!

ولذا وحتى يكون المسلم على بينه وجب الوقوف مع هذا الحديث فنقول وبالله التوفيق:

نذكر أولا ما ورد فيما يطلق عليه النصارى الكتاب المقدس قبل أن نرد على هذه الشبهة، ليتبين للقارئ أن ما لدى عباد الصليب من الضلال المبين فى كتابهم المقدس مما حرفوه عن دين أنبيائهم الكرام، ما يجعلهم يستحون من الإنكار على المسلمين شيئا من محاسب شريعتهم التى بشر بها جميع الأنبياء . ومما جاء فيم يطلقون عليه الكتاب المقدس:

الرب يأمر بالرذيلة ويوقع الناس فى الزنا عقاباً لهم!!!:

سفر صموئيل الثانى (١٢: ١١ - ١٢): رب الأرباب نفسه يسلم أهل بيت نبيه داود عليه السلام للزنا عقاباً له: «هكذا قال الرب: هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لرقيبك، فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس. لأنك أنت فعلت بالشر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس».

سفر عاموس (٧: ١٦): النبى عاموس يقول لأمصيا كاهن بيت إيل: «أنت تقول لا تتنبأ على إسرائيل. ولا تتكلم عن بيت إسحاق لذلك هكذا يقول الرب: امرأتك تزنى فى المدينة وبنوك يسقطون بالسيف».

سفر إرميا (٨: ١٠) يقول الرب: «لذلك أعطى نساءهم لآخرين وحقولهم

لمالكين لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب».

سفر إشعيا (٣: ١٦): «وقال الرب: من أجل أن بناتك صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ١٧ يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن».

الرب يحث على اختطاف بنات شيلوه واغتصابهن:

سفر القضاة (٢١: ٢٠): «وأوصوا بنى بنيامين قائلين امضوا واكمنوا فى الكروم. وانظروا فإذا خرجت بنات شيلوه ليدرن فى الرقص فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوه واذهبوا إلى أرض بنيامين».

وفى سفر هوشع (١: ٢ ـ ٣): الرب يأمر هوشع أن يأخذ لنفسه امرأة زنا: ولا تتساءل إذا كان هذا تشجيعاً للزانيات أن يتمادين فى بغائهم، فإن الرب سينصفهن وسيزوجهن من أنبياء وقضاة؟: «أول من كلم الرب هوشع قال الربع لهوشع: «اذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا لأن الأرض قد زنا تاركة الرب!. فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له ابنا».

يهوذا جد المسيح يزنى بكنته ثامار (زوجة ابنه)

سفر التكوين (٣٨: ١٥): فرآها يهوذا فحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال: هاتى أدخل عليك. لأنه لم يعلم أنها كنته. فقالت: ماذا تعطينى لكى تدخل على. قال: إنى أرسل جدى معزى من الغنم. فقالت: هلى تعطينى رهنا حتى ترسله؟ فقال: ما الرهن الذى أعطيك؟ فقالت: خاتمك وعصاك التى فى يدك. فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه... وبعد ثلاثة شهور قيل ليهوذا: إن كنتك ثامار قد زنت وها هى الآن حبلى من الزنا.

ثم إنهم يجعلون نسب المسيح جاء من فارص وارح، التوأم اللذين حملت بهما ثامار من الزنا!!!

الرب يأمر بالتغزل بثدى المرأة!!

سفر الأمثال (٥: ١٨): «وافرح يامرأة شبابك الظبية المحبوبة والوعلة الزهية، ليروك ثدياها فى كل وقت!».

نشيد الانشاد (٨: ٨): «لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان، فماذا نصنع لأختنا فى يوم خطبتها؟»

والحاصل: أن طائفة كتبت هذا الكلام فى كتابها، لا يصح عقلاً ولا منطقاً أن تتفوه أو تنكر شيئا على أتباع الديانات الأخرى....

أما الرد على شبهتهم الساقطة فنقول وبالله التوفيق:

اتفق علماء الصحابة وأئمة المذاهب الفقهية وأتباعهم على أن الرضاع المحرّم هو ذاك الذى يناله الرضيع وهو دون السنتين من العمر، لصريح قول الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣) ولقوله ﷺ فيما رواه مسلم من حديث عائشة ﵂: «إنما الرضاعة من المجاعة» أى أن الرضاعة التى تجب التحريم هى ما كانت فى فترة صغر الطفل كى يكون هذا اللبن سببا فى بناء لحمه فتكون المرضعة قد أنبتت من لبنها لحم الطفل كما الأم تنبت من رحمها لحم الطفل فتكون المرضعة كالأم فى هذا الحين، وفى الترمذى وصححه عن أم سلمة مرفوعاً: «لايحرم من الرضاع إلا فى الحولين» وعند أبى داود عن ابن مسعود يرفعه «لا رضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم».

فكل هذه الأحاديث الصحيحة تدل على أن الرضاعة المحرمة هى ما كانت دون السنتين قبل الفطام، وما بعد ذلك فلا أثر له،

وأما ما جاء فى حديث سهلة بنت سهيل امرأة أبى حذيفة من قصة سالم مولى أى حذيفة من أن أبا حذيفة كان قد تبنى سالماً، فلما صارت امرأة أبى حذيفة يشق عليها دخول هذا الغلام الذى كبر لما رأت من تغير فى وجه زوجها أبى حذيفة، استفتت النبى ﷺ فى ذلك، فقال النبى ﷺ: «أرضعيه تحرمى عليه» وكيف أن أم المؤمنين عائشة ﵂ قد رأت أن هذا الأمر عاماً، (كما فى سنن أبى داود) فكانت تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يُرضِعنَ من أحبت عائشة أن يراها، أو يدخل

عليها وإن كان كبيراً خمس رضعات ثمّ يدخل عليها، فالجواب عن ذلك هو:

ذهب جمهور العلماء إلى أن قصة سالم هى واقعة خاصة بسالم لا تتعداه إلى غيره، ولا تصلح للاحتجاج بها. قال الحفظ ابن عبد البر: «عدم تحديث أبى مليكة بهذا الحديث لمدة سنة يدل على أنه حديث تُرك قديما ولم يُعمل به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومه، بل تلقوه على أنه مخصوص». (شرح الزرقانى على الموطأ ٣/ ٢٩٢)، وقال الحافظ الدرامى عقب ذكره الحديث فى سننه: «هذا لسالم خاصة».

وبذلك صرحت بعض الروايات، ففى صحيح مسلم عن أم سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ ﷺ كانت تقول «أبَى سائر أزواج النبى ﷺ أن يدخلن عليهم أحدا بهذه الرضَاعة، وقلن لعائشة: واللّه مانرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول اللّه ﷺ لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا».

وبالتالى يكون عمل أم المؤمنين عائشة ﵂ - إن صح الخبر - اجتهاد منها ليس إلا، تثاب عليه فى كل الأحوال، بأجر أو بأجرين. وكان فهم وعمل الصحابة وسائر ازواج النبى ﷺ على خلافه. وقد قيل إن ماروى عن عائشة ﵂ مؤول بأنها إذا تفرست بطفل خيرا وأرادت أن يدخل عليها بعد بلوغه تأمر بنات أخيها أن يرضعنه وهو صغير، فإذا كبر دخل عليها.

وقد ذهب البعض إلى إن حديث سهلة بنت سهيل مخصوص بمن حاله كحل سالم مولى أبى حذيفة. فلو وجد أحد تبنى شخصاً حتى كان هذا الابن مثل ابنه فى دخوله على أهله وبساطتهم معه، واضطرت امرأته لأن ترضعه ليبقى على ما هو عليه من الدخول - لو وجد هذا - لقلنا بجوازه. لكن هذا فى الوقت الحاضر ممتنع، لأن الشرع أبطل التبنى، ولهذا لما قال النبى ﷺ: «إياكم والدخول على النساء، قالوا يا رسول اللّه: أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت» ولو كان إرضاع الكبير مؤثراً لقال: «الحمو ترضعه زوجة أخيه مثلا حتى يدخل على امرأة من محارمه» فلما لم يرشد النبى ﷺ أو يوجه إلى هذا علم أن رضاع الكبير بعد إبطال التبنى لا يمكن أن يكون له أثر.

وذهب البعض أيضاً إلى جواز الترخيص فى إرضاع الكبير وترتيب أحكام

الرضاعة عليه فى التحليل والتحريم عند وجود المشقة فى الاحتجاب عنه، وعدم الاستغناء عن دخوله على النساء، كما فى قصة سالم مولى أبى حذيفة ﵄ وهذا القول منسوب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو قول بعيد لأن المشقّة غير منضبطة، أما لو كانت ضرورة، فللضرورة شأن آخر، والضرورات تقدرّ بقَدَرِها.

والظاهر أنّ لتخصيص الرخصة بسالم ﵁ عن دون الناس هو الراجح من حيث اختيار معظم أمهات المؤمنين له، وذهاب معظم الصحابة وجمهور العلماء إلى القول به، وهو المفهوم من ظاهر النصوص المعارضة لحديث سهلة بنت سهيل، ولو كان الأمر على إطلاقه لشاع بين الصحابة الكرام فمن بعدهم من السلف، وتعدّدت طرقه، ورويت أخباره.

تنبيه

لقد فهم جهال النصارى من قوله ﷺ لسهلة: «أرضعيه» أنه يتحتم ملامسة الثدى فقالوا كيف يكون هذا؟! ومن أحسن ما قيل فى توجيه ذلك قول الإمام النووى رحمه الله فى شرحه على صحيح مسلم (١٠/ ٣١): (قال القاضى: لعلّها حَلَبَته ثم شرِبهَ، دون أن يمسَّ ثديَها، ولا التَقَت بشرتاهُما إذ لا يجوز رؤية الثدى، ولا مسه ببعض الأعضاء، وهذا الذى قاله حَسَنٌ، ويُحتَمل أنّه عُفىَ عن مسّه للحاجة، كما خُصَّ بالرضاعة مع الكِبَر.)

وقال أبو عمر: «صفة رضاع الكبير أن يحلب له اللبن ويسقاه فأما أن تلقمه المرأة ثديها فلا ينبغى عند أحد من العلماء، وهذا ما رجحه القاضى والنووى» (شرح الزرقانى ٣/ ٣١٦).

فإن قيل إنه ورد فى الحديث قول سهلة: «وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟» نقول هذا وصف نسبى بالنسبة لما يعرف عن الرضاع بأنه عادة لا يكون إلا للصغير.

فإن أبيتم روينا لكم ما رواه ابن سعد فى طبقاته عن محمد بن عبد الله ابن أخى الزهرى عن أبيه قال كانت سهلة تحلب فى مسعط أو إناء قدر رضعته فيشربه سالم فى كل يوم حتى مضت خمسة أيام فكان بعد ذلك يدخل عليها وهى حاسر رخصة من رسول الله ﷺ لسهلة» (الطبقات الكبرى ٨/ ٢٧١ الإصابة لابن حجر ٧/٧١٦).

ثم إن النص لم يصرح بأن الارضاع كان بملامسة الثدى. وسياق الحديث متعلق بالحرج من الدخول على بيت أبى حذيفة فكيف يرضى بالرضاع المباشر كما فهم هؤلاء؟

أو نسى هؤلاء أن النبى حرم المصافحة؟ فكيف يجيز لمس الثدى بينما يحرم لمس اليد لليد؟

ثم إننا نسأل هؤلاء: هل الطفل الذى يشرب الحليب من غير ارتضاعه من الثدى مباشرة يثبت له حكم الرضاعة أم لا؟

والجواب كما عند جمهور العلماء أنه يثبت، وبالتالى نقول إنه إذا كان شرب اللبن بدون مباشرة الثدى يثبت حكم الرضاع للصغير فإنه أولى به للكبير ذلك لأن شرب اللبن بدون مباشرة الثدى يصح أن يكون رضاعاً.

وأخيراً ننقل من كلام العالم النحوى ابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ) فى توجيهه لحديث سهلة:

قال ابن قتيبة:

فأراد رسول الله ﷺ - بمحلها عنده، وما أحب من ائتلافهما، ونفى الوحشة عنهما - أن يزيل عن أبى حذيفة هذه الكراهة، ويطيب نفسه بدخوله فقال لها «أرضعيه».

ولم يرد: ضعى ثديك فى فيه، كما يفعل بالأطفال. ولكن أراد: احلبى له من لبنك، ثم ادفعيه إليه ليشربه. ليس يجوز غير هذا، لأنه لا يحل لسالم أن ينظر إلى ثدييها، إلى أن يقع الرضاع، فكيف يبيح له ما لا يحل له وما لا يؤمن معه من الشهوة؟ (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

قلت: كيف لا وربنا جل جلاله يقول فى محكم كتابه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠)؟

فالحجة لا تقوم على الخصم بما فهمه خصمه وإنما تقوم بنص صريح يكون هو الحجة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٢ ـ شبهة حول صفة مكر الله سبحانه وتعالى

يثير بعض من جهلة النصارى هذه الشبهة حول صفة المكر لله سبحانه وتعالى ويقولون كيف يمكن أن تكون هذه الصفة المذمومة الله سبحانه وتعالى؟

وللرد عليهم وتبيان جهلهم ننقل لكم ما جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى أن المكر هو صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان:

مكر محمود، وذلك أن يُتَحَرَّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ **(آل عمران: ٥٤)** فلا يكون مكره إلا خيرا.

ومكر مذموم، وهو أن يُتحرى به فعل قبيح، قال تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ **(فاطر: ٤٣)**.

فالمكر يكون فى موضع مدحاً ويكون فى موضع ذما: فإن كان فى مقابلة من يمكر، فهو مدح، لأنه يقتضى أنك أنت أقوى منه. وإن كان فى غير ذلك، فهو ذم ويسمى خيانة.

ولهذا لم يصف الله نفسه بصفة المكر على سبيل الإطلاق وإنما فى مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها أى على سبيل المقابلة والتقييد فيقال: يمكر بأعدائه، أو يمكر بمن يمكر برسله والمؤمنين، وما أشبه هذا كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ **(النمل: ٥٠)** وقال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ **(آل عمران: ٥٤)** وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ **(الأنفال: ٣٠)**، وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ **(النمل: ٥١)**.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٤٢) وقوله: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أى برسلهم، وبالحق الذى جاءت به الرسل، فلم يغن عنهم مكرهم ولم يصنعوا شيئاً، وقوله ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أى: لا يقدر أحد أن يمكر مكراً إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره ومشيئته سبحانه وتعالى. فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له ولا يلتفت إليه، فلله أسباب المكر جميعا، وبيده وإليه، لا يضار مكر من مكر منهم أحدا إلا من أراد ضره به، فلا يضر الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضره ذلك.

ومن هنا نعرف أن المكر هو التدبير، فإن كان فى شر فهو مذموم، وإن كان فى خير فهو محمود.

والآن لنرى بعض الصفات المثبتة لله فى كتاب النصارى المقدس:

الجبار

ونجدها فى مزمور (٢٤ : ٨): «من هو ملك المجد. الرب القدير الجبار الرب الجبار فى القتال».

القهار

ونجدها فى سفر أيوب (٣٠: ١١): «لأنه اطلق العنان وقهرنى فنزعوا الزمام قدامى».

المذل

ونجدها فى سفر دانيال (٤ : ٣٧): «فالآن أنا نبوخذناصر أ«بح وأعظم وأحمد ملك السماء الذى كل أعماله حق وطرقه عدل ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله» ويقول بولس لأهل كورنثوس: «وأخشى أن يجعلنى إلهى ذليلاً بينكم عند مجيئى إليكم مرة أخرى» ٢ كو ١٢: ٢١. انظر أيضاً مزمور ٨٨: ٧.

المنتقم

ونجدهافى مزمور (١٨: ٤٧): «الإله المنتقم لى والذى يخضع الشعوب تحتى»

وفى حزقيال «واجعل نقمتى فى ادوم بيد شعبى إسرائيل فيفعلون بادوم كغضبى وكسخطى فيعرفون نقمتى يقول السيد الرب» حزقيال ٢٥: ١٤.

الضار

ونجدها فى سفر الأمثال (٨: ٣٦): «ومن يخطئ عنى يضر نفسه. كل مبغضى يحبون الموت».

خالق الشر

ونجدا فى سفر اشعيا (٤٥: ٧): «مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر. أن الرب صانع كل هذه».

مضل

ونجدها فى الرسالة الثانية إلى تسالونكى (٢: ١١): «ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب» وفى سفر حزقيال (١٤: ٩): «فإذا ضل النبى وتكلم كلاماً فأنا الرب قد أضللت ذلك النبى».

الوارث

ونجدها فى عبرانيين (١: ١، ٣).

فعلى النصارى أن يقرأوا ويفهموا كتابهم قبل أن يفتروا على الإسلام وأهله.. والله المستعان،،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

١٣ ـ شخصية هامان فى القرآن الكريم

يقول بعض النصارى أن القرآن يحكى فى سورة القصص وغيرها من السور أن هامان كان وزيراً لفرعون مع أن هامان كان فى بابل وجاء بعد فرعون بنحو ألف سنة!!

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص: ٦).

الجواب

أولا : أن هذه الآيات قرئت وتليت على اليهود فى زمن النبى ﷺ، وكان فيهم العلماء والأحبار فلم ينكر أحد منهم هذا الأمر. ومنهم العالم اليهودى عبد الله بن سَلاَّم الذى أسلم ودخل فى دين الله.

ثانياً : من أعلم المؤلف بأن هامان كان وزيراً لفرعون؟ وهذا السؤال على معنى أن هامان اسم شخص. ولا أحد أعلمه بأن هامان اسم شخص إلا الرواة الذين لا يوثق بمروياتهم. وإذا أصر على أن هامان اسم شخص. فليسلم بأن فرعون اسم شخص. ومعلوم أن لقب «الملك» كان لرئيس المصريين فى زمن يوسف ـ عليه السلام ـ وأن لقب «فرعون» كان لرئيس المصريين فى زمن موسى ـ عليه السلام ـ مما يدل على تغير نظام الحكم.

وإذا صح أن «هامان» لقب لكل نائب عن الملك، لا اسم شخص. فإنه يصح أن يطلق على النائب عن فرعون أو عن أى ملك من الملوك. وعلى ذلك يكون معنى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ هو أن رئيس مصر الملقب بفرعون، ونائبه الملقب

بهامان ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ومثل ذلك: مثل لقب الملك الذى يطلق على رؤساء البلاد؛ فإنه يطلق على رؤساء فارس واليونان ومصر واليمن وسائر البلاد، ولا يتوجه على إطلاقه خطأ من أخطاء التاريخ.

وفى الإنجيل أن اليهود كانوا يطلقون لقب «المضل» عليم ن يخالفهم فى الرأى. وإذا أطلقه العبرانيون على رجل منهم يقولون له: ياسامرى، بدل قولهم يا مضل. وذلك لأنهم يعتبرون السامريين كفاراً. وإذا أطلقه السامريون على رجل منهم يقولن له: ياعبرانى، بدل قولهم يا مضل. وذلك لأنهم يعتبرون العبرانيين كفاراً. وإذا سمع العبرانى منهم كلمة «سامرى» لا يفهم منها أنها اسم شخص، وإنما يفهم منها أنها لقب للذم. وعن هذا المعنى جاء فى إنجيل يوحنا أن علماء اليهود قالوا لعيسى - عليه السلام -: «إنك سامرى، وبك شيطان سورد عليهم بقوله»: أنا ليس بى شيطان، لكنى أكرم أبى وأنتم تهينوننى. أنا لست أطلب مجدى. يوجد من يطلب ويدين» (يو ٨:٤٨ - ٥٠).

ثالثاً: ماذا تقول النقوش الهيروغليفية عن هامان؟

المعلومات التى فى القرآن الكريم حول مصر القديمة وحكامها تكشف العديد من الحقائق التاريخية التى لم تكن معلنة وغير معروفة حتى أوقات أخيرة..

هامان مذكور فى القرآن فى ستة أماكن مختلفة كأحد المقربين إلى فرعون بينما تذكر لنا التوراة أن هامان لم يذكر فى حياة موسى عليه السلام على الإطلاق وأن هامان كان وزيراً وخليلاً لأحشوريش ملك الفرس الذى يدعوه اليونان زركيس، وكثيراً من الذين يريدون أن يطعنوا فى القرآن ويدعون أن محمداً ﷺ كتب القرآن بالنسخ من التوراة مع أن هناك اختلافا فى بعض القصص منها شخصية هامان فى القرآن والتوراة، سخافة هذه الادعاءات عرضت فقط بعد فك طلاسم الأبجدية الهيروغليفية المصرية قبل ٢٠٠ سنة تقريباً واسم هامان قد اكتشف فى المخطوطات القديمة وقبل هذه الاكتشافات لم يكن شيئا معروفا عن التاريخ الفرعونى، ولغز الهيروغليفية تم حله سنة ١٧٩٩ باكتشاف حجر رشيد الذى يعود إلى ١٩٦ قبل الميلاد وتعود أهمية هذا الحجر بأنه كتب بثلاث لغات: اللغة الهيروغليفية والديموقيطية واليونانية وبمساعدة اليونانية تم فك لغز الهيروغليفية من قبل

شامبليون وبعدها تم معرفة الكثير حول تاريخ الفراعنة وخلال ترجمة نقش من النقوش المصرية القديمة تم الكشف عن اسم (هامان) وهذا الاسم أشير إليه فى لوح أثرى فى متحف هوف فى فينا وفى مجموعة من النقوش كشفت لنا أن هامان كان رئيس عمال محجر البناء.

وها هى النقوش تكشف لنا حقيقة هامان بعكس ما ذكرته التوراة والإنجيل وردا على الزعم الخاطئ لمعارضى القرآن، وهامان الشخص الذى عاش فى مصر وفى وقت موسى والذى كان أقرب المقربين لفرعون كما ذكر القرآن لنا.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

(القصص: ٣٨)

صدق الله العظيم.

والنقطة المهمة المذكورة فى القرآن هى أن هامان هو الشخص الذى أمره فرعون بأن يبنى له صرحاً ليتطلع لإله موسى وهنا يظهر إعجاز القرآن فى حقيقته بعد فك رموز اللغة الهيروغليفية بعكس التحريف الذى فى التوراة والإنجيل الذى يذكر لنا بأنه كان وزيراً وخليلاً لأحشوريش ملك الفرس.

المصدر: كتاب معجزات القرآن للمؤلف هارون يحيى

وجاء فى كتاب: اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات العلم الحديث للأستاذ عبد الرحمن غنيم تحت عنوان هامان وفرعون ما يلى:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

(القصص: ٣٨)

يخاطب فرعون وجهاء قومه الذى تمتلئ العيون من مهابتهم، أنه يرى أنه لا غير فرعون، فينادى هامان طالباً منه أن يبنى له من الطين المحروق وهو القرميد بناءً شاهقاً، «لعلى أن أرى إله موسى وإنى لأراه من الكاذبين».

تدل هذه الآية على عدة إعجازات غيبية

١ ـ تأليه فرعون لنفسه: فى قوله ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ والأبحاث الأثرية التى قامت حول الحضارة المصرية القديمة تأكد أن الفراعنة منذ الأسرة الرابعة كانوا يصرحون ببنوتهم للإله رع الذى يمثل إله الشمس التى كان يعبدها قدماء المصريين، بل إن اسم رع دخل فى ألقاب الفراعنة، مثل «رع نب» أى الرب الذهبى ولعل أوضح دليل على تأليه الفراعنة لأنفسهم كما يقول بريستد عالم الآثار والتى حفظتها نصوص الأهرام هى أنشودة للشمس يتردد فيها هوية الملك بإله الشمس، إن هذه الأنشودة تخاطب مصر، فى تعداد طويل ورائع للمنافع التى تستمتع بها، تحت حماية وسيادة إله الشمس، فعلى ذلك يمنح فرعون مصر نفس المنافع، ولهذا يجب أن يتسلم نفس الهبات من مصر، وهذه الأنشودة بأكملها تعاد بوضع اسم فرعون أينما يجئ اسم رع أو حورس فى الأنشودة الأصلية[١].

٢ ـ الإعجاز الثانى هو استعمال الفراعنة الآجُرَّ فى بناء الصروح: فقد طلب فرعون من هامان أن يبنى له من الطين المحروق (الآجر) صرحاً، وهذا يعتبر من الإعجاز التاريخى للقرآن الكريم فقد ظل الاعتقاد السائد عند المؤرخين أن الآجر لم يظهر فى مصر القديمة قبل العصر الرومانى وذلك حسب رأى المؤرخين مثل الدكتور عبد المنعم أبو بكر فى كتابه الصناعات، تاريخ الحضارة المصرية ص ٤٨٥ والذى يرى فى ذلك إشكالا فى رأيه وما جاءت به الآيات السابقة التى تبين طلب فرعون من هامان أن يبنى لى صرحاً من الآجر أو الطين المحروق وظل هذا هو رأى المؤرخين إلى أن عثر عالم الآثار بترى على كمية من الآجر المحروق بنيت به قبور، وأقيمت به بعض من أسس المنشآت، ترجع إلى عصور الفراعين رعمسيس الثانى ومرنبتاح وسيتى الثانى من الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ ١١٨٤ ق. م) وكان عثوره عليها فى: «نبيشة» و «دفنة» غير بعيد من بى رعمسيس (قنطير) عاصمة هؤلاء الفراعين فى شرق الدلتا[٢].

---

(١) تطور الفكر والدين فى مصر القديمة بريستد ص ١٨٥.

(٢) كتاب الحضارة المصرية تأليف محمد بيومى مهران ج ٣ ص ٤٢٩.

٣ ـ أما الإعجاز الثالث هو الإشارة إلى أحد أعوان فرعون باسمه «هامان» فقد وجد علماء الآثار هذا الاسم مكتوباً على نصب أحد فراعنة مصر القديمة وهذا النصب موجود فى متحف هوف بفينا كما يأكد هذا النص أن هامان كان مقرباً من فرعون وقد ورد أيضاً اسم هامان فى «قاموس أسماء الأشخاص فى المملكة الجديدة:

Dictionary of Personal nanes of the New Kingdom

وهو القاموس المستند على مجموعة المعلومات المستقاة من الكتابات المصرية القديمة ووردت الإشارة إلى هامان على أن رئيس البنائين فى معامل نحت الحجارة وهذا يتوافق مع القرآن الذى يشير إلى هامان على أنه المسئول عن تشييد الصروح فى مملكة الفرعون(١).



(١) كتاب قصة موسى مع فرعون تأليف هارون يحيى عن موقع هارون يحيى على شبكة الإنترنت.

١٤ ـ سورة النورين أو الولاية

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله..

أما بعد،،،

يدعى أعداء الإسلام من النصارى وغيرهم بوجود نقص فى سور القرآن الكريم ويستدلون على ذلك بسورتين مكذوبتين أسموهما سورتي الولاية والنورين ليس لهما وجود فى القرآن الكريم وإليك نصهما:

يا أيها الذين آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم. نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم. إن الذى يوفون ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم. والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون فى الجحيم. ظلموا أنفسهم وعصوا الوصى الرسول أولئك يسقون من حميم. إن الله الذى نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك فى خلقه. يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذى شديد أليم. إن الله قد أهلك عاداً وثموداً بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة أفلا تتقون. وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين. ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون. إن الله يجمعهم فى يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون إن الجحيم مأواهم وإن الله عليك حكيم. يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون. قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون. مثل الذين يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات النعيم. إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم وإن عليا من المتقين. وإنا لنوفيه حقه يوم الدين. وما نحن عن ظلمه بغافلين. وكرمناه على أهلك أجمعين. فإنه وذريته لصابرون وإن عدوهم إمام المجرمين. قل للذين كفروا بعدما آمنوا أطلبتم زينة الحياة

الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون. يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمناً ومن يتولاه من بعدك يظهرون. فأعرض عنهم إنهم مقاماً عنه لا يعدلون. فسبح باسم ربك وكن من الساجدين. ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل. فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون. فاصبر فسوف يبصرون. ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين. وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون. ومن يتولى عن أمرى فإنى مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين. يا أيها الرسول قد جعلنا لكم فى أعناق الذين آمنوا عهداً فخذ وكن من الشاكرين. إن عليا قانتا بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه. قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعذابى يعلمون. سيجعل الأغلال فى أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون. إنا بشرناك بذريته الصالحين. وإنهم لأمرنا لا يخلفون فعليهم منى صلوات ورحمة أحياء وأمواتا ويوم يبعثون. وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبى إنهم قوم سوء خاسرين. وعلى الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة وهم فى الفرقان آمنون والحمد لله رب العالمين.

يا أيها الذين آمَنُوا آمِنُوا بالنبى والولى اللذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم. نبى وولى بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير. إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم. والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين. إن لهم فى جهنم مقاماً عظيماً إذا نودى لهم يوم القيامة: أين الظالمون المكذبون للمرسلين. ما خلفتهم المرسلين إلا عنى وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب وسبح بحمد ربك، وعلى من الشاهدين».

تعالى الله عما يقولون ويفترون.

الجواب

اعلموا رحمكم الله أن هذه النصوص هى من النصوص التى لا يملك صاحبها غير مجرد الدعوى أنها من القرآن الكريم، ولا يقدر أن يذكر ذلك بإسناد واحد ولو كان ضعيفاً، نكرر: لا يقدر أن يذكر ذلك بإسناد واحد ولو كان ضعيفاً، وإنما افتراها مفتر فنسبها إلى أنها مما أسقطه الصحابة من القرآن، فتبعه أصحاب

الضلالة من بعده من أشياعه على كذبه وإفكه لأنهم حسبوا فيه نصر ما ينتمون إليه. وإلا فهل يستطيعوانأن يأتوا بإسناد واحد لهذه النصوص المسماة بسورة الولاية؟؟ كلا ثم كلا... ومعلوم أن السند هو سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث واحداً عن الآخر حتى يبلغوا به إلى قائله. قال ابن المبارك: الإسناد عندى من الدين.، لولا الإسناد لذهب الدين ولقال من شاء ما شاء.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ **(النحل: ١٠٥)**.

ونرجو ملاحظة التخبط الحاصل فى هذه النصوص المكذوبة وركاكتها وسخافة ما خلقه وحبكه أعداء الإسلام وقد قال أحد المحققين تعليقاً على هذه النصوص المكذوبة: «إنها ليست تضاهى شيئاً من القرآن الحكيم المنزل إعجازاً على قلب سيد المرسلين، إذ من المقطوع به أن كل أحد يمكنه تلفيق هكذا ألفاظ وكلمات لا رابط بينها ولا انسجام فضلاً عن المعنى الصحيح، وقد قال تعالى بشأن القرآن العزيز: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ **(الإسراء: ٨٨)**.

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ **(فصلت: ٤٢)**.

هذا ومما يثبت أيضاً كذب هذه النصوص وتلفيقها وإنها ليست من القرآن الكريم فى شىء هو وجود النص التالى فيها:

إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم وإن عليا من المتقين. وإنا لنوفيه حقه يوم الدين. وما نحن عن ظلمه بغافلين.

فمن الواضح أن النص يتحدث عن الظلم المزعوم الذى حدث لسيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه - أى بعد وفاة النبى ﷺ وانقطاع الوحى. وبما أن القرآن نزل وأتم إنزاله على سيدنا محمد قبل وقوع هذا الظلم المزعوم فهذا يعنى بطلان كونها من القرآن الذى اكتمل نزوله قبل وفاة النبى ﷺ.

١٥ ـ غروب الشمس فى عين حمئة

يزعم أعداء الإسلام الجهلة من يهود ونصارى أن القرآن الكريم يحتوى على خطأ علمى فى قول الله سبحانه وتعالى حاكياً عن ذى القرنين ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (الكهف: ٨٦) يقولون هذا مخالف للعلم الثابت ذلك لأن الشمس لا تغرب فى عين..

الرد على الشبهة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

جاءت قصة ذى القرنين فى سورة الكهف من القرآن الكريم، ولم يحدثنا القرآن الكريم عن ذى القرنين من هو؟ ولا عن تفاصيل قصته، ذلك لأن القصد من القصص القرآنى، سواء فى سورة الكهف أم فى غيرها، ليس إعطاء تاريخ وحوادث تاريخية، وإنما القصد هو العبرة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١).

هنا ذو القرنين، قصته فيها عبرة: ملك صالح، مكنه الله فى الأرض، وآتاه من كل شىء سبباً، ومع هذا لم يطغه الملك. بلغ المغرب، وبلغ المشرق، فتح الفتوح، ودان له الناس، ودانت له البلاد والعباد، ومع هذا لم ينحرف عن العدل، بل ظل مقيماً لحدود الله، كما قال لهؤلاء القوم: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ (الكهف: ٨٧، ٨٨).

مع التنبيه على أن ذا القرنين المذكور فى القرآن ليس هو الإسكندر المقدونى

اليونانى الذى بنى الإسكندرية، لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد وأن المذكور فى القرآن هو الذى كان أرطاطاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً...، وأما الثانى فكان مشركاً وكان وزيره فيلسوفاً وقد كان بين زمانهما أزيد من ألفى سنة فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبى لا يعرف حقائق الأمور.

قال ابن كثير رحمه الله فى البداية والنهاية (١/ ٤٩٣):

(عن قتادة قال: إسكندر هو ذو القرنين ،أبوه أول القياصرة وكان من ولد سام ابن نوح عليه السلام. فأما ذو القرنين الثانى فهو إسكندر بن فيلبس... بن رومى بن الأصفر بن يقز بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل كذا نسبه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه، المقدونى اليونانى المصرى باني إسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخراً عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان أرطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذى قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

أما من هم هؤلاء القوم الذى وصل لهم ذو القرنين، فالقرآن لم يعرفنا عنهم شيئاً، ولو كان فى معرفتهم فائدة دينية أو دنيوية، لعرفنا ولهدانا إلى ذلك.

كذلك، أين غربت الشمس؟ لم يعرفنا القرآن، وكل ما نعلمه أن ذا القرنين اتجه إلى جهة الغرب، حتى وصل إلى أقصى مكان فى الغرب، وهناك وجد الشمس فى رأى العين كأنما تغرب فى عين حمئة. والحمأ هو الطين المتغير. فكأنما وجد الشمس تسقط فى تلك العين الحمئة.. ولو وقف أحدنا عند الغروب على شاطئ البحر، لوجد الشمس كأنما تسقط فى البحر أو تغرب فيه، مع أن الحقيقة غير ذلك. فهى تغرب عن قوم لتشرق عند آخرين.

فالمقصود إذن فى الآية (وجدها تغرب فى عين حمئة) أى فيما يرى الرائى، وينظر الناظر. ولعل ذا القرنين وصل إلى مكان يتصل فيه النهر بالبحر عند الفيضان كالنيل مثلاً حيث يكون ماؤه معكراً يحمل الطين، فإذا غربت الشمس تبدو للناظر كأنها تغرب فى عين حمئة.. أو لعلها بركة فيها طين.. لم يحددها القرآن

بالضبط، وإنما المقصود أنه ذهب إلى أقصى المغرب. كما ذهب إلى أقصى المشرق. وذهب إلى قوم يأجوج ومأجوج، ومع كل هذا ظل على عدله، وعلى إيمانه بربه، واعترافه بفضل الله عليه، فى كل ما يفعله، أقام السد العظيم من زُبَر الحديد، وغيره، ثم قال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٨). هذا هو المقصود، وتلك هى العبرة... ملك صالح، مكن له فى الأرض ومع هذا لم يطغ ولم يتجبر ولم ينحرف.

أما التفصيلات، فلم يعن القرآن بها، كما أن السنة لم تبين لنا شيئاً من تلك التفصيلات كالزمان، والمكان، والأقوام... وليس فى ذلك فائدة مطلوبة، ولو كان فيها الفائدة لذكرها القرآن الكريم. وإنه لجدير بنا أن نقف عند الذى جاء به القرآن، والذى جاء به رسول الله ﷺ. (الدكتور: يوسف القرضاوى بتصرف).

وهذا رد آخر من الأزهر:

فى حكاية القرآن الكريم لنبأ (ذو القرنين) حديث عن أنه إبان رحلته: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾.

والعين الحمئة، هى عين الماء ذات الحمأ، أى ذات الطين الأسود المنتن.

ولما كان العلم الثابت قد قطعت حقائقه بأن الأرض كروية، وأنها تدور حول نفسها وحول الشمس، فإن غروب الشمس ليس اختفاء فى عين أو غير عين، حمئة أو غير حمئة.. والسؤال: هل هناك تعارض بين حقائق هذا العلم الثابت وبين النص القرآنى؟

ليس هناك أدنى تعارض ـ ولا حتى شبهة تعارض ـ بين النص القرآنى وبين الحقائق العلمية.. ذلك أن حديث القرآن هنا هو عن الرؤية البصرية للقوم الذين ذهب إليهم ذو القرنين، فمنتهى أفق بصرهم قد جعلهم يرون اختفاء الشمس ـ غروبها ـ فى هذه البحيرة ـ العين الحمئة ـ.. وذلك مثل من يجلس منا على شاطئ البحر عند غروب الشمس، فإن أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص ـ رويداً رويداً ـ فى قلب ماء البحر.

فالحكاية هنا عما يحسبه الرائى غروباً فى العين الحمئة، أو فى البحر المحيط.. وليست الحكاية عن إخبار القرآن بالحقيقة العلمية الخاصة بدوران الأرض حول الشمس، وعن ماذا يعنيه العلم فى مسألة الغروب.

وقد نقل القفال، أبو بكر الشاشى محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر (٤٢٩ - ٥٠٧ هـ/ ١٠٣٧ - ١١١٤ م) عن بعض العلماء تفسيراً لهذه الرؤية، متسقاً مع الحقيقة العلمية، فقال: «ليس المراد أنه (أى ذو القرنين) انتهى إلى الشمس مشرقاً ومغرباً حتى وصل إلى جرمها ومسها.. فهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض، بل هى أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة. وإنما المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة (أى البقاع المعمورة والمأهولة) من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة، كما نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض، ولهذا قال: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ **(الكهف: ٩٠)**. ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم..»[١].

فالوصف هو لرؤية العين، وثقافة الرائى.. وليس للحقيقة العلمية الخاصة بالشمس فى علاقتها بالأرض ودورانها، وحقيقة المعنى العلمى للشروق والغروب.

فلا تناقض بين النص القرآنى وبين الثابت من حقائق العلوم..

والآن لنرى ماذا يقول إنجيل النصارى"

جاء فى سفر رؤيا يوحنا (١٢: ١) ما يلى:

«وظهرت آية عظيمة فى السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكباً!!!!».

ونحن نسأل النصارى كيف تكون المرأة متسربلة بالشمس، والشمس أكبر من الأرض مليوناً وثلاثين ألف مرة؟؟؟

وإليك أخى القارئ ردا آخر:

---

(١) القرطبى (الجامع لأحكام القرآن).

١ ـ إذا كنت متجهاً غرباً وأمامك جبل فإنك سوف تجد الشمس تغرب خلف الجبل... طبعاً لا يفهم أحد من ذلك أن الشمس تختبئ حقيقة خلف الجبل..... وإن كان الذى أمامك بحيرة فستجد الشمس تغرب فى البحيرة.. وذو القرنين وصل إلى العين الحمئة وقت غروب الشمس فوجدها تغرب فى تلك العين..... وعندما نقول وجدها تغرب خلف الجبل أو وجدها تغرب فى العين فذلك الأمر بنسبة له.... والآية ليست مطلقة المعنى بل مقيدة بشخص (ذو القرنين)....

ومع أن هذا الجواب كافٍ لكل عاقل ولكن دعونا ننظر إلى سياق القصة.

٢ ـ سياق قصة (ذو القرنين)....

.... ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ (الكهف: ٩٠).

وجدها تطلع على قوم!! فهل يفهم أحد من ذلك أنها تطلع على ظهورهم أو أنها ملامسة للقوم لأن الله تعالى يقول.. وجدها تطلع على القوم.. الواضح أنها بالنسبة (لذو القرنين) كانت تطلع على أولئك القوم... مرة أخرى الآية مقيدة (بذو القرنين) وما ينطبق على هذه الآية ينطبق على التى قبلها...

٣ ـ ما هو المقصود بمغرب الشمس؟ هل هو مكان أم زمان؟

من الواضح أن مغرب الشمس هنا يقصد به الوقت واللحظة التى تغرب فيها الشمس وليس من الضرورى أن يكون المقصود هو أقصى ما وصل إليه ذو القرنين جهة الغرب... والدليل على ذلك يقول النبى فى حديث صحيح ما معناه (ما بقى من هذه الدنيا كما بين العصر إلى مغريان الشمس) فمغرب الشمس وجمعها مغريان الشمس ليست المكان بل هو الوقت الذى تغرب فيه الشمس (ويأكد ذلك معجم لسان العرب)...... فذو القرنين وصل إلى العين وقت الغروب. فوجد الشمس تغرب فى تلك العين.. ثم وصل فى ما بعد إلى قوم آخرين وقت الشروق...

٤ ـ غروب الشمس هل هو دخولها فى الأرض أم اتجاهها غرباً؟

فى لغة العرب غربت الشمس وغربت القافلة وغربت السفينة تأتى بمعنى

واحد وهو الاتجاه غرباً فعندما نقول غرب طير فى البحيرة وغربت الطائرة فى المحيط وغربت السفينة فى البحر وغربت الشمس فى البحيرة يعنى اتجهت غرباً (بالنسبة للشخص الذى ينظر إليها). ولا يعنى أنها دخلت فى البحيرة..... فعندما نقول غربت السفينة فى المحيط لا يعنى ذلك أنها غرقت فى داخل المحيط... وعندما نقول غربت الطائرة فى المحيط لا يعنى ذلك أنها سقطت فى المحيط وعندما نقول غربت الشمس فى البحيرة لا يعنى ذلك أنها دخلت داخل البحيرة فكلمة الغروب لا تدل على ذلك... بعكس كلمة sunset الإنجليزية والى تعنى حرفيا الشمس جلست... ربما ظن قدماء الإنجليز أن الشمس تجلس فى بحر الظلمات...

٥ ـ بالعقل!! (إن كان لهم عقل)

ذو القرنين يتحدث مع سكان تلك البحيرة فلو كان القرآن يقصد أن الشمس تدخل فى العين حقيقة فهل سيذكر قوما حول الشمس الساخنة ويعيشون حياة طبيعية...

٦ ـ أليس عندما وصل ذو القرنين إلى مشرق الشمس يفترض به (على سياق فهمكم السقيم) أن يجد الشمس تشرق فى حفرة أو بحيرة ساخنة بدلاً من أن يجدها تشرق على قوم. فلماذا قال إنها أشرقت على قوم ولم يقل أشرقت من عين حمئة..

٧ ـ القرآن يذكر أن كل شىء بما فى ذلك النجوم والشمس والقمر والليل والنهار فى فلك يسبحون وإذا كانت الشمس تدور فى فلك خاص بها فهذا يعنى أنها لا تدخل فى الأرض.... بل هى تدور فى فلكها الخاص بها. كما تدور بقية الأشياء..

٨ ـ رب المشارق والمغارب

القرآن يذكر فى عدة آيات كريمة (مغارب الشمس ومشارقها) (ورب المشرقين ورب المغربين) (ورب المشارق والمغارب) وهذا هو الإعجاز فقد ألغى فكرة الغروب والشروق الموحد لجميع سكان المعمورة فقد تشرق فى بلد ولكن لا يعنى أنها أشرقت فى جميع البلدان... ففى الماضى كان الناس يعتقدون أن الأرض مسطحة

وأن الشروق هو شروق واحد لجميع البشر والغروب هو غروب واحد لجميع البشر بينما يثبت القرآن أن هناك مشارق كثيرة ومغارب كثيرة...

يقول الأستاذ أحمد الشايب وكيل كلية دار العلوم فى موضوع له حول القصص فى القرآن:

رأيت من الخير أن أشير فى إيجاز شديد إلى بعض الأنواع الأدبية التى اشتمل عليها القرآن، ومكان القصص منها حتى لا يختلط الأمر فيها عند القراءة أو الدرس.

من هذه الأنواع الأدبية - أو الفنون الأدبية كما قد تسمى - التقرير، والتصوير، والأمثال - أو التمثيل - والجدل، ومنها القصص، وهى وإن كانت مختلفة الأساليب بحكم طبيعتها وأهدافها، فإنها تنتهى جميعاً إلى غاية واحدة هى تحقيق رسالة الإسلام التى بُعث بها محمد ﷺ مؤيدة بهذا البيان المعجز فى هذا الكتاب المبين.

فالتقرير هو أسلوب التشريع الذى يورد الأحكام المتصلة بالعبادات، ونظم المعاملات، والأحوال المدنية والاجتماعية مما تعبدنا به الله سبحانه وتعالى، وحفلت به كتب الفقه الإسلامى:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (النساء: ١٢)

وقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾**

(البقرة: ٢٨٢)

وهذا الباب أشبعه الباحثون تأصيلا وتشقيقا مما لا مجال له هنا.

وأما القصص فهو هذا النوع أو الفن الأدبى الذى يسوق حياة الأنبياء والأمم السابقة وما يتصل بها للعظة وتثبيت فؤاد الرسول، والقرآن الكريم - كما يلى - يسوق أنباءه صادقة كما هى فى الواقع التاريخى، وإن لم يلتزم هذه المعالم الشكلية لعلم التاريخ والقصة الحديثة، وسنرى أن طبيعة القصص هنا ومراميه تنفى عنه ما يرميه به المبشرون وأضرابهم من أنه يخرج على التاريخ، ويزيد ويبتكر ويخترع فى

الأخبار، أو يدلس ويفترى الكذب ويسوقه على أنه التاريخ... وكل هذا سترد عليك هنا شواهده ومناقشته.

٢ ـ وأما التصوير فهو الأسلوب البيانى أو البلاغى القائم على التشبيه والمجاز والاستعارة والمبالغة ونحوها، وهذا النوع لا يشترط فيه أن تكون دلالته حرفية أو يكون له مرجع واقعى حسى فى جميع عناصره، لأن الغرض منه المبالغة، وقوة التأثير، والاعتماد على ما ألف العرب مما يبعث فيهم الانفعال، وإدراك المراد فى قوة وجمال كقوله تعالى فى شأن المرابين: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ **(البقرة: ٢٧٥)**، فإذا كان المخاطبون لم يروا الشيطان فإن صورته الخيالية فى أذهانهم هى أنه يصيب الناس بالخبل وفساد النفس والجسم، فقام التشبيه فى الآية الكريمة على هذا الأصل التصورى كما يتوهمه العرب، وهذا التصوير يفيد فى تقوية الفكرة وإيضاحها من وجه، ولكنه من وجه آخر لا يعد كذباً، ولا يتخذ مقياساً يقاس به وجوب توافر عناصر التشبيه كلها بشكل حسى بحيث تراه العين، ويتعامل معه الناس، ذلك الوجود المادى الذى تلتمسه فى التقرير.

ومن ذلك قوله تعالى فى شجرة الزقوم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ **(الصافات: ٦٥)**، حيث صور ثمر هذه الشجرة برؤوس الشياطين تقبيحاً لها، اعتماداً على تخيل المخاطبين.

ومن قريب ذلك قوله تعالى فى قصة ذى القرنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ **(الكهف: ٨٦)**، إذ صور مغيب الشمس بالعين الحمئة نزولاً على ما يتراءى لعين الناظر عند غروب الشمس، وبذلك يندفع ما يتشدق به تلاميذ الجغرافيا حين ينكرون هذه الصورة، ويقيسونها بمقياس الفكرة أو الحقيقة العلمية، ونحو ذلك مما لا يتصل بأصل الخبر وجوهر معناه، فلا يصح أن يقال فيه إنه يخالف الواقع، لا يقال ذلك، لأن الأسلوب يجاوز منطقة الفكرة إلى مجال الخيال، وجمال التصوير، وحسن التعبير، ومن هنا نفرق بين أسلوبى التقرير والتصوير.

وقريب من ذلك أيضاً ما يرد فى العبارات الأدبية من ذكر آلهة الخير والشر عند قدماء اليونان، أو أصنام العرب، أو الأطلال والدمن عند الأدباء المحدثين، فليس شىء من ذلك داخلاً فى عقائد الكتاب والشعراء المتأخرين أو المعاصرين، وإنما هى صور ـ أكلشيهات ـ ترمز إلى معانٍ باقية، أو هى تعبير عن معانٍ جديدة بصور قديمة.

ولعلك لاحظت أننا لم نذكر شيئاً عن هذه الأنواع الأدبية الأخرى غير القصص، لأنها تتصل بنفس ما اتهم به القصص من كذب وتبديل عند الذين لم يتبينوا الفرق بين الأساليب القرآنية.



١٦ ـ ما صحة قصة الحمار يعفور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

قصة الحمار يعفور وردت فى موقع مسيحى أساسه النيل والسخرية من الرسول ﷺ ومن شخص يدعى مهران. فكان جل همهم أن ينالوا منه بأى شىء يقع فى أيديهم من غير تدقيق ولا تمحيص لذلك اقتطعوا الأقوال وبتروها لهذا الغرض.

وإليكم القصة كما أوردها هذا الموقع:

عن أبى منظور قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر أصاب من سهمه أربعة أزواج من البغال وأربعة أزواج خفاف، وعشر أواق ذهب وفضة، وحمارا أسود ومكتلا.

قال: فكلم النبى ﷺ الحمار، فكلمه الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدى ستين حمارا كلهم لم يركبهم إلا نبى، لم يبق من نسل جدى غيرى، ولا من الأنبياء غيرك، وكنت أتوقع أن تركبنى، قد كنت قبلك لرجل يهودى، وكنت أعثر به عمداً، وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى، فقال النبى ﷺ: سميتك يعفور، يا يعفور! قال: لبيك، قال تشتهى الإناث قال: لا.

فكان النبى ﷺ يركبه لحاجته فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ فلما قبض النبى ﷺ جاء إلى بئر كان لأبى التيهان فتردى فيها فصارت قبره جزعاً منه على الرسول ﷺ. راجع: تاريخ ابن كثير ٦ : ١٥٠. وكذلك: أسد الغابة ج ٤ ص ٧٠٧. وكذلك: لسان الميزان، باب من اسمه محمد، محمد بن مزيد. وكذلك: السيرة الحلبية، غزوة خيبر.

وللرد أقول وبالله تعالى نتأيد:

أولاً: أورد الإمام ابن كثير فى تاريخه ٦: ١٥٠ هذه القصة وأشار إلى أنها ضعيفة وقد أنكرها غير واحد من الحفاظ الكبار.

ثانياً: قد نص ابن الأثير فى أسد الغابة ج ٤ ص ٧٠٧ إلى أن القصة ضعيفة وليست بصحيحة وإليكم كلامه فى نقله عن أبى موسى عقب ذكر القصة:

«هذا حديث منكر جدا إسناداً ومتناً لا أحل لأحد أن يرويه عنى إلا مع كلامى عليه».

فهل ذكر النصارى أصحاب الموقع كلام أبى موسى عليه فى أن الحديث منكر جدا؟ أم أخفوها حتى يلبسوا الموضوع على الناس ويخفوا الحق وتضحك الناس؟

ثالثاً: أورد الحافظ الكبير ابن حجر العسقلانى فى كتاب لسان الميزان، باب من اسمه محمد بن مزيد هذه القصة كمثال إلى الكذب الذى يرويه محمد بن مزيد، وأورد كلام الحافظ ابن حبان وإليكم نص الكلام:

«محمد بن مزيد أبو جعفر: عن أبى حذيفة النهدى ذكر ابن حبان أنه روى عن أبى حذيفة هذا الخبر الباطل».

ثم ذكر ابن حجر القصة كاملة فقال:

قال ابن حبان: هذا خبر لا أصل له وإسناده ليس بشىء. وقال ابن الجوزى: لعن الله واضعه.

رابعاً: كلام الإمام السيوطى فى اللآلئ المصنوعة.

الجزء الأول، (كتاب المناقب)

واسم الكتاب كاملاً اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، وهو مؤلف خصيصاً لتبيان الأحاديث الموضوعة أى الكاذبة.

بعد أن ساق الإمام السيوطى الحديث قال: موضوع (أى الحديث).

ثم ذكر كلام الإمام الحافظ ابن حبان وإليكم كلامه:

قال ابن حبان لا أصل له وإسناده ليس بشىء ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن مزيد.

فكما رأينا جميعاً إخوانى وزملائى أن الرابط النصرانى لم يكن أبداً أميناً فى النقل، ولقد بتروا الكلام من السياق وأخفوا عليكم أقوال العلماء قبل وبعد أن يذكروه وذلك لغاية فى أنفسهم.

والمضحك المبكى أن النصارى يسخرون من شىء غير ثابت لدينا وثابت لديهم فى كتابهم المقدس فإليكم مثلاً هذا الحوار الحميرى الذكى!!

فنحن نقرأ فى سفر العدد (٢٢: ٢٧) ما يلى:

أتان بلعام: حمارة بلعام

«فلما رأت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام. فثار غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب. عندئذ أنطق الرب الأتان، فقالت لبلعام: ماذا جنيت حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات؟ فقال بلعام: لأنك سخرت منى. لو كان فى يدى سيف لكنت قد قتلتك. فأجابته الأتان: ألست أنا أتانك التى ركبت عليها دائماً إلى هذا اليوم؟ وهل عودتك أن أصنع بك هكذا؟ فقال: «لا»».

والآتان: هى أنثى الحمار.

وأيضاً فإننا نرى أن للحمار مكانة كبيرة فى كتاب النصارى المقدس:

يقول كاتب رسالة بطرس الثانية (٢: ١٦).

«إن الحمار الأبكم نطق بصوت بشرى، فوضع حدا لحماقة ذلك النبى!».

أى أن الحمار لديه علم أكثر من النبى!!

ولا ننسى أيضاً حوار الأشجار الذى لا يضحك به على طفل صغير وهذا الإعجازى «الكاروتنى المقدس»!! من سفر القضاة الإصحاح التاسع العدد السابع:

«وأخبروا يوثام فذهب ووقف على رأس جبل جرزيم ورفع صوته ونادى وقال لهم اسمعوا لى يا أهل شكيم يسمع لكم الله:

٨ ـ مرة ذهبت الأشجار لتسمح عليها ملكاً فقالت للزيتونة املكى علينا.

٩ ـ فقالت لها الزيتونة أأترك دهنى الذى به يكرمون بى الله والناس وأذهب لكى أملك على الأشجار.

١٠ ـ ثم قالت الأشجار للتينة تعالى أنت واملكى علينا.

١١ ـ فقالت لها التينة أأترك حلاوتى وثمرى الطيب وأذهب لكى أملك على الأشجار.

١٢ ـ فقالت الأشجار للكرمة تعالى أنت واملكى علينا.

١٣ ـ فقالت لها الكرمة أأترك مسطارى الذى يفرح الله والناس وأذهب لكى أملك على الأشجار.

١٤ ـ ثم قالت جميع الأشجار للعوسج تعال أنت وأملك علينا.

١٥ ـ فقال العوسج للأشجار إن كنتم بالحق تمسحوننى عليكم ملكاً فتعالوا واحتموا تحت ظلى وإلا فتخرج نار من العوسج وتأكل أَرز لبنان».

فعجباً للنصارى من خفة هذه العقول التى تصدق بهذه الخرافات المقدسة الموجودة فى كتبهم والعجيب أنهم يتشدقون بما هو ضعيف السند ولاغى إسلامياً!!

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعاً إلى طريق الحق والهدى إنه نعم المولى ونعم المجيب.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين



١٧ ـ الوحى فى ثوب عائشة

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

يظن الصليبيون عندما نسخر من شبهاتهم الضعيفة ولا نهتم بها أننا ليس عندنا حجة للرد. حتى كثر اللغط حول موضوع الوحى فى ثوب عائشة رضي الله عنها فقلنا رحمة بعقولهم الضعيفة ومستواهم الثقافى واللغوى المتواضع قررنا أن نرد عليهم لعلهم يعقلون أو يهتدى منهم من يبحث عن الحق، ولكن لو كان الحديث به شىء يهين الرسول ما قاله الرسول أو عقب عليه علماء اللغة وجهابذه العربية.

نص الحديث فى البخارى:

حدثنا إسماعيل قال حدثنى أخى عن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ فى بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله ﷺ فى بيت عائشة فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمى رسول الله ﷺ يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدى إلى رسول الله ﷺ هدية فليهده إليه حيث كان من بيوت نسائه فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئاً فسألنها فقالت ما قال لى شيئاً فقلن لها فكلميه قالت فكلمته حين دار إليها أيضاً فلم يقل لها شيئاً فسألنها فقالت ما قال لى شيئاً فقلن لها كلميه فدار إليها فكلمته قال لها لا تؤذينى فى عائشة فإن الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة قالت فقالت أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ

فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول إن نساءك ينشدنك الله العدل فى بنت أبى بكر فكلمته فقال يا بنية ألا تحبين ما أحب قالت بلى فرجعت إليهن فأخبرتهن فقلن ارجعى إليه فأبت أن ترجع فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت إن نساءك ينشدنك الله العدل فى بنت ابن أبى قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهى قاعدة فسبتها حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تتكلم قال فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها قالت فنظر النبى ﷺ إلى عائشة وقال إنها بنت أبى بكر قال البخارى الكلام الأخير قصة فاطمة يذكر عن هشام بن عروة عن رجل عن الزهرى عن محمد بن عبد الرحمن وقال أبو مروان عن هشام عن عروة كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وعن هشام عن رجل من قريش ورجل من الموالى عن الزهرى عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قالت عائشة كنت عند النبى ﷺ فاستأذنت فاطمة.

الشرح:

نعلم أولاً أن القرآن يفسر بعضه بعضا والسنة تفسر بعضها بعضا والسنة أيضاً تفسر القرآن كما كان يفعل الرسول ﷺ، وحرف (فى) هو الذى يسبب للنصارى سوء فهم بسبب ضعفهم اللغوى. فقد قال فرعون عن السحرة: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه: ٧١) وطبيعى أن لا يقول عاقل أن السحرة صلبهم فرعون فى داخل النخل!!! بل (فى) هنا تعنى على النخل.

ثانياً: يقول القرآن على النساء والرجال لفظ لباس ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧). ولا يعنى هذا أن المرأة - بنطلون - للرجل أو أن الرجل - فستان - للمرأة. كما يفهم النصارى، بل إن لفظ (لباس) عند المصريين يعنى شيئا آخر غير باقى الدول العربية، وطبيعى أن المفهوم من الآية أنه كما تستر الملابس الجسد فإن المرأة تستر زوجها من الزنا والمعاصى وكذلك الرجل يستر على زوجته ويعفها...

الأمر الآخر لكى نفهم معنى (فى ثوب عائشة) هو البحث عن القصة بكل ملابساتها وظروفها فى أحاديث أخرى فى النقاش الذى كان بين الرسول ونسائه، وهنا يتضح لنا المقصود والمعنى. وهذا هو عين العقل وضمير الباحث عن الحقيقة

مع الدراية باستخدام العرب للألفاظ فى مواقف لتدل عن معنى فى ذهن المحاور وإليكم الآن حديث آخر يتجاهله النصارى لأنه يفضح جهلهم:

نص الحديث

٤٢٥٣ - حدثنا يحيى بن درست - بصرى - حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت فاجتمع صواحباتى إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة فقولى لرسول الله - ﷺ - يأمر الناس يهدون إليه أينما كان فذكرت ذلك أم سلمة فأعرض عنها ثم عاد إليها فأعادت الكلام فقالت يا رسول الله إن صواحباتى قد ذكرن أن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فأمر الناس يهدون أينما كنت. فلما كانت الثالثة قالت ذلك قال: «يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه ما أنزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها.

وهنا يتضح أن المقصود بالثوب هو اللحاف وهو الغطاء أو السترة لأن كل نساء النبى لهن سترة ولكن لم يأت الوحى إلا فى بيت عائشة وهذا لفضلها ومن مناقبها رضي الله عنها والسبب فى ذلك هو:

الأول: فسروا هذا الاستثناء فى حق السيدة عائشة دون زوجات النبى لسببين الأول أنها كانت كثيرة التنظيف والتطهير لثيابها وفرشها.

الثانى: أنها ابنة أبى بكر وفضلها من فضل أبيها.

مفهوم الحديث أن أم المؤمنين السيدة عائشة هى الوحيدة من زوجات النبى التى كان ينزل الوحى عليه وهو نائم بجانبها فى الفراش أو بمعنى آخر فى فراشها دون وضع جماع.

وفى اللغة العربية من الممكن التعبير بالجزء عن الكل إذا اعتبرنا أن الثياب ملازم للمرء وملامس لجسده وكذلك الفرش واللحاف لا يستغنى عنه المرء ودائماً ما يتردد عليه المرء للنوم ويكون مهادا ورداء لجسده.

نظن أن الأمر قد وضح الآن لمن يبحث عن الحق وألقمنا المعترض حجراً فى

شبهاتهم الضعيفة. ويبقى لنا سؤال؟

كيف خلع المسيح ثيابه ونشف قدم التلاميذ وبقى عرياناً؟

هل هذا يليق برب خالق وإله معبود؟

وإليكم النص من إنجيل يوحنا ١٣/ ٥:

«ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها». (SVD).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



١٨ ـ هل كان الرسول ـ ﷺ ـ ينسى

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

فاختصاراً نحن اليوم نسأل سؤالاً لنرد شبهة أثارها النصارى والسؤال هو:

هل يجوز أن ينسى النبى؟

ونجيب بالقول الآتى:

وقوع النسيان من النبى يكون على قسمين:

الأول: وقوع النسيان منه فيما ليس هو مأمور فيه بالبلاغ مثل الأمور العادية والحياتية فهذا جائز مطلقاً لما جبل عليه من الطبيعة البشرية.

والثانى: وقوع النسيان منه فيما هو مأمور فيه بالبلاغ وهذا جائز بشرطين:

الشرط الأول: أن يقع منه النسيان بعد ما يقع منه تبليغه، وأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلاً.

الشرط الثانى: أن لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكرة إما بنفسه، وإما بغيره.

قال القاضى عياض رحمه الله:

يجوز النسيان عليه ابتداء فيما ليس هو مأمور فيه بالبلاغ، واختلفوا فيما هو مأمور فيه بالبلاغ والتعليم، ومن ذهب إلى الإجازة قال: لابد أن يتذكره أو يُذَكِّره به أحد.

قال الإسماعيلى النسيان من النبى لشىء من القرآن يكون على قسمين:

أحدهما: نسيانه الذى يتذكره عن قرب، وذلك قائم بالطباع البشرية، وعليه

يدل قوله فى حديث ابن مسعود فى السهو: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون» وهذا القسم سريع الزوال، لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

والثانى: أن يرفعه الله عن قلبه لنسخ تلاوته، وهو المشار إليه فى قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأعلى: ٦ - ٧) وهذا القسم مشار إليه فى قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ (البقرة: ١٠٦).

إذا فهمنا هذا الأمر فإننا عندئذ نستطيع الرد على اعتراض النصارى على حديث وآية:

الآية هى قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

فزعموا أن الآيات تدل على أن محمدا قد أسقط عمدا أو أُنسى آيات لم يتفق له من يذكره إياها، وتدل أيضاً على جواز النسيان على النبى.

والحديث هو: ما روى البخارى عن عائشة ﵂ قالت سمع النبى قَارِئاً يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَرْحَمُهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِى كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا. وفى رواية: أُنْسِيتُهَا.

فزعموا بجهلهم أن النبى أسقط عمدا بعض آيات القرآن.

والجواب عنهم فى الآية نقول:

أولاً: بأن قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ﴾ وعد كريم بعدم نسيان ما يقرؤه من القرآن، إذ أن (لا) فى الآية نافية، أى أن الله أخبر فيها نبيه ﷺ بأنه لا ينسى ما أقرأه إياه.

وقيل (لا) ناهية، فهى مثل أن تقول لشخص لا تشرك بالله فهل معنى ذلك أنه أشرك؟؟؟!! ومثل ما قال لقمان لابنه ﴿لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ فهل معنى ذلك إنه أشرك؟؟؟

ومعنى الآية على هذا: سنعلمك القرآن، فلا تنساه، فهى تدل على عكس ما أرادوا الاستدلال بها عليه.

ثانيا: الاستثناء فى الآية معلق على مشيئة الله ولم تقع المشيئة، بدليل ما مر

من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾

ثالثاً: الاستثناء فى الآية لا يدل على ما زعموا من أنه يدل على إمكان أن ينسى شيئا من القرآن، فإن الاستثناء لا يجب حدوثه مثل قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١٠٧) فلما كان الوعد على وجه التأبيد ربما يوهم أن قدرة الله لا تسع غيره، وأن ذلك خارج عن ارادته جل شأنه، فجاء الاستثناء فى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ﴾ فإنه إذا أراد أن ينسيه لم يعجزه ذلك، فالقصد هو نفى النسيان رأساً. وجاء بالاستثناء ليبين أن هذا الأمر وهو عدم الإنساء ليس خارجاً عن إرادته فإذا أراده لم يمنعه مانع فكل شىء بيده سبحانه.

وقيل إن الحكمة فى هذا الاستثناء أن يعلم العباد أن عدم نسيان النبى القرآن هو محض فضل الله وإحسانه، ولو شاء تعالى أن ينسيه لأنساه، وفى ذلك إشعار للنبى أنه دائما مغمور بنعمة الله وعنايته، وإشعار للأمة بأن نبيهم لم يخرج عن دائرة العبودية، فلا يُفتنون به كما فتن النصارى بالمسيح.

القول الثانى: أن الاستثناء المراد به منسوخ التلاوة فيكون المعنى أن الله تعالى وعد بأن لا ينسى نبيه ما يقرؤه، إلا ما شاء - سبحانه - أن ينسيه إياه بأن نسخ تلاوته.

والجواب عما زعموه فى الحديث الشريف:

أولا: الآيات التى أنسيها النبى ثم ذكرها كانت مكتوبة بين يدى النبى ولم تنزل آية على النبى إلا قام كتبة الوحى بكتابتها. وكانت محفوظة فى صدور أصحابه الذين تلقوها عنه، والذين بلغ عددهم مبلغ التواتر. وليس فى الخبر إشارة إلى أن هذه الآيات لم تكن مما كتبه كتاب الوحى ولا ما يدل على أن أصحاب النبى كانوا نسوها جميعا حتى يخاف عليها الضياع.

ثانيا: أن روايات الحديث لا تفيد أن هذه الآيات التى سمعها الرسول من أحد أصحابه كانت قد محيت من ذهنه الشريف جملة بل غاية ما تفيده أنها كانت غائبة عنه ثم ذكرها وحضرت فى ذهنه بقراءة صاحبه وليس غيبة الشىء عن الذهن كمحوه منه فالنسيان هنا بسبب اشتغال الذهن بغيره أما النسيان التام فهو مستحيل على النبى ﷺ.

قال الباقلانى وإن أردت أنه ينسى مثل ما ينسى العالم الحافظ بالقرآن نسيانا لا يقدح فيه فإن ذلك جائز بعد أدائه وبلاغه.

ثالثاً: أن قوله (أسقطتها) مفسرة بقوله فى الرواية الأخرى: (أُنْسِيتُها)، فدل على أنه أسقطها نسيانا لا عمدا فلا محل لما أوردوه من أنه قد يكون أسقط عمدا بعض آيات القرآن.

قال النووى: قوله «كنت أُنْسِيتُها» دليل على جواز النسيان عليه فيما قد بلغه إلى الأمة.

اخيراً ذهب البعض أن ما نسيه النبى كان مما نسخه الله تعالى ولم يعلم الصحابى بنسخه ثم وقع العلم عند الصحابى بذلك.

ونقول للنصارى إن حفظ القرآن وجمعه ليس مسئولية الرسول وليس مسئولية الصحابة ولا أبى بكر ولا عمر ولا عثمان فالله بينها واضحة فى كتابه ﴿إِنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ «فمن أنزل الذكر هو الذى عليه حفظه وبيّن جل جلاله ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أى أن المتكفل بجمعه وحفظه للأمة ليس النبى بل الله عز وجل ويفعل الله ذلك على الوجه الذى يشاء.

فبهذا تكون شبهتهم واهية.



١٩ ـ إلى أى مدى يصح لنا الاعتماد على التاريخ لنحكمه فى قصص القرآن؟

ردا على المبشـرين ومن لـف لفـهم الذين يطعنون فى صـدق القَـصص القـرآنى ويدّعون لذلك أنه مخالف للتاريخ القديم من جهة، ولما فى التوراة والإنجيل من جهة ثانية، نقول وبالله التوفيق:

إلى أى مدى يصح لنا الاعتماد على التاريخ لنحكمه فى قصص القرآن؟ كان المعقول أن نتخذ من التاريخ الوثيق مقياساً نحتكم إليه فى بيان القيمة الواقعية الحقة لقصص القرآن، ولكن صحة المنهج تقتضينا أن نوثق التاريخ أولا، وأن ننتهى إلى أنه حق مطلق لا تحريف فيه ولا تبديل، وهنا نسير مطمئنين فى ضوء الحق اليقين لنقيس عليه القصص القرآنى ونفصل فى قيمته التاريخية، ولكن أنَّى لنا هذه الثقة الحاسمة فى أخبار التاريخ القديم الذى لم يدوّن فى حينه، ولم تستكشف وثائقه ومصادره، وإن ما يروى منه نتف مضطربة، وأساطير تافهة، وروايات مخلطة، لا تنتهى أبداً إلى يقين يمكن الاطمئنان إليه أو الاعتماد عليه فى تحقيق صور الماضى واتخاذها مقياساً حاسماً نحتكم إليه فى بيان صدق القرآن أو ضد ذلك.

ويأكد الرازى أن تواريخ موسى وفرعون قد طال بها العهد واضطربت الأحوال والأدوار، فلم يبق على كلام أهل التاريخ اعتماد فى هذا الباب، فكان الأخذ بقول الله أولى». تفسير الرازى، ج ٧ ص ٢١٨.

ويقول الأستاذ الشيخ محمد عبده عن حال التاريخ قبل الإسلام: «كانت

مشتبهة الإعلام، حالكة الظلام، فلا رواية يوثق بها، ولا تواتر يعتد به بالأولى» يقول هذا الكلام فى نسبة قصص القرآن إلى التاريخ، وقبل ذلك قال: «يظن كثير من الناس الآن ـ كما ظن كثير من قبلهم ـ أن القصص التى جاءت فى القرآن يجب أن تتفق مع ما جاء فى كتب بنى إسرائيل المعروفة عند النصارى بالعهد العتيق أو كتب التاريخ القديمة» ثم يقول فى هذا الشأن نفسه: «وإذا ورد فى كتب أهل الملل أو المؤرخين ما يخالف بعض هذه القصص، فعلينا أن نجزم بأن ما أوحاه الله إلى نبيه ونقل إلينا بالتواتر الصحيح هو الحق وخبره الصادق، وما خالفه هو الباطل، وناقله مخطئ أو كاذب فلا نعده شبهة على القرآن ولا نكلف أنفسنا الجواب عنه» ويقول: «وقد قلت لكم غير مرة إنه يجب الاحتراس فى قصص بنى إسرائيل وغيرهم من الأنبياء، وعدم الثقة بما زاد على القرآن من أقوال المؤرخين والمفسرين، فالمشتغلون بتحرير التاريخ والعلم اليوم يقولون معنا إنه لا يوثق بشىء من تاريخ تلك الأزمنة التى يسمونها أزمنة الظلمات إلا بعد التحرى والبحث واستخراج الآثار، فنحن نعذر المفسرين الذين حشوا كتب التفسير بالقصص التى لا يوثق بها لحسن قصدهم، ولكننا لا نعول على ذلك بل ننهى عنه ونقف عند نصوص القرآن لا نتعداها وإنما نوضحها بما يوافقها إذا صحت روايته. تفسير المنار: ج ١ ص ٣٤٧».

ونحن مع ذلك لن نغلق باب الجدل فى وجه المعارضين، فليأتوا بدليل يثبت دعاواهم إن كان عندهم دليل، أما أن يعكسوا الوضع ويفرضوا على القرآن تهماً من عند أنفسهم، ثم يلجئوا إلى آى الذكر الحكيم فيتعسفوا فى فهمها، وإلى أقوال العلماء فيفهموها خطأ أو يحرفوها ويبتروها ويزوروا فيها ـ كما سترى ـ فإن ذلك لا يستحق الوقوف عنده، ولا الاستماع إليه.

أما عن التوراة والإنجيل ومكانهما من التوثيق، وما عسى أن يكون لهما من حجية فى هذا السبيل، فإن الأمر فيهما سهل نترك الكلام فيه لأصحابهما وقبل ذلك أرجو أن يلاحظ القراء أن ما أورده هنا ليس إلا نقطة صغيرة جدا مما نشر فى هذا الموضوع، ولم يقصد به مهاجمة أهل الكتاب، وإن كان يحتمه البحث العلمى المنصف المستنير، ونبدأ بالتوراة:

يعترف بها القرآن الكريم كما أنزلت على موسى، أى فى صورتها الأصلية، غير

المبدلة، وسأترك شهادة القرآن بذلك الآن، وأورد ما قاله العلماء الغربيون أنفسهم، فالتوراة عبارة عن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم: تكوين - خروج - لاويين - عدد - تثنية. فالسفر الأول يتناول قصة خلق العالم، والثانى خروج بنى إسرائيل من مصر وفيه الوصايا العشر من صورتين مختلفتين يرجح أنها ليست لموسى، وسفر اللاويين خاص بالطقوس الدينية وهارون وأبنائه، وسفر التثنية أو تثنية الشريعة أو إعادتها، ولم يصلنا هذا السفر فى صورته الأولى، بل تناولته يد التغيير والتبديل، والنص الموجود يدل على أنه خليط من نسخ متنوعة مختلفة، ويرجح أن تأليفه كان بعد عصر النبوة، ولا يوجد فى التوراة التى بين أيدينا خبر يدل على أن موسى هو الذى جاء بها، أو أنها هى التى أنزلت عليه، بل على النقيض من ذلك يوجد فيها ما يؤيد عكس ذلك من ذلك ما جاء فى الآية السادسة من الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية عن وفاة موسى: «ولا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا» فبعيد كل البعد أن يكون هذا الخبر صادراً عن موسى نفسه، وفى الآية العاشرة من نفس الإصحاح: «لم يقم بعد نبى فى بنى إسرائيل مثل موسى» وبعيد جدا أن يكتب موسى عن نفسه فى الآية الثالثة من الاصحاح الثانى عشر من سفر العدد فيقول: «وأما الرجل موسى فكان حليماً جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» فمثل هذه الآيات تدل على أن المؤلف شخص آخر غير موسى.

وقد أثبت النقد العلمى الذى نهض به ربانيو اليهود أن التوراة التى بين أيدينا ليست من تأليف شخص واحد، ونتيجة هذا وغيره أن التوراة ليست من الثقة بحيث يحتج بها على قصص القرآن ويحتكم فيه قيمه إليها.

فإذا رجعنا إلى القرآن الكريم بعد ما سبق نجده يقول فى سورة الأنعام: ٩١ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ وفى سورة آل عمران: ٢٣ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده فى تفسير هذه الآية: «إن ما يحفظونه من الكتاب هو جزء من الكتاب الذى أوحاه

الله إليهم، وقد فقدوا سائره، وهم مع ذلك لا يقيمونه بحسن الفهم له والتزام العمل به، ولا غرابة فى ذلك، فالكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام التى يسمونها بالتوراة لا دليل على أنه هو الذى كتبها، ولا هى محفوظة عنه، بل قام الدليل عند الباحثين من الأوربيين على أنها كتبت بعده بمئات السنين» ويقول القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **(آل عمران: ٧٨).**

كذلك يعترف القرآن الكريم بالإنجيل، ولكن فى صورته الأصلية التى أوحيت إلى عيسى عليه السلام، ولم ينلها التبديل والتحريف: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ **(المائدة: ٤٦).** والأناجيل كثيرة جدا، حتى قيل إنها بلغت نيفاً ومائة إنجيل، ولكن الكنائس والمجامع الدينية المسيحية تعترف بأربعة منها، هى إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ولم يُكتب شىء من هذه الأناجيل ولا غيرها فى زمن المسيح عليه السلام وفى حياته، فهى منقطعة السند ولا توجد نسخة إنجيل بخط من تلاميذ ذلك المؤلف. يقول (هورن) فى تفسير التوراة فى الفصل الثانى بالقسم الثانى من المجلد الرابع: «إن الأخبار التى يقصها المؤرخون القدامى للكنيسة عن تأليف الأناجيل بتراء وغير موثوق بها، بل هى هزيلة جدا، حتى لا يستطيع الباحث أن يستخلص منها أمراً معيناً أو يصل إلى نتيجة مَّا، والشيوخ القدماء الأولون صدقوا هذه الروايات الواهية وكتبوها، وجاء الذين بعدهم فقبلوا ما وجدوه مكتوباً تعظيماً لسلفهم، على أن ما فى تلك الأناجيل من الأخبار والقصص بعضها باطل، وبعضها صادق، وبعد مضى مدة اعتبرت كأنها فوق النقد». ثم يثبت أن تلك الأناجيل كتبت بعد المسيح بأزمنة بعيدة، وتقول دائرة معارف الكتاب المقدس (ص ٤٩٨٠) من المجلد الرابع: «إن العهد الجديد كتبه كتاب مسيحيون للمسيحيين، هذا وأنه كتب باللغة اليونانية، وكان أسلوبه باللغة الدارجة وأن ما بين الأناجيل من التناقض مع ذلك لم يكن اتفاقاً ومصادفة، بل كان عن قصد وعمد، والظاهر أن يد التغيير فى نصوصها قد امتدت

إليها من عهد قديم منذ طفولتها والحق الذى ينبغى أن يقال أن العهد الجديد لم يكن يعتبر منذ نشأته أنه كتاب موحى به، لذلك كانت التنقيحات التى تتناوله يقدم عليها فى غير ما تردد، ولا تحرج كلما دعت الضرورة إلى ذلك» وكتب (موريس غوغوريل) من علماء فرنسا يقول: «إن كثيراً من روايات الأناجيل غير واقعية، بل مطبقة على التقاليد النصرانية تطبيقاً لمجرد الدعاية أو بحسب الاعتقاد، وأن هذا فى واد، والتاريخ فى واد». والتناقض شائع بين الأناجيل، نذكر منه مثالاً واحداً هنا، فقد ورد فى إنجيل يوحنا الاصحاح ١: أرسل اليهود الكهنة واللاويين إلى يوحنا (يحيى) ليسألوه من أنت؛ فقالوا له: هل أنت إيليا؟ فقال لهم: لست إيليا، وقال متى ص ١١: إن المسيح قال إن أردتم إن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى، يريد بذلك يوحنا (يحيى) وقال متى أيضاً ص ١٧: وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً؟ فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيليا يأتى أولاً ويرد كل شىء، ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا، كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم، حينئذ فهم المسيح أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا).

فأى النصين نصدقه: قول يحيى الذى قال إننى لست بإيليا وهو رسول لا يكذب أم قول عيسى الذى قال إنه إيليا؟ وهذا من أثر المصنفين.

ويقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦) ، وقال عن اليهود: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ (البقرة: ٧٩)، ويقول ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (المائدة: ٦٨) وهكذا ليس الإنجيل من الثقة متناً وسنداً حتى يحتج به على قصص القرآن كما يدعى المغرضون.

ننتهى بعد ذلك إلى القرآن الكريم لنعرف مكانته فى التوثيق أولاً، وموقفه من

التاريخ والتوراة والإنجيل ثانياً، ورأيه فى قصصه ثالثاً.

وقد بينا منذ حين أن التاريخ القديم الذى يوازنونه بالقرآن، ويريدون أن يحكموه فى قصصه، هذا التاريخ لا يمكن الاعتماد عليه أو الثقة به، فلا سلطان له على القرآن، ويبقى القرآن بذلك صادق القصص واقعى الأنباء، ولاسيما أنه وثيق المتن والسند، كذلك كان موقفه من التوراة والإنجيل، فهو قد أثبت عليهما التغيير والتبديل، وأيده فى ذلك ما قاله علماء اليهود والنصارى، وإذاً فلا قيام لشبهة يوردها المبشرون، وأضرابهم على قصص القرآن وتاريخه، كما لا قيمة لما يوردونه على تشريع القرآن وعقائده، فالقرآن مهيمن على كل ما سواه من تاريخ وكتب سماوية، وهو مصدق لها فيما لم يحرف، ومبين لما كانوا يخفون ويحرفون: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨) والقرآن يقول عن قصصه كثيراً ودائماً أنه القصص الحق، ويقول عن الرسل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (يوسف: ١١١).

ولسنا فى حاجة إلى الكلام فى توثيق القرآن لولا أننا نكتب هذا سدا لحاجة المنهج من وجه، ولمن يريد أن يلم بذلك ممن لم يستوعبوا تاريخ القرآن، ذلك أن الله تعالى قد تكفل بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢)، لذلك توافرت له كل أسباب الحفظ، وتكاملت له عوامل الصيانة، فبقى كما أنزله الله على محمد ولم ينله تغيير ولا تبديل. (راجع مجلة لواء الإسلام سنة ٤ عدد ٨ للأستاذ عبد الوهاب حمودة).

فقد كان للرسول كُتَّاب يكتبون الوحى بين يديه على إثر نزول الآيات، ومن أشهرهم زيد بن ثابت شيخ هؤلاء الكتاب، وكان الرسول حريصاً على أن لا يفلت شىء منه، فكان يحرك به لسانه وشفتيه حرصاً على حفظه، فأنزل الله عليه: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٦ ـ ١٨)، كما كان يشجع القراء على حفظ القرآن ويحتم على الناس قراءة

شىء منه فى الصلاة، يقول الله سبحانه وتعالى عن هذا القرآن الكريم: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (العنكبوت: ٩) وهكذا جُمع القرآن فى حياة الرسول أول ما جمع كاملاً موثقاً محفوظاً فى الصدور ومفرقاً فى السطور، ولما توفى ﷺ، أمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمع القرآن المفرق فى السطور مما كتب فيه من العسب واللخاف، مستأنساً بما حفظ الحافظون، وسجل القرآن فى صحف بقيت عند أبى بكر فعمر فابنته حفصة حتى أخذها عثمان وعمل على كتابة عدة مصاحف وزعها بين بعض الأقطار الإسلامية، وهى التى بقيت صورتها إلى الآن، ويقول الناس دائماً المصحف العثمانى لذلك.

وخلاصة هذا البحث أن القرآن الكريم لا يمكن أن يتحاكم إلى التاريخ القديم ولا التوراة والإنجيل، إذ ثبت أنه الثقة الحجة، وأنه هو الذى يهيمن على ما سواه وأن قصصه حق لا شك فيه (١).



(١) الأستاذ أحمد الشايب نقلا عن شبكة الإنترنت.

٢٠ ـ الأصول فى إثبات طهارة آمنة أم الرسول

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يعانى الصليبيون مشكلة جنسية كبيرة ومأزق خطير فى شخصية يهوذا الجد الأكبر للمسيح حيث يثبت كتابهم الموضوع بالدليل القاطع أن ربهم من نسل زنا، وبدلاً من أن يقوموا بحل مشكلتهم والتفرغ لها أو الاعتراف بالحق بأن كتابهم محرف، التفوا إلى الإسلام فى محاولة يائسة للطعن فى نسب الرسول ﷺ ونسبه الشريف...

شبهة الصليبى

جاء فى كتاب تاريخى اسمه الطبقات الكبرى لابن سعد فى المجلد الأول الآتى:

ذكر تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ: قال حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمى قال حدثنى عبد الله بن جعفر الزهرى عن عمته أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال وحدثنى عمر بن محمد بن عمر ابن على بن أبى طالب عن يحيى بن شبل عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين قالا كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فى حجر عمها وهيب بن عبد مناف بن زهرة فمشى إليه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بابنه عبد الله بن عبد المطلب أبى رسول الله ﷺ فخطب عليه آمنة بنت وهب فزوجها عبد الله بن عبد المطلب وخطب إليه عبد المطلب بن هاشم فى مجلسه ذلك ابنته هالة بنت وهيب على نفسه فزوجه إياها فكان تزوج عبد المطلب بن هاشم وتزوج عبد الله بن عبد المطلب فى مجلس واحد فولدت هالة بنت وهيب لعبد المطلب حمزة بن عبد المطلب فكان حمزة عم رسول الله ﷺ.

تناقض نفس الكتاب الجزء الثالث باب فى البدريين طبقات البدريين من المهاجرين.

أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال كان حمزة معلماً يوم بدر بريشة نعامة قال محمد بن عمر وحمل حمزة لواء رسول الله ﷺ فى غزوة بنى قينقاع ولم يكن الرايات يومئذ وقتل رحمه الله يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وهو يومئذ ابن تسع وخمسين سنة كان أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين، وشبهة النصرانى هنا أن هذا التناقض يثبت أن أم الرسول قد أنجبت النبى ﷺ من رجل آخر غير عبد الله بن عبد المطلب بعد ٤ سنوات من زواجها.

الرد

أولاً:

قال النبى ﷺ (ولدت من نكاح وليس من سفاح) صحيح البخارى.

ثانياً:

هذا كتاب تاريخ ونحن لا نأخذ ديننا من كتب تاريخية، بل من القرآن والسنة الصحيحة.

ثالثاً:

الروايتان قالهما محمد بن عمر بن واقد الواقدى الأسلمى.

فمن هو هذا الرجل؟ بكل تأكيد لا يعرفه عوام النصارى لأنهم كما يقال باللهجة المصرية (غلابة)، أما قساوستهم الذين احترفوا الكذب على الله وتزوير الحقائق فيعرفونه، ولذلك إليكم تعريف بهذا الرجل وأقوال علماء الإسلام قبل أن يولد ببغاوات النصارى:

محمد بن عمر بن واقد الواقدى الأسلمى أبو عبد الله المدنى قاضى بغداد مولى عبد الله بن بريدة الأسلمى.

قال البخارى: الواقدى مدينى سكن بغداد متروك الحديث تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا (تهذيب الكمال مجلد ٢٦).

هذا فى ص ١٨٥ ـ ١٨٦ وفى نفس الصفحة قال أحمد هو كذاب وقال يحيى ضعيف وفى موضع آخر ليس بشىء وقال أبو داود: أخبرنى من سمع من على بن المدينى يقول روى الواقدى ثلاثين ألف حديث غريب وقال أبو بكر بن خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول لا يكتب حديث الواقدى ليس بشىء وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم سألت عنه على بن المدينى فقال: متروك الحديث هنا علة جميلة أيضاً فى سند الحديث وهى روايته عن عبد الله بن جعفر الزهرى قال إسحاق بن منصور قال أحمد بن حنبل كان الواقدى يقلب الأحاديث يلقى حديث ابن أخى الزهرى على معمر هذا قال إسحاق بن راهويه كما وصف وأشد لأنه عندى ممن يضع الحديث الجرح والتعديل ٨/ الترجمة ٩٢ وقال على بن المدينى سمعت أحمد بن حنبل يقول الواقدى يركب الأسانيد تاريخ بغداد ١٣/ ٣ ـ ١٦ وقال الإمام مسلم متروك الحديث وقال النسائى ليس بثقة وقال الحاكم ذاهب الحديث قال الذهبى رحمه الله مجمع على تركه وذكر هذا فى مغنى الضعفاء ٢/ الترجمة ٥٨٦١.

قال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» المعروفون بالكذب على رسول الله الواقدى بالمدينة ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام.

وبالتالى إخوانى الكرام ويا باحثون عن الحقيقة من النصارى تكون الروايتان بهما ضعف لأن الراوى متروك الحديث.

لكن هناك طرق أخرى تؤكد الرواية الثانية أن حمزة كان أكبر من الرسول بعامين أو ٤ سنوات وهى صحيحة، وأن زواج جد النبى كان قبل ابنه عبد الله والد الرسول بأعوام كثيرة ولو كان ميلاد حمزة تم قبل ميلاد الرسول بعامين أو بأربع سنوات. والدليل هو (كان أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين وهذا لا يصح عندى لأن الحديث الثابت أن حمزة وعبد الله بن الأسد أرضعتهما ثويبة مع رسول الله ﷺ إلا أن تكون أرضعتهما فى زمانين.

وذكر البكائى عن ابن إسحاق قال كان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بسنتين)، كتاب الاستيعاب فى تمييز الأصحاب.

كما أنه معروف أن الإخوة فى الرضاعة لا تعنى ولا تستلزم فى نفس الوقت بل

قد تكون امرأة أرضعت طفلا وبعد ٢٠ سنة ترضع طفلا آخر فيكونا إخوة فى الرضاعة والفرق بينهما ٢٠ سنة. والآن نسأل النصارى عن رد يثبت براءة نسب المسيح من الزنا، كما يدعون وأيضاً نريد دليلا من الإنجيل على نسب السيدة مريم العذراء، من هو والد العذراء مريم وبالدليل كما يتهمون؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أخوكم حليمو،

المقال أسمح بنقله وتصويره ونشره.



٢١ ـ شبهات من نصرانى حائر

السؤال

ـ قرأت فى الصحيفة أن ١٥٪ من القرآن يتحدث عن المسيح؛ وكذلك فقد قرأت فى النسخة الإنجليزية (لمعانى) القرآن أن محمداً كان يؤمن بالمسيح وإبراهيم وبجميع الأنبياء وبكتبهم التى سبقت القرآن. إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يقبل القرآن ببعض التعاليم الواردة فى الكتاب المقدس، مثل معجزات المسيح، وعدم وقوعه فى المعصية، وأنه نبى... إلى غير ذلك، ويتناقض مع العديد من التعاليم الواردة فيه مثل لاهوت المسيح كما ورد فى «جان» ١: ١، و ١٦: ٣، وتألم المسيح وموته تكفيراً عن خطايا البشر كما ورد فى العهدين القديم والجديد؟

ـ إذا كان القرآن خالياً من الخطأ، فلماذا توجد كل هذه الطوائف فى الإسلام مثل «شوهيت» و «الشيعة» على التوالى؟

ـ لماذا يسمح القرآن بتعدد الزوجات بينما يمنع الكتاب المقدس من ذلك كما ورد فى «يوحنا». ٢٤: ٢ و «متى» ٥: ١٩؟

إن روحى تبحث عن الحقيقة.

الجواب

الحمد لله

أولاً: إن الله تبارك وتعالى قد أكثر من ذكر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فى كتابه لأسباب عديدة منها:

١ ـ أنه نبى من أنبيائه، بل ومن أولى العزم من رسله إلى خلقه وعباده،

والإيمان به واجب كباقى الأنبياء كما أمر الله سبحانه بقوله ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

(البقرة: ١٣٦).

٢ ـ إن أولى الناس بالعناية الدعوية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ وذلك أنهم أقرب الأمم ممن جاءتهم الرسل من آخر الأمم التى بعث فيها آخر الرسل، وقد علم كل من اليهود والنصارى مبعث النبى ﷺ، وأوصافه مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل، والواجب أن لا ينكروها وأن يسارعوا إلى الإيمان به؛ لأنهم يؤمنون من قبل بالرسل خلافاً لغيرهم من عبدة الأوثان، فلما لم يكن منهم ما أمروا به من الإيمان بآخر الرسل ﷺ: كان لابد من الرد عليهم وتبيين ما آلوا إليه من تحريف التوحيد والأحكام فكثر ذكرهم فى الآيات لذلك.

٣ ـ وهو أصل الأصول، وعليه قوام الدين والدنيا، وبه تكون النجاة من النار، والدخول إلى الجنان، وهو تقرير التوحيد لله الواحد الأحد، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا فى عيسى عليه السلام فقالت اليهود: هو دجال أفاك كذاب مفتر على الله وجب قتله! والنصارى كان خلافهم أشد، فمنهم من قال: إنه الله! ومنهم من قال: إنه ابن الله متحد مع الله فى الأقانيم، فى الظاهر ابن الله وفى الحقيقة الله! ومنهم من قال: هو ثالث الأقانيم التى هى ضد أصل التوحيد ومدار التثليث! وآخرون قالوا: بل هو رسول من عند الله وبشر كسائر الخلق لكن الله خصه بمعجزات ليقيم الحجة على العباد، والآخرون هم المصيبون فكان لابد من تفصيل الحال وبيان حقيقة الأمر وإظهار عيسى بما يليق به ولا ينقصه كسائر الأنبياء والمرسلين أنه بشر مخلوق من طين اختاره الله عن سائر البشر ليكون من غير أب إظهاراً لقدرة الله على إيجاد الخلق مع زوال الأسباب، وإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم كما قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩) فهذا الفيصل فى خلق نبى الله عيسى مع

إعجازه أمام أعين البشر وآدم عليه السلام أكثر إعجازاً منه.

فإن كان عيسى عليه السلام ولد من غير أب: فإن آدم خلقه الله من غير أب وأم وهذا أدعى لإظهار قدرة الله سبحانه وتعالى فى الخلق والإبداع وأعظم إعجازاً من خلق عيسى عليه السلام فلكل ذلك وغيره كان لابد من التفصيل فى أمر عيسى عليه السلام ووضع الأمور فى نصابها وبيانها على حقيقتها.

والخلاصة: أن المعجزات التى وهبها الله تبارك وتعالى لعيسى عليه السلام إنما هى كسائر معجزات الأنبياء للتدليل على صدقه وأنه رسول الله حقا فخلط المحرفون هذه المعجزات على بسطاء الناس، وجعلوا من معجزاته وسيلة للقول بأنه ابن الله أو أنه الله، وهذا كله تحريف لتعاليم المسيح ورسالة المسيح عليه السلام.

ومن ثم لو أن كل من اتبع نبيا جعل من معجزاته التى وهبه الله إياها أنه إله لكان كل الأنبياء آلهة فما من نبى إلا وتميز عن غيره بمعجزاته فالجبال سبحت مع داود عليه السلام وما سبحت مع عيسى، والبحر شق لموسى وكلم ربه وكلمه ربه فكان كليم الله وما كان هذا لعيسى عليهما السلام، ونوح أغرق الله الأرض بدعائه وما كان هذا لعيسى ومحمد ﷺ خصه الله بكلامه وحفظ له معجزته من الزوال والتحريف وبعث للناس كافة وكان له من المعجزات ما لم يكن لعيسى، فهل يجوز أن يكونوا آلهة؟!

ثانياً: أما القول أنه إذا لم يكن القرآن محرفاً فلم توجد هذه الفرق الكثيرة من شيعة وغيرها من الفرق؟

والجواب على هذا السؤال: أنه لا دخل للقرآن بصواب الناس وخطئهم؛ لأن القرآن الكريم هو سبيل الهداية للناس وهذه الفرق قد حذر الله تبارك وتعالى منها، ونهى أن نتشبه بالأمم التى فرقت دينها كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣١ - ٣٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، وأمرهم سبحانه وتعالى بالاعتصام بكتابه واتباع سنة نبيه ﷺ فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ **(آل عمران: ١٠٣)**، وقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **(الحجرات: ١١)** أى: لا تقولوا قولاً ولا تفعلو فعلاً خلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فالمراد: بيان أن الله تبارك وتعالى نهى الناس عن الفرقة وأمرهم بالاجتماع فاتبعوا أهواءهم وتترسوا خلف شهواتهم وشبهاتهم ونبذوا كتاب الله خلف ظهورهم وإن حملوا آية من كتاب الله لم يرجعوا فى فهمها إلى سنة رسول الله ﷺ بل يكون الرأى عندهم هو الحكم وعقولهم الفاسدة هى المرجع وكل ذلك ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ.

ثالثاً: أما السؤال عن تعدد الزوجات فى الإسلام ومنعها فى العهد الجديد: فاعلم أن الله تبارك وتعالى جعل لكل رسول شرعة ومنهاجاً فما من نبى أرسله الله إلا وأمره بالتوحيد، وأما الشرائع فكانت مختلفة ناسخة لبعضها البعض، فما كان جائزاً فى زمن آدم عليه السلام من الأحكام والشرائع نسخ بعضه فى زمن نوح عليه السلام. وما كان فى زمن موسى نسخ بعضه فى زمن عيسى عليه السلام وهذا كما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ **(المائدة: ٤٨)**، فإذا فهمت هذا فاعلم أن تعدد الزوجات لم يكن فى شريعة محمد ﷺ وحسب بل كان التعدد فى شرائع الأنبياء السابقين ومثاله أن يعقوب عليه السلام قد تزوج من امرأتين وجمع بين أختين على ما ذكر فى العهد القديم من سفر التكوين فى الباب التاسع والعشرين (١٥ ـ ٣٥).

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام كان قد تزوج من امرأتين وهما هاجر وسارة وغيرهما وذكر العهد القديم أن نبى الله داود تزوج نساء كثيرات كما جاء فى سفر صموئيل الثانى (٣: ٢ ـ ٥)، وغير ذلك مما يبين لك أن كل نبى من الأنبياء يطبق ما شرع الله له من الأحكام، وأن تعدد الزوجات ليس خاصاً بهذه الأمة، وأما منع النصارى من هذا التعدد فيمكن أن يكون لسببين:

الأول:

أنه من شرع الله، وهذا واجب التطبيق قبل مبعث محمد ﷺ.

والثانى:

أنهم ابتدعوه من عند أنفسهم تشديداً عليها كما فعلوا فى الرهبانية التى ابتدعوها ولم تكن قد كتبت عليهم لكن أرادوا منها أن يرضوا الله عز وجل بها.

والله أسأل لك الهداية والتوفيق لبلوغ دين الحق وهو الإسلام وعلى سنة نبى الرحمة ﷺ بفهم أصحابه الغر الميامين الكرام. والله الهادى.



٢٢ ـ حوار جاد مع نصرانى

السؤال

كنت أتصفح موقعكم ولقد استمتعت بذلك حيث أننى طالب مسيحى بمدرسة دينية وأرغب فى تعلم المزيد. أريد أن أعرف رأيك فيما يلى هل هو صحيح؟

فى الإسلام: الجنة عبارة عن خمر ونساء وغناء. وطريق الجنة يكون بالبعد عن هذه الأمور التى سوف يكافأ بها بالإضافة إلى الالتزام بأركان الإسلام الخمسة.

فى الإسلام: لا يبدو أن هناك ضماناً بالنجاة والخلاص. فقط يقال هذه الطريقة خلال الحياة وستنال الخلاص والنجاة من الله. ليس هناك ضمان. أنا لا أحب أن أعيش كذلك بلا ضمان. أنا أعلم أن المسلمين لا يعتقدون بالخطيئة الأصلية ولكن بغض النظر عن كون الإنسان يولد مخطئاً أو لا، ألا توافقنى بأن الإنسان خطاء وكثير الخطأ؟ ماذا يفعل الإنسان تجاه خطئه ومعصيته؟ أنا أفهم التوبة لكن يبدو أنه لا يمكن لأحد أن يبلغ النجاة عند الله. ولهذا أرسل ابنه ليُقتل على الصليب من أجلنا، من أجل الخلاص من ذنوبنا الحاضرة والماضية والقادمة.

ليس هناك ضمان للنجاة فى الإسلام، إن هذا أمر مرعب حقا أن تعيش بلا ضمان للنجاة. أن تعيش حياتك ولا تدرى هل عملت من الأعمال الصالحة ما يكفى لخلاصك يوم القيامة ولا تدرى هل صليت بما فيه الكفاية أم لا... الخ إنه أمر مرعب حقا.

لقد سألت العديد من زملائى المسلمين هل هم متأكدون من دخولهم الجنة أو النار بعد الموت ولكن لم أتلق منهم ردا بالإيجاب. إنه ليس هناك ضمانات فى الإسلام لأنه ليس هناك اعتقاد فى الخلاص بالإيمان بالمسيح، إنما يعتمد الإسلام على فعل الشخص وأعماله.

أيضاً: لو أردت أن أصبح مسلما فإننى لا أستطيع. إذا كان المسلمون يعتقدون أنهم المصطفون من بين الناس فلماذا لا ينشرون دينهم؟ هل يقتصر الأمر على أن تكون محظوظاً لأنك ولدت مسلماً؟ إذا أراد شخص أن يكون نصرانيا فإنه يستطيع ذلك. أى شخص يمكن أن يصبح نصرانياً فى خلال ثوان. أنا لم أكن نصرانيا عندما ولدت. إن النصارى يؤكدون أن عيسى المسيح هو الطريق الوحيد للرب.

عيسى المسيح قال بنفسه أنا الطريق أنا الحق أنا الحياة لا أحد سيصل إلى الأب من غير طريقى إنه لم يقل أنا أحد الطرق بل قال أنا الطريق.

أنا لا أفهم كيف يكون أى شخص متعامياً عن هذه الحقائق إلا إذا لم يسمعوا بها من قبل.

أنا أرغب فى رد وتعليق من قِبلك.

الجواب

الحمد لله

مما نقدِّره لك أيها السائل توجهك بالسؤال عن إفادة بشأن ما عرضته عن تصورات لقضايا فى دين الإسلام، ونحن نرجو أن تكون المناقشة لبعض ما كتبت والتصحيح لبعض التصورات التى عرضتها سبيلاً إلى الوصول إلى الحقيقة والاقتناع بها:

١ ـ ما أوردته عن العقيدة الإسلامية حيال موضوع الجنة وأنه نعيم بالخمر والنساء والغناء فيه قصور كبير عن الاعتقاد الصحيح حيال ذلك، فإن نعيم الجنة ليس نعيما حسيا جسديا فقط بل هو كذلك نعيم قلبى بالطمأنينة والرضا به سبحانه وتعالى وبجواره، بل إن أعظم نعيم فى الجنة على الإطلاق هو رؤية الربّ سبحانه وتعالى، فإن أهل الجنة إذا رأوا وجهه الكريم نسوا كلّ ما كانوا فيه من ألوان النعيم، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ولا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون، والمقصود بيان أن نعيم أهل الجنة ليس مقصورا على ما ورد فى كلامك بل

هو أوسع من ذلك بكثير.

٢ ـ ما ذكرته من أن دخول الجنة يتحقق بترك محرمات معينة ليفوز الإنسان بها فى الآخرة هو أيضا خطأ كبير بهذا الإطلاق إذ أن الإسلام دين يأمر بالعمل لا بالترك فقط فلا تتحقق النجاة إلا بفعل المأمورات وليس بترك المنهيات فقط فهو قيام بالواجبات وانتهاء عن المحرمات، وكذلك فإنه ليس كل نعيم الجنة مما كان محرما فى الدنيا على سبيل المكافأة بل كم فى الجنة من النعيم الذى كان مباحا فى الدنيا فالزواج مباح هنا وهو نعيم هناك والفواكه الطيبة من الرمان والتين وغيرها مباح هنا وهو من النعيم هناك والأشربة من اللبن والعسل مباح هنا وهو نعيم هناك وهكذا، بل إن المفسدة التى تشتمل عليها المحرمات فى الدنيا تنتزع منها فى الآخرة إذا كانت من نعيم الجنة كالخمر مثلا قال الله سبحانه وتعالى عن خمر الجنة: «لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون» فلا تُذهب العقل ولا تسبّب صداعا ولا مغصا، فطبيعتها مختلفة عما هى عليه فى الدنيا، والمقصود أن نعيم الجنة ليس مقصورا على إباحة المحرمات الدنيوية. وكذلك مما يجدر التنبيه عليه أن هناك من المحرمات التى لا يجازى على تركها فى الدنيا بإعطاء نظيرها فى الآخرة سواء من ذلك المطعومات أو المشروبات أو الأفعال والأقوال فالسم مثلا لا يكون نعيما فى الآخرة مع حرمته فى الدنيا وكذا اللواط ونكاح المحارم وغير ذلك لا تباح فى الآخرة مع حظرها فى الدنيا، وهذا واضح بحمد الله.

٣ ـ أما مسألة وجود الضمانات من عدمها وأن حياة الشخص ستكون رديئة شنيعة على حد تعبيرك إذا لم يكن لديه ضمان بالجنة فالجواب أنّ سوء التصور هو الذى يوصل إلى هذه النتيجة، ولو أنَّك قلت: لو كان كلّ شخص عنده ضمان بالجنة لكانت مصيبة عظيمة إذ أنّه سيفعل كلّ حرام ويرتكب كلّ محظور بهذا الضمان، وكثيرا ما يفعل المجرمون من اليهود والنصارى ما يفعلون اعتمادا على ذلك الضمان الباطل وصكوك الغفران وطلبات الصّفح من الرهبان، وقد أخبرنا ربنا عن هؤلاء بقوله: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١)، وقضية الجنة عندنا نحن المسلمين

ليست بأهوائنا ولا بأهواء غيرنا كما قال ربنا: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٢٣)

وإليك فيما يلى نبذة مختصرة فى الاعتقاد الإسلامى بشأن ضمان المصير:

يقدم الإسلام ضمانا لكل مسلم مخلص مطيع لله حتى يموت بأنه سيدخل الجنة قطعا وجزما. قال الله تعالى فى محكم تنزيله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ (النساء: ١٢٢)

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٩)

وقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ (مريم: ٦١)

وقال: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ (الفرقان: ١٥)

وقال: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (الزمر: ٢٠)

وكذلك يضمن الإسلام للكافر المعرض عن أمر الله عز وجل بأنه سيدخل النار قطعا وجزما، قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٨)

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (فاطر: ٣٦)

وقال تعالى عن الكافرين يوم الدين: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣)

اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (يس: ٦٣ ـ ٦٤).

فوعد الله لا يتخلف مع الفريقين كما ذكر عن حالهما بعد انتهاء يوم القيامة:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٤)

فكل من آمن وعمل صالحا ومات على ذلك يدخل قطعا الجنة، وكلّ من كفر وعمل السيئات ومات على ذلك يدخل النّار قطعا، ثمّ إن من قواعد الإسلام العظيمة أن يعيش المؤمن بين الخوف والرّجاء فلا يحكم لنفسه بالجنة لأنّه سيغترّ ثمّ إنه لا يدرى على أىّ شىء سيموت، ولا يحكم على نفسه بالنّار لأنّ ذلك قنوط من رحمة الله ويأس محرّم، فهو يعمل الصّالحات ويرجو أن يثيبه الله عليها ويجتنب السيئات خوفا من عقاب الله، ولو أذنب فإنه يتوب لينال المغفرة ويتقى بتوبته عذاب النّار والله يغفر الذّنوب ويتوب على من تاب، وإذا خاف المؤمن أن ما قدّمه من العمل لا يكفى على حد تعبيرك زاد فى العمل خوفا ورجاء. ومهما قدّم من أعمال صالحة فإنّه لا يركن إليها ولا يغترّ فيهلك بل يعمل ويرجو الثواب، وفى الوقت ذاته يخشى على عمله من الرياء والعُجب والحبوط كما قال الله تعالى فى وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

(المؤمنون:٦٠)

فهكذا يبقى المؤمن يعمل ويرجو ويخاف إلى أن يلقى الله على التوحيد وعمل الصّالحات فيفوز برضا الربّ وجنّته، ولو أنّك تمعنت فى الأمر لعلمت أنّ هذه هى الدوافع الصّحيحة للعمل، وأنّ الاستقامة فى الحياة لا تحصل إلاّ بهذا.

٤ ـ وأما ما أوردته حيال مسألة الخطيئة الأصلية فالكلام عليه من عدّة جهات:

الأولى: أن موقف العقيدة الإسلامية حيال الذنوب البشرية هو: أن الشخص كما يتحمّل تبعة عمله ولا يتحمّلها غيره فكذلك لا يتحمّل هو تبعة عمل غيره، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

ففكرة الخطيئة الأصلية منتقية بهذا فإذا أخطأ الأب فما ذنب الأولاد والأحفاد

أن يتحملوا خطيئة عملها غيرهم، إنّ العقيدة النصرانية التى تحمّل الذرية خطأ أبيهم هى عين الظّلم، فهل يقول عاقل أنّ الذّنب يتسلسل عبر قرون البشرية، وأنّ ذنب الجدّ يلطّخ الأولاد والأحفاد والأجيال؟؟

الثانية: أنّ الخطأ من طبيعة البشر وقد قال نبينا ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ». رواه الترمذى ٢٤٢٣، لكن الله لم يجعل الإنسان عاجزا عند حصول الذنب لا يملك أن يفعل شيئا حياله بل أعطاه الفرصة وفتح له الباب للتوبة والعودة ولهذا قال النبى ﷺ فى تكملة الحديث السابق: «وخير الخطائين التوابون». وتظهر رحمة الربّ فى شريعة الإسلام جليّة عندما ينادى سبحانه وتعالى عباده بقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣). فهذه طبيعة النفس البشرية وهذا سبيلها وحلّ مشكلتها إذا أذنبت، أما أن تجعل هذه الطبيعة البشرية وهى طبيعة الخطأ سدا منيعاً بين العبد وبين الرب وأن العبد لا يقدر على بلوغ مرضات الرب إطلاقا إلا بأن يُنزل لهم ابنه (المزعوم!!) ليُصلَّب ذليلاً مهانا تحت سمع وبصر (أبيه!!) فعند ذلك يغفر للبشرية فأمر فى غاية العجب والسّخافة ومجرّد حكاية هذا الكلام الباطل يُغنى عن الردّ عليه، وقد قلت مرة لشخص نصرانى ونحن فى نقاش هذه المسألة إذا كنتم تقولون إنه أنزل ابنه ليصلب فداء للبشرية فى عصره أو الذين سيأتوا بعد الصّلب فما هو يا تُرى حال الذين أذنبوا وماتوا مُذنبين قبل ولادة المسيح ولم يتسنَّ لهم أن يعرفوا المسيح ليؤمنوا بعقيدة الصّلب المذكورة ليغفر لهم؟، فلم يزد على أن قال: بالتأكيد عند قساوستنا ردّ على هذا الإشكال! ولو وُجد فإنّه تلفيق فماذا عساهم يقولون.

وأنت إذ استعرضت العقيدة النصرانية حيال موضوع الخطيئة البشرية بعقل منصف وجدتهم يقولون إن الرب قد ضحى بولده البكر الوحيد ليكفر بذلك خطايا البشر وهذا الابن إله فلئن كان الإله قد ضرب وشتم وصلب فمات فإن هذه العقيدة تحمل فى طياتها الإلحاد فيه سبحانه وتعالى واتّهامه بالتخاذل والضّعف. وهل الرّب عاجز عن غفران ذنوب العباد كلّهم بكلمة واحدة منه، إذا كان كذلك وهو على

كلّ شيء قدير (والنصارى لا يعترضون على هذا) فما الذى يجعله إذن يُضحّى بولده من أجل ذلك (تعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوا كبيرا).

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٠١)

وإذا كان الشّخص العادى لا يرضى أن يُمسّ ولده بسوء بل يُدافع عنه ولا يُسْلمه إلى عدوّ لينال منه أو يسبّه ويشتمه فضْلا عن أن يتركه يواجه مصير القتل صلبا بأبشع القتّلات، إذا كان هذا حال المخلوق العادى فكيف بالربّ.

الثالثة: إن عقيدة التكفير عن الخطيئة الأصلية التى يعتقدها النصارى لها أثر سلبى على واقع الحياة البشرية إذ أن العقيدة النصرانية كما أوردت لا تفرض على الإنسان أى التزامات فما عليه إلا أن يعتقد أن الله قد أرسل ابنه إلى هذه الأرض ليصلب فيموت تكفيرا لأخطاء البشر فيكون بذلك نصرانيا يضمن بذلك الفوز برضا الرب ويدخل الجنة، وليس هذا فحسب بل يعتقد أن كل ما حدث بابن الله إنما هو لتكفير خطاياه السالفة والحاضرة والمستقبلية ولا تتساءل بعد ذلك عن سبب ما تعيشه المجتمعات النصرانية من تزايد حالات القتل والاغتصاب والسرقة وإدمان الكحول إلى غيرها من الخطايا.. أليس المسيح قد مات لتكفيرها وقد كفّرت ومُحيت فَلِمَ لا يتوقفون عن عمل المعاصى. وقل لى بربّك لماذا تُعدمون القاتل أحيانا، وتسجنون المجرم، وتُعاقبون بالعقوبات المختلفة إذا كان المجرم فى نظركم قد كفّرت ذنوبه وغُفرت سائر جرائمه بدم المسيح؟ أليس تناقضا عجيبا؟

٥ ـ ما أوردته فى كلامك من أن المسلمين ما داموا يعتقدون أنهم المصطفون من البشر فلماذا لا ينشرون عقيدتهم، فالجواب أنّ المخلصين منهم العاملين بالكتاب الكريم قد قاموا بذلك وإلا فما الذى أوصل الإسلام من مكة إلى أندونوسيا وسيبريا والمغرب والبوسنة وجنوب أفريقية وسائر بلاد الشّرق والغرب، والأخطاء الموجودة فى سلوكيات بعض المسلمين اليوم لا يتحمّلها الإسلام وليس سببا فيها بل إنّها لم تحصل إلا نتيجة مخالفة الإسلام، وليس من العدل أن يُحمّل المنهج أخطاء بعض

أتباعه الذين خالفوه وانحرفوا عنه. أليس المسلمون أعدل من النّصارى عندما يُقرّون بأنّ المذنب مهدّد بعقاب الله مالم يتب وأنّ من الذنوب ما فيه حدّ يردع فى الدّنيا ويكون كفّارة فى الآخرة كحدّ القتل والسرّقة والزّنا.. إلخ.

٦ - وأما ما ذكرته من سهولة الدّخول فى النّصرانية بالنسبة للإسلام فخطأ ظاهر فإن مفتاح الإسلام عبارتان لا غير: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله يدخل بها الشخص الإسلام فى ثوان لا يحتاج إلى تعميد ولا قسّيس ولا ذهاب إلى مكان معيّن لا مسجد ولا غيره، قارن بين هذا وبين إجراءات التعميد المُضحكة التى يفعلها النّصارى إذا أرادوا إدخال شخص فى النّصرانية.

ثمّ يقدّس النّصارى الصّليب الذى آذى عيسى لما صُلب عليه - بزعمهم - وآلم ظهره وأوجعه فيجعلونه مقدّسا وبركة وشفاء بدل أن يذمّوه ويكرهوه ويعتبروه رمزا للظلم وشكلا بشعا لموت ابن الإله!! وهو الذى أوجع ظهره وحرمه النّوم.

٧ - ألا ترى معى بأنّ المسلمين أولى بالحقّ من غيرهم وهم يؤمنون بجميع الأنبياء والمرسلين ويجلونهم ويعتقدون أنهم على الحقّ والتوحيد جميعا وأنّ كلا نبّأه الله أو أرسله إلى قومه بشريعة تُناسب ذلك الزّمان والمكان، إنّ النّصرانى المُنصف إذا رأى أهل الإسلام يُؤمنون بموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه وبالتوراة والإنجيل الأصليين والقرآن الكريم، ثم يرى بنى قومه من النصارى يكفرون بمحمد ﷺ ويجحدون نبوته ويكذبون بكتابه، ألا يقوده إنصافه إلى ترجيح كفّة المسلمين؟

٨ - أما ما ذكرته من أن قول المسيح: لا أحد يستطيع أن يصل إلى الأب إلا من خلالى. فإنه لابدّ من إثبات هذه المقولة وصحّة نسبتها إلى عيسى أولاً، وثانيا: إنّها واضحة البطلان فكيف عرفت البشرية الله فى عهد نوح وهود وصالح ويونس وشعيب وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء؟ ولو كانت المقولة إنّ بنى إسرائيل فى عهد عيسى عليه السلام وعصره وما بعده إلى عهد خاتم الأنبياء محمد عليه السلام - لا يستطيعون الوصول إلى دين الله وشريعته إلا من طريق عيسى عليه السلام فقط لقلنا إنّ ذلك قول صحيح وعبارة وجيهة.

٩ - أما ما ختمت به من قول المسيح أنا والأب واحد فهذه عقيدة مرفوضة ولو

سلكت سبيل الإنصاف وتجرّدت عن الهوى لتبيَّن لك أن قَوْلَةَ: «أنا والأب»، مركَّبة من معطوف ومعطوف عليه وأداة العطف بينهما، والعطف فى علم اللغة يقتضى التغاير أى أنّه شىء والأب شىء آخر، ولو قال شخص أنا وفلان لعلم كلّ عاقل أنهما اثنان مختلفان، ومعادلة ١ + ١ + ١ = ١ هى معادلة مرفوضة عند جميع العقلاء من الرياضيين وغيرهم.

وختاما أوصيك وما أظنك ترد هذه الوصية أن تقوم لله متفكراً فى نفسك فيما قرأت من الكلام متجرداً عن أىّ خلفيّة أو مقالة سابقة وعن كل هوى أو عصبية صادقاً فى طلب الهداية من الله وحده، والله أكرم من أن يخيب عبدا هذا شأنه. والله الهادى إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الإسلام سؤال وجواب

الشيخ محمد صالح المنجد (www.islam-qa.com)



٢٣ ـ نبذة عن عيسى عليه السلام

الحمد لله

كانت مريم ابنة عمران امرأة صالحة تقية.. واجتهدت فى العبادة حتى لم يكن لها نظير فى النسك والعبادة.. فبشرتها الملائكة باصطفاء الله لها.. ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢، ٤٣).

ـ ثم بشرت الملائكة مريم بأن الله سيهب لها ولداً يخلقه بكلمة كن فيكون وهذا الولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم.. وسيكون وجيهاً فى الدنيا والآخرة ورسولاً إلى بنى إسرائيل.. ويعلم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.. وله من الصفات والمعجزات ما ليس لغيره.. كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

(آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧).

ـ ثم أخبر الله تعالى عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام فقال عن تشريف عيسى، وتأييده بالمعجزات.. ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم

مُّؤْمنينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٤٨ ـ ٥١).

ـ والله سبحانه له الكمال المطلق فى الخلق.. يخلق ما يشاء كيف يشاء.. فقد خلق آدم من تراب بلا أب ولا أم.. وخلق حواء من ضلع آدم من أب بلا أم.. وجعل نسل بنى آدم من أب وأم.. وخلق عيسى من أم بلا أب.. فسبحان الخلاق العليم.

ـ وقد بين الله فى القرآن كيفية ولادة عيسى بياناً شافياً فقال سبحانه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ١٦ ـ ٢١).

ـ فلما قال لها جبريل ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ جبريل فى جيب درعها.. ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٢، ٢٣).

ـ ثم ساق الله لمريم الماء والطعام.. وأمرها أن لا تكلم أحداً.. ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٤ ـ ٢٦).

ـ ثم جاءت مريم إلى قومها تحمل ولدها عيسى.. فلما رأوها أعظموا أمرها جداً واستنكروه.. فلم تجبهم.. وأشارت لهم اسألوا هذا المولود يخبركم.. قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي

الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٧ ـ ٢٩).

ـ فأجابهم عيسى على الفور وهو طفل فى المهد.. ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٠ ـ ٣٣).

ذلك خبر عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله.. ولكن أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال هو ابن الله.. ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة.. ومنهم من قال هو الله.. ومنهم من قال هو عبد الله ورسوله وهذا الأخير هو القول الحق قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٣٥ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مريم: ٣٤ ـ ٣٧).

ـ ولما انحرف بنو إسرائيل عن الصراط المستقيم.. وتجاوزوا حدود الله.. فظلموا، وأفسدوا فى الأرض وأنكر فريق منهم البعث والحساب والعقاب.. وانغمسوا فى الشهوات والملذات غير متوقعين حساباً.. حينئذ بعث الله إليهم عيسى ابن مريم رسولاً وعلمه التوراة والإنجيل كما قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٤٨ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٤٨، ٤٩).

ـ وقد أنزل الله على عيسى ابن مريم الإنجيل هدى ونوراً.. ومصدقاً لما فى التوراة.. ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٤٦).

ـ وعيسى عليه السلام قد بشر بمجئ رسول من الله يأتى من بعده اسمه أحمد وهو محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم

بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف: ٦).

ـ قام عيسى عليه السلام بدعوة بنى إسرائيل إلى عبادة الله وحده.. والعمل بأحكام التوراة والإنجيل.. وأخذ يجادلهم ويبين فساد مسلكهم.. فلما رأى عنادهم وظهرت بوادر الكفر فيهم.. وقف فى قومه قائلاً من أنصارى إلى الله؟ فآمن به الحواريون وعددهم اثنا عشر قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٥٢، ٥٣).

ـ أيد الله عيسى بمعجزات عظيمة تُذَكِّر بقدرة الله.. وتربى الروح.. وتبعث الإيمان بالله واليوم الآخر.. فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.. وكان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى بإذن الله، ويخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.. فقام اليهود الذين أرسل الله إليهم عيسى بمعاداته وصرف الناس عنه.. وتكذيبه، وقذف أمه بالفاحشة.

ـ فلما رأوا أن الضعفاء والفقراء يؤمنون به.. ويلتفون حوله حينئذ دبروا له مكيدة ليقتلوه فحرضوا الرومان عليه.. وأوهموا الحاكم الرومانى أن فى دعوة عيسى زوالاً لملكه فأصدر أمره بالقبض على عيسى وصلبه.. فألقى الله شبه عيسى على الرجل المنافق الذى وشى به فقبض عليه الجنود يظنونه عيسى فصلبوه.. ونجى الله عيسى من الصلب والقتل كما حكى الله عن اليهود.. ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٧، ١٥٨).

ـ فعيسى عليه السلام لم يمت بل رفعه الله إليه.. وسينزل قبل يوم القيامة ويتبع محمداً ﷺ.. وسيكذب اليهود الذين زعموا قتل عيسى وصلبه.. والنصارى الذين غلوا فيه وقالوا هو الله.. أو ابن الله.. أو ثالث ثلاثة. قال النبى ﷺ.. (والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل

الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد). متفق عليه أخرجه مسلم برقم ١٥٥.

ـ فإذا نزل عيسى قبل يوم القيامة آمن به أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩).

ـ وعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله.. أرسله الله لهداية بنى إسرائيل والدعوة إلى عبادة الله وحده كما قال سبحانه لليهود والنصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٧١).

ـ والقول بأن عيسى ابن الله قول عظيم ومنكر كبير: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٨٨ ـ ٩٣).

ـ وعيسى ابن مريم بشر وهو عبد الله ورسوله فمن اعتقد أن المسيح عيسى ابن مريم هو الله فقد كفر: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٧٢).

ـ فالمسيح ابن مريم بشر.. ولد من أم.. يأكل ويشرب(١).. ويقوم وينام.. ويتألم ويبكى.. والإله منزه عن ذلك.. فكيف يكون إلهاً.. بل هو عبد الله ورسوله ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة: ٧٥).

ـ وقد أفسد اليهود والنصارى والصليبيون وأتباعهم دين المسيح وحرفوا فيه

---

(١) ومن يفعل ذلك تكون منه الحاجة.

وبدلوا وقالوا إن الله قدم ابنه المسيح للقتل والصلب فداء للبشرية.. فلا حرج على أحد أن يعمل ما شاء فقد تحمل عنه عيسى كل الذنوب.. ونشروا ذلك بين طوائف النصارى حتى جعلوه جزءاً من عقيدتهم.. وهذا كله من الباطل والكذب على الله والقول عليه بغير علم.. بل كل نفس بما كسبت رهينة.. وحياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إن لم يكن لهم منهج يسيرون عليه.. وحدود يقفون عندها.

- فانظر كيف يفترون على الله الكذب، ويقولون على الله غير الحق: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

- وقد أخذ الله على النصارى الأخذ على عيسى والعمل بما جاء به، فبدلوا وحرفوا فاختلفوا ثم أعرضوا.. فعاقبهم الله بالعداوة والبغضاء فى الدنيا.. وبالعذاب فى الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٤).

- وسيقف عيسى عليه السلام يوم القيامة أمام رب العالمين فيسأله على رؤوس الأشهاد ماذا قال لبنى إسرائيل كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(المائدة: ١١٦ - ١١٨).

- وقد جعل الله فى أتباع عيسى والمؤمنين رأفة ورحمة.. وهم أقرب مودة لأتباع محمد من غيرهم كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ

وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة: ٨٢).

ـ وعيسى ابن مريم هو آخر أنبياء بنى إسرائيل.. ثم بعث الله بعده محمداً ﷺ من نسل إسماعيل إلى الناس كافة، وهو آخر الأنبياء والمرسلين.

من كتاب أصول الدين الإسلامى:

تأليف فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم التويجرى.

(www.islam-qa.com).



٢٤ ـ كيف يمكن القول بأن عيسى لم يمت فى الوقت الذى يؤكد فيه القرآن وفاته فى سورة آل عمران

الجواب

لم يرد فى القرآن الكريم نص يدل على موت عيسى عليه السلام الموتة النهائية، وإنما الذى ورد لفظ الوفاة والتوفى، وهذه ألفاظ لا ينحصر معناها فى الموت، بل تحتمل معانىّ أخرى منها: استيفاء المدة، وعيسى عليه السلام قد استوفى مدة مكثه الأول فى الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **(آل عمران: ٥٥)** أى: آخذك وافياً بروحك وبدنك وقد نقل هذا المعنى ابن جرير فى تفسيره عن جماعة من السلف، واختاره ورجحه على ما سواه، وعليه يكون معنيا لآية: إنى قابضك من عالم الأرض إلى عالم السماء وأنت حى ورافعك إلى، ومن هذا المعنى قول العرب: توفيت مالى من فلان أى قبضته كله وافياً. وجاء فى محاسن التأويل: ٤/ ٨٥١: (إنى متوفيك)، أى مستوف مدة إقامتك بين قومك، والتوفيما يطلق على الإماتة كذلك يطلق على استيفاء الشىء ـ كما فى كتب اللغة ـ ولو ادعى أن التوفى حقيقة فى الأول، والأصل فى الإطلاق الحقيقة، فنقول: لا مانع من تشبيه سلب تصرفه عليه السلام بأتباعه وانتهاء مدته المقدرة بينهم بسلب الحياة، وهذا الوجه ظاهر جدا وقد دلت القرائن من الأحاديث الصحيحة على ذلك.

وقد جزم القرآن الكريم بأن عيسى عليه السلام لم يقتل كما زعم النصارى، بل رفعه الله تعالى إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾

(النساء: ١٥٧، ١٥٨).

وأما الاية التى فى سورة مريم فهى قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٣) لا تدل على وفاته، بل الآية ذكرت ثلاثة أيام يوم ولادته ويوم وفاته، ويوم يبعث يوم القيامة. فمر منها يوم وبقى يومان، هما يوم وفاته بعد نزوله إلى الأرض، ويوم يبعث بعد الوفاة، والقول الصحيح أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء حيا وسينزل حيّاً إلى الأرض.



٢٥ ـ خطيئة آدم عليه السلام فى الإسلام

كيف عالج الإسلام خطيئة آدم عليه السلام

الجواب

الحمد لله

لقد عالج الإسلام الخطيئة دون صلب أو قتل، ودون التجرؤ على الخالق سبحانه وتعالى بالقول بأنه تجسد ليذوق العذاب والآلام وهو معلق على الصليب... هذا ما تقوله الكنيسة، فلو أنك سألت اتباع الكنيسة قائلاً: إن لم يكن اللاهوت قد مات على الصليب وإن من مات هو الناسوت فماذا كان دور اللاهوت وهو معلق على الصليب؟ فسيكون الجواب بأن اللاهوت تعلق على الصليب ليذوق العذاب والآلام، وإن ما ذاقه الله من ألم وعذاب على الصليب هو كفارة لنا (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً).

يقول البروتستانت لقد حكم الله على الخطيئة (فى أى صورة من صورها) بأنها تستحق الموت والسبب فى ذلك هو قداسة الله المطلقة غير المحدودة، حتى أن أية خطيئة لا يمكن أن تظهر فى محضره. لأن مقتضيات قداسته وجلاله ومقامه الإلهى واعتباره السامى تتطلب القضاء الفورى الحتمى على كل خطية.

ونحن نقول: إذا كان الأمر كذلك عندكم فكيف آمنتم بتجسد الله وتعليقه على الصليب وتحمله العذاب والآلام على ذاك الصليب الذى لا يعلق عليه إلا الملاعين كما يقول الكتاب فى سفر التثنية. فأى خطايا أعظم من هذه فى حق مقام الإله السامى وقداسته وجلاله؟! أم أن قداسته المطلقة تتطلب أن يعالج الخطأ بخطأ آخر فى حقه؟!

لقد كان الإسلام واضحاً وضوح الشمس فى رابعة النهار فيما حدث لآدم عليه السلام فلقد أغوى الشيطان آدم قبل أن ينعم عليه بالنبوة فأكل وزوجته من الشجرة التى نهاهما الله عن الأكل منها. قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ **(البقرة: ٣٥ ـ ٣٧)**.

نعم لقد عصى آدم ربه قبل أن يكون نبيّاً ولكن ثم ماذا: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ **(طه: ١٢٢)**.

هكذا عالج الله عزل وجل الخطيئة، ندم آدم، فتاب، فغفر الله له ذلك الذنب، وانتهت هذه الخطيئة بالتوبة.

جميع الأنبياء لم يذكروا توارث الخطيئة

إن جميع الأنبياء السابقين، ليس فيهم من ذكر خطيئة آدم وتوارثها، ولم يسأل أى نبى الله سبحانه وتعالى أن يغفر له هذه الخطيئة التى ورثها عن آدم، فلماذا تفرد بها بولس الطرطوسى؟!

الجواب

لأنها ليست عقيدة من الله، وإنما جاءت من عقائد وثنية «فكل ما قيل وسمع عن المسيح والخطيئة والصلب والخلاص والفدية، كل ما قيل موجود فى الديانات الهندية القديمة، قاله الهنود عن «فشنو» و«براهما» و«كرشنا». وقاله البوذيون عن «بوذا»، وقاله المصريون، والفرس، واليونان عن آلهتهم القديمة أيضاً، يعتقد الهنود أن «كرشنا» المولود الذى هو نفس الإله «فشنو» الذى لا ابتداء له ولا انتهاء تحرك حنوا كى يخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه. وهذا نص دعاء هندى يتوسلون به: «إنى مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة، وحملتنى أمى بالإثم، فخلصنى يا ذا العين الحندوقية، يا مخلص المخطئين من الآثام والذنوب».

فالوثنيات القديمة هي أصل هذا الاعتقاد عند النصاري، ولذلك نجد أن تحول كثير من أصحاب الديانات الوثنية إلي المسيحية، كان سهلاً بسبب التشابه الكبير بين أصول تلك القائد مع العقائد المسيحية.

أما العقائد الإسلامية فلم تجاري العقائد النصرانية الباطلة، بل حدد القرآن المواقف تحديداً واضحاً حين نفي القول بالصلب نفياً قاطعاً، فقال عنه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٧، ١٥٨).

ولو أن القرآن كان من عند غير الله، لكان الأولي به والأيسر لرواج دعوته أن يقول بصلب المسيح، باعتبار أن هذه الإشاعة التي روجها كتبة الأناجيل بعد رفع المسيح بزمن قد انتشرت بين الناس. ففي تلك الحال فإنه يستميل النصاري إليه ويقلل من المشاكل والعقبات التي تعترض قبولهم الإسلام إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث. فالقرآن: ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧).



٢٦ ـ الروح القدس

من هو الروح القدس

ورد فى سورة البقرة آية ٨٧ النص التالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾، ماهو الروح القدس؟

الجواب

الحمد لله،

روح القدس هو جبريل عليه السلام، قال الشيخ الشنقيطى: قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ هو جبريل على الأصح، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ **(الشعراء: ١٩٣)** وقوله ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ **(مريم: ١٧)**.

أخرج ابن أبى حاتم عن أحمد بن سنان... حدثنا أبو الزعراء قال: قال عبد الله: روح القدس جبريل، ثم قال: وروى عن محمد بن كعب القرظى وقتادة وعطية العوفى والسُّدِّىُّ والربيع بن أنس نحو ذلك.

ويؤيد هذا القول ما تقدم وما رواه الشيخان البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصارى يستنشد أبى هريرة: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ياحسان أجب عن رسول الله، اللهم أيده بروح القدس» قال أبو هريرة: نعم.

التفسير المسبور للدكتور حكمت بشير ١/١٩٢ ـ ١٩٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال جماهير العلماء إنه جبريل عليه السلام فإن الله تعالى سماه الروح الأمين وسماه روح القدس وسماه جبريل. دقائق التفسير ج: ١ ص: ٣١٠.

وعقد فصلاً فى ذلك فقال:

فصل فى معنى روح القدس قال تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (المائدة: ١١٠)... فإن الله أيد المسيح عليه السلام بروح القدس كما ذكر ذلك فى هذه الآية وقال تعالى فى البقرة: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة: ٨٧) وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة: ٢٥٣) وهذا ليس مختصا بالمسيح بل قد أيد غيره بذلك وقد ذكروا هم أنه قال لداود روحك القدس لا تنزع منى، وقد قال نبينا ﷺ لحسان بن ثابت: «اللهم أيده بروح القدس» وفى لفظ «روح القدس معك» ما دمت تنافح عن نبيه» وكلا اللفظين فى الصحيح.

وعند النصارى أن الحواريين حلت فيهم روح القدس وكذلك عندهم روح القدس حدث فى جميع الأنبياء وقد قال تعالى فى سورة النحل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ١٠٢) وقد قال تعالى فى موضع آخر: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (الشعراء: ١٩٣) وقال: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٩٧) فقد تبين أن روح القدس هنا جبريل... قال: ولم يقل أحد أن المراد بذلك حياة الله ولا اللفظ يدل على ذلك ولا استعمل فيه.

دقائق التفسير ج: ٢ ص:٩٢.

الإسلام سؤال وجواب

الشيخ محمد صالح المنجد (www.islam-qa. com).

٢٧ ـ هل للتثليث وجود فى الإسلام

السؤال

التثليث عند النصارى هل له وجود فى الإسلام

فى النصرانية يستخدمون كلمة «التثليث» على أنها الركن الأساس لذلك الدين، فهل ورد ذكر لذلك الاعتقاد فى القرآن؟ وإذا كان ذلك اعتقاداً صحيحاً، أفلا يندرج ذلك تحت مقدمات الشرك.

الجواب

الحمد لله. نعم ورد ذكر لهذا الاعتقاد فى القرآن الكريم، ولكنه ورد ببطلانه والمنادة على صاحبه بالكفر والشرك، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ **(المائدة: ١٧)**، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **(المائدة: ٧٣)**، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **(التوبة: ٣٠، ٣١)**.

وصار هذا من الأمور المنتشرة علمها بين المسلمين، ولذلك أجمعوا على كفر النصارى، بل أجمعوا على كفر من لم يكفرهم، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نواقض الإسلام المجمع عليها: (من لم يكفر المشركين، أو شك فى كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر).

وإننا لنعجب من هذا السؤال والذى يظن صاحبه أن الشرك الذى عند النصارى له وجود فى دين المسلمين، ولذلك فإننا ننصح السائل بالقراءة فى كتب العقائد والتى تبين التوحيد ومعناه وأحكامه، وتبين أيضاً الشرك وأنواعه، وسماع الأشرطة المفيدة فى ذلك، فإن هذا من أوجب الواجبات على العبد، وهذا التثليث الذى يعتقده النصارى ليس من مقدمات الشرك، بل هو الشرك بعينه، والتثليث الذى اخترعه النصارى المتأخرون لا يستدل عليه بشىء من العقل والفطرة ولا بشىء من الكتب الإلهية التى أنزلها الله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم:

وهذا شأن جميع أهل الضلال مع رؤسائهم ومتبوعيهم، فجهال النصارى إذا ناظرهم الموحد فى تثليثهم وتناقضه وتكاذبه قالوا: الجواب على القسيس، والقسيس يقول: الجواب على المطران، والمطران يحيل الجواب على البترك، والبترك على الأسقف، والأسقف على الباب، والباب على الثلاثمائة والثمانية عشر أصحاب المجمع الذى اجتمعوا فى عهد «قسطنطين»، ووضعوا للنصارى هذا التثليث والشرك المناقض للعقول والأديان.. «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٤٨).

ومن حيث اللفظ فإنه لم يأت فى القرآن ولا فى السنة، بل جاء لفظ «التثليث» فى كلام العلماء عند كلامهم على التثليث فى «الاستجمار بالحجارة، الوضوء، الغسل، غسل الميت، التسبيح فى الركوع والسجود، الاستئذان للدخول للبيت، وغير ذلك.

والمعنى فى كل ما سبق إنما هو فعل الأمر ثلاث مرات، ولا علاقة له بتثليث النصارى، والذى بين الله تعالى أنه قولهم وأمرهم بتوحيده تعالى والاعتقاد بعيسى أنه رسول وليس إلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ (النساء: ١٧١)، فذكر سبحانه فى هذه الآية «التثليث والاتحاد»، ونهاهم عنهما وبين أن المسيح إنما هو ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، ثم قال: ﴿ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾. «الجواب الصحيح» (١٥/٢).

وقد ظن بعض النصارى ـ أن ضمير الجمع الدال على التعظيم فى نحو قوله تعالى: (إنا فتحنا لك)، (إنا أنزلناه) أنه يدل على عقيدتهم الفاسدة عقيدة التثليث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها: أن النبى ﷺ سمع القرآن من جبريل، وجبريل سمعه من الله عز وجل، وأما قوله (نتلوا) و(نقص) (فإذا قرأناه): فهذه الصيغة فى كلام العرب للواحد العظيم الذى له أعوان يطيعونه، فإذا فعل أعوانه فعلاً بأمره قال: نحن فعلنا، كما يقول الملك: نحن فتحنا هذا البلد، وهزمنا هذا الجيش، ونحو ذلك؛ لأنه إنما يفعل بأعوانه [1]. والله تعالى رب الملائكة وهم لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهو مع هذا خالقهم وخالق أفعالهم وقدرتهم، وهو غنى عنهم، وليس هو كالملك الذى يفعل أعوانه بقدرة وحركة يستغنون بها عنه، فكان قوله لِما فعله بملائكته: نحن فعلنا: أحق وأولى من قول بعض الملوك.

وهذا اللفظ هو من «المتشابه» الذى ذكر أن النصارى احتجوا به على النبى ﷺ على التثليث لمَّا وجدوا فى القرآن ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ ونحو ذلك، فذمَّهم الله حيث تركوا المحكم من القرآن أن الإله واحد، وتمسكوا بالمتشابه الذى يحتمل الواحد الذى منه نظيره، والذى معه أعوانه الذين هم عبيده وخلقه، واتبعوا المتشابه يبتغون بذلك الفتنة، وهى فتنة القلوب بتوهم آلهة متعددة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم.

«مجموع الفتاوى لابن تيمية» (٥/٢٣٣ ـ ٢٣٤).

---

(١) وقد كانت القوانين تصدر فى عهد الملكية البائد بغير رجعة بصيغة «نحن فاروق الأول ملك مصر».

٢٨ ـ آيات وأحاديث تدل على محبة الله فى الإسلام

سؤال

نصرانى يريد آيات وأحاديث تدل على محبة الله فى الإسلام

الجواب

أولا: الحب فى القرآن الكريم:

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران: ﴿قُلْ إن كُنتُمْ تُحبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **(آل عمران: ٣١)**

ويكفى أن نقول لهذا السائل النصرانى إن من أسماء الله الحسنى فى القرآن أنه الودود وهو الكثير الحب لعباده يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾

(البروج: ١٤).

وإليك المزيد

١ ـ الله فى الإسلام يحب العدل

جاء فى سورة الممتحنة الآية الثامنة: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ويقول الله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة الآية: ٨٧: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ **(الحجرات: ٩)**

ويقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٧). ويقول جل جلاله: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

٢ ـ الله يحب الخير وعمله

وفى ذلك يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥). ويقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤). ويقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: ١٤١) ويقول جل جلاله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١) ويقول سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص: ٧٧). ويقول سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى: ٤٠) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨) ويقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

٣ـ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) ويقول تبارك وتعالى: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

٤ـ الله يحب المؤمنين ويغفر لهم

وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١). ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨). ويقول تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (الروم: ٤٥).

٥ـ الله يحب المتقين

وفى ذلك يقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٦). ويقول سبحانه: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٤). ويقول تبارك وتعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٧).

٦ـ الله محبة ويأمر بالأخوة

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

٧ ـ الله يحب الصابرين

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

٨ ـ الله يحب المحسنين

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٨). ويقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣). ويقول أيضا: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤). ويقول سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥). ويقول سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣).

٩ ـ الله يحب المتوكلين

يقول ربنا جل جلاله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

١٠ ـ الله يحب المتواضعين

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾

(النساء: ٣٦). ويقول سبحانه: ﴿ لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣). ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦) ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

١١ ـ الله يحب الأمينين (الأمناء)

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٧). ويقول جل جلاله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨).

١٢ ـ الله محب للخير

يقول تبارك وتعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨). ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨) ويقول تبارك وتعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٣).

ثانيا: الحب فى السنة النبوية الشريفة

١ ـ قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

٢ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلّكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم» (رواه مسلم).

٣ ـ وقال: ﷺ: «تهادوا تحابوا» رواه البيهقى.

٤ ـ وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب رجلا لله فقد أحبه الله. فدخلا جميعا الجنة، وكان الذى أحب لله أرفع منزلة، ألحق الذى أحبه

لله» رواه الطبرانى والبزار بنحوه بإسناد حسن.

٥ - عن عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال: «حقت محبتى للمتحابين فى، حقت محبتى للمتواصين فى، حقت محبتى للمتباذلين فى. المتحابون فى على منابر من نور، يغبطهم بمكانتهم النبيون والصديقون والشهداء». رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم والقضاعى.

وفى رواية: «حقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى، وحقت محبتى للذين يتصادقون من أجلى» رواه الطبرانى فى الثلاثة [١] وأحمد بنحوه ورجال أحمد ثقات.

٦ - عن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتى للمتحابين فىّ، والمتجالسين فىّ والمتزاورين فى، والمتباذلين فىّ» (رواه مالك وغيره).

٧ - عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى (رواه مسلم).

٨ - قال ﷺ: «من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله (رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه [٢] وأقره الذهبى).

٩ - عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يجد حلاوة الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا لله» (رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبى).

١٠ - عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى فى النار» (متفق عليه).

١١ - عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» (رواه أبو داود بسند حسن).

---

(١) أى معجمه الكبير والأوسط والصغير.

(٢) أى الإمام البخارى والإمام مسلم.

١٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه الشيخان).

١٣ ـ عن أنس بن مالك قال: مر رجل بالنبى ﷺ وعنده ناس، فقال رجل ممن عنده: إنى لأحب هذا لله، فقال النبى ﷺ: «أعلمته؟» قال: لا، قال: «قم إليه فأعلمه» فقام إليه فأعلمه، فقال: أحبك الذى أحببتنى له ثم قال، ثم رجع فسأله النبى ﷺ فأخبره بما قال فقال النبى ﷺ: «أنت مع من أحببت، ولك ما احتسبت» (رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبى).

١٤ ـ وقال ﷺ فى الحديث الشريف يوضح أسباب حب الناس له حيث قال: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشى مع أخ لى فى حاجة أحب إلى من أن أعتكف فى هذا المسجد شهراً، فى مسجد المدينة، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام) «المعجم الصغير».

١٥ ـ قال ﷺ: (مثل المؤمنين فى توادِّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه مسلم.

١٦ ـ عن سهل بن سعد الساعدى قال: جاء رجل إلى النبى فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا علمته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» (رواه ابن ماجه وغيره، والحديث صحيح).

١٧ ـ وعن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ، بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم، فيختتم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا، ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه لأى شىء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه» متفق عليه.

١٨ ـ روى مسلم من حديث أبى هريرة ﵁ «أن رجلاً زار أخا له فى قرية أخرى فأرسل الله له على مدرجته ملكاً.. فقال إن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

١٩ ـ قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه قلنا: يا رسول الله! كلنا يكره الموت؟ قال: ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حَضر (١) جاءه البشير من الله، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقى الله فأحب الله لقاءه، وإن الفاجر أو الكافر إذا حَضر جاءه ما هو صائر إليه من الشر، أو ما يلقى من الشر، فكره لقاء الله، فكره الله لقاءه» روى بسندٍ صحيح.

٢٠ ـ قال ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه، وإذا كره لقائى كرهت لقاءه» صحيح على شرط الشيخين. (البخارى ومسلم).

٢١ ـ قال ﷺ: «إن رجلاً زار أخاً له فى قرية، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه الملك قال: أين تريد؟ قال أزور أخاً لى فى هذه القرية، قال: هل عليك من نعمة (تربها)؟ قال: لا، إلا أنى أحببته فى الله، قال: فإنى رسول الله إليك إن الله عز وجل قد أحبك كما أحببته له» صحيح على شرط مسلم.

٢٢ ـ قال ﷺ: «ما من رجلين تحابا فى الله بظهر الغيب؛ إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه» السلسلة الصحيحة بسندٍ صحيح.

٢٤ ـ قال ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فى الله فليبين له، فإنه خير فى الألفة، وأبقى فى المودة» السلسلة الصحيحة بسندٍ حسن.

٢٥ ـ قال ﷺ: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً السلسلة الصحيحة بسندٍ جيد.

٢٦ ـ قال ﷺ: «ما أحب عبد عبداً لله إلا أكرمه الله عز وجل» السلسلة الصحيحة بسندٍ جيد.

٢٧ ـ قال ﷺ: (من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ فى «المصحف») السلسلة الصحيحة بسندٍ حسن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على خاتم الرسل محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) أى حضره الموت.

٢٩ـ هل القرآن مدح المسيح والنصارى والإنجيل وأثنى عليهم

جواب

إن مدح سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ واجب معلوم من الدين بالضرورة. وأما مدح النصارى والإنجيل، فإنه بلا شك منصرف إلى الإنجيل الحقيقى الذى أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام الخالى من التناقضات والاختلافات. والنصارى الذين انعقدت آراؤهم على ذلك الإنجيل الصحيح. بخلاف من انحراف من النصارى، وساروا خلف المجامع والمثلثين. ففرق كبير بين نصرانية المسيح والتوحيد وبين نصرانية المجامع وبولس والتثليث.



٣٠ ـ مسيحى يسأل: هل يحتاج الله للعنف والسيف لينشر فكره؟ لقد حرض محمد أتباعه على القتال وأوصى بالغزو والجهاد فى سبيل الدين

جواب

أولاً: إليك أيها النصرانى الأدلة من كتابك المقدس نفسه التى تثبت أن الجهاد وحمل السيف والقتال هى من الأمور الربانية الغير مسقطة للنبوات وقد أمر بها الرب وأوصى:

ـ جاء فى سفر الخروج (٢٣: ٢٢): قول الرب لموسى:

«ها أنا مرسل ملاكى أمامك ليحرسك طوال الطريق، ويقودك إلى الأرض التى أعددتها لك... إذ يسير ملاكى أمامك حتى يدخلك بلاد الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين. الذين أنا أبيدهم. إياك أن تسجد لآلهتهم، ولا تعبدها، ولا تعمل أعمالهم، بل تبيدهم وتحطم أنصابهم».

ـ وجاء فى سفر الخروج (٣٤: ١١): أن الرب أمر موسى بدخول أراضى الأمم الأخرى ليحطم أصنامهم ومذابحهم الوثنية فى سبيل نشر دينه يقول النص:

«أطع ما أوصيتك اليوم به. ها أنا طارد من أمامك الأموريين والكنعانين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. إياك أن تعقد معاهدة مع سكان الأرض التى أنت ماض إليها لئلا يكونوا شركاً لكم. بل اهدموا مذابحهم، واكسروا أنصابهم، واقطعوا أشجارهم المقدسة. إياكم أن تعبدوا إلهاً آخر غيرى، لأن الرب اسمه غيور جدا».

- وجاء فى رسالة بولس إلى العبرانيين (٧: ١، ٢) أن نبى الله إبراهيم حارب الملوك وقهرهم وأخذ الغنائم منهم!!

فإذا كان حمل السيف هو أمر منافٍ للنبوة فلماذا أمر الرب موسى وإبراهيم بحمله؟

ثم كيف يقول الرب لنبيه حزقيال فى سفر حزقيال (١١: ٨) الآتى:

«قد فزعتم من السيف، لذلك أجلب السيف عليكم، يقول الرب. وأخرجكم من وسط المدينة وأسلمكم إلى قبضة أعدائكم، وأنفذ فيكم أحكاماً، فتقتلون بالسيف. وأنفذ قضاء فيكم فى تخوم إسرائيل، فتدركون حينئذ أنى أنا الرب».

يقول كاتب سفر العدد (٣١: ١):

«وقال الرب لموسى: «انتقم من المديانيين لبنى إسرائيل، وبعدها تموت وتنضم إلى قومك». فقال موسى للشعب: «جهزوا منكم رجالاً مجندين لمحاربة المديانيين والانتقام للرب منهم أرسلوا للحرب ألفاً واحداً من كل سبط من أسباط إسرائيل... فحاربوا المديانيين كما أمر الرب واقتلوا كل ذكر؛ واقتلوا معهم ملوكهم الخمسة: أوى وراقم وصور وحور ورابع، كما قتلوا بلعام بن بعور بحد السيف. وأسر بنو إسرائيل نساء المديانيين وأطفالهم، وغنموا جميع بهائمهم ومواشيهم وسائر أملاكهم، وأحرقوا مدنهم كلها بمساكنها وحصونها، واستولوا على كل الغنائم والأسلاب من الناس والحيوان...»

ولا تنسَ أيها المسيحى أنك تعتقد بأن العهد القديم هو كلام الله وعندكم وعلى الأخص عند الأرثوذكس أن المسيح هو الله فيكون بذلك أن مسيحكم هو الذى أمر موسى بالقتال وحمل السيف وإحراق مدن ومساكن المديانيين وغيرهم!!

والآن هيا بنا نقرأ كيف أن بولس نفسه يرحب ويبتهج بالأنبياء الذين قاتلوا وحملوا السيف:

فهو القائل: «وهل من حاجة بعد لمزيد من الأمثلة؟ إن الوقت لا يتسع لى حتى أسرد أخبار الإيمان عن: جدعون وباراق وشمشمون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء. فبالإيمان. تغلب هؤلاء على ممالك الأعداء، وحكموا حكماً عادلاً ونالوا ما

وعدهم به الله، وبه، أطبقوا أفواه الأسود، وأبطلوا قوة النار، ونجوا من الموت قتلاً بالسيف. وبه أيضاً نالوا القوة بعد ضعف، فصاروا أشداء فى المعارك، وردوا جيوشاً غريبة على أعقابها». (الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ٣٢).

وهكذا يتناقل بولس أخبار الدمار والقتل على يد الأنبياء بالابتهاج والتحميد...

لقد دأب المسيحيون على التشنيع على المسلمين بأن دينهم دين حرب وقتال وسفك للدماء وتعطش للنساء والأموال، ويزعمون أن هذا هو الدافع الرئيسى وراء الفتوحات الإسلامية!

ولا زالت على نفس المنهاج فى الرد عليهم من كتبهم... فأثبت أن فى كتابهم المقدس ما لا يخطر على البال من الحروب والإبادة وأخذ الأموال بأمر الرب مما لا يقارن بحال مع ما ينكرونه على المسلمين:

أولاً: إباحة قتل الرجال والنساء والأطفال من ست قبائل كاملة مع التدمير الكامل!!!

مع أن الإسلام نهى عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان.

ورد فى سفر التثنية (٢٠ : ١٠) قول الرب:

«وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً. فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيداً لكم. وإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها فإذا أسقطها الرب إلهكم فى أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما فى المدينة من أسلاب، فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التى وهبها إلهكم لكم. هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم التى ليست من مدن الأمم القاطنة هنا.

أما مدن الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثاً فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها، كمدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمركم الرب إلهكم، لكى لا يعلموكم رجاساتهم التى مارسوها فى عبادة آلهتهم، فتغووا وراءهم وتخطئوا إلى الرب إلهكم».

ثانياً: طرد وإبادة سبع أمم بكاملها، وعدم قبول العهد والصلح منهم

جاء فى سفر التثنية (٧: ١) قول الرب لموسى:

«ومتى أدخلكم الرب إلهكم إلى الأرض التى أنتم ماضون إليها لترثوها، وطرد من أمامكم سبع أمم، أكثر وأعظم منكم، وهم الحثيون والجرجاشيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون. وأسلمهم الرب إليكم وهزمتموهم، فإنكم تحرمونهم. لا تقطعوا لهم عهداً، ولا ترفقوا بهم، ولا تصاهروهم. فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم، ولا أبناءكم من بناتهم، إذ يغوون أبناءكم عن عبادتى ليعبدوا آلهة أخرى، فيحتدم غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً. ولكن هذا ما تفعلونه بهم: اهدموا مذابحهم وحطموا أصنامهم وقطعوا سواريهم وأحرقوا تماثيلهم».

وجاء فى سفر العدد (١: ٤٥).

«فكان المجموع الكلى للرجال المحصين من إسرائيل البالغين من العمر عشرين سنة فما فوق، حب بيوت آبائهم من القادرين على القتال فى الحرب فى إسرائيل ست مئة ألف وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسين».

عدم إحصاء سبط لاوى

أما اللاويون المنتسبون لسبط آبائهم فلم يحصوا بينهم، إذ قال الرب لموسى: «أما سبط لاوى فلا تحسبه ولا تحصه بين بنى إسرائيل».

ثالثاً: صورة أخرى من القتل والاستيلاء على المغانم:

ورد فى سفر العدد (٣١: ١٧):

«فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا أيضاً كل امرأة ضاجعت رجلاً، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً».

أوامر الرب بأخذ الغنائم وتوزيعها:

جاء فى سفر العدد (٣١: ٢٥):

«وقال الرب لموسى: «أحص أنت وأعازار الكاهن ورؤساء العشائر الغنائم

والسبى من الناس والحيوان، وقسم الغنائم مناصفة بين الجند المشتركين فى الحرب وبين كل الجماعة. وخذ نصيباً للرب من غنائم أهل الحرب، واحداً من كل خمس مئة من الناس والبقر والحمير والغنم. من نصف أهل الحرب تأخذها وتعطيها لألعازار الكاهن تقدمة للرب. وتأخذ من نصف بنى إسرائيل واحداً من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم وسائر البهائم، وتعطيها للاويين القائمين على خدمة خيمة الاجتماع.

فنفذ موسى وألعازار الكاهن كما أمر الرب موسى. وكان النهب المتبقى من غنائم رجال الحرب من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفاً، ومن البقر اثنين وثلاثين ألفاً. فكان النصف نصيب أهل الحرب، من الغنم ثلاث مئة وسبعة وثلاثين ألفاً وخمس مئة. وكانت زكاة الرب منها ست مئة وخمسة وسبعين، ومن البقر ستة وثلاثين ألفاً، وزكاة الرب منها اثنين وسبعين، ومن الحمير ثلاثين ألفاً وخمس مئة، وزكاة الرب منها واحداً وستين، ومن النساء العذارى ستة عشر ألفاً، وزكاة الرب منها اثنين وثلاثين نفساً. فأعطى موسى الزكاة تقدمة الرب لألعازار الكاهن، كما أمر الرب موسى. أما نصف غير المحاربين من الإسرائيليين من الغنيمة الذى قسمه موسى من كامل غنائم أهل الحرب، فكان من الغنم ثلاث مئة وسبعة وثلاثين ألفاً وخمس مئة، ومن البقر ستة وثلاثين ألفاً، ومن الحمير ثلاثين ألفاً وخمس مئة، ومن العذارى ستة عشر ألفاً. فأفرز موسى من نصيب الإسرائيليين واحداً من كل خمسين من النساء ومن البهائم وأعطاها للاويين القائمين على خدمة المسكن، كما أمر الرب موسى».

وفى سفر التثنية (٢: ٣٥ - ٣٦): «وغنيمة المدن التى أخذنا.. الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا».

وفى سفر التثنية (٢٠ : ١٠) يقول الرب لموسى: «وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً. فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيداً لكم. وإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها فإذا أسقطها الرب إلهكم فى أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال

والبهائم، وكل ما فى المدينة من أسلاب، فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التى وهبها الرب إلهكم لكم. هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم التى ليست من مدن الأمم القاطنة هنا».

وفى سفر التكوين (تك: ٤٩ : ٢٧) فى صفات بنيامين: «فى الصباح يأكل غنيمة، وعند المساء يقسم نهباً» أى محارب.

وفى سفر يشوع (١١ : ١٤): «ونهب الإسرائيليون لأنفسهم كل غنائم تلك المدن. أما الرجال فقتلوهم بحد السيف فلم يبق منهم حى. كما أمر الرب موسى عبده هكذا أمر موسى يشوع، فنفذ يشوع ما عهد إليه به فلم يغفل شيئاً من كل ما أمر الرب به موسى».

رابعاً: داود النبى وقواته يقتلون ٤٠ ألف فارس:

وفى صموئيل الثانى: ١٠ : ١٨.

«واجتاز نهر الأردن حتى قدم إلى حيلام فالتقى الجيشان فى حرب ضروس. وما لبث الأراميون أن اندحروا أمام الإسرائيليين، فقتلت قوات داود رجال سبع مئة مركبة، وأربعين ألف فارس. وأصيب شوبك رئيس الجيش ومات هناك».

خامساً: مزيد من الغنائم والاضطهاد للشعوب المغلوبة:

جاء فى سفر صموئيل الثانى ١٢ : ٢٦ ما يلى:

«وهاجم يوآب ربة عمون واستولى على عاصمة المملكة، ثم بعث برسل إلى داود قائلاً: «لقد حاربت ربة واستوليت على مصادر مائها، فالآن احشد بقية الجيش وتعال هاجم المدينة وافتتحها، لئلا أقهرها أنا فيطلقون اسمى عليها». فحشد داود كل الجيش وانطلق إلى ربة وهاجمها وافتتحها، وأخذ تاج ملكهم عن رأسه، ووزنه وزنة (نحو أربعة وثلاثين كيلو جراماً) من الذهب والأحجار الكريمة، وتتوج به. كما استولى على غنائم وفيرة. واستعبد أهلها وفرض عليهم العمل بالمعاول والمناشير والفؤوس وأفران الطوب. وعامل جميع أهل مدن العمونيين بمثل هذه المعاملة. ثم عاد داود وسائر جيشه إلى أورشليم».

سادساً: والتاريخ الحديث شاهد على جرائمهم واعتداءاتهم

ثانياً : إن القتال شريعة جعلها الله لإبطال الباطل وإحقاق الحق وحماية الدين «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً».

ولا يستغرب صدور الأمر بقتال الكفار ممن أعد لهم فى الآخرة ناراً تلظى، ألم يأمر الرب بقتل كل من يذبح للأوثان (انظر الخروج ٢٢/ ٢٠)، وأمر بقتل ٢٣ ألف رجل عبدوا العجل (انظر الخروج ٣٢)، وأمر بقتل من عمل بالسبت (انظر الخروج ٣٥/ ٢).

وقد أمر الله أنبياءه بحمل السلاح لمواجهة عدوهم، وتحكى التوراة عن مذابح يشيب لها الولدان ارتكبها بنو إسرائيل فى حربهم المقدسة ضد أقوام من الوثنيين، فمما تنسبه التوراة لله عز وجل أنه قال لموسى «إذا دنوت من القرية لتقاتلهم ادعهم أولاً بالصلح.. فأما القرى التى تُعْطَى أنت إياها فلا تستبق منها نفساً البتة، ولكن أهلكهم إهلاكاً كلهم بحد السيف الحيثى والأمورى والكنعانى والفرزى.. كما أوصاك الرب إلهك» (التثنية ٢٠/ ١٠ ـ ١٧) فالنص يتحدث عن أحكام القتال التى شرعت لبنى إسرائيل، وفى نص آخر »إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التى تدخل لترثها وبيد الشعوب الكثيرة من قدامك الحيثى والجرجانى والأمورانى والكنعانى والفرازى والحواى واليبوسانى سبعة أمم أكثر منكم عدداً وأشد منكم، وأسلمهم الرب إلهك بيدك، فاضرب بهم حتى أنك لا تبقى منهم بقية، فلا تواثقهم ميثاقاً ولا ترحمهم، ولكن فافعلوا بهم هكذا: مذابحهم فاخربوها، واكسروا أصنامهم...» (التثنية ٧/ ١ ـ ٥) فعلم من النص أن بنى إسرائيل أمروا بقتل سبع أمم أكثر عدداً منهم. يقول القسيس مريك فى كتابه «كشف الآثار»: «علم من الكتب القديمة أن البلاد اليهودية كان فيها.. ثمانية كرورات (أى ثمانون مليوناً) من ذى حياة»، وقد أمر بنو إسرائيل بقتلهم، وعليه فلا يجوز للنصارى الاعتراض على جهاد المسلمين، فقد أذن للأنبياء قبله، ثم أذن له ﷺ.

وتتحدث التوراة أيضاً عن تنفيذ بنى إسرائيل للأمر كما فى سفر المجازر (يشوع) فقد قتلوا حتى النساء والأطفال والحيوان، وفى سفر القضاة أن شمشون

أخذ فك حمار... وقتل به ألف رجل» (القضاة ١٥/ ١٥)، وتذكر التوراة أن داود لما سار إلى رابة، وانتصر على أهلها صنع فظائع» والشعب الذين كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير وداسهم بنوارج حديد، وقطعهم بالسكاكين، وأمرَّهم فى أتون الآجر، كذلك صنع بجميع قرى بنى عمون» (صموئيل ١٢/ ٣١).

ومثل هذه الفظائع لم يقع فى جهاد المسلمين لأعدائهم فما كانوا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا الدهماء من الناس، ويجدر أن نذكر بوصية الصديق حيث قال لأسامة بن زيد وجنده «لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعزقوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل. وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،



٣١ ـ سؤال: ما معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ مع أن النبى لم يكن رحمة للكافرين؟

الجواب

أولاً: لقد ذكر جل وعلا فى هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النَّبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم. لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه. ومن خالف ولم يتبع فهو الذى ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى. وضرب بعض أهل لعلم لهذا مثلاً قال: لو فجر الله عينا للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول. فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها. فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقى أناس مفرطون كسالى عن العمل. فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة فى نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين. ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها. ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾

(إبراهيم: ٢٨).

فالرسول ﷺ كان رحمة عامة من حيث إنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، ومن لم يتبعه فهو الذى قصر فى حق نفسه وضيع نفسه من الرحمة.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية:

وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ **(الأنبياء: ١٠٧)** يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين أى أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل الرحمة وشكر هذه

النعمة سعد فى الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾.

ثانياً: إن الرسول ﷺ كان رحمة للكافرين أيضاً من حيث إن عذاب الاستئصال أُخِّر عنهم بسببه. وقد روى عن ابن عباس، فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ قال: من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة فى الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفى مما أصاب الأمم من الخسف والقذف.



٣٢ ـ سؤال: لماذا أمر الإسلام بقطع يد السارق؟

جاء فى سورة المائدة: ٣٨ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

إذا كان القرآن وضع شريعة قطع يد السارق خلافا لكل الشرائع السماوية والوضعية، ألا يسىء هذا إلى الإنسانية ويجعل أصحاب الأيدى المقطوعة، حتى بعد توبتهم، عالةً على المجتمع، يعيشون فيه بمرارة ناقمين عليه؟

جواب

إليك أيها النصرانى الجواب من كتابك المقدس نفسه:

أولا من العهد القديم:

قال الرب لموسى: «ومن سرق إنساناً وباعه أو وجد فى يده، يقتل قتلاً» (خروج ٢١ : ١٦)

سفر الخروج (٣١ : ١٤) قال الرب: «سُبُوتى تحفظونها لأنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم. من دنسه يقتل قتلا. إن كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها».

أى أن من يعمل أى عمل يوم السبت يقتل قتلاً وهناك أيضاً قصة من جمع بعض الحطب يوم السبت وتم رجمه حتى الموت.

والنص الثانى من سفر التثنية (٢٥ : ١١) «إذا تخاصم رجلان رجل وأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لتخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته

فاقطع يدها ولا تشفق عينك».

إننا نجد فى هذا النص إن قطع اليد هى شريعة ربانية منصوص عليها وبدون شفقة أيضاً!

ثانياً من العهد الجديد:

جاء فى إنجيل متى (١٨ : ٨) قول المسيح «فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى أتون النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى جهنم ولك عينان»

وهذا النص واضح الدلالة على جواز قطع الأيدى والأرجل بل والأعين كذلك حتى نتجنب اتون النار الأبدية. والأمر واضح جدا ولا يحتاج إلى شرح.

ويفسر التفسير التطبيقى هذا العدد بالطريقة الرمزية المعتادة ويذكر: «ليس معنى هذا أن نقطع جزءا من جسدنا ولكن معناه إزالة أى شخص أو برنامج (هكذا!!!) أو تعليم فى الكنيسة يهدد النمو الروحى للجسد» ولكن فى تاريخ الكنيسة قصص لأناس مثل سمعان الخزاز واورجانيوس الذى خصى نفسه وإليك ما يقول القمص تادرس يعقوب فى تفسيره: «فإن كنا بالروح القدس النارى نعرف كيف نقدم ايدينا العثرة لصليب يسوع المسيح فتبتر لا نبقى بلا يدين إنما يصير المسيح نفسه يدينا العاملتين وكذلك الرجلين نقدمهما بالروح القدس ربنا يسوع لبترها ونلبس السيد نفسه ذى القدمين النحاستين....!!!! حتى نعبر إلى حضن أبيه ونحن فى أمان روحى وسلام فائق»

وقد جاء فى إنجيل متى (١٩ : ٣) قول المسيح:

«لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس. ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل».

ومن يضحى بهذا العضو من أجل ملكوت السموات ما يمنعه أن يضحى بيديه إذا سرق أموال الناس.

او إليك النص التالى الوارد فى إنجيل متى والذى يدعو من لا يؤمن بالانتحار (متى ١٨ : ٦): «ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر».

ثانياً: أن أحكام الإسلام هى أحكام عادلة وحكمته هى الحكمة البالغة فيما قرر من حدود، لأن فيها ردعاً للمعتدين ورحمة بأغلبية الناس الساحقة حين تصان لأعراض والأنفس والأموال والحقوق. ثم إن الإسلام وضع الضوابط والشروط الكثيرة فى تطبيق هذه الحدود. وكيف كان استخدامها فى التاريخ الإسلامى، على أضيق نطاق.

وقد بين الشيخ سيد سابق كيف ساعدت الحدود الشرعية فى الإسلام على توفير أمن حقيقى للمجتمع والعائلة، بينما أدت قوانين العقوبات الغربية إلى ازدياد وتكاثر السرقات وحالات الاغتصاب والاعتداء على الأبرياء والآمنين، وهؤلاء أولى بالتفكير فى ما يتعرضون له من قسوة ووحشية من التفكير بتخفيف العقوبات التى تنزل بالمجرمين. فالأولى مراعاة مصالح الناس وأمنهم وحياتهم حين يواجه موضوع الأحكام التى تردع فعلاً مرتكبى الجرائم بحقهم.

يقول الدكتور عبد الجليل شلبى فى معرض رده على هذه الشبهة الواهية فى كتابه المسمى «رد مفتريات المبشرين على الإسلام»

«..لماذا أشفق القوم من قطع أيدى السراق؟.. إنه لا يشفق من العقوبة إلا من يرتكب موجباتها، فهل فى عزم القوم أن يسرقوا وينهبوا، أم هم كذلك فعلاً فلهذا يخشون أن ينفذ فيهم هذا القانون، لأن يكون اللص عاجزاً بقطع يده خير من أن يؤذى بها الناس ويسرق ممتلكاتهم.

.... وهب أن السارق بعد قطع يده يعيش عالة على الدولة أليس تحمل شخص مشقة مَّا أخف من إيذاء الألوف؟

وقد أوصى السيد المسيح بالقتل عقوبة على الزنا المطلق بقلع العين إذا نظرت نظرة اشتهاء وبقطع اليد التى تخطئ وتقع فى العثرات.

«فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى أتون النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى جهنم ولك عينان» إنجيل متى (١٨ : ٨)، مت (٥ : ٢٨ ـ ٣٠)

وتعاليم المسيح هذه واضحة التعليل وهى أقسى مما فى القرآن.

وليس فى المسيحية قوانين تشريعية مفصلة لأن شريعة المسيحيين هى شريعة التوراة، وفى سفر الخروج شرائع مطولة أملاها الله على موسى عندما قال له: «هكذا تقول لبنى إسرائيل: أنتم رأيتم من السماء تكلمت معكم...» (خروج ٢٠)

«وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى تأخذه للموت»

(خرج ٢١ : ١٤)

«من يخطف إنسانا ويبعه أو يسترقه عنده حتما يمت» (خروج ٢١ : ١٦)

«إن تضارب رجال وصدموا امرأة حاملا فأجهضت من غير أن تتأذى، يدفع الصادم غرامة بمقتضى ما يطالب به الزوج ووفقا لقرار القضاة أما إذا تأذت المرأة، تأخذ نفسا بنفس، وعينا بعين، وسنا بسن، ويدا بيد، ورجلا برجل، وكيا بكى، وجرحا بجرح، ورضا برض». (خروج ٢١ : ٢٢)

وإذن كان أولى بالقوم أن يصلحوا شريعتهم لأن شريعة القرآن أرحم وأدق، ولكن انظر أيضاً هذا التشريع:

«إذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات، يرجم الثور حتى الموت ولا تأكلوا لحمه، ويكون صاحب الثور بريئا. أما إن كان الثور نطاحا من قبل، وسبق إنذار صاحبه، فلم يكبحه، فقتل رجلا أو امرأة، يرجم الثور، ويقتل صاحبه» (خروج ٢١ : ٢٨)

٣٣ ـ الحكمة من الطواف حول الكعبة ورمى الجمرات

سؤال

ما الحكمة من الطواف حول الكعبة المشرفة ورمى الجمرات فى الحج؟

جواب

الحكمة من الطواف بينها النبى ﷺ حين قال: «إنما جعل الطواف بالبيت والصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله» رواه أبو داود، فالطائف يطوف بجسده وأما قلبه وروحه فإلى الله اتجاهما، وبه تعلقهما. ولسان الحاج وقلبه يلهجان بقولهما: «لبيك اللهم لبيك» وما سمعنا عن أحد أنه قال: «لبيك يا كعبة لبيك»»، فالطواف والتلبية استجابة لأمر الله، وليست للكعبة.. ولعل مما يفسر هذا قول بعض الصالحين: طاف الجسد بالبيت، وطاف القلب برب البيت.

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ **(البقرة: ١٢٥)**.

وأما ما أورده بعض الزنادقة من أن الطواف بالبيت هو وثنية، فذاك من زندقتهم وإلحادهم وجهلهم، فإن المؤمنين ما طافوا به إلا بأمر الله، وما كا بأمر الله فالقيام به عبادة لله تعالى.

ويرجم الحاج الشيطان رمزاً لما بعد الحج، فهى رياضة روحية للمؤمن، لذلك فإن الحاج بعد الحج يتذكر الرجم والحرب التى أعلنها على الشيطان، فلا يتلكأ عن

معاداة من رجمه، ولذا تتوضح آثار الرجم بعد الحج فى السلوك والمعاملات وفى الصمود للمغريات.

ألم تر عزيزى السائل إلى الجندى وهو يتدرب على تمثال من ورق أو خرق، يطعنه ويصرخ، فَلِمَ يفعل هذا؟

هل هذا سخف؟ لا... لأنه تدريب ليوم اللقاء الحقيقى مع الأعداء.

ألم تسمع عن الجيوش، إنها تقوم بمناورات بذخيرة غير حية، فهل تهدر الوقت وتضيع تعب الجند وجهدهم والزخيرة عبثاً؟ لا.. إنها تتدرب على هدف رمزى تحتله وهو من بلادها، ويهتف الجند صيحة النصر. إن هذا رمز وتدريب للمعركة الحقيقية القادمة.

وكذلك الرجم: إنه لرمز كتمثال الجندى، وكالبقعة التى احتلت وصرخ الجميع لاحتلالها صرخة النصر.. فتمثل الشيطان الذى يصد عن سبيل الله فى مكان الرجم ثم رجمه، معناه لا طاعة له بعد اليوم، بل حرب معلنة بين الحاج وبينه حتى يلقى الحاج ربه، فكلما عرض له فى أمر يريد غوايته تذكر الرجم والحرب المعلنة، فلا يخضع له ولا يطيعه، وتبقى طاعته لله وحده...

إن فى الحج تتحقق منافع دينية ودنيوية معاً، فيه منافع روحية وأدبية واجتماعية واقتصادية.. ففى المؤتر الكبير الذى يعقد فى عرفات، رمز لتوحيد كلمة المسلمين وتوجيههم إلى تدارس المشكلات والأمور التى تواجه شعوبهم، وفى الحج مساواة عملية بين الأمير والفرد العادى، فلا تمييز: لباس واحد، وحياة واحدة، بل سمو فوق المادة والحسب والنسب والمال والجاه.

حقا إن هذا المؤتر الإسلامى العالمى لا شبيه له... الحج رياضة روحية وفكر وروح وتربية ومنافع.

يقول الدكتور وهبة الزحيلى تحت عنوان: (ليشهدوا منافع لهم):

الإسلام وشرائعه خير كلّه، وصلاح كلّه، وفضل ونعمة مسداة كلّه، مَن دان به رشد، ومَن عمل به سعد، ومَن التزمه فاز ونجا، ومَن أعرض عنه أو انحراف زاغ

وضلّ، وتاه وشذّ.

وكلُّ شىء فى هذا الإسلام العظيم من عقيدة قائمة على التوحيد الخالص، والتنزيه المطلق لله. وعبادة تصقل النفوس، وتهذب الطبائع، وتربى القلب، وتصحح الفكر، وتصلح الفرد والمجتمع. ومعاملة قائمة على الحقّ، والعدل والميزان، والاستقرار. وأخلاق وفضائل تقوِّم الاعوجاج، وتلجم الأهواء والشهوات، وتنمى عواطف الحبّ والودّ والخير والسلام، وتحقق الاستقامة والرشد، وراحة النفس والضمير، وسلامة الأمة والجماعة... كل هذه العقائد والعبادات، والأخلاق والمعاملات، ذات غايات سامية ومقاصد عالية، هدفها تهذيب النفس الإنسانية، وتربية الإنسان تربية قويمة صحيحة، توفّر على العلماء والدولة والمعلمين ثروات كبرى، لا تحتاج إلا إلى شىء من التذكير والبيان، والتبسيط فى تحديد الأهداف والسمات المميزة لها.

وهذا واضح كل الوضوح، ففى جانب العبادات المفروضة فى الإسلام - من صلاة وزكاة وصيام وحجّ على سبيل المثال - حصر دقيق لغايتها فى القرآن، يدور حول التقويم والتهذيب والتربية والإصلاح، وأكتفى بإيراد آية كريمة فى كلّ منها عدا الحجّ

ففى قوله تعالى عن الصّلاة: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ **(العنكبوت: ٤٥)** بيان الغاية التربوية منها.

وفى قوله سبحانه عن الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ **(التوبة: ١٠٣)** إرشاد لجانب التطهير وتزكية النفوس وتخليصها من آفات البخل والشح، وإنقاذ المستضعفين من الفقراء والمساكين من ذلِّ الحاجة والضعف والعوز.

وفى قوله - عزّ وجلّ - عن صيام شهر رمضان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ **(البقرة: ١٨٣)** بيان صريح لثمرة الصوم وفائدته العظمى، وهى إعداد النفس لتقوى الله، بترك الشهوات المباحة والمحظورة، وتقويم النفس وتربيتها وتزكيتها، والالتزام بالمأمورات الإلهية، واجتناب المنهيات.

فهذه كلها غايات تربوية سامية تتحقق بممارسة العبادات، ومنها فريضة الحجّ

بدءًا من رحلة المغادرة للوطن ثم العودة إليه، وهذه الرحلة تدريب عملى ميدانى على آداب الإسلام وأخلاقه، وتجرد خالص للعبادة، وإظهار شامل للطاعة المطلقة، وتصفية الأعمال من شوائب المادة وآصار الدنيا ومغرياتها، وتعلقات الحياة الرغيدة ومفاتنها، وتجوال الفكر العميق فى تقديس الله ـ تعالى ـ وجلاله وعظمته، وتحقيق ـ كغيره من العبادات ـ لمنافع الدين والدنيا والآخرة.

قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٧ ـ ٢٨)

فجاء الأمر الإلهى ـ فى هاتين الآيتين ـ بفريضة الحجّ، مقروناً ببيان حكمة الحجّ، للفرد والجماعة والأمة، فى نطاق العبادة والنفع الذاتى والاجتماعى والسياسى، فكانت منافعه وفوائده خاصة وعامة، لأنه بمثابة مؤتمر عام، يستفيد منه الحجّاج فوائد دينية بأداء الفريضة، وتربوية أخلاقية بالممارسة الفعلية للعلاقات الاجتماعية الحساسة والعادية، وسياسية إسلامية. يتداول فيه المسلمون ـ بنحو جماعى ـ أوضاع بلادهم، وشئون شعوبهم، بإخلاص وصراحة، وجدية وحرارة، ونقد بنّاء، ومذاكرة فى هموم وآمال الأمة الإسلامية، يعودون بعدها لبلادهم، وهم مزودون بماينبغى فعله على الصعيدين: المحلى الخاص والدولى العام، واضعين نصب أعينهم وحدة الأمة الإسلامية ومصلحتها العليا، وأخوّة المؤمنين وما تتطلبه من تضحيات جسام وتعاون وتضامن فعّال، ووقوف بصرامة وجرأة أمام مخططات الأعداء ومؤامراتهم الخبيثة أو المشبوهة، ومحاولة التغلب عليها وإحباطها، حفاظاً على العزّة والكرامة الإسلامية، وحماية لوجود المسلمين، ورعاية لمصالحهم فى الداخل والخارج، سواء فى وقت السلم والاستقرار، أو فى وقت المحنة والحرب والصراع المسلح، والمجابهة الاقتصادية والتحديات المختلفة.

والكلام عن الآية: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ يحتاج لبيان معنى اللام فى الفعل، ومعرفة سبب تنكير كلمة «منافع»، وتحديد أنواع المنافع.

أمّا معنى لام «ليشهدوا» فهو ـ كما جاء فى تفسير الميزان ـ للتعليل أو الغاية،

والجار والمجرور فى «لهم» متعلق بقوله: «يأتوك» والمعنى: يأتوك لشهادة منافع، أو يأتوك فيشهدوا منافع لهم. وجاء فى أحكام القرآن لابن العربى: هذه لام المقصود والفائدة التى ينساق الحديث لها، وتتسَّق عليه، - أى لام الغاية والصيرورة - وأجلّها قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ **(الطلاق: ١٢)**. وقد تتصل هذه اللام بالفعل، كما تقدم، وتتصل بالحرف كقوله تعالى: ﴿... لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ...﴾ **(الحديد: ٢٩)**.

وأما تنكير كلمة «منافع» فهو كما قال الفخر الرازى: إنما نكَّر المنافع؛ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة، دينية ودنيوية، لا توجد فى غيرها من العبادات. وقال الآلوسى: «منافع» أى عظيمة الخطر، كثيرة العدد، فتنكيرها - وإن لم يكن فيها تنوين - للتعظيم والتكثير، ويجوز أن يكون للتنويع، أى نوعاً من المنافع الدينية والدنيوية.

وأما المراد بكلمة «منافع» فيروى عن محمد الباقر رضي الله عنه تخصيص المنافع بالأُخروية وهى العفو والمغفرة. وفى رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما تخصيصها بالدنيوية. أى أنه حملها على منافع الدنيا، وهى أن يتجروا فى أيام الحجّ، وتكون إذناً بالاتجار، كما جاء فى آية أخرى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ **(البقرة: ١٩٨)**. قال القرطبى: ولا خلاف فى أن المراد بالآية: التجارة.

والأولى عند جماهير المفسِّرين حمل الكلمة على الأمرين، أى المنافع الدينية والدنيوية معاً، وروى ذلك عن ابن عباس، فقد أخرج ابن أبى حاتم عنه أنه قال فى الآية: منافع فى الدنيا ومنافع فى الآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البُدْن (الإبل والبقر ونحوهما) فى ذلك اليوم، والذبائح والتجارات. وخصّ مجاهد منافع الدنيا بالتجارة، فهى جائزة للحاج من غير كراهة، إذا لم تكن هى المقصودة من السفر. وهذا مستبعد؛ لأن نداءهم ودعوتهم لذلك غير مقصود فى العبادة، بحسب العادة التشريعية.

والتعميم يشمل أربعة أمور: هى شهود (أى حضور) المناسك، كعرفات والمشعر الحرام، والمغفرة، والتجارة، والأموال، والمعنى: ليحضروا منافع لهم، أى ما يرضى الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة، فتتحقق بالحج منافع الدنيا والآخرة، وما أكثرها

وأجداها لكل مؤمن.

وأرجح القول بالعموم؛ عملاً بالمعهود من كثرة أفضال الله وعوائده الحسنى على الناس؛ ولأن مقتضى الترغيب والتحريض على أداء الحجِّ يناسب ذلك، ولا داعى للتضييق وتحجير الواسع، فإن سعة رحمة الله شملت كل شىء. قال ابن العربى: والدليل عليه عموم قوله: «منافع» فكل ذلك يشتمل عليه هذا القول. وهذا يعضده تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وذلك هو التجارة بإجماع من العلماء. فيكون القصد من المنافع ـ إذن ـ منافع الدنيا والآخرة:

المنافع الدنيوية

هى التى تكون سبباً لتقدم الحياة الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والعادات كلها. فيكون الحج والعمرة مدرسة عملية تدريبية على تحقيق المساواة التامة بين الناس فى مظهرهم وحقوقهم وواجباتهم، فلا يتميز غنى بغناه، ولا يعرف فقير بفقره، ولا حاكم بعزته وسلطانه، ولا متنفذ ذو جاه بنفوذه وجاهه، ولا متفوق فى أى شىء بتفوقه وتميزه فكراً وعملاً واختراعاً وتطبيقاً. الكل يضرعون إلى الله، ويتجهون إلى عزته، والطمع بعفوه ومغفرته، والجميع يتساوون فى أداء المناسك والشعائر فى الوقوف بعرفات، والمشعر الحرام، ورمى الجمار، والطواف حول الكعبة المشرفة، والسعى بين الصفا والمروة، والحلق أو التقصير.

وبعد أداء المناسك يتذاكر الحجاج الآراء فى تبادل خيراتهم ومنتجاتهم وثرواتهم، فينتفع الكل فرداً وجماعة، ويعقدون الصفقات أو يصدرون الوعود، وتتم المكاتبات ومعرفة العناوين لإكمال ما تمت المفاوضة حوله.

وفى أثناء ممارسة تلك الشعائر يتعاطف الناس، ويتعلمون كيفية التخلص من داء الشح والبخل، فتسخو الأيدى، ويكثر العطاء والبذل، ويزداد الإنفاق فى سبيل الله، وتراق الدماء من الأضاحى والقربات، ويعم الخير الطوعى، ويستفيد الكل من هذا وذاك. وهذا يحقق تضامناً وتكافلاً اجتماعياً وطيد الجذور بين الأسرة الإسلامية الكبرى، ويغتنى الفقراء، وتظهر ثمرات نداء سيدنا إبراهيم عليه السلام فيما حكاه الله عنه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

ويقوى الشعور بالانتماء الخالد للأمة الإسلامية، والغيرة على مصالحها، والإحساس بواجب المسلم وحقه على أخيه المسلم، وضرورة الإسهام فى تفادى المشكلات، وتخطى المحن والأزمات والصعاب، وترسيخ جذور وحدة المسلمين، بالتعارف والتآلف، وتقييم الأحوال والأوضاع، والتخطيط لمستقبل باسم زاهر بعيد عن العثرات والمآسى والآلام. ويشعر الحجاج بقوة الروابط التى تربطهم بإخوانهم فى المشارق والمغارب، والتى أنعم الله بها عليهم، فأنشأها الإيمان، وحققها لهم الإسلام، وأحكم نسيجها بروابط الأخوة السامية المخلصة، والمحبة الصادقة، والود فى الله ومن أجل الله، والإيثار والتضحية والفداء، والصدق فى القول والعمل، والتأثر ببيئة وأحوال الصفاء والطهر الذى كان الحج مظلة لها، ومؤثراً فى تكوينها، فيسهل اللقاء، وتتجرد النفوس عن الأطماع والمصالح الذاتية، والأهواء والشهوات الصارفة عن جادة الاستقامة.

وتظهر فى رحلة الحجِّ أخلاق سامية - عدا ما ذكر - من الصبر والتجمل وتحمل الأذى والمشقة، والتخلص من العادات الذميمة والخصال السيئة، والترفع عن المعاصى والذنوب، وتحلى النفوس بعواطف المحبة وتنمية عوامل الخير وصنع المعروف، مما يجعل هذه الرحلة من أقوم السبل المؤدية إلى تهذيب الأنفس وتقويم الطباع، والشعور براحة النفس والأمن والاطمئنان، وغمرة الفرحة والسعادة بأداء الفريضة، وبذكر الله: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

وقد حذر القرآن الكريم من التورط بما يتنافى مع إيجابيات الحجِّ وآدابه المتعددة، فقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ويبشر النبى ﷺ الحجاج المترفعين عن دنايا الأخلاق، المعتصمين بعفة اللسان وطهارة القلب، يبشرهم بالمغفرة الشاملة، فقال فيما يرويه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والترمذى عن أبى هريرة: «من

حج، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» والرفث كما قال الأزهرى: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة. والفسق: المعصية، وقد جاء من حديث جابر مرفوعاً: «إن بر الحج: إطعام الطعام، وطيب الكلام، وإفشاء السلام».

ويمكن تلخيص منافع الحج الدنيوية: بطهر النفس، ونقاء القلب، وعفة اللسان، وسلامة الجوارح (الأعضاء) من كل ما يشينها ويوقع فى الأذى.

منافع الحج الأخروية

هى وجوه التقرب إلى الله تعالى، بما يمثل عبودية الإنسان من قول وفعل، وترك لذائذ الحياة وشواغل العيش، كما جاء فى تفسير الميزان. وثمرته واضحة وهى محو الذنوب، وغفران السيئات، وتحقيق المساواة بين العباد، فلا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ **(الحجرات: ١٣)**.

إن مناسك الحج ترشد إلى معان كثيرة، لا يصح لحاج تخطيها دون تأمل وإدراك، وإمعان النظر فيها؛ لأن فهم الحكمة التشريعية منها تزيد النفس متعة، وتبعث لأداء التكاليف الشرعية والطاعات الإلهية، وتحقق مغزى الحج على النهج الربانى المقصود به خير الإنسان وإسعاده.

فالإحرام وتجرد الرجال من ملابسهم ـ ماعدا ستر العورات بملابس الإحرام المعروفة ـ يقمع شهوات النفس والأهواء، ويبعد الناس عن التفكير فى الدنيا، ويوجه الإنسان إلى الخالق والتفكير بقدسيته وعظمته وجلاله، ويؤدى إلى سمو الروح، وترقى الوجدانات والضمائر، وإظهار الخضوع والتواضع لله تعالى، والبعد عن شوائب الكبرياء والغرور، وعلاج أمراض النفس من حب الاستعلاء ومزامنة الحقد والشحناء، وإخلاص العمل لله جل جلاله، وبغير الإخلاص لله الذى هو جوهر الدين لا قيمة لأى عمل، ولا فضل لأى مسلم فى عبادة ومعاملة وخلق وغير ذلك. ومن أهم مقومات الإخلاص: التسامح مع المسلمين، وتطهير النفوس من البغضاء والأحقاد والخصومات لهم، سواء المعاصرون أم الغابرون، عملاً بقول الله ـ تبارك

وتعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

ونشيد التلبية الذى يردده الحجاج، بدءاً من الإحرام حتى صباح يوم العيد برجم جمرة العقبة الكبرى شاهد حى، وواقع ملموس على صدق التوجه إلى الله تعالى، والترفع عن أوضاع (أوساخ) الدنيا وشهواتها، والتذكير الدائم بطاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

والحضور إلى بيت الله الحرام لزيارته يحقق منافع الدنيا والآخرة؛ لأن شهود الكعبة المشرفة إرواء لتعلق القلوب المتلهفة لها، والإنسان مجبول على حب النفع.

والطواف حول البيت الحرام يؤكد وحدة المسلمين العامة، ودليل على التشبه بملائكة الرحمن الحافين حول العرش، وتصعيد الروح نحو العلو الإلهى، وعروج إلى ملكوت الله بالقلب والفكر، وتذكير دائم بصاحب البيت وهو الله جل وعلا، وتجديد العهد مع الله على الإقرار بربوبيته ووحدانيته، بدءاً من نقطة الانطلاق فى الطواف بالحجر الأسود أو الأسعد؛ ليكون قرينة أو أمارة على وحدة العمل بين الناس، وطريقاً لإنفاذ عهد الله على الحق والعدل والخير والتوحيد والفضيلة. وهذا العهد الإلهى القديم أشار إليه القرآن المجيد فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

والسعى بين الصفا والمروة تردد فى معالم الرحمة الإلهية، والتماس للمغفرة والرضا الربانى، وتلمس لأفضال الله وخيراته، وطلب عونه لتحمل مشاق الحياة، كما فعلت السيدة هاجر زوج إبراهيم الخليل عليه السلام حين أعوزها الماء، فقامت تسعى ضارعة إلى الله ـ تعالى ـ لإرواء ظمئها، وسد حاجة ابنها إسماعيل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨). وقال النبى ﷺ فيما رواه أحمد فى مسنده: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى».

والوقوف بعرفة فى ساحة الرضوان الإلهى، الساحة الواحدة الشاملة لجميع الحجاج، إقبال خالص على الله عز وجل، واتصال روحانى مباشر مع الله، واحتماء بسلطان الله، وطلب فضله ورحمته، موقناً الحاج بإجابة دعائه.

وأما الرمى أو رجم إبليس فى يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة: فهو رمز مادى لمقاومة وساوس الشيطان وأهوائه، والتخلص من نزعات الشر، ومحاربة الفساد والانحراف، فهو كما يقول المناطقة: «المحسوس يدل على المعقول» فيكون رمى الجمرات، واستلام الحجر الأسود، والطواف حول الكعبة، تمثيلاً للحقائق بصور المحسوسات، ورمزاً لمعان عميقة بصور حركية مادية، تذكر المؤمن بأهدافها وغاياتها، وتحمله على استدامة المقاومة لشرور النفس ونزغاتها.

هذا هو القصد من هذه الشعائر، وليس كما يتصور سخفاء العقول من المستشرقين، وضعفاء الإيمان، إن مناسك الحج دوران حول أحجار، وتعظيم للرموز المادية، وامتداد للوثنية.

وقد تنتهى هذه الشعائر بذبح الأضاحى والنذور وجزاءات المخالفة للمناسك؛ ليكون ذلك الوداع الأخير للرذيلة بإراقة الدم تعبيراً عن التخلص منها، والتزام فضيلة التضحية والفداء، كما قال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الحج: ٣٧).

وكل هذه الشعائر والمناسك ذات المنافع الأخروية، تدل دلالة قوية على الثقة بالله، وطلب أفضاله، وتشعر الإنسان فى أعماق نفسه بعظمة الله وجلاله؛ وحلاوة مناجاته وعبادته، وطلب رضاه وقربه، فيكثر البكاء، ويشتد النحيب، وتصفو النفوس، وتتكاثر حالات التوبة النصوح الخالصة لله والندم على الماضى. هذا فضلاً عن تذكر أهل الإيمان بماضى الإسلام، وجهاد نبى الله وصحبه الكرام فى نشر دعوة الله، وتحطيم معاقل الشرك، وهدم معالم الوثنية، وتهاوى الأصنام، وانتصار دعوة الحق والتوحيد. وما أجمل منافع الحج فى حديث رواه البيهقى: «الحجاج والعمار وفد الله، إن سألوا أُعطوا، وإن دعوا أُجيبوا، وإن أنفقوا أُخلف لهم»!.

٣٤ ـ الحجر الأسود

سؤال:

لماذا كان محمد ﷺ يعظم ويقبل الحجر الأسود؟

جواب

الحمد لله،

أولاً: إن سيدنا موسى والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانوا يكرمون (تابوت العهد)، ويبخرونه كما جاء فى العهد القديم. والنصارى يقبلون صور وتماثيل المسيح والعذراء، ومنهم من يسجد لهذه الصور والتماثيل كى ينالوا البركة بالسجود لها مع ما فى ذلك من مخالفة للشريعة التوراتية، ومنهم من يقول إن الصور والأحجار لا تضر ولا تنفع، وإكرامها عائد لله تعالى ونحن كذلك.

ثانياً: إن سيدنا عمر رضي الله عنه لما قبل الحجر الأسود قال: «إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يقبلك ما قبلتك» إشارة إلى أن تقبليه أمر تعبدى، وأن الضار والنافع فى الحقيقة، إنما هو الله تعالى وحده، وإنما قال عمر رضي الله عنه: «إنك لا تضر ولا تنفع» لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام، فخشى عمر وخاف أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله، فنبه عمر رضي الله عنه على مخالفة هذا الاعتقاد، وأنه لا ينبغى أن يعبد إلا من يملك الضر والنفع، وهو الله وحده.

ثالثاً : لقد جاءت بعض الاحاديث الواردة فى فضل الحجر الأسود وإنه من الجنة فهو ليس كباقى الأحجار الأُخرى:

روى البيهقى أن الرسول ﷺ قال: «لولا ما مس الحجر من انجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شفى وما على الأرض شىء من الجنة غيره»

وقد روى الحاكم وغيره قول الرسول ﷺ: «إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة»

وبالتالى من خلال هذين الحديثين وغيرهما نستطيع أن نعرف سبب الاهتمام الذى يحظى به الحجر الأسود.

ولقد انعقد إجماع الأمة على مشروعية تقبيل الحجر الأسود وعليه فمن يدعى أن ذلك ينافى دعوة الإسلام لنبذ الأوثان فدعواه باطلة فشتان بين من يأتى ذلك طاعة لله ورسوله معتقداً أن الحجر لا ينفع ولا يضر وبين من يقدس الأوثان التى نهى الله عن الاقتراب منها، فطواف المسلم بالكعبة المشرفة وصلاته إليها إنما هى عبادة لله لا لها.

رابعاً: ماذا تقول أيها النصرانى فيما ورد فى كتابك المقدس فى سفر التكوين (٢٨ : ١٠) من أن نبى الله يعقوب كان فى طريقه إلى حاران وشاهد رؤية السلم العجيب وبعد أن أفاق أخذ الحجر الذى توسده وسكب عليه زيتاً وسمى المكان بيت إيل أى بيت الله وأقام الحجر عموداً هناك وعاد إلى زيارة ذلك الحجر بعد عشرين عاماً وأطلق عليه اسم «مصفاة» وأصبحت هذه المصفاة مكاناً للعبادة والمجالس العامة فى تاريخ شعب إسرائيل وراجع التكوين ٣١ : ٤٥ ـ ٥٥ والقضاة ١١ والقضاة ٢٠ و٢١ وصموئيل الأول ٧ وصموئيل الأول أيضا ١٠.



٣٥ ـ هل هذا الحديث صحيح؟

سؤال

ما صحة الحديث الذى جاء فيه أن الرسول كان يقبل نسائه وهو صائم ويمص لسان زوجته عائشة؟

الحمد لله،

جواب

الحديث أخرجه أبو داود، وقال ابن الأعرابى: بلغنى عن ابن داود أنه قال: إسناده ليس بصحيح وأخرجه أحمد فى المسند والتقى فى أسناديه مع أبى داود فى محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن عائشة.

وتقبيله ﷺ لنسائه ـ وهو صائم ـ صحيح. أما قوله: «ويمص لسانها» فيقول ابن القيم رحمه الله: «وقال عبد الحق: لا تصح هذه الزيادة فى مص اللسان لأنها من حديث محمد بن دينار عن سعد بن أوس ولا يحتج بهما. وبنحو هذا قال الخطابى». (الانتصارات الإسلامية فى كشف شبه النصرانية ـ دراسة وتحقيق د: سالم القرنى ـ مكتبة العبيكان)

وقد أورد العلامة الألبانى الحديث فى سلسلة الأحاديث الضعيفة. ولو سلمنا جدلاً بصحة الحديث فيه دليل حسن معاملة الزوجة وملاطفتها ومداعبتها الذى له دور وتأثير فى النفس البشرية بطبيعتها وهذا من الفطرة ولو عرضت هذا الكلام على عالم فى الحياة الجنسية لأيده ونصره.

٣٦ ـ سؤال: ما صحة هذا الحديث الوارد فى سنن أبى داود

«عن عمارة بن غراب قال: إن عمة له حدثته إنها سألت عائشة قالت إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد قالت أخبرك بما صنع الرسول دخل فمضى إلى مسجده فلم ينصرف حتى غلبتنى عينى وأوجعه البرد فقال ادنى منى فقلت إنى حائض فقال وأن اكشفى عن فخذيك فكشفت فخذى فوضع خده وصدره على فخذى وحنيت عليه حتى دفئ ونام» سنن أبى داوود ج ٢ ص ٢٧.

جواب

هذا حديث ضعيف، قال عنه المنذرى: عمارة بن غراب والراوى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى عبد الله بن عمر بن غانم وكلهم لا يحتج بحديثه. انتهى (عون المعبود شرح سنن أبى داود)

وقد أورده العلامة الألبانى ضمن سلسلة الأحاديث الضعيفة (ضعيف أبى داود)



٣٧ ـ ما أرى ربك إلا يسارع فى هواكَ

سؤال

ما معنى قول عائشة للرسول: «ما أرى ربك إلا يسارع فى هواكَ» عندما رأت خولة بنت حكيم من اللائى وهبن أنفسهن له؟

جواب

هذا حديث عائشة الوارد فى صحيح البخارى وقد قال النووى فى معنى يسارع فى هواك: أى يخفف عنك ويوسع عليك فى الأمور ولهذا خيرك، قال القرطبى: هذا قول أبرزه الدلال والغيرة، وهو من نوع قولها ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله، وإلا فإضافة الهوى إلى النبى ﷺ لا تحمل على ظاهرها، لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل بالهوى، ولو قالت إلى مرضاتك لكان أليق، ولكن الغيرة يغتفر لأجلها إطلاق مثل ذلك.

قلت: ومما يوضح لنا أن قول عائشة كان من باب الدلال والغيرة ليس إلا، هو ما جاء عنها فى صحيح مسلم: عن عائشة: كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ. صحيح مسلم ١٠ : ٤٩.



٣٨ ـ ما صحة هذا الحديث...

ما صحة حديث عائشة رضي الله عنها التى روت فيه أن الداجن قد أكلت من نسخة القرآن التى كانت معها؟

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد،،،

كثيراً ما يستشهد أعداء الإسلام للتشكيك فى نقل القرآن بحديث عائشة والذى جاء فيه: «لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان فى صحيفة تحت سريرى فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكلها»

والحق أن هذا الحديث لا يصح فإما ذكر الرضاع فيه غلط، وقد أخرجه ابن ماجه (رقم: ١٩٤٤) وأبو يعلى (رقم ٤٥٨٧، ٤٥٨٨) من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر، عن عمرة، عن عائشة.

وعن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة، به.

قلت: ابن إسحاق صدوق، ومن كانت هذه صفته فإن حديثه يكون فى درجة الحسن بعد النظر الذى يخلص منه إلى نقائه من الخلل، كذلك هو رجل مشهور بالتدليس مكثر منه، يدلس عن المجروحين، وشرط قبول رواية من هذا حاله أن يذكر سماعه ممن فوقه فإذا قال (عن) لم يقبل منه.

وابن إسحاق له فى هذا الخبر إسنادان كما ترى، وجمعه الأسانيد بعضها وحمل المتن على جميعها مما عيب عليه، فربما كان اللفظ عنده بأحد الإسنادين فحمل الآخر عليه، لأنه حسبه بمعناه، وقد لا يكون كذلك.

قيل لأحمد بن حنبل: ابن إسحاق إذا تفرد بحديث تقبله؟ قال: «لا، والله إنى رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد، ولا يفصل كلام ذا من ذا» (تهذيب الكمال (٢٤ : ٤٢٢).

نعم ربما كان يرويه تارةً فيذكر أحد إسناديه، كذلك أخرجه أحمد (٦ : ٢٦٩) وابن الجوزى فى نواسخ القرآن (ص: ١١٨ ـ ١١٩) من طريق إبراهيم بن سعيد، عنه قال: حدثنى عبدالله بن أبى بكر، فذكره بإسناده دون إسناد ابن القاسم.

وحين رأى بعض الناس تصريح ابن إسحاق بالتحديث فى هذه الرواية صححوها، قالوا اندفعت شبهة تدليسه، ونقول: فماذا عن شبهة تخليطه؟

ولنجر الكلام فى ظاهر الإسناد فى روايته عن ابن قاسم، هذا على جواز أن يكون ابن إسحاق حفظه بإسناد ابن أبى بكر.

والتحقيق أنه لم يحفظه....

وببعض ما ذكرت تبطل رواية ابن إسحاق، وإذا كان جماعة من العلماء الكبار كأحمد بن حنبل والنسائى نصوا على ابن إسحاق ليس بحجة فى الأحكام، فهو أحرى أن لا يكون حجة تستعمل للتشكيك فى نقل القرآن.

قال السرخسى: «حديث عائشة لا يكاد يصحّ؛ بهذا لا ينعدم حفظه من القلوب، ولا يتعذّر عليهم به إثباته فى صحيفة أُخرى، فعرفنا أنّه لا أصل لهذا الحديث.

على أن هناك بعض العلماء الأفاضل قد بينوا معنى الحديث والمراد منه فقالوا:

إن التشريع الإسلامى فى حياة النبى ﷺ مر بمراحل عدة حتى وفاته ﷺ، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، ومن ذلك وقوع النسخ لبعض الأحكام والآيات، والنسخ عرفه العلماء بأنه: رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر.

ولم يقع خلاف بين الأمم حول النسخ، ولا أنكرته ملة من الملل قط، إنما خالف فى ذلك اليهود فأنكروا جواز النسخ عقلاً، وبناء على ذلك جحدوا النبوات بعد موسى عليه السلام، وأثاروا الشبهة، فزعموا أن النسخ محال على الله تعالى لأنه يدل على ظهور رأى بعد أن لم يكن، وكذا استصواب شىء عُلِمَ بعد أن لم يعلم، وهذا محال فى حق الله تعالى.

والقرآن الكريم رد على هؤلاء وأمثالهم فى شأن النسخ رداً صريحاً، لا يقبل نوعاً من أنواع التأويل السائغ لغة وعقلاً، وذلك فى قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٦) فبين سبحانه أن مسألة النسخ ناشئة عن مداواة وعلاج مشاكل الناس، لدفع المفاسد عنهم وجلب المصالح لهم، لذلك قال تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ثم عقب فقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ والنسخ ثلاثة أقسام:

الأول: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، ومثاله آية الرجم وهى (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة..) فهذا مما نسخ لفظه، وبقى حكمه.

الثانى: نسخ الحكم والتلاوة معاً: ومثاله قول عائشة ﵂ : (كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخ بخمس معلومات يحرمن) فالجملة الأولى منسوخة فى التلاوة والحكم، أما الجملة الثانية فهى منسوخة فى التلاوة فقط، وحكمها باق عند الشافعية.

وقولها ﵂ : (ولقد كان..........) أى ذلك القرآن بعد أن نسخ تلاوة (فى صحيفة تحت سريرى) والداجن: الشاة يعلفها الناس من منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها.

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: (فصح نسخ لفظها، وبقيت الصحيفة التى كتبت فيها كما قالت عائشة ﵂ فأكلها الداجن، ولا حاجة إليها.. إلى أن قال: وبرهان هذا أنهم قد حفظوها، فلو كانت مثبتة فى القرآن لما منع أكل الداجن للصحيفة من إثباتها فى القرآن من حفظهم وبالله التوفيق).

وقال ابن قتيبة:

(فإن كان العجب من الصحيفة فإن الصحف فى عهد رسول الله ﷺ أعلى ما كتب به القرآن، لأنهم كانوا يكتبونه فى الجريد والحجارة والخزف وأشباه هذا.

وإن كان العجب من وضعه تحت السرير فإن القوم لم يكونوا ملوكاً فتكون لهم

الخزائن والأقفال والصناديق، وكانوا إذا أرادوا إحراز شىء أو صونه وضعوه تحت السرير ليأمنوا عليه من الوطء وعبث الصبى والبهيمة، وكيف يحرز من لم يكن فى منزله حرز ولا قفل ولا خزانة، إلا بما يمكنه ويبلغه وجده، ومع النبوة التقلل والبذاذة كان رسول الله ﷺ يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويصلح خفه، ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد»

وإن كان العجب من الشاة فإن الشاة أفضل الأنعام، فما يعجب من أكل الشاة تلك الصحيفة، وهذا الفأر شر حشرات الأرض، يقرض المصاحف ويبول عليها، ولو كانت النار أحرقت الصحيفة أو ذهب بها المنافقون كان العجب منهم أقل.

وقد أجاب أهل العلم عن هذا الحديث بأجوبة أبسط من هذا يرجع فيها إلى أقوالهم لمن أراد المزيد، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾ **(النساء: ٨٣)** فلله الحمد والمنة، فنحن على يقين أنه لا يختلف مسلمان فى أن الله تعالى افترض التبليغ على رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ قد بلغ كما أمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ **(المائدة: ٨٧)**

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ **(الحجر: ٩)** فصح أن الآيات التى ذهبت لو أمر رسول الله ﷺ بتبليغها لبلغها، ولو بلغها لحفظت، ولو حفظت ما ضرها موته، كما لم يضر موته ﷺ كل ما بلغ من القرآن، وإن كان ﷺ لم يبلغ أو بلغه ولكن لم يأمر أن يكتب فى القرآن فهو منسوخ بتبيين من الله تعالى، ولا يحل أن يضاف إلى القرآن. (كتبه الدكتور. عبد الله الفقيه)



٣٩ ـ ما صحة هذا الحديث

«ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه الله عز وجل اثنتين وسبعين زوجة، آثنتين من الحور العين، وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قُبُلٌ شهى، وله ذكر لا ينثنى»

الجواب

هذا الحديث ضعيف جداً وقد رواه ابن ماجه فى سننه، وقد أورده العلامة الألبانى رحمه الله فى سلسلة الأحاديث الضعيفة (ضعيف ابن ماجه)

٤٠ ـ ما صحة هذا الحديث

عن جُمَيْع بن عُمَيْر قال دخلت على عائشة مع أمى وخالتى فسألتاها كيف كان رسول الله ﷺ يصنع إذا حاضت إحداكن قالت كان يأمرنا إذا حاضت إحدانا أن تتزر بإزار واسع ثم يلتزم صدرها وثدييها.

الجواب

هذا الحديث منكر وقد أورده الألبانى رحمه الله فى سلسلة الأحاديث الضعيفة (ضعيف النسائى)

٤١ ـ قتل أم قرفة

سؤال

ما صحة ما روى عن زيد بن ثابت فى قتله لأم قرفة التى كانت تحرض الناس على عداوة الرسول كما جاء فى السيرة النبوية لابن هشام.. باب غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة؟

الجواب

لقد جاءت الرواية فى طبقات ابن سعد وعنه ابن الجوزى فى كتابه المنتظم ومدار الرواية على محمد بن عمر الواقدى(*) وهو شخص متهم بالكذب لدى علماء الحديث، والقصة أوردها ابن كثير فى البداية والنهاية مختصرة ولم يعلق عليها بشىء وذكرها ابن هشام فى السيرة وكلاهما عن محمد بن إسحق الذى لم يذكر سند الرواية، فالحاصل أن الرواية لم تصح فلا يجوز الاحتجاج بها.

(*) هو محمد بن عمر بن واقد الواقدى الأسلمى أبو عبد الله المدنى قاضى بغداد مولى عبد الله ابن بريدة الأسلمى. قال البخارى: الواقدى مدينى سكن بغداد متروك الحديث تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا (تهذيب الكمال مجلد ٢٦)

هذا فى ص ١٨٥ ـ ١٨٦ وقال أحمد هو كذاب وقال يحيى ضعيف وفى موضع آخر ليس بشىء وقال أبو داود: أخبرنى من سمع من على بن المدينى يقول روى الواقدى ثلاثين ألف حديث غريب وقال أبوبكر بن خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول لا يكتب حديث الواقدى ليس بشىء وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم سألت عنه على بن المدينى فقال: متروك الحديث ـ هنا علة جميلة أيضا فى سند الحديث وهى روايته عن عبدالله بن جعفر الزهرى قال إسحاق بن منصور قال ابن حنبل كان الواقدى يقلب الأحاديث يلقى حديث ابن أخى الزهرى على معمر. قال إسحاق بن راهويه كما وصف وأشد لأنه عندى ممن يضع الحديث الجرح والتعديل ٨ / الترجمة ٩٢ وقال على بن المدينى سمعت أحمد بن حنبل يقول الواقدى يركب الأسانيد تاريخ بغداد ٣ / ١٣ ـ ١٦ وقال الإمام مسلم متروك الحديث وقال النسائى ليس بثقة وقال الحاكم ذاهب الحديث قال الذهبى رحمه الله مجمع على تركه وذكر هذا فى مغنى الضعفاء ٢ / الترجمة ٥٨٦١

قال النسائى فى «الضعفاء والمتروكين» المعروفون بالكذب على رسول الله الواقدى بالمدينة ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام.

٤٢ ـ سؤال: روى البخارى فى صحيحه: أنه ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح (أى لم يصل الفريضة) قال: ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه» فما معنى قوله «بال الشيطان فى أذنه»؟ وهل الشيطان يبول؟

جواب

الحمدلله،

لقد وجه العلماء الأفاضل معنى بول الشيطان فى أذن من نام حتى فاتته الفريضة عدة توجيهات منها:

التوجيه الأول: أن يقال بأن هذا مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول فى أذنه فثقل أذنه وأفسد حسه، والعرب تكنى عن الفساد بالبول قال الراجز ـ بال سهيل فى الفضيخ ففسد ـ وكنى بذلك عن طلوعه لأنه وقت إفساد الفضيخ فعبر عنه بالبول. ووقع فى رواية الحسن عن أبى هريرة فى هذا الحديث عند أحمد «قال الحسن إن بوله والله لثقيل» وروى محمد بن نصر من طريق قيس ابن أبى حازم عن ابن مسعود «حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان فى أذنه» وهو موقوف صحيح الإسناد. وقال الطيبى: خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هى موارد الانتباه. وخص البول لأنه أسهل مدخلا فى التجاويف وأسرع نفوذا فى العروق فيورث الكسل فى جميع الأعضاء.

التوجيه الثانى: أن يقال بأن الأمر هو على حقيقته. قال القرطبى وغيره لا مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع

من أن يبول.

التوجيه الثالث: أن يقال بأن ذلك هو كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر.

التوجيه الرابع: أن يقال بأن معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر.

التوجيه الخامس: هو أن الأمر كناية عن ازدراء الشيطان به.

التوجيه السادس: هو أن يقال بأن المعنى أن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد لبول، إذ من عادة المستخف بالشىء أن يبول عليه.

٤٣ ـ يبيت على خياشيمه

سؤال

جاء فى صحيح مسلم أن الرسول قال: إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت على خياشيمه. فما معنى: خياشيمه وكيف يبيت الشيطان عليه؟

الجواب

قال العلماء أن الخيشوم هو أعلى الأنف، وقيل هو الأنف كله.

ومبيت الشيطان على الأنف يحتمل معنيين:

الأول: أن يكون ذلك على الاستعارة فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم أو الأنف هى قذارة توافق الشيطان وقذارته.

الثانى: أن يكون مبيت الشيطان على الأنف حقيقة غيبية لا نعلمها ولربما لأن الأنف أحد منافذ الجسم التى يتوصل إلى القلب منها.

٤٤ ـ مكانة المرأة فى الإسلام

السؤال

يتهم الغرب الإسلام بأنه يظلم المرأة، فما هى مكانة المرأة فى الإسلام؟

الجواب

الحمدلله

بلغت المرأة فى الإسلام مكانة عالية، لم تبلغها فى ملة ماضية، ولم تدركها أمة تالية، إذ إن تكريم الإسلام للإنسان تشترك فيه المرأة والرجل على حد سواء، فهم أمام أحكام الله فى هذه الدنيا سواء، كما أنهم أمام ثوابه وجزائه فى الدار الآخرة سواء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ **(الإسراء: ٧٠)**، وقال عز من قائل: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ **(النساء: ٧)**، وقال جل ثناؤه ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **(البقرة: ٢٢٨)**، وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ **(التوبة: ٧١)**، وقال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ **(الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤)**.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ **(آل عمران: ١٩٥)**، وقال جل ثناؤه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **(النحل: ٩٧)**، وقال عز

من قائل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء: ١٢٤).

وهذا التكريم الذى حظيت به المرأة فى الإسلام لا يوجد له مثيل فى أى ديانة أو ملة أو قانون فقد أقرت الحضارة الرومانية أن تكون المرأة رقيقاً تابعاً لرجل، ولا حقوق لها على الإطلاق، واجتمع فى روما مجمع كبير وبحث فى شئون المرأة فقرر أنها كائن لا نفس له، وأنها لهذا لن ترث الحياة الأخروية، وأنها رجس.

وكانت المرأة فى أثينا تعد من سقط المتاع، فكانت تباع وتشترى، وكانت تعد رجساً من عمل الشيطان.

وقررت شرائع الهند القديمة: أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعى والنار خير من المرأة، وكان حقها فى الحياة ينتهى بانتهاء أجل زوجها ـ الذى هو سيدها ـ فإذا رأت جثمانه يحرق ألقت بنفسها فى نيرانه، وإلا حاقت عليها اللعنة.

أما المرأة فى اليهودية فقد جاء الحكم عليها فى العهد القديم ما يلى: (درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون؛ فوجدت أمرّ من الموت: المرأة التى هى شباك، وقلبها شراك، ويدها قيود) سفر الجامعة، الإصحاح ٧ : ٢٥ ـ ٢٦، ومن المعلوم أن العهد القديم يقدسه ويؤمن به اليهود والنصارى.

تلك هى المرأة فى العصور القديمة، أما حالها فى العصور الوسطى والحديثة فتوضحها الوقائع التالية:

شرح الكاتب الدانمركى wieth kordsten اتجاه الكنيسة الكالوثوليكية نحو المرأة بقوله: (خلال العصور الوسطى كانت العناية بالمرأة الأوربية محدوداً جداً تبعاً لاتجاه المذهب الكاثوليكى الذى كان يعد المرأة مخلوقاً فى المرتبة الثانية)، وفى فرنسا عقد اجتماع عام ٥٨٦م يبحث شأن المرأة وما إذا كانت تعد إنساناً أو لا تعد إنساناً؟ وبعد النقاش: قرر المجتمعون أن المرأة إنسان، ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل.

وقد نصت المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسى على ما يلى: (المرأة المتزوجة ـ حتى لو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ـ لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض

أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية).

وفى إنجلترا حرّم هنرى الثامن على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدس وظلت النساء حتى عام ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين، وظللن حتى عام ١٨٨٢م ليس لهن حقوق شخصية،

سلسلة مقارنة الأديان، تأليف د. أحمد شلبى، ج٣، ص: ٢١٠ ـ ٢١٣.

أما المرأة المعاصرة فى أوروبا وأمريكا وغيرها من البلاد الصناعية فهى مخلوق مبتذل مستهلك فى الأغراض التجارية، إذ هى جزء من الحملات الإعلانية الدعائية، بل وصل بها الحال إلى أن تجرد ملابسها لتعرض عليها السلع فى واجهات المحلات التجارية وأبيح جسدها وعرضها بموجب أنظمة قررها الرجال لتكون مجرد متعة لهم فى كل مكان.

وهى محل العناية ما دامت قادرة على العطاء والبذل من يدها أو فكرها أو جسدها، فإذا كبرت وفقدت مقومات العطاء تخلى عنها المجتمع بأفراده ومؤسساته، وعاشت وحيدة فى بيتها أو فى المصحات النفسية.

قارن هذا ـ ولا سواء ـ بما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ **(سورة التوبة: ٧١)** وقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **(البقرة: ٢٢٨)**. وقوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ **(الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤)**.

وحينما كرمها ربها هذا التكريم أوضح للبشرية قاطبة بأنه خلقها لتكون أما وزوجة وبنتاً وأختاً، وشرع لذلك شرائع خاصة تخص المرأة دون الرجل.

من كتاب الإسلام أصوله ومبادؤه تأليف: د محمد بن عبدالله بن صالح السحيم.

(www.islam-qa.com)

لمعرفة مكانة المرأة فى الكتاب المقدس برجاء زيارة الرابط التالى:

(http://www.alhakekah.com/topics/women.htem)

٤٥ ـ سؤال: هل الكلب الأسود شيطان حيث إنه وردت أحاديث تفيد ذلك؟

جواب

الإجابة على ذلك من عدة وجوه:

أولاً: أنه لما كان الكلب الأسود أشد ضرراً وقبحاً من غيره سمى شيطاناً من باب التشبيه لا أكثر.

ثانياً: أن يقال بأن الأمر على حقيقته وأن بعض الشياطين تتصور بصورة الكلاب السود ولا غرابة فى ذلك.

ثالثاً: أو أن يقال بأن كون الكلب الأسود شيطاناً يحتمل أن يكون المعنى أنه على صفته أو مسخ من الشيطان، أى أن الكلب كان فى الأصل شيطاناً فمسخ بتلك الصورة وهى صورة الكلب.

رابعاً: أن الشيطان لا يمتنع أن يختص بالدخول فى الكلب الأسود لخصيصة فيه، كما ذكر فى الإنجيل: أن المسيح أخرج الشياطين من الناس فدخلت فى قطيع الخنازير. انظر إنجيل مرقس الإصحاح الخامس. ثم إذا جاز فى عقول النصارى أن الله خالق السموات والأرض يظهر فى مخلوقاته فكيف يمتنع ذلك فى بعض مخلوقاته وهو الشيطان أن يظهر فى كلب أسود؟

٤٦- موقف المسلمين من الكاثوليك والتعايش السلمى

لست أدرى كيف هى علاقتكم بالكنيسة الكاثوليكية، أنا من أمريكا والبلاد الإسلامية تبدو غريبة بالنسبة لى، لا أعرف الكثير عنهم ولكن الذى يبدو أن المسلمين يعادون الدين الكاثوليكى.

هل هم منفتحين للحوار؟ لماذا لا تؤمنون بالرب عيسى؟ أليس الحب الأبدى لله عظيم لدرجة أنه يستطيع أن يتنزل علينا ويحفظنا من جميع الذنوب حتى نتمكن من العيش معه للأبد؟

لماذا توجد حروب فى الشرق الأوسط؟ ألا يرى الإسلام أو يقبل بالقوة المخلصة للمسيح، مع تعليماته بأن نحب بعضنا البعض، هل إذا اتبعت أنا وأنت (الإسلام - التسليم الكامل) فكل سيسير على ما يرام بالنسبة للبشر؟

الجواب

الحمد لله

العداوة فى الإسلام وعند المسلمين ليست أمراً عشوائيّاً بل تحكمها أصول وثوابت شأنها فى ذلك شأن باقى الأحكام الإسلامية الشرعية وهذه الأصول والثوابت هى من عند الله تعالى المنزه عن النقائص الذى له الأسماء الحسنى والصفات العلى ومصدر الأحكام عندنا هو القرآن والسنة الصحيحة الثابتة، والقرآن والسنة جاءا بعقيدة واضحة وهى عقيدة التوحيد المبنية على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء وإمام المرسلين ولا نشرك مع

الله آلهة أخرى بل نفرده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات ولا ندعو له صاحبة ولا ولداً، ونوالى من والى الله ونعادى من عاداه ونبغض من سبه وجعل له زوجة وولداً فالله فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له صاحبة ولا ولد سبحانه أنى يكون له ولد وله ما فى السموات وما فى الأرض ليس له شريك وليس محتاجاً إلى ولد كما يحتاج البشر وهو خالق الوالد وما ولد، فالمسلمون طوع أمر الله وليس عندهم اختيار فى التشريع بل هم ملزمون بأحكام الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

ومن هذه الأحكام الحب فى الله والبغض فى الله.

والمسلمون عندهم مجال واسع للحوار بل أمر الله فى كتابه النبى ﷺ وأمته من بعده بمحاورة أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

ونحن نؤمن بعيسى عليه السلام نبياً مرسلاً من عند الله، ومعاذ الله أن نجعل عيسى إلهاً وربا كما يزعم النصارى ولا يفرقون بين الرسول والمرسل، وبين الخالق والمخلوق قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١٤٥ ـ ١٤٧).

وقال تعالى يخاطبك ـ أيها السائل أنت وأصحابك وستكون سعيدا إذا استجبت ـ : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا

فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٧١).

والإسلام دين الهدى والرحمة والمحبة ولكنَّ أقواماً يفرضون على المسلمين قتالهم عندما يقفون فى طريق إبلاغ الهدى للناس، والمسلمون لا يقاتلون أحداً حتى يبلغوه دين الله ويخيرونه بين أمور أولها الإسلام، وثانيها: إذا أبى الإسلام وبقى على دينه فعليه دفع الجزية للمسلمين لقاء رعايته فإذا رفض الأول والثانى فالقتال.

ونحن المسلمين إذا قاتلنا فإنما نقاتل من أجل تخليص العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العالمين وننقلهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

ونؤمن أن عيسى عليه السلام لم يمت وأن الله رفعه إليه وأنه ينزل فى آخر الزمان إلى الدنيا ويحكم بالإسلام حيث قال ﷺ «ينزل عيسى فى دمشق عند المنارة البيضاء» رواه أبو داود (٤/ ١١٧) الألبانى رحمه الله.

والإسلام ناسخ للرسالات السابقة ولا يقبل من أحد غيره ممن عاش وأدرك الإسلام. وإذا أسلم الناس لرب العالمين واتبعوا خير المرسلين محمداً ﷺ وعملوا الصالحات فإن الله يرضى عنهم ويرزقهم حياة طيبة فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، نرجو أن نكون قد وفقنا فى الإجابة على التساؤلات التى طرحتها ونسأل الله أن يهدينا جميعا لاتباع الحق، والسلام على من اتبع الهدى.

الإسلام سؤال وجواب

الشيخ محمد صالح المنجد (www.islam-qa.com)

٤٧ـ مصحف اليمن

السؤال

قرأت مؤخراً بحثاً كتبه باحثون ألمان عن صحة القرآن. بعض ما قالوه نوقش فى مقال فى مجلة أتلانتك الشهرية بعنوان «ما هو القرآن؟» كتبه توبى ليستر فى عدد يناير ١٩٩٩ من تلك المجلة. لب القضية كان عن وجود نسخة قديمة جدا من القرآن فى مسجد فى اليمن يرى تحريفاً فى القرآن الموجود. فى بعض المواضع الكتابة التى كانت توجد فى هذه النسخة قد مسحت وكتب فوقها.

المقال يحاول أن يلقى الشبهة للمسلمين فى نظرتهم للقرآن بأنه موثوق به تماماً، وحاول أن يثبت أن القرآن عبارة عن كلام يتعرض للتغيير مثل أى كلام آخر.

أنا غير مسلمة ولكننى أعلم بأن القرآن له مكانة فى الإسلام كمكانة المسيح فى النصرانية.

بالنظر لهذا، كيف تجيب على محاولة الذى يريد أن يفند صحة القرآن؟ وهل يوجد لديك رد آخر على هذا الهجوم على صدق القرآن؟.

الجواب

الحمد لله

١- إن ثبوت صحة ما فى أيدينا من نسخ القرآن لم يثبت عندنا بدليل أو بدليلين، بل ثبت بأدلة كثيرة متوافرة لا يقع عليها عاقل منصف إلا ويقطع أنه هو كما أنزله الله على قلب محمد ﷺ.

٢- وقد تعاقبت الأجيال جيل بعد جيل تتلو كتاب الله وتتدارسه بينهم، فيحفظونه ويكتبونه، لا يغيب عنهم حرف، ولا يستطيع أحد تغيير حركة حرف منه، ولم تكن

الكتابة إلا وسيلة من وسائل حفظه وإلا فإن الأصل أن القرآن فى صدورهم.

٣- ولم ينقل القرآن لنا وحده حتى يمكن تطرق التحريف المدعى إليه، بل نقل تفسير آياته، ومعانى كلماته، وأسباب نزوله، وإعراب كلماته، وشرح أحكامه، فأنَّى لمثل هذه الرعاية لهذا الكتاب أن تتطرق إليه أيدى آثمة تحرف فيه حرفاً، أو تزيد كلمة، أو تسقط آية؟

٤- وإن تحدث القرآن عن أشياء غيبية مستقبلية، أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ، ليبين أنه من عند الله، وأن البشر لو أرادوا كتابة كتاب فإنهم قد يبدعون فى تصوير حادث، أو نقل موقف، لكن أن يتحدث أحدهم عن أمر غيبى فليس له فى هذا المجال إلا الخرص والكذب، وأما القرآن فإنه أخبر عن هزيمة الروم من قبل الفرس، وليس هناك وسائل اتصال تنقل لهم هذا الحدث، وأخبر فى الآيات نفسها أنهم سيغلبون فيما بعد فى مدة معينة، ولو أن ذلك لم يكن لكان للكفار أعظم مجال للطعن فى القرآن.

٥- ولو جئت إلى آية من كتاب الله تعالى فذهبت إلى أمريكا وآسيا أو أدغال أفريقيا أو جئت إلى صحراء العرب أو إلى أى مكان يوجد فيه مسلمون لوجد الآية نفسها فى صدورهم جميعاً أو فى كتبهم لم يتغير منها حرف.

فما قيمة نسخة مجهولة فى (اليمن) لم نرها يمكن أن يحرف فيها أحد العابثين فى هذا العصر آية أو كلمة؟

وهل يقوم مثل هذا الكلام فى سوق البحث والنظر؟ وخاصة أن القوم يدعون البحث والإنصاف والعدل فى القول.

فماذا يكون رد هؤلاء لو جئنا إلى كتاب من كتبهم الموثوقة لمؤلفين معروفين، ولهذا الكتاب نسخ كثيرة فى العالم، كلها على نسق واحد، ثم ادعى مدع وجود نسخة من هذا الكتاب فى بلد ما، وفيها زيادات وتحريفات عما فى نسخهم، فهل يعتدون بها؟

جوابهم هو جوابنا.

٦- والنسخ المخطوطة عند المسلمين لا تثبت بهذا الشكل الساذج، فعندنا خبراء يعرفون تاريخ الخط، وعندنا قواعد يضبط فيها إثبات صحة هذه المخطوطة كوجود السماعات والقراءات عليها، واسم وتوقيع من سمعها وقرأها.

ولا نظن أن هذا قد وجد فى هذه النسخة المزعومة من اليمن أو من غيرها.

٧- ويسرنا أن نختم ردنا بهذه القصة الحقيقية والتى حدثت فى بغداد فى العصر العباسى، حيث أراد يهودى أن يعرف صدق الكتب المنسوبة لله من أهلها وهى التوراة عند اليهود، والإنجيل عند النصارى، والقرآن عند المسلمين.

فراح إلى التوراة فزاد فيها ونقص أشياء غير ظاهرة جداً، ثم دفعه إلى ورَّاقٍ - كاتب - منهم وطلب نسخ هذه النسخة، قال: فما هو إلا زمن يسير حتى صارت نسختى فى معابد اليهود وبين كبار علمائهم.

ثم راح إلى الإنجيل فزاد فيه ونقص كما فعل فى التوراة، ودفعه إلى ورَّاقهم وطلب نسخه فنسخه، قال: فما هو إلا زمن يسير حتى صار يقرأ فى كنائسهم وتتناوله أيدى علمائهم.

ثم راح إلى القرآن فزاد فيه ونقص كما فعل فى التوراة والإنجيل، ودفعه إلى وراق المسلمين لينسخه له.

فلما رجع إليه لاستسلام نسخته ألقاه فى وجهه وأعلمه أن هذا ليس قرآن المسلمين!

فعلم هذا الرجل من هذه التجربة أن القرآن هو كتاب الله بحق وأن ما عداه لا يعدو أن يكون من صنع البشر.

وإذا كان ورَّاق المسلمين قد علم تحريف هذه النسخة فهل يمكن أن تمشى هذه على علماء المسلمين؟

وإذا أرادت السائلة تحويل هذه التجربة القديمة إلى واقع حالى فما عليها إلا أن تفعل فعل ذلك اليهودى الذى أسلم وتزيد وتنقص من هذه الكتب الثلاثة ولتر نتيجة تجربتها.

ولن نقول لها اعرضى نسختك من القرآن على ورّاق، بل سنقول اعرضيها على صبيان وأطفال المسلمين ليكشفوا لك خطأ نسختك!

وقد طبعت بعض الدول الإسلامية مصاحف فيها أخطاء كان مكتشفها من الأطفال الصغار قبل الكبار.

والله الهادى.

الإسلام سؤال وجواب (www. islam-qa.com).



٤٨- ما جاء فى كتاب السجستانى

أرجو أن تجيب على هذا السؤال فهو مهم بالنسبة لى، فقد كانت فى صفحة معادية للإسلام على الإنترنت حيث قال أحد النصارى بأن الشيخ السجستانى قال فى كتابه «المصاحف» بأن الحجاج قد غير فى حروف المصحف وغير على الأقل عشر كلمات، يدعى بأن السجستانى قد ألف كتابا اسمه «ما غيَّره الحجاج فى مصحف عثمان» وقد ادَّعى هذا النصرانى بأنه جمع الكلمات العشر التى تم تغييرها باللغة العربية.

حاولت الحصول على نسخة من هذا الكتاب دون جدوى فأرجو التوضيح، فأنا لا أتخيل أن جميع العلماء والحفاظ يسمحون بأن يغير القرآن ولا يقولوا شيئاً، حتى ولو أن السجستانى روى هذا.

هذا الأمر لا يعقل أبداً لأننا لسنا كاليهود والنصارى لا نحفظ كتابنا ونتركه لرجال الدين، فالمسلمون يحفظ كثير منهم القرآن وكلهم يتلوه فلا يعقل أن لا يلاحظ أحد الفروق والاختلافات.

الجواب

الحمد لله،

ما جاء فى السؤال نقلاً عن كتاب «المصاحف» لابن أبى داود: فإليك الرواية فيه والحكم عليها:

عن عبَّاد بن صهيب عن عوف بن أبى جميلة أن الحجاج بن يوسف غير فى مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، قال: كانت فى البقرة: ٢٥٩ (لم يتسن وانظر)

بغير هاء، فغيرها «لَم يَتَسَنه».

وكانت فى المائدة: ٤٨ (شريعة ومنهاجاً)، فغيّرها «شِرعَةً وَمِنهاجاً».

وكانت فى يونس: ٢٢ (هو الذى ينشركم)، فغيَّرها «يُسَيِّرُكُم».

وكانت فى يوسف: ٤٥ (أنا آتيكم بتأويله)، فغيَّرها «أنا أُنَبِّؤكُم بِتَأوِيلِهِ».

وكانت فى الزخرف: ٣٢ (نحن قسمنا بينهم معايشهم)، فغيّرها «مَعِيشَتَهُم».

وكانت فى التكوير: (وما هو على الغيب بظنين)، فغيّرها «بضَنِينٍ»... إلخ..

كتاب «المصاحف» للسجستانى (ص ٤٩).

وهذه الرواية ضعيفة جداً أو موضوعة؛ إذ فيها «عبّاد بن صهيب» وهو متروك الحديث.

قال على بن المدينى: ذهب حديثه، وقال البخارى والنسائى وغيرهما: متروك، وقال ابن حبان: كان قدريّاً داعيةً، ومع ذلك يروى أشياء إذا سمعها المبتدئ فى هذه الصناعة شهد لها بالوضع، وقال الذهبى: أحد المتروكين.

انظر «ميزان الاعتدال» للذهبى (٤/ ٢٨).

ومتن الرواية منكر باطل، إذ لا يعقل أن يُغيِّر شيئاً من القرآن فيمشى هذا التغيير على نسخ العالم كله، بل إن بعض من يرى أن القرآن ناقص غير كامل من غير المسلمين كالرافضة ـ الشيعة ـ أنكرها ونقد متنها:

قال الخوئى ـ وهو من الرافضة ـ: هذه الدعوى تشبه هذيان المحمومين وخرافات المجانين والأطفال، فإن الحجاج واحد من ولاة بنى أمية، وهو أقصر باعاً وأصغر قدراً من أن ينال القرآن بشىء، بل هو أعجز من أن يغير شيئاً من الفروع الإسلامية، فكيف يغير ما هو أساس الدين وقوام الشريعة؟! ومن أين له القدرة والنفوذ فى جميع ممالك الإسلام وغيرها مع انتشار القرآن فيها؟ وكيف لم يذكر هذا الخطب العظيم مؤرخ فى تاريخه، ولا ناقد فى نقده مع ما فيه من الأهمية، وكثرة الدواعى إلى نقله؟ وكيف يتعرض لنقله واحد من المسلمين فى وقته؟ وكيف أغضى المسلمون عن هذا العمل بعد انقضاء عهد الحجاج وانتهاء سلطته؟ وهب أنه تمكن من

جمع نسخ المصاحف جميعها، ولم تشذ عن قدرته نسخة واحدةٌ من أقطار المسلمين المتباعدة، فهل تمكن من إزالته عن صدور المسلمين وقلوب حفظة القرآن وعددهم فى ذلك الوقت لا يحصيه إلا الله. «البيان فى تفسير القرآن» (ص ٢١٩).

وما نقله السائل عن الإمام السجستانى من أنه ألَّف كتاباً اسمه «ما غيره الحجاج فى مصحف عثمان»: غير صحيح بل كذب ظاهر، وكل ما هنالك أن الإمام السجستانى ترجم للرواية سالفة الذكر عن الحجاج بقوله: (باب ما كتب الحجَّاج بن يوسف فى المصحف).

وعلى هذا فإنه لا يمكن أن يعتمد على هذا الرواية بحال من الأحوال، ويكفى فى تكذيبها أنه لم يثبت الآن أن أحداً نجح فى محاولة لتغيير حرف واحد، فلو كان ما روى صحيحاً لأمكن تكراره خاصة فى عصور ضعف المسلمين وشدة الكيد من أعدائهم، بل مثل هذه الشبهات التى تثار هى أحد الأدلة على بطلان هذه الدعاوى، وأن الأعداء قد عجزوا عن مقارعة حجج القرآن وبيانه فلجؤوا للطعن فيه.



٤٩- الإسكندر ذو القرنين

سؤال: من هو الإسكندر ذو القرنين.. هل هو الإسكندر المقدونى؟ وهل كان عبداً صالحاً؟ أم من عبدة الأوثان؟

الجواب من عدة وجوه:

الأول

أنه ليس فى القرآن الكريم ذكر لعمر ذى القرنين (الإسكندر) ولا للعصر الذى عاش فيه.

الثانى

أن ذا القرنين المذكور فى القرآن ليس هو الإسكندر المقدونى اليونانى الذى بنى الإسكندرية، فهذا هو المتوفى عن ٣٣ سنة، كما فى كتب النصارى، وقد عاش قبل مولد المسيح عليه السلام ٣٢٣ سنة.

أما ذو القرنين المذكور فى القرآن فكان فى زمن إبراهيم عليه السلام، ويقال إنه أسلم على يدى إبراهيم عليه السلام، وحج البيت ماشيا. وقد اختلف الناس فيه هل كان نبيا أم كان عبدا صالحا وملكاً عادلاً، مع اتفاقهم على أنه مسلم موحد طائع لله تعالى.

والصواب: هو التوقف فى شأنه، لقول النبى ﷺ: «ما أدرى أتبع نبيا كان أم لا، وما أدرى ذا القرنين نبيا كان أم لا» رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥٥٢٤.

الثالث

أن الفرق بين هذا العبد الصالح، وبين الإسكندر المقدونى الكافر أمر معروف لدى علماء المسلمين، قال ابن كثير رحمه الله فى البداية والنهاية (٤٩٣/١):

(عن قتادة قال: إسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام.

فأما ذو القرنين الثانى فهو إسكندر بن فيلبس... بن رومى بن الأصفر بن يقز بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل كذا نسبه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه، المقدونى اليونانى المصرى بانى إسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان أرطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذى قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

وإنما نبهنا عليه لأن كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحد وأن المذكور فى القرآن هو الذى كان أرطاطاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبدا مؤمنا صالحا وملكا عادلا...، وأما الثانى فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا وقد كان بين زمانهما أزيد من ألفى سنة فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبى لا يعرف حقائق الأمور) انتهى كلام ابن كثير رحمه الله.

الرابع

أن النصارى ليس فى كتابهم المقدس معلومات وافية عن الإسكندر الثانى، فضلا عن الأول، وغاية ما عندهم رؤيا لدانيال، زعموا أن فيها إشارة لحكم هذا الإسكندر الكافر وانقسام مملكته من بعده.

الخامس

أنه لو فرض وجود اختلاف بين القرآن وكتابهم حول شخصية أو حدث، فأى غرابة فى هذا؟!

وما أكثر هذه الاختلافات، لاسيما حول قصص أنبياء الله كإبراهيم ونوح ولوط وموسى وداود وعيسى عليه السلام. فالنصارى لا يملكون سندا متصلا لهذه الكتب التى يؤمنون بها، ولا معرفة بحال الذين قاموا بترجمتها، مع اشتمالها على عشرات المواضع المتناقضة والمختلفة التى ينتفى معها دعوى العصمة وأنها كتبت بالإلهام من الروح القدس، وحسبك باختلافهم فى نسب عيسى عليه السلام!

فكيف يجعل ما فى هذه الكتب المحرفة حكماً على القرآن العظيم، المحفوظ بحفظ الله تعالى؟!



٥٠ - من الذى كتب القرآن وكيف تم تجميعه؟

الجواب

الحمد لله

أولا

قد تكفل الله تعالى بحفظ هذا القرآن بنفسه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٤/ ٨):

يقول تعالى ذكره إنا نحن نزلنا الذكر وهو القرآن وإنا له لحافظون قال وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو من أحكامه وحدوده وفرائضه اهـ.

وقال السعدى فى تفسيره (ص: ٦٩٦):

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أى: القرآن الذى فيه ذكر لكل شىء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر.

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أى: فى حال إنزاله وبعد إنزاله، ففى حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله فى قلب رسوله، واستودعه فى قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محَرِّف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق

المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم اهـ.

أُنزل القرآن على النبى ﷺ مفرقاً، على مدى ثلاث وعشرين سنة، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ (الإسراء: ١٠٦).

قال السعدى رحمه الله:

أى: وأنزلنا هذا القرآن مفرقاً، فارقاً بين الهدى والضلال، والحق والباطل.

﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أى: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا فى معانيه، ويستخرجوا علومه.

﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ أى:شيئاً فشيئاً، مفرقاً فى ثلاث وعشرين سنة اهـ.

تفسير السعدى (ص: ٧٦٠).

ثانياً

كانت الكتابة قليلة فى العرب، وقد وصفهم الله بذلك فى قوله: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ (الجمعة: ٢) فكانوا يحفظون القرآن فى صدورهم، وقليل منهم كان يكتب بعض آيات أو سور على الجلود والحجارة الرقاق ونحو ذلك.

ثالثاً

نهى النبى ﷺ فى أول الأمر عن كتابة شىء سوى القرآن ونهاهم عن كتابة كلامه مؤقتاً حتى تتوافر همم الصحابة على حفظ القرآن وكتابته ولا يختلط كلام النبى ﷺ بكلام الله تعالى فيبقى القرآن محفوظاً من الزيادة فيه أو النقص.

رابعاً

وكل النبى ﷺ جماعة من الصحابة الأمناء الفقهاء حتى يكتبوا الوحى، وهم ما عرفوا فى تراجمهم بكُتَّاب الوحى كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين.

خامساً

أنزل القرآن على سبعة أحرف كما صح ذلك عن النبى ﷺ من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. رواه البخارى (٢٢٨٧)، ومسلم (٨١٨) وهى لغات العرب المشهود لها بالفصاحة.

سادساً

بقى القرآن محفوظاً فى صدور الحفاظ من الصحابة وعلى الجلود وغيرها إلى زمان الخليفة أبى بكر الصديق رضي الله عنه، وفى حروب الردة قتل كثير من حفاظ القرآن من الصحابة فخشى أبو بكر - رضي الله عنه - أن يذهب القرآن ويضيع من صدور الصحابة، فاستشار كبار الصحابة لجمع القرآن كاملا فى كتاب واحد حتى يبقى محفوظاً من الضياع، وأوكل المهمة إلى جبل الحفظ زيد بن ثابت رضي الله عنه فأخرج البخارى فى «صحيحه» (٤٩٨٦) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلىَّ أبو بكر مقتلَ أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتانى، فقال: إن القتل قد استحر (أى: كثر) يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت: لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه.

العُسُب: جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض.

واللخاف: الحجارة الرقاق.

وكان الصحابى زيد بن ثابت رضي الله عنه يحفظ القرآن ولكن اتخذ منهجا فى التثبت فكان لا يقبل أن يكتب آية إلا أن يُشهد على ذلك اثنين من الصحابة أنهما سمعاها من رسول ﷺ.

واستمر هذا المصحف بيد الخلفاء إلى زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان الصحابة رضي الله عنهم قد تفرقوا فى البلاد وكانوا يقرؤون القرآن على حسب ما سمعوه من رسول الله ﷺ من الأحرف السبعة. فكان تلاميذهم يقرأ كل واحد منهم على حسب ما أقرأه شيخه.

وكان التلميذ إذا سمع قارئاً يقرأ بخلاف قراءته أنكر عليه وخطَّأه وهكذا حتى خشى بعض الصحابة أن تحدث فتنة بين التابعين ومن بعدهم فرأى أن يجمع الناس على حرف واحد وهو لغة قريش التى نزل القرآن عليها أولاً لرفع الخلاف وحسم الأمر فاستشار عثمان رضي الله عنه فوافق على هذا الرأى.

فروى البخارى فى «صحيحه» حديث (٤٩٨٨) عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق قال ابن شهاب

وأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها فى سورتها فى المصحف.

وبذلك انقطع الخلاف واتفقت الكلمة وبقى القرآن متواترا ومحفوظا فى صدور الرجال إلى يوم القيامة وكان هذا من حفظ الله تعالى لكتابه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

والله أعلم.

الإسلام سؤال وجواب (www.islam-qa.com).



٥١- سورة من مثله

وجدت موقعاً معادياً للإسلام وضع فيه أصحابه نصوصاً سموها بسورة التجسد وأخرى بسورة الإيمان وغيرهما وادعوا بأنها سور من مثل القرآن زاعمين بذلك أن هذه النصوص رد على التحدى القرآنى، فكيف نرد على هؤلاء؟

الجواب

الحمد لله،

نقول لهؤلاء:

أولاً

اعلموا أن باب التحدى مفتوح وبناء عليه من الممكن لكل واحد أن يلفق هكذا ألفاظاً وكلمات لا رابط بينها ولا انسجام فضلاً عن المعنى الصحيح، وقد قال تعالى بشأن القرآن العزيز: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ **(الإسراء: ٨٨)**.

ثانياً

إنكم لم تصنعوا شيئاً مثل القرآن وما صنعتم شيئاً سوى أنكم عمدتم إلى آيات القرآن الكريم فسرقتم أكثر ألفاظها وبدلتم بعضاً وقد سبقكم فى ذلك مسيلمة الكذاب فقد كان يعمد إلى آيات من القرآن الكريم فيسرق أكثر ألفاظها ويبدل بعضاً، كقوله: «إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر» أو يجيئ على موازين الكلمات القرآنية بألفاظ سوقية ومعان سوقية، كقوله: «والطاحنات طحناً، والعاجنات

عجناً، والخابزات خبزاً » وهكذا لم يستطع وهو عربى قح أن يحتفظ بأسلوب لنفسه، بل نزل إلى حد الإسفاف وأتى بالعبث الذى يأتيه الصبيان فى مداعبتهم وتفكههم بقلب الأشعار والأغانى عن وجهها، ولا يخفى أن هذا كله ليس من المعارضة فى شىء، بل هو المحاكاة والإفساد، وما مثله ومثلكم إلا كمثل من يستبدل بالإنسان تمثالاً لا روح فيه، وهو على ذلك تمثال ليس فيه شىء من جمال الفن.

ثالثاً

لقد سجل التاريخ فى عصر نزول القرآن الكريم عجز أهل اللغة أنفسهم عن معارضة القرآن. وما أدراك ما عصر نزول القرآن؟

هو أزهى عصور البيان العربى، وأرقى أدوار التهذيب اللغوى، إنه عصر المعلقات وهل بلغت المجامع اللغوية فى أمة من الأمم ما بلغته الأمة العربية فى ذلك العصر من العناية بلغتها؟ إلا أن التاريخ سجل هذا العجز عليهم، فهل منكم من يعتبر أم على قلوب أقفالها؟

إن محاكاتهم القرآن وتقليده بصورة باردة ساقطة فى الخصائص التى تميز بها نظماً على سائر الكتب، مثل تصدير الكلام بالحروف المقطعة وهى سمة لا يشبه القرآن فيها أى كتاب آخر، فمن زعم منهم أنه يعارض به القرآن الكريم فقد فضح نفسه بنفسه، إذ أنه سرق علانية ما سبق به القرآن الكريم وتفرد على سائر كلام البشر. وقل مثل فى نقل عبارات قرآنية بنصها مثل: «فأولئك هم المفلحون» «لفى ضلال بعيد» وغيرها، فالعجب ممن يزعم معارضة الكتاب الكريم آخذاً بنصوصه بحروفها، وخصائصه بحذافيرها سرقة معلنة دون أن تطرف له عين أو يهتز له جفن.

إن الإتيان بمثل القرآن أمر محال لأن الله جلَّ وعلا تحدَّى أحدا أن يفعل ذلك وتحدى فصحاء العرب وشعراء المتقنين للعربية وكانوا حين نزول القرآن فى قمّة فصاحتهم وبيانهم فقال عز وجل: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٤)، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثل سوره فقال سبحانه:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود: ١٣).

فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فقط على مستوى فصاحة القرآن وبلاغته وحكمته فقال عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يونس: ٣٨).

ودعاهم إلى الاستعانة بمن شاءوا للمحاولة وقبول التحدى فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣).

فلما عجزوا أخبرهم بأنهم لا يستطيعون ذلك مطلقاً فى أى وقت وفى أى زمان ومهما استعانوا بأحد فقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (الإسراء: ٨٨).

فلا يوجد أحد غير الله يأتى بمثله لأن القرآن - كما قال عز وجل - ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١).

ولو ألقينا نظرة على الموقع المشار إليه فى السؤال لوجدنا الكفر ينطق فى تلك السُّور المزيّفة كالنّص على أنّ المسيح ابن الله وأنّه هو الله والدّعوة إلى مذهب الرافضة الخبيث إلى غير ذلك من الترّهات ثم تجد التّناقض العجيب، ففى الوقت الذى يقول فيه الكذّاب فى السّورة التى افتراها وسمّاها سورة التجسّد فى الآية السادسة - حسب زعمه -: سبحانه رب العالمين أن يتخذ من خلفه ولدا. تجد فى الآية التاسعة من سورة الإيمان - المزعومة - قوله: أنت هو ابن الله حقا بك آمنّا...، لقد صدق ربنا حين قال: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً﴾ (النساء: ٨٢).

ثم يجد النّاظر أيضاً فى تلك السور المفريات عبارة سخيفة أخرى يدعى فيها الكذّاب أن الله سمح لنبيه أن يغيّر ويبدّل فى القرآن كما يشاء، فتقول العبارة السخيفة فيما عدّه الآية السادسة من سورة الوصايا: فانسخ ما لك أن تنسخ

مما أمرناهم به فقد سمحنا لك أن تجرى على قراراتنا تغييرا!!

إنّ كلّ مسلم يعلم قدر الإفك الذى انطوت عليه هذه العبارة المنبعثة من عقل المُغرض الذى ألّفها، فهل رأيت بالله عليك أيّها القارئ اللبيب كلاما سخيفا مثل هذا، هل يمكن أن ينزل الله تعالى قرآنا يأمر فيه بالتطبيق والتنفيذ والالتزام بما فى كتابه كما فى قوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **(الأنعام: ١٥٥)**، ويأمر رسوله بالتمسك بالقرآن قائلاً ـ سبحانه ـ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **(الزخرف: ٤٣)**.، ويتهدّد رسوله إن لم يبلّغ ما أوحاه إليه بالنصّ دون تغيير أو إخفاء كما فى قوله سبحانه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ **(الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥)**، وكما فى قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ **(الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦)**. وغير ذلك من الآيات، ثم تأتى بعد ذلك كلّه سورة مزعومة بأنّ للرسول الحق أن ينسخ ما شاء من القرآن ويغيّر ويبدّل وأنّه مخوّل بذلك وعنده صلاحيّة الإلغاء وشطب ما يشاء من الأحكام؟؟.

إن الذى ينسخ من القرآن ما يشاء هو الذى أنزل القرآن سبحانه وحده لا غير، كما قال عزّ وجلّ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ **(الرعد: ٣٩)**، وقال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **(البقرة: ١٠٦)**، والواجب على رسولنا وعلينا التدبر والتنفيذ لا التحريف والإلغاء والتبديل، قال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ **(ص: ٢٩)**.

لقد رأينا فى السوّر الزائفة فى ذلك الموقع على شبكة الإنترنت مثالا واقعيا لما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمرا: ٧٨).

نسأل الله أن ينصر دينه ويُعْلِي كتابه ويعزّ أولياءه كما نسأله سبحانه أن يذل أعداءه وأن يجعل الصّغار عليهم ويردّهم خائبين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المصدر:

(١) النبأ العظيم للدكتور: محمد عبدالله دراز رحمه الله

(٢) الإسلام سؤال وجواب الشيخ محمدصالح المنجد.



٥٢ ـ سورة الفاتحة

سؤال

يقول المسلمون إنّ القرآن هو كلام الله، نزَّله على محمد. فهل يقول الله: إيّاك نعبد، وإيّاك نستعين؟ وهل يطلب الله من نفسه، ولنفسه، أن يهتدى للصراط المستقيم؟ ولمن يوجّه الله هذا الدعاء؟

الجواب

الحمد لله،

أولاً: من الواضح جداً أن السائل لا يعرف أساليب اللغة العربية، ولا طرائق البلغاء فى الكلام، ولا منهجهم فى البيان، ومن الواضح أيضاً أن السائل ليس له أدنى معرفة بمقاصد وتوجيهات القرآن الكريم الذى نزل بلغة العرب.

ثانياً: أن القرآن كتاب تعليم وتوجيه فقد جاء ليعلم المسلمين ماذا يقولون فى صلاتهم، وبماذا يدعون ربهم فقد أنزل الله سورة (الفاتحة) لتكون دعاءً وصلاة للمسلمين يتلونها فى كل ركعة وفيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهذا كلام الله عن نفسه سبحانه يصف نفسه بهذه الصفات الجليلة العظيمة ثم يعلم المسلمين أن يقولوا فى صلاتهم ودعائهم هذا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾.

فهذه السورة تعليم وتوجيه من الرب سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ليصلوا ويدعوا بها فى كل ركعة من ركعات صلاتهم.. وفى هذه السورة من البلاغة

والإعجاز والمعانى ما لا تسعه هذه الرسالة الموجزة. ولو أن عالماً بالعربية تدبرها كفته إعجازاً وشهادةً أن هذا القرآن منزل من الله سبحانه وتعالى وليس من كلام بشر.

والخلاصة من هذا السؤال أن صاحبه إنما أتى به من كونه لا يعلم العربية ولا أساليب البيان والفصاحة علماً بأن هناك لونا من ألوان التعبير يسمى بـ (الالتفات) أى التحول من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة لمقاصد كثيرة كتخفيف العتاب، أو توجيه النظر إلى البعيد أو استحضار المشهد، أو التعظيم، أو التحقير ونحو ذلك من مقاصد البلغاء. فعلى السائل أن يرجع إلى أساليب اللغة العربية وطرائق البلغاء فى الكلام، والله الموفق.



٥٣ـ سورة البقرة

سؤال

لماذا سميت سورة البقرة بهذا الاسم؟

الجواب

الحمد لله،

لقد اتخذ اليهود فى بواكير عهدهم مع نبى الله موسى إلهاً من عجول البقر، كما جاء فى القرآن: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٨).

ولهم مع البقر قصة أخرى، نزلت باسمها أكبر سورة فى القرآن، وهى سورة البقرة التى سميت بهذا الاسم لتدل على سوء الفهم وخبث الطوية لدى بنى إسرائيل فى أمر تعنتهم فى البقرة التى أُمروا بذبحها، واستمرار هذا التعنت فى شؤونهم كافة، بما استحقوا معه أن ينتزع منهم الاصطفاء، ويتحول إلى الأمة الخاتمة، أمة محمد ﷺ، كما دل على ذلك محور السورة وهدفها الرئيسى.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ

شيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: ٦٧ ـ ٧١).

٥٤ ـ بعض من صفات وأخلاق الرسول الكريم

نصرانى يريد التعرف على بعض من صفات وأخلاق النبى ﷺ.

الجواب

الحمد لله،

لقد كانت أخلاق النبى ﷺ مستمدة من القرآن الكريم، ذلك أن السيدة عائشة رضي الله عنها لما سُئِلَتْ عن أخلاق النبى ﷺ قالت لسائلها: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى. فقالت: كان خلقه القرآن.

وإذا كان خلق النبى ﷺ هو القرآن وما جاء به، فهيا بنا نتعرف على هذه الأخلاق:

أولاً: التواضع

إن التواضع فى البيت النبوى قد استمد من التوجيه القرآنى العظيم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

لذلك فقد روى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «كان رسول الله يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقم البيت [١]، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا تعب، ويشترى الشىء من السوق فيحمله إلى

(١) ينظفه برفع قمامته.

أهله، ويصافح الغنى والفقير والكبير والصغير، ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير، وأسود وأحمر، وحر وعبد» (إحياء علوم الدين ٣/ ٣٠٦).

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام أنه كان فى سفر، وأمر أصحابه بطهو شاة، فقال أحدهم: علىَّ ذبحها، وقال آخر: على سلخها، وقال ثالث: على طبخها، فقال الرسول ﷺ: «وعلى جمع الحطب» فقالوا يا رسول الله، نكفيك العمل، فقال: «علمت أنكم تكفوننى، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه» (شرح الزرقانى ٤: ٢٦٥).

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعةً، فتواضعوا يرفعكم الله» (كنز العمال).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى أوحى إلىَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد» (كنز العمال).

ومن أقواله عليه الصلاة والسلام فى الحض على التواضع قوله: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله».

(سيرة ابن هشام).

ثانياً: الصدق

لقد كان الصدق من صفات الرسول ﷺ فى الجاهلية والإسلام، فقد كانت قريش تعرف محمداً قبل أن يتنزل عليه الوحى بالصادق الأمين.

وحتى عندما بدأت الرسالة، وأراد أن يدعو قريشاً اعترفت بصدقه قبل أن يتكلم عن رسالته، فعندما صعد الصفا وقال: «يا صباحاه»، كى تجتمع له قريش، فاجتمعت على الفور وقالوا له: مالك؟

قال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أما كنتم تصدقوننى؟»

قالوا: بلى، ما جربنا عليك كذباً.

قال: «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شدى».

وها هو هرقل ملك الروم وإمبراطور الروم يسأل أبا سفيان فى ركب من قريش بعد صلح الحديبية فيقول: هل كنتم تتهمونى بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال أبو سفيان: لا، فقال ملك الروم: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله. (تاريخ الطبرى ٣: ٨٦).

وفى القرآن الكريم الصدق صفة وصف بها الرسول ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيماً﴾ **(الأحزاب: ٢٢)**.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ **(التوبة: ١١٩)**.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة..» (رواه البخارى ومسلم وغيرهما).

ثالثاً: الأمانة

لقد أمر القرآن الكريم برد الأمانة وامتدح هذا الأمر، وعقب على الأمر بالتخويف من الخيانة فقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ **(النساء: ٥٨)**.

إن نهوض الرسول ﷺ بتبليغ الرسالة التى ائتمنه الله عليها وكلفه أن يقوم بها، فبلغها للناس أعظم ما يكون التبليغ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام، واحتمل فى سبيلها أشق ما يحتمله بشر.

وقد عرف الناس أمانة الرسول ﷺ قبل بعثته، فكانوا يسمونه الأمين

(سيرة ابن هشام، وتاريخ الطبرى ٢/ ٢٥١).

ومن أحد المشاهد التى تظهر لنا أمانة الرسول ﷺ ان جابر بن عبد الله قال: أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد ضحى، فقال: «صل ركعتين، وكان لى عليه دين

فقضانى وزادنى. (فتح المبدى: ٢/ ٢٢٩).

وقد تعددت وكثرت أحاديث الرسول ﷺ التى تحض على الأمانة ترغيباً وترهيباً، منها:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره» (رواه البخارى).

رابعاً: الوفاء

إن الوفاء بالعهد، وعدم نسيانه أو الإغضاء عن واجبه خلق كريم، ولذا كان الرسول ﷺ فيه بالمحل الأفضل والمقام الأسمى، فوفاؤه، وصلته لأرحامه كان مضرب المثل، وحق له ذلك وهو سيد الأوفياء وإليك ما يثبت هذه الحقيقة:

- حديث عبد الله بن أبى الحمساء إذ قال: بايعت النبى ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه فنسيت ثم تذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو فى مكانه، فقال: «يا فتى لقد شققت على أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك».
- روى البخارى فى كتابه الأدب المفرد عن أنس بن مالك قال: كان النبى ﷺ إذا أتى بهدية قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة».

أى وفاء هذا يا عباد الله؟ إنه يكرم أحباء خديجة وصديقاتها بعد موتها رضي الله عنها.

خامساً: العدل

لقد أمر القرآن الكريم بالعدل فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

وقد حض النبى ﷺ على العدل والمساواة فى أحاديث كثيرة بعد ضرب المثل والقدوة للناس عمليا.

- قال عليه الصلاة والسلام: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة» (اللؤلؤ والمرجان ١: ٣٠).

- وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته».

- وكان عليه الصلاة والسلام يعدل ويتحرى العدل بين زوجاته ثم يعذر إلى ربه وهو مشفق خائف فيقول: «اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك».

- وكان الحسن يقول: كان رسول الله ﷺ لا يأخذ أحداً بقرف أحد، ولا يصدق أحد على أحد. (والقرف: التهمة والذنب).

سادساً: الكرم

إن الكرم المحمدى كان مضرب الأمثال، وكان صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلاً. فقد سأله رجل حلة كان يلبسها فدخل فخلعها، ثم خرج بها فى يده وأعطاه إياها. ففى صحيح البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «ما سئل رسول الله شيئاً قط فقال لا».

وحسبنا فى الاستدلال على كرم رسول الله ﷺ حديث البخارى عن ابن عباس ﷺ وقد سئل عن وجود الرسول وكرمه فقال: كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحى فيدارسه القرآن.

وكيف لا يكون الحبيب رضي الله عنه أكرم الناس وأجودهم على الإطلاق وقد نزل عليه قول ربه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ **(سبأ: ٣٩)**.

سابعاً: الزهد

والمراد بالزهد فى الدنيا، وذلك بالرغبة عنها، وعدم الرغبة فيها، وذلك بطلبها طلباً لا يشق، ولا يحول دون أداء واجب، وسد باب الطمع فى الإكثار منها

والتزيد من متاعها، وهو ما زاد على قدر الحاجة، وإليك هذه المواقف التى تدل على أن النبى ﷺ كان أزهد الناس:

قال ﷺ: لعمر وقد دخل عليه فوجده على فراش من أدم (جلد مدبوغ) حشوه ليف فقال: إن كسرى وقيصر ينامان على كذا وكذا، وأنت رسول الله تنام على كذا وكذا، فقال له النبى ﷺ: «مالى وللدنيا ياعمر، وإنما أنا كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها».

وقوله ﷺ فى الصحيح: «لو كان لى مثل أحد ذهباً لما سرنى أن يبيت عندى ثلاثاً إلا قلت فيه هكذا وهكذا إلا شيئاً أرصده لدين».

فهذا أكبر مظهر للزهد الصادق الذى كان الحبيب ﷺ يعيش عليه ويتحلى به.

وكان ﷺ يدعو ربه قائلاً: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً» أى بلا زيادة ولا نقصان.

وقد قالت عائشة ﵂: مات رسول الله ﷺ وما فى بيته شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى.

ثامناً: أدبه وحسن عشرته

إن من كمال خلق المرء حسن صحبته ومعاشرته لأهله، وكمال أدبه فى مخالطته لغيره، وقد كان الحبيب ﷺ مضرب المثل فى حسن الصحبة وجميل المعاشرة وأدب المخالطة وإليك هذه الأمثلة:

- قال أنس بن مالك: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنوات فما قال لى أف قط، وما قال لشىء صنعته لم صنعته؟ ولا لشىء تركته لم تركته؟
- ووصفه على ﵁ فقال: كان رسول الله ﷺ أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عِشرة.
- وقالت عائشة ﵂: ما كان أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: «لبيك» أى أجاب دعوته.
- ووصفه ابن أبى هالة وهو صحيح: كان دائم البِشر، سَهل الخُلق، لَيّن الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما

لايشتهى ولا يؤيس منه. وكان يجيب من دعاه، ويقبل الهدية ممن أهداه، ولو كانت كراع شاه ويكافئ عليها.

- وروى الترمذى عن عبد الله بن سَلاَّم أن النبى ﷺ قال: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».

وحسبنا فى بيان أدبه ﷺ وحسن عشرته وجميل مخالطته قول ربه تبارك وتعالى فيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

تاسعاً: خشيته وطول عبادته

ومن مظاهر خشيته لله وطول عبادته:

انه كان يصلى من الليل حتى تتفطّر قدماه، فإذا سئل فى ذلك قال: «أفلا أكون عبداً شكورا» وقد صح عنه ﷺ انه قال: «وجُعلت قرة عينى فى الصلاة».

وقالت عائشة: كان عمل رسول الله ﷺ ديمة، وأيكم يطيق ما كان يطيق!.

وقالت: كان يصوم حتى نقول: لا يفطر. ويفطر حتى نقول: لا يصوم. ونحوه عن ابن عباس، وأم سلمة، وأنس. وقالت: كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته مصلياً، ولا نائماً إلا رأيته نائماً. وقال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فاستاك ثم توضأ، ثم قام يصلى، فقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع، فمكث بقدر قيامه، يقولك سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة، ثم سجد وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة، يفعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله، وقال سجد نحواً من قيامه، وجلس بين السجدتين نحواً منه، وقال: حتى قرأ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وعن عائشة: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة.

واليك بعضا من الآداب المحمدية

- كان ﷺ يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين، ويصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.
- خافض الطرف ينظر إلى الأرض، ويغض بصره بسكينة وأدب، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء لتواضعه بين الناس، وخضوعه لله تعالى... كأن على رأسه الطير.
- وكان ﷺ أشجع الناس، وكان يطلق إلى ما يفزع الناس منه، قبلهم، ويحتمى الناس به، وما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.
- وكان ﷺ يُخاطب جلساءه بما يناسب. فعن زيد بن ثابت، قال: كنا إذا جلسنا إلي الرسول إنْ أخذنا فى حديث فى ذكر الآخرة، أخذ معنا، وإنْ أخذنا فى ذكر الدنيا، أخذ معنا، وإنْ أخذنا فى ذكر الطعام والشراب، أخذ معنا.
- وكان عليه الصلاة والسلام إذا أحزنه أمرُ فزع إلى الصلاة (لجأ إليها)، وكان يحب الخلوة بنفسه للذكر والتفكير والتأمل ومراجعة أمره.
- وكان يبادر من لقيه بالسلام والتحية وهو علامة التواضع.
- كان لا يعيب طعاماً يقدم إليه أبداً، وإنما إذا أعجبه أكل منه، وإن لم يعجبه تركه.
- يتكلم على قدر الحاجة، لا فضول ولا تقصير.
- لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.
- يسأل الناس عما فى الناس، ليكون عارفاً بأحوالهم وشؤونهم.
- ولا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر.
- وكان النبى ﷺ يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ويصافح الغنى والفقير.. ولا يحتقر مسكيناً لفقره.. ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها هو، ويسلم على من استقبله من غنى وفقير، وكبير وصغير.

فَصَلِّ اللهم وبارك وسلم على عبدك ورسولك محمد عليه الصلاة والسلام.

٥٥ ـ حديث أبوال الإبل وألبانها

نصرانى يستنكر حديث ألبان الإبل وأبوالها.

الرد:

عن أنس رضي الله عنه أن ناسا اجتووا فى المدينة فأمرهم النبى ﷺ أن يلحقوا براعيه يعنى فى الإبل فيشربوا من ألبانها وأبوالها فلحقوا براعيه فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صلحت أبدانهم فقتلوا الراعى وساقوا الإبل فبلغ النبى ﷺ فبعث فى طلبهم فجىء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم. رواه البخارى.

أولاً: نقول لك ما قاله المسيح فى إنجيل لوقا (لوقا ٦: ٤١): «لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها» مع أنه لا قذى فى عين أخيك حقيقة، ألم يرد فى كتابك المقدس أن الرب أمر نبيه (حزقيال) بأكل الخراء وهو البراز: «وتأكل كعكاً من الشعير على الخرء الذى يخرج منه الإنسان وتخبزه أمام عيونهم» (حزقيال ٤: ١٢ ـ ١٣).

ثانياً: العجب أنك تتكلم على نصح الرسول ﷺ للأعرابيين بشرب ألبان الإبل وأبوالها ولا تتكلم على أن الأعرابيين تم شفاؤهما فعلاً بهذه الألبان والأبوال كما يذكر الحديث، ولم يبدوا اعتراضاً لهذا الأمر، فذكر فى الحديث: (حتى صلحت أبدانهم) وفى رواية: (فلما صحوا).

ثالثاً: ليس فى الحديث إلزام لك أو لى أو لأى إنسان بشرب ألبان الإبل وأبوالها لأن الانسان لا يؤمر بأكل ما تعافه نفسه ولا بشرب ما تعافه نفسه كما ثبت عن النبى ﷺ أنه أباح أكل الضب ولم يأكله، وقال: «لم يكن بأرض قومى

فأجدنى أعافه».

رابعاً: حتى يكون اعتراضك مبنيا على طريقة عملية ان تحضر لنا ما يدل على أن بول الإبل ضار كبول الإنسان.

خامساً: إن الطب شاهد بصحة هذا الحديث وإليك الآن تجربة علمية أثبتت إمكانية علاج مرض الاستسقاء بالإفراز البولى للإبل:

الخرطوم ـ على عثمان

دراسة علمية تجريبية غير مسبوقة أجرتها كلية المختبرات الطبية بجامعة الجزيرة بالسودان عن استخدامات قبيلة البطانة فى شرق السودان (بول الإبل) فى علاج بعض الأمراض حيث إنهم يستخدمونه شرابا لعلاج مرض (الاستسقاء) والحميات والجروح. وقد كشف البروفسور أحمد عبد الله تفاصيل تلك الدراسة العلمية التطبيقية المذهلة داخل ندوة جامعة الجزيرة حيث ذكر أن الدراسة استمرت ١٥ يوماً حيث اختير ٢٥ مريضاً مصابين بمرض الاستقساء المعروف وكانت بطونهم منتفخة بشكل كبير قبل بداية التجربة العلاجية. وبدأت التجربة بإعطاء كل مريض يوميا جرعة محسوبة من (بول الإبل) مخلوطا بلبن الإبل حتى يكون مستساغاً وبعد ١٥ يوما من بداية التجربة أصابنا الذهول من النتيجة إذا انخفضت وعادت لوضعها الطبيعى وشفى جميع أفراد العينة من الاستسقاء. وتصادف وجود بروفسور إنجليزى أصابه الذهول أيضاً وأشاد بالتجربة العلاجية.

وقال البروفسور أحمد: أجرينا قبل الدراسة تشخيصاً لكبد المرضى بالموجات الصوتية فاكتشفنا ان كبد ١٥ من الـ ٢٥ مريضاً يحتوى (شمعاً) وبعضهم كان مصاباً بتليف فى الكبد بسبب مرض البلهارسيا وجميعهم استجابوا للعلاج بـ (بول الإبل) وبعض أفراد العينة استمروا برغبتهم فى شرب جرعات بول الإبل يوميا لمدة شهرين آخرين. وبعد نهاية تلك الفترة أثبت التشخيص شفاءهم من تليف الكبد وسط دهشتنا جميعاً.

ويقول البروفسور أحمد عبد الله عميد كلية المختبرات الطبية عن تجربة علاجية أخرى وهذه المرة عن طريق لبن الإبل وهى تجربة قامت بها طالبة

ماجستير بجامعة الجزيرة لمعرفة أثر لبن الإبل على معدل السكر فى الدم فاختارت عددا من المتبرعين المصابين بمرض السكر لإجراء التجربة العلمية واستغرقت الدراسة سنة كاملة حيث قسمت المتبرعين لفئتين: كانت تقدم للفئة الأولى جرعة من لبن الإبل بمعدل نصف لتر يومياً شرابا على (الريق) وحجبته عن الفئة الثانية. وجاءت النتيجة مذهلة بكل المقاييس إذ أن نسبة السكر فى الدم انخفضت بدرجة ملحوظة وسط الفئة الأولى ممن شربوا لبن الإبل عكس الفئة الثانية. وهكذا عكست التجربة العلمية لطالبة الماجيستير مدى تأثير لبن الإبل فى تخفيض أو علاج نسبة السكر فى الدم.

وأوضح د. أحمد المكونات الموجودة فى بول الإبل حيث قال إنه يحتوى على كمية كبيرة من البوتاسيوم يمكن أن تملأ جرادل ويحتوى أيضاً على زلال بالجرامات ومغنسيوم إذ أن الإبل لا تشرب فى فصل الصيف سوى ٤ مرات فقط ومرة واحدة فى الشتاء وهذا يجعلها تحتفظ بالماء فى جسمها فالصوديوم يجعلها لا تدر البول كثيراً لأنه يرجع الماء إلى الجسم. ومعروف أن مرض الاستسقاء إما نقص فى الزلال أو فى البوتاسيوم وبول الإبل غنى بالاثنين معاً.

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



٥٦ ـ معركة جبل أحد

السؤال

نصرانى يسأل كيف انهزم المسلمون فى معركة أحد بعد أن كانوا منتصرين؟

الجواب

الحمد لله،

لقد وعد الله تبارك وتعالى المسلمين بالنصر. وقد انتصروا فى أول المعركة وهزم الله الكفار، لكن لما خالف الرماة أوامر رسول الله ﷺ بلزوم أماكنهم وعدم التحرك منها مهما كانت أطوار القتال، وتركوا الوصية، عاقبهم الله بالمخالفة فخرج عليهم الكمين فنال منهم ما نال.

وقد شرح الله سبحانوتعالى هذه القصة فى سورة آل عمران، حيث يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

فقد صدقهم الله سبحانه وتعالى فى الوعد والنصر لكنهم خالفوا فعوقبوا بذنبهم فأخذوا العبرة والدرس العميق فى قيمة الطاعة.

ثم يقال لهذا السائل: إنما وعدهم الله بالنصر الكلى اليوم بشرط أن يسمعوا له ويطيعوا لكنهم خالفوا فانتفى المشروط لانتفاء شرطه(١). والله الموفق.

---

(١) كما تقول إن تجتهد تنجح فإن لم تجتهد كانت العاقبة السيئة.

٥٧ ـ إعراب بعض الآيات القرآنية

نصرانى يسأل عن إعراب بعض الآيات القرآنية.

الآية الأولى: جاء فى سورة الأنعام قوله: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ لماذا جاءت لفظة خالصة مؤنثة، ومحرم مذكرة؟

الجواب من ثلاثة أوجه

الأول: الهاء فى (خالصة) للمبالغة لا للتأنيث، كقولك: عَلاَّمة ونَسَّابة.

الثانى: خالصة مصدر كالعافية والعاقبة.

الثالث: قيل إن الهاء للتأنيث، ولما كان (ما فى بطون هذه الأنعام) هو الأجنة أنث الخبر على المعنى، وذكر (محرم) على اللفظ. (الكشاف ـ الروض الريان).

وجاء فى تفسير أضواء البيان للإمام الشنقيطى رحمه الله:

وقد دلت الآيات المذكورة على أن الأنعام يصح تذكيرها وتأنيثها. لأن ذكَّرها هنا فى قوله: «نسقيكم مما فى بطونه» وأنثها فى سورة «قد أفلح المؤمنون» فى قوله: «نسقيكم مما فى بطونها ـ ولكم فيها منافع كثيرة» ومعلوم فى العربية: أن أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير نظراً إلى اللفظ، والتأنيث كما ذكرناه آنفاً. وجاء فيه تذكير النخل وتأنيثها. فالتذكير فى قوله: «كأنهم أعجاز نخل منقعر». والتأنيث فى قوله: «كأنهم أعجاز نخل خاوية»، ونحو ذلك. وجاء فى القرآن تذكير السماء وتأنيثها. فالتذكير فى قوله: «السماء منفطر به». والتأنيث فى قوله: «والسماء بنيناها بأيد»، ونحو ذلك من الآيات. وهذا معروف فى العربية، ومن شواهده قول قيس بن الحصين الحارثى الأسدى وهو صغير فى تذكير النعم:

فى كل عام تحوونه   يلقحه قوم وتنجونه

وقرأ هذا الحرف نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم «نسقيكم» بفتح النون. والباقون بضمها.

الآية الثانية: جاء فى سورة المائدة: ٥: ٦٩ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم إن فيقول والصابئين كما فعل هذا فى سورة البقرة ٢: ٦٢ والحج ٢٢: ١٧.

الجواب

إن قوله تبارك وتعالى: (والصابئون) مرفوع على العطف على موضع (إن) وما عملت فيه، وخبر (إن) منوى قبل الصابئين، فلذلك جاز العطف على الموضع، والخبر هو: «من ءامن» ينوى به التقديم، لأن العطف فى (إن) على الموضع لا يجوز إلا بعد تمام الكلام، وانقضاء اسم (إن) وخبرها، فتعطف (الصابئين) على موضع الجملة. «مشكل إعراب القرآن للإمام القيسى».

وقيل: إنما رفع المعطوف لأنه جاء على لغة بلحارث (بن كعب) الذين يقولون: رأيت الزيدان، بالألف. وقيل: إن خبر (إن) مضمر محذوف دل عليه الثانى، فالعطف بالصابئين إنما أتى بعد تمام الكلام وانقضاء اسم (إن) وخبرها، وإليه ذهب الأخفش والمبرد. (وكما ذكر سابقا)

الآية الثالثة: جاء فى سورة طه قوله: «إن هذان لساحران» وكان يجب أن ينصب بالياء والنون لأنه مثنى، فيكون التركيب الصحيح: «إن هذين»، ولكننا نجده مرفوعا بالألف والنون «إن هذان...».

الجواب من وجهين

الأول: أن قوله تبارك وتعالى: «إن هذان لساحران» هى لغة لبعض القبائل العربية كبنى الحارث بن كعب، وخثعم، وكنانة، وعذرة، وزبيد، وغيرهم. يقولون: مررت برجلان، وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه، وركبت علاه. وأنشد هوبر الحارثى:

تزود منا بين أذناه ضربة دعته إلى هابى التراب عقيم

(قائله هو هوبر الحارثى، كما فى اللسان مادة صرع، وهبا).

وقول الشاعر: «من البحر الطويل»:

فأطرق الشجاع ولو رأى مساغاً لناباه الشجاع لصمما

«نسبه الحريرى ص١٠٧ للمتلمس. وهو فى مختارات ابن الشجرى ص٣٢، وهو أيضاً فى شواهد الأشمونى ١/٧٩.

وأنشدوا:

أى قلوص راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها

والشواهد كثيرة، ولغة إلزام المثنى الألف لغة مشهورة، وقد جاء القرآن على أحرف عدة ولغات شتى، فلا غرابة أن يكون فى القرآن وجه ورد على لغة لبعض قبائل العرب المشهورة.

قال النحاس: هو «من أحسن ما حملت عليه الآية» إعراب القرآن ٣/٤٦.

الوجه الثانى: قوله تبارك وتعالى: «إنْ هذان لساحران» هذه (إنْ) المسكنة وليست مشددة كما يظن هؤلاء وإنما هى مخففة من إنَّ المشددة. واسمها دائماً ضمير محذوف يسمى ضمير الشأن. وخبرها جملة. هى هنا جملة (هذان ساحران) وتأتى اللام المؤكدة فى خبرها فتميزها عن «إن» النافية، ولا تحذف إلا لقرينة لفظية أو معنوية ومن ذلك ما جاء فى الحديث النبوى (قد علمنا إنْ كنتَ لمؤمنا). ومن ذلك قول الشاعر:

أنا ابن أباة الضيم من آل مالك وإنْ مالك كانت كرام المعادن

الآية الرابعة: جاء فى سورة البقرة قوله: «قال لا ينالُ عهدى الضالمين» وكان يجب أن تكون «الظالمون» فهى جمع مذكر سالم مرفوع بالواو والنون لأنه فاعل الفعال «ينال». فكيف جاءت منصوبة بالياء والنون؟

الجواب

لاينال فاعل كما فى قوله تعالى ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ (الأعراف: ٤٩). والمعنى أن الظالمين من ذريتك لا ينالهم استخلافى. والعرب تقول: هذا ناله خير وذاك ناله ظلم.

وهذا تحكم منهم أن يقولوا إن الآية تعنى أن الظالمين فاعل. والعهد مفعول. فإن عهد الله هو شرطه. ولا يتضمن شرطه الظالمين. وهذا الاستغلال منهم سببه امتناع ظهور علامة الرفع وهي الضمة فوق الياء (عهدى) فجعلوا (الظالمين) فاعلا مؤخرا و(عهدى) مفعولا مقدما؟ أنى لهم هذا التحكم والأصل تقديم الفاعل على المفعول لا سيما إذا كان السياق متضمنا للبس. كعدم ظهور الضبط (التشكيل). فلو قلنا (ضرب موسى عيسى) لا يجوز تأخير الفاعل منعا من وقوع اللبس إذ لابد حينئذ من تقديم الفاعل وتأخير المفعول. أما إذا لم يكن هناك لبس فيجوز التقديم والتأخير مثل جاء فى أول هذه الآية (ابتلى إبراهيم ربه).

الآية الخامسة: جاء فى سورة النساء قوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٦٢). وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع: والمرفوع فى الآية: المؤمنون، والمؤتون الزكاة، والمؤمنون بالله. فلماذا يستثنى «المقيمين الصلاة» فى منتصف الجملة، إذ كان يجب أن يقول: «والمقيمون الصلاة».

الجواب

هذه الآية وردت فى سياق الحديث عن اليهود تنصف من استحق الإنصاف منهم، بعد أن ذم الله تعالى من عاند منهم، وحاد عن الحق، فى الآيات التى سبقت هذه الآية.

ومجىء «المقيمين» بالياء خلافاً لنسق ما قبله وما بعده لفت أنظار النحاة والمفسرين والقراء، فأكثروا القول فى توجيهه ـ مع إجماعهم على صحته.

وقد اختلف آراؤهم فيه وها نحن نقتصر على ذكر ما قل ودل منها فى الرد على هؤلاء الكارهين لما أنزل الله على خاتم رسله ﷺ ولن نذكر كل ما قيل توخياً للإيجاز المفهوم. وأشهر الآراء فيه أن «المقيمين» منصوب على الاختصاص المراد منه المدح فى هذا الموضوع بدلالة المقام؛ لأن المؤدين للصلاة بكامل ما يجب لها من طهارة ومبادرة وخشوع وتمكن، جديرون بأن يُمدحوا من الله والناس. يقولا الإمام الزمخشرى:

«و«المقيمين» نصب على المدح. لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً فى خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، ولما فى النصب على الاختصاص من الافتنان»[1].

الزمخشرى أوجز كلامه فى الوجه الذى نُصب عليه «المقيمين» وهو الاختصاص مع إرادة المدح[2].

الاختصاص هو مخالفة إعراب كلمة لإعراب ما قبلها بقصد المدح كما فى الآية، أو الذم. ويسمى الاختصاص والقطع.

ومع إيجازه فى عبارته كان حكيماً فيها، ومن الطريف فى كلامه إشارته إلى خطأ من يقول إن نصب «المقيمين» لحن فى خط المصحف - لا سمح الله - ثم وصفه بالجهل بمذاهب العرب فى البيان، والتفنن فى الأساليب، وكأنه - رحمه الله - يتصدى للرد على هؤلاء الطاعنين فى القرآن، الذين نرد عليهم فى هذه الرسالة.

والرأى الذى اقتصر عليه الإمام الزمخشرى هو المشهور عند النحاة والمفسرين والقراء.

وقد سبق الزمخشرى فى هذا التوجيه شيخ النحاة سيبويه وأبو البقاء العكبرى[3].

---

(١) الكشاف.

(٢) الكتاب (٢٤٨/ ١).

(٣) إعراب القرآن (املاء ما مَنّ به الرحمن) (٢٠٢/ ١).

وهذا الاختصاص أو القطع بيان لفضل الصلاة التى جعلها الله على الناس كتاباً موقوتاً، وأمر عباده بإقامتها والمحافظة عليها فى كثير من آيات الكتاب العزيز ومثَّلها رسوله ﷺ - كما فى صحيحى البخارى ومسلم - بالنهر، الذى يستحم فيه المكلف فى اليوم خمس مرات، فيزيل كل ما علق بجسمه من الأدران والأوساخ، وكذلك الصلوات الخمس فإنها تمحو الخطايا، وتزيل المعاصى كما يزيل الماء أدران الأجسام.

أما الآراء الأخرى فكثيرة، ولكنها لا تبلغ من القوة والشيوع ما بلغه هذا الرأى، وهو النصب على الاختصاص أو القطع.

وقد أوردوا عليه شواهد عدة من الشعر العربى المحتج به لغويا ونحويا. ومن ذلك ما أورده سيبويه:

ويأوى إلى نسوة عُطَّلٍ وشُعْثاً مراضيع مثل السعالى

ومنها قول الخرنق بنت هفان:

لايبعدنْ قومى الذين همو سَمُّ العداة وآفة الجزْر

النازلين بكل معتركٍ والطيبون معاقد الأُزْر(١)

والشاهد فى هذه الأبيات، نصب «شُعثا» فى البيتين الأولين وهو معطوف على مجرور «عُطَّل». والشاهد فى البيتين الآخرين نصب «النزلين» وهو معطوف على مرفوع، وهو «سمٌّ العداة».

هذا، وقد قلنا من قبل إن القرآن غير مفتقر إلى شواهد من خارجه على صحة أساليبه، ومع هذا فإن ورود هذه الشواهد نرحب به ولا نقلل من شأنه، ومنهم من جعل «المقيمين» مجزورماً لا منصوباً. وقال إن جره لأنه معطوف على الضمير المجرور محلا فى «منهم» والمعنى على هذا: لكن الراسخون منهم والمقيمين الصلاة.

وبعضهم قال إنه مجرور بالعطف على الكاف فى «أنزل إليك» وبعضهم قال إنه مجرور بالعطف على «ما» فى «بما أنزل إليك».

---

(١) انظر فى هذه الشواهد الدر المصون (١٥٤/ ٤).

أو هو مجرور بالعطف على «الكاف» فى «قبلك»[1].

والخلاصة:

أن الذى ينبغى الركون إليه ـ لقوته ـ هو الرأى الأول، المنسوب إلى سيبويه وأبى البقاء العكبرى والزمخشرى وابن عطية، أما ما عداه من آراء فلا تخلو من التكلف أو الضعف.

أما النصب على الاختصاص فلا مناص من قبوله؛ لأنه أسلوب شائع فى الاستعمال اللغوى العربى، وفيه من البلاغة أمر زائد على مجرد التوجيه النحوى، الذى لا يتجاوز بيان عامل النصب أو الجر.

القرآن والنحو.. وحقائق غائبة

الحمد لله وكفى.. وسلام على عباده الذى اصطفى.. ثم أما بعد...

يعترض النصرانى على القرآن، ببعض آياته التى أتت على غير الشائع نحويا، يظن واهماً أن ذلك ينقص من شأن الكتاب العزيز.

فكيف يكون رد المسلم على ذلك؟

عادة ما يلجأ المسلم إلى أقوال علماء النحو واللغة، وفيها تخريجات نحوية للإشكال المتوهم فى الآية، وغالباً ما يشير ـ العالم ـ إلى أن الإشكال المتوهم هو لغة جائزة عند العرب.

كل هذا جميل ورائع، لكن هناك أمراً قبله علينا أن نعيه أولاً، ثم نعلمه للنصارى ثانياً.

إن النصارى يحاكمون القرآن العظيم إلى منهج القواعد النحوية للصف الثالث الإعدادى!

يظنون أن القواعد النحوية حاكمة على القرآن!

وهذا جهل فاضح بنشأة علم النحو.

---

(١) انظر الدر المصون (١٥٤/ ٤).

إن علم النحو ليس علماً عقليّاً.. بمعنى أن سيبويه ـ مثلاً ـ لم يعتمد على التفنن العقلى فى تقرير قواعد النحو.

إن علم النحو مبنى على الاستقراء.

فسيبويه ـ مثلاً ـ أخذ يحلل كل النصوص الواردة عن العرب، من شعر وخطابة ونثر وغير ذلك، فوجد أنهم ـ العرب ـ دائماً يرفعون الفاعل فى كلامهم، فاستنبط من ذلك قاعدة «الفاعل مرفوع».. وهكذا نتجت لدينا «قاعدة نحوية» تسطر فى كتب النحو، ليتعلمها الأعاجم فيستقيم لسانهم بالعربية إذا جرت عليه.

أفلو كان سيبويه وجد العرب ينصبون الفاعل، أكنا سنجد كتاب القواعد النحوية فى الصف الثالث الإعدادى، يخبرنا بأنه يجب علينا نصب الفاعل كلما وجدناه؟

بل قارئى الكريم!

إن علم النحو مبنى على الاستقراء.. «القواعد النحوية» مستنبطة من «استقراء» صنيع العرب فى كلامهم.

إذا فهمت هذه النقطة قارئى الكريم، سيسهل عليك ـ إن شاء الله ـ فهم ما بعدها.

وهو أن العرب لم تكن كلها لهجة واحدة، ولم تكن كلها تسير على نفس القواعد النحوية ذاتها، ولم تكن تلتزم كل قبيلة منها بنفس المعاملات النحوية.

إن قبائل العرب لم تكن تسير فى كلامها على منهج النحو للصف الثالث الإعدادى!

وليس معني ذلك أنه كان لكل قبيلة «نحوها» الخاص بها.. كلا.. وإنما اشتركت كل قبائل العرب فى «معظم» القواعد النحوية المشهورة الآن.. لكنها ـ أبداً ـ لم تجتمع على «كل» تلك القواعد بعينها.

لعلك أدركت الآن ـ قارئى الكريم ـ أن دائرة الخلاف فى التعاملات النحوية بين القبائل العربية كانت صغيرة، لكنها واقعة لا سبيل إلى إنكارها.

لكن لا تنتظر أن يخبرك واضعوا المناهج النحوية فى المدارس بكل الاختلافات النحوية فى كل مسألة، إنما هم يخبرونك فقط بـ «الشائع» و«الأعم» و«الأغلب».. ثم يتوسع من شاء فى دراسته الجامعية أو الأزهرية، لأنها أكثر تخصصاً.

وكل طالب مبتدئ فى قسم للغة العربية فى أى جامعة يدرك جيداً ما قلته سابقاً.

هنالك - فى المرحلة الجامعية - يدرس «الاختلافات» النحوية، ويعرف ما هو الفرق بين «المذاهب» النحوية، وبم تتميز «مدرسة الكوفة» عن «مدرسة البصرة».. إلى آخر هذه الأمور.

إذن.. وضع العلماء القواعد النحوية بناء على استقراء كلام العرب، وما وجدوه من اختلافات أثبتوه.

هل بقى ما يقال؟

بالطبع بقى.

بقى أن تعلم أن «أهم» مصادر العلماء التى اعتمدوا عليها فى الاستقراء هو القرآن العظيم نفسه!

لأن القرآن أصدق صورة لعصره، ليس فقط عندا لمسلم، ولكن عند الجميع مسلمين وغير مسلمين، فحتى أولئك الذى لا يؤمنون بمصدره الإلهى، يؤمنون بأن القرآن أصدق تمثيل لعصره فى الأحداث التاريخية والعادات الجارية.. واللغة وقواعدها.

إن علماء النحو يستدلون على صحة قاعدة نحوية ما بورودها فى القرآن، ليس فى قراءة حفص عن عاصم فقط، بل يكفى ورودها فى أى قراءة متواترة أخرى.

أى أن القرآن - عند النحاة - هو الحاكم على صحة القاعدة النحوية، وهى التى تسعى لتجد شاهداً على صحتها فى أى من قراءاته المتواترة.

القرآن هو الحاكم على النحو وليس العكس.

علينا أن نعى هذه الحقيقة جيداً، وعلينا أن نعلم النصارى ما جهلوه منها.

إن النصرانى المعترض، عندما يقرأ ما أتى به المسلم من تخريجات نحوية للعلماء يظن أن أقوال العلماء هى مجرد محاولات للهروب وإخفاء الحقيقة..! والحقيقة الثابتة - عنده - أن القرآن به أخطاء نحوية.. الحقيقة الثابتة عنده أن محمداً صلوات ربى وسلامه عليه - لم يستذكر دروس كتاب النحو فى الصف الثالث الإعدادى جيداً!

هذا القول النصرانى ناتج عن الجهل.. الجهل بنشأة علم النحو، وبكيفية تدوين العلماء للقواعد النحوية.

الطريف في الأمر، أن النصارى يعترضون على المخالفات النحوية فى الآيات، ولا يدرون من رصد هذه المخالفات!

لا تظن قارئى الكريم أن بعض النصارى العرب قد تأملوا القرآن، فاكتشفوا هذه الأخطاء المتوهمة، بعدما حاكموه لما تعلموه فى الابتدائية من قواعد نحوية.. كلا.. لا تظن ذلك أبداً.

إنما كل ما يكتب عند النصارى حول ما يسمونه «أخطاء نحوية فى القرآن» ليس من كلامهم، ولا من لباب أذهانهم، ولا من بنات أفكارهم.

لقد نقلوا كل هذه «الأخطاء!» عن كتب المستشرقين الأعاجم! من أمثال «نولدكه» وغيره.

لن أتوقف بك ـ قارئى الكريم ـ كثيراً فى محطة هؤلاء المستشرقين أعجميى القلب واللسان.. لن أخبرك شيئاً عن بعض كتاباتهم التى توضح مدى جهلهم الفاضح باللغة العربية..! ولن أخبرك شيئاً عن حقدهم الدفين ـ والظاهر! ـ على دين الحق وكتابه ونبيه بل وأهله.. لن أخبرك شيئاً عن ذلك، ولن أقف بك فى هذه المحطة أبداً.

لكن تعال نتعدى هذه المرحلة لنتساءل.. من أين أتى هؤلاء المتعالمين من المستشرقين بما أسموه «أخطاء نحوية»، لينقلها نصارى العرب منهم بعد ذلك جهلاً بغير علم؟

مرة أخرى أحذرك قارئى الكريم!.. لا تتخيل أو تظن أو تتوهم أن هذا المستشرق الألكن، ذا اللسان الأعجم، قد تأمل القرآن «فتنبه» إلى تلك «الأخطاء!».

هم أحقر من ذلك قارئى الكريم، وإن أوهموك بغير ذلك!

كان ما فعله هؤلاء المستشرقون كالتالى.. قرأوا كتب النحو التى ألفها علماء العربية، وكذلك كتب التفسير، وأخذوا يتتبعون ما رصده «علماء المسلمين» أنفسهم، من ورود آيات قرآنية موافقة لقواعد نحوية لم تنل حظا من الشهرة مثل غيرها.

لقد وجد المستشرقون بغيتهم!

فليجمعوا إذن كل تلك الإشارات والمواضع.. وليحذفوا تعقيبات العلماء منها!.. وليطلقوا على ما جمعوه «أخطاء نحوية!.. وليسموا ما فعلوه «بحثاً علميّاً!.. وليكن موصوفاً بالنزاهة والتجرد الموضوعى!

هذه هى قصتنا قارئى الكريم!

إن ما يتهوك به النصارى من أخطاء نحوية فى القرآن. ليست من نتاج ذكائهم، وإنما نقلوها ـ جهلاً بغير علم ـ عن المستشرقين.. والمستشرقون ـ أعجميو القلب واللسان ـ لم يأتوا بها من لباب أذهانهم، وإنما نقلوها ـ عَدْواً بغير علم ـ مما خطته أيدى عباقرة المسلمين الأفذاذ، الذين كانوا يجرون على منهج علمى محكم سديد، يستقرأون ما نقل عن العرب، وينزلون إلى البادية، ويعيشون بين الأعراب الذين لم يختلطوا بالأعاجم، فينقلوا عنهم كلامهم وأشعارهم ونثرهم، ويحللون كل ذلك تحليلاً مرهقاً للكلمة والحرف، ثم يستنبطون ما جرى من قواعد على لسان العرب، ويحددون الأغلب من غيره، والشائع مما هو دونه فى الشيوع.

بعد أن سطر عباقرة المسلمين علومهم اللغوية والنحوية فى كتبهم، راصدين كل الظواهر بأمانة ونقد، يأتي المستشرقون ليقتطعوا من كلامهم ما ظنوه يخدمهم... ساعدهم فى ذلك جهلهم الفاحش باللغة العربية، وساعدهم علمهم بسذاجة وجهل من دونهم من شعوب النصرانية.

أرجو أن أكون قد أوضحت بعض الحقائق الغائبة فى موضوعنا.

اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كل قول وعمل يقربنا إلى حبك.

٥٨- ضراط الشيطان

سؤال

ورد فى سنن النسائى وغيره حديث للرسول قال فيه: «إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل» فهل للشيطان ضراط وكيف يحدث هذا؟

جواب

إن فى معنى قوله عن الشيطان: «وله ضراط» قولين:

الأول: أن يكون المعنى عبارة عن شدة نفاره وانزعاجه أى الشيطان. وسماه ضراطاً تقبيحاً له، وليس المعنى على الحقيقة ويقويه رواية لمسلم «باب الصلاة وفضل الأذان» جاء فيها: «... إن الشيطان إذا نودى بالصلاة ولى وله حُصاص» مضموم الأول فقد فسره الأصمعى وغيره بشدة العدو. قال الطيبى: شبه شغل الشيطان نفسه عن سماع الأذان بالصوت الذى يملأً السمع ويمنعه عن سماع غيره، ثم سماه ضراطاً تقبيحاً له.

الثانى: إن قوله عن الشيطان: «وله ضراط» هى حقيقة ممكنة يجوز حمله عليها ويجوز أن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة بتأذيه بالأذان حين سماعه.

قال القاضى عياض: يمكن حمله على ظاهره لأنه جسم متغذٍّ يصح منه خروج الريح.

٥٩- ما المقصود بأن النساء ناقصات عقل ودين؟

يجيب فضيلة الشيخ محمد الشعراوى رحمه الله:

ما هو العقل أولاً؟

العقل من العقال، بمعنى أن تمسك الشىء وتربطه، فلا تعمل كل ما تريد. فالعقل يعنى أن تمنع نوازعك من الانفلات، ولا تعمل إلا المطلوب فقط.

إذن فالعقل جاء لعرض الآراء، واختيار الرأى الأفضل. وآفة اختيار الآراء الهوى والعاطفة، والمرأة تتميز بالعاطفة، لأنها معرضة لحمل الجنين، واحتضان الوليد، الذى لا يستطيع أن يعبر عن حاجته، فالصفة والملكة الغالبة فى المرأة هى العاطفة، وهذا يفسد الرأى.

ولأن عاطفة المرأة أقوى، فإنها تحكم على الأشياء متأثرة بعاطفتها الطبيعية، وهذا أمر مطلوب لمهمة المرأة.

إذن فالعقل هو الذى يحكم الهوى والعاطفة، وبذلك فالنساء ناقصات عقل، لأن عاطفتهن أزيد، فنحن نجد الأب عندما يقسو على ولده ليحمله على منهج تربوى فإن الأم تهرع لتمنعه بحكم طبيعتها. والإنسان يحتاج إلى الحنان والعاطفة من الأم، وإلى العقل من الأب.

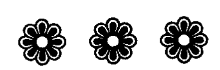
وأكبر دليل على عاطفة الأم تحملها لمتاعب الحمل والولادة والسهر على رعاية طفلها، ولا يمكن لرجل أن يتحمل ما تتحمله الأم، ونحن جميعاً نشهد بذلك.

أما ناقصات دين فمعنى ذلك أنها تعفى من أشياء لا يعفى منها الرجل أبداً.

فالرجل لا يعفى من الصلاة، وهى تعفى منها فى فترات شهرية.. والرجل لا يعفى من الصيام بينما هى تعفى كذلك عدة أيام فى الشهر.. والرجل لا يعفى من الجهاد والجماعة وصلاة الجمعة.. وبذلك فإن مطلوبات المرأة الدينية أقل من المطلوب من الرجل.

وهذا تقدير من الله سبحانه وتعالى لمهمتها وطبيعتها. وليس لنقص فيها، ولذلك حكم الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ **(سورة النساء: ٣٢)**.

فلا تقول: إن المرأة غير صائمة لعذر شرعى فليس ذلك ذما فيها، لأن المشرع هو الذى طلب عدم صيامها هنا، كذلك أعفاها من الصلاة فى تلك الفترة، إذن فهذا ليس نقصاً فى المرأة ولا ذما، ولكنه وصف لطبيعتها.



٦٠- ما المقصود بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

الجواب

الصلاة من الله تعالى رحمة ورفع درجات، ومن الملائكة استغفار، ومن المؤمنين دعاء. ولم يُذكَر عن أحد سوى النبى الكريم ﷺ أنه سبحانه وتعالى يصلى عليه هكذا ثم كلَّف به المؤمنين.

وللرسول ﷺ أفضال عظيمة على الأمة كلها، فبه صلى الله عليه وسلم عرفنا خالقنا ومالكنا وتشرفنا بالإيمان وعن طريقه وصلت إلينا تلك التعليمات المباركة التى بها نحصل على فلاح الدنيا والآخرة فى صورة القرآن الكريم والحديث الشريف.

قال ابن عبد السلام: ليست صلاتنا على النبى ﷺ شفاعة منا له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء، فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه؛ لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا، وأفضاله علينا، إذ لا إحسان أفضل من إحسانه ﷺ.

وفائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذى يصلى عليه دلالة ذلك على نضوج العقيدة، وخلوص النية، وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام.

وقال أبو العالية: صلاة الله على نبيه.. ثناؤه عليه عند ملائكته، وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى.

قال الطبرى عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾(الأحزاب: ٥٦).

يقول: يباركون على النبى، ومعنى ذلك أن الله يرحم النبى، وتدعوا له ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة فى كلام العرب من غير الله إنما هو الدعاء وكأن الله تعالى ذكره: يقول يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبى الله محمد ﷺ وسلموا عليه تسليما، يقول: وحيوه تحية الإسلام.

وصلاة الله على النبى ذكره بالثناء فى الملأ الأعلى؛ وصلاة ملائكته دعاؤهم له عند الله سبحانه وتعالى، ويالها من مرتبة سنية حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه؛ ويشرق به الكون كله، وتتجاوب به أرجاؤه، ويثبت فى كيان الوجود ذلك الثناء الأزلى القديم الأبدى الباقى. وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم، وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلى وتسليمه، وصلاة الملائكة فى الملأ الأعلى وتسليمهم؛ إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاتهم وتسليمهم إلى تسليمهم، وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوى الكريم.

ومعنى صلاة الله والملائكة والرسول على المؤمنين كلمة الصلاة تعنى مزيجاً من الثناء والمحبة ورفعة الشأن والدرجة وهذه الكلمة وردت بالنسبة إلى أعمال صالحة قام بها أصحابها، فاستحقوا بها الصلاة، وبالنسبة إلى جمهور المؤمنين عموماً فالذين يصبرون على مصابهم، ويتحملون بجلد بلواهم هؤلاء لا يحرمون من عناية الله ورحمته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

(البقرة: ١٥٦ - ١٥٧).

ووردت آية أخرى تقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣).

وتبين هذه الآية الكريمة أن رب العالمين يحب أهل الإيمان، ويتولاهم بالسَّداد

والتوفيق، وتحيط بهم فى الدنيا ظلمات شتى، فهو يخرجهم من الظلمة، ويبسط فى طريقهم أشعة تهديهم إلى الغاية الصحيحة، وترشدهم إلى الطريق المستقيم، وهذا المعنى ذكرته الآية:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

إن الصلاة التى يستحقها الصابرون على مصابهم، والصلاة التى يستحقها المؤتون للزكاة، والصلاة التى يخرج بها أهل الإيمان من الظلمة إلى الضوء، ومن الحيرة إلى الهدى، هذه الصلوات كلها دون الصلاة التى خصَّ الله بها نبينا محمدا ﷺ؛ لأن صلاة الله وملائكته على نبيه محمد ﷺ تنويه بالجهد الهائل الذى قام به هذا الإنسان الكبير، كى يخرج الناس من الظلام إلى النور، وهو الذى بدد الجاهليات، وأذهب المظالم والظلمات.

لقد نقل النبى ﷺ وحده العالم أجمع من الضلال إلى الهُدَى، وأكد هذا المعنى قوله جل جلاله:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ (البينة: ١ ـ ٣).

فما كان أهل الكتاب ولا كان المشركون ينفكون عن ضلالهم، ويفارقون غوايتهم وحيرتهم وعوجهم وشرورهم، ما كانوا يستطيعون الانفكاك من مواريث الغفلة وتقاليد العمى؛ إلا بعد أن جاء هذا النبى الكريم ﷺ، وقد جعل الحليمى فى شُعَب الإيمان تعظيمَ النبى ﷺ من شعب الإيمان وقرر أن التعظيم منزلة فوق المحبة، ثم قال: علينا أن نحبه ونبجله ونعظمه أكثر وأوفر من إجلاله كل عبد سيده وكل ولد والده، بمثل هذا نطق الكتاب ووردت أوامر الله تعالى، ثم ذكر الآيات والأحاديث، وما كان من فعل الصحابة رضوان الله عليهم معه، الدال على كمال تعظيمه وتبجيله فى كل حال وبكل وجه.

٦١- أين تذهب الشمس

سؤال:

ورد فى صحيح البخارى أن النبى قال لأبى ذر حين غربت الشمس: «أتدرى أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها.»

والسؤال: كيف تستأذن الشمس وتسجد تحت العرش؟

الجواب

الحمد لله،

إن سجود الشمس صحيح ممكن، وتأوله قوم بأن سجودها هو ما هى عليه من التسخير الدائم، وذهابها هو غروبها ووجه بعض العلماء المعنى بأن المراد من سجودها هو سجود من هو موكل بها من الملائكة فيكون الاستئذان أسند إليها مجازاً، والمراد من هو موكل بها من الملائكة.

وقال ابن بطال: استئذان الشمس معناه أن الله يخلق فيها حياة القول عندها؛ لأن الله قادر على إحياء الجماد والأموات.

وقال صاحب كتاب أيسر التفاسير: «كونها أى الشمس تحت العرش فلا غرابة فيه فالكون كله تحت العرش وكونها تستأذن فيؤذن لها لا غرابة فيه إذا كانت النملة تدبر أمر حياتها بإذن ربها وتقول وتفكر وتعمل فالشمس أحرى بذلك وأنها تنطق بنطقها الخاص وتستأذن ويؤذن لها». اهـ.

وسبحان الله القائل: «ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس» ومعنى سجود هذه الأشياء أى انقيادها وما يرى فيها من أثر الصنعة فالكل يسجد لله سبحانه أى يخضع له بما يراد منه. والسجود هو الخضوع فى اللغة. لذلك قال بعض العلماء: إن المراد بسجودها تحت العرش خضوعها لله وانقيادها للنظام الذى وضعه لها.

وهذا أمر يجرى على كل كائن فى الوجود مهما تصور الإنسان عظمته وفتن بقوته وأثره، فهو تحت حكم الله يتصرف فيه كيف يشاء، وكل حركة فى الكون فهى بأمره سبحانه.

ولنرى الآن ماذا يقول كتاب النصارى المقدس فى سفر الجامعة (١: ٥): «الشمس تشرق ثم تغرب، مسرعة إلى موضعها الذى منه طلعت!!!».

فمنذ متى كانت الشمس - عند غروبها - تسرع عائدة إلى المكان الذى تشرق منه؟



٦٢- الإسراء والمعراج

يحاول الحاقدون على الإسلام من النصارى أن يثيروا الشبهات فى معجزة الإسراء والمعراج ويشككون فى وقوعها فكيف ندحض هذه الشبهة ونلقم أصحابها الحجارة فى حلوقهم؟

الجواب

الحمد لله،

نقول لهؤلاء النصارى الحاقدين إن الذى أسرى بمحمد ﷺ هو الله.. لأن الله سبحانه وتعالى قال: «سبحان الذى أسرى بعبده».. ولم يقل لنا إن محمداً ﷺ هو الذى قام بهذه المعجزة بذاتيته.. بل الله هو الذى أسرى به.. والله سبحانه وتعالى لا يخضع لقوانين الكون.. وليس كمثله شىء.. وإذا نسبت الفعل وهو الإسراء إلى الفاعل وهو الله الذى ليس كمثله شىء.. أصبح كل ما حدث يقيناً وصحيحاً لأنه تم بقدرة الله.. ولذلك حينما قال أهل مكة: أيستطيع محمد أن يذهب إلى بيت المقدس.. ويصعد إلى السماء؟.. نقول إن محمداً ﷺ لم يدع ذلك.. ولم يقل إنه قام بهذا من نفسه.. وإنما هو أُسرى به.. ومن الذى أَسرى به؟.. هو الله سبحانه وتعالى.. والله تعالى ليس كمثله شىء.. ومن هنا فإن كل قول لمحمد ﷺ عن الإسراء هو قول صدق تماماً.. لأن الله سبحانه وتعالى قال: «سبحان الذى أسرى بعبده» فالمعجزة تمت بقدرة الله.

ويبرهن العلامة رحمت الله الهندى على وقوع هذه المعجزة العظيمة لنبينا الكريم بالعقل والنقل:

أما عقلاً: فلأن خالق العالم قادر على أن يسرى بمحمد ﷺ بهذه السرعة.. وغاية ما فى الامر أن المعجزة تمت خلافِ العادة، والمعجزات كلها تكون كذلك.

أما نقلاً: فلأن صعود الأجسام إلى السماء بقدرة الله ليس ممتنع عند أهل الكتاب:

فهذا أخنوخ نقله الله حيّاً إلى السماء لئلا يرى الموت «تكوين ٥: ٢٤).

وهذا إيليا يقول عند كاتب سفر الملوك الثانى: «وعندما أزمع الرب أن ينقل إيليا فى العاصفة إلى السماء، ذهب إيليا وأليشع من الجلجال...... ١١ وفيما هما يسيران ويتجاذبان أطراف الحديث، فصلت بينهما مركبة من نار تجرها خيول نارية، نقلت إيليا فى العاصفة إلى السماء» (ملوك الثانى ٢: ١ - ١١).

فهذه الأمور مسلمة عند المسيحيين فلا مجال لهم أن يعترضوا على معراج النبى ﷺ.

ونقل بعض الأحباء أن قسيساً فى بلدة من بلاد الهند كان يقول فى بعض المجامع تشويشاً لجهال المسلمين: كيف تعتقدون فى الإسراء والمعراج وهو أمر مستبعد؟ فأجابه مجوسى من مجوس الهند: إن الإسراء والمعراج ليس بأشد استبعاداً من كون العذراء تحمل من غير زوج! فبهت القسيس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،



٦٣- المسجد الأقصى

نصرانى يسأل: يحكى القرآن عن إسراء محمد إلى المسجد الأقصى مع أن المسجد الأقصى قد بنى بعد محمد بنحو مئة سنة فأرجو التوضيح.

الجواب

أولاً: إن مفهوم المسجد الأقصى فى الفكر الإسلامى ليس مقصود به ما فهمه المعترض. فإن مفهوم المسجد هو أن الأقصى ثانى مسجد بنى على الارض عندما آدم عليه السلام إلى الأرض، والمسجد الحرام بنى قبله بأربعين عاما كما جاء فى حديث مسلم عن أبى ذر الغفارى ـ رضي الله عنه ـ قال: «قلت: يا رسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أولَ؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد».

ولهذا فتسمية ذلك المكان بالمسجد الأقصى فى القرآن الكريم تسمية قرآنية اعتبر فيها ما كان عليه من قبل، لأن حكم المسجدية لا ينقطع عن أرض المسجد. فالتسمية باعتبار ما سيكون، وهى إشارة خفية إلى أنه سيكون مسجداً بأكمل حقيقة المساجد.

ثانياً: ما معنى كلمة مسجد؟

إن كلمة مسجد اسم مكان لمكان السجود، والسجود جاء فى كل الرسالات، وهناك فرق بين الشىء حينما يستعمل وصفاً اشتقاقيا، وبين أن يستعمل علماً، وهل كلمة مسجد بقيت علماً عندنا على المكان الخاص به، إنما المسجد هو كل مكان يسجد فيه لله سبحانه وتعالى، وهم اتخذوه أيضاً مسجداً لله، بدليل قوله

سبحانه وتعالى:﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(آل عمران: ٤٢) فكأن السجود موجود فى كل الرسالات، وأيضاً يقص علينا سبحانه وتعالى قصة أهل الكهف فيقول: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾. فكأن كلمة المسجد لم تأت ابتداء مع الإسلام، إنما شاع استعمالها فى هذه الأماكن مع الإسلام، وإلا فكل مكان يسجد لله فيه يكون مسجداً، ونجد أنه كان فى اليهودية سجود لقوله تبارك وتعالى لبنى إسرائيل «ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً».

فعندما حدثت حادثة الإسراء لم يكن بهذا المكان ·بناء معروف بالمسجد الأقصى، وإنما كان المكان الموجود بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مكانا مخصصاً لعبادة الله سبحانه وتعالى، ولم يكن مسجداً بالمعنى المفهوم حالياً، وإنما سمى بالمسجد لأنه مكان العبادة.

وقد ظل مكان الهيكل فضاء خالياً من أى بناء بقية عهد الرومان النصارى، وقد حدث الإسراء والمعراج بالنبى ﷺ وكان المكان مازال خالياً من أى بناء، إلا أنه محاط بسور فيه أبواب داخله ساحات واسعة هى المقصودة بالمسجد الأقصى فى قوله - تعالى - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).



٦٤- لماذا شرع الإسلام الطلاق؟

يأخذ الكثير من الغربيين على الإسلام أنه أباح الطلاق، ويعتبرون ذلك دليلاً على استهانة الإسلام بقدر المرأة، وبقدسية الزواج، وقلدهم فى ذلك بعض المسلمين الذين تثقفوا بالثقافات الغربية، وجهلوا أحكام شريعتهم، مع أن الإسلام، لم يكن أول من شرع الطلاق، فقد جاءت به الشريعة اليهودية من قبل، وعرفه العالم قديماً.

وقد نظر هؤلاء العائبون إلى الأمر من زاوية واحدة فقط، هى تضرر المرأة به، ولم ينظروا إلى الموضوع من جميع جوانبه، وحكموا فى رأيهم فيه العاطفة غير الواعية، وغير المدركة للحكمة منه ولأسبابه ودواعيه.

إن الإسلام يفترض أولاً، أن يكون عقد الزواج دائماً، وأن تستمر الزوجية قائمة بين الزوجين، حتى يفرق الموت بينهما، ولذلك لا يجوز فى الإسلام تأقيت عقد الزواج بوقت معين.

غير أن الإسلام وهو يحتم أن يكون عقد الزواج مؤبداً يعلم أنه إنما يشرع لأناس يعيشون على الأرض، لهم خصائصهم، وطباعهم البشرية، لذا شرع لهم كيفية الخلاص من هذا العقد، إذا تعثر العيش، وضاقت السبل، وفشلت الوسائل للإصلاح، وهو فى هذا واقعى كل الواقعية، ومنصف كل الإنصاف لكل من الرجل والمرأة.

فكثيراً ما يحدث بين الزوجين من الأسباب والدواعى، ما يجعل الطلاق

ضرورة لازمة، ووسيلة متعينة لتحقيق الخير، والاستقرار العائلى والاجتماعى لكل منهما، فقد يتزوج الرجل والمرأة، ثم يتبين أن بينهما تبايناً فى الأخلاق، وتنافراً فى الطباع، فيرى كل من الزوجين نفسه غريباً عن الآخر، نافراً منه، وقد يطلع أحدهما من صاحبه بعد الزواج على ما لا يحب، ولا يرضى من سلوك شخصى، أو عيب خفى، وقد يظهر أن المرأة عقيم لا يتحقق معها أسمى مقاصد الزواج، وهو لا يرغب التعدد، أو لا يستطيعه، إلى غير ذلك من الأسباب والدواعى، التى لا تتوفر معها المحبة بين الزوجين ولا يتحقق معها التعاون على شؤون الحياة، والقيام بحقوق الزوجية كما أمر الله تعالى.

فيكون الطلاق لذلك أمراً لابد منه للخلاص من رابطة الزواج التى أصبحت لا تحقق المقصود منها، والتى لو ألزم الزوجان بالبقاء عليها، لأكلت الضغينة قلبيهما، ولكاد كل منهما لصاحبه، وسعى للخلاص منه بما يتهيأ له من وسائل، وقد يكون ذلك سبباً فى انحراف كل منهما، ومنفذاً لكثير من الشرور والآثام،

لهذا شرع الطلاق وسيلة للقضاء على تلك المفاسد، وللتخلص من تلك الشرور، وليستبدل كل منهما بزوجه زوجاً آخر، قد يجد معه ما افتقده مع الأول، فيتحقق قول الله تعالى: (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته، وكان الله واسعاً حكيماً).

وهذا هو الحل لتلك المشكلات المستحكمة المتفق مع منطق العقل والضرورة، وطبائع البشر وظروف الحياة.

ولا بأس أن نورد ما قاله (بيتام) رجل القانون الإنجليزى، لندلل للاهثين خلف الحضارة الغربية ونظمها أن ما يستحسنونه من تلك الحضارة، يستقبحه أبناؤها العالمون بخفاياها، والذين يعشون نتائجها.

يقول (بيتام):

(لو وضع مشروع قانون يحرم فض الشركات، ويمنع رفع ولاية الأوصياء، وعزل الوكلاء، فيها عجباً أن هذا الأمر الذى يخالف الفطرة، ويجافى الحكمة،

وتأباه المصلحة، ولا يستقيم مع أصول التشريع، تقرره القوانين بمجرد التعاقد بين الزوجين فى أكثر البلاد المتمدنة، وكأنها تحاول إبعاد الناس عن الزواج، فإن النهى عن الخروج من الشىء نهى عن الدخول فيه، وإذا كان وقوع النفرة واستحكام الشقاق والعداء، ليس بعيد الوقوع، فأيهما خير؟.. ربط الزوجين بحبل متين، لتأكل الضغينة قلوبهما، ويكيد كل منهما للآخر؟ أم حل ما بينهما من رباط، وتمكين كل منهما من بناء بيت جديد على دعائم قوية؟، أو ليس استبدال زوج بآخر، خيراً من ضم خليلة إلى زوجة مهملة أو عشيق إلى زوج بغيض).

والإسلام عندما أباح الطلاق، لم يغفل عما يترتب على وقوعه من الأضرار التى تصيب الأسرة، خصوصاً الأطفال، إلا أنه لاحظ أن هذا أقل خطراً، إذا قورن بالضرر الأكبر، الذى تصاب به الأسرة والمجتمع كله إذا أبقى على الزوجية المضطربة، والعلائق الواهية التى تربط بين الزوجين على كره منهما، فآثر أخف الضررين، وأهون الشرين.

وفى الوقت نفسه، شرع من التشريعات ما يكون علاجاً لآثاره ونتائجه، فأثبت للأم حضانة أولادها الصغار، ولقريباتها من بعدها، حتى يكبروا، وأوجب على الأب نفقة أولاده، وأجور حضانتهم ورضاعتهم، ولو كانت الأم هى التى تقوم بذلك، ومن جانب آخر، نفر من الطلاق وبغضه إلى النفوس فقال ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق فى غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة)، وحذر من التهاون بشأنه فقال عليه الصلاة والسلام: (ما بال أحدكم يلعب بحدود الله، يقول: قد طلقت، قد راجعت)، وقال عليه الصلاة والسلام: (أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم)، قاله فى رجل طلق زوجته بغير ما أحل الله.

واعتبر الطلاق آخر العلاج، بحيث لا يصار إليه إلا عند تفاقم الأمر، واشتداد الداء، وحين لا يجدى علاج سواه، وأرشد إلى اتخاذ الكثير من الوسائل قبل أن يصار إليه، فرغب الأزواج فى الصبر والتحمل على الزوجات، وإن كانوا يكرهون منهن بعض الأمور، إبقاء للحياة الزوجية، (وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً).

وأرشد الزوج إذا لاحظ من زوجته نشوزاً إلى ما يعالجها به من التأديب المتدرج: الوعظ ثم الهجر، ثم الضرب غير المبرح، ﴿واللاَّتي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾

(النساء: ٣٤)

وأرشد الزوجة إذا ما أحست فتوراً فى العلاقة الزوجية، وميل زوجها عنها إلى ما تحفظ به هذه العلاقة، ويكون له الأثر الحسن فى عودة النفوس إلى صفائها، بأن تتنازل عن بعض حقوقها الزوجية، أو المالية، ترغيباً له بها وإصلاحاً لما بينهما.

وشرع التحكيم بينهما، إذا عجزا عن إصلاح ما بينهما، بوسائلهما الخاصة.

كل هذه الإجراءات والوسائل تتخذ وتجرب قبل أن يصار إلى الطلاق، ومن هذا يتضح ما للعلائق والحياة الزوجية من شأن عظيم عند الله.

فلا ينبغى فصم ما وصل الله وأحكمه، ما لم يكن ثَمَّ (هناك) من الداوعى الجادة الخطيرة الموجبة للافتراق، ولا يصار إلى ذلك إلا بعد استنفاد كل وسائل الإصلاح.

ومن هدى الإسلام فى الطلاق، ومن تتبع الدواعى والأسباب الداعية إلى الطلاق يتضح أنه كما يكون الطلاق لصالح الزوج، فإنه أيضاً يكون لصالح الزوجة فى كثير من الأمور، فقد تكون هى الطالبة للطلاق، الراغبة فيه، فلا يقف الإسلام فى وجه رغبتها وفى هذا رفع لشأنها، وتقدير لها، لا استهانة بقدرها، كما يدعى المدّعون، وإنما الاستهانة بقدرها، بإغفال رغبتها، وإجبارها على الارتباط برباط تكرهه وتتأذى منه.

وليس هو استهانة بقدسية الزواج كما يزعمون، بل هو وسيلة لإيجاد الزواج الصحيح السليم، الذى يحقق معنى الزوجية وأهدافها السامية، لا الزواج الصورى الخالى من كل معانى الزوجية ومقاصدها.

إذا ليس مقصود الإسلام الإبقاء على رباط الزوجية كيفما كان، ولكن الإسلام جعل لهذا الرباط أهدافاً ومقاصدَ، لابد أن تتحقق منه، وإلا فليلغ، ليحل محله ما يحقق تلك المقاصد والأهداف.

٦٥- تفسير قوله تعالى: ألم نجعل الأرض مهادا...

سؤال

نصرانى يسأل ما تفسير قوله تعالى: «الم نجعل الأرض مهادا» وقوله: «وإلى الأرض كيف سطحت»، وأمثال ذلك، هل فيها ما ينافى كروية الأرض؟

الجواب

الحمد لله،

لا يوجد فى هذه الآيات الكريمات ـ لمن يتأمل ويتدبر ـ أى دلالة تنافى كروية الأرض.

قال صاحب الكشاف عند تفسير الآية الأولى، فإذا قلت: هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكُرِّية؟.

قلت: ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعل بالمفارش، وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها، واتساع جرمها، وتباعد أطرافها. وإذا كان متسهلا فى الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض، فهو فى الأرض ذات الطول والعرض أسهل. انتهى كلامه. (١)

وقال صاحب التفسير الكبير: (تفسير الرازى) من الناس من يزعم أن الشرط فى كون الأرض فراشا أن لا تكون كرة، فاستبدل بهذه الآية على أن الأرض ليست كرة، وهذا بعيد جدا، لأن الكرة إذا عظمت جدا كان كل قطعة منها كالسطح (٢)، انتهى.

---

(١) تفسير الكشاف ١ : ٩٤.
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ٢: ١٥٤.

وانظر أيها السائل إلى قول الرب فى كتابك فى سفر إشعيا: «هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض ونتائجها» (٤٢: ٥)، (٤٤، ٢٤): «أنا الرب صانع كل شىء ناشر السموات وحدى باسط الارض».

فكما بسط الله الأرض ومدها ووسعها ومهدها للخلق كذلك سطحها لهم ليستقروا عليها... فقوله تعالى: (ألم نجعل الأرض مهادا) وقوله تعالى (وإلى الأرض كيف سطحت) لا ينافى ذلك كونها كروية فهى كرة فى الحقيقة لها سطح يستقر عليه الحيوان ومنها أنه جعلها فراشا لتكون مقر الحيوان ومساكنه وجعلها قرارا وجعلها مهادا ذلولا توطأ بالأقدام وتضرب بالمعاول والفئوس.

وتحمل على ظهرها الأبنية الثقال فهى ذلول مسخرة لما يريد العبد منها وجعلها بساطاً وجعلها كفاتاً للأحياء تضمهم على ظهرها وللأموات تضمهم فى بطنها وطحاها فمدها وبسطها ووسعها ودحاها فهيأها لما يراد منها بأن أخرج منها ماءها ومرعاها وشق الأنهار وجعل فيها السهل والفجاج.

وتحت عنوان إثبات كروية الأرض كتب فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ما يلى:

إن القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته إلى يوم القيامة. ومعنى ذلك أنه لا يجب أن يحدث تصادم بينه وبين الحقائق العلمية فى الكون.. لأن القرآن الكريم لا يتغير ولا يتبدل ولو حدث مثل هذا التصادم لضاعت قضية الدين كلها..

ولكن التصادم يحدث من شيئين عدم فهم حقيقة قرآنية أو عدم صحة حقيقة علمية.. فإذا لم نفهم القرآن جيدا وفسرناه بغير ما فيه حدث التصادم.. وإذا كانت الحقيقة العلمية كاذبة حدث التصادم.. ولكن كيف لا نفهم الحقيقة؟.. سنضرب مثلاً لذلك ليعلم الناس أن عدم فهم الحقيقة القرآنية قد تؤدى إلى تصادم مع حقائق الكون.. الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ **(سورة الحجر: ١٩)**.. المد معناه البسط.. ومعنى ذلك أن الأرض مبسوطة.. ولو فهمنا الآية على هذا المعنى لاتهمنا كل من تحدّث عن كروية الأرض بالكفر

خصوصا أننا الآن بواسطة سفن الفضاء والأقمار الصناعية قد استطعنا أن نرى الأرض على هيئة كرة تدور حول نفسها.. نقول إن كل من فهم الآية الكريمة ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بمعنى أن الأرض مبسوطة لم يفهم الحقيقة القرآنية التى ذكرتها هذه الآية الكريمة.. ولكن المعنى يجمع الإعجاز اللغوى والإعجاز العلمى معا ويعطى الحقيقة الظاهرة للعين والحقيقة العلمية المختفية عن العقول فى وقت نزول القرآن. عندما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أى بسطناها.. أقال أى أرض؟ لا.. لم يحدد أرضا بعينها.. بل قال الأرض على إطلاقها.. ومعنى ذلك أنك إذا وصلت إلى أى مكان يسمى أرضا تراها أمامك ممدودة أى منبسطة.. فإذا كنت فى القطب الجنوبى أو فى القطب الشمالى.. أو فى أمريكا أو أوروبا أو فى أفريقيا أو آسيا.. أو فى أى بقعة من الأرض.. فأنك ترها أمامك منبسطة.. ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية.. فلو كانت الأرض مربعة أو مثلثة أو مسدسة أو على أى شكل هندسى آخر.. فإنك تصل فيها إلى حافة.. لا ترى أمامك الأرض منبسطة.. ولكنك ترى حافة الأرض ثم الفضاء..

ولكن الشكل الهندسى الوحيد الذى يمكن أن تكون فيه الأرض ممدودة فى كل بقعة تصل إليها هى أن تكون الأرض كروية.. حتى إذا بدأت من أى نقطة محددة على سطح الكرة الأرضية ثم ظللت تسير حتى عدت إلى نقطة البداية.. فإنك طوال مشوارك حول الأرض ستراها أمامك دائماً منبسطة.. وما دام الأمر كذلك فإنك لا تسير فى أى بقعة على الأرض إلا وأنت تراها أمامك منبسطة وهكذا كانت الآية الكريمة ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ لقد فهمها الناس على أن الأرض مبسوطة دليل على كروية الأرض.. وهذا هو الإعجاز فى القرآن الكريم.. يأتى باللفظ الواحد ليناسب ظاهر الأشياء ويدل على حقيقتها الكونية. ولذلك فإن الذين أساءوا فهم هذه الآية الكريمة وأخذوها على أن معناها أن الأرض منبسطة.. قالوا هناك تصادم بين الدين والعلم.. والذين فهموا معنى الآية الكريمة فهما صحيحا قالوا إن القرآن الكريم هو أول كتاب فى العالم ذكر أن الأرض كروية وكانت هذه الحقيقة وحدها كافية بأن يؤمنوا.. ولكنهم لا يؤمنون.

وهكذا نرى الإعجاز القرآنى.. فالقائل هو الله.. والخالق هو الله.. والمتكلم هو الله.. فجاء فى جزء من آية قرآنية ليخبرنا إن الأرض كروية وأنها تدور حول نفسها.. ولا ينسجم معنى هذه الآية الكريمة إلا بهاتين الحقيقتين معا.. هل يوجد أكثر من ذلك دليل مادى على أن الله هو خالق هذا الكون؟ ثم يأتى الحق سبحانه وتعالى ليؤكد المعنى فى هذه الحقيقة الكونية لأنه سبحانه وتعالى يريد أن يرى خلقه آياته فيقول: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ سورة الزمر: ٥.. وهكذا يصف الحق سبحانه وتعالى بأن الليل والنهار خلقا على هيئة التكوير.. وبما أن الليل والنهار وجدا على سطح الأرض معا فلا يمكن أن يكونا على هيئة التكوير.. إلا إذا كانت الأرض نفسها كروية. بحيث يكون نصف الكرة مظلما والنصف الآخر مضيئا وهذه حقيقة قرآنية أخرى تذكر لنا أن نصف الأرض يكون مضيئا والنصف الآخر مظلما.. فلو أن الليل والنهار وجدا على سطح الأرض غير متساويين فى المساحة. بحيث كان أحدهما يبدو شريطا رفيعا.. فى حين يغطى الآخر معظم المساحة، ما كان الاثنان معا على هيئة كرة.. لأن الشريط الرفيع فى هذه الحالة سيكون فى شكل مستطيل أو مثلث أو مربع.. أو أى شكل هندسى آخر حسب المساحة التى يحتلها فوق سطح الأرض.. وكان من الممكن أن يكون الوضع كذلك باختلاف مساحة الليل والنهار.. ولكن قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ دليل على أن نصف الكرة الأرضية يكون ليلا والنصف الآخر نهاراً وعندما تقدم العلم وصعد الإنسان إلى الفضاء ورأى الأرض وصورها.. وجدنا فعلا أن نصفها مضىء ونصفها مظلم كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى.

فإذا أردنا دليلاً آخر على دوران الأرض حول نفسها لابد أن نلتفت إلى الآية الكريمة فى قوله تعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة النمل: ٨٨).. عندما نقرأ هذه الآية ونحن نرى أمامنا الجبال ثابتة جامدة لا تتحرك نتعجب.. لأن الله سبحانه

وتعالى يقول: ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ومعنى ذلك أن رؤيتنا للجبال ليست رؤية يقينية.. ولكن هناك شيئاً خلقه الله سبحانه وتعالى وخفى عن أبصارنا.. فمادمنا نحسب فليست هذه الحقيقة.. أى أن ما نراه من ثبات الجبال وعدم حركتها.. ليس حقيقة كونية..

وإنما إتقان من الله سبحانه وتعالى وطلاقة قدرة الخالق.. لأن الجبل ضخم كبير بحيث لا يخفى عن أى عين.. فلو كان حجم الجبل دقياً لقلنا لم تدركه أبصارنا كما يجب.. أو أننا لدقة حجمة لم نلتفت إليه هل هو متحرك أم ثابت.. ولكن الله خلق الجبل ضخما يراه أقل الناس إبصاراً حتى لا يحتج أحد بأن بصره ضعيف لا يدرك الأشياء الدقيقة وفى نفس الوقت قال لنا إن هذه الجبال الثابتة تمر أمامكم مر السحاب. ولماذا استخدم الحق سبحانه وتعالى حركة السحب وهو يصف لنا تحرك الجبال؟.. لأن السحب ليست ذاتية الحركة.. فهى لا تتحرك من مكان إلى آخر بقدرتها الذاتية.. بل لابد أن تتحرك بقوة تحرك الرياح ولو سكنت الريح لبقيت السحب فى مكانها بلا حركة.. وكذلك الجبال.

الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعرف أن الجبال ليست لها حركة ذاتية أى أنها لا تنتقل بذاتيتها من مكان إلى آخر.. فلا يكون هناك جبل فى أوروبا، ثم نجده بعد ذلك فى أمريكا أو آسيا.. ولكن تحركاتها يتم بقوة خارجة عنها هى التى تحركها.. وبما أن الجبال موجودة فوق الأرض.. فلا توجد قوة تحرك الجبال إلا إذا كانت الأرض نفسها تتحرك ومعها الجبال التى فوق سطحها. وهكذا تبدو الجبال أمامنا ثابتة لا تغير مكانها.. ولكنها فى نفس الوقت تتحرك لأن الأرض تدور حول نفسها والجبال جزء من الأرض، فهى تدور معها تماما كما تحرك الريح السحاب.. ونحن لا نحس بدوران الأرض حول نفسها... ولذلك لا نحس أيضاً بحركة الجبال.

وقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ معناها أن هناك فترة زمنية بين كل فترة تمر فيها.. ذلك لأن السحاب لا يبقى دائما بل تأتى فترات ممطرة وفترات جافة وفترات تسطع فيها الشمس.. وكذلك حركة الجبال تدور وتعود إلى نفس المكان كل فترة. وإذا أردنا أن نمضى فالأرض مليئة بالآيات.. ولكننا نحن الذين لا

نتنبه.. وإذا نبه الكفار فإنهم يعرضون عن آيات الله... تماما كما حدث مع رسول الله ﷺ.. حين قال له الكفار فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (**سورة الإسراء: ٩٠ - ٩٢**).. وكان كل هذا معاندة منهم.. لأن الآيات التى نزلت فى القرآن الكريم فيها من المعجزات الكثيرة التى تجعلهم يؤمنون..

المصدر «الأدلة المادية على وجود الله» لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.



٦٦- تفسير قوله تعالى: وترى الشمس إذا طلعت....

ما تفسيركم لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧).

الجواب

يشير القرآن الكريم فى الآية الكريمة أعلاه إلى التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالحياة العجيبة لأصحاب الكهف فى الغار وكأنها تحكى على لسان شخص جالس فى مقابل الغار ينظر إليهم. فالآية الكريمة تقول: إنك إذا رأيت الشمس - رؤية بصرية أى فى رأى العين - حين طلوعها لرأيت أنها تطلع من جهة يمين الغار، وتغرب من جهة الشمال.. فإضافة الطلوع والغروب للشمس فى الآية هو وصف لرؤية العين وثقافة الرائى وهذا الأمر واضح لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت...﴾



٦٧- حديث الذباب

ما قولكم فى حديث الذباب - أعنى الحديث الشريف النبوى الذى يقول ما معناه: «إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ثم ليرفعه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء».

هل هذا الحديث صحيح متفق على صحته؟ وما حكم من أنكره أو تشكك فى صحة نسبته إلى رسول الله ﷺ هل يخرجه هذا من الدين؟

الجواب

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

الجواب عن حديث الذباب وما تضمنه من استفسارات ألخصه فى النقاط التالية:

أولاً: إن الحديث صحيح رواه الإمام البخارى فى جامعه الصحيح، ولكنه لا يعد من «المتفق عليه» فى اصطلاح علماء الحديث، لأن المتفق عليه عندهم هو ما اتفق على روايته الشيخان - البخارى ومسلم - فى صحيحيهما. وهذا الحديث مما انفرد به البخارى، ولم يخرجه مسلم، رحمهما الله.

ومعلوم أن أحاديث صحيح البخارى متلقاة بالقبول لدى جماهير الأمة فى مختلف العصور، وخصوصاً فيما سلم فيها من النقد والاعتراض من جهابذة علماء الأمة من المحدثين والفقهاء الراسخين.

ولا أعلم أحداً من العلماء السابقين أثار إشكالاً حول هذا الحديث أو تحدث عن علة قادحة فى سنده أو متنه.

ثانياً: إن هذا الحديث لا يتعلق ببيان أصل من أصول الدين، من الإلهيات

أو النبوات أو السمعيات، ولا ببيان فريضة من فرائضه الظاهرة أو الباطنة، الشخصية أو الاجتماعية... ولا ببيان أمر الحلال والحرام فى حياة الفرد أو الجماعة، ولا ببيان تشريع من تشريعات الإسلام المنظمة لحياة الأسرة والمجتمع والدولة والعلاقات الدولية، ولا ببيان خلق من أخلاق الإسلام التى بعث الرسول ليتمم مكارمها.

ولو أن مسلماً عاش دون أن يقرأ هذا الحديث أو يسمع به، لم يكن ذلك خدشاً فى دينه، ولا أثر ذلك فى عقيدته أو عبادته، أو سلوكه العام.

فلو سلمنا ـ جدلاً ـ بكل ما أثاره المتشككون حول الحديث، وحذفناه من صحيح البخارى أصلاً، ما ضر ذلك دين الله شيئاً.

فلا مجال لأولئك الذين يتخذون من الشبهات المثارة حول الحديث، سبيلاً للطعن فى الدين كله، فالدين ـ أعنى الإسلام ـ أرسخ قدماً، وأثبت أصولاً، وأعمق جذوراً من أن ينال منه بسبب هذه الشبهات الواهية.

ثالثاً: إن هذا الحديث ـ وإن كان صحيحاً لدى علماء الأمة ـ هو من أحاديث الآحاد، وليس من المتواتر الذى يفيد اليقين.

وأحاديث الآحاد إذا رواها الشيخان أو أحدهما قد اختلف فيها العلماء: هل تفيد العلم أى اليقين أم تفيد مجرد الظن الراجح؟ أم يفيد بعضها العلم بشروط خاصة؟.

وهذا الخلاف يكفى للقول بأن من أنكر حديثاً من أحاديث الآحاد، قامت شبهة فى نفسه حول ثبوته ونسبته إلى النبى ﷺ. لا يخرج بذلك من الدين لأن الذى يخرج منه إنكار ما كان منه بيقين لا ريب فيه، ولا خلاف معه، أى القطعى الذى يسميه العلماء «المعلوم من الدين بالضرورة».

إنما يخرج من الدين حقا من اتخذ من الغبار المثار حول هذا الحديث وسيلة للطعن فى الدين والاستهزاء به، فإن هذا كفر صريح.

رابعاً: أما مضمون الحديث وعلاقته بالعلم والطب الحديث، فقد دافع عنه

كثير من كبار الأطباء ورجال العلم، مستشهدين ببحوث ودراسات لعلماء غربيين مرموقين. ونشر ذلك كثير من المجلات الإسلامية فى مناسبات شتى.

وحسبى هنا أن أنقل ردا علميا طبيا حول هذا الموضوع، وهو للأستاذ الدكتور أمين رضا أستاذ جراحة العظام والتقويم بجامعة الإسكندرية، إثر مقال نشرته بعض الصحف لطبيب آخر تشكك فى الحديث المذكور.

يقول الدكتور أمين رضا: رفض أحد الأطباء الزملاء حديث الذبابة على أساس التحليل العلمى العقلى لمتنه لا على أساس سنده وامتداداً للمناقشة الهادئة التى بدأتها هذه الجريدة أرى أن أعارض الزميل الفاضل بما يأتى:

١ ـ ليس من حقه أن يرفض هذا الحديث أو أى حديث نبوى آخر لمجرد عدم موافقته للعلم الحالى. فالعلم يتطور ويتغير. بل ويتقلب كذلك. فمن النظريات العلمية ما تصف شيئاً اليوم بأنه صحيح. ثم تصفه بعد زمن قريب أو بعيد بأنه خطأ. فإذا كان هذا هو حال العلم فكيف يمكننا أن نصف حديثاً بأنه خطأ قياساً على نظرية علمية حالية. ثم نرجع فنصححه إذا تغيرت هذه النظرية العلمية مستقبلاً؟.

٢ ـ ليس من حقه رفض هذا الحديث أو أى حديث آخر لأنه «اصطدم بعقله اصطداماً» على حد تعبيره. فالعيب الذى سبب هذا الاصطدام ليس من الحديث بل من العقل، فكل المهتمين بالعلوم الحديثة يحترمون عقولهم احتراماً عظيماً. ومن احترام العقل أن نقارن العلم بالجهل.

العلم يتكون من أكداس المعرفة التى تراكمت لدى الإنسانية جمعاء بتضافر جهودها جيلا بعد جيل لسبر أغوار المجهول. أما الجهل فهو كل ما نجهله، أى ما لم يدخل بعد فى نطاق العلم. وبالنظرة المتعقلة تجد أن العلم لم يكتمل بعد، وإلا لتوقف تقدم الإنسانية، وأن الجهل لا حدود له، والدليل على ذلك تقدم العلم وتوالى الاكتشافات يوماً بعد يوم من غير أن يظهر للجهل نهاية.

إن العالم العاقل المنصف يدرك أن العلم ضخم ولكن الجهل أضخم، ولذلك لا يجوز أن يغرقنا العلم الذى بين أيدينا فى الغرور بأنفسنا، ولا يجوز أن يعمينا

علمنا عن الجهل الذى نسبح فيه؛ فإننا إذ قلنا أن علم اليوم هو كل شىء، وإنه آخر ما يمكن الوصول إليه أدى ذلك بنا إلى الغرور بأنفسنا، وإلى التوقف عن التقدم، وإلى البلبلة فى التفكير، وكل هذا يفسد حكمنا على الأشياء ويعمينا عن الحق حتى لو كان أمام عيوننا، ويجعلنا نرى الحق خطأ، والخطأ حقا فتكون النتيجة أننا نقابل أموراً تصطدم بعقولنا اصطداماً، وما كان لها أن تصطدم لو استعملنا عقولنا استعمالاً فطريا سليماً يحدوه التواضع والإحساس بضخامة الجهل أكثر من التأثر ببريق العلم والزهو به.

٣ ـ ليس صحيحاً أنه لم يرد فى الطب شىء عن علاج الأمراض بالذباب؛ فعندى من المراجع القديمة ما يوصف وصفات طبية لأمراض مختلفة باستعمال الذباب، أما فى العصر الحديث فجميع الجراحين الذين عاشوا فى السنوات التى سبقت اكتشاف مركبات السلفا ـ أى فى السنوات العشر الثالثة من القرن العشرين ـ رأوا بأعينهم علاج الكسور المضاعفة والقرحات المزمنة بالذباب، وكان الذباب يربى لذلك خصيصاً، وكان هذا العلاج مبنيا على اكتشاف فيروس البكتريوفاج القاتل للجراثيم. على أساس أن الذباب يحمل فى آن واحد الجراثيم التى تسبب المرض، وكذلك البكتريوفاج الذى يهاجم هذه الجراثيم. وكلمة بكتريوفاج هذه معناها «آكلة الجراثيم»، وجدير بالذكر أن توقف الأبحاث عن علاج القرحات بالذباب لم يكن سببه فشل هذه الطريقة العلاجية، وإنما كان ذلك بسبب اكتشاف مركبات السلفا التى جذبت أنظار العلماء جذباً شديداً. وكل هذا مفصل تفصيلاً دقيقاً فى الجزء التاريخى من رسالة الدكتوراه التى أعدها الزميل الدكتور أبو الفتوح مصطفى عيد تحت إشرافى عن التهابات العظام والمقدمة لجامعة الإسكندرية من حوالى سبع سنوات.

٤ ـ فى هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود سم فى الذباب. وهذا شىء لم يكشفه العلم الحديث بصفة قاطعة إلا فى القرنين الأخيرين. وقبل ذلك كان يمكن للعلماء أن يكذبوا الحديث النبوى لعدم ثبوت وجود شىء ضار على الذباب. ثم بعد اكتشاف الجراثيم يعودون فيصححون الحديث.

٥ - إن كان ما نأخذه على الذباب هو الجراثيم التى يحملها فيجب مراعاة ما نعلمه عن ذلك:

(أ) ليس صحيحاً أن جميع الجراثيم التى يحملها الذباب جراثيم ضارة أو تسبب أمراضاً.

(ب) ليس صحيحاً أن عدد الجراثيم التى تحملها الذبابة والذبابتان كاف لإحداث مرض فيمن يتناول هذه الجراثيم.

(جـ) ليس صحيحاً أن عزل جسم الإنسان عزلاً تاما عن الجراثيم الضارة ممكن، وإن كان ممكناً فهذا أكبر ضرر له، لأن جسم الإنسان إذا تناول كميات يسيرة متكررة من الجراثيم الضارة تكونت عنده مناعة ضد هذه الجراثيم تدريجيا.

٦ - فى هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود شىء على الذباب يضاد السموم التى تحملها، والعلم الحديث يعلمنا أن الأحياء الدقيقة من بكتريا وفيروسات وفطريات تشن الواحدة منها على الأخرى حرباً لا هوادة فيها، فالواحدة منها تقتل الأخرى بإفراز موادٍّ سامة، ومن هذه المواد السامة بعض الأنواع التى يمكن استعمالها فى العلاج، وهى ما نسميه «المضادات الحيوية» مثل البنسلين والكلوروميستين وغيرهما.

٧ - إن ما لا يعلمه وما لم يكشفه المتخصصون فى علم الجراثيم حتى الآن لا يمكن التكهن به، ولكن يمكن أن يكون فيه الكثير مما يوضح الأمور توضيحاً أكمل؛ ولذلك يجب علينا أن نتريث قليلاً قبل أن نقطع بعدم صحة هذا الحديث بغير سند من علم الحديث، ولا سند من العلم الحديث.

٨ - هذا الحديث النبوى لم يدع أحداً إلى صيد الذباب ووضعه عنوة فى الإناء، ولم يشجع على ترك الآنية مكشوفة، ولم يشجع على الإهمال فى نظافة البيوت والشوارع وفى حماية المنازل من دخول الذباب إليها.

٩ - إن من يقع الذباب فى إنائه ويشمئز من ذلك ولا يمكنه تناول ما فيه فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

١٠- هذا الحديث النبوى لا يمنع أحداً من الأطباء والقائمين على صحة الشعب من التصدى للذباب فى مواطنه ومحاربته وإعدامه وإبادته، ولا يمكن أن يتبادر إلى ذهن أحد علماء الدين أن هذا الحديث يدعو الناس إلى إقامة مزارع أو مفارخ للذباب، أو أنه يدعو إلى التهاون فى محاربته، ومن صنع ذلك أو اعتقد فيه فقد وقع فى خطأ كبير» ا هـ.

هذا ما قاله الطبيب العالم الأستاذ الدكتور أمين رضا بلسان العلم والطب المعاصر وفيه كفاية وغنية جزاه الله خيراً.

والله أعلم.

الدكتور الشيخ يوسف عبد الله القرضاوى.



٦٨- هل يسمح الله بأخذ السبايا وملك اليمين؟

نصرانى يسأل: هل يسمح الله بأخذ السبايا وملك اليمين؟

الجواب

نعم، واقرأ إن شئت قول الرب فى سفر التثنية (٢٠: ١٠):

«إذا ذهبتم لمحاربة أعدائكم، وأظفركم الرب إلهكم بهم، وسبيتم منهم سبيا ١١ وشاهد أحدكم بين الأسرى امرأة جميلة الصورة فأولع بها وتزوجها، ١٢ فحين يدخلها إلى بيته يدعها تحلق رأسها وتقلم أظفارها، ١٣ ثم ينزع ثياب سبيها عنها، ويتركها فى بيته شهراً من الزمان تندب أباها وأمها، ثم بعدها ذلك يعاشرها وتكون له زوجة. ١٤ فإن لم ترقه بعد ذلك، فليطلقها لتذهب حيث تشاء. لا يبيعها بفضة أو يستعبدها، لأنه قد أذلها.»

وهذا نص آخر يأمر فيه الرب المحاربين بالتمتع بالنساء اللاتى أُخذْن ضمن الغنائم فى الحرب:

«وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما فى المدينة من أسلاب، فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التى وهبها الرب إلهكم لكم» (تثنية ٢٠: ١٤).

وهذا نبى الله داود عليه السلام يقول عنه الكتاب: «وأخذ داود أيضا سراريَ ونساءً من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد لداود بنون وبنات.» (صموئيل الثانى ٥: ١٣).

وفى بعض الأحيان نجد أن الله يجعل السبى كعقوبة للكفر والشرك كما جاء فى (ارميا ٢٢: ٢٢): «ستعصف الريح بكل رعاتك، ويذهب محبوك إلى السبى. عندئذ يعتريك الخزى والعار لأجل كل شرك» انظر عاموس (٧: ١٧) و(٥: ٥). والله الموفق.

٦٩- تفسير قوله سبحانه وتعالى: ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون

الجواب

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،،

قال الراغب الأصفهانى فى كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) تحت كلمة زوج:

- يقال لكل واحدمن القرينين من الذكر والأنثى فى الحيوانات المتزاوجة زوج، ولكل قرينين فيها وفى غيرها زوج، كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاد زوج.

وجمع الزوج أزواج وقوله تعالى:﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ **(يس: ٥٦)** وقوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ **(الصافات: ٢٢)**، أى أقرانهم المقتدين بهم فى أفعالهم، ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ **(الحجر: ٨٨)**، أى أشباهاً وأقراناً. وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ﴾ **(يس: ٣٦)**، وقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ **(الذاريات: ٤٩)**، فتبيه أن الأشياء كلها مركبه من جوهر وعرض، ومادة وصورة، وأن لا شىء يتعرى من تركيب يقتضى كونه مصنوعاً، وأنه لابد له من صانع تنبيهاً أنه سبحانه وتعالى هو الفرد، وقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ فبين أن كل ما فى العالم زوج، من حيث إن له ضدا، أو مثلاً، أو تركيباً ما، بل لا ينفك بوجه من تركيب، وإنما ذكر ههنا زوجين تنبيهاً أن الشىء وإن لم يكن له ضد، ولا مثل فإنه لا ينفك من تركيب جوهر وعرض، وذلك زوجان، وقوله

تعالى: ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ (طه: ٥٣) أى أنواعاً متشابهة، كذلك قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان: ١٠).....

وجاء فى تفسير الإمام الآلوسى:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أى من كل جنس من الحيوان ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ نوعين ذكراً وأنثى ـ قاله ابن زيد. وغيره. وانظر أيضاً تفسير العلامة السعدى.

وقيل إن الكُلِّيَّة فى قوله جل جلاله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ هى كليه نسبية. فعبر عن الكثرة بالكليه كقوله سبحانه وتعالى فى عذاب قوم عاد: «تدمر كل شىء بأمر ربها» أى تهلك من نفوس قوم عاد وأموالهم الجم الكثير. ومعلوم أنها لم تدمر السماء والأرض ولا مساكنهم كما قال تعالى: «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم»» . وكقوله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٢٣) ومعلوم أنها لم تؤت ملك السموات والأرض. ويقول القائل: قتلت كل نفس، وأفحمت كل خصم، أو يقول القائل: أنا أصوم كل شعبان فلم يدخل القائل قط فى هذا العموم الظاهر من لفظه. وفى كليات أبى البقاء، قال: قد يكون كل للتكثير والمبالغة دون الإحاطة وكمال التعميم، كقول القرآن: ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ (يونس: ٢٢)، ويقال: فلان يقصد كل شىء أو يعلم كل شىء، فالمراد به البعض.

ومن الناحية العلمية يقول الدكتور زغلول النجار تحت عنوان الزوجية فى المادة وفى مركباتها ما يلى:

تتضح الزوجية فى مركبات المادة فى شقيها الموجب
Cation

والسالب
Anion

كما تتضح فى تركيب الذرة بنواتها التى تحمل شحنة موجبة واليكتروناتها التى تدور حول النواة حاملة شحنة سالبة مكافئة.

وقد ثبت أن للمادة قرابة الثلاثين نوعا من أنواع اللبنات الأولية، وكل واحدة

منها لها نقيضها، كما أن الجسيمات الأولية للمادة لها لكل جسيم نقيضه، وأن المادة ككل لها نقيض المادة، وإذا التقت النقائض فإن كل واحد منها يفنى نظيره، لأنهما يتخليان عن طبيعتهما المادية، ويتحولان إلى طاقة تعلن عن فناء المادة، ومن هنا كان الوجود والعدم، وكانت إمكانية الإيجاد من العدم أى الخلق على غير مثال سابق، وإمكانية الإفناء إلى العدم، ولا يقدر على ذلك أحد غير الإله الخالق سبحانه وتعالى، وكذلك الطاقة فإن لكل صورة من صورها ما هو ضدها، فالكهرباء فيها الموجب والسالب، والمغناطيسية فيها العادى والمقلوب المعكوس، حتى الضوء له زوجية واضحة لأنه يتحرك أحياناً على هيئة أمواج، وأحياناً أخرى على هيئة جسيمات.

كذلك ثبت أن المادة والطاقة وجهان لعملة واحدة ولجوهر واحد يشير إلى وحدانية الخالق سبحانه وتعالى وخلق اللبنات الأولية للمادة على هيئة أزواج، وتحويلها إلى طاقة على هيئة زوجية أيضا، وإمكانية رد الطاقة إلى حالة مادية تأكيد على حقيقة بدء الخلق من العدم وعلى إمكانية إفنائه إلى العدم.

ونحن نرى الزوجية فى كل صورة من صور الخلق: من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته، حتى يبقى الخالق سبحانه وتعالى متفردا بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ونرى كذلك وحدة البناء فى الخلق تجسيدا لوحدانية الخالق سبحانه وتعالى.

فلكل جسيم فى الذرة جُسَيِّم نقيض.. وهذه الجسيمات ونقائضها تكون المادة والمادة النقضية، وفى النقائض توجد كل الصفات نقائض معكوسة أيضاً من الشحنات الكهربية إلى المجالات المغناطيسية إلى اتجاهات الدوران، وعلى ذلك فلا يمكن لمثل تلك النقائض أن تجتمع فى مكان واحد وإلا أفنى بعضها بعضا.

فسبحان الذى خلق الخلق فى زوجية واضحة تشهد له بالألوهية والربوبية والوحدانية المطبقة فوق جميع خلقه، وسبحانه إذ خلق المادة ونقائضها من الطاقة ونقائضها، وسبحانه إذ خلق تلك النقائض فى نفس الوقت وبنفس القدر حتى يثبت لنا الخلق من العدم، وإمكانية الإفناء إلى العدم!!.

وسبحانه إذ فصل بين المادة ونقائضها حتى يوجد هذا الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة، المنضبط فى كل أمر من أموره، والمبنى على وتيرة واحدة تشهد للخالق سبحانه وتعالى بالوحدانية. وسبحانه إذ أبقى المادة النقيضة فى مكان ما عنده حتى إذا شاءت إرادته إفناء الكون جمع المادة ونقائضها بأمره كن فيكون، وإذا شاء بعث كل شىء بفصلهما بالأمر كن فيكون.

وسبحانه إذ قرر هذه الحقيقة الكونية فقال عز من قائل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩).

وهى حقيقة لم يدركها علم الإنسان الكسبى إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين، وورودها فى كتاب الله المُنَزَّلِ على خاتم أنبيائه ورسله من قبل ألف وأربعمائة من السنين لمما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق ويجزم بالنبوة وبالرسالة لسيدنا محمد بن عبد الله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



٧٠- هل التثليث الذى حاربه الإسلام ليس هو تثليث العقيدة المسيحية؟

السلام عليكم

وجدت دراسة تندرج حول الحوار الإسلامى المسيحى تقول إنها موضوعية تدعى أن التثليث الذى حاربه الإسلام ليس هو تثليث العقيدة المسيحية، فما هو رأيكم وكيف يمكن الإجابة عليها أفيدونى؟ جزاكم الله خيراً.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

يحاول النصارى أن يروجوا عقائدهم كعقيدة التثليث المبتدعة من المجامع الوثنية بعد عيسى عليه السلام، ويحاولون أن يخففوا ما فى هذه العقائد من تناقض وتخبط.

وما زعموه من أن التثليث الذى أنكره الإسلام غير التثليث الذى يعتقده النصارى محاولة من هذه المحاولات، وذلك لأن العقيدة التى يعتقها النصارى - على اختلاف مذاهبهم - هى عقيدة أن الإله واحد فى أقانيم ثلاثة: الأب، والابن، والروح القدس، والمسيح هو «الابن»، وهم يضطربون فى تفسير الأقانيم: تارة يقولون هم أشخاص وتارة خواص وتارة صفات وتارة جواهر وتارة يجعلون الأقنوم اسما للذات والصفة معا، ومحصل كلامهم يؤول إلى التمسك بأن عيسى إله.

قال الدكتور بوست فى قاموس الكتاب المقدس: طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمى الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير.

وجاء فى كتاب «سوسنة سليمان» لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصرانى إن عقيدة النصارى التى لا تختلف بالنسبة لها الكنائس وهى أصل الدستور الذى بينه المجمع النيقاوى هى الإيمان بإله، واحد: أب واحد، ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع، الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب فى الجوهر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس، وتألم وقُبر، وقام من الأموات فى اليوم الثالث على ما فى الكتب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتى بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه، والإيمان بالروح القدس، الرب المحيى المنبثق من الأب، الذى هو الابن يسجد له، ويمجده، الناطق بالأنبياء.

ثم تختلف المذاهب بعد ذلك فى المسيح، هل هو ذو طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية؟ أم هل هو ذو طبيعة واحدة لاهوتية فقط؟ وهل هو ذو مشيئة واحدة مع اختلاف الطبيعتين؟ وهل هو قديم كالأب أو مخلوق؟... إلى آخر ما تفرقت به مذاهبهم، وقامت عليه الاضطهادات بين فرقهم المختلفة.

وهذه المقولات بعينها من العقائد التى حاربها الإسلام، وهى تتضمن، القول بألوهية المسيح ﷺ، والقول بأن الله ثالث ثلاثة، وإن حاولت الدراسة المذكورة إنكار ذلك، وقد حكم الله تعالى بأن هذه المقولات كلها كفر، وليس بعد قول الله سبحانه وتعالى قول، والآيات فى تأكيد هذا المعنى كثيرة، قال الله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (النساء: ١٧١).

وقال جل وعلا:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ

أَرادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(المائدة: ١٧).

وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة: ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥).

ونظراً لصعوبة تصور الأقانيم الثلاثة فى واحد، وصعوبة الجمع بين التوحيد والتثليث، فإن الكُتَّاب النصارى الذين كتبوا عن اللاهوت حاولوا تأجيل النظر العقلى فى هذه القضية التى يرفضها العقل ابتداء، ومن ذلك ما كتبه القس بوطر فى رسالة «الأصول والفروع» حيث يقول: قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر جلاء فى المستقبل حين يكشف لنا الحجاب عن كل ما فى السماوات وما فى الأرض، وأما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه كفاية.

ولهذا فإننا نقول: إن عقيدة الثالوث التى قدمها النصارى للمجتمع الإنسانى عجيبة وغريبة، وتبدو غرابتها واضحة وجلية عند عرضها على صفحة العقل الذى كرم الله به الإنسان، ولكن النصارى يرون أن التثليث لا يعالج بمنطق العقل، ولكن بالإيمان والوجدان، وهذا هروب من النصارى من بداية الطريق، فلا بأس أن نعتمد على الإيمان القلبى فى قضية من القضايا الغيبية، ولكن بشرط ألا يحكم فيها حكماً بديهيا باستحالتها وتناقضها، وإذا كان النصارى يقولون إن التثليث يصعب تصوره على العقل فإننا نقول بل يستحيل تصوره لدى العقل، ومن أول جولة معه يخرجه بجذوره ويلقيه فى دائرة اللامعقول، ومهما حاول النصارى أن

يعللوا هذا التثليث فسيبقى مرا فى حلوق العقلاء.

ودعوى أن الأقانيم الثلاثة هذه ثلاث صفات لذات واحدة دعوى تبرهن على تناقضهم لأنه يلزمهم على ذلك أن لا يكون المسيح إلهاً خالقاً رازقاً لأن الصفة ليست خالقا رازقا، وأيضاً فالصفة لا تفارق الموصوف وهم يقولون المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وهذا يدل على استحالة الجمع بين التثليث والتوحيد.

وسيظل يئن تحت وطأة هذا التناقض، وكيف لا يئن ويشتكى أمام قول إثناسيوس الرسولى: فالأب هو الله والابن هو الله وروح القدس هو الله، وكلهم هو الله.

وأما اعتقادهم بأن كل أقنوم من الثلاثة يختص بعمل معين، كما يقول الدكتور بوست فى قاموس الكتاب المقدس: فإلى الأب ينتمى الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء وإلى روح القدس التطهير؟ وأنه بعد صلبه صعد إلى السماء وجلس على يمين الرب. كما فى الأمانة التى اتفق عليها النصارى.

فبهذا يظهر أمامهم ثلاثة آلهة تبرز برؤوسها، والثلاثة معاً الله، والله يتفرق فيكون ثلاثة ويجتمع فيكون إلهاً، أين العقل الذى يحتمل ذلك؟

وأما ما ادعته هذه الدراسة من كون القرآن قد دل على ألوهية المسيح بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ **(آل عمران: ٤٥)**، وكما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ **(النساء: ١٧١)**.

فالجواب عنه أن الآية الأولى تبين أنه مخلوق، ويتضح ذلك فى وجوه منها: أنه قال ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ نكرة فى الإثبات، يقتضى أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى.

ومنها: أنه بين مراده بقوله ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أنه مخلوق، حيث قال: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ **(آل عمران: ٤٧)**.

وقال فى الآية الأخرى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ **(آل عمران: ٥٩)**، وقال تعالى أيضاً: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (مريم: ٣٤ ـ ٣٥).

فهذه ثلاث آيات فى القرآن تبين أنه قال له «كن» فكان، وهذا تفسير كونه ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ ، وقال: اسمه المسيح عيسى ابن مريم فأخبر أنه ابن مريم وأخبر أنه «وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين»، وهذه كلها صفة مخلوق والله تعالى وكلامه الذى هو صفته لا يقال فيه شىء من ذلك، وقال تعالى على لسان مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ فتبين أن الكلمة هى ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى.

فمع هذا البيان الواضح الجلى، هل يظن ظان أن مراده سبحانه بقوله ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أنه إله خالق، أو أنه صفة لله قائمة به، وأن قوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ المراد به: أنه حياته أو روح منفصلة من ذاته؟ بل قوله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ معناه أى روح مخلوقة من جملة الأرواح، ولا إشكال فى قوله ﴿مِّنْهُ﴾ فإن المراد أن أمر الخلق كله راجع إلى الله ومبتدأ منه، وذلك كقوله سبحانه:

﴿مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية: ١٣).

وإذا كان النصارى يستشهدون بآيات القرآن على ما يعتقدون، فإن عليهم أن يستشهدوا بجميع نصوص القرآن الواردة فى الموضوع، فلا يقتصرون على جملة هنا أو جملة هناك، فهذا لا يفعله منصف، فالتعبيرات القرآنية عن المسيح بأنه كلمة الله أو روح من الله، لابد أن تفهم على ضوء الآيات الأخرى التى تنفى ألوهية المسيح وبنوته، وتكفر من يقول بهما، والتى تثبت براءة المسيح ممن يؤلهه أو يؤله أمه، والتى تثبت كذلك اعترافه ببشريته ولكنهم لا يفعلون ذلك لئلا يظهر بطلان استشهادهم على عقيدتهم الزائفة بآيات القرآن من جهة، وبطلان عقيدتهم نفسها من جهة أخرى.

وليكن معلوماً أن القرآن حكم على النصارى بالكفر لعدة أمور، كل منها شاف كاف فى تكفيرهم:

ـ ادعاؤهم أن المسيح هو الله أو ابن الله وأن الروح القدس إله، فهم يعبدون فى الحقيقة ثلاثة آلهة وقد تقدم بيان ذلك.

- تكذيبهم للنبى ﷺ، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

(النساء: ١٥٠ ـ ١٥١)

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾

(النساء: ٤٧) .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار.

- اتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، قال تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١).

وفى معجم الطبرانى وغيره أن عدى بن حاتم وكان نصرانيا فأسلم لما سمع النبى يقرأ الآية المتقدمة قال له: إنا لا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه، قال: بلى، قال صلى الله عليه وسلم: فتلك عبادتهم.

والثابت من التتبع التاريخى لأطوار العقيدة النصرانية، أن عقيدة التثليث، وكذلك عقيدة بنوة المسيح لله ـ سبحانه ـ ومثلها عقيدة ألوهية أمه مريم، ودخولها فى التثليثات المتعددة الأشكال ونحو ذلك من الانحرافات، كلها لم تصاحب النصرانية الأولى، إنما دخلت إليها على فترات متفاوتة من التاريخ، مع الوثنيين

الذى دخلوا فى النصرانية، وهم لم يبرأوا بعد من التصورات الوثنية والآلهة المتعددة، وتتبع نقض ما فى هذه الدراسة يطول وفيما ذكرناه ـ إن شاء الله ـ ما يتنبه به إلى بطلانها،

مركز الفتوى ـ الشبكة الإسلامية ـ بتصرف (١).



(١) يقول مصحح هذا الكتاب:

لقد قرأت كتاب أسطورة التثليث الذى ألفه عشرة أساتذة من أساتذة اللاهوت الإنجليز يقول أحدهم لقد بدأ الدين المسيحى بدون تثليث ولكن لا مسيحية بدون تثليث ويقول الثانى: وقد بدأت المسيحية بدون تصوير ـ ولكن لا مسيحية بدون تصوير ـ انظر لهذا الخلط.

٧١- ما المقصود بكلمة (كان) فى وصف الله تعالى: (وكان الله عليماً حكيماً) وأمثالها؟

سؤال

لماذا ذكر فى كثير من سور القرآن الكريم لفظ: وكان الله عليماً حكيماً، وكان الله على كل شىء قديراً، وغيرها فى صيغة الماضى فما المعنى المقصود؟ وجزاكم الله خيرا.

جواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فإن المقصود من الآيات.. (وكان الله عليماً حكيماً) (وكان الله على كل شىء قديراً) وما جاء بمعناهما. اتصاف المولى جل جلاله بكل صفة من تلك الصفات المخبر عنها من العلم، والحكمة، وكمال القدرة على وجه الاستمرار والدوام، فمعنى قوله تعالى: (وكان الله عليماً حكيماً) أى: لم يزل على ذلك.

وهذا لا إشكال فيه، فإن (كان) تأتى كثيراً فى القرآن الكريم، وفى كلام العرب بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع.

ومما ورد من ذلك فى القرآن الكريم زيادة على الآيتين المسئول عنهما وما جاء فى معناهما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ (المدثر: ١٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ (الإنسان: ٢٢).

وقوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾ (الإنسان: ١٧).

ومن شواهدها فى كلام العرب قول المتلمس:

وكُنا إذا الجبارُ صَعَّرَ خدَّه أقمنا له من ميلِه فتَقَوَّما

وقول قيس بن الخطيم:

وكنتُ امرءاً لا أسمعُ الدهر سبة أُسَب بها إلا كشفتُ غطاءَها

وقول أبى جندب الهذلى:

وكنت إذا جارى دعا لمضوفة أشمر حتى ينصفَ الساقَ مئزرى

فهؤلاء الشعراء إنما يخبرون عن حالتهم الدائمة المستمرة، وليس غرضهم الإخبار عما مضى. (مركز الفتوى بالشبكة الإسلامية).

وهذا جواب آخر للشيخ عطية صقر:

إذا وصف الله نفسه فى القرآن الكريم لم يأت هذا الوصف دائماً مقروناً بلفظ «كان» فكثيراً ما يأتى الوصف بدون ذلك. قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **(سورة البقرة: ١٠٩)** ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ **(سورة البقرة ٢٢٢)** ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **(المزمل: ٢٠)**.

وفى بعض الآيات يأتى الوصف مع لفظ «كان» كقوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ **(الأحزاب: ٥٩)** وقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ **(سورة الفتح: ٢٦)** وقوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ **(سورة النساء: ١٣٤)**.

وليس المراد بذلك أن الله ـ سبحانه ـ كان متصفاً بالمغفرة والرحمة والعلم والسمع والبصر فى زمن مضى، ثم زالت عنه هذه الصفات فى الزمن الحاضر ولا يتصف بها فى المستقبل؛ ذلك لأن تقسيم الزمن إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل هو بالنسبة لنا نحن، حين نتحدَّث ونحدد ما يقع من أحداث قبل زمن الحديث عنها أو فى أثناء الحديث أو بعده أما الله ـ سبحانه ـ فهو منزه عن الزمان. وما كان مخلوقاً لا يتحكَّم فيمَن خَلَقَه.

وكأن الله ـ سبحانه ـ حين يقرن صفاته بلفظ «كان» يبيِّن لنا أنه موصوف بذلك قبل أن يخبرنا، بل قبل أن يخلقنا، فهى صفات أصيلة فيه وجبت له لذاته لا لعلة أوجدتها فيه. فقد كان الله بصفاته ولا شىء معه. وقد نبَّه المفسرون على ذلك، فجاء مثلاً فى تفسير الجلالين لقوله تعالى فى أول سورة النساء ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ قوله: أى لم يزل متصفاً بذلك. وقال الجمل فى الحاشية(١): نبَّه به على أن «كان» قد استعملت هنا فى الدوام، لقيام الدليل القاطع على ذلك.



(١) انظر حاشية الجمل على تفسير الجلالين.

٧٢- نعيم المرأة فى الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد: فإنى لما رأيت كثرة أسئلة النساء عن أحوالهن فى الجنة وماذا ينتظرهن فيها أحببت أن أجمع عدة فوائد تجلى هذا الموضوع لهن مع توثيق ذلك بالأدلة الصحيحة وأقوال العلماء فأقول مستعيناً بالله:

فائدة (١): (لا ينكر على النساء عند سؤالهن عما سيحصل لهن فى الجنة من الثواب وأنواع النعيم، لأن النفس البشرية مولعة بالتفكير فى مصيرها ومستقبلها ورسول الله ﷺ لم ينكر مثل هذه الأسئلة من صحابته عن الجنة وما فيها ومن ذلك أنهم سألوه صلى الله عليه وسلم لم ينكر مثل هذه الأسئلة من صحابته عن الجنة وما فيها ومن ذلك أنهم سألوه ﷺ: عن الجنة وعن بنائها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (لبنة من ذهب ولبنة من فضة)... إلى آخر الحديث. ومرة قالوا له: (يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا فى الجنة؟) فأخبرهم بحصول ذلك.

فائدة (٢): (أن النفس البشرية ـ سواء كانت رجلا أو امرأة ـ تشتاق وتطرب عند ذكر الجنة وما حوته من أنواع الملذات وهذا حسن بشرط أن لا يصبح مجرد أمانى باطلة دون أن نتبع ذلك بالعمل الصالح فإن الله يقول للمؤمنين):﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢). فشوقوا النفس بأخبار الجنة وصدّقوا ذلك بالعمل.

فائدة (٣): إن الجنة ونعيمها ليست خاصة بالرجال دون النساء إنما هى قد ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣) ـ من الجنسين كما أخبرنا بذلك تعالى قال

سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ (النساء: ١٢٤).

فائدة (٤): (ينبغى للمرأة أن لا تشغل بالها بكثرة الأسئلة والتنقيب عن تفصيلات دخولها للجنة: ماذا سيعمل بها؟ أين ستذهب؟ إلى آخر أسئلتها.. وكأنها قادمة إلى الصحراء مهلكة! ويكفيها أن تعلم أنه بمجرد دخولها الجنة تختفى كل تعاسة أو شقاء مر بها.. ويتحول ذلك إلى سعادة دائمة وخلود أبدى ويكفيها قوله تعالى عن الجنة: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ - (الحجر: ٤٨) وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الزخرف: ٧١). ويكفيها قبل ذلك كله قوله تعالى عن أهل الجنة):﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المائدة: ١١٩).

فائدة (٥): (عند ذكر الله للمغريات الموجودة فى الجنة من أنواع المأكولات والمناظر الجميلة والمساكن والملابس فإنه يعمم ذلك للجنسين (الذكر والأنثى) فالجميع يستمتع بما سبق. ويتبقى: أن الله قد أغرى الرجال وشوقهم للجنة بذكر ما فيها من (الحور العين) و (النساء الجميلات) ولم يرد مثل هذا للنساء.. فقد تتساءل المرأة عن سبب هذا!؟ والجواب:

١- أن الله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)، ولكن لا حرج أن نستفيد حكمة بما يستحين منه.

٣- إن شوق المرأة للرجال ليس كشوق الرجال للمرأة ـ كما هو معلوم ـ ولهذا فإن الله شوق الرجال بذكر نساء الجنة مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) ـ أخرجه البخارى ـ أما المرأة فشوقها إلى الزينة من اللباس والحلى يفوق شوقها إلى الرجال لأنه مما جبلت عليه كما قال تعالى ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ (الزخرف: ١٨).

٤- قال الشيخ ابن عثيمين: إنما ذكر ـ أى الله عز وجل ـ الزوجات للأزواج لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب فى المرأة فلذلك ذكرت الزوجات للرجال فى

الجنة وسكت عن الأزواج للنساء ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج.. بل لهن أزواج من بنى آدم.

فائدة (٦): المرأة لا تخرج عن هذه الحالات فى الدنيا فهى:

١- إما أن تموت قبل أن تتزوج.

٢- إما أن تموت بعد طلاقها قبل أن تتزوج من آخر.

٣- إما أن تكون متزوجة ولكن لا يدخل زوجها معها الجنة - والعياذ بالله -.

٤- إما أن تموت بعد زواجها.

٥- إما أن يموت زوجها وتبقى بعده بلا زوج حتى تموت.

٦- إما أن يموت زوجها فتتزوج بعده غيره.

هذه حالات المرأة فى الدنيا ولكل حالة ما يقابلها فى الجنة:

١- فأما المرأة التى ماتت قبل أن تتزوج فهذه يزوجها الله - عز وجل - فى الجنة من رجل من أهل الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما فى الجنة أعزب) - أخرجه مسلم - قال الشيخ ابن عثيمين: إذا لم تتزوج - أى المرأة - فى الدنيا فإن الله تعالى يزوجها ما تقر بها عينها فى الجنة.. فالنعيم فى الجنة ليس مقصورا على الذكور وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم: الزواج.

٢- ومثلها المرأة التى ماتت وهى مطلقة.

٣- ومثلها المرأة التى لم يدخل زوجها الجنة. قال الشيخ ابن عثيمين: فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة فإنها إذا دخلت الجنة فهنالك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال. أى فيتزوجها أحدهم.

٤- وأما المرأة التى ماتت بعد زواجها فهى - فى الجنة - لزوجها الذى ماتت عنه.

٥- وأما المرأة التى مات عنها زوجها فبقيت بعده لم تتزوج حتى ماتت فهى زوجة له فى الجنة.

٦- وأما المرأة التى مات عنها زوجها فتزوجت بعده فإنها تكون لآخر أزواجها مهما

كثروا لقوله صلى الله عليه وسلم: (المرأة لآخر أزواجها) ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى.

ولقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لامرأته: (إن شئت أن تكونى زوجتى فى الجنة فلا تتزوجى بعدى فإن المرأة فى الجنة لآخر أزواجها فى الدنيا فلذلك حرم الله على أزواج النبى أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه فى الجنة).

مسألة: قد يقول قائل: إنه ورد فى الدعاء للجنازة أننا نقول (وأبدلها زوجا خيرا من زوجها) فإذا كانت متزوجة.. فكيف ندعو لها بهذا ونحن نعلم أن زوجها فى الدنيا هو زوجها فى الجنة وإذا كانت لم تتزوج فأين زوجها؟

والجواب كما قال الشيخ ابن عثيمين: إن كانت غير متزوجة فالمراد خيرا من زوجها المقدر لها لو بقيت وأما إذا كانت متزوجة فالمراد بكونه خيرا من زوجها أى خيرا منه فى الصفات فى الدنيا لأن التبديل يكون بتبديل الأعيان كما لو بعت شاة ببعير مثلا ويكون بتبديل الأوصاف كما لو قلت بدل الله كفر هذا الرجل بإيمان وكما فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ **(سورة إبراهيم: ٤٨)**. والأرض هى الأرض ولكنها مدت والسماء هى السماء لكنها انشقت.

فائدة (٧): ورد فى الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم للنساء: (إنى رأيتكن أكثر أهل النار...) وفى حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: (إن أقل ساكنى الجنة النساء) ـ أخرجه البخارى ومسلم ـ وورد فى حديث آخر صحيح أن لكل رجل من أهل الدنيا (زوجتان) أى من نساء الدنيا. فاختلف العلماء ـ لأجل هذا ـ فى التوفيق بين الأحاديث السابقة: أى هل النساء أكثر فى الجنة أم فى النار؟ فقال بعضهم: بأن النساء يكن أكثر أهل الجنة وكذلك أكثر أهل النار لكثرتهن. قال القاضى عياض: (النساء أكثر ولد آدم). وقال بعضهم: بأن النساء أكثر أهل النار للأحاديث السابقة. وأنهن ـ أيضا ـ أكثر أهل الجنة إذا جمعن مع الحور العين فيكون الجميع أكثر من الرجال فى الجنة. وقال آخرون: بل هن أكثر أهل النار فى بداية الأمر ثم يكن أكثر أهل الجنة بعد أن يخرجن من النار ـ أى المسلمات ـ قال القرطبى تعليقا على قوله صلى الله عليه وسلم: (رأيتكن أكثر أهل النار): (يحتمل

أن يكون هذا فى وقت كون النساء فى النار وأما بعد خروجهن فى الشفاعة ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال: لا إله إلا الله فالنساء فى الجنة أكثر). الحاصل: أن تحرص المرأة أن لا تكون من أهل النار.

فائدة (٨): (إذا دخلت المرأة الجنة فإن الله يعيد إليها شبابها وبكارتها لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الجنة لا يدخلها عجوز... إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا).

فائدة (٩): ورد فى بعض الآثار أن نساء الدنيا يكن فى الجنة أجمل من الحور العين بأضعاف كثيرة نظرا لعبادتهن الله.

فائدة (١٠): قال ابن القيم (إن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها) أى فى الجنة. وبعد: فهذه الجنة قد تزينت لكن معشر النساء كما تزينت للرجال) فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (فالله الله أن تضعن الفرصة فإن العمر عما قليل يرتحل ولا يبقى بعده إلا الخلود الدائم، فليكن خلودكن فى الجنة ـ إن شاء الله ـ واعلمن أن الجنة مهرها الإيمان والعمل الصالح وليس الأمانى الباطلة مع التفريط وتذكرن قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت). واحذرن ـ كل الحذر ـ دعاة الفتنة و (تدمير) المرأة من الذين يودون إفسادكن وابتذالكن وصرفكن عن الفوز بنعيم الجنة. ولا تُغررن بعبارات وزخارف هؤلاء المتحررين والمتحررات من الكتاب والكاتبات ومثلهم أصحاب (القنوات) فإنهم كما قال تعالى: «ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء»

أسأل الله أن يوفق نساء المسلمين للفوز بجنة النعيم وأن يجعلهن هاديات مهديات وأن يصرف عنهن شياطين الأنس من دعاة وداعيات (تدمير) المرأة وإفسادها وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم». كتبه الدكتور أبو حفص.

يقول الدكتور أحمد عبد الكريم أستاذ الشريعة بالبوسنة:

الجنّة دار النعيم المقيم، ومن دخلها فقد استحق من نعيمها ما يناسب منزلته فيها، وهذا للرجال والنساء كلٌّ بحسبه، لأنّ (النساء شقائق الرجال) كما

أخبر بذلك النبى ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذى وأحمد بإسناد صحيح عن أمّ المؤمنين عائشة بنت الصديق ﵄.

وقد جمع الله تعالى فى الذكر، والوعد بالأجر والثواب بين الرجال والنساء فى آيات تُتلى من كتابه العزيز؛ منها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾

(آل عمران).

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآية: (أى قال لهم مخبراً أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى، وقوله «بعضكم من بعض» أى: جميعكم فى الثواب سواء).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ **(النساء: ١٢٤).**

قال ابن كثير: فى هذه الآية بيان إحسانه وكرمه ورحمته فى قبول الأعمال الصالحة من عباده ذكرانهم وإناثهم بشرط الإيمان. انتهى.

والآيات الدالة على المراد غير ما ذكرنا كثيرة، ومنها ما تعرف دلالته بمعرفة سبب نزوله، فقد روى الترمذى بإسناد حسن عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبى ﷺ فقالت ما أرى كل شىء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشىء فنزلت هذه الآية: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الآية.

وما دام السؤال منصبّاً على نعيم المرأة فى الجنة فنقول مرة أخرى وبالله التوفيق:

إذا كان الزوجان من أهل الجنة فإنّ الله تعالى يجمع بينهما فيها، بل يزيدهم من فضله فيلحق بهم أبناءهم، ويرفع درجات الأدنى منهم فيلحقه بمن فاقه فى الدرجة، بدلالة إخباره تعالى عن حملة العرش من الملائكة أنّهم يقولون فى دعائهم

للمؤمنين ﴿... رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨).

وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ...﴾ (الطور: ٢١).

أما إن كان أحد الزوجين من أهل النار فإمّا أن يكون كافراً، فهذا يُخلَّد فيها، ولا ينفعه كون قرينه من أهل الجنّة، لأنّ الله تعالى قضى على الكافرين أنّهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (البقرة: ١٦٢ وآل عمران: ٨٨).

وقضى تعالى بالتفريق بين الأنبياء وزوجاتهم إن كنّ كافرات يوم القيامة، فقال سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠)، فكان التفريق بين سائر الناس لاختلاف الدين أولى.

قال الحافظ ابن كثير (فى تفسيره: ٤/ ٣٩٤) عند هذه الآية الكريمة:

قال تعالى (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) أى: نبيين رسولين عندهما فى صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أى: فى الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما فى الرسالة، فلم يُجْدِ ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال تعالى (فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً) أى: لكفرهما، وقيل للمرأتين (ادخلا النار مع الداخلين). ا هـ.

أما إن كان للمرأة فى الدنيا أكثر من زوج، فإنّ من فارقها بطلاق حُلّ زواجه بطلاقه، فتعيّن افتراقهما فى الآخرة كما افترقا فى الدنيا.

وأمّا إن مات عنها وهى فى عصمته، ثم تزوّجت غيره بعده، فلأهل العلم ثلاثة أقوال فى من تكون معه فى الجنّة:

القول الأول: أنّها مع من كان أحسنَهُم خُلقاً وعشرةً معها فى الدنيا..

القول الثانى: أنها تُخيَّر فتختار من بينهم من تشاء، ولا أعرف دليلاً لمن قال به.

وهذان القولان ذكرهما الإمام القرطبى فى كتابه الشهير التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢: ٢٧٨). واختار الثانى منهما الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله، وبعض المعاصرين.

والقول الثالث: أنها تكون فى الجنة مع آخر زوج لها فى الدنيا، أى مع من ماتت وهى فى عصمته، أو مات عنها ولم تنكح بعده، ويدلّ على هذا القول ما رواه البيهقى فى سننه (٧/ ٦٩) عن حذيفة رضي الله عنه ثم أنه قال لامرأته إن شئت أن تكونى زوجتى فى الجنة فلا تزوجى بعدى فإن المرأة فى الجنة لآخر أزواجها فى الدنيا فلذلك حرم الله على أزواج النبى ﷺ أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه فى الجنة، وحديث أبى الدرداء رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (أيما امرأة توفى عنها زوجها، فتزوجت بعده، فهى لآخر أزواجها) وقد صححه العلامة الألبانى رحمه الله (فى السلسلة الصحيحة ١٢٨١)، ولم أقف على تصحيح أحد قبله له.

وإذا صح الحديث فلا يعدل عنه إلى غيره، ولا يعدل به غيره، فلذلك كان القول الثالث أولى الأقوال بالاعتبار، وأرجحها.

أما إذا لم يكن للمرأة زوج من أهل الدنيا فى حياتها؛ فإن الله تعالى يزوجها بمن تقر به عينها فى الجنة، لأن الزواج من جملة النعيم الذى وعد به أهل الجنة، وهو مما تشتهيه النفوس، وتتطلع إليه، وقد قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الزخرف: ٧١).

وينبغى للمسلم أن يشتغل بسؤال الله تعالى الجنّة ونعيمها على وجه الإجمال، (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)، ومن دخلها فحق على الله أن يرضيه، والله الموفق.

٧٣- تفسير قوله تعالى:
عبس وتولى

سؤال: جاء فى سورة عبس:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾

(عبس: ١ ـ ١٠).

روى أن ابن أم مكتوم أتى محمداً وهو يتكلم مع عظماء قريش، فقال له: أقرئنى وعلمنى مما علمك الله. فلم يلتفت محمد إليه وأعرض عنه وقال فى نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة. فعبس وجهه وأشاح عنه، وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم.

ونحن نسأل: كيف يراعى محمد أصحاب الجاه ويرفض الفقير والمسكين ويقطب وجهه للأعمى؟

أين هو من المسيح الذى لما جاءه الأعمى أحاطه بعطفه ورعايته وأعاد إليه البصر؟

الجواب:

الحمد لله،

جاء حول تفسير هذه الآيات الكريمات أن النبى ﷺ كان يدعو عتبة وشيبة ابنى ربيعة، وأبا جهل، والوليد بن المغيرة، وغيرهم من كبار وصناديد قريش فأتاه

ابن أم مكتوم الأعمى، وقال له يا رسول الله: «أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى»، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغل النبى بالقوم، فكره رسول الله قطعه لكلامه، وأعرض عنه عابساً، فنزلت الآيات.

وليس فى القصة ما يفيد احتقاره صلى الله عليه وسلم للأعمى، فإنه لم يعرض عن ابن أم مكتوم قصداً لإساءته، ولا استصغارا لشأنه، وإنما فعل ذلك حرصاً منه على أن يتفرغ لما هو فيه من دعوة أولئك الأشراف، وتهالكاً على إيمانهم، لأنه كان يرجو أن يسلم بإسلامهم خلق كثير، ويطمع فى ذيوع أمره إذا انضم هؤلاء إليه، وكفوا عن مناضلته والكيد له.

وكان النبى ﷺ - إذن - يبتغى بعمله التقرب إلى ربه، كان جادا فى نشر الدعوة مستغرقاً فيما رآه أنفع لها وأجدى عليها، وأقرب شىء إلى الطبيعة البشرية فى هذه الحالة أن يعبس الإنسان إذا صرفه صارف عما هو بصدده، كما فعل ابن أم مكتوم.

ولكن ذلك كان على خلاف مراده تعالى فعاتبه عليه، ونبهه إليه، وبين له أن الصواب فى ألا يعرض عن راغب فى المعرفه مهما قَلَّ شأنه، وألا يتصدى لمعرض عن الهداية وإن كان عظيماً، لأن مهمته التبليغ، وما عليه من شىء فى كفر الناس أو إيمانهم.

فكان النبى ﷺ بعد ذلك كما يروى إذا رأى ابن مكتوم يبسط له رداءه ويقول: «مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى».

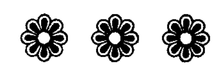
ثم ألم يسأل المعترض نفسه أنه لو كان القرآن من عند محمد أكان يسمح لنفسه أن يضع هذه الآيات التى تعاتبه والتى سيقرأها الأجيال المتلاحقة من بعده؟!

وقد أقر بهذا بعض المستشرقين، مثل المستشرق (ليتنر) حيث قال: «مرة أوحى الله إلى النبى وحيا شديد المؤاخذة؛ لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى، ليخاطب رجلا غنيا من ذوى النفوذ، وقد نشر ذلك الوحى، فلو كان محمد كاذبا - كما يقول

الأغبياء بحقه ـ لما كان لذلك الوحى من وجود».

وبعد أن وضحنا أن زعم المعترض بأن الرسول الكريم يحتقر الأعمى ليس فى محله، لنرى الآن كيف نسب كتابه المقدس للمسيح من أنه احتقر المرأة الكنعانية ووصفها بالكلبة!! وهذا طبقاً لما ورد فى متى (١٥: ٢٦):

فعندما جاءت امرأة كنعانية تسترحم المسيح بأن يشفى ابنتها رد عليها قائلاً: «لا يجوز أن يأخذ خبز البنين ويرمى للكلاب!!» فانظر كيف صدر هذا التعبير القاسى جداً لهذه المرأة من إله المحبة المزعوم!.



٧٤- ما حكم زواج المحلل؟

سؤال

جاء في سورة البقرة (٢٣٠) ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾

وفسرها البيضاوى بقوله: قالت امرأة رفاعة لرسول الله: إن رفاعة طلقنى فَبَتَّ طلاقى، وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى، وإن ما معه مثل هدبة الثوب. فقال رسول الله: أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة؟ قالت: نعم. قال: لا، حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك.

وكثيراً ما تكون امرأة لها زوج عظيم وأولاد وبنات هم سادة مجتمعهم، وفى حالة غضب يطلقها زوجها، ثم يندم على ما فعل. فإذا الشرع القرآنى يلزم هذه السيدة أن تجامع غير زوجها قبل أن تعود إليه.

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

لقد أباح الاسلام الطلاق، وأن الرجل إذا طلق زوجته، ثلاث طلقات، حرمت عليه، ثم إذا تزوجت رجلا آخر - بغير اتفاق مع الأول - وطلقها الآخر، وأحبت أن ترجع إلى الأول، جاز لها ذلك.

ومعلوم أن هذا النصرانى يجهل أن المقصود بقول النبى ﷺ (لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك) دخول الزوج على زوجته، أى لا يحل لك أن ترجعى إلى الأول، حتى يحصل الدخول بينك وبين الثانى، ثم يطلقك هذا الثانى، طلاقاً

شرعيا، فإن أردت الرجوع إلى الأول جاز لك ذلك.

أو ربما تجاهل وهو يعلم، ليفترى على دين الإسلام، فقال: (فإذا شرع القرآنى يلزم هذه السيدة أن تجامع غير زوجها قبل أن تعود إليه)، ليوهم أن المقصود تجامع غير زوجها بالحرام، بينما الحديث فى ذكر دخول الزوج الثانى على زوجته، لتحل لزوجها الأول، ليس فيه ذكر أن تجامع غير زوجها بالحرام!!

ومعلوم أنه باتفاق العلماء أن زواجها من الثانى يكون باطلا إن كان باتفاق مسبق مع الأول، لكى يحلل لها الرجوع إلى الأول، وفى الحديث الصحيح (لعن الله المحلِّل والمحلَّل له) رواه أحمد والنسائى وأبو داود والترمذى من حديث على ﵁، أى الذى يتزوج المرأة باتفاق معها أو مع زوجها الأول، ثم يطلقها لتحل للأول فقط.

وأما إن طلق الرجل زوجته ثلاث طلقات، ثم تزوجت رجلا آخر، ثم طلقها بعد الدخول بها من قصد تحليلها للأول، جاز لها أن ترجع إلى الأول بزواج جديد وعقد جديد.

كما أنه من المعلوم أن طلاق الغضبان لا يقع، لحديث (لا طلاق فى إغلاق) رواه أحمد وأبو داود من حديث عائشة ﵂، والإغلاق هو الغضب الشديد، فقول النصرانى (وكثيراً ما تكون امرأة لها زوج عظيم وأولاد وبنات هم سادة مجتمعهم، وفى حالة غضب يطلقها زوجها، ثم يندم على ما فعل) جهل بشريعة الإسلام التى تجعل الطلاق حال الغضب غير واقع.

كما إن إباحة الطلاق، من محاسن الإسلام، ذلك أن الزواج قد لا يمكن استمراره لسبب من الأسباب، وتصبح العشرة بين الزوجين متعذرة، وفيها مضرة كبيرة على الزوجين، فيكون الزوج أو الزوجة بين خيارين:

أحدهما أن يتخذ الزوج عشيقة أو الزوجة عشيقاً مع بقاء عقد النكاح إذا كان الطلاق لا يصح، ومن فعل هذا فقد أغضب الله تعالى.

الثانى: أن يفترقا، ويرى كل سبيله، كما قال تعالى (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته)، وهو الطلاق الشرعى.

ولا ريب أن التفرق فى هذه الحالة هو الخيار الصحيح الذى يقره العقل

والمنطق، ولما كانت النصارى فى سابق عهدها لا تبيح الطلاق، فقد وقع عليهم حرج عظيم بسبب ذلك، اضطرهم أن يقروا الانفصال بين الزوجين، فيأخذوا بما رأته شريعة الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾

(البقرة: ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

وهذا يفهم منه أن للرجل إذا طلق امرأته أن يراجعها ما دامت فى عدتها، فإن طلقها الثانية فله أن يراجعها كذلك، فإن طلقها الثالثة فليس له عليها سبيل حتى تنكح زوجا غيره، فإن طلقها الزوج الثانى وخرجت من عدتها فللزوج الأول أن يتزوجها.

وهذا إبطال لما كان يفعل فى الجاهلية، فقد كان للرجل أن يطلق امرأته، فإذا قاربت العدة راجعها، ثم يطلقها، ثم يراجعها، وهكذا حتى تكون كالمعلقة، لا هى ذات زوج فتسكن إليه، ولا هى مسرحة حتى تحل للأزواج، فأبطل الله ذلك، وأبان أن ليس للرجل أن يفعل ذلك إلا مرتين فإن طلقها الثالثة فلا تعود له إلا بعد أن تتزوج غيره، فإن طلقها الثانى حلت للأول، وهذا التشريع فيه رحمة بالمرأة، وإزالة لعنت الأزواج.

وهذا فيه قطع طمع الرجل فيها، إذ شرط فى حلها له أن تبعد عنه فتكون ذات زوج، وربما أمسكها طول حياته فلا ينالها أبدا، فيكون ذلك أدعى لأن يتروى فى الطلاق فلا يسرف فيه ولا يبذر.

قال الله تعالى فى حق المطلقة ثلاثا: «فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره» أى حتى تنكح زوجاً غيره نكاح رغبة، نكاحاً معتاداً، يراد للدوام والاستمرار، لا نكاحاً صوريا ليس فيه من النكاح إلا صورته، فأما معناه وحقيقته من سكون كل منهما إلى الآخر، ومن التواد والتراحم والتحاب فليس منها فى قليل ولا كثير، ويدل على ذلك أن من مقاصد الشرع أن يصون المرأة ولا يعرضها على

كثير، فليس فى عرضها ما يصلح أن يكون غرضا.

وإنما أراد الشارع أن يخيف المطلق، فهو يقول: تأن فى الطلاق، فإذا بلغت الطلقة الثالثة لم تحل لك لا فى حال عزوبتها ولا فى حال زواجها، لأنها ذات زوج، وذات الزوج لا تحل، ولا تحل لك إلا إذا فارقها زوجها، وهذا نادر وقليل الوقوع، فإذا كنت متعلقا بها فلا تخاطر بطلاقها، وكما يدل النظر العقلى على بطلان عقد نكاح التحليل وفساده جاءت النصوص عن النبى ﷺ وآله وسلم والصحابة والتابعين بما يدل على تحريمه:

(١) ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لعن رسول الله المحلِّل والمحلَّل له» رواه الإمام أحمد فى مسنده، والنسائى فى سننه، والترمذى فى جامعه.

ولما روى الترمذى عن ابن مسعود «لعن المحلل» صحح الحديث ثم قال: والعمل عليه عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ، منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، وهو قول الفقهاء من التابعين.

(٢) عن عقبة بن عامر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال هو المحلِّل، لعن الله المحلِّل والمحلَّل له» رواه ابن ماجه فى سننه.

(٣) روى عمرو بن نافع عن أبيه قال: جاء رجل إلى بن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا، فتزوجها أخ له من غير مؤامرة بينهما ليحلها لأخيه، هل تحل للأول؟ قال لا، إلا نكاح رغبة. كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله ﷺ. رواه الحاكم فى صحيحه.

(٤) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أوتى بمحلِّل ولا محلَّل له إلا رجمتهما.

أرأيتم أن الشريعة الإسلامية كانت أشد إنكاراً لما أنكرتموه، وأشد استهجاناً لما استهجنتموه، فسمت المحلل تيساً مستعاراً، وهذا فيه من التقبيح والاستهجان ما فيه، ولعنته، وهل يلعن الله ورسوله من يفعل مستحبا أو جائزا أو مكروهاً أو صغيراً، أو لعنته مختصة بمن ارتكب كبيرة أو ما هو أعظم منها، كما قال ابن عباس، كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو عذاب أو نار فهو كبيرة.

٧٥- مباشرة رسول الله لزوجته وهى حائض

السؤال:

عن مباشرة رسول الله ﷺ لزوجته وهى حاذض وقراءته للقرآن فى حجر زوجته عائشة.

الجواب

الحمد لله،

ذكر المعترضون ما ورد فى الصحيحين من حديث ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها: كان النبى إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهى حائض. ولهما عن عائشة نحوه. وظنوا بجهلهم أن ذلك يتعارض مع قوله تعالى **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** (البقرة: ٢٢٢).

وسبب ذلك أنهم أناس لا يفقهون فالمباشرة المنهى عنها فى الآية الكريمة هى المباشرة فى الفرج أما ما دون ذلك فهو حلال بالإجماع وقد روى الإمام أحمد وأبو داوود والترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن سعد الأنصارى أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يحل لى من امرأتى وهى حائض؟ فقال ﷺ: «ما فوق الإزار»، وروى إبن جرير أن مسروقاً ذهب إلى عائشة رضي الله عنها فقال: السلام على النبى وعلى أهله، فقالت عائشة: مرحباً مرحباً فأذنوا له فدخل فقال: إنى أريد أن أسألك عن شىء

وأنا أستحى فقالت: إنما أنا أمك وأنت ابنى فقال: ما للرجل من امرأته و هى حائض؟ فقالت له: «كل شىء إلا الجماع» وفى رواية ما «فوق الإزار».

وقد رأينا فى حديث ميمونة أن نبى الله ﷺ كان إذا ما أراد أن يباشر إمرأة من نسائه أمرها فاتزرت» فأين التعارض المزعوم إذاً يا ملبسى الحق بالباطل.

ولعل ما دفعهم إلى الاعتراض هو وضع المرأة الحائض فى كتابهم المقدس «وإذا حاضت المرأة فسبعة أيام تكون فى طمثها، وكل من يلمسها يكون نجساً إلى المساء. كل ما تنام عليه فى أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجساً، وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه، يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجساً إلى المساء. وكل من يلمس شيئاً كان موجوداً على الفراش أو على المتاع الذى تجلس عليه يكون نجساً إلى المساء. وإن عاشرها رجل وأصابه شىء من طمثها، يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش ينام عليه يصبح نجساً.» (لاوين ـ ١٥ ـ ١٩).

فهذا هو كتابهم الذى يجعلها فى حيضها كالكلب المهمل الذى لا يقترب منه أحد وكأنها (جربة) وقد ورد عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل الصحابة رسول الله ﷺ فى ذلك فأنزل الله تعالى آية البقرة: ٢٢٢ فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شىء إلا النكاح» فبلغ اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا به.

ومن المعروف فى قواعد علم مقارنة الأديان عدم مؤاخذة دين وفقاً لشريعة دين آخر فما بالك والإسلام أعدل وأسمى وقد أنصفت شريعته المرأة فى هذا المقام وغيره!!.

أما الرد على شبهة قراءة النبى ﷺ القرآن فى حجر عائشة وهى حائض:

روى البخارى عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يأمرنى فأغسل رأسه وأنا حائض وكان يتكىء فى حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن.

وهذا أيضاً لا شبهة فيه وما دفعهم إلى الاعتراض على ذلك الحديث إلا نفس

السبب الذى دفعهم للاعتراض على الحديث السابق وهو تصورهم بوضع المرأة الحائض وجعلها كالقاذورات التى تنجس كل ما تمسسه وهذا ليس من شريعة الإسلام الوسطية العادلة فالمرأة إن كانت لا يمكنها الصلاة أو الصيام وهى حاذض إلا أنها لا تنجس زوجها إذا مسته ولا ينظر إليها فى حيضها بهذا الازدراء حتى أن المرأة الحائض فى كتابهم المقدس مذنبة!!

جاء فى سفر اللاويين (١٥: ٢٨) ما نصه:

«وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر. ٢٩ وفى اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخى حمام وتأتى بهما إلى الكاهن إلى باب خيمةالاجتماع. ٣٠ فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها»

فأين ذلك من شريعة الإسلام الطاهرة التى تحترم المرأة؟ لذا استدل العلماء من حديث أم المؤمنين عائشة بجواز ملامسة الحائض وأن ذاتها وثيابها على الطهارة ما لم يلحق شيئاً منها نجاسة وفيه جواز القراءة بقرب محل النجاسة، قاله النووى: وفيه جواز استناد المريض فى صلاته إلى الحائض إذا كانت أثوابها طاهرة، قال القرطبى بل ويمكن للمرأة نفسها أن تتعبد بقراءة القرآن دون النطق به ويمكنها تقليب صفحاته باستعمال سواك أو بارتداء قفاز أو ما شابه ذلك بل وعند ابن حزم يمكنها الجهر بقراءة القرآن وهى حائض دون مس المصحف الشريف.

٧٦- فتبارك الله أحسن الخالقين

السؤال:

يقول عز وجل فى سورة المؤمنون ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فهل يعنى هذا أن هناك إلهاً آخر؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد ذكر المفسرون أوجهاً فى قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤) أهمها: الأول: أن الخلق هنا بمعنى الصنع، فالمعنى: تبارك الله أتقن الصانعين.

وهذا جار على لغة العرب، ومنه قول الشاعر:

ولأنَت تَفْرى ما خلقتَ وبعـ ... ضُ القومِ يخلُق ثم لا يَفْرِى

الثانى: أن الخلق بمعنى التقدير، فإنه سبحانه هو أحسن المقدرين جل وعلا.

الثالث: أن المعنى: أن الله تعالى هو أحسن الخالقين فى اعتقادكم وظنكم.

الرابع: وهو أحسنها: أننا نثبت للمخلوق خلقاً، لكنه ليس كخلق الله تعالى. فخلق الله جل وعلا إيجاد من العدم.

وخلق المخلوق لا يكون إلا بالتغيير والتحويل والتصرف فى شىء خلقه الله تعالى.

ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين أنه يقال للمصورين يوم القيامة: «أحيوا ما خلقتم». ومعلوم أن المصور لم يوجد شيئاً من العدم إنما حول الطين، أو الحجر

إلى صورة إنسان أو طير، وحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى ملونة، والطين والحجر والمواد والورق كلها من خلق الله تعالى.

وأيضاً: فالعبد لا يمكنه فعل شيء إلا عند وجود الإرادة الجازمة والقدرة التامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل، وخالق السبب التام خالق للمسبب. ولهذا كان من اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق للعباد وأفعالهم، كما قال ربنا ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦).

والحاصل أن الخلق الذى هو الإيجاد من العدم صفة يختص بها الله تعالى، كما قال ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٧) وقال تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (فاطر: ٣).



٧٧- تنقيط المصحف

السؤال

لقد كتب القرآن الأصلى بدون تنقيط أو تشكيل ولكنه نقط بعد وفاة النبى والنقطة فى اللغة العربية ربما تقلب المعنى رأسا على عقب، ما هى الضمانة على مطابقة القرآن الحالى بالأول؟ فعلى سبيل المثال لماذا كتبت لفظة خليفة فى قوله: إنى جاعل فى الأرض خليفة. لماذا لم تكن خليقة بالقاف؟! ارجو التوضيح...

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

قبل أن نبدأ الرد على هذا النصرانى نود أن نذكره بأنه إذا كان المصحف قد نقط وشكل بعد وفاة النبى فإن الأناجيل التى معه قد كتبت بأكملها بعد المسيح بكثير من السنين!! فتأمل الفرق. وهل يعلم هذا النصرانى أن التشكيل والتنقيط فى العبرية ـ لغة العهد القديم ـ بدأ فى القرن التاسع الميلادى؟

أما الرد على السؤال فنقول وبالله التوفيق:

يقول الله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)**.

ومن مظاهر حفظ الله تعالى لكتابه أن هيأ له حفظة ضابطين وكتبة متقنين فى كل عصر وفى كل مصر. وكان رسول الله ﷺ كما جاء فى الحديث عندما تنزل عليه الآية يأمر أحد كتابه فيكتبها فى موضع كذا من سورة كذا. ولم يكن فى ذلك الوقت نقط ولا شكل للحروف، ذلك لأن هذا القرآن الكريم منقول بالتواتر بالحفظ بالصدور، فهذا هو الأصل الذى ترجع إليه المصاحف، ولهذا لو لم يبق فى

الأرض مصحف مكتوب، فإنه لا يضيع القرآن، وإنما كانت ولازالت المصاحف المكتوبة بالنقط، ومن قبل التنقيط، تقابل على ما فى الصدور، ولهذا فإن فائدة التنقيط ليست لحفظ القرآن المنقول بالتواتر، وإنما لتسهيل القراءة على العامة فحسب، أما القرآن فإنه محفوظ فى الصدور، ومعلوم أن المحفوظ فى الصدور منقول بالسماع لا يحتاج فيه إلى تنقيط أصلاً، ولكن هؤلاء الجهال النصارى يظنون أن القرآن لم يحفظ إلا بالخط المكتوب، واعتمادا على ذلك فحسب نقله المسلمون!!

ولو كان الأمر كذلك، لضاع القرآن وحرّف، ولهذا قال تعالى: «بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم» (سورة النكبوت: ٤٩).

وفى الحديث الذى رواه مسلم «وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظاناً»، أى إن أصله فى الصدر، ليس فى قرطاس فيغسل الماء ما فيه، وهو فى صدرك محفوظ سواء كنت نائماً أو يقظاناً لا يختلف، ولا تخاف عليه الضياع، وهكذا نقل من النبى ﷺ إلى الصحابة ﷺ ومن بعدهم بالتواتر إلى يومنا هذا، يحفظه الملايين فى صدورهم ينقلونه إلى الملايين، حتى إن كثيراً منهم لا يعرف القراءة وإنما يأخذه بالسماع. ويتلون منه كل يوم خمس مرات فى صلواتهم.

ولو علم السائل بأن هذا المصحف الذى نقرأه اليوم قد كتب وضُبط وفقاً للروايات الصحيحة للقراء الحفظة لما تجرأ وسأل سؤاله.. فمن هذه الروايات : رواية ورش وقالون وحفص وغيرهم. وهى روايات متواترة ومشهورة...

إن هذا القرآن الكريم قد نقل إلينا نقلاً متواتراً عن الرسول الكريم تنقله أمة الإسلام جيلاً عن جيل يحفظونه فى صدورهم ويتناقلون المصحف مكتوباً، ولهم أسانيدهم الصحيحة المتصلة التى تصلهم بأصحاب النبى ﷺ، ولهذا سلم من التغيير والتبديل، ولا أدل على ذلك من أنك اليوم بعد أربعة عشر قرناً تقرأ المصحف فى أقصى بلاد الشرق ثم تنقل إلى أقصى بلاد الغرب فتجد المصحف هو بلا تبديل ولا تغيير.

فلقد كان النبى ﷺ يلقن القرآن للصحابة ﷺ جميعاً، وكان يحفظه منهم العدد الكبير والعشرات، وكان بعضهم يختص به أكثر من غيره، ولهذا كان المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان وعلى وأبى زيد وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعرى، كذا ذكرهم الذهبى فى طبقات القراء، وقد قرأ على أبىٍّ جماعة من الصحابة أيضا منهم أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضاً، وأخذ عنهم خلق من التابعين، فمنهم من كان بالمدينة ابن المسيب، وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان وعطاء بن يسار ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ وعبد الرحمن بن هرمز والأعرج وابن شهاب الزهرى ومسلم بن جندب وزيد بن أسلم، وبمكة: عبيد بن عمير وعطاء بن أبى رباح وطاوس ومجاهد وعكرمة بن أبى مليكة، وبالكوفة علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس والربيع بين خيثم، وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السلمى، وزر بن حبيش، وعبيد بن نضلة، وسعيد بن جبير، والنخعى والشعبى، وبالبصرة: أبو العالية وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر والحسن وابن سيرين وقتادة، وبالشام،: المغيرة بن أبى شهاب المخزومى صاحب عثمان، وخليفة بن سعد صاحب أبى الدرداء، وقد انتشرت القراءة بالقرآن من غير هؤلاء عن غير شيوخهم عن غير أولئك الصحابة ﷺ، فهو متواتر ينقله الجيل عن الجيل من صدورهم.



٧٨- تفسير الآيات ١٥٥ ـ ١٥٩ من سورة الأعراف

سؤال

جاء فى سورة الأعراف ١٥٥ ـ ١٥٩ خطاب الله لموسى ومن معه بأن محمدا ﷺ مكتوب فى التوراة والإنجيل مع أن الإنجيل نزل بعد موسى بألفى سنة، فلماذا ذكر الله الإنجيل فى هذا الموقف مع أنه لم ينزل بعد؟

الجواب

دعوانا نستعرض آيات سورة الأعراف ١٥٥ ـ ١٥٩ لكى يتضح المعنى:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

فالمعنى واضح:

إن خطابه تبارك وتعالى لموسى عليه السلام وذكره للأناجيل قبل نزوله إنما هو من باب الإخبار بما سيكون وفيه تبشير له ببعثة محمد ﷺ، وهذا واضح لقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ إلى آخر الآيات. (انظر تفسير العلامة الشوكانى المسمى فتح القدير).

لقد لفت الله سبحانه وتعالى بنى إسرائيل الى الذين سيؤمنون برسوله الأمى وأنه سيشمل برحمته العريضة أناساً بعدهم، وأشاد بصفاتهم استنهاضاً لهمم بنى إسرائيل إلى التحلى بها. وبشرهم ببعثة هذا الرسول الأمى صلوات ربى وسلامه عليه.

هذا يجوز ان يكون قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ هو كلام مستأنف جديد بعد أن انهى الكلام عن سيدنا موسى. وقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ خبراً له فيزول الإشكال من أصله. (إعراب القرآن للباقولى الجزء الاول ص ٤٨١).

ويقول الدكتور محمد عزه دروزه حول هذه الآيات:

إن فى القرآن الكريم استطرادات كثيرة مثل الاستطراد الذى تضمنته الآيتان، وهو متناسب جداً مع السياق وفى مثابة بدل بيانى آخر للذين سيكتب الله لهم رحمته مما جاء فى الآية التى قبله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ حيث جاء بعدها:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ...﴾.

وجاء فى قصص الأنبياء حول هذه الآيات الكريمات من موقع عالم النور ما يلى:

قال الله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾

هذه كانت كلمات موسى لربه وهو يدعوه ويترضاه. ورضى الله تعالى عنه وغفر لقومه فأحياهم بعد موتهم، واستمع المختارون فى هذه اللحظات الباهرة من تاريخ الحياة إلى النبوءة بمجىء محمد بن عبد الله ﷺ. قال تعالى:

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

سنلاحظ طريقة الربط بين الحاضر والماضى فى الآية، إن الله تعالى يتجاوز زمن مخاطبة الرسول فى الآيات إلى زمنين سابقين، هما نزول التوراة ونزول الإنجيل، ليقرر أنه (تعالى) بشر بمحمد فى هذين الكتابين الكريمين. نعتقد أن إيراد هذه البشرى جاء يوم صحب موسى من قومه سبعين رجلا هم شيوخ بنى إسرائيل وأفضل من فيهم، لميقات ربه. فى هذا اليوم الخطير بمعجزاته الكبرى، ثم إيراد البشرى بآخر أنبياء الله عز وجل.

٧٩ ـ حكم الجزية

السؤال:

نصرانى يسأل عن حكم الجزية فى الإسلام.

الجواب

الحمد لله،

لم يكن الإسلام أول الأديان والملل تعاطياً مع شريعة الجزية، بل هى شريعة معهودة عند أهل الكتاب يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، فهاهم بنو إسرائيل عندما دخلوا بأمر الرب إلى الأرض المقدسة مع نبيهم يشوع أخذوا الجزية من الكنعانيين، فيقول النص فى سفر يشوع ١٦: ١٠: «فلم يطردوا الكنعانيين الساكنين فى جازر. فسكن الكنعانيون فى وسط افرايم إلى هذا اليوم كانوا عبيداً تحت الجزية» وفى سفر القضاء ١: ١ نجد أن بنى إسرائيل سألوا الرب قائلين: «من منّا يصعد إلى الكنعانيين أولا لمحاربتهم. فقال الرب يهوذا يصعد. هو ذا قد دفعت الأرض ليده» وفى الأعداد ٣٠ ـ ٣٣ نجدهم يضعون الجزية على الكنعانيين. وعلى سكان قطرون وسكان نهلول وسكان بيت شمس وسكان بيت عناة وغيرهم.

ونجد فى كتابهم المقدس أيضاً أن نبى الله سليمان عليه السلام كان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر. وكانت هذه الممالك تقدم له الجزية وتخضع له كل أيام حياته. ملوك الأول ٤: ٢١. فيقول النص كما فى ترجمة كتاب الحياة: «فكانت هذه الممالك تقدم له الجزية وتخضع له كل أيام حياته» وفى ترجمة الفانديك: «كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته».

بل إن كتابهم المقدس فيه من الشرائع والأحكام ما هو أشد وأعظم بكثير من حكم الجزية فالرب مثلاً يأمر أنبياءه أن يضعوا الناس تحت نظام التسخير والعبودية بخلاف الجزية التى أهون بكثير من هذا النظام... فعلى سبيل المثال نجد فى سفر التثنية ٢٠: ١٠ أن الرب يأمر نبيه موسى قائلاً: «حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك.»

ويقول الكاتب سفر صموئيل الثانى ٨: ١ كما فى ترجمة الحياة عن نبى الله داود: «وقهر أيضاً الموآبيين وجعلهم يرقدون على الأرض فى صفوف متراصة، وقاسهم بالحبل. فكان يقتل صفين ويستبقى صفا. فأصبح الموآبيين عبيداً لداود يدفعون له الجزية.» وفى العدد ١٤: «وكان الرب ينصر داود حيثما توجه».

لقد كانت الجزية من شرائع التوراة والمسيح عليه السلام لم يذكر كلمة واحدة لإلغائها أو استنكارها. بل إن بولس قد أكد على ضرورة الالتزام بها وذلك فى قوله فى رسالة رومية ١٣: ٧: «فأعطوها الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام».

وبالتالى كيف يصح لعاقل من النصارى قرأ كتابه المقدس أن يعيب ويطعن على حكم الجزية؟! ألا يعلم المبشرون أن طعنهم على هذا الحكم فى الحقيقة طعن على كتابهم المقدس؟!

هذا وإن الجزية فى الإسلام هى ضريبة مالية تفرض على غير المسلمين الذين اجتمعت فيهم الصفات الآتية:

اولاً: لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إيماناً صحيحاً يرتضيه ربنا سبحانه وتعالى.

ثانياً: لا يحرمون ما حرم الله ورسوله فلا يتبعون شرعه، فى تحريم المحرمات.

ثالثاً: لا يدينون بالدين الصحيح.

ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون».

فهؤلاء نحاربهم حتى يسلموا أو يدخلوا تحت سلطان الإسلام بأن يبذلوا الجزية وحتى بذلوا الجزية؛ وجب قبولهم منهم، وحرم قتالهم وصاروا فى حماية المسلمين ورعايتهم، «والله يحكم لا معقب لحكمه».

وتسقط الجزية ولا تؤخذ من الصبى منهم والمرأة والمجنون والأعمى والمريض والشيخ الكبير والفقير ونحوه.

قال الإمام القرطبى: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: والذى دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين، لأنه تعالى قال: قاتلوا الذين» إلى قوله: «حتى يعطوا الجزية» فيقتضى ذلك وجوبها على من يقاتل. ويدل على أنه ليس على العبد حتى يعطى. وهذا إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون ولا توضع على الذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفانى. ا هـ الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٧٢).

وقد أعطى النبى ﷺ نماذج رائدة فى التسامح مع أهل الذمة فى ظل المجتمع الاسلامى فهو القائل: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه - أى خصمه - يوم القيامة».

هذا وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الأمر فى الآية الكريمة ليس على إطلاقه بل إن الذين تفرض عليهم الجزية من أهل الكتاب هم الذين لا زالوا ينساقون مع المشركين ضد المسلمين من نقض للعهد أو إثارة العدو ومعونته أو الإغارة على أطراف المملكة، كما فعل النصارى فى الشام، فجاء الأمر الإلهى بقتالهم حين بدأوا الإسلام بالشر حتى يعطوا لاجزية وهم صاغرون والصغار هو جريان أحكام الاسلام عليهم كما نقل عن الإمام الشافعى. وقال الرفاعى فى أول

كتاب الجزية:

الأصح عند الأصحاب تفسير الصغار بالتزام أحكام الإسلام وجريانها عليهم.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى: إن هذه الآية لا تقرأ منفصلة عن سائر الآيات الأخرى فى القرآن، فإذا وجد فى أهل الكتاب من اعتزل المسلمين، فلم يقاتلوهم، ولم يظاهروا عليهم عدوا، وألقوا إليهم السلام، فليس على المسلمين أن يقاتلوهم، وقد قال الله تعالى: فى شأن قوم من المشركين: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ (النساء: ٩٠). وقال النبى ﷺ: «دعوا الحبشة ما ودعوكم» والحبشة نصارى أهل كتاب، كما هو معلوم.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑧ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٨ ـ ٩).

انظر التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



٨٠ ـ ما صحة هذا الحديث؟

تحت عنوان: (عرياناً يجر ثوبه) وضع أعداء الإسلام من النصارى الحديث التالى فى مواقعهم للطعن فى رسولنا الكريم. فأرجو بيان مدى صحة الحديث:

حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد المدنى حدثنى أبو يحيى بن محمد عن محمد بن إسحق عن محمد بن مسلم الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ فى بيتى فأتاه فقرع الباب فقام إليه رسول الله ﷺ عريانا يجر ثوبه والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده فاتنقه وقبله قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الزهرى إلا من هذا الوجه.

الجواب

الحمد لله،

هذا الحديث أخرجه الترمذى، ولم تثبت صحته ففى سنده أبو يحيى بن محمد، قال عنه الذهبى ضعيف وقال عنه الساجى: فى حديثه مناكير وأغاليط وفى الحديث علة أخرى: إبراهيم بن يحيى بن محمد وهو لين الحديث وقال عنه الرازى ضعيف، وقد أورد العلامة الألبانى الحديث ضمن سلسلة الأحاديث الضعيفة (ضعيف الترمذى / ٥١٦).

وهكذا عزيزى السائل يتبين لك مدى ضعف هذه الرواية ومدى سقوط الاحتجاج بها، وإن خصومنا من النصارى يتعلقون بالضعيف والمكذوب نسأل الله السلامة ونعوذ بالله من الخذلان.

ولا يفوتنا هنا بعد أن بينا أن هذا الحديث لا يساوى شيئا عندما أن ننقل للنصارى فى إنجيل يوحنا المقدس عندهم عن الرسول بطرس:

بطرس الرسول ـ صخرة الكنيسة ـ عارياً على شاطىء البحر!!

يروى يوحنا قصة ظهور المسيح لتلاميذه عند بحيرة طبرية قائلاً: «بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا. كان سمعان بطرس وتوما الذى يقال له التوأم ونثنائيل الذى من قانا الجليل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم. قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد. قالوا له نذهب نحن أيضاً معك. فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت وفى تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً. ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ. ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع. فقال لهم يسوع يا غلمان ألعل عندكم إداما. أجابوه لا. فقال لهم القوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس: هو الرب. فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عرياناً وألقى نفسه فى لابحر.» يوحنا ٢١ : ١ ـ ٧.

إن الحديث الغريب حقا أن بطرس الرسول عندما سمع أن المسيح قد حضر اتزر بثوبه «لأنه كان عرياناً وألقى بنفسه فى البحر». يوحنا ٢١ : ٧. كيف يكون بطرس كبير الحواريين عرياناً على شاطىء البحر؟! ولماذا يخجل من التعرى عندما سمع بحضور المسيح فقط؟! هل التعرى جائز فى غياب المسيح وغير جائز فى حضوره؟! كيف كان بطرس الرسول الملقب بصخرة الكنيسة عارياً على الشاطىء أمام التلاميذ ومن كان موجودا؟!



٨١ـ زواج الرسول من صفية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

فإن النصارى أثاروا شبهة زواج النبى ﷺ من أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، وقالوا كيف يدخل بها دون عدة بعد سبيها فى غزوة خيبر؟؟؟

وللرد نقول وبالله تعالى نتأيد:

إن أصل الإشكال عند أصحاب الشبهة هو جهلهم بعدة المسبية وعدم التفريق بينها وبين غيرها، فعدة المسبية هى أن تستبرئ بحيضة واحدة، لما رواه أبو داود والإمام أحمد عن أبى سعيد (أن النبى ﷺ قال فى سبى أوطاس: لا توطأ حامل حتى تلد، ولا غير حامل حتى تحيض حيضة). وصححه الألبانى، وهو مخرج عنده فى الإرواء.

وقال الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار عقب الحديث (حديث أبى سعيد أخرجه أيضاً الحاكم وصححه وإسناده حسن).

وقال الإمام الصنعانى فى سبيل السلام فى كلامه عن حديث أبى سعيد وأخرج أحمد أيضا (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ينكح شيئاً من السبايا حتى تحيض حيضة».

وعند أبى داود عن حنش الصنعانى عن رويفع بن ثابت الأنصارى قال (قام فينا خطيبا قال أما إنى لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم حنين قال لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره يعنى إتيان

الحبالى ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم) ورواه أحمد فى مسنده.

والحديث حسنه الألبانى فى صحيح أبى داود.

أما إن كانت المسبية حاملاً فعدتها أن تضع حملها وبرهان ذلك حديث أبى سعيد الذى مرّ معنا وما أخرجه الترمذى من حديث العرياض بن سارية (أن النبى ﷺ حرم وطء السبايا حتى يضعن ما فى بطونهن).

والآن بعد هذا الشرح نأتى لزواج النبى ﷺ من صفية لنرى هل دخل بها النبى ﷺ دون أن يستبرئها؟؟؟؟

الجواب لا، فالرسول ﷺ لم يدخل بها إلا بعد استبرائها، وبرهان قولنا ما رواه البخارى فى صحيحه - كتاب المغازى - غزوة خيبر:

حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح[1] وحدثنى أحمد حدثنا ابن وهب قال أخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«قدمنا خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيى بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها النبى ﷺ لنفسه فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء، حَلَّتْ فبنى بها رسول الله ﷺ ثم صنع حيسا فى نطع صغير ثم قال لى آذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبى ﷺ يُحَوِّى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب».

فكما نرى أنه يقول (حَلَّتْ) أى طهرت، قال الحافظ ابن حجر فى الفتح:

«قوله: (حَلَّتْ) أى طهرت من الحيض».

وعند مسلم من طريق ثابت عن أنس:

(ثم دفعها - أى صفية - إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها قال وأحسبه قال وتعتد فى بيتها).

قال الإمام النووى فى شرح الحديث «أما قوله: (تعتد) فمعناه تستبرئ فإن كان مسبية يجب استبراؤها وجعلها فى مدة الاستبراء فى بيت أم سليم، فلما انقضى الاستبراء جهزتها أم سليم وهيأتها أى زينتها وجملتها على عادة العروس بما ليس بمنهى عنه من وشم».

فكما نرى أن النبى ﷺ لم يخدل على أم المؤمنين صفية حتى استبرأها، وفى هذا كفاية لردّ هذه الشبهة التى بنيت على جهل قائلها وعدم تفريقه بين المسبية وغيرها.



(١) هذا الحرف (ح) علامة على تحويل سند الحديث إلى سند آخر.

٨٢ـ كيف اختلطت المسيحية بالعقائد الشركية؟

سؤال

إذا كانت المسيحية الحقة قد جاءت بتوحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة دون ما سواه من الخلق، سواء كان عيسى أو غيره، فكيف اختلطت هذه الديانة بالعقائد الشركية، فاتخذوا عيسى عليه السلام ربّاً وإلهاً؟

الحمد لله،

ليس من شك أن الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة دون ما سواه من الخلق، هو أصل الرسالة التى جاء بها نبى الله عيسى عليه السلام كما أنها أصل الرسالة التى جاء بها سائر الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٦). وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وعلى هذه الدعوة يشهد عيسى عليه السلام على قومه؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٦ ـ ١١٧)، وأما كيف انحرف أصحاب هذه الديانة بعد ذلك عن التوحيد الخالص إلى العقائد الوثنية، وعبادة عيسى وأمه من دون

الله، فهى قصة مبكرة فى تاريخ النصرانية، وسوف نورد هنا بعض الشواهد عليها، من كلام أهلها، وليسمع من له أذنان:

.. جاء فى دائرة المعارف الأمريكية:

(لقد بدأت عقيدة التوحيد - كحركة لاهوتية - بداية مبكرة جدا فى التاريخ، وفى حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين. لقد اشتقت المسيحية من اليهودية، واليهودية صارمة فى عقيدة التوحيد.

إن الطريق الذى سار من أورشليم (مجمع تلاميذ المسيح الأول) إلى نيقية (حيث تقرر مساواة المسيح بالله فى الجوهر والأزلية عام ٣٢٥م) كان من النادر القول بأنه كان طريقا مستقيما.

إن عقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يختص بطبيعة الله؛ لقد كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذا التعليم، ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص، أو على الأقل يمكن القول بأنها كانت معارضة لما هو ضد التثليث، كما انت انتصارها لم يكن كاملا. (٢٧/ ٢٩٤).

ويمكنك الرجوع إلى بعض آراء من لا يزالون يذهبون إلى التوحيد من المسيحيين، فى المصدر السابق نفسه، دائرة المعارف (٢٧/ ٣٠٠ - ٣٠١).

ويقول وول ديورانت:

(لما فتحت المسيحية روما انتقل إلى الدين الجديد «أى المسيحية» دماء الدين الوثنى القديم: لقب الحبر الأعظم، وعبادة الأم العظمى، وعدد لا يحصى من الأرباب التى تبث الراحة والطمأنينة فى النفوس، وتمتاز بوجود كائنات فى كل مكان لا تدركها الحواس، كل هذا انتقل إلى المسيحية كما ينتقل دم الأم إلى ولدها.

وأسلمت الإمبراطورية المحتضرة أزِمَّة الفتح والمهارة الإدارية إلى البابوية القوية، وشحذت الكلمة بقوة سحرها ما فقده السيف المسلول من قوته. وحل مبشرو الكنيسة محل الدولة.

إن المسيحية لم تقض على الوثنية، بل ثبتتها؛ ذلك أن العقل اليونانى عاد إلى

الحياة فى صورة جديدة، فهى لاهوت الكنيسة وطقوسها، ونقلت الطقوس الخفية إلى طقوس القداس الرهيبة، وجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس، ويوم الحساب، وأبدية الثواب والعقاب، وخلود الإنسان فى هذا أو ذاك. ومن مصر جاءت عبادة الأم الطفل، الاتصال الصوفى بالله؛ ذلك الاتصال الذى أوجد الأفلوطينية واللاأدرية، وطمس معالم العقيدة المسيحية. ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض لمدة ١٠٠٠). «قصة الحضارة ١١/ ٤١٨».

وعلى الرغم من النفثة الإلحادية فى كلام ديورانت، وهو أمر معروف به، والتى تظهر فى زعمه أن أبدية الثواب والعقاب منقولة عن المصرية، فإن تتبع الأصول الوثنية للنصرانية المحرفة لم يعد بالأمر الخفى، ولم ينفرد هو ببحثه؛ ففى كتابه «المسيحية والوثنية» يقرر روبرتسون أن الميثراثية، وهى ديانة فارسية الأصل، ازدهرت فى بلاد فارس قبل الميلاد بنحو ستة قرون، قد دخلت إلى روما حوالى عام ٧٠م، وانتشرت فى بلاد الرومان، ثم وصلت إلى بريطانيا، وانتشرت فى العديد من مدنها وما يعنينا هنا من أمر هذه الديانة أنها تقول:

- إن ميثراس، الذى تنسب إليه، كان وسيطا بين الله والناس. (انظر مقابله فى النصرانية: أعمال الرسول ٤/١٢).

- وأن مولده كان فى كهف، أو زاوية من الأرض. (انظر: لوقا ٢/٧).

- وأن مولده كان فى يوم ٢٥ ديسمبر. (وهو يوم احتفال النصارى بمولد المسيح).

- كان له اثنا عشر حواريا. (انظر: متى ١٠/ ١).

- مات ليخلص العالم (انظر: كورنثوس الأولى ١٥/ ٣).

- دفن ولكنه عاد إلى الحياة (انظر: الاسبق ١٥/ ٤).

- صعد إلى السماء أمام تلاميذه (انظر: أعمال الرسول ١/٩)

- كان يُدّعَى مخلصا ومنقذا (انظر: تيطس ٢/ ١٣).

- من أوصافه أنه حمل وديع (انظر: يوحنا ١/ ٢٩)

- فى ذكراه كل عام يقام العشاء الربانى (انظر: كورنثوس الأولى ١١/ ٢٣ ـ ٢٥).

- من شعائره التعميد.

- يوم الأحد مقدس عنهدم.

بينما يذهب المستشرق الفرنسى ليون جوتيه فى كتابه «مقدمة لدراسة الفلسفة الإسلامية» إلى أن أصول التثليث النصرانى ينبغى تلمسها فى الفلسفة اليونانية، وتحديدا فى أفكار الأفلاطونية المحدثة، التى تلقت مبادئ فكرة التثليث فى النظرة إلى خالق الكون عن أفلاطون، ثم عمقتها إلى حد كبير، بحيث اتضح التشابه الكبير بينها وبين النصرانية؛ فالخالق، ذو الكمال المطلق، جعل بينه وبين العالم وسيطين، صادرين عنه، وهما أيضا داخلان فيه فى نفس الوقت؛ أى تتضمنهما ذاته، وهما العقل والروح الإلهية. ثم قال:

(وهكذا كان التزاوج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الإغريقية لم ينتج فلسفة فقط، بل أنتج معها دينا أيضا، أعنى المسيحية التى تشربت كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان؛ ذلك أن اللاهوت المسيحى مقتبس من نفس المعين الذى كانت فيه الأفلاطونية الحديثة، ولذا تجد بينهما مشابهات كثيرة، وإن افترقا أحيانا فى بعض التفاصيل، فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما).

وهذا هو ما يشير إليه الكاتب الأمريكى (درابر):

(دخلت الوثنية والشرك فى النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة، ومناصب عالية فى الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يوما من الأيام، وكذلك كان قسطنطين فقد قضى عمره فى الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية، إلا قليلاً فى آخر عمره (٣٣٧م).

إن الجماعة النصرانية، وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث وَلَّتْ قسطنطين الملك، ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية، وتقتلع جرثومتها، وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئهما. ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء).

٨٣ـ ماهو موقف المسلمين من الأخبار والعقائد التى تضمنتها كتب أهل الكتاب

جواب

الحمد لله،

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨).

فقد أخبر سبحانه وتعالى أن كتابه العزيز مهيمن على جميع الكتب قبله، وأنه مصدق لها، وأن هذا التصديق لا يعنى التسليم بكل ما ورد فيها بل هو فى إطار الهيمنة التى نصت عليها الآية. قال ابن عباس ﷺ « : المهيمن الأمين والقرآن أمين على كل كتاب قبله» وقال ابن عباس ايضاً « : المهيمن: الحاكم» وكلا قوليه صحيح. فالقرآن الكريم هو الأمين والحاكم على ما فى الكتب السابقة، قال ابن جرير « : القرآن أين على الكتب المتقدمة فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل».

لذلك فإن الأخبار والعقائد التى جاءت فى كتب أهل الكتاب إما أن تكون:

١ ـ موافقة لما بين أيدينا من حق مثل: أن الله ـ تعالى ـ أرسل إلى البشر رسلاً، وأنه خلق ملائكة ـ وأن إبراهيم رسولاً.. فهذا العقائد نصدق بها، لأنها ثابتة عندما فى الكتاب والسنة.

٢ ـ وإما أن تكون مخالفة لما بين أيدينا من حق مثل ما تضمنته كتبهم من أوصاف لا تليق بالله، ومن أن هارون هو صانع للعجل هو وارد فى سفر الخروج

٢:٣٢ وأنه هو من طرح عصاه أمام سحرة فرعون وليس موسى كما فى الخروج ١٢:٧، ومن أن سليمان عليه السلام قد كفر وعبد الاصنام كما فى سفر الملوك الاول ١:١١، وأن المسيح قد صلب وقتل كما فى اناجيل النصارى، وان المدعو بولس هو الرسول من بعد المسيح(١) فهذه العقائد والأخبار نقطع بكذبها لمخالفتها الحق الذى بين أيدينا صراحة.

٣ ـ وإما أن تكون هذه الأخبار والعقائد غير موجودة لا فى الكتاب ولا فى السنة ـ لا بنفى ولا إثبات ـ فمثل هذه الأخبار لا نصدقها ولا نكذبها، خشية تصديق الكذب أو تكذيب الصدق إلا إذا دلت دلائل الواقع على تصديقه أو تكذيبه، فإننا نتبع حكم هذه الدلائل من تصديق أو تكذيب.



(١) قولهم بأن بولس هو رسول هو مما ينفيه القرآن الكريم لأنه قد أخبرنا بأن الرسول من بعد المسيح هو الرسول الخاتم واسمه أحمد كما فى سورة الصف، فليس بين المسيح عليه السلام وبين نبينا محمد ﷺ نبى حتى يكون له كتاب. وقد قال عليه الصلاة والسلام: أنا أولى الناس بابن مريم. الأنبياء أولاد علات. وليس بينى وبينه نبى. رواه مسلم.

وأصل أولاد العلات من أبوهم واحد وأمهاتهم شتى متعددات.

٨٤ ـ لماذا لا يسمح الإسلام بزواج المسلمة من غير المسلم؟

الجواب

الحمد لله،

ورد فى سفر تكوين الإصحاح ٢٤ العدد ٣، ٤ قول إبراهيم عليه السلام لكبير بيته: «لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بنيهم. بل إلى أرضى وإلى عشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى إسحق «ثم تكلم الرب بعد ذلك على فم موسى موصياً شعبة قديماً فى (سفر تثنية الإصحاح ٧ العدد ٣) «لا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه لا تأخذ لابنك».

ومن قوانين الأحوال الشخصية المسيحية أن اختلاف الدين مانع من الزواج، فلا يجوز زواج يهودى بمسيحية، ولا زواج مع اختلاف المذهب فى الدين الواحد، كزواج أرثوذكسى من كاثوليكية. فإذا منع الاسلام زواج المسلمة من غير المسلم فأى غرابة فى تشريعة؟

إن المسلمة مؤمنة بكل الأنبياء، أما غير المسلم فهو جاحد لغير واحد منهم فهو أقل ديناً وإيماناً فما تستحق أن تكون له القوامة عليها. إن غير المسلم، ولو كان كتابيا، لا يعترف بدين المسلمة، بل يكذب بكتابها، ويجحد رسالة نبيها، ولا يمكن لبيت أن يستقر وهذه حال (القيم) فيه. وعلى العكس من ذلك إذا تزوج المسلم بكتابية فإنه يعترف بدينها والإيمان بكتابها ونبيها جزء من إيمانه.. ولا يتأتى منه إجبارها على ترك دينها.

من كتاب الرد الجميل على المشككين فى الاسلام. تأليف عبدالمجيد صبح ـ دار المنارة ـ مصر المنصورة.

٨٥ ـ تفسير قوله تعالى:
ويعلم ما فى الأرحام

سؤال

نرجو توضيح معنى الآية التى تتحدث عن أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم ما فى الأرحام لكون المسيحيين يقولون إن الأطباء يستطيعون الآن معرفة ما بداخل الأرحام من ذكر وأنثى..

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه وبعد،

فاعلم أخى الكريم، أنه لم يوجد ولن يوجد فى الواقع ما يخالف صريح القرآن الكريم، وما طعن فيه أعداء المسلمين على القرآن الكريم من حدوث أمور ظاهرها معارضة القرآن الكريم فإنما ذلك لقصور فهمهم لكتاب الله تعالى، أو تقصيرهم فى ذلك لسوء نيتهم، ولكن عند أهل الدين والعلم من البحث والوصول إلى الحقيقة ما يدحض شبهة هؤلاء ولله الحمد والمنة.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ فى تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

«وكذلك لا يعلم ما فى الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقيا أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه»..

ويقول الشيخ محمد بن عثيمين (رحمه الله): «الأمور الغيبةى فى حال الجنين هى: مقدار مدته فى بطن أمه وحياته وعمله، ورزقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذكراً أم أنثى، قبل أن يخلق، أما بعد أن يخلق، فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب لأنه يتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر فى الظلمات الثلاث والتى لو أزيلت لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله ـ تعالى ـ من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أم أنثى، وليس فى الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السُّنة بذلك. (مجموع فتاوى ورسائل) للشيخ ابن عثيمين: (١/ ٦٨ ـ ٧٠).

وجاء فى كتاب الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ان الآية الكريمة لا تتعلق فقط بجنس المولود: ذكر أو أنثى... «فما» فى قوله تعالى: «ويعلم ما فى الأرحام» من ألفاظ العموم عند أهل الأصول، ولفظ العموم أشمل فـ (ما) هنا تشمل كل ما يتعلق بالجنين من كونه ذكراً أو أنثى طويلاً أو قصيراً، أبيض أو أسود... ذكيا أو غبيا، صبوراً أو جزوعاً، كريماً أو بخيلاً، شقيا أو سعيداً... والوهم الذى توهمه البعض إنما هو خطل فى التقدير، وجهل فى التمييز بين الخطأ والصواب.

وذهب البعض إلى أن نص الآية الكريمة فيه إقرار فى نصفه الأول ونفى فى نصفه الثانى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ **(لقمان: ٣٤)**.

فنفى علم الانسام فيما يكسبه غداً وفى أى أرض يموت والإقرار بأن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام. وقد نفسى علم الإنسان بموعد الساعة فى آيات اخرى ولكن إنزال المطر وعلم ما فى الأرحام لم ينفه عن الإنسان.

خاتمة

١ - أسئلة بلا إجابات فى الكتاب المقدس

١ ـ اختار الرب أنبياءً مفسدين ضالين عن عمد أم عن جهل منه؟

١ ـ فهذا نبيه لوط زنى بابنتيه (تكوين ١٩: ٣٠ ـ ٣٨).

٢ ـ وداود زنى بامرأة أوريا جاره وقتله بخيانة عظمى لجيشه (صموئيل الثانى ١١: ١ ـ ٢٧).

٣ ـ عارون عبد العجل (خروج ٣٢: ١ ـ ٦).

٤ ـ سليمان ارتد آخر عمره وعبد الأوثان (ملوك الأول ١١: ١ ـ ١٣).

٥ ـ آحاز عَبَدَ الأوثان (ملوك الثانى ١٦: ٢ ـ ٤، وأيضا أخبار الأيام الثانى ٢٨: ٢ ـ ٤).

٦ ـ يربعام يعبد الأوثان (ملوك الأول ١٤: ٩)

٧ ـ إبراهيم يفضل الدياثة ويبع شرف زوجته عن رضوان الله وجنته (تكوين ١٢: ١١ ـ ١٦)

٨ ـ سارة تكذب على الله (تكوين ١٨: ١٢ ـ ١٥)

٩ ـ رأوبين يزنى بزوجة أبيه بلهة (تكوين ٣٥: ٢٢؛ ٤٩: ٣ ـ ٤)

١٠ ـ نبى الله يعقوب يصارع الله ويغلبه (تكوين ٣٢: ٢٢ ـ ٣٠)

١١ ـ نبى الله يضحك على الله وعلى أبيه ويسرق النبوة من أخيه (تكوين صح ٢٧)

١٢ ـ أمنون بن داود زنى بأخته ثامار (صموئيل الثانى ١٣: ١ ـ ٣٩)

١٣ ـ يهوذا يزنى بثامار زوجة ابنه (تكوين ٣٨: ١٢ ـ ٣٠)

١٤ ـ لم يعرف يحيى المعمدان عليه السلام الذى هو أعظم الأنبياء بشهادة عيسى عليه السلام،

لكن الأصغر فى ملكوت السموات هو أعظم منه، لم يعرف إلهه الثانى ومرسله: عندما انشقت السماء ونزلت روح الله كحمامة وقالت هذا ابنى الحبيب الذى به سررت (متى ٣: ١٣ ـ ١٧) ومع ذلك أرسل إليه من يسأله هل أنت الآتى أم ننتظر آخر؟ (متى ١١ : ٢ ـ ٣).

١٥ ـ الرسول الآخر الذى كان عنده الكيس للسرقة ـ يهوذا الإسخريوطى ـ الذى هو صاحب الكرامات والمعجزات وأحد الحواريين (الأنبياء) الذين هم أعلى منزلة من موسى بن عمران وسائر الأنبياء الإسرائيليين ـ على زعمهم ـ باع دينه، وإلهه، ونبيه ب ٣٠ درهما! رضى بتسليم إلهه بأيدى اليهود مقابل هذا المبلغ الزهيد، لأنه أيضا على زعمهم كان صيادا مفلوكا لصا، وإن كان رسولا صاحب معجزات أيضا على زعمهم، فثلاثون درهما كانت أحب عنده وأعظم رتبة من هذا الإله المصلوب: متى ٢٦: ١٤ ـ ١٦، ٢٧: ٣ ـ ٩؛ ومرقس ١٤: ١٠ ـ ١١ ولوقا ٢٢: ٣ ـ ٦؛ ويوحنا ١٨: ١ ـ ٥.

١٦ ـ إن قيافا النبى (بشهادة يوحنا الإنجيلى) أفتى بكفر عيسى عليه السلام وأمر بقتله وبتسليمه للصلب، بعد أن كذبه وكفره وأهانه. فهل رأيتم أو سمعتم عن نبى يكفر إلهه ويأمر بقتله؟ فإما قيافا ليس بنبى وعلى ذلك يكون الإنجيل كاذبا، أو يكون عيسى ليس بإله ويكون إيمانكم وعقيدة النصارى فاسدة!! وبذلك يكون وقع فى حق هذا الإله المصلوب ثلاثة أمور عجيبة من ثلاثة أنبياء:

(١) لم يعرفه أعظم أنبياء بنى إسرائيل يوحنا المعمدان، الذى لم يعرفه لمدة ٣٠ سنة، إلى أن بادره الإله بالنزول كحمامة، وبعدها لم يعرف أيضا فأرسل إليه من يسألوه إذا كان هو المسيا المنتظر أم ننتظر آخر؟

(٢) أن نبيه الثانى رضى بتسليمه للصلب ورجح منفعة ٣٠ درهما على وعود إلهه بالنعيم المقيم فى جنات الخلود.

(٣) أن رسوله الثالث قيافا أفتى بكذبه وبكفره وبقتله!!

١٧ ـ لما لا والرب نفسه يأمر بالسرقة: (بل تطلب امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها

أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعرونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين) خروج ٣: ٢٢ وكذلك خروج ١٢: ٣٥ ـ ٣٦).

١٨ ـ لما لا والرب يأمر بالزنا: (أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع: «اذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا لأن الأرض قد زنت تاركة الرب».) هوشع ١: ٢

١٩ ـ لما لا والرب سكير لا يدرى ما يفعل ولا يعى ما يقول: (فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر.).

٢ ـ هل الرب يستر العورات؟

نعم فهو الإله الستار (ولا تصعد بدرج إلى مذبحى كيلا تتكشف عورتك عليه) الخروج ٢٠ : ٢٦

لا فهو الفاضح الذى لا يستر: (يعرى الرب عورتهن) إشعياء ٣: ١٧، وكذلك (اكشفى نقابك. شمرى الذيل. اكشفى الساق) إشعياء ٤٧: ٢ ـ ٣.

٣ ـ إذا أردت أن تتزوج فلا تستخر هذا الإله، فسيأمرك مرة بالزواج من عذراء. ما أجمله إله: (هذا يأخذ امرأة عذراء. أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ بل يتخذ عذراء من قومه امرأة) (لاويين ٢١ : ١٣ ـ ١٤)

وقد يأمرك أن تتزوج من امرأة زانية. ما أقبح ذلك: (أول ما كلم الرب هوشع قال الربع لهوشع: «إذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا لأن الأرض قد زنت تاركة الرب!») (هوشع ١ : ٢) (وقال الرب لى: «إذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبنى إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب»). (هوشع ٣: ١).

٤ ـ يقول سفر التكوين: (وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير) ما هو الذى فعله حام بأبيه؟ تأبي النفس أن

تكرر ما قاله قساوسة أمريكا فى شرح هذه الفقره.

٥ - لماذا يفضل الرجل عن المرأة فقط لأنه رجل ولأنه امرأة؟ فقد قضى وحى سفر اللاويين أن تظل المرأة نجسة لمدة أسبوع واحد إذا أنجبت ذكراً، أما إذا أنجبت أنثى فتظل نجسة أسبوعين. (وقال الرب لموسى: «قل لبنى إسرائيل: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام... نقيم ثلاثة وثلاثين يوماً فى دم تطهيرها. كل شىء مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تجىء حتى تكمل أيام تطهيرها.

٦ - وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها. ثم تقيم سنة وستين يوماً فى دم تطهيرها... فيقدمهما أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها. هذه شريعة التى تلد ذكراً أو أنثى) لاويين ١٢: ١ - ٧.

٧ - سمعنا ورأينا وقرأنا عن سيدات تأتيهن الدورة الشهرية. لكن لم نسمع عن رجال تأتيهم الدورة الشهرية: (وقال الرب لموسى وهارون: «قولا لبنى إسرائيل: كل رجل يكون له سيل من لحمه فسيله نجس. كل فراش يضطجع عليه الذى له السيل يكون نجساً وكل متاع يجلس عليه يكون نجساً. ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. ومن جلس على المتاع الذى يجلس عليه ذو لسيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. ومن مس لحم ذى السيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل ما يركب عليه ذو السيل يكون نجساً. وإذا طهر ذو السيل من سيله يحسب له سبعة أيام لطهره ويغسل ثيابه ويرحض جسده بماء حى فيطهر. «وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دماً فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها. وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجساً وكل ما تجلس عليه يكون نجساً. وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء يكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وإن كان على الفراش أو على المتاع الذى هى جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء) لاويين ١٥: ١ - ٢٣.

٨ - هل من الإنصاف فى حق المرأة وزوجها أن تعيش المرأة الناضجة التى تأتيها

الدورة النسائية نصف عمرها نجسة؟ وتكون كالجربانة، لا يصح أن يلمسها أحد، أو يلمس شيئا لمسته، ولا يجلس على شىء قد جلست هى عليه.

(«وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دماً فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها. وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجساً. وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء يكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وإن كان على الفراش أو على المتاع الذى هى جالسة سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً). لاويين ١٥: ١٩ ـ ٢٤.

٨ ـ هل الأرنب والوبر من الحيوانات المجترة؟

بالطبع لا. إلا أن الكتاب المقدس له رأى آخر: (والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم. والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم). لاويين ١١: ٥ ـ ٦.

٩ ـ هل يصح فى حق المرأة أن تشبه فى الكتاب المقدس بالحية (أى الشيطان)؟

(ولكننى أخاف كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم...) كورنثوس الثانية ١١: ٣.

١٠ ـ يقول سفر التثنية ٢١: ١٠ ـ ١٥ (إذا كان فى السبى امرأة جميلة يأخذها الرجل للبيت وتحلق شعرها وتقلم أظافرها وتنزع ثياب سبيها ثم تبقى شهراً تبكى أباها وأمها ثم يتزوجها وإن لم يسر بها فعليه تسريحها).

ماهذه الأحكام الغريبة المضحكة؟ وأى احترام للمرأة يكنه هذا القانون؟

١١ ـ (لكل الزوانى يعطون هدية، أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك، ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك. وصار فيك عكس عادة النساء فى زناك، إذ لم يزن وراءك، بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك، فصرت بالعكس!) حزقيال ١٦: ٣٣ ـ ٣٤.

ماذا تتعلم بناتى وأولادى من هذه العاهرة المتمرسة التى تدفع من أجل رغبتها؟

١٢ ـ (عشقتهم عند لمح عينيها إياهم، وأرسلت إليهم رسلاً إلى أرض الكلدانيين. فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب وتجسوها بزناهم، فنجست بهم وجفتهم نفسها. وكشفت زناها وكشفت عورته، فجفتها نفسى كما جفت نفسى أختها. وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التى فيها زنت بأرض مصر. وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمنى الخيل. وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترى نبك لأجل ثدى صباك. (لأجل ذلك يا أهوليبة، هكذا قال السيد الرب: هأنذا أهيج عليك عشاقك الذين جفتهم نفسك، وآتى بهم عليك من كل جهة) حزقيال ٢٣: ١٦ ـ ٢٢.

ما الذى نتعلمه من هذه التصريحات الجنسية الغريبة؟ لحم الحمير؟! منى الخيل؟! هل أوحى هذا الرب؟ ألم يكن عنده تصوير أفضل من ذلك؟

١٣ ـ ثم قال لها الملك: (ما لك؟) فقالت: (هذه المرأة قالت لى: هاتى ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابنى غداً. فسلقنا ابنى وأكلناه. ثم قلت لها فى اليوم الآخر: هاتى ابنك فنأكله فخبأت ابنها). ملوك الثانى ٦:٢٨ ـ ٢٩.

ما هذا الهراء؟ والله إنه لأمر مضحك؟ هل هذا كتاب الرب أم كلام شخص آخر؟

١٤ ـ (ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم! دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدى صناع. سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن. ثدياك كخشفتين توأمى ظبية. عنقك كبرج من عاج. عيناك كالبرك فى حشبون عند باب بث ربيم. أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق. رأسك عليك مثل الكرمل وشعر رأسك كأرجوان. ملك قد أسر بالخصل. ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات! قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعنقيد. قلت: «إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها». وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح وحنكك كأجود الخمر. لحبيبى السائغة المرقرقة السانحة على شفاة النائمين. أنا لحبيبى وإلى اشتياقه. تعال يا حبيبى لنخرج إلى الحقل ونبيت فى القرى). نشيد الإنشاء ٧: ١ ـ ١١.

اقرأ هذا السفر كاملاً، ثم أحلفك بالله تقبل أن تقرأ ابنتك شديدة الحياء، قويمة التربية هذا السفر؟ إن قلت نعم، فسأسألك لماذا لا يوجد هذا السفر إذن فى كتاب الإنجيل للأطفال أو للشباب؟ ثم أسألك: ينسب هذا السفر للنبى سليمان، وقد صرح (سفر ملوك الأول ١١ : ٥ ـ ١٠) أن سليمان هذا قد عبد الأوثان وكفر، فكيف تقبلون كتابات إنسان كفر فى الكتاب المقدس الموحى به من الله؟

١٥ ـ أنبياء.. لكنهم يمشون عراة.. أتصدق هذا؟ أنبياء.. راقصون.. ألنا فيهم قدوة! أنبياء.. لكنهم زناة.. حفظنا الرب من الاقتداء بهذه القاذورات! أنبياء... لكنهم يعبدون الأوثان.. أين القدوة؟ أين قدرة الرب وعلمه فى انتقاء صفوة خلقه؟ أترضى هذا لأمك أو أبيك أو ابنك ابنتك؟ أترضى هذا لأختك أو لأخيك؟ فكيف تكون أنت أو أبوك أو أمك أطهر من المصطفين الأخيار قدوة البشرية؟

ـ وشرب نوح من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه فأبصر حام عورة أبيه. (تكوين ٩: ٢٠)

ـ وكان روح الله على شاول، فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً. وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الليل. (صموئيل الأول ١٩: ٢٤).

ـ ورقص داود أمام الناس وأمام الله. (صموئيل الثانى ٦: ١٤) ولما دخل تابوت الرب مدينة داود، أشرفت يكال بنت شاول من الكوة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب، فاحتقرته فى قلبها. (صموئيل الثانى ٦: ١٠)

(وكذلك فعلت أخته مريم النبية) وأخذت دفا هى والنساء ورقصت. (خروج ١٥ : ٢٠)

وحل روح الرب على شمشون فقتل ثلاثين رجلاً. (قضاة ١٤: ١٩)

ثم ذهب إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها. (قضاة ١٦: ١)

١٦ ـ (هكذا قال الرب: هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك، فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس) (صموئيل الثانى ١٢ : ١١)

الرب يعاقب داود على زناه، فيعطى نساءه للزنا؟ الرب يأمر بالزنا انتقاما من

الزانى؟ أيفعل ما ينهى عنه؟ أى إله هذا؟

١٧ ـ هل سمعتم أن نبى الله هارون أفسد بنى إسرائيل وصنع لهم العجل؟: (فقال لهم هارون: «انزعوا أقراطا الذهب التى فى آثان نسائكم وبنيكم وأتونى بها» فنزع كل الشعب اقراط لذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر!» فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال: «غدا عيد للرب». فبكروا فى الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب) خروج ٣٢ : ٣ ـ ٦.

١٨ ـ أنبياء يسبون ربهم!!! فماذا يجب أن نفعل تجاه هؤلاء الأنبياء قدوتنا؟

(أيوب ١٦: ١١ ـ ١٢) (دفعنى الله إلى الظلم وفى أيدى الأشرار طرحنى كنت مستريحا فزعزعنى وأمسك بقفاى فحطمنى ونصبنى له هدفا).

(أيوب ١٩ : ٦ ـ ١١) (فاعلموا إذا أن الله قد عوجنى ولف على أحبولته. ها إنى أصرخ ظلما فلا استجاب. أدعو وليس حكم. قد حوط طريقى فلا اعبر وعلى سبلى جعل ظلاما. ازال عنى كرامتى ونزع تاج رأسى. هدمنى من كل جهة فذهبت وقلع مثل شجرة رجائى. وأضرم على غضبه وحسبنى كأعدائه).

(أيوب ٤: ١٨) (هو ذا عبيده لا يأتمنهم وإلى ملائكته ينسب حماقة)

(أيوب ١٢ : ١٩ ـ ٢٤) (يذهب بالكهنة أسرى ويقلب الأقوياء. يقطع كلام الأمناء وينزع ذوق الشيوخ. يلقى هوانا على الشرفاء ويرخى منطقة الأشداء. يكشف العمائق من الظلام ويخرج ظل الموت إلى النور. يكثر الأمم ثم يبيدها. يوسع للأمم ثم يشتتها. ينزع عقول رؤساء شعب الأرض ويضلهم فى تيه بلا طريق. يتلمسون فى الظلام وليس نور ويرنحهم مثل السكران)

(أيوب ٢٤ : ١٢) (من الوجع أناس ينبئون ونفس الجرحى تستغيث والله لا ينتبه إلى الظلم)

(أيوب ٣٠ : ٢٠ ـ ٢١) (إليك أصرخ فما تستجيب لى. أقوم فما تنتبه إلى. تحولت إلى جاف من نحوى. بقدرة يدك تضطهدنى)

١٩ ـ يقول رب الجنود: (هو يبنى بيتا لاسمى، وأنا أثبت كرسى مملكتى إلى الأبد. أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا. إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم. ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذى أزلته من أمامك. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتا إلى الأبد») صموئيل الثانى ٧ : ١٣ ـ ١٦، فلماذا لم يحم الرب كرسى داود ومملكته؟ فقد زالت سلطنة آل داود وتسلط عليهم الأشوريون بقيادة سرجون الثانى سنة ٧٢٢ ق.م، والبابليون بقيادة بختنصر سنة ٥٨٦ ق.م وهل لم يعلم الله بعلمه الأزلى أن عبده ورسوله داود أنه سيزنى بزوجة جاره ثم يقتله ويخون جنوده؟ فكيف يحميه ويحمى مملكته وهو يضل خلق الله ويفترى على الله الكذب؟

٢٠ ـ يقول رب الجنود لسليمان: (هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة، وأريحه من جميع أعدائه حواليه، لأن اسمه يكون سليمان. فاجعل سلاما وسكينة فى إسرائيل فى أيامه. هو يبنى لاسمى، وهو يكون لى ابنا، وأنا له أبا وأثبت كرسى ملكه على إسرائيل إلى الأبد.) أخبار أيام الأول ٢٢ : ٩ ـ ١٠.

فلماذا لم يحم الرب كرسى داود ومملكته؟ فقد زالت سلطنة آل دواود وتسلطم عليهم الأشوريون بقيادة سرجون الثانى سنة ٧٢٢ ق.م، والبابليون بقيادة بختنصر سنة ٥٨٦ ق.م. وهل لم يعلم الله بعلمه الأزلى أن عبده ورسوله سليمان أنه لن يتجه لعبادة الأوثان؟ فكيف يحميه ويحمى مملكته وهو يضل خلق الله ويفترى على الله الكذب؟ (فقال الرب لى: بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمى. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم. برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم) إرميا ١٤ : ١٤

وإذا كان سليمان باعتراف الله ابن الله، وهو أبوه، فلماذا يخص عيسى عليه السلام وحده بالبنوة لله؟ ولو كان عيسى عليه السلام هو الله فكيف يكون أبا نفسه وابن نفسه؟

٢١ ـ يقول سفر التكوين ٢٨ : ١٠ ـ ١٤ (ويكون نسلك كتراب الأرض)

فإذا كان اليهود هو المقصودين بنسل يعقوب عليه السلام فيكون هذا من الأخطاء البينة فى الكتاب لأنهم ليسوا كتراب الأرض.

٢٢ ـ يقول سفر صموئيل الثانى ٧ : ١ ـ ١٥ إن ابن داود عليه السلام قد زنى بأخته!

فهل تحدث مثل هذه الفواحش فى بيوت الأنبياء وهى لا تحدث فى بيوت الصالحين؟ فما فائدة نبى الله داود إذن؟ أيهدى الناس ويترك بيته خرابا؟ وما الفائدة الأخلاقية التى تعود على قارئ هذا الهراء؟ هل تعلم الشباب كيف يزنى الأخ بأخته؟ أم تعلمه الاقتداء بنبى الله؟ فإذا كان نبى الله، مصطفاه ومختاره فعل ذلك فلما لا نستن بسنته؟! أم الغرض منها أن تفقد الآباء الأمل فى تربية أبنائهم وبناتهم؟ فإذا كان هذا حال النبى المصطفى الذى حفظه الله، وحال آل بيته، فأى شىء يحدث فى بيتى يكون إذن طبيعيا؟!

٢٣ ـ لم أسمع بهذا الإله التنين إلا فى هذا الكتاب: (فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت، فسمع من هيكله صوتى وصراخى دخل أذنيه. فارتجت الأرض وارتعشت. أسس السموات ارتدعت وارتجت، لأنه غضب. صعد دخان من أنفه، من فمه أكلت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجليه. ركب على كروب وطار، ورئى على أجنحة الريح. جعل الظلمة حوله مظلات، مياها تحت رجليه. ركب على كروب وطار، ودنى على أجنحة الريح. جعل الظلمة حوله مظلات، مياها متجمعة وظلام الغمام. من الشعاع قدامه اشتعلت جمر نار. أرعد الرب من السموات، والعلى أعطى صوته. أرسل سهاماً فشتتهم، برقاً فأزعهم. فظهرت أعماق البحر، وانكشفت أسس المسكونة من زجر الرب، من نسمة ريح أنفه). صموئيل الثانى ٢٢: ٧ ـ ١٦.

أيليق هذا بجلال الله؟

٢٤ ـ ألم تعرفوا أن عندكم عقوبة قطع يد التى تمسك عضو التذكير لرجل أجنبى عنها أثناء عراكه مع زوجها: («إذا تخاصم رجلان رجل وأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لتخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته فاقطع يدها ولا تشفق عينك) تثنية ٢٥: ١١.

٢٥ ـ الرب يصفق؟ هل هذا يليق بجلال الله وقدسيته؟ (فتنبأ أنت يا ابن آدم وأصفق كفا على كف، وليعد السيف ثالثة. هو سيف القتلى، سيف القتل العظيم المحيق بهم). حزقيال ٢١: ١٤.

٢٦ ـ (وشاخ الملك داود. تقدم فى الأيام. وكانوا يغطونه بالثياب فلم يدفأ. فقال له عبيده: (ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك). ملوك الأول ١: ١ ـ ٣.

هكذا يدعون أن نبى الله داود كان يدفئ نفسه! وهكذا أفرغت تعاليم نبى الله تلاميذ فاسدين يحثونه على الزنا! فهل يصدر هذا الهراء عن رب العالمين؟

٢٧ ـ (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل: (لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم). فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة). ملوك الأول ١١: ١ ـ ١١.

هكذا يعصى نبى الله، مختاره ومصطفاه، أوامره! أهكذا تكون القدوة: نبى زير نساء؟ ألم يكفه ألف امرأة؟ أنبى الله لا يعرف كيف يختار زوجته التى تتحمل معه عبء الدعوة وتكون قدوة لنساء قومها؟ بالله عليكم ما المقصود بضرب القدوة فى كتابكم؟ ولو كان هذا الهراء حقيقة، أين قدوتكم فى الحياة؟ هل تريد أن تقنعنى أن البابا والأسقف والقسيس أكثر براً وصلاحاً: الأنبياء أم القديسين؟ وإذا جاز أن يزنى النبى ويعبد الأوثان، أفلا يكون القديس أكثر تقوى منه؟ وهذا غير جائز. وإلا لاتهمت الذات العليا بأنها أقل حصافة وأقل توفيقاً من البابا فى اختيار قديسيه؟

٢٨ ـ (وكانت له سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من السرارى. فأمالت نساؤه قلبه. وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر فى عينى الرب، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم، ولمولك رجس بنى عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين، وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به

الرب. فقال الرب لسليمان: (من أجل أن ذلك عندك، ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها، فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك). (ملوك الأول ١١: ١ ـ ١١).

لماذا لم ينزل الرب ليصلب تكفيراً عن الخطيئة التى لحقت العالم بكفر سليمان؟ أم الأكل من شجرة معرفة الخير من الشر خطيئة وعصيان الله وعبادة الأوثان تحسب من البر؟ وإذا كان هذا النبى قد كفر فكيف يحتفظ الكتاب المقدس بكتاباته وبسيرته؟ هل المطلوب من شعبكم أن يقتدى به؟ ألم يقل ربكم فى متى ١٢: ٤٢ (وهوذا أعظم من سليمان ههنا)؟ هل أخطأ ربكم فى متى أم نسى تاريخ نبيه أم غفر له؟ فلو غفر له لكان غفرانه لآدم وحواء أولى!

٢٩ ـ يذكر أخبار الأيام الأول ١: ١٣ ـ ١٤: (وكنعان ولد: صيدون بكره، وحثاً واليبوسى والأمورى والجرجاشى والحوى والعرقى والسينى والأروادى والصمارى والحماثى).

بعض هذه الأسماء فى أجداد الفلسطينيين فى كتب التاريخ. فمن أين أتى بها كتابكم؟

٣٠ ـ يقول سفر الملوك الأول ١٧: ٥ ـ ٦ (وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك). وكانت الغربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساءً).

كيف كانت تأتى الغربان بالخبز الطازج هذا؟ هل كانت تسرقه؟ أم كانت تتقن العجن والخبز؟

الأصح أنهم العرب كما جاء بهذا المعنى فى أخبار الأيام الثانى ٢١: ١٦ وفى سفر نحميا ٤: ٧.

٣١ ـ (فأتى الله إلى بلعام وقال: «من هم هؤلاء الرجال الذين عندك؟») عدد ٢٢: ٩.

(ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فخر ساجداً على وجهه). عدد ٢٢: ٣١.

أنبى الله يسجد للملاك عندما تكشف له (٢٢: ٣١) ولم يسجد لله عندما نزل له (٢٢: ٩)؟

٣٢ ـ سفر الملوك الأول ٢٢: ١٩ ـ ٢٢ وقال: (فاسمع إذاً كلام الرب: قد رأيت الرب جالساً على كرسيه، وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. فقال الرب: من يغوى أخاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد؟ فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا. ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه. وسأله الرب: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب فى أفواه جميع أنبيائه. فقال: إنك تغويه وتقتدر. فاخرج وافعل هكذا).

أيتآمر الله مع ملائكته ليهلك نبياً؟ أإله يكذب؟ أنبى يكذب؟ ومن هذا الروح الذى تعاون معه الله ليغوى نبيه؟ ألم يخش هذا الإله لو جعل نبيه كذاباً لأفقد ثقة عبيده فيه نفسه، لأنه سيكون هو المتهم الأول أمامهم، لأنه هو الذى اختاره واصطفاه؟ وكيف سيخلص الله نفسه فى الآخرة إن حاجة هذا النبى وقاضاه واتهمه أنه هو الذى ضلله بالتعاون مع الشيطان؟ هل سيكذب الرب مرة أخرى وينكر؟ أم يلقيه ظلماً فى أتون النار؟ أليس مثل هذا الهراء يفقد العقلاء منكم الثقة فى الرب وفى عدله؟ أليس العقلاء منكم يرفضون هذا الهراء لأن الرب أعز وأقدس من أن تلصق به تهمة التعاون مع الشيطان ليضلل عباده؟ أيجتمع الشيطان مع ملائكة الله المختارين فى حضرة الله؟ أيقترب الشيطان مع عرش الله؟ ألا يخشى الله؟ أليست صورة الرب هذه أشبه بصورة زعيم عصابة يجتمع مع رجاله المقربين ليخطط لعمل إجرامى؟ ألا يخشى الله أن يشى به الشيطان ويكشف مخططاته الشيطانية لعباده؟

٣٣ ـ الرب ينزل بنفسه إلى بلعام ويأمره بعدم الذهاب إلى بالاق بن صفور ملك موآب (فقال الله لبلعام: «لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك») عدد ٢٢: ١٢، ولكن الرب غير رأيه فى المساء وأمره بالذهاب إلى بالاق على أن يتبع أوامر الله! فما الذى حدث ليغير الرب رأيه بهذه السرعة؟ (انظر السؤال الذى يليه!) كم أتمنى أن أجد عندهم نبى بجله هذا الكتاب! ثم يرسل الرب ملاكه ليقف أمام بلعام فى بالاق بن صفور يعلم (أن الذى تباركه مبارك والذى تلعنه ملعون) عدد ٢٢: ٦، ألا يملك الرب من القوة التى تعيق مباركة بلعام أو

لعنه لشخص ما؟ هل بلعام هذا إله يقول للشىء كن فيكون؟

٣٤ - (ينزل ليأمر الرب بلعام ألا يذهب إلى بالاق بن صفور كى لا يلعن يعقوب وشعبه، إلا أنه عاد فى نفس الليلة ونزل ليأمره بالذهاب: (فأجاب بلعام عبيد بالاق: «ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهبا لا أقدر أن أتجاوز قول الرب إلهى لأعمل صغيراً أو كبيراً. فالآن امكثوا هنا أنتم أيضاً هذه الليلة لأعلم ماذا يعود الرب يكلمنى به». فأتى الله إلى بلعام ليلاً وقال له: «إن أتى الرجال ليدعوك فقم اذهب معهم. إنما تعمل الأمر الذى أكلمك به فقط»). عدد ٢٢: ١٨ - ٢٠.

٣٥ - (فقام بلعام صباحاً وشد على أتانه وانطلق مع رؤساء موآب. فحمى غضب الله لأنه منطلق ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه. فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل. فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق. ثم وقف ملاك الرب فى خندق للكروم له حائط من هنا وحائط من هناك. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط فضربها أيضاً. ثم اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف فى مكان ضيق حيث لا سبيل للنكوب يميناً أو شمالاً. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام. فحمى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب. ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام: «ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات؟» فقال بلعام للأتان: «لأنك ازدريت بى. لو كان فى يدى سيف لكنت الآن قد قتلتك». فقالت الأتان لبلعام: «ألست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم؟ هل تعودت أن أفعل بك هكذا» فقال: «لا». ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فخر ساجداً على وجهه). عدد ٢٢: ٢١ - ٣١.

تجد أن الرب بعد ما أمر بلعام أن يذهب مع الرجال، تراجع وعرقل طريقه! إلا أن الرب لم ينزل هذه المرة، بل أرسل ملاكه بسيف أخاف الحمار. ترى لماذا لم

ينزل الرب هذه المرة؟ لعل المانع خيرا! وما الذى جعله يتراجع فى كلامه؟ أيخاف الرب لهذه الدرجة من لعن بلعام للجيش؟ أليس فى يده ملكوت السموات والأرض، يبسط لمن يشاء ويقدر؟ فلماذا لم ينزع منه هذه العطية؟

ثم نأتى لنقطة أخرى: بلعام النبى الذى تجلى له الرب يضرب الحمار بقضيب! فأين جمعيات الرفق بالحيوان لتطالب بحذر تداول هذا الإصحاح؟

الحمار يتكلم ولا تجد أية إشارة إلى تعجب هذا النبى على تكلم هذا الحمار؟! ولماذا أرسل الرب ملاكه إلى الحمار ولم يرسله إلى بلعام! ألا يخاف هذا النبى الرب فقرر الرب إرسال ملاك ذى سيف ليخيفه؟ ألم يأمره الرب بالذهاب؟ غريب أن يرى الحمار ملاك الرب، فالحمار يرى الشيطان لذلك ينهق! لقد نزل الملاك لتأكيد كلام الرب ألا يقول بلعام ألا ما أمره الرب به. فهل لا يثق الرب فى أنبيائه مرتين ثم يرسل ملاكه بنفس الشىء لنفس النبى؟ ثم لماذا لم يرسل ملاكه فى المرتين الأوليين؟

النبى الظريف بلعام يأخذ جنوح الحمار بصورة شخصية: (لأنك ازدريت بى). نعم. فهو يفهم أن جنوح الحمار يميناً أو يساراً يعنى ازدراء الحمار بصاحبه! ولماذا لم يمنع ملاك الرب بلعام من الاعتداء على الحيوان بقضيب؟ هل رضى الرب هذا للحمار؟

هل الحمار أكثر ورعاً من النبى؟ فالحمار خاف الملاك ولكنه لم يسجد له كما فعل بلعام! هل الحمار أذكى من النبى؟ فالحمار فهم من مرة واحدة أن هذا ملاك الرب وأطاعه، لكن بلعام لم يفهم إلا من المرة الثالثة! وبلعام فهم من الحمار للمرة الأولى، ولم يحتج إلى تكرار! فلماذا لم يفهم من الرب من أول مرة؟

٣٦ ـ ما هو العهد الذى بين الله ونسل إبراهيم؟

إنه الختان: (وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى. أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختتون فى لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بينى وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم. وليد البيت والمبتاع

بفضة... وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدى. (تكوين ١٧: ٩ ـ ١٤) فهل مازال النصارى على العهد الذى أخذه الله على إبراهيم وذريته؟ لا. لقد لغى بولس الختان وأخرجهم من العهد: (ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة. إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختاناً... لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديا ولا الختان الذى فى اللحم ختاناً. بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى. وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان). (رومية ٢: ٢٥ ـ ٢٩).

٣٧ ـ الرب يأمر نبيه بأكل الخراء الذى يخرج من بنى الإنسان، لا بل رحمه الرب وأمره أن يأكل خراء البقر! (وتأكل كعكاً من الشعير. على الخرء الذى يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم». وقال الرب: (هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم». فقلت: (آه يا سيد الرب، ها نفسى لم تتنجس. ومن صباى إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة، ولا دخل فمى لحم نجس». فقال لى: (انظر. قد جعلت لك خثى البقر بدل خرء الإنسان فتصنع خبزك عليه»). حزقيال ٤: ١٢ ـ ١٥، فياله من إله شجاع لم ييأس: فقد أمر آدم وحواء ألا يأكلا من شجرة معرفة الخير من الشر، فلم يطيعاه. ترى هل أطاعه حزقيال؟ لا. فلماذا لم ينزل ليصلب لفدية البشرية من الخطيئة الأزلية التى أدخلها حزقيال إلى العالم؟

ولماذا لم ينزل ليصلب لفدية البشرية من الخطيئة الأزلية التى أدخلها هارون (الذى صنع العجل وعبده مع بنى إسرائيل) إلى العالم؟ (خروج ٣٢: ١ ـ ٦).

ولماذا لم ينزل ليصلب لفدية البشرية من الخطيئة الأزلية التى أدخلها يعقوب (الذى كان يصارع الله ولم يرد أن يطلقه حتى باركه ونزل عن رغبته حقناً لدمائه!) إلى العالم؟ (تكوين ٣٢: ٢٢ ـ ٢٩).

٣٨ ـ هل تقبلون أيها اليهود والنصارى أن يدعى كتابكم أن الشيطان أكثر برّاً وأكثر صدقاً من الله؟ ففى هذا الصدد يقول الكتاب المقدس: (وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر

فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت»). تكوين ٢: ١٦ ـ ١٧.

أما الشيطان الصادق المتمثل فى صورة الحية فقال: (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله فقالت للمرأة: «أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟» فقالت المرأة للحية: «من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا». فقالت الحية للمرأة: «لن تموتا! بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر». فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر) تكوين ٣: ١ ـ ٧، وبذلك صدق الشيطان وكذب الإله أستغفر الله!!

وهذا عمر آدم تبعاً لسفر التكوين ٥: ٥؟ (فكانت كل أيام آدم التى عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات). لقد عاش آدم ٩٣٠ سنة!!

٣٩ ـ يقول سفر الخروج ١٥: ٢٠ (فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص).

ما هذا؟ أنبية الله تضرب بالدف وترقص؟ ما الهدف التربوى من هذه الجملة؟

٤٠ ـ يقول الكتاب المقدس إن سليمان عبد الأوثان كما قالوا عن غيره من الأنبياء إنهم زناة (وكانت له سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من السرارى. فأمالت نساؤه قلبه. وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه). ملوك الأول ١١: ٣ ـ ٥.

فكيف تثقون فى كتابات هؤلاء الأنبياء وتعتبرون كتابات الكفار منهم (حاشا لله) ضمن الكتاب المقدس الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟! يقول لوقا: («الأمين فى القليل أمين أيضاً فى الكثير والظالم فى القليل ظالم أيضاً فى الكثير»). لوقا ١٦: ١٠.

ثم كيف توفقون بين قول ملوك الأول فى سليمان وبين قوله فى (متى ١٢: ٤٢) إنه حكيم وعظيم؟.

٤١ ـ ما الغرض من الطوفان وإغراق أهل الأرض (على قولكم) إن لم تغسل هذه الحادثة خطايا البشر؟

٤٢ ـ لم ينتظر الله لكى ينزل ليصلب حتى تتهيأ رحمته لتغفر لآدم وحواء أكلهما من الشجرة، فقد عاقب الله آدم وحواء فى التو، فقال الرب فور أن علم بأكل آدم وحواء من الشجرة: (فقال الرب الإله للحية: «لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تستحقين عقبه». وقال للمرأة: «تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك». وقال لآدم: «لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود». تكوين ٣: ١٤ ـ ١٩.

فلماذا لم تأكل الحية التراب؟ ولماذا لم يمت آدم وحواء؟ ألم ينذرهما بالموت إذا أكلا من الشجرة؟

(وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت»). تكوين ٢: ١٦ ـ ١٧، فقد عاش آدم بعدها ٩٣٠ سنة، (فكانت كل أيام آدم التى عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات). تكوين ٥: ٥، ألا يدل ذلك على شمول آدم وحواء برحمة الله وغفرانه لهما؟ ألا يدل عدم أكل الحية التراب على عفو الله عن ذنبها أو تأجيل عقوبة الشيطان إلى يوم الدين؟ أم يدل ذلك على تناقض وتضارب فى الكتاب المقدس؟ ولماذا عاقب الله الحية (القناع) الذى كان متمثلاً فيه الشيطان ولم يحاكم الشيطان نفسه؟ وهل يفاجأ الله بتصرفات عبيده أم أن علمه أزلى ويعرف ما

حدث قبل أن يحدث؟

لو لم يكن علم الله أزليا، ولو أنه لم يعلم من قبل أن يخلق آدم وحواء أنهما سيعصيانه وسيأكلان من الشجرة، وسيخرجهما من الجنة، ليستخلف بنى آدم فى الأرض، كما قرر القرآن، لأخفى عنهما الشجرة! ولو أماتها الله فلماذا خلق الأرض ولمن؟

ولو خاف الله من آدم وحواء بعد أكلهما من الشجرة (لأنهما صارا واحداً منا)، لكان علمه محدودا وغير أزلى، ولكان ذكاؤه وحصافته محدودة، لأنه لم يفكر في هذه الخطوة من قبل! ولأمكن الإنسان أن يكتسب الألوهية بالأكل! ولدلت هذه الجملة على تعدد الآلهة (الرب وآدم وحواء) لأنهما صارا كواحد منا)! ولكان الشيطان أول من أكل منها، لأنه القوة المضادة لله وللخير! وترى ماذا فعل الرب بعد أن صار آدم وحواء آلهة مثله؟ وترى ماذا كان يقصد الرب أن يخلق بشراً كالدواب لا تعرف الخير من الشر؟ أتراه خلقنا ليدمر بعضنا البعض، دون أن نهتدى للخير والسلام؟ أهذه صورة إله يستحق أن يعبد؟ وما الغرض من الطوفان الذى حدث بعد ذلك وإغراق أهل الأرض (على قولكم) إن لم تغسل هذه الواقعة ذنوب بنى آدم؟

٤٣ ـ ما الحكم الشرعى لزواج الرجل من عمته؟

يقول سفر اللاويين ١٨: ١٢ (عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك).

إلا أن عمرام أبا نبى الله موسى قد تزوج عمته: (وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى) الخروج ٦: ٢٠، فهل يريد الكتاب المقدس بذلك أن يقول إن موسى وهارون عليهما السلام أولاد حرام (زواج غير شرعى)؟ عياذا بالله

٤٤ ـ كيف تزوج إبراهيم من سارة أخته لأبيه (تكوين ٢٠: ١٢) وهو محرم شرعاً (لاويين ١٨: ٩)؟.

٤٥ ـ يقول سفر (إشعياء ٣: ١٧) إن الرب يصلع هامة بنات صهيون ويعرى عورتهن. كيف يكون هذا تصرف الرب الستار تجاه عبيده؟ وما حكمته فى تعرية عورتهن؟

ألا يفسد هذا أخلاق الصالحين والطالحين؟ أيدفعهم الرب للزنا والفجور، ثم يوصيهم ألا يزنوا؟

٤٦ ـ ترى ماذا سيحدث فى أى مجتمع إذا عاقب الرب فيه العفيفات بأن أسلمهم للقتل والسبى فى الوقت الذى يسلم فيه الزانيات والعاهرات؟ (فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات). عدد ٣١: ١٧ ـ ١٨.

٤٧ ـ كيف ينهى الرب عن الزنا فى وصاياه ويرتضيه داود (صموئيل الثانى ١٢: ١١ ـ ١٢) ولهوشع (هوشع ١: ٢ ـ ٣) و (هوشع ٣: ١) وبنات صهيون (إشعياء ٣: ١٧) ويحث على اغتصاب بنات شيلون واغتصابهن (قضاة ٢١: ٢٠ ـ ٢١)؟

٤٨ ـ يقول سفر التكوين: (وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته: «إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته. فيقتلوننى ويستبقونك. قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك». فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال). (تكوين ١٢: ١١ ـ ١٦).

ـ فهل نبى الله إبراهيم كداب ولا يثق فى وعد الله له؟

ـ هل كان نبى الله إبراهيم يخشى الناس أشد خشية من الله؟

ـ وهل نبى الله إبراهيم ديوث ولا يغار على أهله؟ وهل مقصود من هذه الرواية الاقتداء بأفعاله (المزعومة)؟

فجملة (ليكون لنا خير بسببك) تعنى أنه يعلم بما سيحدث لزوجته، بل وبتحريض لها على ذلك، وهو ما لا يمكن أن يصدر عن إنسان عادى فضلاً عن نبى بل هو أبو الأنبياء وخليل الله!

- هل باع نبى الله شرفه بعدة أبعرة ولقيمات يقمن صلبه؟

- وإذا كان فرعون قادراً على امتلاك سارة باعتبارها أخته ولم يقتله، فهل كان فرعون عاجزاً عن امتلاكها وهى زوجته ولا يقتله؟ وهل كان عاجزاً عن قتله فى كلتا الحالتين؟ أم أن فرعون كان يخشى الله أكثر من إبراهيم، فلا يمتلك المتزوجات وأزواجهن على قيد الحياة؟ وهل كل امرأة جميلة تدخل مصر يمتلكها فرعون؟

- وهل كان المصريون يقتلون أزواج المهاجرين لسرقة زوجاتهم؟ فلو كان هذا حالهم فلماذا لم يقتلوا الأخ لسرقة أخته - وتكون كذبة إبراهيم حينئذ ليس لها مبرر؟

- وهل كان يشتهى فرعون الكهلات (كان عمر سارة وقتها ٦٥ عاماً وعمر إبراهيم عند الهجرة من حاران (٧٥ عاماً)؟ (تكوين ١٢ : ٤؛ وتكوين ١٧ : ١٧) (وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض (كنعان)... ... وحدث جوع فى الأرض. فانحدر أبرام إلى مصر....... وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته. فيقتلونى ويستبقونك. قولى إنك أختى. ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى أبرام خيرا بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال). (تكوين ١٢ : ٧ - ١٦)

- هل تعلم أن هذه القصة تكررت مع إبراهيم مرة أخرى عند،ما كان عمر سارة ٩٠ سنة مع أبيمالك، مباشرة بعد أن بشرها الملك بولادة إسحاق. وقد تكررت نفس القصة مرة ثالثة مع إسحق ورفقة امرأته ومع نفس الشخص أبيمالك! فما الهدف التربوى الذى نأخذه من هذه الرواية نربى جيلا وننشئه على الفضيلة؟ هل تساعدنا هذه القصة على ذلك؟

- وقد يظن البعض أن سن ٦٥ سنة كان قليلا فى ذلك الوقت، لأن الناس وقتها كانوا يعيشون إلى ٩٥٠ سنة، وأن سارة وقتئذ كان فيها بقية من الحيوية والنضارة. فعندما كان عمر سارة ٩٠ سنة وبشرت بولادة إسحق قالت: (فضحكت سارة فى

باطنها قائلة: «أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ!» فقال الرب لإبراهيم: «لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟) تكوين ١٨ : ١٢.

٤٩ - يقول الكتاب المقدس إن إبراهيم كذب على أبيمالك قبل رحلته إلى مصر، ونال منها أبيمالك، حتى رأى الله فى المنام يمنعه من ذلك: (وقال إبراهيم عن سارة امرأته: «هى أختى». فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة. فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له: «ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل»؛ ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها. فقال: «يا سيد أأمة بارة تقتل؟ ألم يقل هو لى إنها أختى وهى أيضا نفسها قالت هو أخى؟ بسلامة قلبى ونقاوة يدى فعلت هذا» فال له الله فى الحلم: «أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا. وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطئ لذلك لم أدعك تمسها. قال رد امرأة الرجل فإنه نبى فيصلى لأجلك فتحيا. وإن كنت لست تردها فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك». فبكر أبيمالك فى الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام فى مسامعهم. فخاف الرجال جدا. ثم دعا أبيمالك إبراهيم وقال له: «ماذا فعلت بنا وبماذا أخطأت إليك حتى جلبت على وعلى مملكتى خطية عظيمة؟ أعمالا لا تعمل عملت بى!» وقال أبيمالك لإبراهيم: «ماذا رأيت حتى عملت هذا الشىء؟» فقال إبراهيم: «إنى قلت: ليس فى هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلوننى لأجل امرأتى. وبالحقيقة أيضا هى أختى ابنة أبى غير أنها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجة.) تكوين ٢٠ : ٢ - ١٢، فهل كذب إبراهيم للمرة الثانية متعمدا أن يدخل فرعون على زوجته ويفعل بها كما فعل ذلك من قبل؟

ويفهم من هذه القصة الهابطة أيضا أن سارة امرأة عاهرة لاسمح الله: أرسل أبيمالك فذهبت إليه! هكذا بكل سهولة! وظلت معه إلى الليل بل باتت عنده، لأن الله حظر أبيمالك فى المنام، وعندما استيقظ رد سارة إلى زوجها! أين كان زوجها طوال النهار والليل حتى رجعت زوجته؟ وهل باتت طوال الليل عند أبيمالك ولم يمسها؟ أما تبرير إبراهيم لهذا العمل يخرجه عن كونه نبيا: (ليس فى هذا الموضع

خوف الله البتة فيقتلوننى لأجل امرأتى) أى نبى يعلم أنه من الممكن أن يقتل بسهولة لأنه يغير ضلال الناس، وفى الضلال والإضلال مصالح وفائدة لآخرين. مثال لذلك من يحرم السجائر اليوم، فسيخرج عليه من يسفهه ويسفه أفكاره، وإن لم يجد ذلك قتلوه. فمعنى أنه يترك زوجته لآخر حتى لا يقتل، فيمكنه أن يغير فى الدعوة ويتساهل فى أحكامها خوفا من القتل! لذلك فهو يرى أن مثل هذا العمل (الدياثة) لا شىء فيه يغضب الرب!

٥ ـ أما فيما يختص بحادثة الزنا فالتلفيق واضح فيها:

(أ) إن المخمور الذى لا يستطيع أن يفرق بين بناته والأجنبيات لشدة سكره، لا يكون فى هذا الوقت قابلا للجماع. والغريب فى باقى القصة أن الأب لم يسأل ابنتيه العذراوين عن سبب الحمل؟ ومثل هذا الوضع لو وقع لبعض آحاد الناس لضاقت عليه الأرض بما رحبت حزنا وغما، فهل لم يهتم نبى الله بابنتيه وشرفه؟

(ب) (فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنا ودعت اسمه «مواب» ـ وهو أبو الموابيين إلى اليوم. والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه «بن عمى» ـ وهو أبو بنى عمون إلى اليوم). تكوين ١٩ : ٣٦ ـ ٣٨

(ج) لو كان الموابيون والعمونيون من الزنا لغضب الله عليهم أو حتى أهمل شأنهم، ولكننا نرى فى سفر التثنية أن الله قد أعطى أرض الإيميين للموآبيين ميراثا: («فقال لى الرب: لا تعاد مواب ولا تثر عليهم حربا لأنى لا أعطيك من أرضهم ميراثا. لأنى لبنى لوط قد أعطيت «عار» ميراثا. (الإيميون سكنوا فيها قبلا. شعب كبير وكثير وطويل كالعناقيين) سفر التثنية ٢ : ٩ ـ ١٠، كما أعطى أرض الرفائيين لبنى عمون ميراثا: فمتى قربت إلى تجاه بنى عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم لأنى لا أعطيك من أرض بنى عمون ميراثا ـ لأنى لبنى لوط قد أعطيتها ميراثا. (هى أيضا تحسب أرض رفائيين. سكن الرفائيون فيها قبلا لكن العمونيين يدعونهم زمزميين) تثنية ٢ : ١٩ ـ ٢٠

وقد أعطى الله الموآبيين والعمونيين ميراث الأرض قبل أن يورث بنى إسرائيل وقبل أن يدخلوا أرض الميعاد، بل وحرم أرض الموآبيين والعمونيين على بنى إسرائيل

كما ورد فى سفر (التثنية ٢ : ٩و١٩)

ولو كان الإرث يستلزم عهدا من الرب، فقد حصل عليه العمونيون والمؤابيون، وبذلك يكونون قد دخلوا فى جماعة الرب، لأن الرب لا يعطى عهدا لأبناء الزنى (لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب) تثنية ٢٣ : ٢ وبذلك يكون الموآبيون والعمونيون ليسوا من أبناء زنا ويكون كتبة هذه القصة من الكاذبين. ويكون بنو إسرائيل قد ادعوا وجود هذا العهد من الله ويكونوا أيضا من الكاذبين.

ولو صدقنا قول التوراة أن العمونيين والموآبيين من نسل الزنا، وعلى الرغم من ذلك قد حصلوا على عهد من الله وعلى إرث، يكون قد نال عهد الله أبناء الزنا والأطهار (بنى إسرائيل)، فلا ميزة إذن للأطهار عن أبناء الزنا، ويصبح قول التوراة بأن بنى إسرائيل شعب الله المختار لأنهم أخذوا عهدا من الله بتملك الأرض، هو قول كذب.

وإذا كان هذا شأن الله مع أبناء الزنا وهم ابرياء مما اقترفه آباؤهم، فكيف يكون شأنه مع النصابين واللصوص؟ اقرأ نبى الله يعقوب يكذب على أبيه ويسرق البركة والنبوة من أخيه عيسو وبذلك فرض على الله إن يوحى إليه أو اتهم الله بالجهل وعدم علم هذه الحادثة: (تكوين صح ٢٧)، وفكيف يكون شأنه مع من صارعوه وقهروه؟ فهل هؤلاء أيضا لهم عهد مع الرب وميراث؟ أم أن هذه القصة من وحى خيال كاتب مخمور؟ اقرأ أيضا نبى الله يعقوب يصارع الرب ويغلبه! (تكوين ٣٢ : ٢٤ ـ ٣٠)

(د) لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب) تثنية ٢٣ : ٢ ومعنى حتى الجيل العاشر أى للأبد. ومع ذلك فإننا نجد أن راعوث كانت موآبية وهى أم نبى الله داود الذى كان من ذريته كل ملوك يهوذا حتى السبى، والذى قال عنه الرب: (أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا. إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم. ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذى أزلته من أمامك. ويأمن بيتك وملكتك إلى الأبد أمامك.

كرسيك يكون ثابتا إلى الأبد») صموئيل الثانى ٧ : ١٤ ـ ١٦.

فلايمكن أن من شرفه الله بهذا الشرف أن يكون من سلالة زنا. كما أن سليمان قد تزوج من نعمة العمونية وأنجب منها رحبعام (ملوك الأول ١٤ : ٢١)، ولا يمكن أن يكون رؤوس جماعة الرب من أمهات زنا، فضلا عن أنهم من نسل الرب (تبع للتشريع النصرانى)، فلابد أن يكون هذا التشريع مدسوسا على التوراة. لكن ما أسباب ذلك؟

يقول السموال بن يحيى المغربى صاحب كتاب (إفحام اليهود) وأحد أحبار اليهود الذين هداهم الله للإسلام، وقد كان أبوه حبراً يهوديا كبيراً وإماماً ضليعا فى اليهودية وكذلك كانت أمه، مما جعله قادرا على الحكم على التوراة: «وأيضا فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة فى الهارونيين، فلما ولى طالوت (شاول) وثقلت وطأته على الهارونيين وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود، بقى فى نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذى زال عنهم، وكان (عزرا) هذا خادماً لملك الفرس، حظيا لديه، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم هذه التوراة التى بأيديهم، فلما كان هارونيا، كره أن يتولى عليهم فى الدولة الثانية داوديا، فأضاف فى التوراة فصلين للطعن فى نسب داود، أحدهما قصة بنات لوط والآخر قصة ثامار (مع يهوذا) ولقد بلغ ـ لعمرى ـ غرضه، فإن الدولة الثانية كانت لهم فى بيت المقدس، لم يملك عليها داوديون، بل كان ملوكهم هارونيون». صفات ١٥١ و ١٥٢.

٥٠ ـ ما حاجة الرب لأن يتجسد فى صورة بشر وينزل على الأرض؟ وما هى الدوافع التى تجعله يترك عرشه لينزل إلى الأرض؟

يقول ماكنتوش فى تفسيره لسفر التكوين (نقلاً عن التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة صفحة ٧٨): «الرب يتنازل ويظهر فى صور تتفق مع أسلوب الحياة البدائية البسيطة، فلا يستخدم الأنبياء ليكلم الناس بواسطتهم، بل يجد مسرته معهم شخصيا فى حلم أو بكلام أو بأحد الظهورات الكريمة، فعند هبوب رياح النهار يمشى فى الجنة، وفى الحقل يحاج قابين بنفسه، وعند ثورة بابل ينزل ليرى، كما ينزل عند صراخ سدوم وعمورة، وفى حر النهار ينزل ضيفاً على إبراهيم

يتناول طعام الضيافة كمسافر، ومرة يظهر كإنسان يصارع غريماً له ليحطم اعتداده بنفسه».

والله لا أعرف كيف نطق بها! «الله فقد اعتداده بنفسه، وازداد عبده يعقوب اعتداد بنفسه لأنه هزم الرب»؟ ما لكم كيف تحكمون؟ ما لكم؟ كيف تفكرون؟

وإذا كان ماكنتوش كغيره يعتقد أن كل كلمة فى هذا الكتاب من عند الله، فهم بذلك يسبون الله ويصفونه بما هو يتعالى عنه علوا كبيراً، فهو فى الكتاب المقدس:

- يكل ويتعب: (وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً). التكوين ٢: ٣.

- وإله جاهل: فقد جهل مكان آدم وحواء فى الجنة: (فنادى الرب الإله آدم: «أين أنت؟»). تكوين ٣: ٩ و (فقال: «من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها؟») تكوين ٣: ١١.

- وعلمه محدود وقدرته محدودة عند بعض الناس: (وقالوا: (كيف يعلم الله وهل عند العلى معرفة؟)) مزامير ٩٣: ١١؛ (ويقولون: (الرب لا يبصر وإله يعقوب لا يلاحظ). مزامير ٩٤: ٧؛ كما نزل على الأرض ليتفقد المدينة والبرج (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما). تكوين ١١: ٥، كذلك نزل عندما كثر صراخ سدوم وعمورة ليتأكد (وقال الرب: «إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى وإلا فاعلم»). التكوين ١٨: ٢٠ - ٢١.

- وإله كذاب ويأمر بالسرقة: فقد أمر قوم موسى بالكذب على المصريين وسرقة مجوهراتهم: (ثم قال الرب لموسى: «ضربة واحدة أيضاً أجلب على فرعون وعلى مصر... تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب»). خروج ١١: ١ - ٢.

- وإله الشيطان أصدق منه: (وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها

موتاً تموت»). تكوين ٢ : ١٦ ـ ١٧.

أما الشيطان المتمثل فى صورة الحية فقال: (فقالت الحية للمرأة: «لن تموتا! بل الله عالم إنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر»). تكوين ٣: ٤.

وبالفعل لم يميتهما الله بل عاقبهما بأن أنزلهما إلى الأرض للعمل والشقاء: (وقال للمرأة: «تكثيرا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك». وقال لآدم: «لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود). تكوين ٣: ١٦ ـ ١٩، وكذلك لم يميتهما الرب بل مات آدم عن عمر يناهز ٩٣٠ سنة.

ـ وإله سكير: (فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر). مزامير ٧٨: ٦٥.

ـ وإله يأمر بالسكر (كلوا أيها الأصحاب. اشربوا واسكروا أيها الأحباء). نشيد الإنشاد ٥: ١.

ـ وإله مغلوب على أمره: («مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذى يجزه هكذا لم يفتح فاه). أعمال الرسل ٨: ٣٢، (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً) يوحنا ٥: ٣٠.

ـ وإله لا يغفر ولا يرحم: (لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى) خروج ٢٠: ٥؛ (لا يدخل عمونى ولا مؤابى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد فى جماعة الرب إلى الأبد) تثنية ٢٣: ٣، (وأنا أيضاً لا أشفق ولا أعفو. أجلب طريقهم على رؤوسهم»). حزقيال ٩: ١٠.

ـ وإله عنصرى: (للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا ليباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها)

تثنية ٢٣: ٢٠.

- وإله يضر ولا ينفع: (وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها) (حزقيال ٢٠: ٢٥).

- وإله مخرب: (وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً. فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقا لأنه لم يكن وقت التين. فقال يسوع لها: «لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد». وكان تلاميذه يسمعون). مرقس ١١: ١٢ ـ ١٤؛ كذلك اختار أنبياء لصوصا وسراقا (يوحنا ١٠: ٨)، يزنون مثل داود (صموئيل الثانى ١١) ويعبدون الأوثان مثل سليمان (ملوك الأول ١١: ٩ ـ ١٠)، أو عندهم عته ومجانين مثل إشعياء الذى قال الكتاب المقدس عنه أنه مشى عارياً حافياً لمدة ثلاث سنوات (إشعياء ٢٠: ٣ ـ ٥).

وفى الحقيقة لا توجد أسباب تدفع الرب للنزول وترك عرشه، وعدم استخدام أنبيائه ورسله ليكلم الناس بواسطتهم، فعلى الرغم من أنه نزل ليرى بناء برج بابل (تكوين ١١: ٥)، ونزل ضيفاً على إبراهيم وتناول طعام الضيافة كمسافر (تكوين ١٨: ١ ـ ٢)، ونزل عند صراخ سدوم وعمورة (تكوين ١٨: ٢١)، ونزل ليصارع يعقوب (تكوين ٣٢: ٢٤ ـ ٣٠)، ونزل لينتقم من موسى لأنه لم يختن ابنه (خروج ٤: ٢٤ ـ ٢٦)، إلا أنك تراه لا يحرك ساكناً عندما أراد أن ينتقم من نبيه وتحالف مع الشيطان ضده (ملوك الأول ٢٢: ٩)، أو عند خيانة رسله له وعبادتهم الأوثان:

فهذا نبى الله سليمان يعبد الأوثان: (فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراثى له مرتين، وأوصاه فى هذا أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب. (الملوك الأول ١١: ٩ـ ١٠) وهذا نبى الله هارون يعبد العجل ويدعو لعبادته: (خروج ٣٢: ١ ـ ٦) (خروج ٣٠: ٣٢).

وهذا نبى الله آحاز يعبد الأوثان (ملوك الثانى ١٦: ٢ ـ ٤، وأيضاً أخبار الأيام الثانى ٢٨: ٢ ـ ٤).

وهذا نبى الله يربعام يعبد الأوثان: (ملوك الأول ١٤: ٩).

ويقدم يفتاح الجلعادى أضحية للأوثان (قضاة ١١: ٣ ـ ٣١).

ءإله يصطفى من البشر رسلاً ثم يتركونه ليعبدوا الأوثان؟ ءإله يقبل امرأة لينجب منها فتتركه وتتزوج باثنين آخرين يوسف بن يعقوب (متى ١: ١٦) ويوسف ابن هالى (لوقا ٣: ٢٣)؟

٥١ ـ ما حكم من اضطجع مع فتاة عذراء مخطوبة؟

يقتلان رجماً بالحجارة: («إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا. الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه. فتنزع الشر من وسطك). تثنية ٢٢: ٢٣ ـ ٢٤.

يؤدبا فقط ويغفر للفاعل إذ قدم ذبيحة إثم: (وإذا اضطجع رجل مع امرأة اضطجاع زرع وهى أمة مخطوبة لرجل ولم تفد فداء ولا أعطيت حريتها فليكن تأديب. لا يقتلا لأنها لم تعتق. ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه إلى باب خيمة الاجتماع: كبشاً ذبيحة إثم. فيكفر عنه الكاهن بكبش الإثم أمام الرب من خطيته التى أخطأ فيصفح له عن خطيته التى أخطأ). لاويين ١٩: ٢٠ ـ ٢٢.

٥٢ ـ ما حكم من اضطجع مع امرأة طامس؟

يكون نجساً سبعة أيام: (وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً). لاويين ١٥: ٢٤.

٥٣ ـ زنى جلعاد بامرأة زانية وأنجب منها يفتاح. (وكان يفتاح الجلعادى جبار بأس، وهو ابن امرأة زانية. وجلعاد ولد يفتاح). قضاة ١١: ١، فكيف حكم لإسرائيل وهو ليس من جماعة الرب؟ (وقضى يفتاح لإسرائيل ست سنين. ومات يفتاح الجلعادى ودفن فى إحدى مدن جلعاد). قضاة ١٢: ٧، ألم تقل التوراة (لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب). تثنية ٢٣: ٢، فكيف إذن كانت روح الرب على يفتاح؟ (فكان روح الرب على يفتاح) قضاة ١١: ٢٩.

٥٤ ـ إذا كان الله قد اختار الأنبياء والقضاة الذين يمثلون حكمه وهديه على

الأرض، فكيف ولماذا ولمصلحة من مِن البشرأن يختارهم فاسقين؟ فلم يمر علينا نبى أو قاض إلا وكان فاسقاً أو كافراً:

اقرأ: نبى الله يعقوب ينهب ويسرق: (لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذى أمر به يشوع). يشوع ٨: ٢٧).

اقرأ: نبى الله يعقوب يكذب على أبيه ويسرق البركة والنبوة من أخيه وبذلك فرض على الله أن يوحى إليه أو اتهم الله بالجهل وعدم علم هذه الحادثة: (تكوين صح ٢٧).

اقرأ: شكيم يزنى بابنة نبى الله يعقوب (دينة) (تكوين ٢٤: ٢٠).

اقرأ: نبى الله نوح يسكر ويتعرى: (وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: «ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته»). تكوين ٩: ٢١ ـ ٢٥، ترى ما الذى فعله حام بأبيه؟ هل زنى بأبيه كما صرح أحد قساوسة أمريكا؟

اقرأ: نبى الله لوط يسكر ويزنى بابنتيه: (وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر. فسكن فى المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: «أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلاً». فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة: «إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى اضطجعى معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه «موآب» ـ وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه «بن عمى» ـ وهو أبو بنى عمون إلى اليوم). تكوين ١٩: ٣٠ ـ ٣٨.

اقرأ: نبى الله إبراهيم لا يخشى الله ويضحى بشرفه وشرف زوجته سارة خوفاً على نفسه من القتل ولتحقيق مكاسب دنيوية، ويأمر زوجته بالكذب: (وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته: «إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته. فيقتلوننى ويستبقونك. قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك». فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال). تكوين ١٢: ١١ ـ ١٦.

اقرأ: نبى الله إبراهيم يتزوج من أخته لأبيه: تزوج نبى الله إبراهيم عليه السلام من سارة وهى أخته من أبيه (تكوين ٢٠: ١٢)؛ على الرغم من أن (سفر اللاويين ١٨: ٩) يحرم الزواج من الأخت للأب أو للأم!

اقرأ: سارة تكذب على الله: (فضحكت سارة فى باطنها.. فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة.. فأنكرت سارة قائلة لم أضحك، لأنها خافت. فقال لا بل ضحكت) تكوين ١٨: ١٢ ـ ١٥.

اقرأ: نبى الله يعقوب يجمع بين الأختين: فقد تزوج ليئة وراحيل الأختين وأنجب منهما (تكوين ٢٩: ٢٣ ـ ٣٠)؛ ويحرم سفر اللاويين الجمع بين الأختين (لاويين ١٨: ١٨).

اقرأ: نبى الله موسى وأخوه هارون أولاد حرام (زواج غير شرعى): يقول سفر اللاويين ١٨: ١٢ (عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك)؛ إلا أن عمرام أبو نبى الله موسى قد تزوج عمته: (وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى) الخروج ٦ : ٢٠.

اقرأ: الرب يصطفى موسى نبيّاً ثم لا يتبع شرعه ولا يختن ابنه: (خروج ٤: ٢٤: ٢٦).

اقرأ: الرب يأمر موسى أن يأمر بنى إسرائيل بسرقة ذهب المصريين عند خروجهم من مصر: (وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين

أمتعة ذهب وثياباً. وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين). (خروج ٣: ٢٢؛ خروج ١٢: ٣٥ ـ ٣٦).

اقرأ: نبى الله يهوذا عليه السلام يزنى بثامار زوجة ابنه: (تكوين الإصحاح ٣٨).

اقرأ: نبى الله داود يقتل أولاده الخمسة من زوجته ميكال لإرضاء الرب: (صموئيل الثانى ٢١: ٨ ـ ٩) وقد عدلت فى التراجم الحديثة من ميكال إلى ميراب. ومن المسلم به أن ميكال زوجة داود وأخت ميراب الصغرى، فعدلت حتى لا يكون داود قد قتل أولاده، بل أولاد ميراب ابنة شاول الذى أراد الإمساك به وقتله.

اقرأ: رب الأرباب يتفق مع الشيطان للانتقام من نبيه: (ملوك الأول ٢٢: ١٩ ـ ٢١)!!!

اقرأ: الكتاب المقدس يعلمك كيف يزنى الأخ بأخته: (أمنون بن داود يزنى بأخته ثامار) اقرأ سيناريو هذا الفيلم فى (صموئيل الثانى صح ١٣).

اقرأ: نبى الله رأوبين يزنى بزوجة أبيه بلهة: (تكوين ٣٥: ٢٢؛ ٤٩: ٣ ـ ٤).

اقرأ: نبى الله شمشون يذهب إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها (قضاة ١٦: ١).

اقرأ: نبى الله حزقيال يشجع النساء على الزنا والفجور (حزقيال ١٦: ٣٣ ـ ٣٤).

اقرأ: نبى الله سليمان يعبد الأوثان: (فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين، وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب). الملوك الأول ١١: ٩ ـ ١٠.

اقرأ: نبى الله هارون يعبد العجل ويدعو لعبادته: (خروج ٣٢: ١ ـ ٦).

اقرأ: نبى الله جدعون يبنى مذبحاً لغير الله ويضلل بنى إسرائيل: (٨: ٢٤ ـ ٢٧).

اقرأ: نبى الله آحاز يعبد الأوثان (ملوك الثانى ١٦: ٢ ـ ٤)، وأيضاً (أخبار الأيام الثانى ٢٨: ٢ ـ ٤).

اقرأ: نبى الله يربعام يعبد الأوثان: (ملوك الأول ١٤: ٩).

اقرأ: نبى الله يفتاح الجلعادى يقدم أضحية للأوثان (قضاة ١١: ٣٠ ـ ٣١).

اقرأ: نبى الله يعقوب يصارع الله ويهزمه: (تكوين ٣٢: ٢٢ ـ ٣٠).

اقرأ: نبى الله يسجد للملك ولا يسجد لله: (فأتى الله إلى بلعام وقال: «من هم هؤلاء الرجال الذين عندك؟») عدد ٢٢: ٩؛ (ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فخر ساجداً على وجهه). عدد ٢٢: ٣١.

اقرأ: الرب يأمر نبيه حزقيال أن يمشى حافياً عارياً: (فى ذلك الوقت قال الرب عن يد إشعياء بن آموص: «اذهب وحل المسيح عن حقويك واخلع حذاءك عن رجليك». ففعل هكذا ومشى معرى وحافياً). حزقيال ٢٠: ٢.

٥٥ ـ (وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل. وكان اسم ابنه البكر يوئيل، واسم ثانيه أبيا. كانا قاضيين فى بئر سبع. ولم يسلك ابناه فى طريقه بل مالا وراء المكسب، وأخذا رشوة وعوجا القضاء. فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة وقالوا له: «هو ذا أنت قد شخت، وابناك لم يسيرا فى طريقك. فالآن اجعل لنا ملكاً يقضى لنا كسائر الشعوب» فساء الأمر فى عينى صموئيل إذ قالوا: «أعطنا ملكاً يقضى لنا». وصلى صموئيل إلى الرب). صموئيل الأول ٨: ١ ـ ٥.

غريب جداً كاتب هذا السفر! ألم يعلم أن تنصيب القضاة (الأنبياء) حق من حقوق الله، وليس للنبى أو الشعب دور فيه؟ والأغرب من ذلك أن يسوء الأمر فى عينى النبى صموئيل! فهل كان يريد استمرار ابنيه فى الحكم والقضاء على الرغم من فسادهما؟ أم هو التشويه المتعمد للأنبياء وقدوة الناس الذى يتبعه بنو إسرائيل فى كتابهم؟ والأغرب من ذلك هو تعاطف الرب معهم ودفاعه عنهم وتوعده بنى إسرائيل نتيجة رفضهم هؤلاء الظالمين المرتشين! هل أدركتم أن معنى ذلك أن بنى إسرائيل أعدل من الرب وأنبيائه وأحكم منهم؟ هل يليق هذا بجلال الله وقدسيته؟

٥٦ ـ الرب يستخف بعقل صموئيل ويواسيه: (فساء الأمر فى عينى صموئيل إذ قالوا: «أعطنا ملكاً يقضى لنا». وصلى صموئيل إلى الرب. فقال الرب

لصموئيل: «اسمع لصوت الشعب فى كل ما يقولون لك. لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم. حسب كل أعمالهم التى عملوا من يوم اصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم وتركونى وعبدوا آلهة، أخرى هكذا هم عاملون بك أيضاً. فالآن اسمع لصوتهم. ولكن أشهدن عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذى يملك عليهم»). صموئيل الأول ٨: ٦ ـ ٩.

فإذا كان الرب هو الذى عين صموئيل قاضياً عليهم، فبرفضهم لله، يرفضون أيضاً حكم الله وأنبياءه. فكيف يرفضرن الرب الإله مرسل الأنبياء ومعين القضاة، ويقبلون صموئيل الذى عينه نفس الرب الذى رفضوه؟ فهل يستخف الرب بعقل نبيه أم يكذب عليه ويقنعه بما يرفضه العقل والمنطق السليم؟ هل هو إله غبى أم إله كذاب؟ (سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً) ألم يكن صموئيل من أنبياء الله؟ فكيف يرفض الناس الإله ويقبلون نبيه؟ (وعاد الرب يتراءى فى شيلوه، لأن الرب استعلن لصموئيل فى شيلوه بكلمة الرب). صموئيل الأول ٣: ٢١، (وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته). صموئيل الأول ٧: ١٥.

٥٧ ـ ما اسم امرأة أوريا التى يفترى الكتاب على نبى الله داود أنه زنى بها؟

(فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: «أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى؟») صموئيل الثانى ١١: ٣.

وقد ورد اسمها من قبل بصورة مختلفة: (وهؤلاء ولدوا له فى أورشليم. شمعى وشوباب وناتان وسليمان. أربعة من بتشوع بنت عميئيل). أخبار الأيام الأول ٣: ٥.

فقال الرب لى: بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمى. لم أرسلهم ولا أمرثهم ولا كلمتهم. برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم). أخبار الأيام الأول ٣: ٥.

فقال الرب لى: بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمى. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم. برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم). إرميا ١٤: ١٤.

من هم هؤلاء الأنبياء الكذبة حتى نستثنى كتاباتهم من الكتاب المقدس حتى

يكون اسم الكتاب على مسمى؟

هل هى كتابات سليمان الذى عبد الأوثان (الملوك الأول ١١: ٩ ـ ١٠)؟

أم هل هى كتابات الزناة من الأنبياء أمثال داود (صموئيل الثانى ١١) ولوط (تكوين (١٩: ٣٠ ـ ٣٨) ويهوذا ويعقوب و.. و..؟

أم هل هى كتابات نبى الله وأبو الأنبياء الذى يتهمه الكتاب المقدس بالدياثة على زوجته (تكوين ١٢: ١١ ـ ١٦)؟



٢ ـ أسئلة حول الصلب والفداء بلا إجابة

نضع الآن مجموعة من الأسئلة حول الصلب والفداء، موجهة إلى المسيحيين لعلنا نجد لها إجابة إن تيسر الوقت فى جولة أخرى. وهذه الأسئلة هى:

١ ـ ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأي عدل وأى رحمة فى تعذيب غير مذنب وصلبه؟

قد يقولون: إنه هو الذى قبل ذلك، ونقول لهم إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو ينتحر، فإنه مذنب، ولو كان يريد ذلك.

٢ ـ إذا كان المسيح ابن الله، فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقى دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير فى يديه؟

٣ ـ ما هو تصور المسيحيين لله ـ جل فى علاه ـ الذى لا يرضى إلا أن ينزل العذاب المهين بالناس، والعهد فى الله ـ الذى يسمونه الآب ويطلقون عليه: الله محبة، الله رحمة ـ أن يكون واسع المغفرة، كثير الرحمات؟

٤ ـ من هذا الذى قيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وألزمه وجعل عليه أن يلتزم العدل وأن يلتزم الرحمة، وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما، بين العدل والرحمة، بأن ينزل ابنه الوحيد، فى صورة ناسوت، يصلب تكفيراً عن خطيئة آدم؟

٥ ـ يدعى المسيحيون أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، وفى أى شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد ـ خاصة وأن الكتاب المقدس ينص على أنه «لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. فكل إنسان بخطيئته يقتل»

(تثنية ٢٤ : ١٦)؟

٦ - إذا كان صلب المسيح عملاً تمثيليا على هذا الوضع، فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح؟

إن اليهود - وخاصة يهوذا الأسخريوطى - كانوا حسب الفهم المسيحى لموضوع الصلب أكثر الناس عبادة لله، لأنهم بذلك نفذوا إرادة الله التى قضت بصلب ابنه فقاموا هم بتنفيذ ذلك العمل.

٧ - هل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضرورياً، أم كانت هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر؟

ماذا يقول المسيحيون للإجابة عن مثل هذا السؤال، كما يقدمه كاتب مسيحى هو القس بولس ساباط، إذ يقول:

«لم يكن تجسد الكلمة ضروريا لإنفقاذ البشر، ولا يتصور ذلك مع القدرة الإلهية الفائقة الطبيعية» - ثم يسترسل هذا الكاتب، فيذكر السبب فى اختيار الكلمة لتكون فداء لخطيئة البشر، فيقول:

«إن الله على وفرة ما له من الذرائع إلى فداء النوع البشرى وإنقاذه من الهلاك الذى نتج من الخطيئة ومعصية أمره الإلهى، قد شاء - سبحانه - أن يكون الفداء بأعز ما لديه، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعاً». إن أبسط الذرائع لدى الله - سبحانه - إذا استخدمنا لغة ذلك القس، هى أن يقول الله: عفوت عنك يا آدم. إن هذا ما يقوله القرآن الكريم: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ **(البقرة: ٣٧)**.

ونصرخ فى وجه هذا الكاتب فنقول إنه ليس من الحكمة فى شىء أن نفتدى بدينار ما نستطيع أن نفتديه بفلس.

ثم هناك إجابة أخرى عن هذا السؤال نقتبسها من كاتب مسيحى آخر هو الأب بولس اليافى الذى يقول:

«مما لا ريب فيه أن المسيح كان باستطاعته أن يفتدى البشر ويصالحهم مع

أبيه بكلمة واحدة أو بفعل سجود بسيط يؤديه باسم البشرية لأبيه السماوى لكنه أبى إلا أن يتألم، ليس لأنه مريض بتعشق الألم أو لأن أباه ظالم يطرب لمرأى الدماء، وبخاصة دم ابنه الوحيد، وما كان الله بسفاح ظلوم، لكن الإله الابن شاء مع الله الآب أن يعطى الناس أمثولة خالدة من المحبة تبقى على الدهر وتحركهم على الندامة لما اقترفوه من آثام وتحملهم على مبادلة الله المحبة».

ومرة أخرى نصرخ فى وجه هذا المؤلف مؤكدين أنه صور الداء أدق تصوير عندما تكلم عن الدماء والقسوة، لكنه عندما بدأ يجيب ويصف الدواء تعثر وكبا ولم يقل إلا عبارات جوفاء لا تحمل أى معنى.

٨ - ونعود إلى القس بولس ساباط، ونسأله كما سأل: إذا كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية، فما العمل فى الخطايا التى تحدث بعد ذلك؟ يجيب هذا الكاتب بما يلى:

«إذا عاد الناس إلى اجتراح الخطايا، فالذنب ذنبهم لأنهم نسوا النور وعَشَوْا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم».

ومعنى هذا أن خطيئة واحدة محيت، وأن ملايين الخطايا سواها بقيت ووجدت بعد ذلك. وسيحاسب الناس على ما اقترفوه، وبعض ما اقترفوه أقسى من عصيان آدم. فلقد أنكر بعض الناس وجود الله، وهاجمه آخرون وسخروا من جنته وناره. فلماذا كانت ظاهرة التجسد لخطيئة واحدة، وتركت خطايا أكبر، لا تعد ولا تحصى؟

٩ - أين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم حتى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله - تعالى عن ذلك علوا كبيراً - ظل حائراً بين العدل والرحمة ألوف السنين، حتى قبل المسيح منذ ألفى عام فقط أن يصلب تكفيراً عن خطيئة آدم.

١٠ - يلزم - كما فى جميع الشرائع - أن تتناسب العقوبة مع الذنب، فهل يتم التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو وبين الخطيئة التى ارتكبها آدم؟

١١ - هذا - إلى أن خطيئة آدم التى لم تزد عن أن تكون أكلاً من شجرة نهى

عنها قد عاقبه الله عليها - باتفاق المسيحيين والمسلمين - بإخراجه من الجنة، ولا شك أنه عقاب كاف، فالحرمان من الجنة الفينانة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين. وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه، وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك، ولكنه اكتفى بذلك. فكيف يستساغ أن يظل مضمراً السوء غاضباً ألوف السنين حتى وقت صلب المسيح؟

١٢ - وقد مرت بالبشر منذ عهد آدم إلى عهد عيسى أحداث وأحداث وهلك كثيرون من الطغاة وبخاصة فى عهد نوح حيث لم ينج إلا من آمن بنوح واتبعه وركب معه السفينة.. فهؤلاء هم الذين رضى الله عنهم، فكيف تبقى بعد ذلك ضغينة أو كراهية تحتاج لأن يضحى عيسى بنفسه فداء للبشرية.

١٣ - والكاتب المسيحى الذى أسلم - عبد الأحد داود وكان مطراناً للموصل - ينتقد قصة التكفير عن الخطيئة هذه انتقاداً سليماً فيقول:

«إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتى، وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشرى بسببها ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب».

١٤ - ويقول هذا الكاتب - عبد الأحد داود -: «إن ما حمله على ترك المسيحية هو هذه المسألة وظهور بطلانها، إذ أمرته الكنيسة بأوامر لم يستسغها عقله وهى:

أ - نوع البشر مذنب بصورة قطعية ويستحق الهلاك الأبدى.

ب - الله لا يخلص أحداً من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم بدون شفيع.

جـ - الشفيع لابد أن يكون إلها تاما وبشراً تاماً».

ويدخل هذا الكاتب فى نقاش طويل مع المسيحيين بسبب هذه الأوامر، فهم يرون أن الشفيع لابد أن يكون مطهراً من خطيئة آدم، ويرون أنه لذلك ولد عيسى من غير أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه.

ويسألهم الكاتب: ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن طريق أمه؟

ويجيب هؤلاء: بأن الله طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الابن رحمها.

ويعود الكاتب يسأل: إذا كان الله يستطيع - التطهير - هكذا فى سهولة ويسر إذ يطهر بعض خلقه، فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر، بدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب؟

ونضيف إلى نقاش عبد الأحد داود، أن قولهم بضرورة أن يكون الشفيع مطهراً من خطيئة آدم، مما استلزم أن يولد عيسى من غير أب أو أن يطهر الله مريم قبل دخول عيسى رحمها، يحتاج إلى طريق طويل معقد، وكان أيسر منه أن ينزل ابن الله مباشرة فى مظهر الإنسان دون أن يمر بدخول الرحم والولادة.

ونضيف كذلك أن اتجاه المسيحيين هذا يتعارض مع اتجاه مسيحى آخر، هو أن ابن الله دخل رحم مريم ليأخذ مظهر الإنسان وليتحمل فى الظاهر بعض خطيئة آدم الذى يبدو ابن الله كأنه ولد من أولاده، ثم يصلب ابن الله تكفيراً عن خطيئة البشر الذين أصبح كواحد منهم.

ويبقى أن نسأل أسئلة أخيرة فى هذا الموضوع هى:

هل كان الأنبياء جميعاً، نوح - إبراهيم - موسى...، مدنسين بسبب خطيئة أبيهم؟

وهل كان الله غاضباً عليهم كذلك، وكيف اختارهم مع ذلك لهداية البشر؟ هذه الأسئلة نضعها بين يدى النصارى لعلهم يحاولون الإجابة عنها.

١٥ - لماذا لم يتم صلب آدم بسبب خطيئته بدلاً من صلب الله كما يزعمون؟

جـ : يعتقد النصارى أن المسيح (الله فى زعمهم) قدم نفسه للصلب فداء للبشرية لمغفرة خطيئة آدم وعدم توارثها فيهم.

وبسبب هذا الفهم والاعتقاد العجيب، تثار العديد من الأسئلة المنطقية غاية فى الأهمية:

أولاً: صلب آدم

١ - لماذا لم يتم صلب آدم، وهو صاحب الخطيئة وهو المستحق للعقاب؟

٢ ـ وهل من العقل ترك المخطئ ومعاقبة البرىء؟

٣ ـ وهل معاقبة الآخر البرئ يمحو خطيئة المذنب؟

ثانياً: صلب الله كما يزعمون

١ ـ ولماذا يصلب إلههم نفسه لكى يغفر الخطيئة؟

٢ ـ هل لأنه لا يستطيع أن يغفر هذه الخطيئة بكلمة أو رغبة منه؟

٣ ـ وإذا كان إلههم قادراً على مغفرة هذه الخطيئة، غير أنه أراد أن يصلب بهذه الطريقة ليغفر الخطيئة، أفليس هذا هو العبث بعينه؟ وهذا محال على الله.

٤ ـ ثم كيف يصلب إلههم نفسه ليقدمها لنفسه لكى يغفر الخطيئة؟!

٥ ـ أليس الله القائل فى الملوك الثانى (١٤: ٦): «إنما كل إنسان يقتل لخطيئة»؟ وبما أن آدم يدخل ضمن كلمة (كل إنسان) دون استثناء له فكان لابد من قتله أو صلبه دون أحد غيره.

ثالثاً: الصلب والخطيئة

١ ـ ولماذا لا يتم صلب آدم ومغفرة خطيئته وتنتهى هذه القصة؟

ثم على أى شىء يصلب إلههم نفسه؟ أليس للأكل من شجرة؟

إذاً كم نحتاج من الآلهة للصلب كى يتم مغفرة خطيئة قايين أو قابيل الذى قتل أخاه هابيل؟

٢ ـ وكم عدد المرات التى يجب أن يصلب إلههم نفسه لكى يغفر خطيئة القتل؟

رابعاً: قابيل وخطيئته

١ ـ ولماذا آدم فقط الذى يصلب إلههم نفسه من أجله ولا يتم ذلك لابنه قايين الذى قتل أخاه هابيل، بالرغم من أن قايين من أوائل البشر وأحد الآباء الرئيسيين للبشر؟

٢ ـ وكم عدد الآلهة أو المرات التى يجب أن يصلب إلههم نفسه حتى يغفر آلاف وملايين الخطايا الكبرى التى تحدث يوميا وإلى قيام الساعة، والتى تمثل

خطيئة آدم مقارنة بها هفوات وصغائر؟

خامساً: كيفية الصلب

ولماذا أراد إلههم أن يغفر لآدم بهذه الطريقة التى تم فيها هروب (الله فى زعمهم) وصلى وتضرع إلى الله لكى ينجيه ثم تم القبض عليه وإهانته والبصق عليه وإيذائه وصلبه وهو متألم ويستغيث ولا مجيب له ولا سميع؟!

سادساً: البشر قبل الصلب

١ ـ ولماذا سكت إلههم كل هذه الآلاف من السنيين لكى يصلب بهذه الطريقة ليغفر خطيئة آدم؟

وقد مات ملايين الناس وعشرات ومئات الأنبياء وهم لا يؤمنون ولا يعلمون عن قضية الصلب شيئاً.

٢ ـ فلماذا لم يبلغهم إلههم بهذه القضية الرئيسية فى العقيدة وقد أبلغهم بقضايا أقل أهمية من ذلك بكثير؟

وهناك عشرات الأسئلة المنطقية التى يمكن أن تثار، ولا توجد إجابة عقلية أو علمية مقنعة لها وسبب ذلك أنهم:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ (النجم: ٢٣).

١٦ ـ هل غفر الله خطيئة آدم وحواء وكان الصلب بدون معنى؟

جـ : فى التكوين (٣: ٣): (خطيئة آدم وحواء عقابها الموت):

● «وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا... فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل... فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل».

فى حزقيال (١٨: ٢١ ـ ٢٢): (غفران الخطيئة وعدم توارثها):

● «فإذا رجع الشرير من جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى وفعل حقا وعدلاً، فحياة يحيا لا يموت. كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه» (الشرير

هو إبليس).

وفى متى (١٢: ٣٦، ٣٧): يقول يسوع:

● «ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان».

وفى التثنية (٢٤: ١٦): «كل إنسان بخطيئة يقتل».

وفى حزقيال (١٨: ٢٠): «النفس التى تخطئ هى تموت».

وفى متى (١٩: ١٤، ١٥): يقول يسوع:

● «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم؛ لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات... فوضع يديه عليهم».

وفى التكوين (٤: ٤، ٥): (تقبل الله من هابيل ولم يتقبل من أخيه).

● «فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر».

فكان فى التكوين (٣: ٢١):

(غفران خطيئة آدم وحواء وعدم موتهما لتقديمهما الكباش فألبسهم الله الجلود):

● «وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما».

وقد غرق كل العصاة. ونجى الله كل المؤمنين مع نوح عليه السلام. وبهذا لم يبق عاصٍ ولا وارث للخطيئة وأصبح صلب المسيح بلا معنى.

١٧ ـ هل جلس الرب يسوع عن يمين الله فى السماء؟!!

جـ: يقول مرقص فى (١٦: ١٩):

● «ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله».

ـ فكم يكون عدد الآلهة الذين يجلسون فى السماء؟

ـ أليس هذان إلهين يجلس بعضهما بجوار البعض؟

وأكد هذا مرقص وقال: جلس الرب عن يمين الله.

- وكـــيف يكون لله ندا يجلس بجـــواره؟ وأين الإله الواحـــد الذى ردده المسيحيون طويلاً؟

- وكيف يديران الكون؟ هل بالمناصفة أم بالتبادل الزمنى؟ ومن يرأس الآخر؟

- وبأى صفة يجلس الرب؟ هل يجلس بصفته أباً أم ابناً أم روح قدس؟

وبعد ذلك كيف يكون إلهاً واحداً؟ أليس هذا تعددا وإنفصال آلهة عن بعضها؟

- فإذا كنتم اخترعتم خدعة بأن للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية فى الأرض.

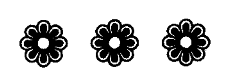
- فما الخدعة الجديدة التى سوف تخترعونها للمسيح الرب وهو جالس عن يمين الله فى السماء ندا لند، إلهاً بجوار إله؟

- وهل يليق بعقيدة أن يكون لها إلهان يجلس الواحد على مقعد بجوار الآخر فى السماء؟!!!

أفيدونا بعلم إن كنتم صادقين.

١٨ - ما القاعدة التى بنى عليها البحث؟

جـ: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ **(النساء: ٨٢)**.



٣ ـ متفرقات وأسئلة تحتاج لأجوبة

لا تحتج على الجزية فالمسيح دفعها

١٩ : ١٩ : ٢٢ : Mt أرونى معاملة الجزية. فقدموا له دينارا (SVD).

٧٠ : ٧ : ١٣ : Rom فاعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام (SVD).

وموسى دفعها وأخذها

٩٢ : ٢٤ : CHR:

٩ ونادوا فى يهـوذا وأورشليم بأن يأتوا إلى الرب بجـزية مـوسى عـبـد الرب المفروضة على إسرائيل فى البرية. (SVD)

وإسرائيل أخذ الجزية

٢٨ : ١ : Jgs :

٢٨ وكـان لما تشـدد إسـرائيل أنه وضـع الكنعـانيين تحت الجـزية ولم يطردهم طرداً. (SVD)

ويوسف دفعها

٣٥ : ١ : Jgs:

٣٥ فعزم الأموريون على السكن فى جبل حارس فى أيلون وفى شعلبيم. وقويت يد بيت يوسف فكانوا تحت الجزية. (SVD)

وهوشع دفع الجزية

٣٢ : ١٧ : Kgs:

٣ وصعد عليه شلمناصر ملك أشور فصار له هوشع عبدا ودفع له جزية. (SVD)

كتابك يأمرك بدفع الجزية لنا (مقابل دفاعنا وبنائنا وحمايتنا وخدماتنا)

:Ezr :٦ :٨

٨ وقد صدر منى أمر بما تعملون مع شيوخ اليهود هؤلاء فى بناء بيت الله هذا. فمن مال الملك من جزية عبر النهر تعط النفقة عاجلاً لهؤلاء الرجال حتى لا يبطلوا. (SVD).

٢١ :٢١ :٥ :1 Thes امتحنوا كل شىء. تمسكوا بالحسن (SVD).

هل كان الصليب مقدساً؟ كيف يقول المسيح احمل الصليب؟

٢١ :٢١ :١٠ :Mk فنظر إليه يسوع وأحبه وقال له يعوزك شىء واحد اذهب بع كل ما لك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى حاملا الصليب (SVD).

:Lk :١٨ :٢٢

٢٢ فلما سمع يسوع ذلك قال له يعوزك أيضاً شىء. بع كل ما لك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى. (SVD)

لاحظ بارك الله فيك أن مرقس ذكر كلمة حاملا الصليب ولكن لوقا لم يذكرها... ولكن الحكمة فى ذلك أن الصليب لم يكن مقدساً قبل موت المسيح عليه ولكن كان رمزاً للعار والذل والهوان فما هى الحكمة فى أن يقول له تعال واتبعنى حاملا الصليب؟؟؟

لماذا تصنعون تمثالا للصليب؟؟؟

:Ex :٢٠ :٤

٤ لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. (SVD)

:Dt : ٤ : ٢٣

٢٣ احـتـرزوا من أن تنسـوا عـهـد الرب إلهكم الذى قطعـه مـعكم وتصنعـوا لأنفسكم تمثالاً منحوتا صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك. (SVD)

لمن كان يصلى ولماذا؟

LK: 22: 41: 41 وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى (SVD)

Mt: 26: 39: 39 ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت.

Mt: 27: 46: 46 ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلى إيلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى (SVD).

MK: 15: 34: 34 وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ألوى ألوى لما شبقتنى. الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى.

LK: 22: 45: 45 ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن (SVD)

صلاته ليست للتعليم.

من أقامه؟

Acts: 2: 32: 32 فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعا شهود لذلك (SVD).

Acts: 2: 24: 24 الذى أقامه الله ناقضا أوجاع الموت إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منه (SVD).

هل أنت من خراف بيت إسرائيل؟

Mt: 15: 24: 24 فأجاب وقال لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (SVD).

أنا أتساءل ما هو موقع كل نصارى اليوم من خراف بيت إسرائيل الضالة هل هم منها؟! المسيح جاء بدعوة مختصة بقوم معينين وهو أوضح ذلك فى هذه الفقرة السابقة.

لماذا لم يطبق يسوع الناموس؟

Mt: 5: 17: 17 لا تظنوا إنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل (SVD).

Jn: 8: 4: 4 قالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل (SVD).

Jn: 8: 5: 5 وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت (SVD).

Jn 8: 6: 6 قالوا هذا ليجربوه لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه. وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض (SVD).

Jn: 8: 7: 7 ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر (SVD)

Jn: 8: 11: 11 فقالت لا احد يا سيد. فقال يسوع ولا أنا ادينك. اذهبى ولا تخطئى أيضا (SVD)

ما ذنب الحمير؟

Jos: 6: 21: 21 وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف (SVD).

لا تعليق

لماذا لا يشرب الخمر على الأرض ويشربه فى الملكوت؟

مرقس: ٢٥ : ١٤ الحق أقول لكم إنى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا فى ملكوت الله.

Lv: 10: 9: 9 خمرا ومسكرا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكى لا تموتوا. فرضا دهريا فى اجيالكم (SVD).

اشرح المعنى

1Cor: 7: 9: 9 ولكن أن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا. لأن التزوج أصلح من التحرق (SVD).

من أرسله؟

Jn: 17: 21: 21 ليكون الجميع واحدا كما إنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى (SVD).

Jn: 13: 16: 16 الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله (SVD).

هل الحية تأكل تراب؟

Gn: 3: 14: 14 فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك (SVD).

لماذا لم يغفر لهم هو؟

LK: 23: 34: 34 فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. وإذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها (SVD)

أليس هو ربكم؟ يقول لا أريد ذبيحة

Mt: 9: 13: 13 فاذهبوا وتعلموا ما هو إنى اريد رحمة لا ذبيحة. لأنى لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة (SVD).

هل روح القدس أفضل من الناسوت؟

Lk: 12: 10: 10 وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له. وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له. (SVD)

كيف يجلس عن يمين نفسه؟

Mk: 16: 19: 19 ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله (SVD).

ربكم لا يعرف موسم التين؟

Mk: 11: 13: 13 فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا. لأنه لم يكن وقت التين (SVD).

لماذا ما قالوا الرب؟ هل الرب يخفى نفسه

Mt: 12: 11: 11 فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل (SVD)

لماذا يقول فى السموات؟

Mt: 6: 9: 9 فصلوا أانتم هكذا أبانا الذى فى السموات. ليتقدس اسمك (SVD).

كيف يركب الرب سحابة؟

Is: 19: 1: 1 وحى من جهة مصر. هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف اوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها (SVD).

لماذا لم يسجد الشيطان ليسوع؟ إذا كان إلهه؟

Lk: 4: 7: 7 فإن سجدت أمامى يكون لك الجميع (SVD).

Lk: 4: 8: 8 فاجابه يسوع وقال اذهب يا شيطان إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.

الابن الأصغر أكبر من أبيه بسنتين؟ كيف؟

2Chr: 12: 20: 20 كان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك وملك ثمانى سنين فى أورشليم وذهب يرى مأسوف عليه ودفنوه فى مدينة داود ولكن ليس فى قبور الملوك (SVD)

2Chr: 22: 1: 1 وملك سكان اورشليم اخزيا ابنه الأصغر عوضا عنه لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب إلى المحلة. فملك اخزيا بن يهو رام ملك يهوذا (SVD)

2Chr: 22: 2: 2 كان اخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة فى أورشليم واسم أمه عليا بنت عمرى.

من ألغى الناموس؟

Rom: 7: 6: 6 وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف (SVD)

117 :17 :5 :Mt لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل.

فسر..

3 :3 :17 :Jn وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته (SVD)

من إله المسيح؟

17 :17 :20 :Jn قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم (SVD).

بولص يضطهد الرب

5 :5 :9 :Aets فقال من أنت يا سيد. قال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس. (SVD)

هل بطرس شيطان أم معه الملكوت؟

23 :23 :16 :Mt فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس (SVD)

19 :19 :16 :Mt وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً فى السموات.

لماذا يسوع يشتكى؟ لماذا لم يدر خده الأيسر؟

39: 39: 5: Mt وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. (SVD)

لماذا يكتم يوحنا الوحى بأمر من صاحب الوحى؟

4: 4: 10: Rv وبعدما تكلمت الرعود السبعة بأصواتها كنت مزمعاً أن أكتب فسمعت صوتاً من السماء قائلاً لى أختم على ما تكلمت به الرعود السبعة ولا تكتبه (SVD).

من كتب إنجيل يوحنا؟

24: 24: 21: Jn هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حق (SVD).

كيف يناقض المسيح نفسه ويحرم الطلاق؟

32: 32 5: Mt وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى. ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى (SVD)

18: 18: 5: Mt فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

لماذا الكنائس تجيز زواج الرجال بالرجال؟

22: 22: 18: Lv ولا تضاجع ذكراً مضاجعة امرأة. إنه رجس (SVD).

كيف يهوذا الخائن يكون ديانا؟

28: 28: 19 Mt فقال له يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر (SVD).

من ميخائيل؟ سيقولون هو يسوع

1: 1: 12: Dn وفى ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبنى شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفى ذلك الوقت ينجى شعبك كل من يوجد مكتوباً فى السفر.

هل المسيح بن داود؟؟

41: 41: 20 Lk وقال لهم كيف يقولون إن المسيح بن داود (SVD).

فسر ما يأتى

حشيش

11: 11: 33: Is تحبلون بحشيش تلدون قشيشا نفسكم نار تأكلكم (SVD).

تقولون المسيح مولود وليس مخلوقا فمن كانت له الإرادة فى إيجاده هل الأب أم هو أراد إيجاد نفسه قبل أن يوجد أصلاً أم أنه وجد بغير إرادة فى وجوده قبل المسيح هل يوجد أحد بلا خطيئة؟ مريم إذا هو ورث الخطيئة منها من الذى قام من القبر اللاهوت أم الناسوت؟

هل الله يولد من فرج امرأة؟؟؟ هل الله يولد فى مزود للبهائم؟؟؟ هل الله يصفع ويضرب ويبصق فى وجهه؟؟؟

هل الله يعريه اليهود؟؟ ويصلبونه؟؟ ويقتلونه؟؟ هل الله يصلى لنفسه من أجل أن ينقذ نفسه من الصلب؟؟؟

الموسيقى والخمر حرام

Is :5 :12 :12 وصار العود والرباب والدف والناى والخمر ولأنهم وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون (SVD).

وبعدين حلال

Sg :5 :1 :1 قد دخلت جنتى يا أختى العروس. قطفت مرى مع طيبى. أكلت شهدى مع عسلى. شربت خمرى مع لبنى. كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحباء (SVD).

الخنزير حرام

:Lv :11 :7

والخنزير. لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر. فهو نجس لكم. (SVD).

:Dt :14 :8

٨ والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا (SVD) 22: 11: Prv:

٢٢. خزامة ذهب فى فنطيسة خنزيرة المرأة الجميلة العديمة العقل. (SVD)

:Is :66 :17

الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم فى الجنات وراء واحد فى الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معاً يقول الرب. (SVD)

:Is :65 :4

يجلس فى القبور ويبيت فى المدافن يأكل لحم الخنزير وفى آنيته مرق لحوم نجسة. (SVD)

ثم أصبح حلالاً

:Mt :15 :11

١١ ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان. بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان. (SVD)

المسيح يأمر بعدم غسل اليدين

2: 2: 15: Mt: لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ. فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً (SVD).

20: 20: 15: Mt هذه هى التى تنجس الإنسان. وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان (SVD)

الإسلام مذكور

21: 21: 22: jb تعرف به وأسلم بذلك يأتيك خير (SVD).

22: 22: 22: jb أقبل الشريعة من فيه وضع كلامه فى قلبك (SVD).

النفس أمارة بالسوء

19: 19: 15: Mt لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنا فسق سرقة شهادة زور تجديف (SVD).

21: 21: 7: Mk لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنا فسق قتل (SVD)

المسيح ليس ابن داود

41 :41 :20: Lk وقـــال لهم كـــيف يقـــولون إن المســـيح ابن داود (SVD).

ففريق كذبتم وفريق تقتلون

34: 23: Mt:

٣٤. لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. (SVD)



وأخيراً نقول

فالعجب منكم أنكم تدققون فى أمور لا تقارن بوجه من الوجوه أمام مصائب تضمنها كتابكم لا يقبلها إلا مجنون أو متعصب بلغ به تعصبه إلى الجنون.

إننا نذكركم بما تضمنه كتابكم (البايبل) عن المسيح أنه قال «ولماذا تلاحظ القشة فى عين أخيك، ولكنك لا تتنبه إلى الخشبة الكبيرة فى عينك؟ أو كيف تقدر أن تقول لأخيك: يا أخى، دعنى أخرج القشة التى فى عينيك! وأنت لا تلاحظ الخشبة التى فى عينك أنت. يا مرائي، أخرج أولاً الخشبة من عينيك، وعندئذ تبصر جيداً لتخرج القشة التى فى عين أخيك» (لوقا ٦/ ٤١).

ألم تنظروا ما فى كتابكم؟ فاقرأوا ما يلى:

إن الرب أمر حزقيال أن يأكل الخرء الخارج من دبره فيخلطها مع الخبز ويطلب منه أن يعمم هذا الأمر على بنى إسرائيل (حزقيال ٤/ ٩).

وأخبر عن قوم آخرين أنهم يأكلون غائطهم ويشربون بولهم (ملوك ثانى ١٨/ ٢٧).

وأن يعقوب صارع ربه فطرحه أرضاً وغلبه وكان الله يرجوه أن يطلقه حتى يعود إلى السماء (تكوين ٣٢/ ٢٢).

وأن الرب أمر كل أجنبى إذا لقى يهودياً أن يسجد له على الأرض ويلحس غبار نعليه (أشعيا ٤٩/ ٢١).

وأن الرب قال «لا تقرض أخاك بربا ... للأجنبى تقرض بربا» (تثنية ٢٣ : ١٩).

وأن كل ما تمسه الحائض أو تقعد عليه يصير نجساً (لاويين ١٥/ ١٩).

وأمر هوشع أن يبحث له عن زانية (هوشع ١/ ١).

وأوحى نصوصاً جنسية تحث على الارتواء من الثديين فى كل وقت (أمثال ٥/ ١٦).

وأن لوطا زنا بابنتيه فأنجبتا منه ولدين (تكوين ١٩/ ٣٠).

وأن يهوذا زنا بكنته (زوجة ابنه) (تكوين ٣٨/ ١٥).

وأن داود زنا بامرأة جاره (صموئيل ثانى ١١/ ١).

وأن داود قتل مئة فلسطينى وقدم غلفة ذكورهم مهرا للزواج من ابنة الملك شاوول (صموئيل ١٨/ ٢٥).

وأنزل نصوصاً مثيرة للغريزة الجنسية مملوءة بالتغزل بالثديين مثل سفر (نشيد الأنشاد ١/ ١٣ و ٣/ ١ و ٤/ ١ و ٧/ ١) الذى يحوى نصوصاً تأبى العفيفة سماعها مما يخدش حياءها والأفخاذ والقبلات والمعانقة ودخول السرير للمضاجعة. مما يعرض الراهبات لفقدان عذريتهن من قبل القساوسة الذين يتلونها عليهم فى الأديرة والكنائس.

ولهذا وجدنا جورج برنارد شو ينصح بحفظ البايبل بعيداً عن متناول الأطفال لما فيه من النصوص الجنسية الفاضحة واصفاً البايبل بأنه أخطر كتاب على وجه الأرض وأمر بوضعه فى مكان محكم الإقفال.

لو سألت أحد هؤلاء أن يقرأ عليك نصا بالعربية أو يعرب لك نصا لطفق الصغار يضحكون على قراءته. فهو لا يجيد القراءة فضلاً عن الإعراب. ومع ذلك يأتى ليتحدث عن أخطاء لغوية فى القرآن.

نصوص بلاغية مضحكة من الكتاب المقدس

(خروج ١٥ : ٨) وبريح أنفك تراكمت المياه.

أتعون ما تقولون أيها الفصحاء البلغاء: بريح الأنف تتراكم المياه أم من الإصابة بالزكام؟

(أيوب ٣٥: ١٠) الله صانعى، مؤتى الأغانى فى الليل، الذى يعلمنا أكثر من وحوش الأرض، ويجعلنا أحكم من طيور السماء.

فما هو العلم الذى تعلمكم إياه وحوش الأرض. وما هى الحكمة التى تؤتيكم إياها الطيور؟؟؟

(١ صمو ٢ : ١) قالت حنة: ارتفع قرنى بالرب. اتسع فمى على أعدائى. وليس صخرة مثل إلهنا. قسى الجبابرة انحطمت. والضعفاء تمنطقوا بالبأس.

انحطمت تمنطقوا. ارتفاع القرن بالرب. وتشبيه لربكم بالصخرة؟؟؟

(الجامعة ٣: ١) لكل شىء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت. للولادة وقت وللموت وقت. للغرس وقت ولقلع المغروس وقت. للبكاء وقت وللضحك وقت. وللنوح وقت وللرقص وقت. لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت. للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت. للتمزيق وقت وللتخييط وقت.

أرأيتم هذا التعبير الأدبى الذى عجز عن مثله أبو العتاهية والمتنبى وسائر أدباء العرب؟ أسلوب لا أدبى رفيع الركاكة. هكذا.. تمزيق وتخييط. جمع حجارة وتفريقها. وضع غرس ثم قلعه. نوح ورقص.

الحُسينى الحُسينى معدّى

الفهرس

2

الأجوبة الجليَّة

فى الرد على الأسئلة المسيحية

في زمن المحن والاختبارات تكثر الابتلاءات، وتتوالى على الأمة الإسلامية، وها نحن الآن نعيش هجمة شرسة على القرآن الكريم والرسول محمد ﷺ لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وإن لم تكن الأولى ولا الأخيرة. وساعد على ذلك ظهور العولمة بثوراتها العلمية الجبارة المتمثلة في الإنترنت، والقنوات الفضائية، والموبايل... إلخ.

ونظراً لتعرض الإسلام والمسلمين لحرب دينية مسخر لها أقوى وأعتى جمعيات تنصيرية وكنسية في العالم. ومع خطورة هذه الحرب الشرسة، واستخدام الخصم لأبشع الألفاظ من السب والشتم والكذب الواضح على النبي ﷺ وديننا العظيم.

ومن أجل أن يكون في متناول يدك الإجابة المقنعة والحجة القوية للرد على أكاذيب المبشرين والمنصّرين حول الإسلام ونبيه، ومصادره وتعاليمه، ولإبطال كيد المتربصين والحاقدين على الإسلام باعتباره أسرع الأديان انتشاراً في العالم.

نضع بين يدى القارئ المسلم، والباحث عن الحق من النصارى في أي مكان هذا الإصدار، والذي التزمنا فيه بالموضوعية، والحوار الهادئ، والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال الحسن القائم على الحجة والمنطق والبرهان.

والله نسأل القبول والإخلاص وهو الموفق إلى طريق الهدى والرشاد.



